



سيرة

سماحة الشيخ العلامة الإمام

د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

- رحمه الله -

يرويها ابنه

د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

ح عبدالرحمن عبدالله عبدالرحمن الجبرين، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجبرين، عبدالرحمن عبدالله عبدالرحمن

أعجوبة العصر سيرة سماحة الشيخ العلامة الإمام عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله تعالى./عبدالرحمن عبدالله عبدالرحمن الجبرين.- الرياض، ١٤٣٣هـ

٨٩٦ ص، ١٦,٥× ٢٤ سم

ردمك: ١ -٠٣٧٥-٠١- ٦٠٣ - ٩٧٨

١- ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله، ١٣٤٩-١٤٣٠هـ.

أ. العنوان

ديوي ٩٢٢,١١٣ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٥٨٤٢

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



مؤسسة ابن جبرين الخيرية - المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ٣٣٥ - الرمز البريدي ١١٤١١

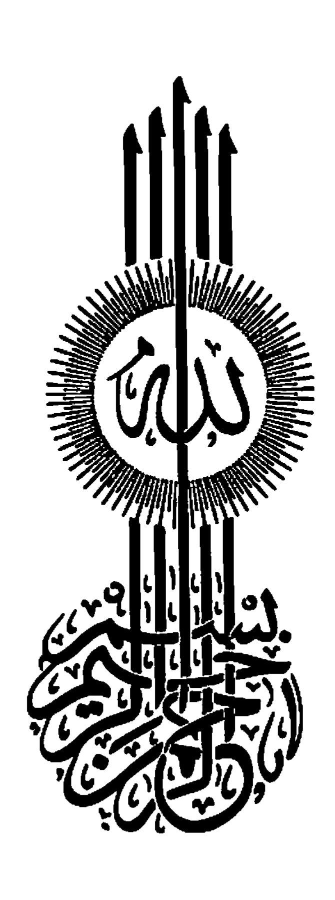
هاتف ٠٠٩٦٦١٤٢٦١٠٠٠ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٦٣٧٠٠

www.ibn-jebreen.com E-mail: info@ibn-jebreen.com

البريد الالكتروني الخاص بالكتاب

serah@ibn-jebreen.com

لارسال الملحوظات والاستدراكات والخواطر


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع | الصفحة





المقدمة

الحمد لله ولي الحمد والثناء، وأهل الكرم والنعماء، حمد مستمتع بدوام نعمه، ومستوزع للشكر على جليل قسمه، ومؤد فرض محامده وآلائه، ومستمد من فوائد كرمه ونعمائه، أحلنا محلة الفهم، وحلانا حلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بنطق المنطق، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المكين ورسوله الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام المنتجبين، وسلم وعظم ومجد وكرم، أما بعد[1]..

فقد كتب الله الموت على الصغير والكبير، والشريف والطريف، والعالم والجاهل، ولكن لا شك أن المصيبة بالعلماء مصيبةٌ كبيرة؛ وذلك أن بفقْدهم يُفقَد العِلم، الذي هو ميراث الأنبياء، وقد ثبت أن الرسول ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتَّخذ الناسُ رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا فأفتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»[2].

بهذه الكلمات نعى الشيخ الوالد عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين أخاه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد[3] رحمهما الله تعالى[4] ونحن نسجلها اليوم في مقدمة الحديث عن سيرة الوالد رحمه الله، لأنها تحكي مصيبتنا بفقده.

---

(١) انظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي ١ / ٨٣ و الأذكياء لابن الجوزي ١/١.

(٢) أخرجه البخاري في باب كيف يقبض العلم من كتاب العلم برقم ١٠٠ وأخرجه مسلم في باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان من كتاب العلم برقم ٢٦٧٣ كلاهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٣) هكذا يكتبه أفراد القبيلة على الحكاية.

(٤) مقال بعنوان رحل الذين أحبهم، فعليك يا دنيا السلام للشيخ أحمد بن مشرف الشهري الألوكة http://www.alukah.net/ar[ticles/1 /7163. aspx.





وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[الرعد: ٤١]. بأنه موت علمائها وفقهائها وخيار أهلها. وقد تلقى العلماء هذا التفسير بالقبول، كما ذكر ذلك الحافظ أبو عمر بن عبد البر[١] رحمه الله[٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: «إذا مات العالم انثلم بموته في الإسلام ثلمة، لا تسد إلى يوم القيامة»[٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه ذهاب أهله»[٤].

وقيل لسعيد بن جبير رحمه الله: ما علامة الساعة وهلاك الناس؟ قال: «إذا ذهب علماؤهم»[٥].

ولما مات زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من سرَّه أن ينظر كيف ذهاب العلم، فهكذا ذهابه»[٦].

وقد كان السلف رحمهم الله يأسون أشد الأسى لفقد واحدٍ منهم، يقول أيوب السختياني رحمه الله: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي»[٧][٨].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/٣٠٤

(٢) انظر مقالة د. خالد بن عبدالرحمن الشايع http://www.aleqt.com/2009 /07 /16/article_252832.html.

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي -(ج ٢ / ص ٤٥٧) برقم ٨٥١.

(٤) رواه الطبراني في الكبير برقم ٨٨٤٥.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي برقم ١٦٦٢.

(٦) رواه الطبراني في الكبير برقم ٤٧٥١.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي -(ج ١ / ص ٤٦) سياق ما روي عن النبي ﷺ في ثواب من حفظ السنة ومن أحياها ودعا إليها برقم ٢٥.

(٨) من خطبة جمعة للشيخ عبد العزيز بن محمد القنام وادي الدواسر - جامع النويعمة القديم ١٤٣٠/٧/٢٤.



ونحن في هذه السيرة نتحدث عن أحد علماء الأمة الذين ودعوا الدنيا، وقد عرفت -أخي القارئ- موضوع هذه السيرة من عنوانها، وستعرف تفاصيلها من مباحثها، ولئن كنت سبقت غيري إلى جمع سيرة الشيخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وترك الناس ذلك لي إحسانا منهم للظن بي، ورجاء أن أكون أكثر استقصاء وأدق تفصيلا، فقد سبقني الكثير من تلاميذه ومحبيه إلى تسطير خواطرهم، وذكر مواقفهم معه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفاء لشيخهم، وردًّا لجميله، وتقديرًا لمكانته، ومن أبلغ ما طالعته وأكمله، نص أدبي لطيف كتب قبل وفاة الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأربعين يوما، سطره يراع أحد تلاميذه، كلمات خرجت من القلب، فتداولها الناس وتغنوا بها قبل وفاة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم قرؤوها بتأمل وتدبر بعد وفاته، كانت تسجيلا لحياة حافلة بالعلم والتعليم والدعوة والنصيحة والعطاء المتنوع، سأقتطف منها هنا وفي أماكن أخرى ما يناسب كل موضع، كتبها الأستاذ خضر بن صالح بن سند[1] في بحث سماه: عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة، ونشره في الموقع الإلكتروني الشهير «ملتقى أهل الحديث» يقول في هذا البحث: «شيخ في الثمانين من العمر، تداعب همته ونشاطه مخيلة أبناء العشرين، ليس ابن جبرين من دهماء الناس وعامتهم، بل هو رأس الطبقة وزينة الوقت، وهو اليوم مفخرة من مفاخر علماء السنة، وعالم من أكابر علماء الزمن الحاضر.

كل من جالسه عرف أنه عالم وداعية، زاهد وداهية، عربي غير مستعجم، حضري غير خاضع لذل الحضارة، شيخ في طاقة شاب، ورجل يحمل همّ أمة.

---

(١) ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729
خضر بن صالح بن سند: عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة، جدة ١١/٦/١٤٣٠

بلـغ من العلوم أعلاها، بـرع في العلوم حتى أُعجِب به مـن رآه وسمعه، وبرع في التعليم حتى أتعب من بعده».

ولعـل الشيخ خضرًا اختصر عليَّ كثيرًا من الجهد، فإن الابن يشق عليه ويستثقـل منــه أن يصف أبـاه بصفات المدح، ولـو كانت موجـودة في الواقع، ويشهـد بها القريـب والبعيد، وقـد أراحني -كذلـك- تلاميذ الشيـخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ومحبـوه ممن كتبوا أو تحدثوا عنه مـن هذه المهمة، فورد فيما ذكروه الكثير من عبارات الثناء، التي أبقيتها كما سطرها أصحابها.

فهـذا تلميـذه الدكتور سعـد البريك يقول في مداخلة له مـع قناة دليل: "المتكلم عن سيرة العلامة سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين بأي جانب يبدأ: هل أجمع الدهر في لحظة أو البحر في قربة؟!

عرفـت الشيخ منذ أن كنت صغيرًا، أتـردد عليه في بيته القديم في قلب مدينة الرياض، كان الشيخ يجلس لنا، وهو الذي يصب القهوة بيده.

عرفت الشيخ وأنا أستوضحه في بعض الأمور والمواقف في بعض النوازل، فأجد منه قولًا ينشرح له الصدر، وتطمئن له النفس.

عرفـت الشيخ وهو يزورنـا كل عام في مسجدنا في إحـدى ليالي العشر الوسطى من كل سنة، أقرأ عليه الأسئلة بعد أن يلقي كلمته المعتادة، ثم يختم كلمتـه بالشفاعـة والدعوة للتبرع للفقراء والمساكـين في المناطق النائية، وإذا زارنـا الشيخ تلك الليلـة انهالت التبرعات من مال وحلـي، بل بعضهم يتحين متى يأتي الشيخ حتى يتقدم بزكاته، ليدفعها للشيخ.

عرفت الشيخ كالبحر يرد عليه الناس من كل جانب، ما بين سائل ومتعلم، وصاحب حاجة وطالب شفاعة، فأرى كيف يبذل نفسه لينًا ومتواضعًا، يخفض جناحه للضعيف والفقير والمسكين، فإذا رأيت الشيخ مقبلًا تذكرت قول الله ﷻ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]..

الشيخ له منهج يجب أن يستخلص من سيرته، ويجب أن يدرس و أن يقرأ و أن يعرف، كمنهج وليست مجرد مواقف في حياته، فللشيخ منهج مع الحكام في النصيحة والصدق والزيارة، وللشيخ منهج مع العلماء في البيان والتعامل مع المخالف، وللشيخ منهج مع العامة في الدنو منهم وقضاء حوائجهم، وللشيخ منهج مع الجماعات الإسلامية في نبذ التعصب والنصيحة للجميع، وللشيخ منهج مع المخالفين في العقائد مخالفة واضحة، فلا يقف في منطقة رمادية أبدًا، وقوله مشهود ومعلوم فيمن سب الصحابة وقذف أم المؤمنين عائشة بالفاحشة". أ.هـ.

ويقول الدكتور سلمان العودة: " الشيخ عبد الله ابن جبرين رجل جاوز الثمانين من عمره، هذا الرجل أعجوبة..أعجوبة أنه في طول عمره تجد دروسه تفترس وقته كله، فكل وقته دروس وبرامج، دوره في لينة، وبعدها في المنطقة الشرقية، ثم في أملج، ثم في خميس مشيط، وهكذا يتنقل بين البلاد والمدن في دورات وبرامج.

لا يكاد الشيخ يعتذر من أحد يدعوه، حتى لو دعاه إلى هجرة صغيرة أو قرية أو ثلة قليلة من الطلاب، والشيء الغريب أنه لم يكن مقصورًا على الفقه تجد الشيخ في الأنساب، إذا ذاكرته عنده بصر بالأنساب. إذا ذاكرته



في الأدب والشعر، حتى إنه يحفظ كثيرًا من مقامات الحريري وغيرها، ويستشهد بالشعر، عند الشيخ أيضًا أخلاق نبيلة، تواضع جم، لا يرى لنفسه قدرًا، وأظن أن الشيخ لو لم يكن قرأ عن الغضب، لم يكن يعرف ما الغضب، إلا أن تنتهك حرمات الله سبحانه وتعالى، فيغضب لله لا لنفسه، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ نموذجًا حيًّا في العلم والتعليم وبذل النفس، وفي الأخلاق الفاضلة".

ويقول الشيخ رياض المسيميري: "يهتز القلم بين أناملي، ويعتصر القلب، وتذرف العين، وأنا أخط مقالة أنعي فيها علاّمة الدنيا، وأعجوبة الزمان، وجبل الحفظ، ومعدن التواضع.

يهتز القلم بل يرتجف، وأنا أكتب عن شيخنا الراحل ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي كان بعد الشيخين: ابن باز وابن عثيمين عزاءنا وبلسم قلوبنا، فنبكي على الشيخين حتى تخضل لحانا، ثم نتذكر ابن جبرين فيهون مصابنا؛ لأننا كنا على يقين بأن الشيخ الفقيه لديه من العلم والبصيرة وحسن الرأي ما لا يقل عما لدى الفقيدين ابن باز وابن عثيمين.

أما اليوم فقد انفرط عقد الثلاثة الكبار، وغاب العمالقة الأقمار، فإلى الله المشتكى، وعليه التكلان، وهو المولى والمستعان "[١].

ويقول الدكتور عبدالعزيز العويد[٢]: ابن جبرين باختصار شديد: أعجوبة العصر، فكم هم العلماء، ولكنِ الراسخون الباذلون قليل، وأحسب أن ابن جبرين شامتهم.

---

(١) مقالة للشيخ رياض المسيميري بعنوان علامة الدنيا يودع الدنيا
http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=14422&Itemid=25

(٢) http://www.saaid.net/Minute/288.htm



هـذه بعض النصوص التي كتبت عنه رَحِمَهُ الله، وسيرد في فصول السيرة ومباحثها الكثير غيرها، مما يترجم محبة الشيخ التي زرعت في قلوب كثير من الناس عبر العالم الإسلامي، وهذه السيرة تحكي كل ما استطعت جمعه من حياة الوالد رَحِمَهُ الله، سواء الأحداث والوقائع، أو المواقف والمناهج، أو الرؤى والتوجهات.

وبحكم قربي منه رَحِمَهُ الله، وكوني قد توليت إدارة مكتبه وخدمته لأكثر من عشر سنوات، فقد كان لديَّ كم من المعلومات في ذاكرتي وفي الأرشيف الموجود في المكتب، أسعفتني كثيرا في تدوين هذه السيرة.

ومع ذلك فلم أقتصر عليها، بل تتبعت كل ما رواه الشيخ الوالد رَحِمَهُ الله من سيرته مكتوبا كان أو مرئيا أو صوتيا، وهو أيضًا كثير إذا قيس بغيره من العلماء، الذين ترجموا لأنفسهم، فقد تصل إذا استبعدنا التكرار لأكثر من مائة صفحة، وهي متنوعة مليئة بالأحداث والمشاهدات الخاصة، كان يتكلم فيها الوالد على سجيته رَحِمَهُ الله، ويذكر تفاصيل دقيقة لا تعرف إلا من جهته.

كما تتبعت ما كتبه أو قاله تلاميذه ومحبوه كما ذكرت قريبا، فبعد وفاته بثت كثير من القنوات الفضائية وبعض الإذاعات برامج تتحدث عنه رَحِمَهُ الله، ونشرت الكثير من المقالات والخواطر وكانت مليئة بمعلومات مهمة تساعد في استيفاء سيرته، كان من فرسانها العم سعد وابن العم الشيخ سعد الجبرين، وجارنا الأستاذ عمرو الضبعان، والشيخ أحمد المهنا، والدكتور محمد العريفي، والدكتور عبدالوهاب الطريرى، والدكتور فهد السنيدي، والشيخ عصام العويد، والشيخ محمد حسان، وغيرهم كثير..

ولقد كونا بعد وفاة الوالد رَحِمَهُ الله مباشرة فريقًا قام برصد كل ما استطعنا الحصول عليه من هذه البرامج والكتابات، وأنشئ لها موقع خاص على الإنترنت، كفرع لموقع الوالد رَحِمَهُ الله.

ثم كونا لجنة للعمل في الترجمة، شارك فيها بعض تلاميذ الوالد رَحِمَهُ اللهُ، كان منهم الشيخ محمد العوشن، والشيخ عبدالله الفايز، والشيخ علي أبو لوز، والشيخ عبدالرحمن ابن العم ناصر، وكنت معهم أنا وأخي سليمان، ولكن لم يكتب لهذه اللجنة الاستمرار لانشغال أعضائها، مع أنها قامت بجهد في جمع كثير من المعلومات والصياغة لبعض الموضوعات، ولهذا استخرت الله أن أستقل بالعمل للعوامل التي ذكرتها من قبل، فأعدت تصنيف الموضوعات وتبويبها، وأعدت صياغة بعض ما تمت صياغته من قبل، وصغت ما لم تتم صياغته وهو الأكثر، حتى أنهيت العمل بحمد الله، وأسأل الله التسديد والإخلاص والقبول.

ولعلي أسجل ما علق في ذاكرتي من خواطر، وأنا أكتب هذه السيرة..

كنت أتصور إحاطتي بكل أمور الوالد رَحِمَهُ اللهُ وحياته، ولكني تعرفت خلال كتابتي لسيرته واطلاعي على ما كتبه غيري على جوانب مهمة لم أكن أعرفها.

بعض مواقفه رَحِمَهُ اللهُ لم نكن نلقي لها بالا، وقد اكتشفت أنها مهمة ومؤثرة في نفوس بعض الطلاب ونحوهم، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ يحرص على أن نعد قهوة وشايا ونعناعا للطلاب في المسجد في درسي الجمعة والأحد، وكان يحضرها مئات الطلاب، فرأيت في كتابات بعض من كتب عنها أن لها أثرا فعالا في تنشيط الطلاب، ونحن لم نكن نشعر بذلك.

كان الشيخ محمد المنجد حريصا على تسجيل حلقات تلفزيونية مع الوالد كلما ذهبنا للمنطقة الشرقية، ويطلب منه الحديث عن سيرته، ونحن لم نكن نهتم لذلك كثيرا، ففاتنا كثير من القضايا كنا نود لو وثقناها من



الوالـد رحمه الله، ولهذا خرج الشيخ محمد على النـاسـ بعد وفاة الوالد رحمه الله بمعلومات قيمة عن حياته وسيرته.

لقد كانت دموع العين تسابق أصابعي إلى لوحة المفاتيح في جهاز المحمول الـذي كتبت فيه هذه السيرة، بل كنت أجهش بالبكاء إذا مر بي بعض المواقف التـي تجعلنـي أشعر بأني فقدت شيئا مهمًّا، بـل فرطت خلال سني عمري في كنز كان في بيتي.

لقد حاولـت أن أكتب هذه السيرة بتجرد تام مـن عواطفي ومن آرائي، ولكـن -أخي القـارئ- أصدقك القـول: أني تحكمت في الثانيـة، ولم أستطع السيطرة على الأولى في بعض الأحيان، لأن العاطفة تضفي روحًا وجمالاً على بعضـ القضايا، وربما أنك تحاول أن تتجنبها، ولكنـك ترى بعد الانتهاء أنها تسللت إلى ما كتبته، لأنها قوة خفية يصعب التخلص منها.

نوعـت في هـذه الـسيرة بـين الكتابـة السرديـة، والتدويـن التاريخي، والأسلـوب القصصي، بحسب ما يقتضيه المقـام، وإن كان الأخير هو الطابع العام لمعظم فصول هذه السيرة.

لم أعـتن بالهوامش مـن حيث التدقيق في تخريـج الأحاديث، فقد كنت أشـير لأبرز من روى الحديث، معتمدًا على صحيحي البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود، لعناية الوالد رحمه الله بهذه الكتب.

لقـد حرصت في هذه السيرة على الترحم على الوالد رحمه الله كلما ذكر، ولعـل هذا من أقل ما يجب، ولو رأى بعض القراء أن فيه إطالة وتكرارا، ولكن ليتحمل القارئ هذه مني، فإني أرى أنها من حقوقه رحمه الله عليَّ.

مـن عجائـب الموافقات في وفـاة سماحة الشيخ الوالـد رحمه الله، أن وفاته كانت موافقة لتاريخ وفاة الوالدة رحمها الله في اليوم نفسه من الأسبوع ومن الشهر وفي المكان أيضا، حيث توفيت في مستشفى الملك فيصل التخصصي.

ومـن اللطائـف أيضًا أنه توفي في الأسبوع الأخير مـن الدروس العلمية، التـي كان يعقدهـا في أول الصيف، وكان مقررا أن يكـون أبرز فرسانها، وقد قـام بها بعض تلاميذه، جزاهم الله خيرا، وقـد صُلِّي عليه في الجامع الكبير الـذي كان يؤمـه بالنيابة عن الشيخ عبدالعزيز بن بـاز في حال غيابه رحمهما الله، وكان يقيم فيه حلقات علمية[1].

ومـن اللطائـف البديعة: أنه خرج من البيـت للمستشفى الذي لم يرجع منه في صباح يوم حافل بالعلم والنفع، حيث ألقى درسه بعد صلاة الفجر إلى الشـروق، ثم رجـع للمكتب فقرأ على قوارير مـاء، كان يجلبها الناس للمكتب ليقـرأ لهم فيهـا، ونقلها رحمه الله من جنوب الشرفـة إلى شمالها، وكان حمله لإحدى القوارير الكبيرة، هو الذي أثار الأزمة القلبية عنده رحمه الله[2].

قـد يتساءل البعض عن عنوان هـذه السيرة، وأن فيه شيئًا من التزكية، ولقـد تـرددت بين عدد من الأسمـاء، حيث أردت أن يجمـع الاسم بين الجدة والجذب والصدق، فرأيت بعض من تحدث عن الوالد رحمه الله أشار لمعنى هذا الاسـم، كما ذكرت عن الدكتـور العودة والمسيميرى والعويـد، ولكنـي رجحت عبارة الدكتور عبدالعزيز العويد لسلاستها، ثم رأيت هذا التعبير في نصوص عدد من المصنفين في التراجم، فأنست لذلك واعتمدته.

(١) خالد بن علي بن محمد الحيان مقال في جريدة الجزيرة
http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm

(٢) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين للشيخ محمد زياد بن عمر التكلة
http://alukah.net/articles/1 /7038.aspx



فهذا مصطفى السيوطي في مطالب أولي النهى [1] يقول عن الإمام المرداوي: "الإمام الفقيه الأصولي المحدث الفرضي، القاضي علاء الدين بن سليمان السعدي المرداوي ثم الصالحي، أعجوبة الدهر، والفريد في ذلك العصر".

ونقل الشوكاني في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع[2]: "قال ابن حجر: إن العراقي والبلقيني وصاحب الترجمة كانوا أعجوبة ذلك العصر".

وقال السخاوي في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة [3]: "قرأت بخط الحافظ صلاح الدين العلائي: شيخ الإسلام، حجة الأعلام، قدوة الأنام، برهان المتعلمين، قامع المبتدعين، سيف المناظرين، بحر العلوم، كنز المستفيدين، ترجمان القرآن، أعجوبة الزمان، فريد العصر: أبو العباس ابن تيمية".

وجاء في الوافي بالوفيات[4] في ذكر سيف الدين الآمدي: "قال قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في بعض تعاليقه: ما عسى أن يقال في أعجوبة الدهر وإمام العصر".

وقال الزبيدي في تاج العروس[5]: "شيخنا أعجوبة العصر والأوان عبدالرحمن بن الشريف العلامة مصطفى العيدروس".

[6]لقد رحل الشيخ الوالد رحمه الله مخلفا تركة علمية ودعوية واحتسابية، كان يقوم بها وحده، تعليمًا للطلاب، ودعوةً للمسلمين، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، فضلًا عن بذل الجاه والجهد والمال في نفع المحتاجين، ولقد

(١) مطالب أولي النهى - (ج ١ / ص ١٩).
(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - (ج ١ / ص ٤٨٧).
(٣) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (ج ١ / ص ٥٢).
(٤) الوافي بالوفيات - (ج ٦ / ص ٤٦٦).
(٥) تاج العروس من جواهر القاموس - (ج ١٦ / ص ٢٤٠).
(٦) من هنا مقتطف من خواطر كتبها الدكتور عبدالعزيز العجلان صهر الوالد رحمه الله.

أتعب رحمه الله من بعده، ونال بسبب هذا البذل الإمامة في الدين ومحبة المسلمين، وهو لم ينل تلك المنزلة إلا بعد صبر طويل وجهد جهيد، وهذا درس للشباب الذين مازالوا في بداية الطلب، ليشحذوا الهمم، ويستنهضوا العزائم، فإن الأمة تحتاج إلى رجال يبذلون أنفسهم لله، لنشر دينه في أرجاء الدنيا، فبقدر ما تعطي من وقتك وجهدك في التعلم والعمل، تعطى من البركة والقبول والخير والرفعة في الدنيا والآخرة.

والعالم لا يعرف قدره في الغالب، و لا تستشعر منزلته إلا بعد فقده، وقد رأينا ذلك في وفاة الشيخ الوالد رحمه الله، فكثرة المصلين والمعزين من مختلف الطبقات يوضح جليًّا قدر العلماء عند العامة والخاصة، بل إن بعض من كان يخالفه رحمه الله جاءوا للتعزية والمواساة، ولقد أبدى كثير من طلاب العلم ندمهم وأسفهم، حيث لم ينهلوا من علم الشيخ رحمه الله في حياته، وهذا يدفعنا للاستفادة ممن بقي من علمائنا، فنأخذ عنهم، ونلازمهم قبل رحيلهم.

لقد مات الشيخ الوالد رحمه الله وانتقل بروحه وجسده عن هذا العالم، ولكن علمه حي لم يمت، فيجب أن نستفيد من علمه الموجود في كتبه وأشرطته، وأبشرك أيها القارئ أننا ساعون في خدمة علم الشيخ، حتى يتم إخراجه ونشره والاستفادة منه، وندعوا طلاب العلم ومحبيه للمساهمة والتعاون في إحياء علم الشيخ وإرثه والاستفادة منه، فهذا أقل واجب نقدمه له رحمه الله.

لقد مات الشيخ الوالد رحمه الله وعلى الأمة إذا مات أحد علمائها أن تحسن الظن بربها، فإن فضل الله لا ينقطع، وأمة محمد ﷺ كالغيث، لايدرى أوله خير أم آخره، وسيخرج منها بإذن الله من ينشر الدين وينفع المسلمين، وإن في المشايخ الموجودين في العالم اليوم الخير الكثير بحمد الله تعالى.

وأخـيرًا، فهذه السيرة جهد بشري، فمـا كان فيها من كمال ووفاء فهو من فضـل الله وحده، ومـا كان فيها من خطأ وخطل فأستغفـر الله منه، وإني لأرجو مـن القـارئ الكـريم أن يحسن الظن فيمـا وجده مـن ملحوظات، سـواء تتعلق بالأشخاص أو المواقـف أو الآراء، وليكن على يقـين أني بذلت جهدي في أن تكون هذه السيرة صادقة في رسم صورة مطابقة، لما كان عليه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا أزعم أني أصبـت في كل موضـع، ومن وجد شيئا يرى أن لـو كان غيره أولى منه، أو يود لـو أضيف إلى ماهو موجـود، فليتفضل عليَّ به لألحقـه في الطبعة القادمة لهذه السـيرة إن شـاء الله تعـالى، شاكرًا لكل مـن ساعدني بجهـد أو رأي أو دعاء أو حضـن أو تشجيـع أو غيرها، وبخاصة أخواي الكريمان محمـد وسليمان وأخواتي المبـاركات وأعمامـي وأبنائي وبناتي وكثير من الأقـارب و طلاب الوالد ومحبيه، وبعد أن أنهيت فصول هذه السيرة العطرة رأيت أن أعرضها على الأريب الأديب الدكتـور عبدالمحسن بن عبد العزيز العسكر وهـو من تلاميذ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ومن أخصائـه فزانها بتصحيحاته وفوائده، فله مني خالص الشكر وعظيم الامتنان، والوفاء من معدنه لا ينكر.

أسـأل الله لي وللجميع التوفيق والسداد، وللوالد الرحمة والغفران وفسيح الجنان ووالدتي وجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه

عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الرياض ٧/٤/١٤٣٣هـ





تقديم

لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد

إمام المسجد الحرام وخطيبه والمستشار في الديوان الملكي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإنه حين يتحدث المتحدث عن عالم كبير من علماء المسلمين وإمام من أئمتهم، فإنه يجد صعوبة بالغة في إيصال ما يختلج في النفس تجاه هذا العالم، ويجد أن العبارات أقل بكثير مما يعزم على كتابته.

وإن من العلماء الراسخين الذين رزئت الأمة بفقدهم فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين رحمه الله، الذي وافاه الأجل ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٠/٧/١٤٣٠هـ، وشيعته جموع المسلمين ببالغ الحزن والأسى في منظر مهيب.

لو يوزن العلم لم تُحْمَل جنازته ... في علمه جبل..هل يُحمل الجبل؟

حين يذكر الشيخ ابن جبرين، فيذكر قول النبي ﷺ الذي رواه أحمد وغيره «العلماء ورثة الأنبياء»[1]، حيث يذكر تذكر الخشية وغزارة العلم، ويذكر التواضع والحلم، يذكر رجل شغل همُّ الدعوة إلى الله ونصرةُ الأمة قلبَه.

---

(١) مسند الإمام أحمد الحديث رقم ٢١٧١٥.



صفحـات حياته مليئة بأجمل الصور في العلم والتعليم والدعوة إلى الله والصبر، فمنذ بدايات نشأته في بلدة (الرين) عام ١٣٥٩هـ وهو يطلب العلم، فقد حفظ القرآن الكريم، ودرس على يد والده الشيخ عبدالرحمن ابن جبرين رحمه الله، والشيـخ عبدالعزيـز بن محمد الشـثري المعروف بأبـي حبيب، وكان مـن مشايخه الشيخ محمـد بن إبراهيم، والشيخ عبـدالله بن حميد، والشيخ عبدالعزيـز بن باز، وغيرهم رحمهم الله وكان يقرأ في كتب الحديث وشروحها، وفي كتب التوحيد والتفسير والفقه وغيرها، ومنذ نشأته إلى وفاته رحمه الله وهو بين متعلِّم ومعلِّم، في حياة لا تكون لغير العلماء.

تجـد العجب وأنـت تسمع بدروسـه اليومية في المساجـد، وكيف يقضي جل الوقـت في شرح المتون العمليـة والمختصرات، وقـراءة الكتب والمطولات، وإلقـاء الدروس والمحاضرات في سائر العلوم من فقه وحديث وتفسير وسيرة وغيرهـا، فلا يكاد يخلو يوم إلا وللشيخ فيـه درس أو محاضرة، ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة في هذه البلاد، إلا وللشيخ فيها بصمة وأثر، وإنه ليسافر الأيام الطـوال لإلقـاء المحاضـرات في الدعـوة إلى الله والدروس العلمية، حتى في القـرى النائية التي يشق الوصول إليها، ونحسب أن ذلك لا يكون إلا لمن بارك الله له في وقته وجهده.

وكان قـدوة في التواضع والرفق بالناس، فـلا يعنِّف، ولا يقسو، كما كان مثالًا في اللطف والبشاشة عند اللقاء، وكأنه ممن عناهم القائل:

تراه إذا ما جئته متهللًا — كأنك تعطيه الذي أنت سائله

تميز بملكته الفقهية، وحسن استنباطه، وقوة استحضاره للمسائل، فهو يـولي دروسـه عناية خاصة، لـذا كان لها أعظم القـدر في نفوس طلابه، كما



تميـز بأفقه الواسع، وحرصـه على نصرة الإسلام وقضايـا المسلمين بكل ما يستطيع، وقد عـرف الجميع مكانته وعظم شأنه، فهو إمام من الأئمة، ورجل في أمة.

كان ممن درس على والدي رحمه الله وقرأ عليه، وقد كتب عن حياة الوالد وعلمـه صفحـات، أبرز فيها الحب والوفـاء لمشايخه، الذيـن تلقى العلم على أيديهم، وما أجمل الوفاء حيث يكون من العلماء.

كان رحمه الله نموذجًـا للعـالم الربـاني، الـذي جمـع بين غـزارة العلم، ودماثـة الخلق، وحسن المنطق، وطيب المعشر، وإن من رافقه أو لازمه أو درس عنـده، ليتحدث بالعجب عن سيرة معطـرة بأريج الحياة الطيبة: علمًا ودعوةً ومجاهدة وصبرًا.

وحـين تبحث عن صفات رجل الأمة، فإنك تجدها في الشيخ ابن جبرين رحمه الله، فقـد توافرت فيه صفات الرجل الذي نـذر نفسه لخدمة دينه وأمته، فهـو عالم جهبذ، مـلأ بدروسه وتعليمه أنحاء البلاد، وهو ذو رأي حيث يطلب الـرأي، مسـدد فيما يقول، لـه تقديره عنـد ولاة الأمر وله مكانتـه، وقد كان في أثنـاء مرضه رحمه الله محـل اهتمام ومتابعة من خـادم الحرمين الشريفين الملـك عبـد الله بن عبد العزيز حفظه الله الـذي زاره في المستشفـى التخصصي بالرياض، وأمر بعلاجه داخل البـلاد وخارجها، وكان يجـد العناية الفائقة والزيارة المستمرة من الجميع: ولاة أمر، ومواطنين.

ومما يبين مكانته عند ولاة الأمر: أن الملك سعود رحمه الله بعثه مع مجموعة من العلمـاء للدعوة إلى الله في شمال المملكة، وتبصـير الناس بأمور دينهم، وقد ألف الشيخ رحمه الله في ذلك كتابا أسماه(رحلة الشمال).

وكان حريصا أشد الحرص على وحدة الأمة وتماسكها وترابطها مع قادتها، وكان يعلم رحمه الله أن كلمته مؤثرة وصوته مسموع، فيحث الناس على جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، والالتفاف على ولاة الأمور، ووجوب السمع والطاعة لهم.

ولقد كان يولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عناية عظيمة واهتمامًا كبيرًا، فيناصح بلطف، ولا ينكر بعنف، يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن، ولقد أدرك القريبون منه رحمه الله مدى حرصه على المناصحة والدفاع عن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ونصرتهم ودعمهم وإعانتهم، وذلك إيمانا منه بأهمية هذه الشعيرة العظيمة وأهميتها في تماسك الأمة ووحدتها واستقرارها.

كان رحمه الله صاحب عبادة وتقرب إلى الله سبحانه، فقد كان حريصا على أن يختم القرآن الكريم كل ثلاث ليال، وكان يحج البيت الحرام كل عام، مشاركا في مناشط دعوية ودروس علمية في الحج، وكان يعتمر في شهر رمضان، ويبقى في مكة حتى أيام عيد الفطر، وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وكانت دروسه العلمية في المسجد كل يوم بعد صلاة الفجر حتى تشرق الشمس، كما كان جوادا في ميدان الصدقات، فلا يكاد يخلو جيبه من مال يتصدق به، ولا يكاد يسأله سائل فيرده، ويكفل العديد من الأسر المحتاجة، ويتعاهدهم بما يسد حاجتهم، ويقوم بتوزيع صدقات الموسرين على المحتاجين، وكان له في صلة الرحم شأن عجيب، فبالرغم من مشاغله وكثرة أعماله وأعبائه إلا أنه كان حريصا على صلة رحمه، كما كان شديد الوفاء مع معارفه وأقاربه وأصدقائه، كبروا أم صغروا، ويتعاهد الجميع بالزيارة والسؤال.

عاش كفافا رحمه الله، وكان أثر الزهد واضحا على ملبسه وهيئته، وما كان من أهل الدنيا، ولا من أربابها وطلابها، وكان غاية في الورع والزهد.

لم يعرف الكبر، وما غيرت مكانته، وحب الناس له من تواضعه وتودده، كان يبادر من يراه فيقابله بحفاوة وطيب نفس، ولا يرضى بتقبيل رأس أو يد تواضعًا، بل كان يأبى ذلك ولا يقبل به، وكان رحمه الله معروفًا بنكران الذات والتجرد من حظوظ النفس وأهوائها.

ولم يكن الشيخ رحمه الله بمنأى عن توظيف التقنيات الحديثة في التعليم والدعوة إلى الله، فقد افتتح موقعه الإلكتروني واعتنى به، وشارك في القنوات الفضائية في برامج الإفتاء وغيرها، إيمانًا منه بأهمية تلك الوسائل في الوصول إلى أكبر شريحة من الناس، وإدراكًا منه للآثار المباركة والأصداء الواسعة المترتبة على توظيف هذه التقنيات بما يخدم الإسلام.

كان مجاهدًا بكلمه، وقلمه، داعيًا لنصرة الإسلام والمسلمين، والدعاء للمنكوبين والمستضعفين،كان عطوفًا على الفقراء، رحيمًا بالضعفاء، كريمًا جوادًا سخيًّا، له مائدة إفطار سنوية في بيته وفي الحرم المكي إذا ذهب لمكة، وتستمر مائدة الإفطار حتى لو كان مسافرًا، وكان لا يرد أحدًا، ويغمر بعطائه كل أحد، ويفتح بيته، ويقضي حوائج الناس في همة لا تتوافر في غير العلماء الراسخين المحتسبين.

كان رحمه الله يسعدني بزيارته لي في الحرم المكي في مكتبي في باب العمرة، وأشرف بزيارته إذا كنت في الرياض، فأجد فيه غاية التواضع واللطف، والحفاوة وحسن الاستقبال، مع ما يجري من مباحث علمية وسؤالات شرعية، يكون فضيلته رحمه الله هو محورها، والمرجع فيها.



عزاؤنا بعد فقده أن ما خلف من تراث ومآثر لن يغيب بإذن الله، بل سيبقى بعلمه، وستبقى سيرة فضله، وإن كان مسجىً في قبره.

تغيب في القبر أجساد لها سير   في الناس حاضرة يحكى بها المثل

رحم الله الشيخ ابن جبرين، الذي أفنى جل عمره في العلم، وسعى لنشره وتبليغه، وكان جبلا في همّه، وبحرًا في علمه، رحم الله من شحذ الهمم للدعوة إلى الله سبحانه، والصبر على تبليغ دينه والأذى فيه، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، اللهم ألحقه بالصالحين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، واجمعنا وإياه في جنات النعيم على سرر متقابلين ووالدينا وجميع المسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. صالح بن عبدالله بن حميد





إضاءات

لقد رسم الشيخ رحمه الله في أذهان محبيه صورًا بديعة للعطاء والإخلاص والسماحة والزهد، وغيرها من الصفات الحميدة والأخلاق العالية، فأحببنا أن نسطر هنا بعضًا من تلك الصور، من خلال ما عبر به بعض محبي الشيخ من قادة البلاد ووجهائها، فكانت هذه المشاعر غيضًا من فيضِ قلوبِهِم المُحبَّة له.

• عرفت الشيخ عبدالله ابن جبرين رحمه الله منذ مدة طوية، وعرفت عنه وخلال زياراته المتكررة لي، سواء في مكتبي أو في منزلي - سلامة صدره، وسعة علمه الشرعي، ومحبته للآخرين، وسعيه الدائم لإيصال الخير والنفع لقاصده، وبذل جاهه وعلمه لعموم الناس، فرحمه الله ووالدينا والمسلمين رحمة واسعة.

سلمان بن عبدالعزيز

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع

• الشيخ عبدالله بن جبرين معروف في كل الميادين بالخير والصلاح، والحرص التام على نفع الناس، نسأل الله له المغفرة والتجاوز، عرفته منذ زمن طويل، وعرفت منه التواضع الجمّ، والخلق الفاضل، وبذل العلم والتقوى والصلاح، والحرص على منفعة الأمة وجمع كلمتها، والسعي فيما فيه الخير والصلاح.

عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

مفتي عام المملكة



• الأخ الشيخ العالم الفاضل عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين، عرفته منذ قدمت إلى الرياض عام ١٣٧٨هـ للدراسة، وكان إلى جانب عمله في التدريس والإفتاء يدرس الطلاب في المساجد، ويشتغل بالدعوة إلى الله، يتجول في بلدان المملكة لإلقاء المحاضرات وإقامة الدورات العلمية وزيارة المدارس للإرشاد والتوجيه، وقد ملأ الأشرطة بالمحاضرات والدروس واللقاءات العلمية، ومازال على عمله الخيري النافع الذي تخرج عليه الأفواج من طلبة العلم،كان ملازما لمنهج السلف الصالح في العلم والعمل والاقتداء، إلى أن وافاه الأجل، وفقده المسلمون وبكوا عليه، ولكن بقيت آثاره يجري عليه أجرها إن شاء الله، كما قال النبي ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[1]، وإننا لنرجوا له حصول هذه الثلاث، وأن يجزيه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أ.د/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

• عرفت الشيخ منذ خمسين سنة تقريبا، وكان يجري بيننا لقاءات علمية ودعوية في بيت شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وفي مكتبة ابن تيمية الخيرية، وقد شاركته في بعض الرحلات التي كان يخرج فيها للدعوة إلى الله، ولا بد أن أنوه في هذا المقام إلى أبرز خصلة عرفته بها منذ التقيت به، ألا وهي التواضع الجم وحسن الخلق، فضلًا عما عرف به من العلم والفقه وبذله نفسه ووقته في التعليم وفي قضاء حوائج الناس، وفي

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته من كتاب الوصية (رقم ١٦٣١).

الحسبة أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، واتصالًا بولاة الأمر، أسأل الله أن يرفع درجاته في عليين، وأن يصلح عقبه، وأن يجعلهم وطلابه امتدادًا لعمله في هذه الحياة.

عبدالرحمن بن ناصر البراك

• علاقتي بفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين قديمة، وبخاصة حينما كنت مديرًا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو أستاذ فيها، عرفت فيه التفرغ للعلم الشرعي، والحرص على تزويد الطلاب بما ينفع، متواضعًا في تعامله، بعيدًا عن مظاهر الدنيا، محبًّا للخير وأهله، رحمه الله، وأجزل مثوبته، وجمعنا به في دار كرامته.

أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

• لقد نشأت علاقتي بفضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حينما تزاملنا بالتدريس في معهد إمام الدعوة ولمدة ست سنوات، وقد كان فضيلته دمث الأخلاق، طيب المعشر، حريصًا على تقوية علاقته بزملائه وطلابه، وقد قويت علاقتي به أكثر حينما عُهد إليَّ بالإشراف على رسالته للدكتوراه، فكان مثالًا فريدًا لطالب العلم الجاد الصبور المتواضع المنكر لذاته، وأما جهوده في مجال التعليم والدعوة ونفع الآخرين فأشهر من أن يُتحدث عنها، أسأل الله له المغفرة والرضوان، وأن يعوض الأمة في فقده خيرًا.

أ.د /عبدالله بن علي الركبان



- إن فضيلة شيخنا الجليل الوالد عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين من خيرة علماء العصر بلا تنازع، عرفناه بصدق النصح وكثرة التواضع، حريصا على بذل العلم الشرعي وتعليم المسلمين، متفرغًا للدعوة منافحًا عن الدين، عليه آثار التعبد، وفي وجهه علامة التهجد، جاد في حياته، متثبت من علمه وأقواله، دؤوب في طلبه وتحصيله، ثلم الإسلام بوفاته، غفر الله له وعوض المسلمين خيرًا.

د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود

- لقد كان لفضيلة الشيخ د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله جهود تذكر فتشكر في إحياء رسالة المسجد، من خلال الدروس العلمية والدورات الشرعية، التي يقيمها على مدار العام في جامعنا بحي شبرا بالرياض، والتي استمرت بعد وفاته، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي

- عرفنا فضيلة الشيخ عبدالله رحمه الله عن قرب، وكانت تربطنا به علاقة مودة ومحبة، وكان يتخولنا في زياراته، ولا يبخل بتقديم نصائحه وتوجيهاته في مجلسنا، وقد توثقت العلاقة به رحمه الله أكثر بعد تكليفنا لسماحته بتحقيق كتاب شرح الزركشي على مختصر الخرقي (سبعة أجزاء)، وقد أنجزه بمدة قياسية، وكان رحمه الله مثالاً للعالم الزاهد المتواضع المتدفق غزير العلم رحمه الله رحمة واسعة.

محمد بن عبدالعزيز الجميح



• حاولت أن أكتب حرفًا عن شيخنا العلامة/ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رَحِمَهُ اللهُ فاحترت كيف أعبِّر عنه بعدة أسطر فقط، فتذكرت قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]. وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

- فتساءلت: أي إمامة في الخير كان هذا العلم:
- أإمامة العلم والدعوة؟
- أم إمامة الأخلاق والتواضع والورع؟
- أم إمامة العفو والصفح والتسامح؟
- أم إمامة الصبر والجلد والمثابرة؟

فوجدته (ولا أزكيه على الله) قد كان فيها كلها إمامًا، وهكذا عرفته وحسبته قرابة ثلاثين عامًا، رحمنا الله وإياه، وجمعنا في جنات النعيم مع الأئمة والمتقين، وخلف على ذريته ومحبيه والمسلمين خيرًا.

ناصر بن سليمان العمر

• إذا ذكر الشيخ عبدالله بن جبرين فقد ذكر الإخلاص والصدق لله والتجرد من حظوظ النفس، وذكر الدأب والصبر والمضي في العلم والتعليم والتواصل مع الناس، وذكر الحلم والهدوء والسكينة والتواضع، وذكر الفقه والاطلاع والمعرفة المتجددة، شيخنا كان نسيج وحده إيمانًا وعلمًا وأخلاقًا نحسبه والله حسيبه، رَحِمَهُ اللهُ وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

د. سلمان بن فهد العودة





- شيخنـا العلامة الشيـخ: عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين رَحِمَهُ اللَّهُ ممن شرفني الله تعالى بالتتلمذ عليه ومجالسته والاستفادة منه من نحو أربعين سنـة، رأيت فيه صفات العلامـة الرباني سماحة وتواضعًـا وسلامة صدر وسعـة علـم وبذلًا لـه تدريسًا وإفتـاء ومساعدة للمحتاجـين، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته، إنه سميع مجيب.

عبدالعزيز بن إبراهيم القاسم





القسم الأول

البيئة الخصبة

- الأسرة العالمة
- الوليد المبارك
- من قصص الطفولة
- بيت العطاء



البيئة الخصبة

في قلب الجزيرة العربية وفي قرية صغيرة من قرى منطقة العرض[1]، تنفس الصبح بميلاد طفل جميل، فرح به أهله، واحتفى به أقاربه، لم يكن أحد يقرأ المستقبل، ولا يعلم الغيب، كان الفرح به كالفرح بغيره من الأطفال، تصور أقاربه أن يشب كغيره على الحرث والزرع ورعي الغنم وسقي الغروس، لكن الله شاء لهذا الطفل أن يكون علما، بل جبلا من جبال العلم.

لعل دعاء الوالدين، وهمة الوالد العالم كانت بعد عون الله سببا لأن ينشأ هذا الطفل نشأة صالحة، فتمضي الأيام والليالي وتمر الشهور والسنون، حتى صار هذا الطفل بتوفيق الله إمامًا من الأئمة، حمل هم الأمة، فاشرأبت له الأعناق، وطبّقت سمعته الآفاق، وكان بركة على أسرتِه ومجتمعه، بل على الأمةِ الإسلاميةِ عامّة.

هذا هو: سماحة الشيخ الوالد الإمام العلامة القدوة عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

الذي سنحاول في هذا القسم أن نكشف عن بعض معالم حياته الشّخصيةِ وبيئته الخصبة التي نشأ فيها.

الأسرة العالمة

نشأ الشيخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أسرة علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده كانوا من حملة العلم ومراجعه في محيطه الذي عاش فيه، وقد سرد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) هذا هو الاسم القديم لمحافظة القويعية قبل التقسيم الجديد لمناطق المملكة.



في أكثر من لقاء مسجل تسلسل نسبه[1] فقال: "عبدُالله بنُ عبدالرحمن بنِ عبدالله بنِ إبراهيم بن فهد بنِ حمد بن جبرين بن محمد بن عبدالله بن رشيد.

و(آل رشيد) فخذٌ من عطية بن زيد، وبنو زيد قبيلة قضاعية مشهورة بنجد، كان أصلُ موطنهم مدينةَ شقراء، ثم نزح الكثير منهم إلى كثير من القرى، ومنها بلدةُ القويعية في قلب نجد، حيث استقر كثير منهم، وتملكوا هناك.

وذكر بعض النسابين أن (جبرين) في الأصل كان جدًّا لقبائلَ أخرى من بني زيد، وهم (الرواجح) و(آل هويمل) و(آل فنتوخ)، وأن محمد بن عبدالله ابن رشيد تزوج بنتًا لجبرين ورزق منها بمولودٍ أسمته أمه: (جبرين) على اسم أبيها، ومنه انتقل الاسمُ إلى آل رشيد فصاروا يُدْعَوْنَ آل جبرين.

وآل جبرين أسرة علم وإمارة، ولهم شرف ومكانة، ومن أبرز وجهائها جبرين بن سليمان الذي تولى أبناؤه الإمارة[2].

و حمد بن جبرين (الجدُّ الرابع للشيخ) له ثلاثة أبناء: (فهد)، وهو الجدُّ الثالث للشيخ، و(ناصر)، وهو شقيق فهد، وأُمُّهما ابنة ناصر العَرِيفي الذي هو جد أسرة (العرافا)، والابن الثالث: (محمد).

---

(١) راجع صفحات من حياتي، وقصتي في طلب العلم، وغيرها من المواد المرئية والصوتية المسجلة للشيخ رحمه الله.

(٢) من أشهرهم: سليمان بن عبدالله بن جبرين، وكان من رجال الملك عبدالعزيز، تولى الإمارة في القويعية وبيشة ووادي الدواسر وجيزان، ثم أصبح وكيلًا للحرس الوطني، توفي سنة ١٣٨١هـ

- ابنه محمد بن سليمان الجبرين: تولى إمارة حوطة بني تميم ثم وادي الدواسر ثم المجمعة، توفي رحمه الله في سنة ١٤٠٨هـ
- ابنه حمد بن سليمان الجبرين: تولى إمارة عفيف ثم الدوادمي، ثم عين محافظا لحفر الباطن، توفي رحمه الله في سنة ١٤٢٦هـ.

وفي الأحياء من هذه الأسرة كثير من الشخصيات البارزة في المجتمع السعودي في مختلف المجالات.

أما الجدُّ الثالث للشيخ (فهد) فإن له ابنين: (إبراهيم بن فهد) وهو جد الشيخ، و(جبرين بن فهد).

وإبراهيم بن فهد وهو الجد الثاني للشيخ، له ابنان: (عبدالله) وهو جد الشيخ و(محمد).

وجد الشيخ الذي سُمي الشيخ عليه عبدالله بن إبراهيم، كان له أربعةُ أبناء، إبراهيم و عبدالعزيز وقد انقطع نسلهما، ومحمد و عبدالرحمن الذي هو والد الشيخ وما يزال لهما أولاد.

وكل أجداده رحمهم الله كانوا غالبا من طلبه العلم، ماعدا فهد بن حمد بن جبرين، وفيما يلي معلومات يسيرة عن طلبة العلم من أجداده رحمهم الله:

١- حمد بن جبرين بن محمد بن عبدالله بن رشيد:

هو الجد الرابع للشيخ، وكان ممن نزح من شقراء إلى القويعية، فلما استقر في القويعية نشأ فيها وتولى القضاء، وقد ورد في كتاب الدرر السنية[1]: أنه كان أميرًا لفيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود على القويعية[2]، وتولى أيضًا القضاء، فكان أميرًا وقاضيًا في المنطقة، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لابن قاسم ١٦/٤٠٢ المكتبة الشاملة الإلكترونية.

(٢) يشكل على هذا ما ذكره ابن عيسى من أن حمد بن جبرين من علماء النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، وفيصل بن تركي تولى الحكم في حقبته الأولى عام ١٢٥٠هـ، ولعل ما ذكره ابن عيسى أقرب، لأن إبراهيم بن فهد بن حمد اختاره أهل مزعل إماما وخطيبا لهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وتوفي في عام ١٢٨٧هـ تقريبا، وقد قال الشيخ الوالد رحمه الله في لقاءاته مع الشيخ محمد المنجد عن جده حمد: وجد له تواريخ في حدود ألف ومائتين (١٢٠٠هـ)، مما يدل على أنه أدرك الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

يقول الشيخ الوالد رحمه الله عنه[1]: "وكان ذا منزلة ومكانة في قومه، فهو خطيبهم وأميرهم وقاضيهم، مع ما رزقه الله من السعة في العلم والمال، وقد تملك الآبار عن طريق إحياء الموات، كما تدل على ذلك وثائق الملكية، التي تحمل اسمه وأسماء بنيه من بعده.

وتوجد عندنا له كتب كثيرة ليست من تأليفه ولكنها من ملكه، وكَتَبَ عددًا من المخطوطات منها تفاسير، ومنها كتب حديث، ومنها كتب فقه، وكان له كتّاب وعمّال وتلاميذ ينسخون الكتب الجديدة على نفقته، ولا يزال الكثير منها موجودًا موقوفًا عند بعض أحفاده وبعض الأعمام والأخوال، حيث كتب عليها أنها وقف، وأن النظر فيها للصالح من أولاده، مما يدل على اهتمامه بالعلم، وله جهود في نشر العلم، ولما دخل الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى المؤرخ المعروف رحمه الله إلى القويعية، عثر على بعض آثاره فترجم له، وقد اعتمد ابن بسام على ترجمة ابن عيسى؛ حيث نقل ترجمته في كتابه المطبوع (علماء نجد خلال ثمانية قرون) ورقم الترجمة (١١١)[2]".

---

(١) انظر ترجمة الوالد رحمه الله في موقعه الإلكتروني وبرنامج صفحات من حياتي.

(٢) قال عنه الشيخ عبدالله البسام رحمه الله في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون٧٢/٢: "الشيخ حمد بن جبرين بن محمد بن رشيد بن عطية، من بني زيد أهل شقراء، وهي قبيلة قضاعية قحطانية، علي ما هو مشتهرعند تلك القبيلة وعند الناس، لم أقف على تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، إلا أنه من علماء النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

ولد في القويعية ونشأ فيها وتعلم فيها، ثم سافر لأخذ العلم حتى أدرك، وصار هو المرجع في بلدة القويعية وماجاورها من بلدان العرض، فقد صار في البلدة هو عالمها ومفتيها.

قال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى: وقفت على جملة كتب وقف في القويعية، من كتب حمد بن جبرين أمير القويعية وعالمها، وهو الذي وقف الكتب المذكورة، وجملة منها بخط عبدالله بن محمد بن عيسى الحايك المطوع المعروف في القويعية، وله الآن بها عقب، وخطه في غاية الحسن".

٢- إبراهيم بن فهد بن حمد:

هـو الجد الثاني للشيخ، ولـد في القويعية، ولكنه رحل إلى الرياض وإلى غيرها، وطلب العلم هنـاك، وقرأ ونسخ وحفظ علمًا جمًّا، فتتلمذ على الشيخ عبدالرحمـن بن حسـن، والشيخ عبـدالله أبابطين، والشيخ حمـد بن معمر، وغيرهم.

وأورث بعـده مخطوطـات في العقائـد والنحو والحديـث وغيرها تحمل اسمه، منها مـا نسخه بخطه الحسن ومنها ما تملّكه، ومن المخطوطات التي نسخهـا بخط يده مختصـر كتاب اللالكائي الـذي هو(شرح أصـول اعتقاد أهـل السنـة والجماعة)، وهو موجود في مكتبة جـدي رحمه الله، واسمه: كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنة اختصره عبد الله بن حسين الأدكائي؛ وقد حققه عبدالله بن صالح المشيقح في رسالة ماجستير في جامعة الإمام عام ١٤٠٥هـ؛ بإشراف الشيخ عبد الله بن غديان رحمه الله.

ولمـا أُسست قرية مزعل[١] اختـاروه إمامًا وخطيبًا لهم، فانتقل عندهم هـو وأبوه فهد، وذلك في حدود سنة سبعين ومائتين وألف (١٢٧٠هـ)[٢] وتوفي كلاهما هنالك، وقام هناك أيضًا بالإفتاء والتدريس وتعليم القرآن والحديث، وتـوفي آخر القـرن الثالث عشر الهجـري قريبًا من(١٢٨٧هــ)، ولم تذكر له ترجمة في الكتب.[٣]

---

(١) يذكر محمد بن عبد العزيز العريفي رحمه الله، بأن بلدة مزعل قد شُيد قصرها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري؛ مستندًا إلى وثائق وحجج ملكيات أرخت بعام ١٢٥٧هـ(مخطوط لم يطبع عن بلدة مزعل) انظر: http://www.al-arifi.org/vb/showthread.php?t=768

(٢) انظر ابن جبرين عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

(٣) أورد هذه المعلومات الوالد رحمه الله في برنامج صفحات من حياتي وفي قصتي في طلب العلم، وفي ترجمته في موقعه الإلكتروني.



٣- عبدالله بن إبراهيم بن فهد:

وهو جد الوالد المباشر الذي سمي الوالد باسمه، وقد حفظ القرآن وقرأ على أبيه وعلى بعض علماء بلده، وأدرك الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن، وحضر مجالسهما، وذكر أن الشيخ عبدالرحمن ابن حسن كان في آخر عمره قد تجاوز الثمانين، وكان يخشى من النسيان، فكان يتعاطى ما يقوي ذاكرته، ومن ذلك أنه كان يمضغ اللبان الشجري؛ لأنهم ذكروا أنه يشحذ الأفهام ويقوّي الذاكرة.

وقد تولى إمامة مسجد جامع قرية مزعل بعد أبيه، ونسخ كتبًا بيده وأوقفها.

تزوج عبدالله بن إبراهيم من العرافا، وأغلب أولاده أخوالهم من العرافا، و توفي سنة (١٣٤٣هـ) قبل دخول الملك عبدالعزيز لمكة بقليل[١].

٤- والد الشيخ: عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم[٢]

وُلد عام (١٣٢١هـ)، ونشأ في قرية (مزعل)، حيث يقيم أبوه وإخوته.

تعلم القراءة والكتابة على يد أبيه، وعلى أخيه محمد الذي يكبره بسبع عشرة سنة، لأن والدهم كان قد طعن في السن، ولم يكن متفرغا لتعليم ولده الصغير الذي هو عبدالرحمن، فتعلم على يد أخيه محمد، ورزق خطًّا حسنًا، وقد كان أخوه محمد ذا خط جميل، وتوجد رسائل قصيرة بخطوطهما[٣]، ثم

(١) انظر المصادر السابقة، فالمصدر هو كلام الوالد نقلا عن جدي رحمهما الله.
(٢) تحدث الوالد عن والده رحمهما الله تعالى كثيرا، فانظر: برنامج صفحات من حياتي، وقصتي في طلب العلم، وترجمة الشيخ في موقعه، وبرنامج عالم أمة.
(٣) قصتي في طلب العلم.

طلب العلـم على قضاة البلد: كالشيخ عبدالله بن سليمـان السياري، والشيخ عبـدالله بن حمد الدوسـري، وحضـر في الرياض بعض دروس الشيخ سعد ابـن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبداللطيـف، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن إبراهيم، وغيرهم.

ولـما كمل عمـره عشرين سنـة، رأى أن الحاجة ملمـة ليلتمس شيئا من الرزق، فسافر مع أخيه محمد إلى قطر في عام ١٣٤١هـ لطلب العيش، وكانت في ذلـك الوقت مزهـرة، وبلاد نجـد أصابها جدب وقحـط، واشتغلا هناك بالتعليـم، إلا أن محمدًا رَجع سنة ١٣٤٣هـ، وبقي جدي عبدالرحمن إلى آخر سنة ١٣٤٤هـ.

وفي أثناء وجـوده في قطر، علّم الكثير من أبناء القبائل المقيمين هناك القرآن والقـراءة والكتابة، وبخاصة قبيلة: (آل أبو كوراة)، ولا يزال بعضهم يذكره هناك، وإن كان قد توفي كثير منهم.

ولم يكـن هناك إلا أجرة يسيرة، فكلما أنهى طالب قراءة القرآن يمشي على المنازل يطلب منهم مساعدة وتشجيعا، وكان قد كتب لهم قصيدة رجزية يقول في أولها:

الحمـد لله الذي هـدانا ... علمنـا القـرآن واجـتبـانا

وفيها:

فلوحـنا يلمـع كالهـلال ... كمطلع الشمس على الجبال

وفي آخرها يقول:

هذا الغلام قد قرأ وقد كتب　　وقد تعلم الرسائل والخطب

فضع على اللوح دراهم وذهب

فيعطيه بعضهم حفنة من الأرز أو من البر، أو كسرة من التمر، أو فلوسا يسيرة، مما يسمى البياز، وما جمعه جاء به إلى معلمه، فبعضهم يجمع كثيرا إذا كان مشهورا، وبعضهم لا يجمع إلا شيئا يسيرا.

وذكر الوالد أن جدي عنده معرفة بالإملاء والإنشاء، وكان ذا خط جميل، كما كان يقرض الشعر نبطيًا وعربيًا وإن كان مقلا، فالموجود من شعره يقارب الأربعين صفحة، كتب بعضه وهو في غربته.

وفي أثناء وجوده في قطر بلغه خبر وفاة والده سنة ١٣٤٢هـ، فنظم قصائد متعددة نبطية وعربية فصيحة يرثي بها والده، ويعدد مآثره، (ومنها) قصيدة نبطية مطلعها:

جاني خبر مسجده يبكي وبكاني　　يقول وين الذي يدعي وهو خايف

وقد حصل من قطر على كتب عديدة، منها كتابان كبيران مطبوعان في الهند.

أحدهما: سبل السلام، طبعة قديمة، طبعت على ما هي عليه، وتميزت عن الطبعات التي بعدها بعد الأحاديث، إذا جاء يبدأ بحديث يقال: الحديث الأول، الحديث الثاني، الحديث الثالث، والذين طبعوا السبل بعده حذفوا هذا العدد، ولأجل ذلك يأتي كلمات يستغربونها، إذا قال: وهو الحديث العشرون، وهوالحديث الثامن عشر، يستغرب الذين يقرؤون ذلك، وإذا رجعوا إلى أصل هذا الكتاب، النسخ الخطية، أو هذه النسخة المطبوعة القديمة عرفوا هذا الأمر.

الكتـــاب الثاني كبير، وهو التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ومع هذا الكتاب كتابان: أحدهما اسمه رفع الالتباس عن بعض الناس، يتكلـم على قول البخاري: وقال بعض الناس، لأنه يرمز إلى الحنفية، والثاني اسمــه: كلام أهـل العصــر في أحـكام ركعتي الفجــر، جاء بهذيـن الكتابين، وحصل أيضًا على بعض الكتب الصغيرة.

وفي آخــر سنــة ١٣٤٤هـ رجع مــن قطر، وتوجه إلى مكــة لأداء فريضة الحج، وانتظم جنديا فيما يعرف بالكتبية[1] واختاروه إماما لهم، وبقي هناك سنتين أي: سنة ١٣٤٥ و١٣٤٦هـ ثم رجع إلى بلاده.

وكان في أثناء وجوده في مكة حريصًا على أن تأتيه أخبار أسرته وأهله، مــع أن المكاتبة في ذلـك الوقت كانت عزيزة والوفود قليلـين، إلا أنه يفرح إذا جـاءه من يخـبره عنهم، ولما جاءته بعض الوفود ولم يـأت معهم خطاب من أهلــه، أنشــأ قصيدة عربية ـ لا تخلو من خلل لكونــه كان شابا ـ ذكر فيها أخاه محمدًا، وأثنى عليه يقول فيها:

أراني كـلـمـا قـدمـت ركــابٌ	أطـالـعُ هـل أتـى معهم خطابُ
وأنـظـر هـل أتــاني مـن محبّي	رسائلُ ضمنها حسنُ الخطابِ
محـمـدٌ المـحـبُّ فـدتـه نفسـي	ومـالي و الأحـبـة والـصـحـابُ
فـتـى شـهـمٌ أديـــبٌ لـوذعـيٌّ	خصيمٌ حينما حضر الخطابُ

قــال الشيــخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في ذلك الوقــت كان الوالد متفرغا، فكتب رسالة موجودة بخطه عندنا الآن، فيها مقالات متنوعة، وقد حاولت أن أرتبها

[1] هذا مصطلح عند العامة في ذلك الوقت للجنود الذين سجلوا في مكة بعد دخول الملك عبدالعزيز لها، حينما كان الملك فيصل أميرًا للحجاز.

على مواضيع بقي منها بعضها، وكذلك نظم قصائد منها ما هو عربي، ومنها ما هو عامي نبطي، وأول قصيدة له عربية بعد المقدمة يقول فيها:

بحمد إلهي والثنا سوف ابتدي ومن يبتدئ بالحمد والشكر يسعد

وفي مكة أيضًا تزود من العلم، حيث قرأ على كثيرٍ من مشايخ مكة، واشترى كثيرًا من الكتب، التي لاتزال مع الكثير من أوراقه وكتبه موجودة في مكتبته عند أخينا ناصر" أ.هـ.

ولما بلغ السابعة والعشرين تزوج، وكان ذلك في عام ١٣٤٧هـ وهي التي تسمى: سنة السبلة، وبعد أن تزوج علقت زوجته بحمل وكان ذلك عام ١٣٤٨هـ، ثم حج بها أخوها في هذا العام، ولكن قَدّر لهذا الحمل أن يسقط، ثم علقت بعد ذلك بحمل هو أول مولود لهما، وهو الوالد رحمه الله.

وفي سنة ١٣٥٠هـ قرر جدي الشيخ الانتقال من مزعل إلى الرين، فتوجه إليها راجلًا مع بعض الرفقة، وكانت المسافة مسيرة يومين.

وحينما وصل إلى الرين، اتصل بالشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رحمه الله، وذكر له أنه ليس عنده عمل، وأنه يرغب أن ينتقل هاهنا لتعليم الأولاد، فسر بذلك الشيخ أبو حبيب رحمه الله، وشجعه على الانتقال، ووعده خيرًا، وهيأ له منزلًا متواضعًا من البيوت الطينية.

ولما انتقل الجد إلى الرين، وجد منازل خالية عمرها بعض البادية ثم تركوها، فاختار أحدها، وكان إلى جانبه بئر عميقة من الآبار القديمة وقد جعلوه وقفًا، فاستقر في هذا البيت، ثم انتقل بأهله في سنة خمسين وثلاثمائة، وقد طلب الشيخ أبو حبيب من الحكومة أن يجروا له شيئًا، فوافقوا على خمسين

صاعًا من البر، ومائة وزنة من التمر، ورأى الشيخ أبو حبيب أنها قليلة فتبرع رَحِمَهُ اللَّهُ له بجزء مما يسمى بالبروة، وهي ما يصرف للقضاة ونحوهم، ويكون غالبا مما يجمع من الزكاة لقلة الموارد آنذاك، خمسين صاعًا من البر، ومائة وزنة من التمر، فكانت هذه تخفف النفقة.

ولما انتقل الجد إلى الرين تتلمذ على القاضي الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري المعروف بأبو حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقرأ عليه شيئًا كثيرًا، ولكنه لم يستطع الاستمرار لضعف بصره.

يقول الوالد عن والده رَحِمَهُمَا اللَّهُ[1]: والدي رَحِمَهُ اللَّهُ أصيب في شبابه برصاصة من السلاح، الذي يقال له المقمع، أذهبت عينه اليمنى، وجرحت شفته السفلى، وأذهبت أكثر الجانب الأيمن من أسنانه، وشلت يده اليمنى، لكنه عولج، إلا أن أصابع يده انضم بعضها إلى بعض، ولم يعد يكتب بها، فتعلم الكتابة باليد اليسرى، وعينه اليسرى دخل فيها ما يسمى بالرشم، لكنها سلمت فكان يقرأ بها، ثم بعد ذلك أخذ يضعف بصره، فلما رأى ذلك قال: أريد أن تبدأ تقرأ عليَّ، فكنت أقرأ عليه من سنة إحدى وستين، وكان عنده كتب أثرية مخطوطات ومطبوعات، ولما كان في سنة ثمان وستين ابتدأت أقرأ على الشيخ أبو حبيب، فترك الوالد القراءة على الشيخ لما يلاقيه من المشقة بسبب ضعف نظره، ولم يزل نظره ضعيفا، إلا أنه في سنة خمس وسبعين ذهب وعالج عند طبيب للعيون، ولما عالج اجتذب من عينه شيئا من الماء الأبيض، وعمل له نظارتين، نظارة للنظر البعيد ونظارة للقراءة، فرجع إليه بإذن الله بصره، واستطاع أن يواصل القراءة.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف ١٣٥٣هـ ابتدأ يعلم الأولاد القرآن والقراءة والكتابة، وتعلم على يده كثير من الأولاد، وكان منهم الشيخ ناصر بن عبدالعزيز أبو حبيب؛ فإنه تعلم القرآن وحفظه على يديه وتعلم الكتابة، ولذا كان يحبُّه ويقدره، ويحترم أبناءه أيضًا لأجله، واستمر يعلم القرآن، كما كلفه الشيخ بالإمامة والخطابة، فكان هو الذي يخطب ويصلي بهم كل الصلوات إلا التراويح، حيث كان يصلي بهم الشيخ أبو حبيب.

وفي ذلك الوقت لم يكن في البلدة سوى جامع واحد، أما المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس فكانت متعددة، وكان الناس يأتون لصلاة الجمعة وصلاة العيد من مسافات بعيدة تقارب الخمسة كيلو مترات.

يقول الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الخطيب إذا كان موجودا، وكان عنده خطب من خطب أجدادنا، فجد الوالد وأبوه وجد أبيه كانوا من حملة العلم وطلبته، فأثروا ثروة علمية، فكان الوالد ينتقي من خطبهم ومن كلماتهم خطبًا لها تأثير قوي، فمن يستمع إليها يستفيد منها فوائد كثيرة.

وكان إذا غاب يتولى الشيخ أبو حبيب الخطابة إلى سنة ثمان وستين وبعدها بدأ الشيخ يكلفني بالخطابة إذا غاب الوالد[1] أ.هـ.

وقد ذكرت أن جدي كان شاعرًا، وله قصائد نبطية وعربية، يقول العم محمد: تركنا الوالد في عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف في الرين وجلس وحده، فتحركت أشجانه، وقال قصيدةً دعا فيها لابنه الشيخ عبدالله وابراهيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ جميعًا ولبقية أبنائه، يقول في هذه القصيدة:

---

(١) تجربتي في طلب العلم.

إلى الله أشكو بعدكم وارتحالكم ... شكايةَ عبد يستغيث ويضرعُ
وأسأله توفيقَكم وصلاحَكم ... وإلهامكم علمًا يفيد وينفعُ
فإن فؤادي بعدكم ذو كآبة ... وعيني لفقداكم من الحزن تدمعُ
إذا جنَّ ليل واستنارت نجومُه ... أبيت أراعي نجمَه حين يطلعُ
وأذكر أولادي وأشكو بعادَهم ... وأدعو لهم ربًا يراني ويسمعُ
فيا رب عبدالله وفِّقْه للهدى ... وجنِّبْه محظوراتِ ما يُتوقعُ
وسدِّد به في كلِّ أمر يريده ... فلا يشتكي إلا إليك ويفزعُ
ويسِّر له رزقًا حلالًا مباركًا ... ينال به خيرًا وللبر يصنعُ
ومن كان منهم نائيًا عن بلادِنا ... بظهرانَ أصلح قلبَه ثم يرجعُ

إلى آخر القصيدة.

ولما تعين الشيخ عبدالعزيز المزيني قاضيا في الرين تعين الجد معه كاتبًا في المحكمة، ثم انتقل المزيني وجاء الشيخ محمد البليهي، وبعد ثلاث سنوات انتقل البليهي، و جاء بعده القاضي عبدالعزيز بن ناجي آل مبارك، ثم القاضي عبدالعزيز اللهيمي، واستمر كاتبًا معهم جميعا، وبعد اللهيمي انتقل الجد إلى الرياض في حدود سنة ١٣٩٢هـ وجاء بأولاده معه، وعمل كاتبا في المحكمة الكبرى في الرياض، ولم يزل على هذا العمل حتى توفي رحمه الله في رمضان عام ١٣٩٧هـ، وهو آخر من مات من إخوته، وله نصائح ومواعظ وقصائد عربية ونبطية في الرثاء وكثير من المواضيع المناسبة.

الوليد المبارك

وُلد الشيخ الوالد عبدالله بن جبرين رحمه الله في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ولما كان والده رحمهما الله طالب علم فقد كان معتنيا بتقييد تاريخ



الـولادة، يقـول الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: "كتب الوالد الـولادة في سابع جمادى الثاني من عام تسع وأربعين وثلاثمائة وألف، وسماني عبدالله باسم أبيه".

كانت ولادته في قرية تسمى: (محيرقه)[2]، تابعة لمحافظة (القويعية)[3] وقد تربى السنة الأولى مع والدته في هذه القرية[4].

ووالـدة الوالد اسمهـا: نورة بنت عبدالرحمن بن محمد، وأخواله يقال لهـم (آل مسهر)، لأن جده لأمـه يلقب بمسهر، واسمه عبدالرحمن بن محمد ابـن سليمـان بن عبدالله بن عثمان بن محمد بن عبـدالله بن رشيد، فعثمان أخو جبرين.

ولجده لأمه ولدان وبنت: محمد وسليمان، وهما خالا الوالد، ونورة التي هي والدته رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا.

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الأولى.

(٢) قرية (محيرقه) تبعد عن القويعية مسافة(٢٦) كيلومترًا تقريبًا، وهي قرية زراعية، ولعلها كانت تسمى قديما بذي طلوح، قال الهمداني في صفة جزيرة العرب ٧٥/١ من الشاملة " وذو طلوح أعلاه حصن بني عاصم صاحب النعمان بن المنذر والقويع في ثنية وجزالا والثريا والجوزاء في واد عن يمين ذي طلوح فيه نخيل وقرى ".
يقول الشيخ سعد الجنيدل في كتابه عالية نجد: " من دراسة واقع هذه البلاد وتطبيق العبارات عليها يبدو لي أن ذا طلوح هو القرية التي تعرف في هذا العهد باسم محيرقة ".
وقال الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في لقاءاته مع الشيخ محمد المنجد في برنامج عالم أمة: وقد أسسها جماعةٌ من أسرة آل جبرين في آخرِ القرن الثالثَ عشرَ الهجري، في حدود سنة سبعين ومائتين وألف(١٢٧٠هـ)؛ حيث جاؤوا إلى ذلك المكان وأسَّسوا فيه هذه القرية، وجعلوا فيها نخيلًا وأشجارًا؛ لأنها في مجرى واد، ولايزال بعض ذلك النخيل باقيًا، ولا تزال تحمل الاسم إلى هذا الوقت.

(٣) القويعية إحدى محافظات منطقة الرياض، وتبعد عن الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية مسافة(١٦٠) كيلو مترًا، على الطريق المؤدي إلى مكة، والمعروف بطريق الطائف، وكانت تسمى من قبل "منطقة العرض" بكسر العين، وهو عرض شمام المذكور في كتب البلدان كمعجم البلدان لياقوت الحموي١٠٣/٤.

(٤) برنامج ابن جبرين..عالم أمة.

تحدث الوالد عـن والدته رحمها الله، فقال[1]: الوالـدة رحمها الله أصيبت بشلل نصفـي من سنـة خمس وستين (١٣٦٥هـ)، كانت ولدت آخـر أولادها وسمي باسـم خاله سليمان، أصيبـت بعده بهذا المرض الذي يسمى الفالج، ولم نجد بـدا من علاجها بكل ما نستطيع ورقيتها، وبقيت هكذا إلا أنها في ذلك الوقت كانـت نشيطـة، ففي سنة سـت وستين ١٣٦٦هـ كنت معهـا في محيرقة عند أخـوالي، وأقوم بما أستطيع مـن خدمتها، فكانت تترضـى عني، وتقول: الله يرضى عنك كما أرضيتني أو كما رضيت عنك، وحجت بعد ذلك مع أهل تلك البـلاد في سنـة ست وسبعـين، وفي تلك السنة حججنا نحن مـع رفقة آخرين ونزلنا بجوارهم، وكان معها نشـاط، فطفت وسعيت بها على قدميها ماشية، ولم تمـل ولم تتعـب، وبعد سنة ثمانـين بدأها الضعف، حججـت بها مرتين أو ثلاثـا فكانت تتعب، ونحتـاج إلى أن نحملها على سرير لكي يطوفوا بها، وعلى عربـة وقت السعي، ولم تزل كذلك حتـى وافاها الأجل في سنة اثنتين وتسعين من القرن الماضي، ولم أنس حقها أن نعتمر لها أنا وإخوتي وأخواتي".

وحـين توفيت رحمها الله كان ابنها الأصغر عبدالعزيـز غائبا فماتت قبل أن يراها وكان شاعرا، فقال فيها قصيدة نبطية طويلة منها:

ونـيت انـا مماشطني واقـول آه	وأجـرهـا بتلـتـال صـيت حزيني
ونـت قطين يـوم وردوا على ماه	نشت ابياره وارجعوا معطشيني
من عقب فرقا الوالدة خاطري تاه	دايم شريد البال في الجالسيني
جـاني خبرهـا بغتة قلت ويلاه	فيها الـنـدم لـه صـفـقة باليديني
يـادار فاتك مشعل النور بضياه	من هي تهجد والـعرب نايميني
دايم هـي بمحـرابـهـا مـا تـعـداه	مـا همـهـا إلا دعـوة للمعيـنـي

(١) برنامج صفحات من حياتي من قناة المجد الحلقة الخامسة.

صوامة قوامة تطلب رضاه ومسبحه ومهلله كل حيني
والمصحف اللي دايم الدوم تقراه ما صدها عن هجوته زايريني
كل القدر بامر المقدر رضيناه والحمد للرحمن في الحالتيني
ياجعل نورة بنت مسهر منجاه من حر نار منزل الخاسريني
ياجعلها في حسن حال مرقاه في جنة الفردوس في المنعميني
وصلاة ربي عد نبت بمرعاه على الشفيع المرتضي يوم ديني

وقد تزوج جدي رحمه الله من زوجة أخرى غير جدتي، وهي نورة بنت محمد العريفي رحمها الله، ولهذا فللوالد إخوة أشقاء وإخوة من الأب، كما أن له أخوات من الأم.

أما إخوته فهم:

١- إبراهيم توفي رحمه الله في ٨/ ٤/ ١٤٢٦هـ.
٢- محمد، وهو متقاعد وكان مفتشا في إمارة منطقة الرياض.
٣- عبدالعزيز توفي رحمه الله في ٥/ ٤/ ١٣٩٥هـ.
٤- اللواء الدكتور سعد، وهو متقاعد، وكان يعمل في قوات الأمن الخاصة.
٥- المهندس سعود، وكان يعمل في هيئة المواصفات والمقاييس السعودية ثم الخليجية وهو الآن متفرغ للأعمال الاستشارية.
٦- ناصر، وهو متخرج في كلية الشريعة، ويعمل باحثًا علميًا في وزارة الشؤون الإسلامية.
٧- زبن، وهو متقاعد تقاعدًا مبكرًا، وكان يعمل في الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي.
٨- صقر، وهو يعمل في الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي.

وأما أخواته فهن:

١- هيا.

٢- دليل، وقد توفيت رحمها الله.

٣- منيرة.

٤- هيلة، وتعمل معلمة في وزارة التربية والتعليم.

وقد نشأ الوالد رحمه الله وشبَّ وترعرع بين قرية الرين[١] وقرية أخواله مُحيرقه؛ وكان أغلبُ وقته في الرين، حيث يعمل جدي، لكنه كان ينتقل في موسم الصيف من كل عام مع والدته إلى مُحيرقه حين يطيب التمر، ويمكث هناك قريبا من شهرين، ثم يعود إلى الرين[٢].

يقول الشيخ الوالد رحمه الله عن ذلك[٣]: في كل سنة إذا طاب الرطب يأتي خالنا محمد، فيرحل بنا من الرين إلى محيرقة، ومن ورعه رحمه الله أنه يعطي الوالدة جزءا من نصيبها، لأن النخل لا يزال مشتركا بينه وبينها وبين الخال الثاني سليمان، فيعطينا من التمر كسهم لنا إذا رجعنا يزودنا بكيسين أو ثلاثة من التمر، واستمر على هذه الحال كل سنة نذهب إلى محيرقة، ونقيم فيها شهرًا أو شهرًا ونصفًا، ثم بعد ذلك يأتينا الوالد ونرجع إلى الرين أ.هـ.

*****

(١) هي قرية تبعد نحو ستين كيلو مترا عن القويعية، ويسكنها قبائلُ متعددة، أغلبهم من قبائل قحطان؛ حيث استوطنوها في حدود سنة ١٣٣٥هـ، حينما شجع الملك عبدالعزيز رحمه الله البوادي على الاستيطان.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الأولى

(٣) المصدر السابق





من قصص الطفولة

لقد تحـدث الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن طفولتـه كثيرًا، ونقل الكثـير من الأخبار والمواقـف اللطيفة والجميلة، التي تتحدث عن طفولته وشبابه، وسنذكر بعض القصص التي تحكي طفولته، وتصور الحيـاة البسيطة التي كان يعيش فيها المجتمع آنذاك.

نعلان من جلد

بسبـب الأحـوال المتوسطـة لم يكن عنـد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صغـره نعال يلبسهـا، وهذا كان حال كثير من أترابه في تلك القرية البعيدة، فكان. عندما يريد الذهاب للمسجد. يحمل معه قطعة صغيرة من الجلد يسمونها (جاعد)، فيركض في الرمضـاء حافي القدمين، فـإذا أحس بشدة حـرارة الأرض ولم يستطـع السير وضع قطعـة الجلد ووقف عليها حتى تـبرد قدماه، فإذا بردت عـاد يركض بسرعـة على الرمضاء، فـإذا اشتدت حرارة قدميـه عاد ووضع قطعة الجلد ووقف عليهـا، وهكذا حتى يصل إلى المسجد، فإذا وصل المسجد وضـع قطعة الجلد في جيبه، ثم صلى مع الناس، فإذا عاد إلى البيت فعل كما فعل في الأول، فكانت هذه نعاله ونعال أترابه.

في الدكان [1]

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت حالـة المجتمع في ذلك الوقت متوسطة، لسنا في فقر مدقـع، ولا غنـى يطغي، ولما انتقل الوالـد في سنة خمسـين إلى الرين انتقلت معـه الوالدة، وأنا معهـم رضيع، ومن المعلوم أن صاحـب البيت تعتريه نفقة،

---

(١) قصتي في طلب العلم، وأجوبة لأسئلة خاصة، لدى علي أبو لوز.

فكانت النفقة التي تعطى له لا تكفيه لنفقته على منزله؛ فأراد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يتعاطى شيئًا من التجارة، وقد كان والده وأجداده ليس لهم أملاك تدر عليهم، غالب اكتسابهم أنهم يبيعون على البوادي شيئا من السلع، ثم بعد خمسة أشهر يطوفون على البوادي، ويجمعون منهم قيمة ما اشتروه من دهن أو أقط أو شيء من الأغنام، ويتمتعون بذلك، ويعيشون منه، وينفقون على أولادهم، فكانت هذه مكاسبهم.

أما الوالد فقد جعل له دكانًا فيه أشياء يسيرة: كالقهوة والأكسية، وكان إذا غاب مثلًا إلى القويعية أو إلى الرياض، جلست مكانه لأتولى ذلك، وليس هناك سوق يكثر فيه الباعة و الزبائن، وإنما ذلك شيء يسير يقضون به أوقاتهم، وكنت أساعده في الكتابة والمحاسبة.

يساعد أسرته[1]

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نسعى في التكسب بما تيسر، وما نحتاجه في المنزل من الاحتطاب والاحتشاش، ونحو ذلك مما يعمله أهل ذلك الزمان.

وفي زمن الصيف غالبًا نكون عند أخوالنا في محيرقه، وهم أهل حرث فنساعدهم في السقي على النواضح وتصريف الماء في النخل، وكذا في جناية الخضار وصرام النخيل، ثم تصفيته ونحو ذلك؛ فإن أهل ذلك الزمان كانوا يعتمدون على الله ثم على عمل اليد؛ لقول النبي ﷺ: **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسب يده»**[2].

---

(١) أجوبة لأسئلة خاصة، لدى علي أبو لوز.

(٢) رواه ابن ماجه في باب الحث على المكاسب من كتاب التجارات برقم ٢١٣٨ عن المقداد بن معد يكرب، وأصله في البخاري في باب كسب الرجل وعمله بيده من كتاب البيوع برقم ٢٠٧٢.

يرعى الغنم[1]:

رعى الوالد رَحِمَهُ اللهُ الغنم وهو صغير، فكان يذهب هو وأخوه إبراهيم مع الرعـاة، يقول عن ذلك: "عادة أهـل القرى أن يكون في بيت أحدهم خمس أو عشـر من الغنم وبقرة واحدة، واللبن الذي يأخذونه منها يكون للشرب فقط، ولسقي الضيوف الذين ينزلون بهم أو يطرقونهم.

والأصل أنهم كانوا يستأجرون من يرعى هذه الأغنام؛ سواء كانوا رجالًا أو نسـاءً؛ حيث إن الراعي يُجمع له مائة أو مائة وعشرون من غنم أهل البلد، ويذهـب يرعاها في زمن الربيع، وتسمـى المجموعة، فإذا قرب الليل جاء أهل تلك المواشي، وكلٌّ عزل ما يخصّه، يعرفونها بالأوسمة أو بالعلامات الأخرى، أو أن الأغنام نفسها تألف مبيتها الذي تبيت فيه، أو تأتي لأجل أولادها.

فـإذا جاء الصيف وجف ضرعُها أرسلوها مع البوادي الذين يكونون في الـبراري، ثم إذا نزل المطر وكثر العشب في زمـن الربيع استجلبوها لأجل أن ترعى مع الرعاة ويؤخذ لبنها.

وكان الوالد رَحِمَهُ اللهُ يملك بعض الأغنام ذات الدرّ، تكفي وقت الربيع لحلابها ولشرب لبنها، وإذا جـاء وقت الصيف أخرجها مع البوادي يرعونها بأجرة، فإذا جاء وقت الربيع استجلبها، ثم يرسلها مع الرعاة الذين يرعون لأهل البلد.

وكنّا أحيانًا نضطـر أن نخرج أنا وأخي إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ مع تلك البهائم لنرعاها مع الراعي، وخاصّة إذا لم يكن عندنا شغل، فإذا قرب الليل رجعنا، ونتذاكر في ذلك قول النبي ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»[2].

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثالثة.

(٢) هو في البخاري باب رعي الغنم على قراريط من كتاب الإجارة برقم/٢٢٦٢

وأحيانًا نفقد شاة أو أكثر فنذهب نطلبها، فربما نجدها سالمة، وربما يكون قد اعتدى عليها السبع؛ حيث إن الذئاب كانت في ذلك الوقت تتسلط على الأغنام وتفترسها، إذا كان الراعي غافلًا.

والراعي - كما قلنا -: قد يكون رجلًا وقد يكون امرأة، ولا يزال أحد الرعاة موجودًا إلى الآن يقال له: ابن سرحان، وآخر يقال له: الطويل، وآخر شيخ كبير يقال له: ابن مروان وغيرهم، وقد مات كثير منهم[1].

وكان عندنا في الرين مستنقع ماء، إذا جاء السيل يمتلئ ويبقى ستة أشهر، والأغنام تَرِدُه وتشرب منه، وكذلك الرعاة يأتون إليه، ويستقون ويرتوون منه، وهو ماء عذب من ماء المطر، وأحيانًا يغسلون فيه الأغنام فيدخلون الشاة من الضأن أو من المعز في داخله، ويغسلون جلدها وما عليها من الوسخ، وبإذن الله تسمن، ويكون لها جرم نظيف، ويزول ما بها من الوسخ، لأجل ذلك نسرح معها لنقوم بغسلها.

وكذلك كان أهل البلد يملكون شيئًا من البقر، وغالبًا يكون عندنا بقرة ومعها ولدها، فنحلبها ونصنع من هذا الحليب الزبد واللبن، ومعلوم أن البقرة غالبًا لا تحتاج إلى راع؛ حيث تذهب مع جمع من البقر وترعى طول النهار في الأودية والشعاب، وإذا جاء الليل جاءت إلى مألفها، وبخاصة إذا كان لها أولاد، فهي تحن كثيرًا إلى أولادها، وأحيانًا قد تتأخر فيذهب أحدنا لطلبها، ويتبع أثرها إلى أن يجدها، وإذا كانت ليست من الكبار فإنها لا تمتنع من السبع فيفترسها".

(١) كان هذا بين عامي ١٣٦٠هـ-١٣٧٠م.

وللشيخ الوالد مع الرعي قصة طريفة، رواها رَحِمَهُ الله فقال[1]: "في سنة ثمان وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦٨هـ نزل مطر غزير قريبًا من البلدة التي تسمى السيح، والتي ويوجد لها مفرق قرب القويعية مكتوب عليه الخروعية والسيح، فنبت هناك ربيع جيد بإذن الله ثم بسبب سحابة جاءت هناك، وذلك الزمان كانوا يسمونه زمان الملك سعود رَحِمَهُ الله لما كان وليًّا للعهد؛ حيث جاء مرة إلى هذا المكان ومعه عدد كثير من السيارات في حدود عشرين أو ثلاثين سيارة، ومعه أيضًا عدد كبير من الرفقاء، فخيموا في ذلك المكان الذي فيه الربيع ويسمى هدباء؛ فلما أصبح توافد إليه كثير من أهل تلك المنطقة.

وكان رَحِمَهُ الله سخيًّا يجود بالمال، فأعطاهم ما يسمى: شرهات، يعني: جوائز لأجل وفودهم، وبسبب قلة ذات اليد وحاجة الناس وضعفهم جاؤوا إلى ذلك المكان، وأخذوا بقايا الطعام من اللحوم والأرز، ثم قاموا بتجفيفها لأكلها فيما بعد.

وقد نزح بعض أهل المواشي إلى ذلك المكان الذي هو هدباء لأن فيه أعشابًا كثيرة وهو بعيد عن البلد الذي هو الرين.

وقُدر أنه كان عندنا ثور صغير، وعند بعض جيراننا بقرات صغيرة، وأردنا أن نرسلها إلى أحد الأخوان وهو من آل هويمل وقد توفي رَحِمَهُ الله، وكان يسكن في ذلك المكان الذي هو هدباء، لكي ترعى من ذلك الربيع الجيد، فلما ذهبنا قُدِّر أن رفقتي الذين معي أمسكوا ثيرانهم أو عجولهم وساروا، أما أنا فقد هرب مني الثور الذي معي، فطاردوه معي ولم يستطيعوا أن يمسكوا به، فذهبوا وتركوني.

---

(١) المصدر السابق.

ثـم احتلـتُ بعد ذلك وجمعـت شيئًا مـن الأعشاب، وقربتهـا من ذلك الثـور إلى أن أحس بهذه الأعشاب، فاقترب وجعل يأكل منها، ولما تمكنت منه أمسكته، ولكنه تفلت مرة ثانية، ثم جمعت بعد ذلك أعشابًا أخرى، وبعد نحو مـن ساعتين - أي قـرب الليل - أمسكته وجعلت الحبـل في رقبته، وبعد ذلك سرت على أثر رفقتي الذين ذهبوا إلى ذلك الربيع، ولكن غربت الشمس عليَّ قبـل أن أصل، وأنا لا أعـرف الطريق، ولا أرى الأثر في الليل، فلم أجد بدًّا من أن ربطـت ذلك الثور في شجرة ونمت وحدي حتى أصبحت، وليس معي طعام أو شراب فنمت جائعًا.

ولمـا أصبحت قبضت الثور بالحبل الذي في رقبته والذي يسمى البطان؛ لأنه ينسج من الشعر، ثم سرت على الأثر إلى أن أدركت ابن هويمل رَحِمَهُ اللَّهُ في هدبـاء، يعني: سرت قريبًا من اليومين؛ أما رفقتي فقد سرحوا في اليوم الأول من البلد، وساروا بسرعة ورجعوا.

ولما وصلت إلى ابن هويمل رَحِمَهُ اللَّهُ، أضافني بشيء من الخبز الذي يشوى في الجمر ويسمى القرص، وبشيء من التمر، وأكلت معه حتى شبعت.

وبعـد ذلك نـزل علينا مطر، وليس عنـده كَنٌّ، وإنما هـو تحت الشجر، فرأيـت أنه لا فائدة في البقـاء فرجعت إلى البلد، وسرت علـى أثر السيارات التي كان يرسلها الملـك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ كل سنة من الرياض محملة بأنواع مـن الأرز مع النقود كصدقـات على أهل القرى النائيـة، وذلك بعدما كثرت الفتوحـات على الملك، وبعدما عُثر على النفـط وصار له دخل، وصار كل سنة يُخـرج في رمضـان سيارات مليئة بـالأرزاق وغالبًا تكون مـن الأرز، فكان لها طريق ظاهر تسير معه، فسرت في الضحى ووصلت إلى أهلي بعد العصر.

الصيد[1]:

من الأشياء التي مارسها الشيخ الوالد رحمه الله مع أهل ذلك الزمان الصيد، تحدَّث عن ذلك فقال: من الأشياء التي كنّا نذهب لها: الصيد، الذي يكون غالبًا لصيد الضب؛ حيث إنه كان متواجدًا بكثرة، فيذهب الرعاة وغيرهم ومعهم المساحي والمحافر، فإذا وجدوا جحر ضب حفروه إلى أن يصلوا إليه، ومعلوم أن الضب يعمق جُحْرَه، بحيث يكون ملتويًا؛ ولذلك ضرب به النبي ﷺ المثل؛ كما في قوله ﷺ: **«حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه»**[2]، وذلك لكثرة اعوجاجه، وهي حيلة ألهمه الله بها حتى يختبئ عن أعدائه، ثم إنه يتحرى المكان الصلبَ الشديد الذي لا يقدر على حفره إلا الأقوياء.

ومن الطرق التي كانت تستخدم في صيد الضب: أنه إذا جاءت أيام السيول، فإنهم يذهبون إلى البراري التي يوجد فيها، ثم يصبون الماء في جحره من السيل، يفجرونه فيه إلى أن يخرج دون حَفْرٍ، وهذا العمل يسمونه: الغَر، أي: نغره حتى يخرج.

فالحاصل: أننا نذهب ونصطاد ما تيسر؛ فأحيانًا نذهب في الشهر مرة، وأحيانًا مرتين أو نحو ذلك.

ويعد الضب في ذلك الزمان فاكهة بسبب قلة اللحوم، فما كانت توجد اللحوم بكثرة، والغالب أنهم لا يجدون اللحم إلا مرة واحدة في السنة في أيام

(١) المصدر السابق.

(٢) هو بهذا اللفظ في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة برقم ١٠٦٤١ ورواه البخاري عن أبي سعيد بلفظ "حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" في باب ماذكر عن بني إسرائيل من كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٣٤٥٦. ومسلم في باب اتباع سنن اليهود والنصارى من كتاب العلم (رقم٢٦٦٩).

الأضاحي ويفرحون بذلك، وأحيانًا إذا جاءت الولائم التي بسبب ضيف يطرق أحدَهم، فإن من يجلسون على الصحون في الأول ينتهبون اللحم، ولا يبقى للآخرين شيء.

أتذكر مرة أنا كنّا في محيرقه وكان الضيف من أهل الرياض، وأحد الأهالي هناك ذبح له ذبيحة واحدة من الغنم، فلما أكل الضيف ومن معه وجاء مَنْ بَعْدَهُم فما وجدوا إلا العظام، فأخذوا يتعرقون تلك العظام[1]، فكل واحد منهم أخذ عظمًا صغيرا يتعرقه.

وكانوا إذا قُدِّمت الذبيحة يبدؤون بالشحم الذي هو شحم الإلية وما حولها فيأكلونه بسرعة؛ لأنهم نادرا ما يجدون ذلك.

ومن الحشرات التي كنّا نصطادها في ذلك الزمن الجراد؛ حيث كنّا ننتظر موسمه ونصطاده بكميات ثم يطبخ ويؤكل.

الوالد وشرب القهوة[2]:

معروف عن الوالد رحمه الله أنه لا يشرب القهوة منذ زمن بعيد، ولذلك قصة وأسباب يذكرها رحمه الله فيقول: أنا لم أشرب القهوة في الصغر، سبب ذلك: أن الوالد رحمه الله منعني ومنع أخي الذي يليني وهو إبراهيم رحمه الله من شربها، ولما سُئل ونحن في العاشرة إلى الخامسة عشرة علل وقال: إنني قد آمر أحدهما بأمر، أن يذهب إلى فلان أو يذهب لينجز عملا، فإذا أمرته وهو يشرب القهوة ويحبها، فإنه لا يمتثل، فينتظر حتى تُصب هذه القهوة وتنتهي، فيفوت علينا جزء من الوقت، ونحن لم نقض شغلنا، فأريد أن لا يتقيدوا بهذه

(١) يتعرقون تلك العظام: يأكلون بقايا اللحم التي عليها.
(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثالثة

القهوة ولا ينتظرونها؛ بل إذا أمرت أحدهما فإنه يسارع ويبادر ويذهب لقضاء الشغل الذي أمرته به، فلأجل ذلك منعنا من شرب القهوة.

ولما كان في سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦٤هـ، - وهي السنة التي صمنا فيها، أنا وأخي إبراهيم وأنا صمت قبله بسنة - رخّص لنا الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأخي إبراهيم ولع في شربها، وأما أنا فعزفت نفسي عنها، وسبب ذلك: أني رأيت أن أهلها إذا فقدوها يتأثرون تأثرًا كبيرًا.

وأهل ذلك الزمان كانوا يعتنون بالقهوة اعتناءً كبيرًا، فأولًا: يأخذون قبضة يسيرة ويحمصونها في المحامص المعروفة، ثم إذا نضجت أفرغوها في آلة يسمونها المُبَرِّد لكي تبرد فيها، فإذا بردت أزالوا ما فيها من القشر وما فيها من الحب الفاسد، ثم بعد ذلك يدقونها دقًّا ناعمًا في ما يسمونه بالنجر؛ (الهاون) فإذا نعمت فإنهم يصبونها في إحدى الدّلال، وهي الإناء الذي تشرب فيه، ويكون فيها ماء قد غلى أو قارب الغليان، وتبقى في ذلك الماء، نحو ربع ساعة أو عشر دقائق، وهي تطبخ طبخًا قويًّا، وبذلك تكون قد نضجت، وقد ظهر طعمها في ذلك الماء، ثم بعد ذلك يصفّونها.

وهناك أيضًا دلة أخرى يسمونها المزل، يجعلون فيها البهار الذي غالبًا يكون من الهيل، ويبالغون في مدحه ومحبته؛ فإذا صفّوها في هذا المزل جعلوها على النار حتى تغلي مرة، ثم يصبونها للأفراد الحاضرين، وعادة أنهم لا يملّون من شربها، ولا أحد يقول قد انتهيت أو لا أريدها، فيشربون في المجلس الواحد دلتين أو ثلاثًا وربما أربعًا، وقد يتنقلون أيضًا من مجلس إلى مجلس.

فأنا في ذلك الوقت عزفت نفسي عنها، وذلك لأني رأيتها تؤثر على كثير من الذين يفقدونها، فإذا فقدها أحدهم فإنه يصاب بدوخة وبآلام في الرأس

فيتحسر حتى يجدها، وإذا وجدها وأخذ يشرب زاد في شربه منها، فهذا هو السبب الذي دعاني لتركها.

وبقيت على هذا الوضع لا أشربها، ولما انتقلنا إلى الرياض في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف ١٣٧٤هـ كنت في منزل خاصّ، ولم أكن أشربها، لكن إذا دخلت في المجالس الكبيرة التي نزور فيها المشايخ ونحوهم مرة أو مرتين في الأسبوع، فإنني أشرب فنجانًا واحدًا أو اثنين، وإذا لم أجدها فإني لا أطلبها.

ولما كان في سنة ثمانين وثلاثمائة وألف ١٣٨٠هـ أصبت بألم نتج منه مرض يسمى التدرن، ونصحني الأطباء بأن أعالج، واستمر العلاج معي إلى حدود سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف ١٣٩١هـ وأنا أعالج من ذلك المرض، ونصحوني بأن لا أشرب هذه القهوة وما أشبهها؛ فبعد ذلك رأيت أني لما انتهى العلاج إذا شربتها أحسُّ بحموضاتٍ - كما يقولون - فتركتها بعد ذلك إلى هذا الزمان.

صناعة الحبر[1]:

لم تكن الأحبار الحديثة موجودة آنذاك، فكانوا يصنعون الحبر بأنفسهم، ولكون جدي رحمه الله كان كاتبا مجيدا، فقد كان الناس يطلبون منه توثيق عقودهم ووصاياهم ونحوها، وكان يقوم بصناعة الحبر بنفسه، وقد تحدث الوالد عن ذلك، فقال: كان الوالد هو الذي يعمل الحبر، فكان يأخذ قشر الرمان فيطبخه بعدما ييبس طبخًا قويًّا، وإذا انتهى من طبخه انقلب ماؤه أسود، بعد ذلك يضيف إليه شيئًا قريبًا من البياض اسمه (الزاج) موجود

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الأولى

عند العطارين، ويضيف إليه قبضة من الصمغ الذي يؤخذ من الشجر، يدقه ثـم يخلطه بـه حتى يلتصق بـالأوراق، ثم بعد ذلك يعبئـه في زجاجة نسميها (غرشـة أو قـارورة أو صافية)، ثم نصبّ منه في المحـبرة الموجودة الآن على هيئتها وعلى شكلها، نجعل في أصلها خرقة حتى تنغمس فيها الأقلام.

أمـا الأقلام فإنها تؤخذ من شجر يقال له: النماص، له قصب كالإصبع الدقيـق، وفي وسـط القصبة خـرق، فيعمد الذي يريد أن يجعلـه قلمًا فيبري رأسها حتى يكون لها رأس دقيق، ثم هذا الرأس يشقه فيكون فيه شق ليلتقط شيئًا من الحبر؛ فهذه هي الأقلام عندنا.

وقـد تعلمنـا الكتابة أيضًا في ألـواح لأن الأوراق كانت قليلـة، فنأخذ هذه الألـواح، ويكتب لنـا الوالد رسالة، فيقـول: اكتبها في هذا اللـوح، ذكر سماحة الشيـخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان عندهـم لوح كأنه الباب أو قريب من الباب، يقول كنت أضطجع عليـه على بطني، وأملؤه من أعلاه إلى أسفله كتابة، فتمرنًا على الكتابة على الألواح.

*****

بيت العطاء

تـزوج الوالـد رَحِمَهُ اللهُ بابنـة عمـه الشقيـق، واسمها:لطيفة بنـت محمد بن عبـدالله، ولها اسم آخـر اشتهرت به وهو غُزَيِّل (تصغير غـزال)، وكان زواجهما في آخر عام ١٣٧٠هـ.

كانـت يتيمـة الأب فقد تـوفي أبوها في سنة ١٣٥٥هـ، وعاشت في كنف عمهـا عبدالرحمن والـد الشيخ رَحِمَهُمَا اللهُ، وكان والدها طالب علم قرأ على أبيه، ورحـل في طلـب العلم، وحفظ الكثير مـن المتون، ونسخ بيده كتبًـا، يقول عنه الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللهُ:كان العم محمد قد اشتغل بالعلم، ورزقه الله ذكاء وفهما وحسـن تعلم وخطا جميلا، وتوجد رسائل قصيرة بخطه، وقد حفظ القرآن، وكان يؤم الجماعة في مسجد أبيه يؤمهم جمعة وجماعة، ويصلي بهم التراويح في ليالي رمضان، فيطيل في القراءة وتعلم على يده الوالد رَحِمَهُ اللهُ[1] أ.هـ.

تقـول أختـي هيـا[2]: "كانـت أمـي رَحِمَهَا اللهُ تحكـي لنـا أن عمهـا جـدي لأبي رَحِمَهُمَا اللهُ كان يخيرها أي أبنائي تريدين؟ لأنها كانت يتيمة عنده، فكانت تريد إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ الذي يخرج دائمًا يصطاد ويعود بالصيد، فترى فيه القوة التي تحميها.. لكن عمها يشير عليها بعبدالله، وكانت لا ترغبه حيث إنه عاكف طوال وقته على كتابه بشكل ممل لا ترغبه أي فتاة، لكنها تزوجته حياء من عمها، ولما كبرت فهمت أن مشورة عمها كانت صائبة، فكانت تدعو له باستمرار".

كانـت رَحِمَهَا اللهُ ذات دين وصلاح ونصح وإخلاص، فقد بذلت جهدها في القيام بحقوق ربّها وبعلها، وتوفيت عام ١٤١٤هـ[3].

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه رَحِمَهُ اللهُ وقصتي في طلب العلم.

(٢) مذكرات الأخت هيا التي بعنوان:أبي كما عرفته.

(٣) سيرة الشيخ من موقعه رَحِمَهُ اللهُ.

ولا شك أن للزوجة نصيبًا في صناعة الرجال، فكونها رحمها الله تصبر على القيام بشئون بيته وتربية أبنائه، فإنها تفرغه بذلك لطلب العلم وبذله، صبرت في حال طلبه العلم، وصبرت في حال انشغاله بتعليمه، و صبرت على كثرة أسفاره للدعوة إلى الله.

فهنيئًا لها لأن كل علم يبذله ودعوة يقوم بها، تشاركه في أجره.

تقول أختي هيا: "كان أبي رحمه الله مشغولًا جدًا بالتعليم والتعلم، ولم يكن مسؤولًا مباشرًا عني أو عن غيري من أخوتي فقد كانت أمي رحمها الله تقوم ببعض واجباته نحونا، حيث إن وقته لا يسعفه بذلك، وقد وهبها الله شخصية قوية مؤثرة لتولي ذلك الدور".

ولقد صبرت عليه رحمها الله في أمور لاتطيقها الكثير من النساء، ومما ذكرته أختي هيا: "أنه مرت عليه مدة طويلة كانت فيها أمي رحمها الله أو أخواتي يصنعن له الطعام ويذهب ليأكل مع مرافقه الهندي الجنسية الذي يفترض أن يكون سائقًا، ويدعنا نحن النساء نأكل وحدنا، ولم تكن أمي تتذمر، حتى ظننت أن هذا الوضع الطبيعي، ولم أعرف غرابته حتى كبرت وتزوجت وقارنت نفسي بها رحمها الله.

وكانت فعلًا صابرة على انشغاله عنها ولم تكن تتذمر، بل كانت تحمده في كل مجلس وتدعو لعمها - جدي عبد الرحمن - الذي أشار عليها بالزواج منه.

كانت خجولة حيية، تقدر للناس قدرهم، وتخدم أبوي زوجها حتى توفوا رحمهم الله" أ.هـ.

ولقد رزق الوالد من والدتي رحمها الله باثني عشر ولدا من الذكور والإناث، مات بعضهم في الصغر، وبقي منهم ثلاثة من الذكور وست من الإناث، وقد تزوج جميعهم، وولد لهم أولاد من البنين والبنات.

فأبناء الشيخ الوالد رحمه الله هم:

١- محمد، (وهو أكبر الأبناء)، موظف في وزارة الشؤون الإسلامية.

٢- عبدالرحمن، أستاذ مشارك في كلية الشريعة في الرياض.

٣- سليمان، وهو متخرج في كلية الشريعة في الرياض، ويعمل مدرسا في وزارة التربية والتعليم.

وأما بناته، فهن:

١- سارة.

٢- نورة.

٣- منيرة.

٤- حفصة، وهي متخرجة في كلية الشريعة في الرياض.

٥- حليمة، وهي متخرجة في كلية الشريعة في الرياض، وتعمل مدرسة في وزارة التربية والتعليم.

٦- هيا، وهي متخرجة في كلية الشريعة في الرياض.

وبعد أن توفيت والدتي رحمها الله تعالى تزوج الوالد رحمه الله بإحدى قريباته، وهي: هيلة بنت محمد بن عبدالله الجبرين، وقد قامت بحقه خير قيام حتى توفي رحمه الله وجزاها خير الجزاء.

كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في بداية زواجه يعيش مع والده في الرين، وكان يساعده ويخدمه ويقوم بما يقدر عليه من بره، ولا يستبدُّ بكسب ولا يختصّ بمال[1].

ولما انتقل إلى الرياض بقيت الوالدة ومعها أخي محمد عند جدي، وانتظم الوالد في معهد إمام الدعوة العلمي. يحكي الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ قصة انتقاله للرياض، فيقول[2]: في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف في شهر صفر كتب الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قاضي الرين عبد العزيز أبو حبيب الشثري، يذكر أنهم قد عزموا على فتح معهد تخصصي، وأنهم بحاجة إلى معلمين، ورغب أن يكون الشيخ من المعلمين في هذا المعهد، فوافق الشيخ أبو حبيب على الانتقال والاشتراك في ذلك المعهد.

وكان أهل الرين يحبون شيخهم الشيخ عبد العزيز الشثري، ولكن لم يكن بد من سفره.

ولما عزم على ذلك طلب مني أن أصحبه، وذلك لأكمل التعلم الذي قد ابتدأت به عليه، فوافق والدي على ذلك، وبقي والدي في الرين إمامًا وخطيبًا للمسجد، الذي كان يؤمه ويخطب به في عهد الشيخ أبو حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد استصحبني الشيخ واستصحب بعض تلاميذه منهم عبدالله بن عبدالرحمن الهويمل و عبد العزيز بن محمد المسعد زميل لنا وكان ذكيًا رَحِمَهُ اللَّهُ، وسعد بن عبدالرحمن السريع، وكان قارئا حسن القراءة، ومنهم أحد تلاميذنا عبدالله بن محمد الجبرين وهو من الأقارب.

استأجر الشيخ سيارتين من الرين، وتوجهنا إلى الرياض، وكان الطريق في ذلك الوقت صعبا، فسلكوا الطريق الذي يسمى الحيسية، وكان هناك

---

(١) المصدر السابق

(٢) انظر صفحات من حياتي الحلقة الرابعة وابن جبرين عالم أمة.

ملفـات صعبة تسمى سبع الملفات، ذهبنا في أول النهار وقطعنا مسافة ثم بتنا في الطريـق، ثم لما جئنـا المكان الذي فيـه الحيسية، وفيه شجـر كبير وافتنا القيلولة فنزلنا هناك، ولما انتهينا من الغداء ومن القيلولة دخلنا الرياض عن طريـق العيينـة والجبيلة، لأن هذا هو الطريق الـذي كان يسلكه أهل الرياض يتوجهون معه إلى الحجاز، والسائقون يحبون أن يكونوا مع الطرق المسلوكة لا مع الطرق المهجورة التي لم يألفوها.

استأجـر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله لشيخنـا ثلاثة منازل، لينزل فيهـا هو وأهله، هذه المنازل كانت لآل علي مـن آل الشيخ، في حي يقال له حلة آل حماد، وكان إمام المسجد من آل علي اسمه: عبدالله بن علي آل الشيخ، وله أولاد مشهورون منهم عبدالمحسن بن عبدالله الذي كان رئيسا للشؤون الدينية في القوات المسلحة ثم تقاعد، ومنهم ابنه علي أيضًا وابنه محمد وآل علي كانوا أربعة، ولما كثروا ضاقت عليهم تلك البيوت، واستأجروا أو بنوا غيرها.

وقـد تقدم التلاميذ الذين استصحبهـم الشيخ وسجلهم في معهد إمام الدعوة، وكان ابنه ناصر قد تقدم قبلنا بسنتين للدراسة في المعهد العلمي.

في السنـة الأولى كنا في ضيافة الشيخ، لأنهـم استأجروا منزلًا لرفقاء الشيخ أبو حبيب، وكنت معه في تلك السنة، أما في السنة التي بعدها فرأيت أنا وأحـد زملائي أن نستقـل في منزل صغير، لكثرة من يغشى الشيخ من الزوار، الذين لا نتمكن معهم من المذاكرة، وكنا بحاجة إلى مذاكرة.

وقـد تركنا الأهل هناك عند الوالد في الريـن، ولم نأت بهم إلا في سنة سبع وسبعين.أ.هـ.

كان الوالـد رحمه الله يُعطى في معهـد إمام الدعوة مكافـأة شهرية، فكان يدفـع بعضا منها لوالده لينفـق على نفسه وأولاده، وبعـد ثلاث سنين اضطر



إلى إحضار الوالدة للرياض، واستأجر منزلا صغيرا، فكانت المكافأة تكفي للحاجات الضرورية فحسب.

وبقي رَحِمَهُ اللهُ ثمان سنوات يستأجر منزلًا بعد منزل في بيوت طينية صغيرة في أحياء الرياض القديمة، وكانت الرياض إذ ذاك صغيرة.

ففي آخر سنة أربع وسبعين سكن في حي الرويضة غرب الرياض.

وفي سنة خمس وسبعين في حي الشرقية في وسط الرياض.

وفي سنة ست وسبعين في حي الدحو شرق الرياض.[1]

وفي عام سبع وسبعين جاء بالوالدة للرياض، وتنقل في عدد من البيوت في حي مصدة والعماج، حتى أعانه الله على شراء بيت من الطين، لكنه واسع وحديث في حي السبالة، فاستقر به النوى حيث مكث فيه سبعة عشر عامًا، يعيش في وسط من الحال، لا إسراف فيه ولا تقتير، ولم يتوسع في الكماليات والمرفّهات لقلة ذات اليد.

وفي عام(١٤٠٢هـ) انتقل إلى منزلٍ جديد بحي (شبرا) الواقع في غرب مدينة الرياض، الذي استطاع بناءه بعد حصوله على قرض من صندوق التنمية العقاري، وهو صندوق حكومي يمنح المواطنين قروضا دون فوائد، ولبث في منزله هذا قريبًا من تسع وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى.

فلم يكن بيته رَحِمَهُ اللهُ قصرًا فارهًا، وإنما كان بيتًا متواضعًا، بعيدًا كل البعد عن التكلف والترف، وهو في منطقة عادية وحي يسكنه عامّة الناس.

---

(١) ابن جبرين عالم أمة.



وأما سياراته فأول سيارة اشتراها كانت من نوع داتسون غمارتين موديل ١٩٧٣هـ وقد اشتراها جديدة وكان يقودها أخي محمد، وكانت حاجته لها حينئذ قليلة لتقارب المسافات، لكنها تستخدم للأسفار والأماكن البعيدة.

وقد اشترى بعدها سيارة بيجو جديدة أيضًا كان يقودها الأخ محمد وأنا، ولم يكن الوالد رحمه لله تعلم قيادة السيارة، حتى انتقل إلى حي شبرا فاضطر لتعلم القيادة، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: "لما انتقلنا هاهنا شق عليَّ أن أجد من يوصلني، واشترينا سيارة، ورغبت إلى الأمير سلمان أن يعفيني من التصوير في الرخصة، فكتب لهم أن اختبروه دون صورة فوافقوا على ذلك، وحملت رخصة سيارة دون صورة، وهكذا فكنت عندما سكنا أول سنة أربعمائة واثنتين السنة التي توفي فيها الملك خالد رَحِمَهُ اللَّهُ أذهب على سيارتي وحدي، سيارة أتوماتيك، أصلي في الجامع الكبير، وألقي الدروس التي بعد الفجر، والتي بعد المغرب والعشاء، وكذلك أيضًا بقية الصلوات في حال غيبة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأرجع".

ولحصوله على الرخصة قصة لطيفة، حيث وجه الأمير بإعطائه رخصة قيادة دون صورة وكنت أنا الذي راجعت المرور، حتى حددوا موعد الاختبار، وكانت معي سيارته الكرسيدا لكي يختبر عليها، فلما أخذت الموعد عدت مسرعا للبيت لآتي بالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي الطريق حصل عليَّ حادث شنيع، سلمت فيه الأرواح لكن تأثرت فيه السيارات، حيث كنت أسير في شارع واسع، وقابلتني سيارة أخرى فحرفت السيارة لأتجنب الاصطدام، فانحرف صاحب السيارة الأخرى في المسار الذي سلكته، فتقابلنا بالأوجه.

---

(١) برنامج أسرة واحدة



اصطلحت معه وركبت سيارة أجرة لأذهب بالوالد للمرور، وكان عندنا سيارة صالون من نوع جي إم سي، فأخبرت الوالد بموضوع الحادث وأخذته بالصالون، ليختبر بها فلما مررنا بالسيارة الأولى ورأى موقع الحادث تعجب كيف حصل مع سعة الشارع وقلة السالكين، ولكنه القدر.

ولما وصلنا للمرور اختبروه في النظر والعلامات المرورية، ثم ركب معه الجندي ليختبر قيادته، وكان أول مرة يقود هذه السيارة الكبيرة، فأعانه الله على قيادتها، حتى أنهى الاختبار ومنح الرخصة دون صورة، كما ذكر رحمه الله.

وكانت السيارة التي يقودها قبل أن يحصل على الرخصة سيارة تويوتا من نوع كرسيدا، اشتريناها جديدة حتى أجاد قيادة السيارة، وبعد حصوله على الرخصة اشترينا سيارة مرسيدس من الوكالة، وكان في ذلك الوقت سعر السوق يزيد كثيرا عن سعر الوكالة فتقدمت باسم الوالد للأمير سلمان بطلب لكي يشفع لنا عند الجفالي وكيل مرسيدس فكتب لهم خطابا وباعونا السيارة بحوالي سبعين ألف ريال، وكان موديلها ١٩٨٤م.

كان جلوس الوالد رحمه الله منذ أن عقلت في بيتنا قليلا فوقته للناس، وإذا جلس في البيت فهو في المكتبة، التي تحتل غرفة كاملة في سطح البيت الطيني، وقد سئل رحمه الله: ماذا يتبقى من وقتكم لأسرتكم؟، فقال: يبقى ما فيه خير، يبقى الليل والوقت الذي لا نكون فيه مطالبين بمطالعة كتاب أو جواب سؤال، فنبقى فيه مع الأولاد بالإضافة إلى وقت تناول الطعام، وهذا فيه الكفاية إن شاء الله.



ومع هذا فقد كان يتعاهدنا بالتربية، ويتفقدنا للصلاة، ويحضنا على الخير، فهو حريص على توجيهنا وإلحاقنا بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، كما أنه حريص على اختيار أصحابنا وتوجيهنا إلى طلب العلم، يقول أخي محمد في مقابلة معه: "ربانا والدنا والحمد لله على الصلاح والتقوى منذ الصغر، وكان حريصًا على تعليمنا القرآن الكريم وتحفيظه لنا بالإضافة إلى السنة، وكان حريصًا على أن نجالس الصالحين، والحمد لله فقد آتت هذه التربية ثمارها.

وكان نادرًا ما يسلك مسلك العنف، وذلك إذا تعذر النصح، فمن ذلك أنه إذا فاتت أحدنا صلاة الفجر فإنه يجيء بعد الصلاة بإناء ماء وينضحه في وجه النائم عن الصلاة منا".

تقول أختي هيا في مذكراتها: "من المواقف التي أذكرها أنه قليلًا ما يؤنبنا، حتى سولت لي نفسي أن أعصي أوامره بما أني الطفلة الصغرى المدللة، فقد كنت مرة عنده في مكتبته وأمرني بالخروج، لأنه سيخرج لموعد غداء فرفضت، أريده أن يذهب ويدعني متى ما مللت أخرج، فلم يناقشني طويلًا بل خرج وأقفل الباب بالمفتاح وذهب لموعده، وتركني في المكتبة وحدي، وقد أذهلتني المفاجأة فناديت أخوتي فجاء أخي سليمان و أخرجني بسلم من فتحة تركت لتركيب جهاز التكييف، وإلا كنت بقيت حتى يرجع من مواعيده، وربما كان ذلك مساءً.

وأذكر أنه لم يكن يمد يده نحونا بالضرب أبدًا، حتى تصورت في طفولتي أنه لا يعرف العقاب، فدخلت مكتبته - مرة أخرى - وهو جالس بها، وأفسدت صندوقًا للمناديل فيها، فقام إليَّ مغضبًا وجر ضفيرتي وأغلق دوني الباب.

لقد كان عنوانًا للعطف والهدوء، ولكنه كان صارمًا في تربيته إذا أحس أن طفله يحتاج للحزم.

وتخبرني أختي الكبرى بأنه كان ينهاها عن الخروج للشارع، لكنها كانت تخرج وتلعب مع صويحباتها، فكان يأتي خلفها ويمشي بهدوء حتى يقترب منها ويجر ضفيرتها، وإذا التفتت غاضبة رأت والدها انقلب غضبها رعبًا، لم يكن يوبخها أمام صاحباتها.

لم يكن في البداية يريد لبناته أن يخرجن من بيته للتعلم بالمدارس، حيث كان هناك تحفظ من غالب الناس على هذا الأمر، ولكن لحبه للعلم ألحق الثلاث الكبار بامرأة تحفظهن القرآن، ولكن الثلاث الصغار بدأت في عصرهن تخف حدة الخوف من المدارس النظامية، وعلم عن وجود مدرسة لتحفيظ القرآن فألحقهن بها ،وكانت تحوي القرآن وغيره من العلوم، كأي مدرسة أخرى غير أن تركيزهم أشد على القرآن الكريم، وهكذا درسنا في المدرسة الأولى لتحفيظ القرآن الكريم.

في الدراسة لم يكن يأبه لنا كثيرًا ولا يتابعنا، فهو مشغول بعلمه وتعليمه، لكنه يحرص على تفوقنا ويفرح به، كما يسوؤه تأخرنا الدراسي.

كنا في مراحل عمرية مختلفة، وكان أحيانًا يأتي لسؤالنا عما نحفظ من كتاب الله، ثم يأتي بآية ويقول في أي سورة هي؟ وإن لم نعرف سأل عن غيرها. وكان هذا اختبارا للحفظ، وكان غالبًا ما يسألنا وهو واقف أو عابر، ولا يجلس لكثرة انشغاله..

وفي أحد الأيام جاءته إحدى حفيداته بشهادتها في المرحلة المتوسطة، وكانت تحمل درجات متميزة، وقد كتب عليها (الأولى) ففرح كثيرًا وضمها

إلى صـدره بقـوة، ثم صار يسألها عـن نتيجتها باستمـرار، ولم أكن أظن أنه سيهتم ويفرح لهذا الحد، وإلا كنت قد نافستها!".

وبعـد أن كبرنـا وصار لنـا أولاد أصبحـت أخواتي يجتمعـن في بيته كل أسبـوع في يوم الأربعـاء غالبا، وكانت جلسـته قصيرة لكنهـا نفيسة، يجلس معهـن قرابة نصف ساعة، يسألنه فيها عن حالـه وتتخللها الفتاوى والفوائد التي كان ينثرها رحمه الله بينهن.

كان الوالـد رحمه الله يرفض مبدأ وجـود الخادمة في المنزل، حتى مرضت الوالدة في آخر عمرها رحمها الله، فجئنا بخادمة لمساعدتها.

كمـا أنه لم يطلب سائقـا، ولكننا احتجنا لوجود خـادم لمساعدتنا على خدمة الضيوف والزوار، حيث كان يفتح بابه يوميا لاستقبال الناس، ويحتاجون لضيافـة وخدمة، فأحضرنا له رجلا من الهنـد كان عند عمي محمد، ثم إنه أصبـح مع طول ملازمته للوالد من طلاب العلـم، و كان يكلفه أن يكتب بعض الفهارس ونحوها لما كان يعمل في تحقيق الزركشي.

وكان لا يـأكل إلا معـه، فـإذا حضـر الطعـام جعـل يناديـه بصـوت عالي: (علوي...علـوي) وينتظر إلى أن يحضـر فيأكلان معًا، ومكث على هذا الحال قريبًا من عشر سنين، حتى احتجنا لسائق يقود بالوالد، فبقي الهندي على كفالته، ولكنه أصبح موظفا في مكتب الدعوة.

هـذه صورة لبيته رحمه الله من الداخل، فهو بيـت عطاء يخرج منه الخير للأمة جمعاء.





القسم الثاني

التكوين المسدد

- مبادئ العلوم
- القرآن أولا
- حياة الطلب
- التعليم النظامي
- صداقة الكتاب
- مشايخ الشيخ
- أقران الزمان



التكوين المسدد

إن المتتبع لسيرة شيخنا سماحة الوالد الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله يجد أن حياته كلها كانت في طلب العلم والتعليم منذ نعومة أظفاره.

فقد بدأ بالتعلم على يد والده وعمره عشر سنوات تقريبًا، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ شيئ من القرآن.

وبعد أن أتم حفظ القرآن، ابتدأ بالقراءة على شيخه الثاني الشيخ العلامة عبدالعزيز الشثري المعروف بأبو حبيب رحمه الله.

ثم انتقل مع شيخه إلى الرياض قادمًا من قريته، بعد أن صلب عوده وتزوج، وأحاط بكثير من العلوم والفنون، تاركًا أسرته الصغيرة ووالديه في القرية، وفي الرياض استمرت مسيرته العلمية، فقرأ على عدد من المشايخ والعلماء في زمنه.

وفي الموضوعات اللاحقة سوف نتعرف على مرحلة التكوين العلمي للشيخ الوالد رحمه الله من خلال استعراض عدد من البيئات المهمة في حياته.

مبادئ العلوم

لقد بدأ الشيخ الوالد رحمه الله في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، ومعلوم أن طلب العلم في زمنه كان من الصعوبة بمكان، ولذلك فقد تحمل مشقة عظيمة في التحصيل والطلب؛ لم يَثْنِه عن ذلك حرارةُ الشَّمس، ولا لهيبُ الرمضاء، ولا قلَّةُ السالكين.



أشـرب قلبه حب العلم منذ أن كان طفلا صغيرا لايعقل شيئا، وكان من أهم أسباب ذلك أن أباه كان طالب علم، بل كان معلما للتلاميذ، فكان الوالد يحضر هذه الحلقات.

يحكي رحمه الله ذلك، فيقول[1]: "أتذكر أني كنت أحضر عند الوالد عندما كان يعلـم الأولاد، ولكنـي لا أعقـل شيئا إلا كلمات يسـيرة، وفي محيرقة كان العـم سعد بن عبدالله رحمه الله إماما وخطيبا، وكان يعلم الأولاد، فكنت أحضر عندهم، وأتلقى بعض الكلمات التي أسمعها وأنا في السادسة أو قريبا منها ".

بـدأ الوالـد تعلمه للقرآن على يد والـده رحمهما الله، فعندما كان عمره ست سنـين لقنـه أبوه الفاتحة وقصار السـور، وكانت والدته تلقنـه قصار السور، لأنها كانت تقرأ القرآن، وعلمه والده أيضًا شروط الصلاة وما تتم بها.

وحيث إن نشأة الوالد رحمه الله كانت في بلدة الرين، وهي هجرة بعيدة عن حواضر العلم؛ ولم يكن هناك مدارس قائمة، فقد تأخر في دراسته؛ فلم يبدأ في تعلم القراءة والكتابة إلا حينما بلغ العاشرة من عمره.

يقـول رحمه الله: "وفي سنة تسع وخمسـين وثلاثمائة وألف جلس الوالد لنا يعلمنا القرآن، فابتدأ يحفظنا السور القصيرة، فحفظنا من سورة الناس من آخر المفصل إلى سورة والضحى، ولما حفظت هذا فرحت بذلك، وكان يأمرنا بأن نقـرأ في صلاة الفجر من السور الطوال التـي نحفظها، وليس عندي من السـور الطوال إلا سورة: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البينة: ١]. وسورة: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١]. فكنت أقرؤها في الصلاة إذا فاتتني صلاة الجماعة.

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الأولى وقصتي في طلب العلم.

وبعـد أن أتقنّـا هذه السور، بدأ والـدي بتعليمنا الكتابـة والهجاء ونحو ذلك، وكانوا يعلمنـا في ألواح؛ يكتبون حروف الهجاء في لوح كسقيفة الباب، مكتوب فيها ألف باء تاء إلى آخرها، ولما حفظناها أخذوا يقرئوننا معانيها، ما فائدة هذه الحروف، فقالوا: إن كل كلام العرب لا يخرج عن هذه الحروف الثمانية والعشرين، فإذا حفظتموها استطعتم أن تقرؤوا وأن تكتبوا، وبعد أن حفظتها صرت أكتبها في الأرض وأقلد كتابتها.

بعـد ذلك علمنا الحركات، وكانوا يسمونهـا بأسماء الأولين: (النصب، والخفض، والرفـع، والجـزم)، ولا يسمونهـا بأسمائهـا المعروفـة التي هي: (فتحة، وضمة، وكسرة، وسكون)؛ وكان ذلك اصطلاح الأولين ومنهم صاحب الأجروميـة، فالرفـع علامتـه الضمة، والنصـب علامته الفتحـة، والخفض علامته الكسرة، والجزم علامته السكون.

وبعد ذلك علمنا حروف المد الثلاثة: الألف، والياء، والواو (با ـ بو ـ بي)، وهكذا.

ثـم علمنا أيضًا الفتحة مع شدّة، والضمة مـع شدّة، والكسرة مع شدّة، وأيضًا علمنا التنوين بحركاته الثلاث.

ثـم بعد ذلك علمنا الهجاء الذي هو جمع الحروف، فأولًا: يكتب حرفين ألـف وباء (أب)، ألف وميم (أم)، جيم ودال (جد)، ثم بعد ذلك يعلمنا ثلاثة حروف راء وجيم ولام (رجل)، راء وألف وسين (رأس)، ظاء وهاء وراء (ظهر) وهكذا، ثم يعلمنا أربعة حروف، وهكذا يكتبها ويسأل، ثم يكتب بعض الأسماء.

وأذكـر أن والدي رَحِمَهُ اللَّهُ كتـب الأسماء المعبدة، وهـي ثمانية: عبدالله، وعبيـدالله، وعُبيْـد، وعُبيِّد، وعبـود، والعبْـدي، والعُبَيـدي، ومُعيبد، وكذلك





المتصرفة من غيرها: سعد، وسعيد، وسعود، ومساعد، وكذلك الأسماء المحمدة: محمد، محيميد، وبعد ذلك يكون الطالب قد عرف كيف يقرأ.

بعد ذلك أحضر لنا أجزاء فيها (جزء عم) و(تبارك)، و(قد سمع) العشر الأخير، وابتدأ يُقرئنا فيها من سورة (والليل إذا يغشى).

واستمرت قراءتنا على الوالد، وكنت أُسَرُّ بقراءته رحمه الله، وأحفظ الكلمات التي يمليها عليَّ أو يقرؤها، وكأنها تكتب في قلبي.

ولما وصلنا إلى (سورة المزمل) انتقلنا إلى محيرقة كالعادة، وكان هناك أحد الأعمام سعد بن عبد الله بن جبرين بن فهد رحمه الله، كان يعلم القرآن ولكن يقتصر على وقت الصيف، حيث يتوارد إلى البلد الكثير من الطلاب، وأما في الشتاء فإن الطلاب يشتغلون في حروثهم وفي أشجارهم ولا يتفرغون للقراءة، فابتدأت أقرأ عليه هنالك، ووجدت بعض الزملاء وبعض الأقارب قد سبقوني بالقراءة عليه، ولكن استمر العم سعد يُقرئني من (سورة المزمل) إلى أن وصلنا إلى (سورة الرحمن)، وكان هذا في أوائل سنة (١٣٦٠هـ).

بعد ذلك رجعنا إلى الرين وابتدأ الوالد يُقرئني وأيضا يعلمني الكتابة أنا وأخي إبراهيم، تعلمنا كتابة الكلمات وما يتصل بها، ولما تعلمنا الكتابة سهل علينا قراءة القرآن في المصحف، كان قد علمنا في هذه المدة وإن كانت قراءة فردية، وذلك لعدم توافر الطلاب الذين يهتمون بقراءة القرآن، فالقرية قرية بواد، والراغبون في القراءة قلة، فكان يُقرئنا أنا وأخي الشقيق إبراهيم رحمه الله إلى أن وصلنا إلى سورة الزخرف.

وفي أثناء قراءتي في المصحف على الوالد وعلى العم سعد، كنت أحفظ ما تيسر لي من القرآن، فحفظت جزء عم وجزء تبارك إلى سورة الصف.

بعد ذلك صعب على الوالد أن يجلس لنا أنا وأخي الشقيق إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ لكثرة مشاغله، فكان عندنا رجل من أهل الجنوب من أحد رفيدة اسمه: سعيد ابن عبدالله الأجهر، وكان قارئًا للقرآن قراءة لا بأس بها، فرغب إليه أهل الرين ليتولى تعليم القراءة، فطلب منه الوالد أن يكمل تعليمنا، فالتزم بذلك، وفرضوا له أجرة عادية على التعليم، وبدأت معه قراءةً من سورة الشورى إلى قرب سورة الكهف.

ثم انتقلنا في الصيف كالعادة إلى محيرقة، ولما انتقلنا كان العم سعد قد ثقل عليه أن يقرئ، فتولى التعليم رجل من الأقارب اسمه: عبدالعزيز بن عبدالله الجبرين، ويقال له: ابن رشيد؛ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يجد في التعليم وإن لم يكن حافظا، وقراءته لابأس بها، ابتدأنا نقرأ عليه من سورة البقرة إلى قرب سورة التوبة، وفي أثنائها جاء أحد الأقارب، وهو عبدالله بن حمد الجبرين، ويقال له ابن حمادة، جد صهرنا حمد بن حمادة، وجد الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز، وكان جيد القراءة، وكان يقرئ الطلاب ويواظب على قراءتهم، واستفدنا من هذين الرجلين كثيرا، حيث قرأنا عليهما من سورة البقرة إلى سورة الأعراف.

وفي نهاية الصيف رجعنا إلى الرين، وتولى سعيد الأجهر تكملة القرآن إلى نهاية سورة الإسراء، وكان ذلك في سنة إحدى وستين في أولها.

كانوا إذا أكمل القارئ القرآن في المصحف عمل أهله وليمة له ولزملائه، كطعام أو ذبيحة أو نحو ذلك، يسمونه: "ختم" يعني: أنه قد ختم القرآن، فعمل الوالد ذلك.

وكان في أثناء ذلك يقرأ ويتدارس معي القرآن أحد الزملاء، وهو عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم المسعد رحمه الله. أ.هـ.[1].

و كان الوالد يحضر مع والده قراءة بعض الكتب، حيث كان جدي يقرأ على الشيخ أبو حبيب في الصباح بعد شروق الشمس نحو ساعة، وكذلك يقرأ عليه بعد العصر وبعد المغرب، فكان يحضر ويستفيد من القراءة.

يقول رحمه الله عن بدايات التعلم[2]: «كانت البداية مع والدي رحمه الله وذلك من حدود سنة ثنتين وستين، عندما ابتدأت أكتب وأقرأ في الكتب، كان الوالد يقرأ على الشيخ أبو حبيب بعد المغرب إلى العشاء، وبعد العصر قراءة في كتاب على الجماعة، وإذا قدر أن الشيخ مسافر أو غائب، وكان الشيخ أغلب ما يسافر إلى بلده الحوطة، يقيم هناك شهرا أو نحوه، فكان الوالد يأمرني أن أقرأ عليه، فكنت أقرأ عليه في الكتب المبدئية.

قرأت عليه الأربعين النووية ولكنه لم يتوسع في الشرح، و قرأت عليه عمدة الأحكام وكان ينبه على بعض الفوائد، وقرأت عليه أيضًا مواضع من الوابل الصيب، ومن كتاب الصلاة لابن القيم، ومن الرسالة السنية للإمام أحمد، قرأت عليه أيضًا مبادئ النحو في الآجرومية، وذكر أنه ما حفظ إلا إلى مرفوعات الأسماء، ولكن البقية أخذها بالتلقي، فعلمنا تعليما كاملا للنحو.

وهكذا أيضًا قرأت عليه الرحبية في الفرائض قريبا من كمالها، وكان له إلمام بها، فكان يقرئنا ويضرب لنا أمثلة للمسائل التي يمكن أنها تقع أو نحوها، ونتعجب أيضًا من قوله: هلك هالك. عندما يريد أن يلقي المسألة: هلك هالك عن كذا وكذا.

(١) انظر موقع الشيخ رحمه الله: http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=32468

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية

في حدود سنة ثلاث وستين وفي حضرة الشيخ أبو حبيب رحمه الله جاء أمر بتعليم العامة ثلاثة الأصول المختصرة، وكان الوالد هو الذي يلقنهم، فكنت أسمع منه، وكان أيضًا يلقننا ويكررها علينا خصوصا إذا كنا في المنزل أو منفردين حتى حفظتها، وصار يكلفني أن ألقنها للناس، إذا قيل لك: من ربك؟، بأي شيء عرفت ربك؟، لأي شيء خلقك الله؟، ما أول شيء فرضه الله عليك؟، إذا قلت مثلا: خلقني لعبادته، ما هي العبادة؟، وهكذا ما دينك؟، وكم أركان هذا الدين؟، وهكذا من نبيك؟، وكم عمره؟، وأين بلده؟، وإلى أي بلد هاجر؟، فحفظنا ذلك في سن الثالثة عشرة أو الثانية عشرة، وأتقنا هذه الأصول».

هذه كانت بدايات تعلمه رحمه الله فوجوده بقرب البيئة العلمية، حيث كان والده طالب علم وكذا وجود الشيخ أبو حبيب، وكذلك الاستعداد للعلم الذي وهبه الله إياه من حب للتعلم وجد فيه وبعد عن اللهو، كان كل ذلك بتوفيق الله معينا على بدايات موفقة في طلب العلم، كانت أساسا لحياة حافلة بالطلب مليئة بالجد والمثابرة.

القرآن أولًا

لقد كان جدي رحمه الله طالب علم يعي ما للقرآن من الفضائل العظيمة، ولذا فقد حرص على تعليم الوالد رحمه الله القرآن وأن يحفظه منذ الصغر.

يقول الوالد رحمه الله[1]: «لا شك أن القرآن أصل العلوم وأشرفها، وأن على طالب العلم أن يبدأ به كما ذكر ذلك العلماء، فقد ذكروا: أن الوالد عليه أن يبدأ أولاده بتعليم القرآن، ولا يعلِّمهم شيئًا قبله، ولذلك كان العلماء يبدؤون أولادهم بحفظ القرآن أولًا».

(١) قصتي في طلب العلم محاضرة جامع الصانع.

ولهـذا كان رحمه الله يحثه علـى حفظ القرآن، وبخاصَّـة أن الأسرة أسرة علـم كمـا مر بنا، فجدي و جد أبي عبدالله و جـدّ جدي إبراهيم وعم الوالد محمد بن عبدالله كلهم كانوا من حفظة كتاب الله[1].

وفيمـا يتعلـق بحفـظ الوالد للقـرآن فقد ذكر أنـه في أثنـاء قراءته في المصحـف على والده وعلى العم سعد بن عبدالله في محيرقة، حفظ جزء عم و بعض جزء تبارك إلى سورة الصف.

وكان جـدي رحمه الله قـد حرص على أن يتـم الوالـد حفظ القـرآن، يقول الوالد رحمه الله[2]: "بقي شيء ثقل عليَّ وهو حفظ القرآن، فألزمني الوالد بأن أبدأ مـن آخر القرآن، فابتـدأت وحفظت إلى أن وصلت إلى سورة الشعراء، يعني نحو اثنـي عشـر جزءا، وضعف نشاطي بعد ذلك، فبقيت أكثر من ثلاث سنين وأنا لم أتقدم، يعني من السن الثالثة عشر إلى السادسة عشر، يرسلني أقرأ في المسجد وليس في المسجد أحد يشجعني ولا أتنافس معه، لأن الجد والاجتهاد إنما يحصل غالبـا إذا كان هنـاك من ينافس ويسابق، فكان وقتي يضيع دون أن أستفيد منه، وأرجع ولم أستفد إلا قليلا، ولكني كنت ملازما لما حفظته أحفظه وأكرره".

ويقـول رحمه الله[3]: "في ريعـان الشباب لم يكن هنـاك حوافز تحمل على الإسـراع في الحفـظ ومواصلـة التعلم؛ لقلة مـن يتولى التعليـم أو من تحمل رؤيتـه على المنافسة والمسابقة؛ حيث نشـأت في قرية الرين النائية عن البلاد المتحضرة، وليس فيهـا دروس ولا معلمون، فأثرت في إضاعة جزء من الحياة نحو خمس سنين لم أتزود فيها بعلم يمكن تذكره".

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ محمد المنجد.
(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.
(٣) الفتوى رقم ٨٥١.



ويقـول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: وطلب العلـم في تلك السنين لم يكن فيـه جديّة؛ إنما يتعلـم الطـلاب وقت فراغهم وكانوا قلـة؛ فالقرية التي كنـا فيها وهي الرين وكذلـك محيرقه ليس فيها طلاب يَجِـدُّون ويجتهدون، فالموجودون إما طلاب قـد كبروا وأسنـوا، ولم ندرك نشاطهـم في الطلب، وإما صغـار لم يكونوا قد بدأوا، أو منشغلون بخدمة آبائهم.

ومعلـوم أن طالب العلـم إنما يجد ويجتهد إذا كان هنـاك من ينافسه، المنافسـة هـي التي تحفز الهمم، وتدفـع إلى الجد والنشـاط في التعلم؛ فإذا كانت البلد خالية من الطلاب الذين لهم نشاط، فإن الطالب المبتدئ لا يكون معـه تلك الهمة، ولذلك كان الآباء يضربـون المثل لأبنائهم فيقولون: يا بني لا يسبقك فلان، احرص على أن تتفوق، كن سابقًا ولا تكن مسبوقًا، فإذا لم يكن هناك من ينافس أو يحمل على الغيرة بردت الهمم والعزائم. أ.هـ.

ويقـول رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: "بعدمـا وصلت إلى السادسة عشـرة شعرت بأني قد مضـى عليَّ وقت وأنـا لم أستفد، فطلبت من الشيـخ أبو حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ، وطلب منـه والـدي أن أبـدأ في القراءة عليـه، فامتنع حتى أكمل حفـظ القرآن، ولما رأيـت أنه من الضروري عكفت على الباقـي الذي هو نحو ثمانية عشر جزءا، وابتـدأت من سورة البقرة، فكنت أجلـس في المسجد من الظهر إلى الليل وأنا أقـرأ وأجد وأجتهـد ولا ألتفت إلى أحد، حتى إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقف عليَّ مرة وأنـا أقرأ في المصحف في سورة يونس، وما رأيت أو أحسست بوقوفه ولم أرفع رأسـي لأنظـر من هو؟، وقف نحو ثـلاث دقائق ينتظر أننـي أكلمه، واشتغلت بالقـراءة مكبـا عليهـا إلى أن كلمني، ورفعت نظـري وإذا هـو فضيلة الشيخ

(١) أجوبة لأسئلة خاصة لدى الشيخ علي أبولوز.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

فكلمنــي بما يريد مني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي نحو ستة أشهر أو قريبا منها أكملت القدر الباقـي عليَّ من القرآن، الذي هو ثمانية عشر جزءا، وأوصاني الشيخ ووالدي أيضًا بأن أكرر وأن لا أتغافل، وكنت ملتزما منذ ابتدأت من سورة البقرة أنني أقـرأ حفظي كل يوم مـرة، إلى أن أكملت عشرة أجزاء وأنا أقرؤه كل يوم، إذا كان في الصبـاح ابتـدأت مـن أول البقرة حتى أكملـه في مجلس، وعندما كثر في مجلسـين أو ثلاثة، ثم بعد ذلك أبدأ من حيـث وقفت في الحفظ، أوصاني والـدي ألا أتملل ولا أتكاسل بل أستمر في الحفظ وفي تعاهد القرآن، على حد قـول النبي ﷺ: **«تعاهـدوا هذا القرآن، فوالـذي نفسي بيده لهـو أشدُّ تفلتًا من صدور الرجال من الإبل في عقلها»**[1].

ولمـا أكملت حفظـه وكان آخر ما حفظته سورة الفرقـان، ابتدأت أكرره وكنت أختمه في كل ثلاث ليال.

في تلـك السنة التي أكملته فيها أمرني الشيخ أن أصلي صلاة التراويح بمسجـد في القرية، وذلك في سنـة سبع وستين، وكنت أصلي بهم من حفظي، وأطيل حتى إني في العشر الأواخر قاربت أن أختم بهم ختمتين" .

وبعـد أن أكمـل الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حفظ القرآن بدأ بطلـب العلم على شيخه الشيخ أبو حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما سيأتينا إن شاء الله تعالى.

وقد سئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل حفظتم القرآن على أحد المجودين أم أن الاجتهاد في الحفظ كان شخصيًا[2]؟!

---

(١) رواه البخاري في باب استذكار القرآن وتعاهده من كتاب فضائل القرآن رقم /٥٠٣٢، ومسلم في باب الأمر بتعهد القرآن من كتاب صلاة المسافرين برقم ٧٩١.

(٢) السائل هو فضيلة الشيخ محمد المنجد، نقلًا من برنامج(عالم أمة)، وهو عبارة عن مقابلة مسجلة قام بها الشيخ محمد المنجد مع شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



فأجاب: كان الحفظ شخصيًا، فلم يكن في القرية أحد يعمل بالتجويد إلا فضيلة القاضي، فإنه كان ممن قرأ على المشايخ علم التجويد، ولكن كأنه لا يعرف القواعد التجويدية إلا في بعض الأحرف كحروف القلقلة ونحوها، وأما القراءة فإنه كان يقرأ مجودًا، وكان يحثنا على تطبيق التجويد، فيقول: هذا يمد كذا، وهذا يجود كذا وكذا.

فمثلًا في آخر سورة الفاتحة قوله: (ولا الضالين) كان يحثنا على مدها كثيرًا، وغيرها من الكلمات، ولذلك لما صليت بهم أول صلاة، لاحظ عليَّ في سورة الفاتحة عدم المد الذي هو المد الطبيعي وكذلك المد المتصل".

وسئل: عن طريقته في حفظ القرآن[1] فقال: "الطريقة المثلى التي كان عليها مشايخنا ومعلمونا هي الجد والاجتهاد، وتكرار الآيات، حتى يتم حفظها، فأحدهم يقرأ الصفحة سبع مرات أو عشر مرات في المصحف، حتى يتحقق من صحة التلفظ بالكلمات، والأولى أن يعرضه على بعض الحفاظ، ثم يقرؤه نحو سبع مرات أو عشرًا، والمصحف معه قد أطبقه، ويفتحه إذا شك في كلمة، أو توقف فيها، ثم يقرؤه بعد حفظه سبع مرات أو عشر مرات، حتى يرسخ في ذهنه، ثم ينتقل إلى الصفحة التي بعدها، ولا يغفل عن هذا المقطع بعد حفظه، بل يكرره كل يوم، ولمدة نصف سنة، ولو بلغ عشرة أجزاء، ثم ينتقل إلى ما وراءه".

أما عن المصاحف التي يقرؤون فيها في تلك الأيام، فيقول الوالد رحمه الله[2]: كانت المصاحف موجودة وإن كانت قليلة، فكان عندنا مصحف يسمونه اسطنبولي وهناك مصاحف مصرية، ولكن الأغلب المصاحف الهندية،وذلك

---

(١) الفتوى رقم /(١٦٠٢٥) بتاريخ ١٤٢٨/٣/٢٠هـ

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الأولى.



لأن الهنـد يطبـع فيها مصاحـف بكميات كبـيرة وتهدى إلى الحـرم، فيكون فيهـا زيـادة فتباع بمكة، فكان الحجـاج يشترونها فيأتون بهـا، ومع هذا فهي غالية وقليلـة، وكذلك هناك الأجزاء، كجزء عم ومعه قاعدة يسمونها قاعدة بغداديـة، فيها أنواع من الإعراب وأنواع مـن الهجاء كما هو معروف، فكانت المصاحف موجودة وإن كانت نادرة".

حياة الطلب

كانـت البذرة التي أنبتت حب العلـم في قلب الوالد رحمه الله ذلك التحدي الذي واجهه به شيخه أبو حبيب رحمهما الله جميعا.

شـرط عليـه أن يحفظ القرآن قبـل بداية القراءة عليـه في كتب العلم، فعكف في المسجد ستة أشهر استظهر خلالها القرآن الكريم.

ومـع أن جدي كان طالـب علم وقرأ عليه الوالد كثـيرا، سواء للتعليم أو للعرض والفائدة، إلا أن حياة الطلب الحقيقية لم تبدأ إلا مع الشيخ أبو حبيب، ولهذا سنعد ما قبل ذلك من مرحلة التكوين الأولى، وليس من مرحلة الطلب.

مرحلة الطلب هي مرحلة الجد والاجتهاد في تحصيل العلم، وهي تحتاج إلى همة وعزيمة وتفرغ، وقبل ذلك إخلاص واحتساب.

وكأني بالوالـد يتمثـل عبـارة للشافعـي سمعها فوعاهـا، يقول رحمه الله عنهـا[1]: "عبـارة للإمام الشافعـي رأيتها مكتوبة، وسمعتها مـن أفواه بعض كبار الأسنان، يقول رحمه الله: العلم بطي اللزام، بعيد المرام، لا يدرك بالسهام،

---

(١) موقع الشيخ رحمه الله: http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=9&book=213&toc=8380&page=7310&subid=32927

ولا يرى في المنام، ولا يورث عن الآباء والأعمام. إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين، وجثا على الركبتين. ولا يحصل إلا لمن قطع المفاوز، ولا يحصل إلا بالاستناد على الحجر، وافتراش المدر، وقلة النوم، وصلة الليل باليوم.

انظر إلى من شغل نهاره بالجمع وليلة بالجماع، أيخرج من ذلك فقيها؟ كلا والله، حتى يعتضد الدفاتر، ويستحصل المحابر، ويقطع القفار، ولا يفصل في طلبه بين الليل والنهار". أ.هـ.

تذكر أختي هيا هذا الدأب، فتقول[1]: "حكت لنا أمي عن أبي رحمهما الله أنه كان قبل مجيء الكهرباء يخرج في الليل إذا كان القمر مكتملًا حتى يقرأ على ضوئه، وإذا كان الشتاء فإنه يخرج أيضًا ويجلس بين برميلين من الحديد حتى لا تؤذيه الرياح الباردة".

كان عمر الوالد رحمه الله عندما بدأ القراءة على الشيخ أبو حبيب سبعة عشر عاما، يقول رحمه الله[2]: "ابتداءنا بالقراءة عليه بعدما اختبرنا في النحو والإعراب، ورأى أنني عندي معرفة".

وقد ابتدأ رحمه الله بالقراءة عليه في كتاب الوابل الصيب[3]، ثم قرأ الكثير من الكتب.

يقول الوالد رحمه الله[4]: "قرأت في كتب مطولة وفي كتب مختصرة، فقرأنا في الكتب المختصرة كتاب التوحيد ولكننا لم نكمله، وفي زاد المستقنع

---

(١) مذكرات الأخت هيا.

(٢) قصتي في طلب العلم.

(٣) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٤) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

ولم نكملـه، وصلنا إلى حدود نصف البيوع أو قريبا من ثلثي كتاب البيوع، وفي النحو الآجرومية وشرحها لخالـد الأزهري، وكذلك الرحبية وشرحها لسبط المارديني.

ونقـرأ في زاد المستقنع فيشرح المتن، ثم نقرأ بعـد ذلك الشرح أنا وابنه ناصر، نقرأ الشرح الذي هو الروض المربع، فيشرح أيضًا ويوضح بعض مسائله.

كذلـك نقرأ في ألفية ابـن مالك في النحو، وكان قد قـرأ فيها إلا أنه لم يكملها، فإذا وصلنا إلى المفعول المطلق المصدر:

المصدر اسم ما سوى الزمان من   مدلولي الفعل كأمن من أمن

نتوقف ونرجع ويقول: إن الباقي فائدته قليلة، فاهتممنا بقراءة أولها.

وأما بقية القراءات فإنها في كتب مطولة، ابتدأت في سبل السلام وكملته قراءة للشرح، وقليل أن يعلق الشيخ عليه، أو يشرح شيئا من جمله، إلا إذا سئل أو كانت عبارة مبهمة أو شيء مما يستنكر.

لمـا مر بقول النبـي ﷺ: «إن ربكم حيي كـريم»[1] ذكر الشارح أن صفة الحيـاء كالصفات الفعلية نؤمن بها ولا نكيفهـا فشجعه على ذلك، وقال هذه طريقة أهل السنة.

والكتـب المطولة التي قرأتها عليه كثيرة، فمنها جامع العلوم والحكم في شـرح خمسـين حديثا من جوامـع الكلم لابن رجب، أقرأ بعـد العصر كل يوم ورقـة أورقتين أو نحوها وقد قرأته كاملًا، وبعـد المغرب أقرأ في كتب التفسير

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود في سننه في باب الدعاء من كتاب الوتر برقم ١٤٩٠. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠٧٠).

فكملت تفسير ابن جرير مع طوله في نحو سنتين، لأنها سردية من بعد المغرب إلى قرب العشاء إذا لم يكن معي من يشاركني، ويكون هناك مستمعون يصل عددهم إلى عشرين من العامة الذين يحضرون، ويحضر بعض الذين عندهم تمكن كالشيخ محمد بن مسعد رَحِمَهُ اللهُ، وأحيانا يكون معي ابن الشيخ ناصر، فإنه يقرأ في تفسير ابن كثير، ويقرأ في الدرر السنية، ويقرأ في تاريخ ابن كثير.

أما وقت القراءة[1] فنبدأ في القراءة بعد الفجر، فنقرأ عليه في المسجد في النحو ولمدة ساعة أو ساعة ونصف، وبعدما تطلع الشمس بنحو عشر دقائق نتفرق لتناول القهوة والأكلة القديمة، يسمونها فك الريق، ويسمونها تريقًا، الذي يسمى الآن الإفطار، وبعد الظهر نقرأ في زاد المستقنع، وبعد العصر يقرأ مجموعة في ثلاثة الأصول وفي شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وأقرأ أنا في شرح الخمسين، ويقرأ ناصر في بعض الكتب، وبعد المغرب إلى العشاء في بيته كله قراءة إلى أن يؤذن العشاء، وهكذا نقرأ كل وقت، والغالب أنها قراءة إمرار، لا يكون فيها تعليق، ويكتفي الشيخ بوضوح المعاني.

وقرأت عليه تفسير ابن كثير، والبداية والنهاية له أيضًا، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومختصر سنن أبي داود، وبعض سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي، وقرأت عليه سبل السلام شرح بلوغ المرام النسخة الهندية، التي جاء بها الوالد من قطر، أكملتها عليه رحمه الله، لكنها قراءة سريعة، وقرأت بعض نيل الأوطار على منتقى الأخبار. أ.هـ.

وكان جل القراءة عليه في كتب الحديث ابتداء بصحيح مسلم ثم بصحيح البخاري ثم مختصر سنن أبي داود وبعض سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي.

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

وكذا قرأ في كتب أخرى في الأدب والتاريخ والتراجم.

وكل هذه الكتب قرأها الوالد على شيخه أبو حبيب في الرين قبل انتقاله مع شيخه إلى الرياض، وبعضها كرر قراءته على شيخه مرارًا، وقد استفاد من ذلك كثيرًا، وحصل على علم كثيروخير وفير.

وكان رحمه الله يذاكر مع أقرانه، ولو غاب الشيخ فإنه يدارسهم يقول[1]: "مما تدارسناه مقدمة الجواب الكافي في آداب الدعاء وشروطه، وفوائده وثمراته".

وقبل أن نختم الكلام على هذه المرحلة من حياة الطلب نقف مع بيئة من البيئات اللطيفة التي كان لها أثر في الصبغة الأدبية التي يحلي الوالد رحمه الله بها علومه، وهي تتلمذه ومجالسته وصحبته للشيخ الأديب الأريب صالح بن مطلق رحمه الله.

وكان الشيخ صالح إمامًا وخطيبًا في إحدى القرى بالرين، وقد قرأ عليه الوالد رحمه الله بعض الكتب في العقيدة والحديث، وحضر مجالسه التي كان يفوق فيها الأكابر والعلماء، ويأتي بالعجائب والغرائب.

كان يذهب إليه راجلًا بصحبة والده رحمه الله، وبعض زملائه للتزود من علمه، والاستفادة منه يومًا أو نصف يوم، وكانت قريته تبعد عنهم نحو ثمانية كيلومترات، وكان يقطعها ماشيا في ساعتين تقريبًا.

وقد صحبه في سفره للحج مرتين، كانت الأولى سنة ١٣٦٩هـ، وهي أول حجة للوالد رحمه الله، وسنذكر تفاصيلها في أثناء الكلام عن حجه رحمه الله.

---

(١) رحيل العلماء خطبة للشيخ محمد المنجد.

ونذكر هنا أن الوالد رحمه الله كان يحرص على استغلال كل لحظة ليستفيد من الشيخ ابن مطلق في أثناء سفرهم للحج، فيقرأ عليه في وقت الصباح قبل الركوب ووقت القيلولة وأوقات جلوسهم عندما يفرغون من بعض أعمال الحج.

وقد استفاد من مجالسته كثيرا، فقد كان أديبًا يحفظ من النظم ما يزيد على خمسين ألف بيت، فضلًا عن الأشعار والمقامات والقصص واللطائف والظرائف والفوائد والفرائد.

الانتقال من الرين إلى الرياض:

في عام ١٣٧٤هـ بدأت مرحلة جديدة من مراحل الطلب في حياة الوالد رحمه الله، وهي انتقاله من الرين إلى الرياض مع شيخه عبد العزيز الشثري أبو حبيب، وقد ذكرت أحداث هذه الرحلة فيما مضى.

وقد استمرت قراءة الوالد على شيخه الشيخ أبو حبيب رحمهما الله حتى توفي أبو حبيب رحمه الله في عام ١٣٨٧هـ في الرياض، ولكنه بعد أن تخرج في الكلّية قلّت قراءته عليه لانشغاله بالتدريس ونحوه.

وقد درس الوالد في الرياض على الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهما الله، وهو من أشهر المشايخ الذين قرأ عليهم ولازم دروسهم، وسنهتم هنا بدراسة الشيخ عليه في غير الدراسة النظامية؛ لأن هذه سنذكرها بالتفصيل فيما بعد.

فقد قرأ الوالد رحمه الله على الشيخ ابن إبراهيم في المسجد في الحديث والنحو والصرف والمصطلح وأصول الفقه وغيرها من العلوم.

وحضـر للشيخ ابـن إبراهيـم دروسا أخـرى، يقـول الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: "كان الشيخ محمد يدرس السنة الرابعة التي أنا فيها، ويدرس السنة الأولى الطلاب المبتدئين، كان يدرسهم ثلاثة الأصول والآجرومية والأربعين النووية، فكنـت أحضر لـه في درس ثلاثة الأصول، فكان يشرحـه ويأتي بفوائد عجيبة يستنبطها من ذلك المتن، وهكذا أيضًا في شرحه للأربعين النووية.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى متوغلًا في علم التوحيد، وحضرنا له درسًا في السوق، وكان إذا انتصـف الضحى جاء إلى السوق وقـرؤوا عليه بابًا من أبواب كتاب التوحيد، ثم يشرحه شرحًا واسعًا، ويتوسع في ذلك الباب.

ومـع أنه لا يوجد هناك مكبر، ولكن أهل السوق يجلسون ويستمعون إلى درسه، وهم متقاربون في ذلك الوقت، لأن الدكاكين صغيرة، وكانت في جنوب وشرق الجامع من بنايته القديمة.

وقـد أعطي ذكاءً وفقهًا في هـذا الكتاب، حتى إنـه يستخرج منه فوائد عديدة زيادة على المسائل التي استنبطها المؤلف، ويشرح الجمل شرحًا بليغًا، ويطبقهـا على الواقع، وأتذكـر أنه قُرئ عليه باب احـترام أسماء الله تعالى، وتغيـير الاسم لأجـل ذلك، وفيه حديث أبي شريح؛ أنـه كان يكنى أبا الحكم، فبعـد ما شرح الباب قال: إن النـاس يتساهلون في هذه الأسماء، فيسمون بما يقـرب من أسمـاء الله تعالى، ثم قال: إن من الناس مـن يسمي عبد العزيز: عِزَيِّز، ويسمون عبـد الرحمن: دِحَيِّم، وأخذ يمثل بمثل هذه الأسماء، وهذا لا يجوز، فإن ذلك تغيير لأسماء الله، وأسماء الله يجب أن يكون لها مكانتها. ولما تكلـم على باب ما جاء في المصوريـن، كان التصوير قد ظهر في ذلك الوقت،

---

(١) محاضرة للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعنوان: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ومنهجه في التعليم.

فأخـذ ينكر على الذين يتوسعون في التصوير، بأي نوع من أنواع التصوير، ثم استطـرد وذكـر ما انتشر من الكتب المليئة بالصـور، فذكر أنها كتب لا فائدة فيهـا، ولا أهميـة لها، ومع ذلك يوجـد في جوانبها كثير مـن الصور، وكذلك المجـلات، وأخذ ينكرها، وقد استجاب لذلك كثير من الذين سمعوهُ، فرجعوا ومزقوا ما عندهم من الصور.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يقوم بإلقاء درس في مسجده وقت العشاء بين أذان العشاء والإقامة، يقرأ عليه الشيخ عبد العزيز بن شلهوب رحمهما الله، يقرأ في تفسير ابن جرير قطع منه شوطا في هذا الوقت القصير، يكون له تنبيهات على هذا التفسير وإلقاء فوائد، فكنا نحضر لأجل أن نستفيد".

وقـد لازم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ملازمةً تامة، وصار من أبرز تلامذته في تلك المرحلة، وكتب عنه الكثير من شروحه وأماليه القيمة كما سيأتي.

وكان في المســاء يحضــر دروسا لسماحة الشيخ عبـد العزيز بن باز بعد العصر وبعد المغرب، ففي سنة أربع وسبعين تولى الشيخ ابن باز إمامة الجامع الكبير فأحياه بالدروس.

يقـول الوالد رحمه الله[1]: "كنا نحضر بعد العصر، وكان رحمه الله يقرأ عليه مجموعـة من الطلاب عبد الرحمن بن مقرن في صحيح مسلم وشرحه للنووي وبلـوغ المرام، ويقـرأ عليه بعضهـم قراءة خاصـة حفظا، العقيـدة الواسطية يشرحها أيضًا لبعضهم، يقرأ عليه الشيخ فهد بن حمين إعلام الموقعين، يقرأ عليـه مجموعة في كتب متفرقة، فمنهم من يستمر ويواصل، ومنهم من ينقطع

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.



فتحضر ونستفيد، وبعد المغرب يجعله للفرائض، وكان متوغلا في علم الفرائض، فيبدأ بشرح الجمل التي يريد أن يسأل عنها الطلاب، الذين قد يزيدون على الثلاثين، ثم إذا انتهى من شرحها أخذ يلقي عليهم أسئلة فرضية".

وحضر مجالس سماحة الشيخ عبدالله بن حميد منذ أن قدم الرياض، واستفاد منه كثيرا في الأحكام والقصص والعبر والتاريخ والنصائح، كما هو مشهور بذلك[1].

وفي سنة خمس وسبعين أمرهم الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن يقرؤوا على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في الأصول، يقول رحمه الله عن ذلك[2]: " قرأنا عليه الورقات إلا أننا لم نكملها، وسبب ذلك توسعه، كان يقول لنا: ما رأيت هذه الورقات ولا قرأتها قبل ذلك، ولكن معانيها و عباراتها نعرفها في كتب الأصول الأخرى، لأن الذي ألفها أمام الحرمين الشافعي، ولم تكن كتب الشافعية متوافرة عندهم في المغرب ولا في أفريقيا، لأن الشائع عندهم هو المذهب المالكي.

كنا إذا انتهى من شرح جملة طلبنا منه أن يملي علينا ملخصا فأملى علينا، ولا يزال ملخصه موجودًا عندنا ، وكان له محاضرات أو دروس بمسجد الشيخ محمد بن إبراهيم، يلقي فيه محاضرات في تفسير القرآن، نحضر عنده ولا نستطيع أن نتابعه، وذلك لما رزقه الله من الحفظ وسرعة البديهة وسرد الشواهد وما أشبهه".

---

(١) ترجمة الوالد في موقعه الإلكتروني.
(٢) قصتي في طلب العلم.

التعليم النظامي

ذكرت أنه رحمه الله في عام ١٣٧٤هـ قدم من الرين إلى الرياض مع شيخه عبد العزيز الشثري أبو حبيب، الذي طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم ليكون مدرسا في معهد إمام الدعوة، وقد جلب الشثري معه بعض تلاميذه وألحقهم بهذا المعهد.

وقد سعى الشيخ ابن إبراهيم لإنشاء أحد المعاهد العلمية، وسماه بـ (معهد إمام الدعوة)، وجعله متمحضا للعلوم الشرعية، ودعني أسوق لك من كلام الوالد رحمه الله قصة بدايات هذا المعهد ودراسته فيه، يقول عن ذلك[1]: "عندما أتيت إلى الرياض في سنة أربع وسبعين، وذلك بعدما فتح المعهد العلمي[2]، وانتظم فيه خلقٌ كثير، وبقي آخرون أغلبهم من المكفوفين لم يلتحقوا بالمعهد؛ وذلك لأن فيه علومًا لا تناسبهم وتصعب عليهم؛ فعزم الشيخ رحمه الله على أن يفتح معهدًا خاصًا.

جئنا في أول شهر صفر أو في وسطه، وكان لم يتم في ذلك الوقت تأسيس المعهد، بقينا مدة ننتظر، وكان أول ما جلس الشيخ محمد رحمه الله أن جلس بعد صلاة الفجر واجتمع حوله الكثير من الطلاب، جلسنا معه، وإذا هو يذكر لنا عزمه على هذا المعهد، وقال: إن هنا هؤلاء التلاميذ لم يرغبوا في المعاهد العلمية، لأن فيها علومًا لا تناسب كعلم الجغرافيا ويسمى التقويم وعلم المطالعة والإملاء والمحفوظات وما أشبه ذلك، وأن هذا المعهد سيكون خاصًّا بالعلوم الشرعية، وذكر أنه يشتمل على عشرة فنون، وأخذ يعددها بأصابعه

(١) هذه المعلومات مستقاة ومنسقة من "برنامج صفحات من حياتي، وترجمة الشيخ في موقعه الإلكتروني، ومحاضرة قصتي في طلب العلم، وبرنامج ابن جبرين عالم أمة للمنجد".

(٢) يريد معهد الرياض العلمي، فإنه افتتح قبل معهد إمام الدعوة.

-ونحن ننظر-: التوحيد والعقيدة والفقه وأصول الفقه والحديث والمصطلح والتفسير وأصول التفسير والنحو والفرائض، لا يخرج عن هذه العلوم، ثم ذكر أنه صنف الطلاب إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الذين هم متفوقون، ولهم سابق قراءة يكونون في السنة الرابعة.

وبعدهم طلاب قريب منهم في السنة الثالثة.

وبعدهم طلاب أيضًا معهم مبادئ في السنة الثانية.

وأغلب الطلاب في السنة الأولى، وإن كان فيهم أيضًا بعض التلاميذ المتفوقين.

ثم قرر أن الشيخ أبو حبيب يدرس السنتين الثانية والثالثة.

والتزم هو رحمه الله بأن يدرس السنة الرابعة والسنة الأولى الذين هم الأكثرية.

في السنة الأولى من افتتاح المعهد سنة أربع وسبعين كانت الحلقات كلها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان يسمى قديمًا: مسجد عبدالله، وهو ملاصق للمحكمة الكبرى القديمة.

ثم في السنة الثانية في سنة خمس وسبعين جعلوا الدراسة في المعهد الذي يُعرف بمعهد إمام الدعوة، ولا يزال يحمل هذا الاسم، وكان مكانه بقرب مبنى المحكمة العامة في وسط الرياض.

ولما كان عندنا مبادئ علوم أسقطوا عنا القسم التمهيدي، وكان المعهد عشر سنوات سنتين تمهيدي وأربع سنين ثانوي وأربع سنين عالٍ يعادل الكلية، فانتظمنا في القسم الثانوي.

شيخنا المعتمد هو محمد بن إبراهيم، كان يجلس لنا كل يوم ما عدا يوم الجمعة، نقرأ عليه بعد الصباح إلى أن تنتشر الشمس الساعة الثانية بالتوقيت العربي، قريبا من الساعة الثامنة صباحًا.

هـذه دروس الشيـخ في الصبـاح، وتحتسب حصتين بعـد صلاة الفجر مباشرة.

كنت أنا في السنة الرابعة، واستمر الشيخ محمد يدرسنا لمدة ثمان سنوات، نقرا أولا في زاد المستقنع وشرحه الروض المربع، كملناه في المرحلة الثانوية، ثم أعـاده علينا في المرحلة التخصصية العالية فكملناه مرتين، وكان يكلفنا بحفظ الـزاد، وإن كان بعضنـا قد يعجز، ويكلفنـا أيضًا: بحفظ بلوغ المـرام، وقرأناه أيضًا مرتين في المرحلة الثانوية والمرحلة العالية، كذالك في العقيدة قرأنا عليه الواسطيـة والحمويـة، وكذلك فتح المجيـد بأكمله، وكتاب الإيمـان لابن تيمية وشرح ابن أبي العـز للطحاوية،، وكان يشرحه شرحًا متوسطًا، وكان يعلق على الجملة أو على المقطع تعليقًا خفيفًا؛ وذلك لأنه يثق بأنه ظاهر، وأن هذا الكتاب إن شرحـه شرحًـا موسعًا فسيطول، وقـد كان بعض زملائنـا يتابعونه بالكتابة منهـم الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، فإنـه سريع الكتابة يكتب كلام الشيخ ولا يفوته إلا القليل، حتى ذكر أنه لما شرح الشيخ الحموية كتب شرحه في نحو أربعة وعشرين دفترا، الدفتر فيه أربعون صفحة، وكان يكتب بقية الشروح الحديث والفقه وغير ذلك قل أن يفوته شيء، وأما البقية فإنما يكتبون الفوائد النـادرة على هوامش الكتب وفي دفاتر، وقد كتبت أنـا في دفاتر كثيرة ماتيسر من الفوائد، أكتب صفحة الكتاب وكذلك أيضًا رقم الحديث في البلوغ، ثم أكتب مـا تيسـر عليه، وتوجد عندنا هذه الدفاتر التي بهـا الفوائد، أو أعلق في الكتب الـكلام الذي نتلقاه من مشايخنـا الشيخ محمد ابن إبراهيم أو الشيخ ابن باز، وكذلك أيضًا بعض المشايخ الذين ألقوا علينا.

وقد استمر سماحته في التدريس حتى أنهينا القسم العالي في آخر سنة ١٣٨١هـ؛ حيث توقف عن التدريس الرسمي، وانشغل بالإفتاء ورئاسة القضاء.

وبالنسبة إلى دروسه معنا فإنه رحمه الله قد أسند إليه أعمالًا كثيرة، فأسند إليه رئاسة الإفتاء وكان يداوم فيها غالب الأوقات، وكذلك رئاسة القضاة كانت تأتيه أمور القضاة ومعاملاتهم، وأسندت إليه رئاسة المعاهد والكليات، فكانت مرجعها إليه.

ولا شك أنه مع كثرة هذه الأعمال قد ينشغل قلبه ويحدث له شيء من القلق ومن التعب ومن السآمة مع كثرة الأعمال التي ترد إليه.

ولأجل ذلك نرى تأثير ذلك في دروسه، فأحيانًا يكون متفرغ البال، فارغ القلب منشرح الصدر، فنرى في دروسه العجائب، بحيث إنه إذا شرح الحديث يستطرد ويذكر أمثلة، ويذكر ما يتعلق به، وما يستنبط منه.

وبعد درسي الفجر للشيخ محمد بن إبراهيم نذهب إلى منازلنا لتناول الفطور، ثم نرجع بعد ساعتين أو ساعة ونصف، ونتلقى بقية الدروس في المسجد.

ويأتينا مدرسون من أشهرهم: إسماعيل بن محمد الأنصاري وحماد بن محمد الأنصاري.

كذلك الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد الذي درسنا أربع سنين في الفرائض، لأنه المؤلف لكتاب عدة الباحث في الفرائض.

كذلك أيضًا من المدرسين المتعاقدين: عبد الحميد بن عمار جزائري درسنا في التفسير سنتين في تفسير الجلالين وفي تفسير ابن كثير.

و محمد البيحاني حضرمي يدرسنا في الحديث.

وأكثرهم ملازمة لنا الشيخ إسماعيل الأنصاري، فإنه الذي لازمنا من سنة خمس وسبعين إلى سنة إحدى وثمانين.

درسنا عليه تفسير الجلالين، ويحضر معه أيضًا تفسير ابن كثير لنرجع إليه.

ودرسنا عليه الحديث بلوغ المرام.

ودرسنا عليه النحو.

درسنا عليه في أصول الفقه الورقات وشروحها، وكان يلخص لنا الدروس.

ودرسنا عليه في الصرف لامية الأفعال لابن مالك.

وفي المصطلح نخبة الفكر وألفية العراقي، يقرأ علينا من الشروح، ويضرب لنا الأمثلة، ويوضح ما فيه إشكال.

وفي سنة خمس وسبعين قرروا أننا نقرأ على شيخنا عبد العزيز بن باز في المصطلح نخبة الفكر، فالتزمنا بأن نحفظها ونقرأها، وألقى علينا فيها اختبارًا هو الذي يصحح ذلك.

وكذلك أيضًا اختبار الحديث أسند إليه وضع الأسئلة في بلوغ المرام، تعرف من الأسئلة أنه رَحِمَهُ اللَّهُ واسع العلم، يسأل عن استنباطات قد لا يتفطن لها إلا الأذكياء والأقوياء، ولكن نكتب عليها ما تيسر مما يدل على عمق غوره ومعرفته بالاستنباطات من الأحاديث رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

وقرأنا عليه قراءة نظامية في سنة سبع وسبعين في كتاب بلوغ المرام، وكان يشرح لنا شرحًا وافيًا، ومعنا محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ كان سريع الكتابة نحن لا نكتب إلا الفوائد القليلة التي تعرض والتي نتمكن من كتابتها، وأما

الشيخ محمد فإنه سريع الكتابة فكان يكتب كلامه بحسب ما يقدر عليه، ولم تكن هناك مسجلات متوافرة.

اختبرنا تلك السنة اختبارين: اختبارا نصفيًّا، واختبارا نهائيًّا، ولما انتهينا من الاختبار النهائي وإذا عددنا قليل يمكن أنهم ثمانية، فكأن الشيخ محمد بن ابراهيم تقالهم، ذلك لأنه في تلك السنة اشتدت الحاجة إلى نصب قضاة، وأخذ منا نحو نصفنا أو ثلثينا نصبوا قضاة.

كان منهم الشيخ محمد بن جابر رحمه الله تولى القضاء في المستعجلة، والشيخ إبراهيم النغيمشي رحمه الله تولى القضاء في الحريق، والشيخ إبراهيم الخنيزان رحمه الله اشتغل بالتعليم، والشيخ محمد بن صالح السحيباني رحمه الله تولى القضاء في بلاده البدائع.

لما انتهينا من الاختبار النهائي قال الشيخ محمد: يصعب علينا أن نجعل لكم سنة خامسة، ولكن تبقون في سنتكم ونضم إليكم خريجي السنة الثالثة ليكونوا معكم،فبقينا في رابعتنا وواصلنا الدراسة إلى أن أنهيناها في سنة ست وسبعين، كنا أربعة عشر طالبا، وأعطونا مؤهلات (شهادات)، وكان ترتيب الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله الأول، وكنت أنا الثاني".

يقول الوالد رحمه الله معللا تفوقه: "ويرجع ذلك إلى تفرغي وإكبابي على الدراسة، مع انشغال زملائي بأهاليهم وأمورهم الخاصة، مع أن في زملائي من يفوقني في السبق والذكاء وكثرة المعلومات". ولعل هذا من تواضعه رحمه الله.

وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله معجبًا بالوالد رحمه الله، حتى إنه طلبه تلك السنة التي تخرج فيها لتولي القضاء، ولكن الوالد اعتذر بالدراسة

والشـوق إليها، وأنه يريـد أن يكمل مسيرته العلمية، وسنذكر قصة طلبه للقضاء في موضعها إن شاء الله تعالى، ففيها لطافة ودلالة على الورع وحب العلم.

شهادة الماجستير:

في عـام ١٣٨٨هـ انتظـم الوالـد رحمه الله في المعهد العالي للقضـاء لدراسة الماجستير، ودرس فيه ثلاث سنوات حتى عام ١٣٩٠هـ؛ حيث منح درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وكان عمره إحدى وأربعين سنة.

يقول رحمه الله عن هذه المرحلة(١): "كانت الدراسة فيه ثلاث سنين دراسة قويـة، بحيث إنهم يدرسـون كتبا طويلة كبيرة في السنـة الأولى، كان يدرسنا الشيخ مناع القطان رحمه الله دراسة موجزه في بعض المواضيع، و دراسة موسعة، وحيـث إن المعهد إنمـا وجد للعلـوم القضائية فاسمه المعهد العـالي للقضاء، فيبحـث في المعامـلات وفي العقـود وفي الأنكحـة، والمشايـخ الذيـن درسونـا معروفـون، وأشهرهـم الشيخ عبـد الـرزاق عفيفي رحمه الله، وسماحـة الشيخ عبـدالله بـن محمد بـن حميد رحمه الله في الفقه طـرق القضاء، وكنـت أتابعه وأكتب ما يقوله، وقد استفدت كثيرا من كتابة دروسه، وذلك أنه كان يختصر، ولكنـه يستوفي ويذكر الراجح مـن الطرق التي هي طرق القضاء، وكيف يكون قاضيا، ومتى يقضي؟ وما أشبه ذلك.

في سنـة تسعـين أو تسع وثمانين جاءنا الشيخ محمـد الأمين الشنقيطي كانتداب، وألقى علينا دروسا في أصول الفقه، وأخذ يتوسع في الأدلة والشواهد مما يدل على تبحره في هذه العلوم.

---

(١) راجع صفحات من حياتي الحلقة الرابعة وترجمة الشيخ في موقعه الإلكتروني وقصتي في طلب العلم.

أنهينا الدراسة في سنة تسعين، وكان يكلف كل طالب أن يكتب رسالة، فكتبت رسالة بعنوان:أخبار الآحاد في الحديث النبوي، وأشرف عليها الشيخ عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ، والذين ناقشوها الشيخ مناع القطان والشيخ حسنين مخلوف ولم يشددوا في المناقشة، وذلك احتراما للشيخ عبد الرزاق، وجعلوا النتيجة تسعين يعني امتياز بحمد الله، وكتبوا عنها تقريرا مفيدا، مع أن البحث كتب في مدة قصيرة، ولم تتوافر لديَّ المراجع المطلوبة، وقد لقيت مشقة في البحث عن مواضع المسائل، واضطررت إلى الاختصار رغم سؤال المشرف وغيره، وقد طبع عام ١٤٠٨هـ في مطابع دار طيبة ثم أعيد طبعه مرارا، وهو موجود مشهور، وكنت أتمنى أن أتوسع فيه ولم يتيسر، ولو أردنا التوسع فيه لوجدنا مجالا، وذلك لأنا ابتلينا في هذه الأزمنة بمن يكذب بأخبار الآحاد، وقد حملني على الكتابة فيه محبة الحديث وفضله، وما رأيته في كتب المتكلمين والأصوليين من عدم الثقة بخبر الواحد، سيما إذا كان متعلقا بعلم العقيدة، وقد رجحت قبوله في الأصول كالفروع". أ.هـ.

شهادة الدكتوراه

وفي عام ١٤٠٠هـ سجل رَحِمَهُ اللَّهُ في كلية الشريعة لدراسة الدكتوراه وانتهى منها عام ١٤٠٧هـ، وحصل على درجة الدكتوراه، ومنح الدرجة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وقد حصل على هذه الدرجة وعمره ثمانية وخمسون عامًا.

كان المشرف الدكتور عبد الله الركبان، ولجنة المناقشة مكونة من سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة حاليًا، والشيخ صالح ابن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقًا.

يقـول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن هذه المرحلـة[1]: "في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وألـف رأيت أني أقوم بتحقيق شرح الزركشي على مختصر الخرقي، وهو أشهر شروحه التي تبلغ الثلاثمائة بعد المغني لابن قدامة، وكان آل الجميح قد رغبوا في طباعتـه فأشار عليَّ بعض الإخوة أن أسجله كرسالة للدكتوراه، وقبلت ذلك كلية الشريعة، واشتغلت بتحقيقه ولما وصلت إلى كتاب النكاح وإذا هو كبير طلبت من الكليـة الاكتفاء بهذا ووافقوا على ذلك، ونوقشت كرسالة، المشرف أخونا الشيخ عبـد الله بن ركبان، وذلك لأنه سبقنا بأخذ الدكتوراه بنحو ثمان سنين أو أكثر، وأشرف علينـا وكان يدقق في الملاحظات ونتنزل على رغبته، ناقشنا فيه الشيخ عبدالعزيـز بن عبـدالله آل الشيخ والشيخ صالح بن محمـد اللحيدان، ووافقوا علـى منحي درجة الدكتـوراه، وبعدما حصلت المناقشـة اشتغلت بتكميل الكتاب فحققـت بقيتـه الذي هو كتاب النكاح وما بعده وطبـع في مطابع شركة العبيكان للنشـر والتوزيع في سبعة مجلدات كبار، وقد تكرر طبعة ثلاث مرات وتم توزيعه وبيعه في أغلب المكتبات.

يقـول الشيـخ أحمد عبدالرحمـن الكوس مـن الكويـت [2]: "أذكر أني حضرت مناقشة رسالته للدكتوراه في عام ١٤٠٧هـ في كلية الشريعة بالرياض بمنطقـة البطحـاء، ووقتها احتار الطلاب من سيناقشـ العلامة ابن جبرين في رسالتـه للدكتـوراه؟، وقيل وقتها: إن سماحة المفتـي الشيخ ابن باز هو من سيناقشـه، ولكن بعـد ذلك تبين أن هيئـة المناقشة كانت مكونـة من سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتي المملكة حاليًا والشيخ صالح اللحيدان، وقد حرصـت على التبكير للحضور، وما أن دخلت قاعـة كلية الشريعة فما هي إلا

(١) انظر: قصتي في طلب العلم.

(٢) http://www.alwatan.com.kw/Default.as...&AuthorID=1041

دقائق معدودة فإذا هي تمتلئ ولا يجد بقية الطلاب مكانًا للجلوس، وقد بدأت المناقشة من خلال بعض الأسئلة الشكلية، وبعد نصف ساعة على ما أذكر انتهت المناقشة تقديرًا للشيخ ابن جبرين ولمكانته وعلمه والثقة به، حيث لم يتم التدقيق والاسترسال في التفاصيل، ونال الامتياز مع مرتبة الشرف".

لقد جمع رحمه الله بين مختلف طرق التعليم قديمها وحديثها، ووفقه الله للحصول على الشهادات العليا ولم يكن بحاجة إليها لا وظيفيًّا ولا معنويًّا، ولكن همته في الوصول للمعالي كانت تسوقه إلى كل مجال فيه تميز وفائدة.

صداقة الكتاب

الكتاب هو أنيس طالب العلم وأنسه، بل هو طعامه وشرابه، ولقد كان للكتاب في حياة الشيخ الوالد رحمه الله حظوة وحضور، سواء للتعلم أو للفائدة أو للاطلاع أو للفحص والتقويم أو للتسديد والتقديم.

وسنخصص الحديث في هذا الموضوع عن القراءة الفردية، التي لايقصد بها طلب العلم على المشايخ والمذاكرة الخاصة بذلك.

ولنبدأ في صحبة الوالد رحمه الله للكتاب من أوله، ففي أيام الصبا والشباب كان الوالد رحمه الله محبًّا للكتب يأنس بها أكثر من أنسه بمجالس الناس وأحاديثهم، يحدث رحمه الله عن ذلك فيقول: «كان الوالد عنده مكتبة تحتوي على مجموعة من الكتب، بعضها عن آبائه وأجداده، من كتب الجد الأعلى حمد بن جبرين رحمه الله، بقية كتبه التي كان يكتبها، كسنن أبي داود نسخة خطية، وجزء من بهجة النفوس مطبوع، ولكنها طبعة قديمة ونسخة مخطوطة أيضا، وكذلك تفسير ابن كثير ولكنه مختصر مخطوط، والروض

المربع مخطوط أيضا، وكتب أخرى في فنون متعددة، وكذلك أيضًا خطب كان يخطب بها العم محمد رحمه الله، والجد عبدالله، وأبو الجد إبراهيم، لهم رسائل ينقلون بها خطبا إما إنهم ينشئونها، وإما إنهم ينقلونها من كتب أخرى، وقد ضاع كثير منها، وهكذا كان الوالد يشتري كتبا قديمة أو حديثة، حتى حصل على مكتبة ضخمة، وكنت في حال غيبته أعكف على القراءة في هذه الكتب، أقرأ في سيرة ابن هشام وأعجب بما فيها من سيرة النبي ﷺ وعلامات النبوة التي يذكرها، وفي سبل السلام وسنن أبي داود، وقد قابلته على مختصره الذي اختصره المنذري،ووجدت تفاوتًا في مواضع تقديمًا وتأخيرًا، هكذا هذه قراءتنا الفردية تحصلنا فيها على فوائد كثيرة». أ.هـ.

هذه كانت البداية ونشأت بعدها علاقة حميمة بين الوالد رحمه الله والكتاب، وكل من صحبه بل من عرفه لاحظ هذا الشغف بالقراءة والإقبال على المطالعة في الكتب.

تقول أختي هيا في مذكراتها: «يشهد له أقرانه منذ صباه بزهده في اللعب معهم وحبه الشديد للكتب، فكانوا يسخرون منه ومن كتبه ولم يكن يلقي لسخريتهم بالًا.

مع أنه يتهم نفسه بالفتور والتقصير في طلبه للعلم. لكن الواقع ينفي ذلك. فما أن يرى كتابًا مع أحد حتى يأخذه وينشغل به ويقلبه.

أذكر أنني رأيته يُهدى له كتاب في الحديث ففرح به وسأل عن مؤلفه، وجلس يقرأ فيه ونسي من حوله، وكنا جئنا للسلام عليه، فقالت إحدى الحاضرات لمن أهدى الكتاب: لم تهديه الآن؟ الآن لن يكلمنا، بل سيغوص في كتابك هذا، لكنه أغلق الكتاب بسرعة لما سمعها، وقال: نعم.. ماذا عندكم؟

وكان في أسفاره معنا لابد أن يصطحب حقيبة للكتب، ويجعلها بقربه في السيارة. ويقرأ منها في أثناء الطريق كله، حتى يحل الليل ثم يغلق كتابه.

وعندما نكون في نزهة أو في البر يجلس معنا قليلاً، ثم يأخذ كتبه إلى ظل شجرة أو صخرة ويجلس مع كتابه ليؤنسه، وليس معنى ذلك أنه كان عازفًا عن أهله، بل كان ضنينًا بوقته حريصًا عليه».

ومشهد الانفراد في ظل صخرة أو جدار أو شجرة يرى منه كثيرا رحمه الله في النزهات البرية وفي أثناء الذهاب للمزارع أو القرى في العطل والأعياد، ومن أعجبها صورة تداولها الناس في الإنترنت، وكنا في موسم الربيع في جنوب المملكة وكانت الأشجار والأزهار والأطيار تغري بالفرجة عليها والتنزه فيها، ولما اكتمل نزولنا وانشغلنا في تهيئة المكان وإعداد الطعام، أخذ سجادة صغيرة وفرشها تحت شجرة كبيرة واستند إليها، وودع من حوله وغاص في بحر الكتاب الذي معه.

أما في السيارة فإن ذلك ديدنه يحدث الأخ أبو طلحة واسيني، وهو فرنسي أصله من الجزائر كان مع الشيخ ابن باز رحمه الله، وبعد وفاته طلب أن يرافق الوالد رحمه الله، وكان يقوم بالتسجيل لدروسه ومحاضراته وقد صحبه في رحلاته كثيرا: «أذكر مرة كان معه كتاب يصل إلى خمسمائة صفحة، وكنا في إحدى الرحلات إلى الشرقية لمدة يوم واحد لمحاضرة هناك، فلما رجعنا إلى البيت قال: الحمد لله على السلامة، ورأيت الشيخ وضع الورقة في وسط الكتاب وكان لما ذهبنا في بداية الكتاب».

ويذكـر الأخ عبدالله بن سعـد الحوطي[1] مدير مكتبه في رئاسة الإفتاء وكان رافقـه في رحلـة لمدينة المجاردة في جنوب المملكـة أنه كان يقرأ في كتاب كبير الحجم، تبلغ عدد صفحاته أكثر من ألف، فكان يقرأ فيه من بداية رحلته في الطائـرة وفي السيارة في أثناء التنقل من مـكان لآخر وفي مقر إقامته ليلًا عند النوم، وكان هذا الكتاب من تأليف الشيخ عبد العزيز بن ناصر المسيند، وعنوانـه: القول المبين في معرفة ما يهـم المصلين. أعطاه له المؤلف ليصححه ويقدم له.

وأما في البيت فلا تسل عن الساعات الطوال التي يقضيها مع الكتاب.

لـما استقر في بيت السبالة اتخـذ غرفة كاملة في السطح مكتبة له، وقام بجلب نجار ليفصل له أرففا ففصل له أرففا خشبية على هيئة أرفف المكتبات التـي تصف فيها الكتب أي دون أبواب، وكانت عالية إلى السقف لتتسع لكتبه الكثـيرة، ولـذا اشترى سلمـا ليصعد عليـه إذا أراد جلب كتـاب من الأرفف العالية، وما زلنا نحتفظ بهذا السلم ذي الذكريات الجميلة.

وكان معظم وقته إذا لم يكن في التدريس في هذه المكتبة، يجلس في داخلها أو يستنـد على الباب أو يستند على جدارهـا الخارجي، يحكمه في ذلك النهار والليل والصيف والشتاء، حيث لا يوجد في تلك الأيام تكييف ولا إضاءة مناسبة.

وكان وجود هذه الغرفة في السطح يوفر له هدوءًا وبعدًا عما يشغله.

وبعد انتقاله لحي شبرا جعل المكتبة في أكبر غرف المنزل، ثم بعد مدة ضم لها أخرى وصار يجلس فيها على مكتب وكرسي متواضعين، ثم لما افتتح المكتب

---

(١) ابن جبـرين.. صـرحنـا الـذي هــوى. مقال في جريدة عكاظ الخميس١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ ٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢.الميس ١٥/٠٨/١٤٣٠ هـ



في الدور الأرضي من منزله رحمه الله، جعلنا له مكتبًا خاصًا ليجلس فيه، فحوله مكتبة للبحث، وبعد أن تزوج أولاده وخلا البيت أصبح يجلس في هذا المكتب إذا أراد البحث والمراجعة، ويقرأ في الصالة التي في منزله المجاور للمكتب إذا أراد مجرد القراءة التي لا تحتاج لمراجع، وكانت تنتشر كتبه في الصالة، حيث وضع رفا صغيرًا وطاولة صغيرة ذات أدراج، يضع عليها الكتب التي يقرأ فيها، وأصبح يقضي معظم الضحى في القراءة، ويقرأ قبل النوم حوالي الساعتين.

يقول رحمه الله [1]: «في هذه السنوات أحب أنني أقرأ في بعض الكتب لتصحيح أو لتقديم لها أو نحو ذلك إلى قرب الساعة الثانية عشرة ليلًا، وأحيانًا قبله بقليل، وأحيانًا بعده بقليل أما القيام آخر الليل فإنه قليل، وبالأخص إذا كان الليل قليلا كهذه الليالي، قد يوفق الله وأقوم قبل الأذان بربع ساعة أو بنصف ساعة وقد يغلبنا النوم، ثم ألقي الدروس التي بعد الفجر إلى قرب الساعة الثامنة أو السابعة والنصف، ثم أريح نفسي ساعتين أو قريبًا منها، ثم بعد ذلك أشتغل بتصحيح أو ما أشبهه».

ويقول [2]: «في هذه السنوات الأخيرة يعني من نحو اثنتي عشرة سنة أو خمسة عشر قمت بتصحيح الرسائل والكتب التي سجلت من محاضراتنا ومن كتاباتنا، وهي تشغل وقتًا بعضها حققه أخونا علي أبو لوز، وبعضها حققه غيره، وهذه لا شك أنها تشغل وقتًا في التصحيح.

كذلك أيضًا يلح علينا كثير من الشباب ومن الإخوة إذا ألف أحدهم رسالة أن أقدم لها، فلا أقدم لها حتى أقرأها كلها، وهذه أيضًا تأخذ وقتًا في قراءتها ثم في الكتابة عليها.

---

(١) قصتي في طلب العلم جامع الصانع.

(٢) المصدر السابق.

كذلك تعرفون أني لا أزال أشرف على الرسائل التي تطبع في مجلة البحوث، أشترك مع بعض زملائنا الذين هم أحمد الدويش ومحمد الشويعر ورئيس المجلس الذي هو عبدالعزيز بن عبد المنعم هؤلاء توزع عليهم شهريًا أو كل شهرين بحوث يتقدم بها أصحابها إلى المجلة، ويأمروننا بأن نقرأها ونكتب الملاحظات، هل هي صالحة أو ليست صالحة؟ وهذه أيضًا تأخذ وقتًا، وكذلك أيضًا بعض الرسائل التي يكون فيها ملاحظات يردونها إلى صاحبها، ثم بعدما يصلحها يكلفوني أنا بالنظر في تلك الإصلاحات، وهذه أيضًا تأخذ وقتًا.

وأكثر ما يشغلنا الآن الكتب التي قام بكتابتها أو نسخها بعض التلاميذ، ومن أهمها شرحنا على عمدة الأحكام، وكنا قد شرحناه في مسجد الراجحي الذي في الربوة قديمًا وسجل في تسجيلات وفرغ بعد ذلك.

وأيضا شرح منار السبيل وكان من الذين سجلوه أو كتبوه أخونا عبدالعزيز السدحان وغيره من الذين حرصوا على تسجيله، ثم نحن الآن نريد أن نسعى في تكميل طبعه، حيث طبع منه الجزء الأول الذي هو قسم الطهارة، وهذه لا شك أنها تشغل وقتًا».أ.هـ.

وقد مرت قراءته بعدد من المراحل بحسب مراحله العمرية لكن يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القراءة للفائدة والاستزادة من العلم، وهذه كانت في شبابه وكهولته، حتى انتقل لحي شبرا.

القراءة للفحص والتقويم والتسديد، سواء للرسائل العلمية التي يشرف عليها أو يناقشها، أو للكتب التي يعطيه إياها بعض طلاب العلم ليسددها ويقدم لها، وهذه كانت بعد أن انتقل لحي شبرا وكان قد تجاوز عمره الخمسين.

وهـذه العلاقة الحميمة جعلته يحرص على الكتـب شراء واقتناء، حتى اجتمع عنده كتب كثيرة، ومع أننا لم نقم بإحصاء دقيق لها، إلا أنها تقرب من عشرين ألف كتاب، ولضيق المكان اضطر لتوزيعها على ثلاث غرف، غرفتان في الـدور العلوي، وغرفة في الدور السفلي، فيهـا الكتب التي يحتاجها كثيرا، وهي التي يجلس فيها معظم الوقت.

ومـا زال حتى وفاه الأجل يشتري الكتـب، وتأتيه عن طريق الإهداء من الأشخاص ومن بعض الجهـات، وبخاصـة إدارة الإفتـاء السعودية، ورابطة العالم الإسلامي، ووزارة الأوقاف في السعودية و في قطر وفي الكويت.

وكان يكتب لهذه الجهات بين فينة وأخرى ليطلب ماعندهم من الجديد.

كتـب مرة للشيـخ/ مشعـل بن مبـارك الصبـاح مديـر إدارة البحوث والفتـوى بـوزارة الأقـاف الكويتية، وقال بعـد السلام: «تفضلتـم فيما مضى بإهدائنـا عـددًا من مطبوعات الوزارة جزاكم الله خـيرًا، وقد وجدناها كتبًا قيمـة استفدنا منها كثيرًا، وقـد علمنا أنه تجدد لديكم بعض الكتب، فنأمل تزويدنـا بها كما هي عادتكم في تزويدنـا بالجديد، ولابأس من تسليمها للأخ عبدالعزيز بن محمد العنزي الموظف لديكم ليقوم بإيصالها لنا».

ولديـه في مكتبتـه معظـم المراجع المهمـة في الحديث والفقـه والعقيدة وغيرها من الطبعات الأولى والطبعات التي حققت حديثا.

ويحرص رَحِمَهُ اللهُ علـى أن يقيد تملكه على الكتـاب وغالبا يكتب: في أول صفحـة: «دخـل في ملـك الفقير إلى عفـو ربه عبـدالله بـن عبدالرحمن بن عبدالله بن ابراهيم بن فهد الجبرين» وربما اختصر النسب، ثم يشير أحيانًا إلى تاريخ ذلك.

ومـا زال حتى توفي رَحِمَهُ الله هو الذي يعـرف مواضع كتبه في مكتبته، لأنه هـو الذي يرتبهـا ويصنفها، فلم يكن عنده موظف مختصـص بذلك، فكان إذا احتاج كتابا لا يعرف مكانه غالبا إلا هو.

وكان يحـب كتبـه ويحرص عليهـا، وإذا فقد شيئا منه سـأل عنه، تقول أختي هيا في مذكراتها: «أذكر أنه افتقد كتابًا وجلس يسألني عنه لمدة تقرب مـن السنة، وأنـا والله لم آخذه، وكأنه ما صدقني، وكان يقـول: تأكدي.. أين ذهب الكتاب؟ ولا أعلم هل وجده أو اشترى نسخة أخرى.

وكنا عند مجيئنا للسلام عليه في بيته نكون ممسكين لأطفالنا الصغار محذرين لهم من العبث بكتبه، لأننا نعلم أنه يضايقه ذلك أشد المضايقة.

وأذكـر ذات مـرة أني كنت مـع أهلي في مكة المكرمـة، وكان الوقت يمر طويـلًا عندي، فلـم أكن أذهب للصـلاة في الحرم في كل الأوقـات، لأن معي أطفـالي، وإذا خرج الرجال للصلاة أسارع وآخذ كتابًا من كتب والدي رَحِمَهُ الله ثـم أعيده خلسة كمـا أخذته.. ومرة افتقد كتابًا من كتبـه ولما سأل عنه قلت: إنـه معي، فأنا لم أحضر معي كتبًا لتسليني، فلما ذهب للصلاة اللاحقة رجع ومعـه نسختان مـن كتاب ضخم اسمـه (أخبار الصالحـين) أعطاني نسخة وأخـذ الأخرى له. فلما اشترى كتابًا لي لم يفـوت على نفسه فرصة الحصول على الكتاب نفسه!!».

وفي أثناء بحثي في بعض الكتب من كتبه رَحِمَهُ الله أرى آثار قراءته ومطالعته فيهـا، فإنـه كثيرًا ما يقيد على طرر الكتب وحواشيهـا ما يعن له من فائدة أو تصحيح أو ملحوظة أو تنبيه.

وقد ضاقت المكتبة في آخر عمره، وكانت كما ذكرت غرفتين في الدور الثاني، وغرفة في الدور الأرضي، حتى إننا إذا دخلنا المكتبة نبحث عن مواضع لنضع فيها أقدمنا، لأن الأرض مليئة بالكتب التي لم نجد لها رفوفا. بل حتى الممر الخرجي بين الغرفتين امتلأ أيضًا.

مشايخ الشيخ

طلب الشيخ الوالد رحمه الله العلم في الرين والقرى القريبة منه، وفي محيرقة وفي الرياض، وفيما يلي سأورد ما اطلعت عليه من أسماء المعلمين والمشايخ والعلماء الذين تتلمذ عليهم ورحمهم الله، وكنت قد ذكرت في أثناء الحديث عن حياة الطلب بعضهم عرضا، وذكرت هناك ما درسه عليهم من علوم، ولهذا سأهتم هنا بذكر شيء من تراجم شيوخه متجنبا الإطالة في الترجمة للمشهورين، مركزا على ما ذكره الشيخ الوالد رحمه الله عنهم، وسأسوقهم بالترتيب الزمني بحسب ما أعلم.

أولًا: العلماء الذين تتلمذ عليهم قبل انتقاله للرياض:

١ - والده فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين:

يعد والده شيخه الأول، وكان رحمه الله من طلبة العلم، وأهل النصح والإخلاص والمحبة، وقد أفاد منه الشيخ كثيرًا بحسن تربيته وتلقينه.

وقد مرت ترجمته مع العلماء من أسرة الشيخ رحمه الله.

٢- الشيخ سعد بن عبدالله بن جبرين:

قرأ الوالد رحمه الله عليه في القرآن الكريم عندما كان يذهب مع والدته في الصيف إلى بلدة محيرقة.

وهو من مواليد القويعية عام ١٣٠٠هـ وتلقى تعليمه على يد والده عبدالله بن جبرين، حيث علمه القرآن الكريم، كما علمه القراءة والكتابة.

كان معلمًا للطلاب في الكتاتيب في محيرقة لمدة طويلة، كما كان إمامًا وخطيبًا لمسجدها.

يقول الوالد رحمه الله[1]: «كان العم سعد بن عبدالله بن جبرين رحمه الله إمامًا وخطيبًا لجامع محيرقة، وكان عنده علم، وعنده كتب من كتب أجدادنا الذين اشتهروا بالعلم وجمع الكتب، وكان أولهم حمد بن جبرين رحمه الله.

وكنّا نستفيد منه في مجالسه وفي قراءته ووعظه وتذكيره، حيث يتصدر المجالس بالوعظ والتذكير والعلم، إلّا أنه رحمه الله لم يتوغل في طلب العلم ولكن كان عنده فوائد، وكان يخبرنا ببعض القصص فاستفدنا منه كثيرًا».

توفي العم سعد بن عبدالله في عام ١٣٧٧هـ

٣- سعيد بن عبدالله الأجهر.

وهو طالب علم أصله من جنوب المملكة من أحد رفيدة من قبلية قحطان، وقد وفد للرين قديمًا واستقر بها و قرأ عليه الوالد القرآن في الرين كما ذكرنا، توفي في عام ١٤٣١هـ.

---

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ المنجد.

٤- عبدالعزيز بن عبدالله بن رشيد الجبرين.

ولد في عام ١٣٢٠هـ في محيرقة وبها نشأ وتعلم، ثم تصدر للتعليم بعد العم سعد بن عبدالله، وتوفي في عام ١٤٠٧ هـ، وقد قرأ عليه الوالد رحمهما الله القرآن في محيرقة.

٥- عبدالله بن حمد بن حماده الجبرين.

ولد في عام ١٢٩٧هـ في محيرقة وتعلم بها وعلم، ثم انتقل إلى هجرة ابن لبدة في الرين إماما ومعلما، حتى توفي بها في عام ١٣٦٥ هـ، وقد قرأ عليه الوالد رحمهما الله القرآن في محيرقة.

٦- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري المعروف بـ(أبو حبيب):

الشيخ عبدالعزيز الشثري هو أول المشايخ الذين تأثر بهم الوالد رحمهما الله.

ويعد الشيخ أبو حبيب من أبرز فقهاء العصر، فقد أسهم في التعليم والفتوى والتوعية والإرشاد والقضاء والحسبة وغيرها.

ولد في عام ١٣٠٥هـ في حوطة بني تميم، وتلقى تعليمه الأولي في الحوطة، ثم انتقل من الحوطة إلى الرياض للتوسع في طلب العلم، فدرس على الشيخ عبدالله ابن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس والشيخ سليمان بن سحمان رحمهم الله.

وكان من زملائه سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالله العنقري.

وفي سنة ١٣٣٧هـ عينه الملك عبدالعزيز قاضيًا لقبائل قحطان المهاجرة في وادي الرين وما حوله، وكان ينتقل من قرية إلى قرية معلمًا ومرشدًا، وكان له دروس يومية، واستمر على هذا سبعًا وثلاثين سنة، فنفع الله به خلقًا كثيرًا.

وفي عام (١٣٧٤هـ) تم انتقاله من الرين إلى الرياض بطلب من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله للتدريس في معهد إمام الدعوة، وكان أهل الرين يحبون الشيخ عبدالعزيز ولكن لم يكن بدٌّ من سفره، واصطحب الشيخ أبو حبيب معه بعض تلاميذه وسجلهم في المعهد المذكور.

وقد استأجر له الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ثلاثة منازل، منزلين للعوائل ومنزل للرفقاء.

واستمر على طريقته في التدريس في بيته وفي مساجد الرياض، وقد تخرج به مجموعة من العلماء منهم سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ المفتي العام للمملكة، والشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قاضي قطر وغيرهم.

ولمّا انتقل الشيخ إلى الرياض شعر أهل الرين بالخسارة وبفقد العلم الذي اعتادوا عليه، حتى عوضهم الله فيما بعد ببعض أهل العلم الذين سدّوا الثغرة.

وفي حدود سنة ١٣٦٥هـ أصيب الشيخ أبو حبيب بألم في بصره وفقد إحدى عينيه، فخاف أن يفقد البصر وأكب على قراءة الكتب بنفسه، لأن التلاميذ عنده قليل يقرؤون في أول النهار وفي آخره، ولكن كان طوال الوقت يقرأ بنفسه.

وفي رمضان عام ١٣٨٧هـ اشتد عليه المرض في مكة فنقل إلى المستشفى العسكري في الرياض، ولما زاره الملك فيصل أشار بنقله إلى لندن للعلاج، فذهب إليها ثم توفي هناك في ١٧ رمضان عام ١٣٨٧هـ.

وقد رثاه جدي عبدالرحمن بقصيدة جاء فيها:

جانا الخبر في فجر يوم الخميس	عشرين تسعة عام سبع و ثمانين
خبر مصاب الشيخ أبوي وجليسي	باح العزا والدمع جادت به العين
يبكي على فقده مجالس دروسي	ومساجد يبذل بها النصح والدين

وقد قام حفيده الدكتور محمد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري بتأليف كتاب لطيف مفيد، يتناول سيرة جده عنوانه: إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب، ومعظم ما ذكرته هنا في ترجمته من هذا الكتاب، وفيه شيء من كلام الوالد رحمه الله.

وقد بدأ الشيخ الوالد في القراءة على الشيخ أبو حبيب في عام (١٣٦٨هـ)، وكان عمره سبعة عشر عامًا.

وقد ذكرت تفاصيل ذلك في بداية الطلب، وأنه حينما طلب الوالد من الشيخ أبو حبيب رحمهما الله وكذلك طلب جدي منه أن يقرأ عليه، وامتنع حتى يكمل الوالد حفظ القرآن، فعمل بمشورة شيخه وأكمل حفظ القرآن، وبعد ذلك رخص له الشيخ أبو حبيب بالقراءة عليه، فقرأ عليه الكثير من المتون والشروح والكتب المطولة بعد الفجر وفي الضحى وبعد العصر وبعد المغرب.

وقد تأثر الوالد رحمه الله بشيخه الأول بعد والده الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رحمه الله كثيرًا، لأن الوالد صحبه قرابة ثلاثين سنة.

يقول الوالد رحمه الله[1]: «لقد تأثرت بشيخي الأول بعد والدي وهو الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري رحمه الله قبل أن أبدأ في القراءة عليه، وذلك لجدّه واجتهاده في التعليم ونصحه، وكذلك لحرصه على العبادات، فقد أدركته أحيانًا يختم القرآن كل يوم وعلى الأكثر كل ثلاثة أيام، وكان حريصًا على كثير من العبادات كقيام الليل ونحو ذلك».

ولما انتقل الشيخ أبو حبيب رحمه الله للرياض أحب جمع المشايخ والاستفادة منهم ولذلك خصص لهم يومًا يجتمعون فيه عنده، يقول الشيخ الوالد رحمه الله: «عندما قدمنا إلى الرياض في سنة ١٣٧٤هـ رأى الشيخ الشثري رحمه الله أن يستزير جملة من المشايخ في ليلة الجمعة مساء الخميس من كل أسبوع، ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ محمد أمين الأشقر وهو فلسطيني، وأحيانًا يحضر الشيخ ابن مهيزع، والشيخ محمد المختار والشيخ عبدالعزيز بن رشيد وغيرهم من المشايخ، فيجتمعون في بيت الشيخ بعد العشاء ولمدة ساعة ونصف أو نحوها، وكلفني أن أقرأ عليهم في صحيح البخاري، ويتولى الشيخ عبدالرزاق شرح الحديث الذي نقرؤه، وكان أحيانا يستغرق شرحه ساعة أو ساعة إلا ربعًا، وربما يقسمه في ليلتين في أسبوعين، وكذلك يتولى الشيخ عبدالعزيز بن باز التعليق عليه، ولا زالوا على ذلك عدة سنوات، يبحثون في المسائل المتجددة التي تقع والتي تحتاج إلى مراجعة فيستفيد الحاضرون».

تحدث الشيخ الوالد عن أخلاق شيخه أبو حبيب رحمهما الله فقال[2]: «كان على جانب من الأخلاق، فإذا سألت عن كرمه فهو الغاية في الكرم، وفي توسعته على المستضعفين والمستحقين، وكذلك إكرامه للزائرين وبذل ما يجده دون أن

(١) قصتي في طلب العلم محاضرة جامع الصانع

(٢) العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين.. خلود بعد ممات مقالة للدكتور محمد بن عبد الله المشوح http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm.

يحجزه من ذلك شح أو بخل، وإن سألت عن سهولة جانبه وحسن خلقه ولباقته لمن يزوره فلا تجد في تلك البلاد مماثلاً له، فهو دائمًا سهل الجانب دائم البشر، ومتى زاره أحد وجد انشراح قلب وسعة بال، وإذا سألت عن أخلاقه فإنه كان حسن الخلق، قل أن يحقد على أحد أو يجد في قلبه لأحد شيئًا في البغض والكراهية، وإن وجد عليه أحد شيئا فإنه يتصل به ويعتذر بكل ما يمكن حتى لا يكون هناك أحد يحقد عليه، ولذلك ما رأينا أحدًا طوال صحبتنا إلى أن توفي سنه ١٣٨٧هـ حقد عليه أو انتقده أو كرهه لسبب من الأسباب».

٧- فضيلة الشيخ صالح بن مطلق

الشيخ صالح بن مطلق من أهل حوطة بني تميم ولد في سنة ١٣٠٥هـ وأخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق.

كان إمامًا وخطيبًا في إحدى القرى بالرين، ثم تولى القضاء في الخرج، ثم في حوطة بني تميم عام ١٣٦٧هـ، ثم في حفر الباطن عام ١٣٧١هـ، وقد اشتهر في حفر الباطن: كُتَّاب زوجة الشيخ صالح بن مطلق وهو من أول الكتاتيب التي اعتنت بتعليم المرأة.

تقاعد وسكن الرياض وممن أخذ عنه اللغة حينما استقر في الرياض الشيخ بكر أبو زيد، فقد كان ابن مطلق يحفظ من مقامات الحريري خمسا وعشرين مقامة بشرحها لأبي العباس الشريشي، وقد ضبطها الشيخ بكر عليه، وأخذ عنه علم الميقات[1].

---

(١) علم الميقات هو فرع من فروع الفلك لم يسبق له مثيل في الحضارات السابقة، وتتحدد وظائفه في السعي إلى تحديد أوقات الصلوات الخمس وحساب الأهلة، وذلك بواسطة الحساب والمراقبة الفلكية والآلات الفلكية، مثل الآلات الظلية والكرات السماوية وغيرها. وبعلم الميقات يرتبط علم التقويم الذي يدرس نظام إحصاء أجزاء الزمن وكيفية تحويل التواريخ من تقويم الى آخر.

كان ضرير البصر ولكن وهبه الله الحفظ والفهم القوي، فقلّ أن يجالسه أحد كبيرًا أوصغيرًا إلا استفاد منه، حتى قال عنه الوالد رحمه الله[1]: «كان في قرية تسمى الآن المثناة قرية آل عاطف، وكنا نأتيه ويأتينا، أحيانا نذهب إليه نحو ثمانية كيلوات راجلين، وأحيانا يأتي إلينا راجلا هذه المدة وهو ضرير البصر يمشي إلى أن يصل إلينا ونستفيد منه، وهو رحمه الله لغوي، اهتم باللغة واهتم بالشعر، بحيث إنه مضرب مثل في حفظ النظم، ربما يقرأ القصيدة التي هي خمسمائة بيت يسردها لا يتوقف فيها، وكذلك أيضًا مقامات الحريري برز فيها يمكن أنه يحفظها كلها، زاد المستقنع يحفظه كله من أوله إلى آخره، ديوان ابن مشرف قل أن يخطئ فيه، إذا بحثت معه في الفقه وجدته فقيها وفي اللغة تجده لغويا وفي النحو تجده نحويا وفي العربية وفي الفرائض وما أشبه ذلك.

وبالجملة فهو أعجوبة زمانه رحمه الله -ثم ذكر من لطائفه- أنه جاء مع أهل سيارة من مكة إلى الرياض، ولما رآه أهل السيارة ضريرًا ضعيفاً وليس معه أحد ألقوه في مؤخر السيارة ولقي تعبا وعنتا ومشقة، ولما نزلوا -وكانوا يسمون قائد السفينة النوخذا- فقال: وين النوخذا وين النوخذا؟، فدلوه على السائق، فجلس معه هو وثلاثة من قومه وأخذوا يسألونه فذكر لهم أنه من أهل الحوطة وأن هذا اسمه، سأل أحدهم فقال أنا فلان بن فلان آل الشيخ، فأخذ يمدحه، قال: حياكم الله أنت ابن مشايخنا،أنت من هذه الأسرة المباركة، ثم أخذ يلقي عليهم أسئلة عويصة عجيبة،فإذا لم يقدروا عليها أخذ يسترجع، وأنت من آل الشيخ الذين هذه منزلتهم ولا تعرف إعراب هذه الكلمة ولا تحل هذه المسألة التي من الفرائض ونحوها، ثم يحلها، ثم أخذ أيضًا يعطيهم فكاهات ويعطيهم قصصا فأخذوا يضحكون ويتعجبون،

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية و الثالثة.

ولما جاء الرحيل قالوا لابد أنا نعرف لك قدرك، فأركبوه في أعلى السيارة وهيئوا له مركبا وطيئا، وقالوا لغيرهم اعتنوا بهذا الشيخ، فإنه أهل أن يعتنى به ويحترم».

ورد في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله سؤال موجه للشيخ محمد هذا نصه:

«فضيلة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم

(مستعجل جدًا) الرياض

أفتنا في بئر تصدر على سواني عمقها ستة وثلاثون باعًا ما تستحق من الحريم، أفتونا مأجورين.

قاضي الحفر صالح بن مطلق (عدد ١٦٢ - ٢ في ١٩/٤/١٣٧٦) حفر الباطن»

وقد رد عليه الشيخ محمد بالجواب الآتي: «الشيخ صالح بن مطلق ج١٦٢: حريم هذه البئر إذا كانت مواتًا وأحييت بحفرها إلى بلوغ الماء هو ما تحتاجه حواليها عطنًا للماشية ومدى للسانية، ما لم يكن ما حواليها مملوكًا للغير ملكًا صحيحًا.

محمد بن إبراهيم (ص. ف ٢٧٤ في ٢٢/٤/٧٦هـ)».

ومما يذكره أهل الحفر سنة الغرقة عند هطول الأمطار الغزيرة على مدينة حفر الباطن بتاريخ ١٥/٧/١٣٧٦هـ لمدة ٤٢ يومًا متواصلا وغرق خلالها عدد من الأشخاص وانهارت المباني وجرى وادي الباطن لمدة أسبوعين جريانا

متواصلا وسكن الناس في الخيام على جانبي الوادي، وهرع الناس إلى صلاة الاستغاثة وأمهم فيها فضيلة الشيخ صالح بن مطلق رحمه الله.

مات في الرياض في سنة ١٣٨١هـ رحمه الله رحمة واسعة.

درس عليه الوالد رحمه الله كما ذكرنا في الرين واستفاد منه كثيرًا وبخاصة في الأدب.

٨- الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن ابراهيم الجبرين:

هو عم الوالد ولد في عام ١٣١٨هـ واستقر قديما في بلدة القويع، واستفاد منه الوالد من مجالسته، يقول رحمه الله[1]: «وممن استفدنا منهم أيضًا: العم عبدالعزيز بن عبدالله وهو شقيق الوالد، رحمهما الله جميعًا، وكان من طلبة العلم واستفاد كثيرًا من والده ومن أخيه محمد، وكان رحمه الله يحفظ المواعظ المؤثرة، فكنّا نتلقى عنه تلك المواعظ التي يكون لها وقع في النفوس، كما أنه كان يحفظ الأمثال من المؤلفات، ويحفظ بعض الأحكام التي يقرؤها في الكتب.

وكان عنده كتب من كتب الأجداد، وقد اشترى من مكة كتبًا كثيرة من مطبوعات ومخطوطات، وكان يعطيني أحد الكتب، ويطلب مني أن أقرأ على الحاضرين، وكان يرشدني ويوضح لي، ولم يكن متمكنًا في الأحكام الفقهية، لكنه كان لا يخلو من المعلومات المفيدة.

ومن الكتب التي طلب منّي أن أقرأها: كتاب السيرة لابن هشام، وكان يرى أن القراءة فيه مفيدة، وخاصّة فيما يتعلق بدلائل النبوة ومقدماتها،

---

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ المنجد.

وكذلك كتاب آخر في الرقائق والمواعظ نسيت اسمه، يتعلق بذكر الآخرة وذكر البعث والنشور؛ فكنت أقرأ في هذه الكتب، وكان يعلق ببعض الفوائد التي تحتوي عليها تلك المؤلفات». أ.هـ.

وكان رحمه الله عارفا بالطب الشعبي يقصده كثير من البادية والحاضرة ليعالجهم بالرقية وبالكي وبالأعشاب، ويجدون فائدة لعلاجه، وكان يتعاطى التجارة مع البوادي إضافة لقيامه بالزراعة في بستانه في القويع، وتوفي في عام ١٣٩٤هـ ولم يخلف ذرية.

٩- الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد العريفي:

ذكره الوالد رحمه الله مع الذين قرأ عليهم واستفاد منهم، ولم يكتب أن نسأله من هو؟، وقد سألت الخال عبدالله بن محمد العريفي، فقال: لعله محمد بن عبدالله المعروف بشقران، وهو قد ولد في عام ١٣٤٦هـ، فهو أسن من الوالد بنحو ثلاث سنين يقول الوالد رحمه الله عنه [1]: «ممن استفدنا منهم أحد الأخوال وهو محمد بن عبدالله بن محمد العريفي، وهو أحد أصهارنا، وكان عنده علم وعنده مبادئ في الفقه، فاستفدنا منه فوائد محسوسة في مجالسه ومواعظه».

وشقران ابن لعمة الوالد لطيفة بنت عبدالله رحمهما الله وقد توفي في عام١٤٢٠هـ.

ثانيًا: العلماء الذين تتلمذ عليهم في الرياض:

تتلمذ الوالد رحمه الله في الرياض على عدد من المشايخ والعلماء؛ منهم من قرأ عليهم في المسجد، ومنهم من قرأ عليهم في دراسته النظامية، ومنهم

---

(١) برنامج ابن جبرين عالم أمة للشيخ المنجد.

من قرأ عليه فيهما، وقد ذكرت ما يتعلق بذلك في الحديث عن طلبه للعلم ودراسته النظامية، وسأشير هنا لنبذ من تراجمهم رحمهم الله.

ومن هؤلاء العلماء والمشايخ:

١- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب ولد في عام ١٣١١هـ، ويعود له الفضل بعد الله في بعث الحركة العلمية السلفية في نجد، التي امتد أثرها للعالم كله.

وهو من أشهر المشايخ الذين قرأ عليهم الوالد ولازم دروسهم، وقد تلقى عليه دروسًا نظامية في المعهد العلمي، حيث تولى الشيخ ابن إبراهيم تدريس القسم الذي كان فيه الوالد رحمه الله، وكان يُدرِّس أغلب المواد الشرعية كالتوحيد والفقه والحديث والعقيدة.

وقد استمر سماحته في تدريسهم حتى أنهوا القسم العالي في آخر سنة ١٣٨١هـ؛ حيث توقف عن التدريس الرسمي وانشغل بالإفتاء ورئاسة القضاء.

وحضر الوالد للشيخ ابن إبراهيم رحمه الله دروسا أخرى خارج الدراسة النظامية، يقول الشيخ الوالد رحمه الله [1]: «الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قد بارك الله في علومه، حتى ذكروا قبل فتح معهد إمام الدعوة أن الذين تخرجوا عليه من القضاة أكثر من أربعين قاضيًا.

ونحن ما أدركنا دروسه القديمة التي كانت في بيته وفي المسجد ولكن سمعنا عنها.

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة وبرنامج:ابن جبرين عالم أمة.

كذلك أيضًا كنا نزوره في كل صباح يوم الجمعة يفتح الباب للزوار وإذا زاروه فإنهم يسألونه عن المشكلات والمعضلات التي تقع لهم، وهكذا أيضًا إذا مات أحد من القضاة أو المشايخ يجلس يزورونه لأجل التعزية، مات شيخ يقال له ابن زاحم رحمه الله وكثر الذين يتوافدون على الشيخ يعزونه في هذا الشيخ الذي تعد مصيبته مصيبة على القضاة ونحوهم.

وكان الشيخ رحمه الله مرجعا عند المهمات، في سنة خمس وسبعين رأى بعض الإخوة كثرة المنكرات التي تحدث، فصاروا يراجعونه كلما حدث أمر من الأمور.

فكلما أحسسنا بشيء من النقص في الهيئات، أو الملاحظات لم يكن لنا مرجع إلا سماحته رحمه الله.

وفي سنة من السنين عزموا على أن يدخلوا اللغة الأجنبية في المعاهد العلمية، ذهبنا إليه وقلنا هذه المعاهد أنت أسستها وذكرت أنها معاهد علمية فكيف مع ذلك توضع فيها هذه اللغة التي لا فائدة فيها، التي تشغل الطلاب وتشغل أوقاتهم، فلما ذكر له ذلك تأسف كثيرا، كيف يحصل هذا الأمر، ثم قال بلهجته: ما عندنا إلا ها العين المبصرة، ها العين الوحدة نسلط عليها من يطسها، هذه هي التي نرجوها، فتكلم بقوة وألغي هذا القرار».

ومآثر الشيخ محمد بن إبراهيم كثيرة وترجمته مشهورة وقد توفي عام ١٣٨٩هـ في رمضان رحمة الله تعالى عليه، واقتصرنا هنا كما وعدنا على ما يتعلق بعلاقته بالوالد رحمه الله.

وقد رثاه جدي رحمهم الله بقصيدة قال فيها:

العلم بحر ولكن ليس يدركه ... الا النحارير من طلابه القدم

حتى قال:

وآخـــر القــوم مفتينا وخـيرنا وذي السـماحة والمعروف بالشيم

قد أنفق العمر في تعليم كل فتى حتى استوى قاضيا في نجد أو تهم

٢- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز:

هـو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز ولد في ذي الحجـة سنة ١٣٣٠هـ بمدينة الرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض في عينيـه عام ١٣٤٦هـ وضعـف حتى فقد البصر تمامـا وعوضه الله بالبصـيرة فكان شيخ العصر وإمـام الزمان ووصل خيره من علم ونفع لكافة أقطار الدنيا.

يحكـي الوالـد أول لقـاء بينـه وبـين الشيـخ عبدالعزيز بـن باز رحمهما الله فيقـول[1]: «جـاء الشيخ ابن باز إلى الرياض بعـد أن كان قاضيا في الدلم في سنة سبعين لما فتحت المعاهد.

ولمـا جئنا في عـام أربعة وسبعين ففـي اليوم الثاني جـاء إلى الشيخ أبو حبيب للسلام وللاستزارة وكان مستأجرا بيتا في حي المليحة أو حي آل حمود.

دعانـا إلى طعام الفطـور صباحا وذهبنا معه، وكان مجلسه لا يخلو من فوائد وكان يكلف أحد تلاميذه أن يقرأ عليه، في ذلك المجلس قرأ عليه زميلنا عبدالرحمن بن مقرن آل سعود رحمه الله في صحيح مسلم.

---

(١) قصتي في طلب العلم وصفحات من حياتي الحلقة الرابعة.



وفي شهر جمادى الأولى من سنة أربع وسبعين توفي إمام الجامع الكبير ويقال له ابن عدوان، وكلف الشيخ أن يكون إماما في الجامع، ولما التزم كان من محبته لطلب العلم أن يجلس بعد كل عصر ليقرؤوا عليه في المطولات، وبعد المغرب في المتون، ولما انتقل إلى المدينة أناب عبداللطيف آل الشيخ الذي يسمى عبداللطيف المصري، ولكن إذا جاءت الإجازة رجع إلى الرياض وقام بتولي الإمامة فيه، وكذلك بإلقاء الدروس كالمعتاد.

بعد الفجر كان مشغولا هو وغيره بالإعداد للدروس في المعاهد والكليات فلازمناه غالبا بعد العصر وبعد المغرب أحيانا، بعد العشاء يذهب إلى بيته ويأتيه الزوار ويقرؤون عليه، كان رحمه الله يمشي من المسجد الجامع إلى بيته بيت طين بجانب المسجد الأصفر على شارع الشميسي القديم، يمشي هذه المسافة قبل توافر السيارات، وكنا نصحبه في ذهابه من المسجد إلى بيته ونستفيد من المسائل التي يسألها قبل أن تتوافر عنده السيارة.

قرأنا عليه في متن نخبة الفكر، وقرأنا عليه أيضًا أبوابا من بلوغ المرام زيادة على ما قرأناه على الشيخ محمد، وكان يهتم رحمه الله فنرى كثرة من يتنافسون عنده في القراءة.

في سنة ست أو سبع وسبعين حصل على سيارة خاصة، وكان يأتي فيها ويرجع فيها، ولكن يسألونه من حين يقوم من الحلقة أو من المصلى إلى أن يركب في سيارته.

كان رحمه الله شفيقًا على المستضعفين، الذين يأتون إليه ويطلبون منه شفاعته، إذا أتيناه وقلنا: إن فلانا مستحق وإنه عاجز عن كذا وكذا. يصدقني ويذكر تحت كتابتي أن الكاتب معروف، وأن المكتوب معه مستحق ونحو ذلك، يتقبل شفاعاتنا وشفاعة كثير من الإخوة رحمهم الله.

أما زيارته في البيت فكان رحمه الله يفرح بالزوار إذا جاؤوا إليه، وبالأخص الإخوان المتطوعون الذين يلاقون بعض المنكرات، وإذا جاؤوا إليه يلتزم بأنه سوف يراجع أو يكتب معهم كتابات ويرسلها إلى المسئولين: أنه بلغنا من المنكر كذا وكذا، وأنتم تشجعون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا استمر على ذلك إلى أن انتقل إلى المدينة في سنة تسع وسبعين[1].

كما كنّا نأتي إليه في بيته من سنة ١٣٧٥هـ إلى سنة ١٣٨٠هـ ونحضر الدروس وبالأخص عندما ابتدأ في تصحيح فتح الباري، فنحضر مع الذين يصححون، وكانوا قد أحضروا أربع نسخ مطبوعة طبعات متفرقة ونسخة خطية؛ فكان يقرأ عليه أحدهم والبقية يصححون».

ومن الفوائد المسجلة بين الوالد وابن باز رحمهما الله سؤال الوالد لابن باز عن حديث أبي النضر وفيه: «قال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى في داري، فقيل: يا أبا النضر، تحوّل عن جوارنا، قال: فاشتد ذلك عليّ، فكتبت إلى الكوفة، إلى ابن إدريس، و المحاربي، وأبي أسامة، فكتب إليّ المحاربي: أن بئرا بالمدينة كان يُقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب، فَشَكَوا ذلك إليهم، فدعوا بدلوٍ من ماءٍ، تكلّموا بهذا الكلام، فصبّوه في البئر، فخرجت نار من البئر، فطفئت على رأس البئر، قال أبو النضر: فأخذت تَورا من ماء، ثم تكلّمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار، فرششته، فصاحوا بي: أحرقتنا، نحن نتحوّل عنك.

وهو: «بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا تُرام ولا تُضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

عائـذ من الأبالسـة، ومن شر شياطـين الإنس والجن، ومن شـر كل معلن أو مسـر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومـن شر ما خلق وذرأ وبـرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومـن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى، وعيسـى، وإبراهيـم، الذي وفّى، مـن شر ما خلق وذرأ وبـرأ، ومن شر إبليس وجنـوده، ومن شر ما يبغي، أعوذ بـالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسـم الله الرحمن الرحيـم «والصافات صفا، فالزاجـرات زجرا، فالتاليات ذكـرا، إن إلهكـم لواحـد، رب السموات والأرض وما بينهمـا ورب المشارق، إنـا زيّنـا السماء الدنيا بزينـةٍ الكواكب، وحفظناها مـن كل شيطان مارد، لا يسّمّعـون إلى الملأ الأعلى ويُقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب، إلا مَن خطِف الخطفة فأتبعه شِهاب ثاقب».

فذكـر هـذا الذكر الوالـد وقـرأ بعضا منـه بحضرة سماحـة الشيخ ابـن باز، ولما وصـل إلى قول: (أحرقتنا يـا أبا النضـر، أحرقتنا نحن نتحول عنك) قال الشيخ ابن باز: (طيب، إذا نفع، هذا طيب) ثم أكمل الشيخ الوالد بعضا منه.

ثـم بعد ذلك قـال العلامة ابن باز: في الوابل الصيـب؟ فقال الوالد: في الوابل الصيب.

ثـم قال الشيخ ابن بـاز: يُجرب، إذا نفع الله بـه الحمد لله، الأصل في الأدوية كلهـا الإباحة،إلا ما حرمه الشرع، فقال الوالد: جربه بعض الإخوان، يقول سقيته امرأة بها جان، وفي لحظة خرج الجان أو مات.

ثم قال الشيخ/ ابن باز: الحمد لله،الحمد لله، كل ما يحصل به الدواء وليس فيه محذور شرعا فالأصل الإباحة، في الأدعية والأدوية،إلا ما حرمه الشارع [1]. ا.هـ.

وقد تأثر الوالد بشيخه ابن باز رحمهما الله لَمَا كان يراه من حرصه على العلم والتعليم والعبادة ومواظبته على الأعمال والسنن، وكان رحمه الله يقول: (إن الشيخ ابن باز قدوتنا)، ثم ذكر جملة من السنن والأعمال التي كان يحافظ عليها الشيخ ابن باز رحمه الله، ثم قال: «وهذا دليل على أن الناس يقتدون بمن يحرص على العمل بالعلم» [2].

٣- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ الفَرَضيّ المعروف

هو أخو الشيخ محمد بن إبراهيم وقد ولد في عام ١٣١٥هـ في مدينة الرياض، وطلب العلم على مشايخها من أعمامه وغيرهم، وكان مساعدًا لأخيه في دروسه وبخاصة في علم الفرائض، ومساعدًا له في اختيار القضاة من طلاّب العلم في المسجد وفي كلية الشريعة بعد إنشائها.

ذكر الشيخ رحمه الله [3] أن الشيخ محمد بن إبراهيم كان يحيل تدريس الفرائض على أخيه عبد اللطيف وكان متخصصا ومتوغلا في علم الفرائض رحمهم الله».

توفي رحمه الله في عام ١٣٨٦هـ.

---

(١) المرجع/شريط(لقاء مع إخوة في الله للشيخ ابن باز)رقم ٤.
(٢) قصتي في طلب العلم – جامع الصانع.
(٣) قصتي في طلب العلم.

٤- الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، العلامة المحدّث والباحث في إدارة الإفتاء

هـو العلاَّمة المحقِّق السلفيُّ المحدِّث الفقيـه الأصولي اللغوي أبو محمد إسماعيـل بن محمد بـن ماحي الخزرجي الأنصاري، وُلِـد بصحراء إفريقيا الغربيَّة بمالي، عام ١٣٤٠هـ.

تعلـم في بلاده ثم قدم للبلاد السعودية وتولى التعليم، ثم عين باحثا في إدارة الإفتاء حتى توفي في عام ١٤١٧هـ رحمه الله.

درس عليه الوالد رحمهما الله في التفسير والحديث والنحو والصرف وأصول الفقـه، وذلـك من عـام ١٣٧٥هـ حتى التخـرج، وكان يلخص لهـم الدروس ويضرب الأمثلة ويوضح ما فيه إشكال.

وكان الوالد رحمه الله يثني على علـم الشيخ إسماعيل الغزير، وخصوصًا في اللغة وأصول الفقه، وكان يتعاهد أبناءه بعد وفاته.

٥- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد:

ولـد الشيخ العلامة عبدالعزيز الناصـر الرشيد عام ١٣٣٤هـ في مدينة الرس في منطقة القصيم، وكان أبوه أحد أعيان الرس ووجهائها، فطلب العلم في بلـده ثم وفد للرياض في عام ١٣٥٢هــ فأخذ عن علمائها حينذاك، وكانت عامـرة بالعلماء حتى نبـغ وتميز ثم سافر لمكة وأخذ عـن علمائها، ثم بدأ في العطاء حتى توفي رحمه الله في عام ١٤١٨هـ.

وقـد درس عليه الوالـد رحمهما الله في الفرائض لمدة أربـع سنوات؛ لأنه هو المؤلـف لكتاب: عـدة الباحث بأحكام التـوارث، ودرس عليـه أيضًا في مرحلة

الماجستير مادة الفقه عام ١٣٨٨هـ، وكان رَحِمَهُ اللهُ من فقهاء البلد، وله مؤلفات مشهورة، منها: التنبيهات السنية شرح العقيدة الواسطية، وهو من الشروح الوافية لهذه العقيدة.

٦- سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى

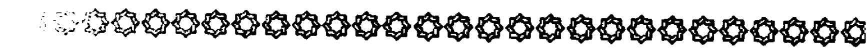
هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين ابن حُميد الخالدي.

ولد عام ١٣٢٨هـ في بلدة معكال، وهي بلدة قديمة تعد الآن حيًّا من أحياء مدينة الرياض القديمة.

نشأ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يتيمًا حيث توفي والده وعمره سنتان، ثم في السنة التي تليها أصابه مرض الجُدَريّ فأفقده بصره، ثم في السنة السادسة من عمره توفيت والدته، إلا أن تيتّمه وفقده للبصر مبكراً لم يمنعه من تحصيل العلم والارتقاء على سلم المجد، فدرس وثابر حتى صار أحد العلماء الأعلام، وتوفي في عام ١٤٠٢هـ رَحِمَهُ اللهُ.

ذكر الوالد علاقته بالشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُمَا اللهُ فقال[1]: «أول ما أتى سنة ٧٤ نزل قرب مكاننا، وكان يصلي معنا في المسجد، وكنت أقرأ وقت العشاء في تفسير ابن كثير على جماعة المسجد، فكان يتكلم أحيانا على المسائل هو والشيخ أبو حبيب، قرأنا مرة في تفسير سورة مريم على قول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم: ٥٩]. فتكلم على أثر ذكره ابن كثير: «أننا نعرف المتخلفين من صفاتهم، شرابين للقهوات، تراكين

(١) قصتي في طلب العلم.



للصلوات، لعابين بالكعبات، متبعين للشهوات»، فاستشكلنا شرابين للقهوات، واستشكلنا قوله لعابين بالكعبات، ففسر لنا أن القهوات يراد بها الخمور، ولعابين بالكعبات يراد بها الألعاب التي يكون فيها القمار.

ثم تعين قاضيا في بريدة في سنة ٨٠ من القرن الماضي، وقمنا برحلة للدعوة بصحبة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رَحِمَهُ الله، ومعنا من زملائنا عبدالرحمن بن فريان و عبدالرحمن بن مقرن وفهد بن حمين، واستغرقت الرحلة ثلاثة أشهر وعشرين يوما، كان نهايتها مجيئنا إلى بريدة، واستضافنا الشيخ عبد الله في بريدة،وكنا نقص عليه بعض العجائب التي لقيناها من البوادي التي في الحدود الشمالية وما هم عليه من الجهل، وأخذ يتعجب من ذلك: كيف وهم في بلاد إسلامية، ومع ذلك لا يعرفون شيئا من الدين إلا مجرد أنهم مسلمون، وأخذ أيضًا يذكر لنا أمثال ذلك من الوقائع.

وفي سنة ١٣٨٩هـ استقر في الرياض وسكن في شارع آل فريان، وكان له درس في المسجد الذي قرب بيته الذي يسمى مسجد آل رضيان، وكان يأتي بفوائد عجيبة، كنت في ذلك الوقت قد ابتدأت في بعض الدروس، ولكن يكون عندي أحيانا فراغ وآتي إليه وأجلس عنده ونستفيد منه.

كذلك أيضًا كان كثيرًا ما يجلس بعد المغرب في حديقة في بيته ويزوره كثير من المشايخ والإخوان، ويلقي إليهم كثيرا من الفوائد والعجائب التي يذكرها والتي يستحضرها.

وفي سنة ١٣٨٧هـ كنت في مكة أساعد الشيخ محمد بن قاسم في تكميل مجموع الفتاوى وفي فهارسه، وكان الشيخ رَحِمَهُ الله في الإجازة ينزل من الطائف إلى مكة كل أسبوع ليلتين أو ثلاث ليال، وكان يلقي نصيحة في الحرم المكي نحضرها ونستفيد مما فتح الله عليه».

٧- فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ مشهور ومن كبار العلماء، فهو عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية ابن عبد البر بن شرف الدين النوبي من مصر ولد فيها في سنة ١٣٢٣ هـ ونشأ نشأة دينية علمية، فحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم التحق بالمعاهد الأزهرية، ثم بالجامع الأزهر و حاز شهادة العالمية وقدم للمملكة فَدَرَّس في الطائف والرياض ثم عين نائبا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، واستمر فيها حتى توفي في عام ١٤١٥هـ رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه.

وقد درَّس الوالد في مرحلة الماجستير، وكان مشرفا على رسالته كما سبق، وتتلمذ عليه واستفاد منه جمع غفير في هذه البلاد من القضاة والمدرسين والدعاة وغيرهم، وهو ممن فتح الله عليه وألهمه من العلوم ما فاق به الكثير من علماء هذا الزمان، وقد توغل في التفسير والاستنباط من الآيات، وكذا في الحديث ومعرفة الغريب منه، وكذا في العلوم الجديدة وأهلها.

ويقول الوالد عنه رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «أما علمه فهو بحر لا ساحل له في أغلب العلوم التى يتناولها بالبحث والشرح، فلقد عرفته لأول مرة عام ١٣٧٤ هـ، وكان يزور بعض المشايخ كالشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري، ونقرأ عليه في المجلس حديثًا من أول صحيح البخارى فيشرحه شرحًا موسعًا بحيث يستغرق شرح الحديث الواحد أكثر الجلسة، وعرفته في أحد الأعوام يفسر سورة سبأ في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان يبقي في تفسير الآيتين نحو ساعة أو أكثر، ويستنبط من الآيات فوائد، وأحكامًا، وأقوالًا، وترجيحات يظهر منها عظمة القرآن وما فيه من الاحتمالات والفوائد، مما يدل على موسوعية الشيخ وسعة اطلاعه وكثرة معلوماته».



٨- فضيلة الشيخ مناع خليل القطان:

ولد الشيخ مناع في عام ١٣٤٤هـ في المنوفية في مصر، ودرس في المعهد الديني التابع للأزهر، ثم أخذ الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين في الأزهر، وقام بالتدريس في مصر، ثم وفد إلى المملكة في عام ١٣٧٢هـ، ودرس في كلية الشريعة والمعهد العالي للقضاء، ومازال يمارس النشاط العلمي والدعوى حتى توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٤٢٠هـ.

وقد درس عليه الوالد في مرحلة الماجستير في مادة التفسير، واستفاد كثيرًا من مجالسته ومحاضراته؛ حيث كان يأتي بفوائد كثيرة مستنبطة من الآيات أو الأدلة، وله مؤلفات عديدة في فنون متنوعة، من أشهرها مباحث في علوم القرآن.

٩- فضيلة الشيخ عمر بن مترك:

ولد معالي الشيخ عمر بن عبد العزيز المترك، في بلدة شقراء في حدود عام ١٣٥١هـ، ودرس الابتدائية ثم عين مدرسًا في مدرسة شقراء، وكان يلازم حلقات بعض مشايخ وقضاة شقراء.

التحق بالمعهد العلمي بالرياض، ثم التحق بكلية الشريعة وتخرج فيها عام ١٣٧٧هـ، وكان مدرسًا فيهما أيضًا، ابتعثه الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مصر لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه، فنال الدكتوراه في الفقه المقارن من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام ١٣٩٥هـ.

كان عضوًا في مجلس القضاء الأعلى، وكان مدرسًا في المعهد العالي للقضاء.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٤٠٥هـ [١].

(١) http://www.alukah.net/Culture /0/ 3556/#ixzz1ntMepA00

قـرأ عليه الوالد رحمه الله في مـادة الفقه والحديث والتفسير، وكان شديد العناية بالأدلـة والتعليلات، وله معرفة تامة بالمعامـلات المتجددة ويتوسع في الكلام حولها وقد استفاد منه كثيرًا.

١٠- فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري:

الشيخ العلامة الورع المحدث محمد عبد الوهاب البحيري المصري بعثه الأزهـر إلى كلية الشريعة ببغداد ثم قدم للمملكة ودرس فيها وتخرج به عدد من العلماء.

درس عليه الوالد رحمه الله في الحديث وكان يتوسع في الشرح وذكر المسائل الخلافية ويحرص على الجمع والترجيح.

لم أقف على تاريخ وفاته.

١١- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن هويمل:

مـن أهـل القويعية وكان قاضيا في الرياض، قـرأ عليه الوالد رحمه الله في المسجـد وغيره، وكان قليـل التعليق لكنه يفيد في تصحيـح الأخطاء، ويوضح بعض المسائل الخفية وفي آخر حياته ثقل سمعه واشتد مرضه، ثم توفي رحمه الله تعالى في عام ١٤١٥هـ.

١٢- الشيخ محمد الجندي:

وهـو مصري الجنسية، ولم يقـم إلا بعض سنة حتـى مرض فرجع إلى مصر وتوفي هنـاك رحمه الله.



١٣- الشيخ طه الدسوقي العربي:

وهو مصري الجنسية، وكان ذا معرفة واسعة واطلاع وحفظ مع فصاحة وبيان.

١٤- الشيخ محمد بن إبراهيم المهيزع:

وهو من المدرسين والقضاة، وكان يقيم دروسًا في مسجده وفي منزله ويستفيد منه الكثير.

هكذا ذكر الوالد ولعله وهم فإن من مشاهير من درس في معهد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مهيزع أحد القضاة المشاهير، حيث درس فيه من [عام ١٣٧٦هـ إلى عام ١٣٨٤هـ] وفي هذه السنوات درس الوالد رحمه الله، توفي رحمه الله في عام ١٤٠٣هـ [١].

١٥- الشيخ محمد حجازي:

الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمود حجازي، من علماء الأزهر ومدير معهد المنصورة، درس في الأزهر وتخرج فيه. عين مديرا لمعهد المنصورة. أهم آثاره: «التفسير الواضح»، وكتاب: «الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم».

١٦- الشيخ عبد الحميد عمار:

جزائري الجنسية، وقد درس عليه الوالد في علوم وفنون متعددة، فدرس عليه تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير.

---

(١) http://imamad.com/page.php?do=show&action=aboutimamad

١٧- الشيخ حماد بن محمد الأنصاري العلامة المحدّث والأستاذ بالجامعة الإسلامية

هو الشيخ حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي، ولد سنة ١٣٤٣ هـ في مالي في أفريقيا.

حفظ القرآن وعمره ثمان سنوات، ودرس علوم الآلة، والحديث، والكثير من المتون والمنظومات قبل سن الرشد، هاجر بسبب الاستعمار الفرنسي وكان عمره إحدى وعشرين سنة، فتوجه إلى الحرمين وأخذ ينهل من العلم في حلقات المسجد الحرام، ثم أذن له بالتدريس، ثم ذهب إلى الرياض، وأصبح يُدَرِّس في كلية الشريعة، ثم معهد إمام الدعوة العلمي ثم نُقل إلى الجامعة الاسلامية بالمدينة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٤١٨هـ.

وقد درَّسهم في المعهد العلمي واستفاد منه الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا.

١٨- الشيخ محمد البيحاني.

وهو من علماء اليمن من حضرموت، وقد درسهم في الحديث.

١٩- الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي.

هو الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شنقيط من دولة موريتانيا، وكان مولده في عام ١٣٢٥هـ.

خرج في رحلته إلى الحج، وقد كانت نيته الحج ولم يكن في خلده أن يقيم بالمملكة، ولكن أراد الله به خيرًا، فمكث في المملكة واستقر في المدينة المنورة.

وفي سنة ١٣٧١ هـ افتُتح المعهد العلمي في الرياض وكلية الشريعة وكلية اللغة، واختير للتدريس بالمعهد والكليتين، فتولى تدريس التفسير والأصول إلى سنة ١٣٨١هـ. ومكث في الرياض عشر سنوات، وكان يدرس في مسجد الشيخ محمد في الأصول،كما كان يخص بعض الطلاب بدرس آخر في بيته.

ولما أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتقل إليها، وفي سنة ١٣٨٦هـ افتتح المعهد العالي للقضاء في الرياض فكان يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير والأصول.

توفي رحمه الله عام ١٣٩٣هـ.

من أشهر كتبه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ومذكرة في الأصول على روضة الناظر وآداب البحث والمناظرة.

ذكر الوالد الشيخ محمد الأمين رحمه الله فقال[1]: «سمعنا بقدومه قبل أن نقدم إلى الرياض، وأنه قدم كمدرس أو كمهاجر، ثم لما أتينا الرياض في سنة أربع وسبعين كان شيخنا أبو حبيب رحمه الله يحبه، فكان يقرر زيارته كل أسبوع أو كل أسبوعين، وكنت أصحبه أنا وبعض التلاميذ، إذا دخلنا عليه استقبلنا ببشاشة و بترحيب، ثم أخذ الشيخ يسأله وأخذنا نسأله عن بعض المسائل، فنجد أنه رحمه الله قد أتقن اللغة وعرف اشتقاق كل كلمة، وكذلك أيضًا كان عالما في أصول الفقه، فكان إذا تكلم في التفسير يتوسع في الكلمات اللغوية، وإذا تكلم في الفقه يستشهد بعبارات تدل على توغله في علم أصول الفقه.

كان يحفظ متن نظم يقال له مراقي السعود لأحد الشناقطة اسمه محمد الأمين، وقد طبع بعد ذلك وطبع عليه شرح، في السنة الأولى زرناه أكثر من عشرين أسبوعا أو ثلاثين كل أسبوع نأخذ منه فوائد.

---

(١) قصتي في طلب العلم.

هؤلاء أبرز من رأيت من مشايخ الوالد رحمه الله، وقد ذكر الشيخ محمد المشوح في مقالة له وكان قد حاوره في الإذاعة أن الوالد رحمه الله عد له بعض مشايخه ممن لم أذكرهم هنا وهما الشيخ محمد بن عباد والشيخ إبراهيم ابن حركان [1]

رحم الله الشيخ الوالد ورحم مشايخه وجمعنا بهم في جنات النعيم.

أقران الزمان

أقران الزمان لاتكاد الذاكرة تنسى الساعات الجميلة والأيام السعيدة التي يقضيها المرء معهم، لا سيما إذا كانوا أقرانا في مهنة شريفة ووظيفة سامية كطلب العلم الشرعي، وتحت هذا العنوان سنعيش مع أقران الوالد الذين زاملهم ورافقهم في زمن الطلب حيث استفاد رحمه الله من عدد من الزملاء والجلساء الذين سعد بالاقتران بهم في وقت الدراسة، ووفق بالقراءة والمذاكرة مع بعضهم في أغلب الليالي، وسأذكر هنا أقرانه الذين زاملوه في طلب العلم، وسيأتي الحديث فيما بعد عن علاقته بهم، وممن أسعفتنا المصادر التي بين أيدينا بأسمائهم:

١- الشيخ فهد بن حمين الفهد.

٢- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فريان مؤسس جمعية تحفيظ القرآن الكريم في الرياض.

٣- الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم.

٤- الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

(١) http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm.

٥- الشيخ إبراهيم بن عبدالله الهلالي، وكان ضرير البصر.

٦- الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن العريني، وكان ضريرًا أيضا.

٧- الشيخ عبدالله بن سعدان الجضعي[١].

٨- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مقرن آل سعود.

٩- الشيخ محمد بن جابر، وقد تولى القضاء في المحكمة المستعجلة.

١٠- الشيخ إبراهيم النغيمشي، وقد تولى القضاء في الحريق

١١- الشيخ إبراهيم الخنيزان، وقد اشتغل التعليم.

١٢- الشيخ محمد بن صالح السحيباني، وقد تولى القضاء في البدائع.

١٣- الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم المسعد.

١٤- الشيخ محمد بن سعود الصبيحي.

١٥- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الهويمل.

١٦- الشيخ سعد بن عبدالرحمن السريع.

١٧- الشيخ عبدالله بن محمد الجبرين«ابن دليحان».

ومن زملائه في مرحلة الماجستير:

١- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة.

٢- معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

٣- الشيخ محمد بن عبدالرحمن العقيل المعروف بأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

٤- الشيخ سليمان الرشودي.

٥- الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم.

٦- الشيخ ناصر بن زهير.

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

٧- الشيخ عبدالله الشعيبي.

٨- الشيخ عبدالله بن حمد الخويطر.

٩- الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن محمد السدحان.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يستفيد ممن سبقه بالقراءة على المشايخ، فأدرك كثيرًا مما فاته بواسطتهم، فكان يقرأ عليهم الشرح، ويتلقى إصلاح بعض الأخطاء اللغوية والبحث في المسائل الخلافية، ومعرفة الكتب المفيدة في الموضوع، وكيفية العثور على المسألة في الكتب المتقاربة في الفقه الحنبلي، وكذا معرفة طرق الاستفادة من كتب اللغة، واختصاص كل كتاب بنوع من المواضيع، ونحو ذلك مما يفوت من يقرأ بمفرده، ولهذا يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُنصح المبتدئ أن يقترن في المذاكرة والاستفادة بمن هم أقدم منه في الطلب، ليضم ما عندهم إلى ما عنده من الفوائد».

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «استفدت كثيرًا من زملائي؛ لأن لهم دراسة قديمة على بعض المشايخ أكثر مما درست، فأنا دراستي فقط كانت على شيخنا الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب، وعلى الوالد قبله، وعلى الشيخ صالح ابن مطلق في الرين، وأما هم فدرسوا على الشيخ عبداللطيف، ودرسوا على الشيخ عبدالعزيز بن باز عندما انتقل من الخرج إلى الرياض عند تأسيس المعهد العلمي سنة ١٣٧١هـ، وكانوا من قبل يترددون على الشيخ ابن باز للدراسة عليه عندما كان قاضيًا في الخرج.

هناك كلمات كنت أغلط في التلفظ بها فيقوموني، وكانوا ينتقدون لهجتي فإن لهجتنا في القويعية فيها كلمات غريبة، فكانوا يتعجبون منها، ولما

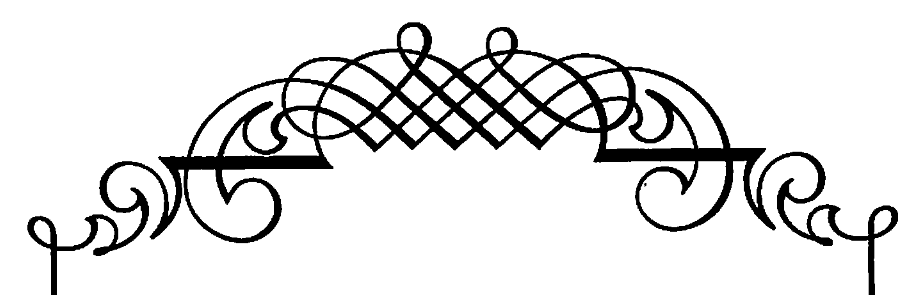
---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة

رأيتهم يضحكون ويتعجبون من هذه اللهجة التزمت أنني أترك اللهجة ولا أتكلم إلا باللغة العربية الفصحى مما كان سببا في معرفتي بها.

كما أننا كنّا نستفيد من المكتبة الموجودة في مسجد دخنة الذي كان يؤمه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، وأغلب الكتب الموجودة فيها لزميلنا عبدالرحمن بن محمد بن مقرن بن عبدالعزيز بن مشاري آل سعود، فكنّا إذا صلينا العشاء نجتمع في هذه المكتبة نقرأ دروسنا التي سوف ندرسها في الغد، فنقرأ مثلًا في الفقه في حاشية الروض التي كتبها الشيخ عبدالله العنقري رحمه الله، ويحضر معنا أحمد بن قاسم ويقرأ في حاشية الروض المربع التي هي من تأليف والده، ونقرأ أيضًا شرح الأحاديث التي سوف نقرؤها من بلوغ المرام غدًا، نقرأ في سبل السلام، وكذلك نقرأ في شرح التوحيد الذي سوف نقرؤه من الغد؛ لأن دروسنا على الشيخ محمد بن إبراهيم بعد الفجر ثلاثة، وهي: الفقه، والحديث، والتوحيد».





القسم الثالث

العطاء المتجدد

- نبوغ مبكر.
- موسوعية وابداع.
- المدرس المتفنن.
- داعية لا يكل.
- المفتي القدير.
- وماذا عن التأليف.
- الإمامة والخطابة.
- تقاعد أم انطلاق.

العطاء المتجدد

هــذا القسم سأحــاول أن أجلي فيه مرحلة من المراحــل المهمة في حياة الوالد رحمه الله التي تميز بها، بل عرف بها.

ومــع أن عطــاءه رحمه الله كان في عــدد مــن الميادـيــن العلميــة والدعويــة والاجتماعيــة، إلا أني سأهتــم هنــا بالعطــاء العلمي والدعــوى، وأعني بذلك العطــاء الذاتي المباشر في عــدد من المجالات التي تميــز بها رحمه الله كالتعليم والإفتاء والدعوة، وسأؤجل الحديث عن المجالات الأخرى إلى مباحث تخصها.

سأذكــر هنا أيضًــا قضايا مهمة تبــين مميزات هذا العطــاء وأرضيته ومعالمــه، ككــون مظاهر هذا العطــاء ومبادئه بــرزت مبكرة في حيــاة الوالد رحمه الله منــذ صغره، وكونه عطاء موسوعيا مستوعبا العديد من مجالات العلم والدعــوة، وتكامل هذا العطاء وأصالته، وتجــدده وانضباطه بضوابط الشرع والعقــل والحكمة والبصيرة، وكــون العطاء في حيــاة الوالد رحمه الله لم يرتبط بزمــان ولامــكان ولا وظيفــة ولا جنسيــة ولا أسلوب ولا غيرهــا من محددات العطاء ومقيداته، بل هو عطاء شيخ الأمة لعموم الأمة.

سنعيش مع هذا العطاء، نخوض بحره ونستمتع بدرره، متجنبين المبالغات والتكهنات، مهتمين بالوقائع والشواهد، التي رآها أحبابه و عايشها طلابه.

نبوغ مبكر

العطــاء المبكر في حياة الوالد رحمه الله كان مؤشــرًا للنفس المحبة للعطاء والبذل، الحريصة على الفائدة والإفادة.

مـر بنا أنه ذكر أن والده رحمه الله كان يلقنه ثلاثة الأصول المختصرة حتى حفظها، وصار يكلفه أن يلقنها للناس فحفظ ذلك وأتقنه في سن الثالثة عشرة أو الثانية عشرة.

توفيق الله ثم تربية الوالد ثم عناية شيخه الأول أبو حبيب ثم النفس المحبة للعلم والتعليم الحريصة على العطاء، كان ذلك كله وراء هذا القدر الكبير من العطاء الذي نسجه الوالد رحمه الله خلال سني عمره.

فبعد أن أتم حفظ القرآن بدأ شيخه اللبيب يدربه على العطاء في مجالات عديدة.

يذكر رحمه الله عناية شيخه أبو حبيب به فيقول[1]: «ومن المواقف: إلزامه لي أن أتولى تعليم الأولاد للقرآن الكريم في حدود سنة ثمان وستين، ولمدة أربع سنين، وكان لذلك الأثر في الحياة؛ حيث حصل بذلك الاهتمام بالقرآن، والتفرغ لتعليمه، وانتفاع الأولاد الذين قرؤوا علينا فيما تيسر من القرآن».

ويقول أيضا[2]: «عندما أكملت حفظ القرآن، ابتدأت أكرره، وكنت أختمه كل ثلاث ليال وذلك في سنة سبع وستين، في تلك السنة أمرني الشيخ أن أصلي صلاة التراويح بمسجد هناك في القرية في الرين، فكنت أصلي بهم من حفظي وأطيل».

وفي مجال ثالث من مجالات التدريب يقول رحمه الله[3]: «لما أتممت حفظ القرآن الكريم ألزمني الشيخ أبو حبيب أن أتولى إمامة وخطابة المسجد إذا غاب

---

(١) انظر الفتوى رقم / (٨٥١).
(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.
(٣) تجربتي في طلب العلم.

الوالـد؛ فكنت أصلي بهم الجمعة والجماعـة، وكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يسافر ويغيب شهرًا أو شهرين، يذهب إلى الرياض أو إلى القويعية أو إلى البلاد الأخرى».

إن هذا العطاء لم يأت من فراغ بل كان ثمرة توفيق وتدريب وإخلاص ورغبة.

ولما انتقل الشيخ عبـد العزيز الشثري رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الرياض عام ١٣٧٤هـ استصحبـه معه وذكر لسماحة الشيخ محمد بـن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى تميز الشيخ ونبوغه مما جعل الشيخ محمد يجعله مع أعلى التلاميذ عند تقسيمهم إلى سنوات في معهد إمام الدعوة العلمي[(١)].

وظهرت آثـار هذا النبوغ والتميز في النتائج؛ فقد كان هو وزميله الشيخ محمـد ابن الشيخ عبدالرحمن بن قاسـم رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى يتنافسان على الأولية يقـول رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «في سنـة ست وسبعين اختبرنا للمرحلـة الثانوية وكان الأول محمـد بـن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ وأنا الثاني في الترتيب، وأمـا في سنة اثنتين وثمانين اختبرنا للمرحلة الأخيرة التي هي القسم العالي، التي هي تعادل كلية الشريعة فصار الأمر أنني أنا الأول ومحمد بن قاسم هو الثاني».

وكان من آثـار إعجاب الشيخ محمد بن إبراهيم به أن طلبه ذلك العام لتولي القضاء، ولكنه اعتذر بالدراسة والشوق إليها فعذره[(٣)].

وفي عـام (١٣٨٠هـ) وبأمر من الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ شكلت هيئة من عدد مـن المشايخ لإرسالهـا للدعوة والإرشاد في الحـدود الشمالية، وقد رأس هذه الهيئة الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري المعروف بأبو حبيب.

---

(١) ترجمة الشيخ من موقعه رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) قصتي في طلب العلم.
(٣) ترجمة الشيخ من موقعه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقـد اختير الوالد رَحِمَهُ اللهُ عضوًا في هذه الهيئـة، واستمرت هذه الرحلة أكـثر من ثلاثة أشهر تنقلوا خلالها في عـدد كبير من القرى والمدن في شمال المملكة[1].

وفي سنــة إحـدى وثمانين تعين مدرسا في معهد إمـام الدعوة الذي كان يدرس فيه، وذلك قبل أن يتخرج بعدة أشهر[2].

وقد أحب التدريس وشغف به حتى أصبح أشهر من عرف بكثرة الدروس في العصر الحاضر، كما سيأتينا إن شاء الله.

يقـول رَحِمَهُ اللهُ[3]: «ومن آثار مزاولتـي لهذا التدريس أحببـت أن أشتغل بهـذا التدريس في الأوقـات الأخرى التي عندي فيها سعــة، فطلب مني بعض التلاميـذ أنني أدرسهم، فـكان ذلك أولا في سنة خمس وثمانين أن ابتدأت مع بعض الإخوة اليمنيين في الفرائض، ولقيت منهم تقبلا».

يقول الدكتور عبدالوهـاب الطريري وهو من تلاميذه القدماء[4]: «أول ملمـح تلمحه في حياة الشيخ بالنسبة للتعليـم أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بدأ في التعليم بدايــة مبكرة، سبق الصحــوة العلمية وكان يجلس في التعليــم ولحيته سوداء ليس فيها شعرة بيضاء.

يعني: في الثلاثينيات من عمره.

كان يجلســ في التعليــم في وقــت، كان وقت غربة، كانــت مجالس العلم قليلة.

(١) ترجمة الشيخ من موقعه رَحِمَهُ اللهُ

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة

(٣) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة

(٤) برنامج مرآة الحدث من قناة المجد الحلقة الأولى عن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ

كان الشيخ عبد العزيز بن باز في المدينة، والشيخ عبد الله بن حميد في مكة، في الرياض لم تكن هناك مجالس علم، لكن كان الشيخ عبد الله بن جبرين الذي كان ذلك الوقت في أوج شبابه وقوته كان هو المعطي الباذل».

وكما نبغ مبكرا في التدريس والإمامة والخطابة فقد نبغ كذلك في الإفتاء مبكرا، يحدث تلميذه الشيخ عبدالوهاب الزيد، فيقول[1]: «حدَّثني الشيخ العلامة القاضي عبدالرحمن بن سحمان أن الشيخ ابن جبرين والشيخ ابن فوزان كانا يفتيان أيام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى».

وقبل أن أختم الحديث عن هذا النبوغ أورد ما روته أختي هيا، وهي تحكي سببا من أسباب ذلك عن الوالدة رحمها الله تقول: «أذكر من قصصها أن أتراب الشيخ رحمه الله كانوا يأتونه يطلبون منه القيام للعب معهم، إلا أنه مشغول بالتلقي.. فلما يأسوا منه صاروا يعيرونه ويصفونه بالخوف منهم وهو لا يبالي بهم. ودارت الأيام وأصبح كثير ممن سخروا منه يطلبون قربه ورضاه».

موسوعية وإبداع

ملمح آخر من ملامح العطاء في حياة الوالد رحمه الله، وسأخصص الحديث عن الموسوعية والإبداع في المجال العلمي والدعوي فقط، كما ذكرت من قبل.

وأريد بالموسوعية أنه رحمه الله كان موسوعة متنقلة، يحليها بإبداع الاختيار وبراعة الطرح ورقي الأسلوب ومتانة المادة.

---

(١) http://www.hdeeth.com/vb/



يقـول الدكتور سلمان العـودة [١]: «في الشيخ جانـب موسوعي وإن كان غلـب عليـه جانـب الفقه، حفظـه للقـرآن، حفظـه للتفاسير، حفظـه للسنة النبوية،حفظه للغة العربية، حفظه الأدب، تجلس معه تجد مقامات الحريري وغـير الحريري، حفظه للأنساب، كثير من العلوم حتى في الجغرافيا والمواقع والأعلام عنده معرفة وعنده اطلاع.

والغريـب أنـه أحيانًا يلقي المحاضرات كأنـه يقرأها من ورق، مما تجد عنده من سعة المحفوظات واستحضارها».

ويقـول تلميذه الشيخ أحمد المهنا[٢]: «الشيخ أصفه بما وصف به الإمام الشافعـي بأنه: مـا سمع شيئًا فنسيـه، والإمام الشافعي يقـول عن نفسه: ما كتبت سوداء في بيضاء.

الشيخ فيما أعلم عنه أنه لا يسمع شيئًا فينساه».

ويقـول تلميذه عمـر المشاري[٣]: «تجـدُه يستشهد بالآيـات والأحاديث والأشعار والأمثال وأقوال أهل العلم من السلف ومن المعاصرين مما يعجبُ له السامـع، كما أنه يسترسل في شروحـه للكتب والمتون العلميَّة ويفصِّل تفصيلًا طويلًا ليفهم الطالب المقصود».

ويقـول الشيـخ عبدالواحد المـزروع وهو مـن تلاميذه أيضًـا [٤]: «كان لصـوت الشيخ المميـز، وأسلوبه في الطرح، وحديثـه في مسائل العلم، وتبحره

---

(١) حلقة في قناة الدليل عن الشيخ رَحِمَهُ الله في يوم وفاته.

(٢) محاضرة للشيخ أحمد المهنا
http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742

(٣) http://www.al-jazirah.com/87018/rj8.htm

(٤) .http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=81&cid=352

فيهـا، لذة لا يدانيها لـذة، وأنس لا يقاربه أنس، وإنـك لتعجب من موضوع أو مسألـة يطرحهـا الشيخ فتجد انصراف ذهنك لجزئيـة معينة، في حين يفتح الله علـى الشيخ فتوحًا وفوائـد، لو قرأت الدهر كلـه لم تحصلها، وذلك لأنه بحـر في العلوم: عقيدة وتفسيرًا وفقهًا ولغة وأدبا، كان لقاؤنا به يذكرنا ببقية السلف، ويذكرك رؤيته وحديثه بمن سلف من العلماء الربانيين».

وهـذه مجموعة مواقف ساقهـا تلميذه وقريبه الدكتـور محمد العريفي بأسلوبـه الشيق يقول[1]: «الشيخ له أربعون سنة مـا أمسك المصحف، الشيخ يحفظ المعلقات السبع، يحفظ مقامات الحريري.

كنـا في مجلس فسأله أحـد الجالسـين وكان صغيرًا، قال: يـا شيخ ما الحكم إذا أمسكت المصحف وهو مجلد، أمسكته وأنا على غير طهارة؟.

فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الطالـب: ذكرتني بقول الحريري في مقاماته: هل يجوز للدارس حمل المصاحف؟ قال: لا، ولا في الملاحف.

قال: ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة.

قال: صلاته جائزة.

ثـم سرد من حفظه صفحة ونصفا مـن مقامات الحريري، وهي إحدى وتسعون مسألة فقهية، ذكرها الحريري في إحدى المقامات فيها ألغاز فقهية.

قلت له: يا شيخنا أنت متى راجعت هذه الصفحة ونصف؟.

قـال: أذكـر الكتاب كان عندنـا في الرين قبل خمسـين سنة، ومن ذلك الحين لم أنظر إليه.

---

(١) قناة دليل حلقة بعنوان في وداع فقيه العصر.

ومـرة مـن المرات في درسـه كان يتكلـم شيخنا عن مواقيـت الصلوات وأنـا حاضر، فتكلم عن النجوم وعن حركتها، وعـن الكواكب، ثم ذكر المريخ والزهرة والمشتري، وعدد الكواكب كلها بأسمائها، ثم ذكر ما هو أكبر وما هو أصغر، حتى يخيل إليك أنك أمام دكتور متخصص في الفلك، ثم قال الشيخ: وكما قال الناظم:

للظل أقـدام أتـت محـرره	دلـو وقـوس سبعة معتبره
وسـتة للـعـقـرب والحـوت	دال لـمـيـزان وحـمـل أوتـي
اثـنـان للـثـور ولـلـجـوزاء	وواحــد للـيـث والـعـذراء
سَـرْطـان لا ظـل لـه علانيه	جـدي أتـت أقـدامـه ثمانيه

ثـم لما انتهى الشيخ وجلسنا سأله أحد الطلاب قال: يا شيخنا الأبيات التـي جئـت بها في الأبراج الحمل الدلو والميزان هـذه، متى حفظتها، ومن أي كتاب؟.

فقـال الشيخ: أذكر قبل أربعين سنة قرأتها في التقويم القطري، التقويم فيه فوائد.

هـذه القوة الهائلة في الحفظ في أشياء لا يسأل عنها، لو سرد حديثًا في البخـاري ومسلـم لقلنا يستفتى في كل يوم فيكون له مراجعة، لو سرد آية من القـرآن لقلنـا له ورد يومي، لكن من سيسأله عن هـذه الأبراج ومن سيسأله عن مقامات الحريري" أ.هـ.

سئـل الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ عـن حفظه لمقامـات الحريـري، فقـال بتواضعه المعهود[1]: «شيخنا الشيخ صالح بن مطلق رَحِمَهُ اللَّهُ ضرير البصر، ولكنه آية في

(١) قصتي في طلب العلم.

الحفظ، كان يحفظ المقامات، وكان يأتينا في قريتنا ويسرد مقامتين أو ثلاث مقامات في المجلس الواحد، وكذلك يحفظ زاد المستقنع بأكمله، ويحفظ نظما أكثر من ثمانين ألف بيت، فأعجبنا بحفظه لهذه المقامات، ولكن لم نقدر على أن نقرب من حفظه، ولا أن نحفظ شيئًا منها، إلا جملا يسيرة أو قصيدة في آخر المقامات، كان يحثنا على حفظها قصيدة رباعية مبدؤها قوله.

خل ادكار الأربع	والمعهد المرتبع
والظاعن المودع	وعد عنه ودع
واندب زمان سلفا	سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا	على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها	مآثمًا أبدعتها
لشهوة أطعتها	في ملعب ومرتع

إلى آخرها تجدونها في آخر المقامات».

ويقول الشيخ أحمد المهنا[1]: «الشيخ عنده استذكار لبعض الأمور وإن كانت ليست مكررة، مثل وصية أحمد هذا الذي يدعي أنه خادم حجرة النبي ﷺ.

سألت الشيخ، كنت أسأله وما أتوقع أن هناك جوابًا.

قلت: يا شيخ أول سنة انتشرت فيها وصية أحمد هذه المكتوبة عام كم؟.

فقال مباشرة: عام ١٣٥٦هـ.

متميز في التواريخ، وفي حساب المسائل الفرضية، تعطيه أي مسألة فرضية ليس المراد بقسمتها، العجب أنك تعطيه المبلغ دون آلة حاسبة يعطيك النتيجة.

الأم لها كذا، الزوجة لها كذا، لكل بنت كذا، لكل ابن كذا.

زرنا مرة جمعية مكافحة التدخين، طلبوا من الشيخ كلمة عن الدخان، جلس قرابة ساعة كاملة يتكلم بكل طلاقة، كأنما يقرأ من كتاب، كلام علمي

---

(١) محاضرة للشيخ أحمد المهنا
.http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742

مرتـب، أخـذ يستعرض بعضـ الكتب التي قرأهـا في التدخـين، ويذكر بعض المنشـورات القديمة لها ثلاثين أو أربعين سنة قرأهـا، منها منشور كان يقول: اشـرب نارًا وأحـرق دينارًا، ويعطيك اسم المؤلف، ويقـول هذا الكتاب مترجم كان باللغـة الإنجليزية، وترجمه فلان بن فـلان، وقال في مقدمة الكتاب كذا، ويسرد حوالي صفحة، وقال في خاتمة الكتاب كذا، ويسرد مجموعة من الكتب.

هذه الموسوعية وهذه الملكة هي التي جعلتنا نبكي على الشيخ هذا البكاء.

ذهبت معـه لإحدى المحاضـرات، و لما وصلنا إلى المسجـد التفت عليَّ، وقال: أيش عنوان المحاضرة؟.

قلت: ماذا يا شيخ؟.

قال: أيش عنوان المحاضرة؟.

أعطيته عنوان المحاضرة، فلما تكلم كأنه قد حضر لها من شهر.

ومـن أبـرز المحاضـرات التي أثرت فيَّ ومـا زلت أستفيـد منها في خطب الجمعـة، لأني فرغتهـا محاضـرة باسم فتن آخـر الزمان، أخـذ يتكلم الشيخ عـن فتن آخر الزمان فـتن الشهوات فتن الشبهات، تقول هـذا الشيخ لا يحسن إلا هذا.

يتكلم في الأدب، يتكلم في الأخلاق، يتكلم في كل فن تجده موسوعة.

الآن في المركـز العلمـي التابع لمكتب الشيـخ، الشيخ هو الذي افتتح هذا المركز، فيه أكثر من سبعة آلاف ساعة صوتية للشيخ».

قلت: قد بلغت الآن أكثر من عشرة آلاف ساعة بحمد الله.

وتقول الأخت سميرة من طالبات الشيخ رحمه الله وهي سويدية الجنسية وسودانية الأصل، وتتعجب من موسوعيته: «لقد عرفت الكثير من مدن وقرى المملكة من شرحه، فيذكر مثلا القبائل، ويذكر طريقة المعيشة، وما كان في الزمن القديم قبل دخول المدنية، وأيضا مسألة إدخال المكيروفونات والكهرباء في المساجد، وموقف المشايخ في ذاك الوقت، وموقف سماحته ورأيه فيها رحمه الله، وكأنه أستاذ جغرافيا وتاريخ، بل وحتى في العلوم من علوم النباتات والفلك والنجوم والكواكب وأسمائها، تتعجب من علمه الغزير رحمه الله.

ففي شرحه لكتاب الحج مثلا عندما ذكر مس الطيب بالنسبة للمحرم، ذكر المسك والزعفران بأنواعه والياسمين والكادي، بل وأتى على ذكر أعشاب عطرية عديدة جدا، لا تخطر على بال الكثير منا أو يعلمها، مع ذكر مواصفاتها، فلا يدع للسائل مجالا للتفكير والحيرة في معنى مس الطيب».

وفي جولة له في حائل لازمه أحد الإخوة وسأله عن العديد من المسائل، ومن طريف ما ذكر قال[1]: «سألت الشيخ كيف هزم العرب في حرب ١٩٦٧م؟، سرد الأحداث مثل ما كانت في ذلك الوقت!!، فتكلم الشيخ تاريخيا كيف كان هجوم اليهود على جيش مصر، وكيف قصفوا الجنود والمطارات، وذكر أن جيش مصر في ذلك الوقت كان أقوى جيش ولكنهم دكوه بالطائرات، ثم ذكر جيش الأردن وسوريا، وكيف أنهم هزموا، وذكر الشيخ أن الملك فيصل في ذلك الوقت طلب جمع تبرعات خاصة للأردن التي تضررت كثيرًا.. وذكر سلسلة من الأحداث.

---

(١) أبو سارة الجمعة ١٤٢٧/٨/٨هـ
http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3

ثـم ألقى الشيخ دروسه التي هــي كالدرر والثمار اليانعة مجلس فيه جم كبير من الفوائد والنكت وأقوال العلماء، كأنك تعيش مع الإمام مالك وهيبته، أو مــع أبــي حنيفة وذكائه واستنباطه، أو مع الشافعــي وآرائه، أو مع أحمد في علمــه وتقــواه.. لا تسمع إلا آيــات وأحاديث ونقــولات عمن سبق مــن العلماء وترجيحات يراها الشيخ.

وإذا حضــرت مــع درسه في الفجر لا تسمع إلا تأصيــلًا في العقائد وردًا على شبهات المعتزلة والأشاعرة والروافض فلله دره».

رزقــه الله حافظة عجيبة، يقــول الشيخ أحمد المهنــا [1]: «قرأت عليه حــوالي خمسمائــة بيت من نونية ابــن القيم، وكان عند الشــرح يعيدها عليّ، فسألت الشيخ: أنت حافظ النونية وعدد أبياتها أكثر من ستة آلاف بيت.

قال: لا ما نحفظها بس أبيات متفرقة.

أقول: هو أحفظ من رأيت من العلماء».

يقول عنه تلميذه الدكتور عبدالمحسن العسكر: «مما يميز شيخنا رَحِمَهُ اللهُ سعــة محفوظاته من النصوص، وكان رَحِمَهُ اللهُ يورد الأحاديث الطويلة من كتب السنــة بألفاظها، وله قدرة عجيبة في انتزاع الآيات من القرآن، ويعزو الأقوال والمذاهــب إلى أهلهــا، وكان آية في حفــظ الشعر والتمثل بــه، وأحسبه يحفظ مقامات الحريري. وقد سلم له زملاؤه بقوة الحفظ، قال لي شيخنا عبد الله ابــن قعود رَحِمَهُ اللهُ «الشيخ ابن جبرين عيبة علم» وحدثني شيخنا عبدالرحمن البراك فقال: «الشيخ عبد الله بن جبرين يحفظ ولا نحفظ».

---

(١) محاضرة للشيخ أحمد المهنا
http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742

وأورد أحـد الكاتبين في موقع أهل الحديـث[1]: «ومما يذكر عن الشيخ العلامـة عبدالله بن جبرين: قال لي أحد طلابه: إنـه سأل الشيخ عن مسألة فقال الشيخ عبد الله: هذه المسألة تذاكرتها مع فلان وفلان وفلان بعد المغرب قبل نحو ثلاثين سنة......!

أيضًـا الشيـخ يشرح الكتب والدروس اليومية مـن حفظه وبعض الكتب أيضًـا كالسبـك الفريد (يقع في مجلديـن) وهي كما يقـول الشيخ: مما علق بالذهن!».

ويقـول الشيخ محمـد زياد التكلة[2]: «كان الشيـخ رحمه الله حافظًا للعلم، عجيـبَ الاستحضار، ينتقل من درس إلى آخر، وينتقل من فن لغيره، ويشرح في الجميـع، وينقـل الأقوال دون مراجعة ولا تحضير سابـق، وأنّى يجد الوقت لذلـك؟ وسمعـت من شيخنا سعـد الحميّد حفظه الله مرة يقـول: الحمد لله أنه بارك لنا في حافظة شيخنا واستحضاره للمسائل».

وفي حديـث لتلميذه الشيخ الدكتـور إبراهيم بن صالح الخضيري عضو المحكمـة العليا في الرياض عن موسوعية شيخـه وحافظته، قال[3]: «إن الأمة الإسلاميـة فقدت بوفاة الشيخ عالما جليلا، ومؤرخا كبيرا، ومحدثا وفقيها في آن واحد، كان ذا حافظة رائعة وبنكا معلوماتيا متحركا».

ويقـول تلميذه أحمد المهنا: «قـرأت عليه في ملحة الأعـراب للحريري، فكان يترجم للحريري ويذكر بعض المقامات، وإذا بدأنا أخذ يأتي بـألفية ابن

---

(١) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=4931

(٢) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين محمد زياد بن عمر التكلة http://alukah.net/articles/1/ 7038.aspx

(٣) article_252034.html/14/http://www.aleqt.com/2009 /07

مالـك، وألفية ابن معـط، قال صاحب قطر الندى، قـال صاحب الآجرومية، وهكذا، كأنك تدرس عند أستاذ في الجامعة متخصص في علم النحو.

إذا انتقلـت إلى فـن آخر علم الأصـول وقرأت مثلًا عليـه في الورقات، يقول:قال الإمام ابن القيم كذا، وقال الشاطبي في الموافقات كذا.

وفي إحدى السفرات أخذ الشيخ يصف لي الطريق، يقول: ستأتينا قرية كذا، مركز كذا، محافظة كذا.

والأعجـب من ذلـك أنه يأتي بالفـروق بالكيلومتر، يقـول: المسافة بقي عليها كذا، وإذا مر واد قال: هذا وادي كذا.

مررنـا وادي الرشا المعروف، فأخذ الشيخ يسـرد قصائد بالعامية عن هذا الوادي.

ثم مررنا على مجموعة من الأشجار، فقال: هذا الشجر يؤخذ منه كذا، ويصنع منه البارود الذي يوضع في أحد الأسلحة القديمة وهو المقمع».

ويذكـر الأخ سليمـان أنه قام بجولة في شمال المملكـة وبعد عودته سأله الوالـد رحمه الله عن رحلتـه فبدأ يذكر له بعضـ المدن فأخـذ الوالد رحمه الله يسألـه عـن قـرى صغيرة مـروا بها ومـا زال يتذكرها مـع أن عهـده بها من عام ١٣٨٠هـ.

يقـول الشيخ أيمن بن عبدالعزيز أبانمـي[1]: «أذكر أنه أنشدنا في أحد دروسه أكثر من ثلاثين بيتًا في أحكام السواك».

---

(١) http://www.al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/30/rj4.htm

ومـع هذا كله فقد كان الوالد رحمه الله يستصغر نفسه، ويرى أن ذلك أمر عـادي، ففي مقابلة مـع مجلة البيان[1] سئل عـن فتاواه، وأنهـا تلقى ارتياحًا عامًـا. فأجاب بقوله: «أعترف على نفسـي بالقصور والنقص، وكثرة الخطأ، وأسـأل الله العفو والغفران، وستر العيـوب، والنقائص»، وسأذكر هذا النص كاملا عند الحديث عن فتاواه رحمه الله وسترى مافيه من عجائب.

وهـذا لا شـك أنه تواضع منه رحمه الله، وإلا فقد شهـد له القريب والبعيد بقوة حافظته حتى قال تلميذه البار الدكتور عبدالعزيز السدحان: « والشيخ لو ترجم له منصف لصنفه مع الحفاظ دون تردد، فلا أعرف في مشايخنا أقوى حافظة واستحضارًا من الشيخ عبدالله، رحم الله مشايخنا».

وأختـم هذه النصوصـ بنص لسماحة المفتي العـام الشيخ عبد العزيز ابـن عبد الله آل الشيخ حفظه الله يقول: «عرفته رحمه الله عام الثمانين يشتغل مع محمد بن قاسم رحمه الله في تحقيق فتاوى شيخ الإسلام، ولهذا إذا مر بنا شيء في الفتاوى يستذكر الموقف من هذه العبارة أو نحو ذلك، فكان عنده إلمامٌ تامٌّ بمجمـوع شيخ الإسلام ابن تيمية، كأنه يتصفحه بين يديه، فمشاركته الفعلية جعلـت الشيخ يستذكـر هذا المجموع الكبير استذكارًا كامـلًا، وإذا سألته عن شيء في أي صفحة من أي مجلد أبدى لك ما عنده».

وقـد تحـدث الشيخ عـن محفوظاتـه في حال الطلـب، فقـال[2]: «كان مشايخنـا يلزموننا بالحفظ، ويكـررون ويتأكدون من الحفـظ، فكنا نحرص علـى حفظ المتون وبالأخص في مبـادئ أمرنا ككتاب التوحيد، وثلاثة الأصول وأدلتهـا، وشروط الصـلاة وواجباتهـا وأركانها،وفرائض الوضـوء ونواقض الوضوء، ألزمونا بحفظها قديمًا بواسطة الوالد.

(١) مجلة البيان، العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ

(٢) انظر قصتي في طلب العلم وصفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

والوالـد رَحِمَهُ اللهُ أمرنـا أن نحفـظ الآجرومية في النحـو فحفظنا متنها، وكذلـك كلفنـي أن أحفظ متن الرحبية في الفرائض، ولما ابتدأنا على الشيخ أبو حبيب كان يكلفنا بحفظ المتون، زاد المستقنع حفظنا فيه إلى قرب نهايته، وكذلـك آداب المشي الى الصلاة حفظته أنـا وابنه ناصر، والألفية قرأنا فيها وحفظنا نحو ثلثها، والعقيدة الواسطية حفظناها.

ولما جئنا للرياض كملنا بلوغ المرام، وكذلـك الحموية كلفنا بحفظها، وحفظنـا نخبـة الفكر وقرأناها علـى الشيخ عبـد العزيز بن بـاز، وكلفنا أن نحفظهـا، وألفيـة العراقـي حفظناها، وروضـة الناظر نطالعهـا، وقد نكلف بحفـظ مواضع منهـا لأجل الاختبار فيها، والورقات لإمـام الحرمين قرأناها علـى الشيـخ محمد الشنقيطـي رَحِمَهُ اللهُ، فألزمنا بحفظها، حفظنـا منها نحو صفحتين أو ثلاث صفحات.

في سنة من السنين أيضًا ألزمنا بقراءة اللامية لامية الأفعال التي لابن مالك، وهي أيضًا فيها شيء من الصعوبة، فقرأناها وحفظنا منها ما تيسر».

ومـن طرائـف ما ذكره مـن محفوظاته عن الشيخ محمـد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ قـال[1]: «مما أذكـره أنه ألقى إلينا لغزًا، وعجزنـا أن نحله، وذلك في آخر كتاب الوصايا، يقول وهذا من نظمه:

هنا مريضٌ مخوف الموت ليس له ... سـوى عبيد يساوي قـدر خمسينَا
فأعتق العبد قبل الموت واكتسب الـ ... ـعبيـد قبل ممـات السِّيـد سبعينَا
ونـازع العبـد وراثٌ لسـيده ... من بعد أن مات في السبعين أفتونا
هـل هي لـه أو لهم أو بينهـم وإذا ... ما الوجه في القسم إن كنتم مجيبينَا

(١) محاضرة للشيخ عن الشيخ محمد بن إبراهيم ومنهجه في التعليم.

وبحثنا في كتب الوصايا ولم نجد جوابًا، ومات الشيخ قبل أن يخبرنا، ووجدنا هذه الأبيات عند أحدِ تلاميذه الآن، ولعله من زملائه، وهو الشيخ عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل».

ومن المميزات المشهورة لدروس الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ التزامه باللغة الفصحى، يقول تلميذه الدكتور عبدالمحسن العسكر وهو متخصص في اللغة العربية: «ومما امتازت به دروس شيخنا التزامه الدائم للفصحى وتجنبه للحن والعامية، لا يحيد عن ذلك أبدا مذ عرفته، في دروسه ومحاضراته».

وقد ذكرت سبب حرصه ومعرفته للغة العربية، حيث ذكر عن بعض زملائه: أنهم كانوا ينتقدون لهجته حينما جاء من القويعية، فالتزم أن يترك اللهجة، ولا يتكلم إلا باللغة العربية الفصحى.

ومع أننا سنفرد حديثا لتواضعه وبحثه عن المزيد من العلم إلا أن هذه القصة الطريفة التي ترويها أختي هيا مفيدة هنا بعد الكلام عن موسوعتيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقول فيها: «أنجبت بنتًا أسميتها (ميسًا)، كنت معجبة بالاسم منذ صباي، فقد قرأت أنه عربي أصيل وليس مشهورًا عندنا، ومعناه المرأة ناعمة الملمس. وكانت إحدى ملكات اليمن قبل البعثة اسمها ميس.

وقد بحثت فقرأت أنه اسم لامرأة خزرجية بايعت رسول الله ﷺ، فلما قلت ذاك لأبي.. استغرب، وقال: لا أعرف صحابية بهذا الاسم.. وراح يبحث في الكتب حتى وجد في إحدى كتب الحديث إسنادًا فيه امرأة اسمها ميس ولكنها مجهولة!

وكنت أقول لأبي: إننا قد درسنا شاهدًا من الشعر في النحو يقول:

يا ليتني وأنت يا لميس... في بلدة ليس بها أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس

وكلما رآني بعدها ومعي ابنتي لميس، قال لي: ما هو الشعر؟

فأذكره بشطر الأول ثم يكمله، حتى حفظه وفرح بحفظه، وكلما رآها كرره.

وكنت أسأله عن معناه وعلى أي شيء استدل به في النحو، فيخبرني ويشرح لي».

المدرس المتفنن

هذه المرحلة من حياة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ هي أم الباب، كما يقوله النحاة عن كان وإن ونحوهما، فقد برع رَحِمَهُ اللَّهُ في التدريس، بل وقف حياته له منذ أن كان يافعا حتى ودع الدنيا.

كان التدريس يجري في عروقه، ويدخل مع الهواء لرئتيه، هو طعامه وشرابه، أنسه وسعده.

وقد يستغرب بعض القراء هذه العبارات، لكنه إذا قرأ هذا الموضوع زال عنه الاستغراب، فسيمر بنا في هذا الموضوع ما يدل على ذلك ويجليه.

سنلقي في البداية الضوء على البداية الرسمية بهذه المهمة، حيث عين مدرسا في معهد إمام الدعوة ثم انتقل لكلية الشريعة، ثم ننتقل إلى العطاء التطوعي في مجال التدريس فنعرض تاريخ الدروس وتسلسلها في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ ثم سيتلو ذلك إشارات بل منارات تكشف عن معالم هذه المهمة، بل الهواية في حياة الشيخ.

كانت بداية هذه الدروس ونموها وتطورها وشهرتها وكثرتها عفويا، لم يكن مقصودا ولا مدروسا، يوجهه التوفيق ويسدده الإخلاص.

وسأعتني هنا بدروس المساجد وحلقات التعليم غير النظامية، مع إشارة خفيفة للتدريس الرسمي.

أحب دائما أن يكون الشيخ هو المتحدث في هذه السيرة، لأن طرحه أشمل وألطف وأدق وأوضح [١].

مدرس قبل التخرج

كانت البداية في التعليم النظامي في معهد إمام الدعوة، كان المعهد عامرا بالطلبة، وكان ينقصه مدرسون، رأى الشيخ محمد بن إبراهيم أن يستعين بأنجب تلاميذه، ليتولوا التدريس في المعهد، فاختار الشيخ الوالد واختار معه زميله ورفيقه الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحم الله الجميع، وكان ذلك قبل تخرجهم.

يقول الوالد رحمه الله[٢]: «لما كان في سنة إحدى وثمانين تعينت مدرسا في معهد إمام الدعوة قبل أن أتخرج بعدة أشهر، واختير لي المواد الدينية كالتفسير والحديث والفقه والتوحيد وما يلحقها من النحو والتاريخ وما أشبه ذلك».

---

(١) انظر لهذه النقول: صفحات من حياتي الحلقة الخامسة، و برنامج ابن جبرين....عالم أمة للشيخ محمد المنجد، وقصتي في طلب العلم، و كلمة للوالد رحمه الله في اجتماع طلابه عام ١٤٢٦ للعناية بكتبه، ومقالة عن حياة الشيخ لتلميذه عبدالوهاب الزيد، وترجمة الشيخ من موقعه رحمه الله، وتجربتي في طلب العلم.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

كان ذلك في شعبان عام ١٣٨١هـ وتعين بعد ذلك رسميا في المعهد نفسه، واستمر فيه إلى عام ١٣٩٥هـ، وقام بتدريس الكثير من المواد وكتب مذكرات على أحاديث عمدة الأحكام وعلى مواد الفقه والتوحيد والمصطلح لا يزال الكثير منها محفوظا عند الطلاب أو في المعاهد العلمية[١].

يقول رحمه الله[٢]: «في سنة اثنتين وثمانين تعينت مدرسًا في معهد إمام الدعوة، وتعين فيه معي بعض الزملاء كالشيخ فهد بن حمين والشيخ محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم».

ومن أخباره في ذلك ما قاله تلميذه الشيخ أحمد المهنا[٣]: «كنت أسأل الشيخ إذا صححت الأوراق قديمًا في المعهد العلمي، هل تكتبون جيد جدًا، جيد، ممتاز؟.

قال: لا، هذه ما نعرفها، لكن كنا نكتب عبارات أخرى مثل:يا بني لقد أقررت عيني، ومرة: لا فض فوك ولا بر من يجفوك، ومثل: لا شلت عشرك،يعني: يديك التي تمسك الورق وتمسك القلم».

ويقول تلميذه الدكتور علي الزبن[٤]: «كان يدرسنا في المعهد الشيخ عبدالله الموسوعة الفقهية والحديثية والعقيدية والأدبية، فقد كان درسه جامعا شاملا لعلوم الشريعة والأدب، بل إننا حينما ارتقينا إلى المستويات العليا في المعهد كان حديث الطلاب أن هذا مقامه الكلية، حيث يعم نفعه وفائدته.

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

(٢) برنامج عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

(٣) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان:الإمام الراحل.

(٤) مقال في جريدة الجزيرة http://www.al-jazirah.com/156718/fe30.htm

درسنا في عمدة الأحكام في الحديث، وكان شرحه شرحا شاملا في الراوي وأحكام المصطلح والنكات الفقهية والبلاغية وخلافات العلماء بأسلوب شيق وعرض متمكن، ولا تزال تعليقاته عندي إلى الآن على متن العمدة، ودرسنا لمعة الاعتقاد، فكان يقرر عقيدة السلف بأسلوب محبب إلى النفوس، حيث حبب لنا عقيدة السلف وقررها في نفوسنا».

استمر في معهد إمام الدعوة خمس عشرة سنة، ثم انتقل إلى كلية الشريعة.

في كلية الشريعة

في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وألف انتقل إلى كلية الشريعة في الرياض وتولى تدريس التوحيد للسنة الأولى، وكان المقرر كتاب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتب عليه تعليقات، وكذا درس أول شرح الطحاوية للسنة الثانية[1]، وقد استمر فيها حتى أنشئت الأقسام العلمية في الجامعة، وتم توزيع أساتذة الجامعة فجعلوه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، فكان يشارك في جلسات القسم ويشرف على الرسائل ويناقشها[2]. ومازال كذلك حتى انتقل لرئاسة الإفتاء عام ١٤٠٢هـ، كما سيأتينا إن شاء الله.

تدريس الدراسات العليا

بعد انتقال الشيخ الوالد رحمه الله للإفتاء طلبته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لتدريس الطلاب في الدراسات العليا، فدرس في المعهد العالي

(١) ترجمة الشيخ من موقعه الإلكتروني.
(٢) برنامج عالم أمة للشيخ محمد المنجد.

للقضـاء، وفي كلية الشريعة، وفي كلية أصول الدين، وكان يطلب أيضًا من قبل الجامعـة وغيرها للإشراف على الرسائل العلميـة ومناقشتها كما يطلب منه تحكيم بحوث الترقية.

يذكر الوالد رحمه الله[1] أنه قام بالتدريس في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك في عام ١٤٠٨هـ، حيث أسند إليه مقرر الفقه للسنـة الأولى في قسم السياسة الشرعية بمعدل محاضرتين في الأسبوع.

ثـم في العـام الذي بعده قـام بتدريس هذا المقرر، ومعـه مقرر الأحوال الشخصيـة للسنـة الثانية ثـلاث محاضرات في الأسبـوع، وكان يختار جملا من الكتاب المقرر، ويذكر ما فيها من الخلاف، ويسرد أدلة الأقوال مع الجمع والترجيح ووجه الاختيار.

وفي عـام ١٤١٠هـ اقتصر علـى المقرر الأول وهو السياسة الشرعية، ثم توقف بعدها عن التدريس في المعهد.

يقول الدكتور محمد بـن يحيى النجيمي[2]: «وقد تشرفت بالتتلمذ على يديـه في المعهـد العالي للقضاء، فقـد كان يجمع بـين آراء الفقهاء المتقدمين والمعاصرين في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية وقواعدها الكلية».

وقـد درس في آخـر حياته طلاب الدكتـوراه في قسم العقيـدة في كلية أصول الدين.

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

(٢) جريدة المدينة http://al-madina.com/node/161552/madina

هــذه لمحات عن تدريســه الرسمي ولنعــد الآن إلى بيــت القصيد، وهو التدريس غير الرسمي.

التجربة الأولى

يذكــر الوالــد رَحِمَهُ اللَّهُ أول دروسه فيقول: «في حــدود سنة خمس وثمانين قبــل أن أبدأ في التدريــس في المسجد، رغب إليّ يماني اسمه إبراهيم شريف، وقال: إني أحب أن أتعلم في الفرائض لأني ما تعلمتها.

في ذلــك الوقــت كنت أُدَرِّس في معهد إمام الدعوة وهــو يَدْرُس في مدرسة تحفيظ القرآن، قبل أن أصير إمامًا، وقبل أن أتولى التدريس في مسجد آل حماد.

فكنــت أدرســ إبراهيــم شريــف في الفرائض مــتن الرَّحبيــة، ولم يزل إبراهيم يدرس إلى أن حصل عليه حادث وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ».

كان هذا أول تدريس خارج إطار المعهد العلمي، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ في الخامسة والثلاثين من عمره.

بعــد هذه التجربة حبب إليه التدريس، يقــول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن آثار مزاولة هذا التدريس أحببت أن أشتغل بهذا التدريس في الأوقات الأخرى، التي عندي فيها سعة».

الانطلاق

مــن علامات التوفيــق للعبد أن يستعمــل فيما يبارك له فيــه، قد يكون الشيء في بادئ الأمر صعبا وبعيدا، لكنه في الحال الثاني يكون قريبا ومفيدا، وهذه القضية لا يدركها إلا أولو البصائر وأرباب التجارب.

خذوا هذا المثال العجيب الغريب.. والتوفيق البديع.. الذي صنعه العليم القدير..

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في سنة تسع وثمانين، وطلب من الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام حاليا أن يكون إماما وخطيبا في مسجد الشيخ محمد الذي في دخنة.

كان الشيخ عبدالعزيز إماما في مسجد آل حماد، كان إمامه قديما عبدالمحسن بن علي آل الشيخ، وكان قد استخلف الوالد رحمه الله فيه في سنة ثلاث وثمانين ليصلي بهم التراويح، وكان يستخلفه أن يصلي بهم بعض الأوقات، حيث إنه كان مفتشا تابعا للجامعة فيسافر كثيرا.

عرف الوالد رحمه الله جماعة المسجد وعرفوه، وحصلت بينهم معرفة وزيارة وصداقة، كان أغلبهم من أهل الرياض من آل الشيخ ومن آل مرشد.

تنازل عبدالمحسن عن المسجد فتعين فيه المفتي كإمام، فلما توفي الشيخ محمد بن إبراهيم أناب المفتي الوالد رحمه الله إمامًا في هذا المسجد، ووافق الجماعة لأنهم يعرفونه قديما فتعين فيه رسميا.

كان المسجد ملاصقا لمدرسة تحفيظ القرآن التي يديرها الشيخ محمد ابن سنان رحمه الله.

طلب الشيخ ابن سنان من الوالد رحمهما الله أن يجلس لطلاب المدرسة في بعض الدروس العلمية.

يقول الوالد رحمه الله: «رغبني في ذلك وأخبرني بأنهم أغلبهم من اليمن ومن البلاد الجنوبية من جيزان ومن تهامة ومن تلك البلاد، وأنهم في بلاد

يغمرهـا الجهل، وإذا رجـع أحدهم إلى بلادهم أصبـح كأنه عالم بين جهلة، يصبح وحيدا فيهم، ويحيي فيهم هذا الوعي وهذا العلم، فشجعني على ذلك».

كان الشيـخ ابن سنان رَحِمَهُ اللَّهُ يستأجـر لهم سكنًا وكانت تأتيه صدقات، فينفق عليهم ويعطيهم مكافآت، فكانوا يجتهدون في حفظ القرآن.

التزم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وبدأ في التعليم، بدأ معهم في أول سنة تسعين وثلاثمائة.

كان يجلس بعد الفجـر إلى ما بعد الإشراق وبعـد الظهر إلى منتصف الوقت بين الظهرين وبعد العصر إلى قرب الغروب وبعد المغرب إلى العشاء.

وجد منهم تقبلًا وقبولًا ورغبة واستفادة.

يقـول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأكـثر مـا كنت أهتـم بـه في العقيدة في ثلاثـة الأصول وشروحهـا وكشف الشبهات وكتـاب التوحيد والعقيـدة الواسطية هذه الكتب كررتهـا عليهم.. وآداب المشي إلى الصلاة والأربعين النووية ودرسنا أيضًا في الفقه: عمدة الفقه وعمدة الأحكام.. ثم بعد ذلك صرت أطلب من بعضهم أن يقرؤوا في الشروح وأكثر ما يتيسر عندهم شروح الشيخ عبدالعزيز بن سلمان رَحِمَهُ اللَّهُ الأسئلـة والأجوبـة الأصولية وكذلك الكتاب الموسـع في شرحها فكانوا يقرؤون في ذلك».

بعد نحو ثمان سنين هدم ذلك المسجد بل تلك المدرسة العامرة بدروس العلـم، وذلك في سنة سبع وتسعـين، وجعل في مكانه مواقـف متعددة الأدوار توسعة للسوق، حيث كان في وسط المقيبرة وهي السوق الرئيس لمدينة الرياض.

لكـن العلـم والتعليم لم يتوقف كان الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في بيته الذي في حي السبالة، ويصلي في مسجد بجوار بيته وهو مسجد الحمادي الذي يؤمه الشيخ عمر بن محمد بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.



صار الطلاب يأتون إليه يقطعون مسافة كيلومترًا أو أكثر إلى المسجد راجلين ذهابا وإيابا.

يقول الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فشجعوني واستمر الدرس وبالأخص في شرح ابن سلمان الذي يسمى الكواشف الجلية في شرح العقيدة الواسطية وغيره من الشروح».

كان يحضر الحلقة أكثر من خمسين إلى ستين، وكان الشيخ ابن سنان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحثهم ويتفقدهم فكانوا يتشجعون بتشجيعه.

وكان الشيخ ابن سلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشجعهم بما يعطيهم من الكتب التي يقرأون فيها.

نبغ منهم كثير من الذين تعلموا، أصبحوا الآن يحملون الشهادات العالية، وصار منهم دعاة كبار وعلماء راسخون.

أرأيتم التوفيق، والنظرة الثاقبة لأهل العلم، إن ابن سنان وابن سلمان وابن جبرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ لا يعلمون الغيب، لكنها فراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله.

دار العلم

هي حقا دار العلم، ففي عام ١٣٨٢هـ أسس بعض المحسنين مدرسة خيرية أسموها: دار العلم، فأقبل إليها العدد الكثير من الطلاب صغارا وكبارا.

وفي دار العلم تولى الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ التدريس، فبعد تدريسه لطلاب تحفيظ القرآن علم عنه القائمون على الدار فطلبوه يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «بعد

---

(١) اجتماع طلاب الوالد.



ذلـك بقليل ابتـدأت درسا في دار العلم بطلب من الإخوان في الدار، وقد توفي أكثرهـم، منهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمـن بن غيث، و الشيخ صالح بن سبتي وأخونا عبدالله السبر».

وتولى رحمه الله فيها التدريس في المواد الدينية: كالحديث والتوحيد والفقه حسـب مدارك الطلاب، وأقام الشباب فيها ناديا أسبوعيا يستمر بعد العشاء ليلـة كل جمعـة لمدة ساعتين، فكان يحضره غالبـا، ويلقي فيه بعض الكلمات، ويجيب عن الأسئلة الدينية والاجتماعية[1].

الدرس المعمر

ومـن دار العلم انطلق أحـد دروس الوالد رحمه الله الذي استمر قريبا من خمسـ وثلاثين سنة، يقول رحمه الله: «بعد ذلـك طلب منا أخونا الشيخ إبراهيم الغيث أن نبدأ بصحيح البخاري، وكان معه الشيخ محمد بن ناصر السحيباني حتـى انتقل إلى الجامعـة الإسلامية بالمدينـة، ثم خلفه الشيـخ الدكتور فهد السلمـة حتى انشغل بالتدريسـ في كلية الملك فهد الأمنيـة، والذي استمر هو الشيـخ إبراهيم وأكمل الصحيحين وسنن الترمـذي، وابتدأ في أحكام القرآن لابـن العربـي ليلة واحـدة في الأسبوع، والطريقـة أن يقرأ البـاب ثم نشرحه بإيضاح مقصد المؤلف وبيان ما تدل عليه الأحاديث».

أشهر الدروس

أمـا الدرس الـذي اشتهر، واشتهر به الوالد رحمه الله فهـو ما يعرف بدرس المنـار أي منـار السبيـل، وقد ذكـر الوالـد رحمه الله بدايات هذا الدرسـ وتطوره

(١) موقع الوالد رحمه الله http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=200&book=75&toc=4750&subid=page=4279&

بقولـه: «في حـدود سنة ثمـان وتسعين طلب مني بعض الإخـوة أن يقرؤوا عليَّ في بعض المتون العقدية بعد العشاء، فأعطيتهم ليلة وهي مساء الجمعة ليلة السبت في المنـزل في حي السبالة، كان في العقيدة التـي كتبها الشيخ ابن سعدي وطبعت في مقدمة كتابه القول السديد، فكان يحضر عدد كثير، وممن كان يحضر خالد الحميضـي وعبدالله بن إبراهيـم الخلف وغيرهم، واستمـروا في الحضور، ولم يزالـوا يزيدون حتى يضيق بهـم المجلس، استمر العمل كذلـك إلى أن انتقلنا في حـي جنـوب شبرا في سنة اثنتـين وأربعمائة وألف، فكنت أجلـس لهم في الرحبة التـي أمام المجلس الملحق، فأخذ العدد يزداد فصارت تمتلئ تلك الرحبة ويمتلئ الملحـق وتمتلـئ البلكونة، وكثر الإقبـال، قرأنا كثيرا من المتـون، قرأنا أولا متونا في التوحيد كتاب نظم سلـم الوصول وشرحه معارج القبول في مجلدين، ورسالة الشفاعـة للوادعـي وكتاب التوحيـد للشيخ محمد بن عبد الوهـاب، وشرح ثلاثة الأصـول له، كما قـرأوا في الفقه نظم الرحبية في المواريـث، ومنار السبيل شرح الدليـل لابـن ضويان حتى كمل والحمـد لله، ولما ضاق المكان نقلنـاه إلى المسجد الذي يسمى مسجد ابن برغش قريبا من البيت، ولما رأوا أن هذا الدرس قليل مرة في الأسبوع طلبوا يوما ثانيا، فأعطيناهم يوم الأحد ليلة الاثنين، فصار درسين في الأسبوع، وهذه من الدروس التي عليها إقبال كبير مساء الجمعة ومساء الأحد.

ابتدأنا في منـار السبيل وزاد العدد، وصاروا يواصلون، والذي كان يقرأ الشيـخ محمد بن إبراهيم الشعلان، وعـين قاضيا في المزاحمية فصعب عليه الحضور واعتذر، وكان يقرأ أيضًا أحد الطلاب اسمه يوسف الشنيفي، والذي واصل الدكتور عبد العزيز السدحان استمر في القراءة حتى أكملناه[1].

---

(١) قال الشيخ الدكتور عبدالعزيز السدحان: بدأنا في منار السبيل على الشيخ رحمه الله في يوم ١٣ من الشهر العاشر شهر شوال عام ١٤٠٢ وانتهينا في عام ١٤١٦للهجرة " قصتي في طلب العلم.

في الجامع الكبير

في عام ١٣٩٨هـ رغب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أن يقوم الوالد رحمه الله في غيبته بالصلاة في الجامع الكبير إمامًا للصلوات الخمس، فنقل الدروس إلى الجامع الكبير، الذي عرف بعد ذلك بجامع الإمام تركي بن عبد الله رحمه الله، وكان في حالة وجود سماحة الشيخ ابن باز في الرياض يقوم بصلاة العشائين هناك، ويلقي الدروس بينهما، وبقية الأوقات يلقي دروسه في مسجد الحمادي.

وقد بدأ في الجامع درسا مهما استمر حتى توفي، فقد طلب منه اثنان من آل تركي هما: إبراهيم بن سليمان ومحمد بن ناصر درسا في بعض الفنون، وانضم لهما خالد أبا حسين رحمه الله وآخرون، ولما هدم الجامع نقل الدرس في حي شبرا، وانضم إليهم الدكتور عبدالله الشثري، ولازم الشيخ بعد ذلك.

درس العليا

في حدود عام ١٤٠٢هـ رغب إليه بعض الشباب من سكان حي العليا أن يلقي عندهم درسا أسبوعيا في العقيدة ودرسا في الحديث، فابتدأ الدرس في مسجد في وسط الحي، وكان ذلك يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، ثم انتقلوا إلى مسجد الملوحي مدة طويلة، ثم إلى مسجد السالم، واستمر الدرس فيه سنوات، ثم انتقل إلى مسجد الملك عبد العزيز، ثم إلى جامع الملك خالد، وقد أكملوا في هذه المدة متن لمعة الاعتقاد والعقيدة الواسطية وكتاب التوحيد ومتن التدمرية وبعض بلوغ المرام وشرح عمدة الفقه قسم العبادات وبعض الروض المربع.

درس للعامة

جامــع عتيقة يقع في ســوق الخضار المشهور في جنــوب الرياض ويمتلئ بالمصلــين في كل وقت ومعظمهم من العامــة، ومن بصيرة سماحة الشيخ ابن بــاز رَحِمَهُ اللهُ أن طلب من الوالد رَحِمَهُ اللهُ أن يلقي درسا في هذا الجامع، وذلك في عــام ١٤٠٩هـ فلبى رغبته وأقام فيه درسًا أسبوعيًّــا، واستمر هذا الدرس مع أنه لا يحضره إلا القليل من الطلاب لانشغال أهل الأسواق بتجارتهم.

قــرأ فيه الشيخ عبد العظيــم أبابطين في الروض المربع إلى كتاب البيع، ثم تولى القراءة الشيخ عبدالرحمن أبانمي حتى أتم الكتاب.

درس جامع الشيخ سليمان الراجحي

في عــام ١٤٠٩هــ عندما هــدم الجامع الكبــير لإعادة بنائــه رغب إليه بعض الأخوان أن يقرر درسا أسبوعيا في جامع الشيخ سليمان الراجحي بحي الربــوة، وذلك لأن المسجد مشهور ويحيط به أحيــاء مكتظة بالسكان المحبين للعلــم، فلبــى طلبهم في مساء كل سبت وابتدأ في شــرح الطحاوية فأكمله، ثم عمــدة الأحكام في الحديث فأكملها، ثم كتــاب السنة للخلال ثلاثة مجلدات، ثم كتاب السنة لعبد الله بن أحمد.

كان الــذي يقــرأ أولا الشيــخ عبــدالله البــواردي، وقــرأ بعــده الشيــخ عبدالرحمــن بــن الشيخ فهد بن حمــيّن، ثم إمــام المسجد الشيــخ صالح بن سليمــان الهبــدان، وفي عــام ١٤١٣هــ ابتــدأ يقــرأ الشيــخ عبدالرحمــن بن عبدالعزيز أبانمي، وهو الذي استمر حتى توفي الوالد رَحِمَهُ اللهُ.

ويكــثر الطلاب في هذا الدرس فربما زادوا على الخمسمائة، ولا يتوقف إلا في أيــام الاختبارات، وقــد سجلت تسجيلات الراية معظــم هذه الدروس، وكان جارنــا الشيخ محمــد بن إبراهيم بن مهنا يذهــب بالوالد على سيارته، ويحضر الدرس ويقرأ في بعض الكتب.

درس جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

يعـد جامع شيخ الإسلام ابن تيمية من أهم الجوامع في جنوب الرياض وكان لـدى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في مسجد البرغش درسان مهمان يوم الجمعة ويوم الأحـد بعـد العشاء فاقترح عليـه الشيخ فهد الغـراب إمام جامـع ابن تيمية وخطيبه نقل أحد الدرسين، فنقل درس الأحد هناك من عام ١٤١٥هـ واستمر حتى نقلت الدروس إلى جامع الراجحي في شبرا.

الدروس الصباحية

مـن أهم ماتميز به الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ كثرة الدروس الصباحية واستمرارها لمدة طويلة، تحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الدروس فقال[1]: «أما الدروس الصباحية فالغالـب أن الـذي يقبل عليها الإخـوة اليمانيون مثل الشيـخ عبدالله بن علي عامـر وقد كمل المنهـاج للسنة وقرأ في كتاب ابـن القيم (الصواعق) وأحكام أهـل الذمـة وتفسـير القرطبي، وكذلك محمـد بن عبدالله ناجـي في تفسير الشـوكاني، وحسن ثابـت في كتاب اقتضـاء الصراط، ومع ذلـك رأينا أيضًا إقبالا آخر قويا من الإخوة السعوديين

اقـترح علينا أخونا بدر بن ناصر البدر وذلك لأن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يجلسـ لهـم أربعة أيام، يجلسـ يوم الأحد ويـوم الاثنين ويـوم الأربعاء ويوم الخميسـ، فقال: عندنا يومـان فيهما فراغ يوم السبت ويـوم الثلاثاء، فنريد أنـك تجلس معنـا، فلبيت طلبهـم وأقبل في هذيـن اليومين عـدد كبير، فكنا نجلس في مسجد البرغشـ حتى تمتلئ صالة المسجد، وإذا كان وقت الصيف نجلسـ في رحبـة المسجد وربما تمتلي، واستمر هـذان الدرسان ولم يزالا إلى

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة وتجربتي في طلب العلم وترجمة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في موقعه الإلكتروني.

اليـوم إلا أن العدد قل، وبعـد أن نقلناها في مسجد عبدالله الراجحي الموجود أصبحت تسجل.

بقيـة الأيـام عندنـا فيها أيضًـا دروس، وهـي صباح الخميـس وصباح الجمعة، وكان أول من طلب منا أحد الإخوة اليمانيين، يقال له محمد أبكر قد تـوفي رَحِمَهُ اللهُ طلب منـا أن نجلس في كتاب التوحيـد في صحيح البخاري، وكنا نشـرح صحيح البخـاري ونتوسع ويتوسع الإخوة في إلقـاء المسائل، وكان ذلك بعـد فجر يوم الجمعة، قبل أن يكون يـوم الخميس إجازة، فاستمر يقرأ علينا ثم بعد ذلك لما جعل يوم الخميس إجازة جلسنا أيضًا في صباح الخميس.

بعد ذلـك توافد إلينا بعض الإخوة، ومن الذين يحضـرون: باكستاني اسمه غلام والشيخ عبدالعزيـز الجهني، ولم يزالوا يزيدون ويقترحون أيضًا دروسًا أخرى.

واستمـر هذان الدرسان وتوسعا بدل مـا كان كتابًا واحدًا أصبحنا نقرأ أحيانًـا اثني عشـر كتابًا وعلى الأقل ثمانية كتـب في كل صباح خميس وصباح جمعة.

يقـرأ فيها كثير من الطلاب بعضهم في التفسير، وبعضهم في الحديث، وبعضهم في التاريخ، وبعضهم في العقيدة، ونحو ذلك.

نقلنا هذين الدرسين الصباحيين في مسجد قريب من البيت هو مسجد البرغش الذي إمامه عثمان الشعلان.

طلـب منـا أيضًا الإخوة أن نقرأ في اليومـين الباقين اللذين هما صباح الاثنـين وصباح الأربعاء في تفسير ابن جرير فأجبناهم إلى ذلك، واستمروا

في تفسير الطبري وصلنا إلى المائدة، وأشركنا أيضًا دروسًا أخرى في كتب العقيدة وكتب التوحيد وكتب أخرى.

فأصبحت دروس الصباح ستة أيام كلها معمورة ما عدا صباح الأحد، جعلناه لمراجعة بعض الكتب التي نحتاج إلى مراجعتها ونحو ذلك.

كنا هكذا إلا في أوقات الإجازات.

وقد قرئ علينا في هذه الأوقات كثير من الأمهات: كالصحيحين وشرح الطحاوية وشرح الواسطية لابن سلمان ولابن رشيد وبعض زاد المعاد وجميع بلوغ المرام وزاد المستقنع وبعض سنن أبي داود والترمذي وموطأ مالك ورياض الصالحين وبعض نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار وبعض سنن الدارمي وترتيب مسند الطيالسي وكتاب الدين الخالص لصديق حسن خان وفي المصطلح متن نخبة الفكر ومتن البيقونية وفي النحو متن الآجرومية وبعض ألفية ابن مالك وفي أصول الفقه متن الورقات لإمام الحرمين وغير ذلك من المتون والشروح الكثيرة».

وفي العصر أيضا

لقد كانت دروسه رحمه الله في جميع الأوقات، فحتى العصر لم يخل من دروس، وأترك الوالد رحمه الله يحدثنا عن ذلك يقول رحمه الله: «لما استقر بنا المقام في حي شبرا كنت أصلي في مسجد آل فنتوخ الذي كان إمامه قديما أحد الأقارب حمد بن عبدالعزيز بن حمادة الجبرين، فطلب منا أن نتكلم بعد العصر بكلمة فاستجبنا لذلك ثم طلب منا أن يقرأ علينا حديثا ونشرحه، وبعد أن استقال من المسجد تولى إمامته صالح بن محمد آل فنتوخ نصلي معهم العصر، ونتكلم على الحديث الذي يقرؤه.

وفي حدود سنة أربعمائة وثمان طلب مني أيضًا أحد الأقارب أن أجعل يوما صلاة العصر في المسجد الجنوبي ويعرف بمسجد الخرجي فأجبتهم يوم الخميس أني أصلي معهم ويقرؤون عليَّ حديثا، وأتكلم عليه إذا كنت موجودا.

وفي المنزل طلب منا بعض الإخوة قراءة في الفرائض بعد العصر فأعطيناهم عصر يوم الأحد قرأنا الرحبية، ثم بدأنا أيضًا في ألفية الفرائض التي عليها شرح كبير اسمه العذب الفائض.

كذلك طلب منا بعض الإخوة درسا بعد العصر يوم الثلاثاء فوافقنا على ذلك، وابتدؤوا في منار السبيل شرح الدليل نشرحه شرحا مختصرا».

ومن خارج الرياض

كان هناك طلاب يأتون من أماكن بعيدة، يقصدون الرياض في أيام الإجازات ويدرسون على عدد من المشايخ.

تردد لزمن غير قصير بعض الإخوة من الكويت يحضرون عند الوالد درسًا خاصًّا بهم في المنزل.

وكان بعض الإخوة يأتون من قرية عرجاء، وأغلبهم من العتبان من آل حمادي في درس نصف شهري، وقرية عرجاء تبعد عن الدوادمي شمالا نحو ثلاثين كيلو، أي يأتون من مسافة أربعمائة كيلومترًا، ويقرؤون في الروض المربع من كتاب المعاملات قبيل الظهر، فيشرح لهم بابا أو نحوه، ثم يذهبون إلى بعض المشايخ، ثم يرجعون لبلادهم، واستمروا على هذا عدة سنوات.

دروس الصيف

للصيف عند الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ طعم آخر، وطريقة أخرى في التعامل مع الإجازة الصيفية، ونظرته إليها تختلف عن تعامل الكثيرين ونظرتهم.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل تقاعده من العمل لا يبرح الرياض إلا نادرا، فقد كان مدرسا في المعهد ثم الكلية، فإذا جاءت الإجازة أرسلنا لمدة شهر لزيارة أخوالنا في القويعية، وتفرغ في الرياض للقراءة والتعليم، ثم لما كان موظفا في الإفتاء كان لا يأخذ إجازته كل سنة، فإذا اجتمعت أخذها وتفرغ في الرياض أو غيرها، لإنجاز ما تراكم لديه من أعمال.

وبعد أن تقاعد وتفرغ متبرعا للتدريس. كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحب أن يكتب للتعريف بنفسه. أصبح يقوم بجولة علمية في كل صيف، تشمل الكثير من مناطق المملكة، وكان يفتتح الإجازة الصيفية بدروس مكثفة في الرياض تصل لأكثر من أربعين درسا في الأسبوع، وذلك قبل أن يبدأ بجولته الصيفية.

وسنتكلم الآن عن الدروس التي في الرياض مرجئين الكلام عن غيرها إلى موضعه المناسب.

بدأ رحمه هذه الدروس بالدورة العلمية الصيفية الأولى في عام ١٤٢٢هـ، وكانت مدتها شهرًا كاملًا يدرس بعد الفجر وبعد الظهر وبعد المغرب، وقد شرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها عددًا من المتون، هي:

كتاب المحرر في الحديث لابن عبد الهادي ولم ينته منه، وكتاب الباعث الحثيث لأحمد شاكر ولم ينته منه، وكتاب الجوهرة الفريدة للحافظ الحكمي وقد أكمله في هذه الدورة.

ثم تلتها في العام اللاحق الدورة العلمية الصيفية الثانية لمدة شهر، وكان يدرس فيها بعد الفجر وبعد المغرب وبعد العشاء، وقد درس في هذه الدورة جزءًا من المحرر، وأكمل الباعث الحثيث، وابتدأ في عدد من المتون هي:

زاد المستقنع، وكتاب التوحيد ولم ينته منهما، ودرس عددًا من المتون وأكملها، وهي الورقات، وكتاب العقيدة الواسطية، والآجرومية، والرحبية.

وفي عام ١٤٢٤هـ عقد الدورة العلمية الصيفية الثالثة لمدة شهر، وقد واصل رحمه الله شرح كتاب المحرر في الحديث، وزاد المستقنع، وكتاب التوحيد، ولم ينته منها.

كما ابتدأ في كتاب العقيدة السفارينية وملحة الإعراب ولم ينته منهما.

ودرس المنظومة البرهانية في الفرائض و نخبة الفكر، وقد أكمل رحمه الله هذين الكتابين.

وكان يدرس بعد الفجر وبعد المغرب وبعد العشاء، واستقر تدريسه في الأوقات الثلاثة في الدورات اللاحقة.

وعقد رحمه الله الدورة العلمية الصيفية الرابعة في عام ١٤٢٥هـ، وكانت مدتها ثلاثة أسابيع، وواصل فيها شرح كتاب المحرر وزاد المستقنع ولم ينته منهما، وأكمل شرح كتاب التوحيد، و كتاب العقيدة السفارينية، وملحة الإعراب.

وابتدأ في ألفية الحديث للعراقي، وتوقف عند باب الوصل والإرسال، وشرح كتاب آداب المشي إلى الصلاة، وقد أكمله رحمه الله في هذه الدورة.

وكان المشرف على هذه الدورات الأربع تلميذه فضيلة الدكتور محمد بن حمد المنيع حفظه الله، والشيخ أحمد بن ناصر الموسى.

ثـم تولى مكتـب الشيخ رحمه الله تنظيم الدورات اللاحقـة فعقدت الدورة العلميـة الصيفيـة الخامسة في عـام ١٤٢٦هـ، وكانت مدتها ثلاثـة أسابيع وواصـل فيها رحمه الله شرح كتاب المحـرر في الحديث لابن عبدالهادي، وتوقف عنـد كتاب الحدود، وكتـاب زاد المستقنع، وتوقف عند بـاب الأصول والثمار، وألفية الحديث للعراقي، وتوقف عند مراتب التعديل.

كما ابتدأ في شرح كتاب الاقتصاد في الاعتقاد – للحافظ عبدالغني المقدسي وكتاب تجريد التوحيد المفيد – للمقريزي، وقد أكملهما الشيخ رحمه الله في الدورة.

ودرس جزءًا من مختصر السيرة – للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد شارك الشيخ التدريس في هذه الدورة بعض تلاميذه، وهم:

د. عبـد العزيز بن محمـد السدحان في شرح كتاب أصـول التفسير – لابن تيمية.

د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في شرح كتاب تهذيب تسهيل العقيدة.

د. عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين في شرح كتاب الورقات للجويني.

وفي عـام ١٤٢٧هـ عقـدت الدورة العلميـة الصيفيـة السادسة، وكانت مدتهـا ثلاثة أسابيـع، وواصل الشيخ رحمه الله فيها القـراءة في كتاب المحرر في الحديث، وزاد المستقنع، وألفية الحديث للعراقي، ولم يكمل بعد هذه الكتب.

كما ابتدأ في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيميـة من أول الكتاب – إلى منتصف الكتاب، وكتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء، وعقيدة الإمام الشافعي، وقد أكملهما رحمه الله في هذه الدورة.

وشاركه تلميذاه الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان في تفسير جزء عم، والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين في تكملة كتاب تهذيب تسهيل العقيدة.

ثم جاءت الدورة أو الدروس العلمية الصيفية السابعة في عام ١٤٢٨ هـ، وكانت ثلاثة أسابيع، وقد أكمل فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ المحرر في الحديث، وكتاب الفرقان، وواصل في كتاب زاد المستقنع وألفية الحديث للعراقي، وابتدأ في كتاب الفتوى الحموية

وشاركه في هذه الدورة تلاميذه الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان، والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن المهنا.

ثم كان آخر الدورات العلمية: الدورة العلمية الصيفية الثامنة في عام ١٤٢٩هـ، وكانت مدتها ثلاثة أسابيع، وواصل فيها شرح كتاب زاد المستقنع ولم يتمه، وأتم كتاب ألفية الحافظ العراقي في الحديث، وشرح كتاب شرح السنة للمزني، وقرئ عليه في كتاب الفتح الرباني.

وقد شاركه تلاميذه الثلاثة السابقون في الدورة السابقة.

وكان مكتب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أعد للدورة الصيفية التاسعة، حينما كان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستشفى، وكان يؤمل أن يقوم بالتدريس بها، ولما طال به المرض قام بها بعض تلاميذه جزاهم الله خيرا، وشارك فيها معالي الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغيث، والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والدكتور عبدالعزيز بن عبدالله المبدل، والشيخ أحمد بن عبدالرحمن المهنا.

كان الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي حَفِظَهُ ٱللَّهُ هو الذي يتولى الإنفاق على هذه الدورات بسخاء، وكانت الدورة الواحدة تكلف ما يقرب من ثلاثمائة ألف ريال، ثم رأى أن يصرف مكافآت للطلاب، فأصبحت التكاليف

تزيد على مليون ريال، لأن حضور الطلاب في الدورة متميز، وبخاصة بعد أن اشتهرت حيث يصل إلى أكثر من خمسمائة طالب من داخل المملكة وخارجها، ومعظمهم من طلاب الوفود الإسلامية، الذين يدرسون في الجامعات السعودية، حيث تتنوع جنسيات المشاركين وتصل إلى أكثر من ستين جنسية.

ويقام في ختام كل دورة حفل ختامي تكريمي لطلاب الدورة، تقدم فيه جوائز وشهادات للطلاب وخطابات شكر ودروع تذكارية لرعاة الدورة، الذين من أبرزهم الشيخ/ عبدالله الراجحي، والشيخ/ عمر بابكر، ومؤسسة السعدان، والشيخ/ سليمان بن حمد اليحيى، والشيخ أحمد الموسى، ومؤسسة ابن باز الخيرية.

وفي كل عام يتوجه الوالد رحمه الله لطلاب الدورة بكلمة توجيهية، يذكرهم فيها بالجد والاجتهاد، ومن كلماته في إحدى الدورات قوله رحمه الله: «الحمد لله الذي فقه من شاء من العباد، وبلغهم غاية المراد، نحمده سبحانه ونشكره على نعم لا نحصي لها تعداد، ونشهد أن لا إله إلا الله تعالى عن الشركاء والأنداد، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه، الذين جاهدوا في الله حق الجهاد.

وبعد... فإن مواصلة التعليم والحرص على التلقي عمل بر، وهو عمل صالح يهدي له الله تعالى من أراد به خيرًا، تكتب له حسنات، وترفع به درجات، ويكتب الله أهله في حملة العلم الذين يحبهم ويحبونه، والذين يصلون أو يواصلون أوقاتهم بعضها ببعض حتى يستفيدوا من حياتهم.

وهذه الإجازة التي يتوقف فيها الكثير من الناس عن الدراسة النظامية تضيع على كثير، بحيث إنهم يضيعونها في لهو وسهو وجلوس، وتسكع في

الأسواق وعمل غير مرضي، أو يضيعونها في رحلات وأسفار لا أهمية لها، ولا يستفيدون منها فائدة تعود عليهم بالخير، أو يضيعونها في أمور دنيوية، ولو استفادوا من أمور الدنيا، ولكن يفوتهم الخير الكثير، الذي هو أمور الدين وأمور العلم وأمور العبادة».

وقد استفاد الألوف من هذه الدورات، ونفع الله بها في المملكة وفي الخارج، وهذه رسالة من إحدى الطالبات عبر الإنترنت من الكويت، تقول فيها بعد الديباجة: «لقد كان لك تأثير كبير في تغيير حياتي.. لم أكن أعرف أن للدين الإسلامي هذه الكتب وهذه المتون وهذه الشروحات وهذا العلم، الذي نحمد الله سبحانه وتعالى عليه....أحب العلم، وهذا طموحي منذ صغري، لكم الفضل بعد فضل الله سبحانه وتعالى في أنكم جعلتموني أحب العلم..».

دورات الرياض الأخرى

لم تكن دورة الشيخ الصيفية هي نشاطه الوحيد في الرياض في مجال الدورات، بل لقد سبقها ورافقها دورات عديدة، سواء في الصيف أو قبل رمضان وقبل الحج.

إن الدورة العلمية التي تقام سنويًا في الصيف في جامع شيخ الإسلام ابن تيمية في حي السويدي في الرياض هي نقطة البداية والبذرة الرئيسة لانطلاقة الدورات العلمية في أنحاء المملكة، فقد بدأت في عام ١٤١٥هـ يقول الشيخ فهد الغراب إمام الجامع والمشرف العام على الدورة في الجامع: إن الشيخ رحمه الله كان رقمًا مهمًا في هذه الدورات منذ بدايتها، ولم يتخلف على مدى أربعة عشر عامًا إلا في هذا العام بعد أن أصابه المرض رحمه الله[1].

---

(١) انظر ما كتبه منصور البراك في جريدة الجزيرة بعنوان مواقف وعبر من حياة ابن جبرين رحمه الله http://www.al-jazirah.com/104890/fe5.htm

ومن الدورات التي كان يشارك فيها سنويا الدورة العلمية الصيفية في جامع علي بن المديني في شرق الرياض، وكان يشارك أحيانا في دورة جامع العز بن عبدالسلام في شرق الرياض أيضا.

وكان في كل عام في آخر شهر شعبان يعقد دورة في جامع الأميرة موضي السديري في غرب الرياض عن أحكام الصيام، استمرت عدة سنوات.

كما يطلب منه في بعض السنوات دروس عن الحج عند دنو موسم الحج.

ويشارك في برامج اليوم العلمي في جامع الصانع بالسويدي وفي غيره من المساجد، وهي عبارة عن متن قصير يشرح في يوم واحد من بعد صلاة الفجر إلى آخر اليوم.

ويشارك في دورات الحج والصيام والصيف التي تعقد في جامع الأميرة نورة بنت عبدالله بالرياض.

دروس لا نظير لها..منهجه وأساليبه

إن دروس الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تذكرك بحلقات العلم في حياة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

سنبحر في هذا الموضوع مع الأخلاق الفاضلة.. والهمة العالية.. والقلب الحنون.. والنفس السمحة.. والنية الصادقة.. مع الصبر والدأب.. والحكمة والأدب.. والعلم والحلم.

سنبحر مع التربية والتهذيب.. مع المدرسة العلمية.. والنهج الفريد الذي صاغه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال اقتدائه بنهج السلف الصالح.. وسنن العلماء السالفين.

يقول الأستاذ خضر بن صالح بن سند واصفا شيخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان قد كتب هذا النص قبل أن يموت الشيخ بشهر[1]: «يجلس في حلقته يوميًا ساعات

(١) ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729

يُدّرس على كرسي متواضع مرتفع قليلًا ليراه الطلاب الكثيرون، طلابه فيهم القضـاة، وفيهم أساتذة الجامعات، وفيهم أصحاب المناصب الرفيعة، وفيهم شبـاب في بدايـة الطلب من طلاب الجامعـات وغيرهم، وهم مـن جنسيات مختلفـة، وبقدرة فائقـة يمنحهم جميعًـا حنانًا واحدًا ومحبـة صادقة، وهم يبادلونه الشعور بالمثل.

يعلمهـم ويفهمهـم، لا يمل من أسئلتهم واستشكالاتهـم، يحاول إيصال الفكـرة بأقرب طريـق، فيضرب لهم الأمثلـة، ويلقي عليهـم الأسئلة، يدرس لطلابـه الكتب المنوعة في العلوم، تنوعت معارفـه وقدراته، لكنها لم تكن عن تشبع بما لم يعط، بل هي قوة علمية شهد له بها كبار شيوخه.

يعتنـي بعقائد طلابـه، يعلمهم عقيدة الإسلام النقيـة، ويحذرهم من البدع، ربما لحقه تجريح وردود على بعض ذلك، لكنه لا يبالي، فصفاء عقائد المسلمـين أولى في نظـره من كل شـيء، فماذا ينفع الطالب علمـه إذا فسدت عقيدته، أو شك في المنهج الذي يتبعه، أو ضعف في بيان الحق الذي ينجيه من النار يوم القيامة.

يتكلـم كثـيرًا في دروسه عن آداب وأخلاق طالب العلـم، يسرد عشرات الأبيـات في العلـم وفضله، يتكلم عـن الصفات الخلقيـة والأخلاقية، دون أن يكون في ذلك تشبه بالصوفية.

يحذرهـم من أن يكون للطالب عقل معطل عن التفكير، كما يفعل شيوخ المتصوفـة والرافضـة، ويتكلم عن الاحترام بين العـالم والمتعلم دون أن يكون هناك تبعية روحية أو تقليد وتعظيم للذوات.

يجلس على الأرض المفروشة بالسجاد، أو التراب والبسط المتواضعة، أو الأرائك الفارهة، كل ذلك سيان عنده، فهو معلم من طبقة الشعب، يعيش حياتهم ويتقرب لقلوبهم، ولا يتكلف من أجل ذلك شيئًا.

ابن جبرين كان هو الرجل المتواضع حقًّا دون تكلف، ودون أن يبحث عن شخص يعظمه أو يقدره، فهو يرى نفسه خادما للناس ولطلبة العلم، وليس أكثر من ذلك.

جدول دروسه اليومي أشبه بجامعة مفتوحة مجانية، يدرس الكتب الكثيرة، دون أن يتألم أو يتوجع أو يتذمر، لا يعرف عنه أنه طرد طالبًا أو شتم حاضرًا، أو تململ من الحضور وانسحب أو انقطع مدة طويلة لغير سفره للمحاضرات والدعوة في خارج الرياض». أ.هـ.

ويقول تلميذه الدكتور عبدالمحسن العسكر: «حلقة شيخنا عبد الله قدس الله روحه ذات هيبة، وعليها جلالة، وهي تذكرك بحلقات الأوائل من الأئمة الكبار، فقد كان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يتميز في دروسه وشروحه بميزات، منها:

١- تنوع الكتب المقروءة في جميع الفنون.

٢- حسن العرض وتقريب المعاني بكثرة الأمثلة وذكر النظائر.

٣- سعة محفوظاته رَحِمَهُ اللهُ».

وتقول الأخت سميرة وهي تلميذة بارة للشيخ: «سماحة الشيخ دروسه كانت مختلفة بالنسبة لي عن باقي دروس المشايخ، والسبب أسلوب سماحته رَحِمَهُ اللهُ.

كنت في السويد وكان علمه يصلنا ونحن في أقصى شمال أوربا، فكنت أتابع دروسه قبل وفاته بسبع سنين أو تزيد، حيث توافرت وسيلة التواصل المباشر عن طريق النت، فكانت هذه فرصة ثمينة لكل محروم من العلم الشرعي في الغرب، فكانت تنقل دروسه في بعض الغرف الصوتية..

كان سماحته رحمه الله عندما يلقي درسًا أو شرحًا لأحد الكتب من أمهات الكتب التي قد لا يفهمها أحيانا المتقدم في الطلب فضلا عن المبتدئ، يبدأ في فك كل تعقيد موجود فيها حتى يفتح ذهن الطالب، ويجعله مستعدا لسماع وقبول شرحه بأسلوب ممتع، لا يخلو من الطرفة ومن الأشعار التي يلقيها سماحته حفظا من ذاكرته

فيكون الدرس مشوقا وممتعا لا تشعر معه بالملل ولو طال، حيث إن سماحته يستطرد أحيانا ويأتي بتفصيلات لا يعلمها من هو مثلي».

بعد هذه النصوص تعالوا نتلمس هذا المنهج البديع الذي جدده الوالد رحمه الله، هو لم يبدعه، وإنما سار فيه على نهج أسلافه من علماء الأمة رحمهم الله، نتلمس منهجه في التدريس وأساليبه في التعليم نتعرف على معالم هذا النهج الفريد، الذي جعل لدروسه رحمه الله قبولا وارتياحا، واستمرارا وديمومة، وفائدة ومنفعة، وأثرا وتأثيرا.

لم تكن الدروس عبثا، لم يكن يلقيها مجاملة أو ترضية، بل كانت أنسا وسرورا كما ذكرنا غير مرة.

يحكي تلميذه وابن أخيه عبدالرحمن بن العم ناصر يقول: «سألته مرة قلت يا شيخ لعلك تتعب في الدروس؟، قال: إني أسعد وينشرح صدري، أسعد ما أكون إذا رأيت الطلاب».

طريقته في التدريس

دعونا في البدء نذكر طريقته في التدريس وأسلوبه من حيث الجملة، ثم نشير بعد ذلك إلى أهم معالم منهجه التعليمي ونهجه التدريسي، فهذا طالب من طلابه وهو الشيخ علي بن حسين فقيهي، أنموذج لطالب من آلاف يذكر بدايته مع شيخه رحمه الله، ويلخص طريقته وأسلوبه، فيقول[1]: «كانت بدايتي مع الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى عام ١٤١٠هـ لكثرة دروسه وتنوعها وانتشارها، ولقربها من المنهجية العلمية والطريقة التعليمية.

كانت البداية في مسجد البرغش بشبرا فجر الأحد والثلاثاء، حيث يقام درس منتقى الأخبار.

لا يبدأ الشيخ الدرس حتى ينتهي من الأذكار، ثم يأخذ مكانه وينتظر القارئ ثم يأذن له بالقراءة.

يقوم الشيخ بدر البدر بقراءة الباب، ثم يقوم الشيخ رحمه الله تعالى بالتعليق على كل حديث، بدءًا بألفاظ الحديث ومعانيها، ثم الكلام على السند والتصحيح والتضعيف، ثم يشرع في بيان أحكام الحديث، متوسعًا في عرض الخلاف وأقوال الأئمة، ثم بيان الراجح ووجه الترجيح، ثم يفتح المجال للأسئلة والاستفسارات.

يستفيد من هذا الأسلوب وبهذه الطريقة طالب العلم المبتدئ والمتوسط والمتقدم، كل على حد سواء.

---

(١) من مذكراتي: أيام مع ابن جبرين
http://majles.alukah.net/showthread.php?p=325483



ولكن يأخذك العجب من حفظ الشيخ المتقن، واطلاعه الواسع، واستيعابه الكبير لألفاظ الأحاديث وتخريجها ومسائلها وأحكامها.

هذه المشهد أصابني بانبهار عجيب، فلم أر في حياتي مثل هذه الصورة ولا ذلك المشهد.

كان هذا المشهد حافزًا كبيرًا لي للاستزادة من علم هذا الجهبذ، فعزمت على حضور ما أستطيع من دروسه».

ويقول تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر مشيرا للطريقة التي يسلكها الشيخ في التدريس في بداية طلبه العلم عليه: «كانت دروس الشيخ إذ ذاك أن الطلاب يسمعون المتون، والشيخ يشرح بطريقة التفصيل لا بالتقريرات».

ويقول الدكتور محمد العريفي[1]: «قرأنا عليه كتاب التوحيد وفي الأصول الثلاثة وفي الاعتصام للشاطبي وفي غيره من الكتب، كان يفصل ويذكر عددًا من الأمثلة، التي تربط ما يتعلق بتوحيد الله سبحانه وتعالى بالواقع».

ويقول الشيخ خالد بن علي الحيان[2]: «تتميز دروسه رحمه الله بشمولية الشرح والإيضاح، ونسبة القول لقائله وخاصة في الفقه، وربما عرج وأشار إلى اختيارات الشيخين الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن باز، كل هذا باستيعاب ما في المسألة من فوائد وشواهد شعرية ومواقف ولطائف وقصص قديمة وحديثة ونحو ذلك، وإن كان في المسألة بعض الغرابة والشذوذ، ذكر ذلك ونسبه إلى قائله ورد عليه».

---

(١) قناة بداية

(٢) جريدة الجزيرة http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm.

وكان رحمه الله لايأنف أن يقول لا أدري أو يكلف طالبا من الطلاب بالبحث في مسألة أو حديث.

يقول رحمه الله[1]: «إذا أشكلت مسألة فإننا نكل البحث فيها إلى بعض الطلبة، ونقول هذا الحديث الذي نشك في صحته أبحث عنه أيها الطالب، وعنده مراجع فيبحث ويفيدنا في الدرس المقبل، ويقول وجدته في كذا وكذا، وتكلم عليه فلان بكذا وكذا، فيفيد ويستفيد».

ويقول الدكتور محمد العريفي[2]: لا أذكر أنه في مسألة تكلم بغير علم، بل كان يقول بكل شجاعة في بعض المسائل: لا أعلم، المسألة تحتاج إلى تأمل، تحتاج إلى نظر، تحتاج إلى بحث».

يقول الدكتور عبدالمحسن العسكر كان رحمه الله[3]: «كان لايتبرم من كثرة الأسئلة، ولا يتضايق من إعادة قراءة الكتب والمتون، مع أن النفوس مجبولة على معاداة المعادات، كما قيل، ولعله تأسى في ذلك بشيخه العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله، فقد حدثني نوَّر الله حفرته: أنه قرأ الروض المربع على شيخه محمد مرتين، وحدثني رحمه الله عن زميله شيخنا الشيخ حسن ابن مانع أنه قرأ كتاب التوحيد على الشيخ محمد أربع عشرة مرة، قلت: وقد حدثني بذلك أيضًا الشيخ حسن نفسه».

ومن لطائف طريقته في بعض دروسه أنه يحضر القهوة والشاي للطلاب في المسجد، ولهذا تأثير في نفوس الطلاب لم نكن نقدره، يقول الدكتور محمد

---

(١) تجربتي في طلب العلم.
(٢) قناة اقرأ.
(٣) ذكرياتي مع الشيخ ابن جبرين للدكتور عبدالمحسن العسكر.

العريفـي[1]: «لم أر أحدًا غير الشيخ ابن جبريـن يحضر قهوة وشايا لطلابه في المسجد.

كنـا في الدرس أكثر من خمسمائـة، ومع ذلك يأتي السائـق - كأني أراه الآن - ومعـه أربعة سطول مليئة بكاسـات الشاي وفناجين القهوة، ومعها حافظات الشـاي والقهـوة الكبار، ثم يبـدأ يصب للطلاب ويدور عليهـم، والشيخ يلقي درسـه، وأعلم أنها من بيت الشيخ، لأني أحيانًا أذهب إلى الشيخ بعد الدرس، وأجد أن هذا العامل قد دخل، وبدأ يغسلها وينظفها للدرس الذي بعده».

ولهـذه القهوة والشاي قصـة، وهي أن الشيخ الوالد رحمه الله إذا تعود شيئـا لا يحـب أن يقطعه، وكان هـذا الدرس الذي تقدم فيـه القهوة والشاي وهـو درس الجمعة والأحد بعد العشـاء أول ما ابتدأه في المنـزل، وكان يقدم فيه للطلاب ضيافة قهوة وشايا، يصنعها الأهل في المنزل، فلما انتقل الدرس للمسجد لما ضاق المنزل بالطلاب، أمر أن يؤتى بها للمسجد.

من المحبرة إلى المقبرة

إن أول ركـن مـن أركان المنهـج التعليمـي الذي جدده الوالـد من حياة السلـف رحمهم الله تعالى، هو التدريس المتواصل وحلقات العلم التي لاتنتهي، فهي حياتـه التـي يأنس بهـا، وأنسه الـذي يهفو له، كان رحمه الله دائمـا يردد عبارة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «من المحبرة إلى المقبرة» وكان أيضًا يتمثلها.

يقـول في إحدى وصايـاه[2]: «فإن طالـب العلم الذي يريـد الفائدة هو الـذي يواصل ولا يتوقف، تذكرون ما نقل عن الإمام أحمد أنه مات وهو يحمل

---

(١) قناة دليل.

(٢) قصتي في طلب العلم.

المحبرة، وكان يقول: من المحبرة إلى المقبرة، يلازمها، مع أنه مات وعمره سبع وسبعون سنة».

ويقول في وصية أخرى[١]: «تذكر وصية بعض العلماء الذي يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد». يعني: إلى الموت. وما ذكر عن الإمام أحمد وغيره أنه يقول: «من المحبرة إلى المقبرة». أي: نحمل المحبرة التي هي الدواة، نكتب بها الفوائد ولا نفارقها إلا إذا متنا، «من المحبرة إلى المقبرة».

وقد كان رحمه الله يتمثل ذلك ويطبقه، فلم يكن يمل ولا يكل من التدريس، فبعد فجر يوم الخميس والجمعة يقرأ عليه في أكثر من عشرة كتب، ويجلس إلى الساعة التاسعة، ويصيب الطلاب الإعياء، وهو على هيئته كما بدأ رحمه الله لا يغير من جلسته، ويجلس في المسجد في دروس المساء، من بعد المغرب إلى ما بعد العشاء بساعة ونصف أو ساعتين، دون أن يبدو عليه تعب أو إرهاق أو ملل أو كسل.

وقد حصل أن حيل بينه وبين الدروس مدة وجيزة فافتقدها وحن إليها وحزن عليها، وكأنه هو المستفيد[٢]. وسنذكر قصة ذلك في موضع آخر.

ويذكر تلميذه الدكتور عبد الوهاب الطريري قصة عجيبة، تدل على أن العلم والتعليم هو الأصل في حياته، يقول حفظه الله[٣]: «كنا ثلاثة طلبة نقرأ عليه ضحوة يوم في المسجد، وقد قارب الدرس أن ينتهي، وإذا بالشيخ يلتفت إلى الباب، فالتفتنا معه، فإذا زوجه أم محمد رحمها الله - وكانت امرأة من عقائل النساء، وعونا للشيخ على طاعة الله - قد وقفت بالباب، فأقبل إلينا،

(١) موقع مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية
http://www.taimiah.org/index.aspx?function=item&id=958&node=5906

(٢) رسالة بعنوان والدي كما عرفته للأخت هيا ابنة الشيخ رحمه الله

(٣) مقال بعنوان حياة من نور



وقـال بـود: عن إذنكم. ثم ذهـب معها قليلا ثم عاد، ونحـن في غاية العجب، فقـد كان يسع الشيخ أن يقول: تم المجلس، موعدنا غدًا، ولكنه قد جعل مهمته التعليميـة الأصل في حياته، وما سواها استثناء أو عارض عابر، وكلما تذكرت هذا اليوم تساءلت متى نشكر هذا الموقف؟».

وقصة أخرى تؤكد هـذا المعنى ذكرها تلميذه الشيخ ناصر القطامي[(١)] يقول: «أذكر مرة أنه كان ذاهبا إلى أحد الدروس في مدينة الرياض، ومدينة الرياض متسعـة وشاسعة الأطراف، فوقع للسيـارة التي تقله حادث يسير في الطريـق، لكنـه لم يرد أن يتأخر عن درسه فنزل وركـب سيارة أخرى، أركبه شخص عابر، ذهب به إلى الدرس».

ومثلهـا مـا ذكره ابـن أخيه عبد الرحمـن بن ناصر يقـول: «ذات مرة كان عنـده درس في القويعية بعـد المغرب، وهو درس شهـري، والقويعية تبعد ساعة ونصفا عن الرياض، تحركنا من الرياض عقب العصر وكنا متأخرين، كان الشيـخ صائمـا، وقد جهز له بعض الإخوة الإفطـار في القويعية، وفجأة انفجرت إحـدى عجلات السيـارة، وقفنا، سألني الشيخ مـاذا حصل؟ وكان منشغـلا بالقراءة، قلت: الكفر.. يعني إطـار السيارة.. فتأسف أشد الأسف، وقال: سنتأخر عن الدرسـ، نزلت لإصلاح الإطار فوجدت الإطار الاحتياطي فاسـدًا أيضا، فاتصلت بأحـد المشايخ وأخبرته ليرسل لنا سيارة، لكن الشيخ نظـر للساعة ثم قـال رحمه الله: اجلس عند السيارة وسأقـف على الطريق لعل أحدًا من أصحاب السيارات العابرة يوصلني، لم أستطع منعه، وكنت لا أريده أن يتعـب وهو صائم، فوقف على الشـارع والسيارت مسرعة فلم يتوقف أحد، اتصل صاحبنا وذكر أنه قريب، فأخبرت الشيخ فرجع للسيارة وجلس فيها.

---

(١) قناة حياتنا.

لما وصلنا ركب معهم وتركني لأصلح السيارة، لم يفكر في السيارة، ولم يفكر في الإفطار، طلب منهم التوجه للمسجد مباشرة، وأحضروا شيئا يسيرا ليفطر عليه.

العجيب أنه لما ركبنا السيارة راجعين للرياض، لم يسألني عن السيارة ولا عما عملته معها».

لقد كان غفر الله له حريصا على الدروس وعلى المحاضرات وعلى إفادة الناس، وليس له اهتمام بالتنزه ولا التفسح، يقول صهره حمد بن عبد العزيز: «كنا في مدينة النماص في جنوب المملكة، وكان جوها وطبيعتها في الصيف متعة، فصام ذلك اليوم وصمت معه، فقال ابنه سليمان: سنخرج للمنتزه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لن أخرج معكم فإني لن آكل ولن أشرب، فألح عليه سليمان. وقال: اخرج معنا، وإذا أقبل العصر اذهبوا للدرس فهو قريب عندنا».

ومرة كنا في الرايس وهي قرية على الساحل الغربي للملكة، ذهبنا للنزهة مع عدد كثير من الأقارب والعوائل، فلما مضى يوم سألنا: ما رتبتم دروسا ولا محاضرات؟، قلنا: إنما جئنا للنزهة، فتكدر خاطره، فاتصلنا ببعض الإخوة ورتبوا له محاضرة في مدينة بدر، فذهبنا معه رَحِمَهُ اللَّهُ مع بعض الشباب، وجلس الباقون عند العوائل، ولم نرجع إلا بعد العشاء ولما رجع رأينا في وجهه السرور والراحة.

ويقول تلميذه وابن أخيه أحمد بن محمد: « كنا راجعين من دروس في مدينة الخفجي على حدود الكويت، وكان منهكا من السفر، قطعنا أكثر من سبعمائة كيلومترًا بالسيارة، وكان عنده درس في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية، فتوجه للدرس مباشرة، فكتبت لقارئ الأسئلة أن الشيخ قد جاء من سفر، فاختصر القارئ واعتذر بذلك للحضور، فسألني الشيخ لما خرجنا: ماذا أدراهم؟، فأخبرته فعاتبني».

ويحـدث تلميذه الشيخ أحمد المهنا عن شيخه، وكان ذلك في آخر عمره يقـول[1]: «كان لي موقـف مـع الشيـخ في الفرائض، فالشيخ درس كثيرا من المتون في الفرائض، ومن أكثر ما كـرر عليه متن الرحبية، فلما انتهينا من الرحبيـة، كان عددنـا أربعة أو خمسـة في بيت الشيخ، قـال: نريد القراءة في ألفية الفرائض، عددها ألف وأربعمائة وواحد وثلاثون بيتًا تقريبًا».

لقـد استغربوا من اختياره هذه الكتاب الطويل، لكنهم لو تذكروا كلمته التي يرددها كثيرا« من المحبرة إلى المقبرة» لما استغربوا ذلك.

وكان مـن ثمار هـذا المنهج نتائج كثـيرة، ستراها مـن استعراض نتاج الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إن شاء الله، ومن ذلك أنه سجلت له ولله الحمد آلاف الساعات الصوتيـة، والمحصـور منهـا الآن يزيـد على عشـرة آلاف ساعـة، يسر الله إخراجها ونشرها.

في كل زمان ومكان

مـر بنـا أن معظم وقت الوالـد رَحِمَهُ اللهُ كان يقضيـه في الدروس، دروس بعد كل صلاة من الصلوات، تزيد وتنقص بحسب مناسبات العام، دروس في وقت الدراسة وفي أيام الاختبارات وفي الصيف، ولكل درس طلابه، ولكل وقت رواده مـن الطلاب أو الموظفين أو المتفرغين للطلـب، دروس في جميع الأيام، حتـى الجمعة له فيها درس بعد الفجـر وبعد المغرب وبعد العشاء، وهو رَحِمَهُ اللهُ لايرى حرجا في التدريس في صبيحة الجمعة.

سئل رَحِمَهُ اللهُ: هل الدرس قبل الجمعة بدعة، وهل يجوز سماعه؟.

---

(١) محاضرة للشيخ أحمد المهنا
.http://www.liveislam.net/browsearchive.php?sid=&id=64742

فأجاب[1]: «ورد أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة[2]، وذلـك أن الصحابة إذا دخلوا المسجد لصلاة الجمعة ولقي بعضهم بعضًا بعد طول تفرق، تحلقوا حلقًا يتناجون، ويسأل بعضهم بعضًا عن حاجات تخصهم، فيأتي النبي ﷺ للخطبة وهم كذلك، فناهم عن هذا التحلق، وأمرهم أن يكونوا صفوفًا ينتظرون الصلاة، فأما إقامة الدروس في صباح الجمعة، فلا مانع من ذلـك، فإنه مـن تعلم العلم الذي ورد الحث عليه، فلا يدخل في النهي ولا يحرم سماعـه، سـواء كان في مسجـد تقام فيه الجمعـة أو ليس بمسجـد جمعة، لأن الأصل الترغيب في تعلم العلم وتعليمه، فيوم الجمعة كغيرة من الأيام».

أما الإجازة الصيفية التي يسميها الناس العطلة، فهي عنده رَحِمَهُ اللَّهُ موسم العطاء، حيث تزيد دروسه في الأسبوع الواحد على أربعين درسا، ويملأ الإجازة كلها بالدروس، وقد أشرت إلى كل ذلك بالتفصيل في موضعه بحمد الله.

أمـا الأماكـن التـي كان يدرس فيها رَحِمَهُ اللَّهُ فقـد كان معظـم دروسه في المساجـد، فهـي مدرسة رسـول الله ﷺ التـي انطلق منها العلـم، وهي مدارس السلـف من الصحابـة ومن بعدهم: كابن عباس وابن عمـر والحسن البصري وسعيد بن المسيب ومالك وأحمد ونحوهم من سلف أمتنا الصالح، ومع هذا فقد مـر بنا أنه درس في بيته في حـي السبالة وفي حي شبرا، كما درس في دار العلم، لكنـه مـن المسجد انطلـق رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي المساجـد اشتهر، وقد درس في مساجد كثيرة في مدينة الرياض، أسوق منها ما اطلعت عليه بحسب التسلسل الزمني:

مسجـد آل حمـاد في المقيبرة، وهو المسمى بمسجـد الأمير ناصر لكونه بقرب بيته.

---

(١) الفتوى رقم ٧٨١ بتاريخ ٦/١١/١٤٢٠ هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في باب التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة من كتاب الصلاة برقم/ ١٠٨١.



مسجد الحمادي في حارة السبالة.

مسجد القباع في المقيبرة.

مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في دخنة.

جامع الإمام تركي بن عبدالله، وهو الجامع الكبير في مدينة الرياض.

مسجد الملوحي في حي العليا.

جامع السالم في حي العليا.

جامع الملك عبد العزيز في حي العليا.

جامع الملك خالد في أم الحمام.

مسجد البرغش في حي شبرا.

مسجد آل فنتوخ في حي شبرا.

مسجد الخرجي في حي شبرا.

جامع الشيخ سليمان الراجحي بحي الربوة.

جامع الأمير عبدالله بن محمد في سوق عتيقة.

جامع شيخ الإسلام ابن تيمية في حي السويدي.

جامع القاضي بحي التعاون.

وكان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتنقل بين هذه المساجد على مدى ثلاثين عاما أو تزيد، ولما تم ترتيب مكتبه في منزله بعد تقاعده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، اقترح عليه أن تجمع هذه الدروس قريبا من منزله.

وكان الشيخ عبدالله الراجحي قد بنى جامعا كبيرا بقرب منزلنا في حي شبرا بالسويدي، فناسب أن تجمع فيه الدروس التي كانت متفرقة في المساجد، وأقيم حوله سكن للطلاب المتغربين.

يقول الوالد رحمه الله: «في حدود سنة عشرين أو إحدى وعشرين جمعنا الدروس كلها الصباحية والمسائية في مسجد الشيخ عبد الله الراجحي، فصرنا نقرأ فيه بعد الصباح أربعة أيام السبت والاثنين والثلاثاء والأربعاء وأبقينا يومين في مسجد البرغش صباح الخميس وصباح الجمعة وأما الدروس المسائية فهي خمسة أيام كلها في مسجد الراجحي الجمعة، والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء».

وكان آخر الدروس انتقالا درسه في جامع القاضي بحي التعاون، حيث تم نقله في يوم السبت ١٤٢٨/٢/٦هـ.

وقد لقينا عتبا من أئمة المساجد التي كان يلقي فيها دروسه، وكذلك جماعتها لحرمانهم من علمه، وحاول بعضهم إبقاء تلك الدروس رغبة في النفع، واستشفع بعضهم لديه،ولكنهم أخيرا عرفوا المصلحة في ذلك وقدروا الأمر، لأن زحام السيارات وتباعد المسافات يسبب ضياع جزء كبير من وقته رحمه الله.

وممن كبر عليه الأمر وضاق به وأهمه الشيخ المبارك فهد بن غراب إمام جامع شيخ الإسلام ابن تيمية، وحاول كثيرا مع الوالد رحمه الله لثنيه عن قراره، لكنه اقتنع أخيرا لما رأى أن جميع الدروس نقلت.

وبعد انتقال الدروس فرح بذلك الشيخ عبد الله الراجحي وأمر بتوفير ما يحتاج إليه، فتم ترتيب تسجيل الدروس وبثها عن طريق الإنترنت، وكان للشيخ أحمد الموسى وفقه الله إمام الجامع في ذلك الوقت ومؤذنه بندر الفريح جهودهم المباركة في ذلك، وكذلك أئمة الجامع ومؤذنوه الذين تعاقبوا عليه، وفي السنوات الأخيرة صارت تصور بعض الدروس تلفازيا من قبل قناة المجد العلمية ومن قبل مكتب الشيخ رحمه الله.

أطول الدروس وأقصرها

لا ينظر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الزمن، فالطلاب هم الذين يختارون الكتب، وهو لا يحدد وقتا لإنجاز الكتاب، لكن عادته الاسترسال في الشرح لموسوعيته كما ذكرنا، ولهذا تمكث بعض الدروس سنين عديدة، وفي بعض الدورات يرغبون إليه رَحِمَهُ اللَّهُ إنجاز المتن المقرر، فيلبي رغبتهم بالاختصار في الشرح.

سأله الشيخ محمد المنجد عن أقصر دروسه وأطولها، فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقصر الدروس أربع القواعد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، قرأناها في أربعة أيام كل يوم قاعدة مع الشرح.

أما أطول الكتب، فكنت التزمت أن أقرأ على المصلين وقت العشاء ما بين الأذان إلى الإقامة حديثًا أو حديثين يوميًا حتى ليلة الجمعة، يقرأ عليّ أخونا محمد قاسم السويدي الجعفري وفقه الله، الذي يقوم بالإمامة في مسجد ابن فريان، فابتدأنا في كتاب منتقى الأخبار، واستغرق نحو ست سنين أو سبع.

ثم قرأناه أيضًا في درس آخر في الحي الذي فيه منزلنا ولكنْ يومان في الأسبوع: يوم السبت بعد الفجر، ويوم الثلاثاء بعد الفجر، واستغرق ثلاثة عشر عاما.

كذلك أيضًا شرح منار السبيل هذا أيضًا ابتدأنا به في حي شبرا، في حدود سنة أربعمائة وثلاثة، واستغرق ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة، نقرأ فيه لليلتين بعد العشاء مساء الجمعة ومساء الأحد[1]».

---

(١) سبقت الإشارة إلى أن الشيخ الدكتور عبدالعزيز السدحان قال: "بدأنا في منار السبيل على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في يوم ١٣ من الشهر العاشر شهر شوال عام ١٤٠٣ وانتهينا في عام ١٤١٦ للهجرة" قصتي في طلب العلم

طالب أو ألف طالب

لم يكـن الوالد رحمه الله يعير اهتماما لعـدد الحضور، فطالب واحد وألف طالب سواء، ولا شك أن كثرة الطلاب تشجع وتزيد الإنسان حماسة للمواصلة، لكنه رحمه الله لم يكن ينظر لذلك، ولعل ذلك إن شاء الله من علامات الإخلاص.

وهذه بعض روايات تلاميذه لصنيعه معهم في ذلك.

يقـول تلميذه البـار الشيخ الدكتور عمـر العيـد[١]: «كان رحمه الله لا يعبأ كحالنـا اليوم عندما نقيـم دورة أو محاضرة بكـثرة الجماهير وعددهم، ولا أنسـى إذ كان شيخنا ابن باز غفر الله لـه ورحمه في عام سبع وتسعين وثمان وتسعـين وتسع وتسعين يسافر للطائف في وقت الصيف، فكنا نقرأ على الشيخ ابـن جبرين رحمه الله في الجامع الكبـير، وكان الحضور لا يجاوزون عدد أصابع اليد، ومع ذلك يجثو على ركبتيه ويعلم ويدرس ويفرح بكل من وصل إليه».

ويقول الشيخ علي بن حسين فقيهي[٢]: «سمعت بدرس للشيخ في الروض المربع في جامع عتيقة مغرب كل أربعاء، حضرت الدرس لأول مرة،كان الشيخ أول الحاضريـن يصلـى المغرب في المسجد، لم يكـن الحضور كبيرًا، الطلاب كانـوا بعدد الأصابع حتـى إننا نتحلق حول الشيخ وهـو جالس على الأرض في روضـة المسجد، كنت أحضر له في الدروس كثـيرة العدد، وقد وجدت في هذا الدرس الأسلوب هـو الأسلوب، والطريقة هـي الطريقة في الشـرح والتعليق والتعقيب والتفصيل مع قلة العدد.

---

(١) قناة دليل.

(٢) من مذكراتي: أيام مع ابن جبرين
.http://majles.alukah.net/showthread.php?p=325483

وزرت الشيخ مرة في مسجده فرأيته بعد المغرب يدرس في المسجد في كتاب الكافي لابن قدامة والحضور فقط طالبان، أكبرت في الشيخ هذه الهمة والعزيمة في التعليم والتدريس

في درس فجر الخميس يقرأ على الشيخ ما يفوق عشرة كتب، حسب الإعلان الموزع عن دروس الشيخ اليومية.

صليت الفجر مع الشيخ في سرحة المسجد، وبعد الصلاة جلس الشيخ يذكر الله ﷻ حتى أسفر جدًا، ثم أخذ الشيخ مكانه في الدرس وتابع الذكر، وهو يتلفت يمنة ويسرة، يا ترى ماذا ينتظر.

تعجبت من تأخر بداية الدرس، دخل أحد الإخوة المقيمين من باب المسجد، فإذا الشيخ يشير إليه بإحضار ما معه من كتب والجلوس بجانبه، أحضر الأخ كتبه وبدأ في القراءة، وقام الشيخ بالشرح والتعليق قرابة الساعة والنصف، أثر ذلك الموقف في نفسي أيما تأثير، فلقد كنت أرقب الشيخ وهو ينتظر واحدًا من طلاب العلم العشرة الذين تغيبوا عن الدرس، الذي كان الشيخ يحضره أولًا ويخرج منه أخيرًا».

يقول الدكتور عبدالعزيز السدحان في محاضرة قصتي في طلب العلم التي ألقاها الوالد عام ١٤٢٦هـ: «الصبر على التعليم والتعلم ليس بالأمر الهين، ولقد رأيت الشيخ في الجامع الكبير قبل أربع وعشرين سنة من هذا التاريخ جالسًا وحده في السرحة المكشوفة لم يأتِ طالب واحد ومع هذا كان جالسًا حضرت عنده وحضر طالب يماني، وشرح لنا الشيخ متنًا أو كلامًا عن الحج، أقسم بالله أني لا أفرق بين شرحه في هذا الجمع وبين شرحه لي وواحد معي، وهذا يدل إن شاء الله على حرصه في تزكية العلم وعلى حرصه في نفع الناس».

ويقــول الشيــخ إسلام دعدوشــة [١] وهو من طلاب العلــم في مصر وقد درس على الوالد رحمه الله: «العجيب أن الشيخ رحمه الله تعالى عنده درس يحضره مــا يقرب من خمسمائة طالــب، وفي أيام الاختبارات يكون الحضور خمسة أو ستــة، لا يتغير الشيخ البتة، الأداء نفسه، والعطاء نفسه، والجد نفسه، والهمة العالية نفسها، ما ضعفت ولا يومًا».

ويقــول الدكتور عبد الوهاب الطريري [٢]: «درست عنده وكان معي ثلاثة يقرؤون قبلي، كانوا أكبر مني سنا، ثم أبقى أنا والشيخ لوحدنا.

لا يختلــف شرح الشيخ والمجلس فيه المجموعة، وشرح الشيخ وأنا جالس لوحدي».

وهــذا المسلك العجيب الذي يدل إن شــاء الله على إخلاصه وصدقه رحمه الله، نجــد الوالــد يحرص أن يعلمه لطلابه، يقــول رحمه الله [٣]: «على طالب العلم أن يبــث علمــه ولو لم يستفد منه إلا القليل، هكــذا ننصح من كان عنده علم أن لا ييأس، فإنه ربما يستفيد القليل، ثم يفيدون آخرين، فيكون لك مثل أجورهم.

إذا انتفــع الخمسة أولا بعلمــك ثم نفعوا مثلهم، كان ذلك أيضًا من آثار علمك الذي علمتهم، فيصل إليك الأجر لأن هذا علم ينتفع به.

تذكــر قول النبــي ﷺ: «**إذا مات ابــن آدم انقطــع عملــه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [٤].

(١) برنامج التبيان في قناة الناس

(٢) قناة المجد

(٣) تجربتي في طلب العلم

(٤) رواه مسلم في باب باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته من كتاب الوصية برقم ٣٤١٠.

فهذا العلم الذي ينتفع به غيرك يبقى لك أجره إذا كتب وإذا سجل وإذا نقله تلاميذك».

فهـذا المنهـج لم يكن عنـده رحمه الله اتفاقـا أو طبيعة، بل اقتنـاع راسخ، ورغبة في الأجر الذي لا ينقطع.

لقـد كان هذا دأبـه وأسلوبه رحمه الله منذ بدأ التدريسـ في المساجد، ألم يبدأ بطالب واحد حبس نفسه له، ألم يجلس سنين طويلة ليس عنده إلا العدد القليـل، هـو إذا منهج، ونعم المنهج الذي ينبغـي أن يأتسى به طلاب العلم في بذل علمهم.

من يطيق هذا..؟

مـن المعالم المهمـة في مجال عناية الوالد رحمه الله بالطـلاب وتدريسهم، دأبه وصبره اللذان لاينفدان على بعض طلابه،ممن لهم رغبة في العلم، ولكن ليس معهم معرفة كافية، أو ليس عندهم جد وعزيمة.

ولقد أبـدع رحمه الله في تعامله مع هذين الصنفين، طالب مبتدئ، ضعيف في النحو، بل ربما لا يقيم الكلمات، لايمنعه من أن يقرأ، بل يعامله بحسب ما يحسن.

يقـول الشيـخ محمد زيـاد التكلـة [1]: «حدّثنـي شيخنا سعـد الحميد حفظه الله – وهو من كبار تلاميذه – أن الشيخ كان يقعد في حلقته قديمًا الاثنان والثلاثـة، ويصحح لهم تلاوة القـرآن، ويأتيه العوام وأشباهُهم، ويصبر على تعليمهم أوليات العلم بصدر رحب».

---

(١) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين .http://alukah.net/articles/1 /7038.aspx

ويقـول رفيقه في حضـره وسفره أبـو طلحة واسيني حجيـوي الفرنسي الجنسيـة: «أول مـا بدأت ألازم الشيخ الوالـد رحمه الله رأيت جل الذين يقرؤون عليـه، ولكن ما تأثـرت مثل تأثري من أحد الطلاب، رجـل كبير من إفريقيا، قراءتـه ضعيفة جدا، يقرأ فجـر الخميس وفجر الجمعة، قلت له رحمه الله: هذا الطالب يتعتع ويخطئ، قال: أي نعم من إفريقيا، ولم يزد على ذلك.

هـذا الرجـل لازم الشيـخ أكثر من أربع عشـرة سنة، وقـرأ على الشيخ الموطـأ وكتاب الآجرومية والأربعين النوويـة و كتبا كثيرة، وكان الشيخ رحمه الله إذا قـرأ ذلك الطالب يشرح شرحا وافيا مستوعبـا، كأن الطالب الذي أمامه من أنجب الطلاب».

ويريد بقوله: من أفريقيا أنه أعجمي، فالعربية عسيرة عليه.

ومـن أعجب المواقف في موضـوع القراءة على الشيخ الوالد رحمه الله رجل من اليمن عمره الآن قريب من السبعين، نطقه عسير وقراءته ضعيفة جدا في القرآن الكريم، كان يأتي يوميا للوالد حينما كان في حي السبالة، يقرأ كل يوم خمسـ آيـات أو ستًا، كان عنده همة في الحضـور والمواصلة، وكان عند الوالد رحمه الله صـبر واستعـداد ليستمع له، قرأ سنينـا زادت على خمس عشرة سنة، وكان يحاول تصحيح قراءته فلا يفيد معه، فلا أدري أأعجب من همة هذا أم من صبر الوالد عليه؟!.

ومـع هذا فلـه رحمه الله منهـج حسن مـع الطـلاب بحسـب مستوياتهم، فالطالب المتقن الجيد يرد عليه ويقوم قراءته، والطالب الذي يعرف أنه كثير اللحن وأنه لايستفيد من الرد، يتركه يقرأ على سجيته، ولا يقول أخطأت.

أمـا الصنـف الثاني وهم الطـلاب الذين لهم رغبـة في العلم، ولكنهم لا يواظبـون، إمـا لعذر وإما دون عـذر، فإن الوالد رحمه الله واسـع الصدر على طلابـه، لا يعنف من غاب، ولا يحرم أو يطرد، فقد يغيب بعضهم شهورًا عدة فإذا جاء، ابتسم له وسأله عن أخباره، وعاتبه بلطف، وحثه بأدب.

وكثير ممن لم يخالط الوالد رحمه الله يظن أن هذا منهجه في كل دروسه، ومـن خلال تتبعي لهذا الموضوع، وجدت أن هذه القضية محصورة في دروس الصبـاح، وبخاصـة في يومي الخميس والجمعة، فإن الكتـب المقررة في يومي الخميـس والجمعة تزيد على العشرة، وفي الأيـام الأخرى حوالي سبعة كتب، ولعل الشيـخ الوالد رحمه الله تعمد ذلك، ليتيح المجال لهؤلاء أن يقرؤوا، ولا نرى هذا الكم من الكتب في الدروس الأخرى.

يحكـي الشيخ عصام العويد قصة له حول هذا الأمر، فيقول [1]: «جئت يومًا بعد الفجر فلم أجد طلابا، وقلت يا شيخ أين طلابك؟ قال: لا بأس، هون على نفسك الأمر واسع، أصبر حتى يأتوا، وينتظر حتى يذهب نصف ساعة أو نحوها، ثم يأتون ثم يبدأ.

لأنـه يريد وجه الله، ولأنه أراد تربيتنا، وفعلًا هذا الذي حصل لنا، أننا ننتظر طلابنا حتى يأتوا ربما أجلس نصف ساعة و هذا بفضل الله ثم بتأثرنا وتأسينا به».

وقـد دفع هذا بعضـ الطلاب في السنتـين الأخيرتين مـن حياته لتقديم اقـتراح حول معاملة الذين لايحضـرون، واقترحوا أن يقرأ من حضر وأن يكون النظر للكتاب لا للقارئ وأعطوني اقتراحهم، وكنت أميل إليه ولكني أعرف رأي الوالد، فعرضته عليه فسكت، وكانت هذه عادته في الغالب إذا لم يرد شيئا.

---

(١) قناة إقرأ.

العناية بالنجباء

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهتم بطلابه الذي يرى فيهم علامة النجابة ويحبب إليهم العلم، يقول الدكتور عمر العيد[1]: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشجع طلاب العلم، ويفرح بالنابغين، ويعطيهم شيئًا من العناية والتوجيه».

ويذكر الدكتور عبدالمحسن العسكر في أول قراءاته على الوالد: «أصبح الشيخ يأنس بي، وقد أذن لي أن أقرأ عليه وحدي متن الآجرومية، فشرحها شرحا مبسوطا، حبب إليّ اللغة العربية بما كان يورده ويعربه من الشواهد شعرا ونثرا، فكان ذلك من أسباب دخولي كلية اللغة العربية».

ويقول الدكتور عبدالوهاب الطريري:[2] لقد كان علم الشيخ من العلم العتيق الذي تنامى عبر دأب طويل، واستذكار دائم، وليس حصيلة تحضير عاجل، أو إعداد قريب، ولذا كان يبهر بقوة استحضاره وغزارة تدفقه، ولذا فلم يكن الشيخ في حياة طلابه شيخ مرحلة يعبرها الطالب ثم يتجاوزها إلى غيرها، ولكنه عالم كل المراحل، قرأت عليه وأنا في المرحلة الثانوية، وفي المرحلة الجامعية، وقرأت عليه وأنا أعد رسالة الدكتوراه، وكلما ازددت علمًا ازدادت معرفتي بسعة علم الشيخ واحتياجي لمزيد الاستفادة منه.

وكان هذا الثراء العلمي يقدم في وعاء تربوي جميل؛ فقد كان الشيخ يمارس التعليم أبوة وتربية، فيرفع الحجب بينه وبين طلابه، ويشعرهم بالحفاوة والخصوصية، ويسعهم جميعًا على تفاوت قدراتهم ومداركهم بتحفيزه وتشجيعه، بحيث يستشعر كل منهم أنه قارب أن يبلغ أمله.

---

(١) قناة دليل.

(٢) مقال بعنوان حياة من نور.

لقد كان تعامله السمح الرفيق يبني شخصية الطالب، ويعزز لديه مشاعر الثقة النفسية، وكم كنت أنصرف من درسه وأنا أشعر بنشوة نفسية عارمة؛ لأنه أشركني في مقابلة كتاب ينجزه، أو حدثني بموقف مؤثر من حياته». أ.هـ.

ولربما صبر رحمه الله طويلا على طالب يؤمل فيه خيرا، يقول تلميذه الشيخ عصام العويد[1]: «كان يتبسط وربما أخطأت الخطأ مرارًا وتكرارًا ويعيده عليَّ لا يوبخ ولا يرفع الصوت، تجده رحمه الله تعالى بتبسط وابتسامة، بل لربما ترك بعض الشيء رحمه الله تعالى رحمة واسعة».

وكان يكرم طلابه ويهش لهم ويبش، ويساعدهم بما يستطيع.

ومن ذلك أن يكتب لتلاميذه البارزين تزكيات علمية مميزة ومما رأيته تزكيته للدكتور عبدالعزيز السدحان والدكتور عبدالمحسن العسكر، والشيخ عبدالله بن علي بن عامر.

وإذا زاره أحد منهم قربه واحتفى به، وربما أثنى عليه بمسمع من الحضور، وإذا استزاروه لبى دعوتهم، كما سأذكره في حياته الاجتماعية.

وهو يقف معهم فيما يحتاجونه من شفاعة ووجاهة، ولا أنسى وقفته مع الشيخ بدر الفلاج إمام جامع الصانع، حيث تعسر تعيينه خطيبا فذهب لوزير الشؤون الإسلامية واتصل به وكتب له خطابات مرارا، وكتب للأمير مشعل وذهب له بصحبة الشيخ بدر ليستشفع له.

وحدثني الشيخ موسى توري وهو من تلاميذه قديما: أنه كان له موضوع في المحكمة فتعسر، وطلبوا منه من يعرفه، فقال: يعرفني الشيخ ابن جبرين، فأخبر الوالد بذلك فقال: أنا أذهب معك. فذهب معه وتيسر الأمر.

(١) قناة إقرأ.

العناية بالوافدين

هذه سمة بارزة في حياة الوالد العلمية ونهجه التعليمي.

تأتي إليه فتجد حوله اليماني والمصري والشامي والمغربي والهندي والأفارقة على اختلاف جنسياتهم وغيرهم.

هو جامعة ثالثة في الرياض، يفتح لهم قلبه، يسمع مشكلاتهم، وينفس كرب المكروبين منهم، ويتعاهدهم بالتربية والتعليم.

لعل التجارب الأولى من حياته التدريسية هي التي حببت إليه هذا، فقد رأى فائدته وعرف أثره.

فإنه كما علمنا قد بدأ في التدريس لمجموعة من طلاب مدرسة تحفيظ القرآن من اليمن ومن تهامة ونحوها، وكان ابن سنان رَحِمَهُ اللهُ يحثه على تدريسهم.

فكان يتابعهم ويلزمهم بقراءة المتون، مثل ثلاثة الأصول وكشف الشبهات والعقيدة الواسطية وكتاب التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة وأشباهها، حتى أخرج منهم رجالا نفع الله بهم في بلادهم، ورأى آثار تدريسه لهم.

ولهذا أنس بالوافدين وأنسوا به، يقول الدكتور عبدالوهاب الطريري[1]: «كان درس الشيخ عجيبا تلقى فيه الكبير والصغير، أذكر أني كنت جالسا وعمري إذ ذاك ست عشرة سنة وبجواري شيخ لا يقل عمره عن خمس وخمسين سنة.

تجد طالبا من السعودية وآخر من اليمن وثالثا من حضرموت وهكذا، فكان المجلس أخلاطا. القاسم المشترك دأب الشيخ وصبر الشيخ».

(١) قناة المجد.



وهو رَحِمَهُ اللَّهُ يشجعهم، ويستغل الفرص لذلك، يقول الشيخ رضا أبو الفتوح من الدعاة في مصر[1]: «كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يشرح العقيدة الطحاوية في بيته، وكان يشرح لنا منار السبيل في سوق الخضار في عتيقة رَحِمَهُ اللَّهُ.

في مسألة من المسائل ألقى الشيخ سؤالا على الطلبة، فقال: إن آية في القرآن حرمت الخمر في حالة دون حالة، وآية حرمت الخمر في وقت دون وقت، وآية حرمت الخمر تحريمًا نهائيًا، وآية أحلت الخمر.

فعرف الطلاب الآيات الثلاث، وحرنا في الرابعة فبفضل الله ﷻ، فتح الله عليَّ فقلت: الآية في سورة النحل ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل: ٦٧].

فقال الشيخ: أحسنت، بارك الله فيك، أنت مصري طبعًا.

فقلت: نعم.

قال: هكذا المصريون.

فغمرني بأدبه وتشجيعه».

نقل آراء مشايخه وأقرانه

نقل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لآراء مشايخه وأقرانه، بل وطلابه ومن هم في مرتبتهم منهج فريد، يدل على سعة اطلاع وإنصاف وتواضع واعتراف، فقد كان كثيرا ما يذكر رأي شيخه ابن باز في المسائل التي يشرحها، وكذلك رأي ابن حميد، فضلا عن الشيخ محمد بن إبراهيم، وهو أيضًا يذكر آراء بعض

(١) برنامج التبيان في قناة الناس.

أقرانه من المشايخ الأموات أو الأحياء: كابن عثيمين وصالح الفوزان وغيرهم، كما يذكر رأي هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء، بل إنه يذكر أحيانا آراء بعض طلابه ومن هم في مرتبة طلابه كالشيخ الدكتور سعد الشثري وسلمان العودة ونحوهما، وهذا من تواضعه رحمه الله وانصافه[1] .

سمعته مرارا يحيل على بحث للدكتور سعد الشثري حول الإيجار المنتهي بالتمليك، رجح فيه الجواز، وكأن الوالد رجع إليه بعد ما كان يفتي بفتوى اللجنة في المنع من ذلك.

التحضير للدروس

المشتهر عن الشيخ الوالد رحمه الله أنه لا يحضر لدروسه، وقد أشرت لذلك في أثناء الكلام عن موسوعيته رحمه الله، ولقد أحببت هنا أن أورد شيئا يتعلق بذلك من كلامه رحمه الله، فقد سئل عن ذلك مرارا، فقال في إحدى أجوبته[2]: «لا أتفرغ للتحضير غالبًا إلا لبعض دروس الحديث؛ وذلك بقراءة الشروح التي توضح معاني تلك الأحاديث وما فيها من الخلاف، أما البقية فنكتفي بدراستها وتدريسها السابق، حيث تكرر علينا القيام بتدريسها مرات بعد مرات».

وسئل مرة أخرى، فقال: «بالنسبة إلى الدروس التي تتكرر فإننا نكتفي بتكررها.

قمت في المعهد بتدريس تفسير جزء عم وكنت أراجع، وكذلك تفسير سورة سبأ وغيرها، وكنت أراجع ابن كثير وما تيسر من تفاسير أخرى.

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٢) انظر الفتوى رقم(٧٦١).

ولكن بعد أن درسته مرتين أو ثلاث مرات أصبحت أستحضر النصوص التـي قرأتها والتي درستها، وهكذا سائر المتون كمـتن الزاد و كتاب التوحيد، ولما تكـرر تدرسينا لهذه الكتب أصبحنا لا نحتاج إلى مراجعة ولا إلى تحضير وذلك للتكرار.

ولمـا انتقلت في سنة خمس وتسعـين إلى كلية الشريعة درست التدمرية ففي السنة الأولى والثانية احتجت أن أراجع بعض الكتب التي تتوسع في شرح معانيها وبقية السنوات لم أحتج إلى المراجعة.

أمـا شـرح الطحاوية فـإني درستها في الكليـة سنة واحـدة حوالي ربع الكتاب، واحتجت أيضًا إلى أن أطالع بعض المراجع.

هـذا بالنسبـة إلى الدروس النظامية، وأما دروسنا بعـد ذلك التي في المساجـد فـكان ابتداؤها في حدود سنة ثمان وثمانين، ومـع تكرارها لم أحتج إلى المراجعة، لكن لابد أن الإنسان يطالع، وقدوتنا في ذلك مشايخنا، الشيخ محمـد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ مـات وهو لم يترك المراجعـة، كل ليلة بعد العشاء يأتيه زميلنا أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ويقرأ عليه متن الروض، وكذلك التعليقـات التي عليه، أو حاشيـة العنقري أو حاشية أبيه الشيخ ابن قاسم، ثم نراه في شرحه يستشهد بتلك الحواشي.

أتذكـر منها مرة كان في كتاب الصيد من الروض المربع، فجرى البحث أو السـؤال عـن الصيد بالبندق بالرصاص المعـروف، إذا رمي فمات المرمي، رمـوا مثلا ضبيا أو أرنبا فماتت من أثر الرمـي، فهل يجوز أن يأكل إذا سمى ذلـك الـذي رمى، فناقشـه أحد الزملاء فقـال: كيف يكون حـلالا وهو ليس بمحـدد؟، أي إن الرصاصـة ليست محددة فرأسها غليـظ، فقال: إنها حلال

بالإجماع: نظرنا وإذا استناده على حاشية العنقري، حيث أورد بيتين فيهما الإجماع يقول الناظم:

وما ببندق الرصاص صيدا ... جواز أكله قد استفيدا

أفتى به والدنا الأواه ... وانعقد الإجماع من فتواه[1]

فهذا مستند الإجماع عنده».

فتبين لنا أن الشيخ الوالد رحمه الله يراجع إذا احتاج، وقد رأيته مرارا في الدروس التي يدرسها لأول مرة يطالع بعض الكتب قبل الدرس، مع اعتراف الناس بموسوعيته رحمه الله وجودة حافظته وكثرة محفوظاته.

التوقف في رمضان

كان الشيخ الوالد رحمه الله يقف الدروس إذا دخل رمضان ويتفرغ للعبادة وقراءة القرآن، ويذكر أن هذه طريقة السلف رحمهم الله، يقول في إحدى فتاواه[2]: «كان السلف الصالح يتوقفون عن التحديث وتعليم العلم، ويشتغلون بقراءة القرآن والذكر والعبادة، اغتنامًا لهذا الموسم العظيم، وحرصًا على استغلال أيامه في الأعمال الصالحة، فيتفرغ العالم لعبادة ربه والعمل بما تعلمه، ويتفرغ الطلاب للأعمال الصالحة التي تلقوا أدلة فضلها من علمائهم وأحبوا تطبيقها والعمل بها، فهذا سبب توقف السلف في رمضان عن الحديث وتفرغهم لقراءة القرآن والأعمال الصالحة».

وكثيرا ما يذكر في مواعظه عن رمضان بأن السلف إذا دخل رمضان تركوا دروس العلم، وأقبلوا على مصاحفهم يقرؤون فيها.

---

(١) انظر حاشية الروض المربع لابن قاسم ٧/٤٥٧.

(٢) الفتوى رقم (١٥٤٣).



ولكنه في رمضان - كما سنذكر بعد - يستجيب لدعوات أئمة المساجد فيلقي كل ليلة موعظة في أحد المساجد، وربما ألقى بعد العصر أيضًا في بعض المساجد.

رأيه في علوم الآلة

لقد لاحظنا فيما مر أن الوالد رحمه الله يحب التركيز في طلب العلم على الكتب الرئيسة ككتب العقائد وكتب الحديث وكتب الفقه وبخاصة للمبتدئ، وقد كان هذا صنيعه مع الطلاب الذين درسهم في أول أمره، ثم أخذ لا يرد الطلاب عن القراءة في أي كتاب، لكنه يختار ويحب ما ذكرنا، وقد سئل عن القراءة في كتب علوم الآلة، فأجاب رحمه الله بقوله[1]: «يُفضل لمن يقرأ في العلم أن يأخذ مبادئ من علم النحو؛ فإن فائدته إقامة الألسن وفهم المعاني من كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ وكلام أهل العلم، ولا حاجة إلى التوغل فيه الذي يشغل عن ما هو أهم منه؛ فقد قال بعض العلماء: النحو في الكلام كالملح في الطعام: أي: لا يزاد فيه ولا ينقص منه، وأما علم اللغة كالبيان والبديع والمعاني والعروض والقوافي فنرى أنها ليست ذات أهمية، وأما الأصول كأصول الفقه والمصطلح وأصول التفسير فلها أهمية، ولكن لا تُقدم على فروعها، بل يبدأ الإنسان في التعلم بالعقيدة والتوحيد والأحكام، فيقرأ في كتب الفقه وكتب الحديث وكتب التوحيد، ويقدمها على علوم الآلة لأهميتها».

هذه هي أبرز معالم المنهج الذي اختطه الشيخ الوالد رحمه الله مؤتسيا بذلك بنهج خير الأمة، مترسما منهج سلفها، يقوده في ذلك الدليل، ويسيره الإخلاص، ويعضده الصدق، ويحفزه محبة الخير للناس، نحسبه كذلك والله

---

(١) الفتوى رقم(٧٦٨).

حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا، سار على ذلك، فأدرك ماتمنى، ورأى ما روى،وحصل ما ابتغى، حتى ووري في الثرى، وبكت عليه القلوب قبل العيون، فرحمه الله، وأجزل مثوبته، وجمعنا به في عليين. اللهم آمين.

داعية لا يكل

هو فعلا.. داعية لا يكل.. ولا يمل.

جمع رحمه الله بين العلم والدعوة، والأصل أنهما مجتمعان، لكن جرى عرف الناس في عصرنا على أن العالم هو الذي يجلس لطلاب العلم، والداعية هو الذي يجلس للعامة، يقول الدكتور عبد العزيز الفوزان[1]: «الشيخ رحمه الله جمع بين الخيرين، العلم مقرون بالدعوة، هذا التميز في منهج الشيخ رحمه الله، هو منهج المدرسة السلفية، ليس علمًا محصورًا في طائفة معينة، أو في الراغبين فقط في طلب العلم، كان يبذله لكل الناس، فهو عنده دروس كثيرة لطلاب العلم الذين يحثهم على نشره بين الناس في مساجدهم وأحيائهم، وأيضًا يشارك في البرامج الإعلامية المتنوعة، وفي المحاضرات والدروس العامة التي يستفيد منها عامة الناس على اختلاف طبقاتهم، هذه قضية مهمة للغاية، تميز بها هذا العالم الجليل رحمه الله».

فهو إذن داعية.. وأما لا يكل فهي قضية أخرى سترى عجائبها وغرائبها إذا طالعت أخباره في هذا المبحث، ولقد عجب من دأبه في هذا المقام كل من عرفه أو سمع عنه.

فهذا نص آخر للدكتور الفوزان، وهو يبدي عجبه من هذا الدأب والعطاء المتواصل، يقول حفظه الله[2]: «من الأشياء التي أعجب منها دائمًا

(١) قناة دليل.

(٢) قناة دليل.

وأتساءل، حينما أقرأ عن خبر محاضرة أو درس أو لقاء لهذا الشيخ الجليل، أو أشترك معه في بعض اللقاءات العلمية والأسابيع والأيام الثقافية، أقول: سبحان الله إنسان بلغ الثمانين وجاوزها وتجده يعيش بروح الشباب، وتجده -والله- يسابق الشباب في جده واجتهاده، يتنقل من بلد إلى آخر، ومن قرية لأخرى، ومن درس إلى درس، ومن محاضرة إلى أخرى، إن الواحد منا يحتقر نفسه حينما يرى هؤلاء الكبار على جلالة قدرهم وسعة علمهم وكثرة مشاغلهم وثقل الأمانة الملقاة على عواتقهم، مع ذلك سبحان الله لا يكادون يتركون باب خير يقدرون عليه إلا كانوا أسبق الناس إليه».

وليس طلاب العلم هم الذين يبدون عجبهم منه فقط بل كل من عرفه، فهذا أحد جيراننا في حي شبرا، وهو من أهل أبها في الأصل الأستاذ عمرو ابن أحمد الضبعان[1] يقول: «من الأمور التي يتميز بها الشيخ جلده في العلم، أذكر موقفا عشته شخصيا.. في إحدى زياراته لمدينة أبها.. دعوناه للغداء بعد الظهر، فطلب منا أن يكون الغداء في تمام الساعة الثانية، لأن الشيخ مرتبط بدرس بعد صلاة الظهر في أبها، وهو مرتبط بدرس بعد صلاة العصر في سراة عبيده!!!، ولديه محاضرة بعد صلاة المغرب في تنومة.

المعروف أن بين أبها وسراة عبيده قرابة سبعين كيلو مترًا وبين سراة عبيده وتنومة قرابة مائة وستين كيلو مترًا.

قلت لابن الشيخ بعد الغداء: اطلب من الوالد أن يؤخر محاضرته في تنومة إلى بعد صلاة العشاء؛ لأن المسافة بين سراة عبيده وتنومة طويلة، فتبسم ضاحكًا.. وقال: لا تخف إن الله معه».

---

(١) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. حكايات تنشر لأول مرة..!!
http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229

وقد تظن أن هذه الجولات فيها شيء من السعة والأنس، والوقت الكافي للفسحة والنزهة، لا.. فهذه لا يعرفها رحمه الله.. فقد عرفنا أن أنسه في الدروس، وسروره في إفادة الناس.. خذ مثالاً لبرنامجه في أحد أسفاره، لترى كيف يقضي الوقت رحمه الله.

يقول تلميذه بل ابنه البار الدكتور طارق بن محمد الخويطر[1]: «ذهبنا إلى مدينة عنيزة في رحلة معه ضحى السبت، ففي أثناء الطريق كان الشيخ يقرأ القرآن، ثم بدأ بقراءة كتاب آخر، ثم أعطاني بعض الأسئلة، فبدأت أقرؤها والشيخ يجيب، وأنا أسجل هذه الإجابات.

وصلنا قبيل العصر، وبعد صلاة العصر استقبل أسئلة عبر الهاتف، وبعد صلاة المغرب ألقى محاضرة، وكذلك بعد صلاة العشاء.

وبعد صلاة الفجر من يوم الأحد كنت أتوقع أنه سيرتاح قليلًا، لكنه قال لي: إنه سيستقبل اتصالًا الآن من شخص من أمريكا ليلقي عليهم محاضرة عبر الهاتف، تنقل في المراكز الإسلامية، فبعد دقائق اتصل الشخص، واستمر في المحاضرة قرابة الساعة، ثم طُلب منه أن يُلقي محاضرة في المعهد العلمي، ولما خرجنا من المعهد طُلب منه أن يُلقي محاضرة في كلية التربية للبنات، وانتهت المحاضرة قبيل صلاة الظهر، فذهبنا إلى مكتب الأوقاف، وصلى بنا الظهر، ثم ألقى كلمة بعد الصلاة.

ثم ذهبنا إلى أحد المشايخ لتناول الغداء، وهناك كان اللقاء مع طلبة العلم، الذين عرضوا عليه بعض الأسئلة، ثم سافرنا إلى الرياض، وفي الطريق كانت تُطرح عليه بعض الأسئلة والإشكالات، ووصلنا إلى الرياض قبيل أذان

---

(١) في رثاء سماحة الشيخ عبد الله الجبرين http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm.

المغـرب بقليل، فتوضأ وذهب إلى المسجد، وألقى دروسا له بعد صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء».

يصف ابن أخيه عبد الرحمن بن ناصر إحدى سفراته معه، وسأورد هذا النص بطوله، لأنه مليء بالعجائب، وإن كانت لاتتعلق بحدثينا الآن، يقول[1]: «في عـام سبع وعشرين سافرت مـع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في أول رحلة لي معه كنا في الصيف متوجهين أولا إلى مكة، أعرف أن الشيخ في المجالس يحكي القصص والأخبـار فتوقعت أني سأستمتع بالطريق، كانت عائلة الشيخ في سيارة أخرى يقودها ابنه سليمـان، وأنا والشيخ وحدنا، أتيت معي بمسجل لأسجل قصص الشيـخ وحكاياته المتعة التي كان يتحفنا بها إذا اجتمعنا، بعد ركوبنا بخمس دقائـق حينما وصلنا الخط السريع بدأ الشيخ يقرأ القرآن.. أخذ يقرأ ويقرأ، مـا حدثني بكلمـة واحدة، حتى إني استوحشت، وصلنـا إلى قرية في القويعية تسمـى الجفارة لنصطحـب أخته الكبرى، حيث تعـود أن يأخذ أخواته معه، فقـال لي: قف عند المسجـد، فلما وقفت نزل الشيخ صلى ركعتين، وذهب ابنه سليمـان يأتي بعمته، ركبـت معنا أخته هيا وسلم عليهـا، فلما أخذنا الطريق السريـع قال لي: قف، وكانت أختـه هيا أخته لأمه ولست من محارمها فطلب منهـا أن تركب مع عائلته، وركبت معنا أخته الشقيقة منيرة وهي عمتي، فلما سرنا عاد الشيخ لقراءة القرآن، حاولت عمتي منيرة أن تتحدث معه وهو يرد عليهـا ردا مجملا ويواصـل القراءة، وكأنه قد وضع له حزبـا يريد أن يكمله، فأشـرت إليها لتتركـه، واستمر يقرأ حتى وصلنا إلا أنـه في منتصف الطريق قبـل المغرب نام نومة خفيفة حتـى أذن المغرب، فأعطوه إفطاره وكان صائما، صلينـا المغرب والعشـاء وواصلنا المسير حتى الميقات، دخلنـا الميقات فأحرم

(١) لقاء منتجع أبي حسان.

الشيخ وركب السيارة وبدا يلبي بصوت مرتفع، وفي منتصف الطريق نام نومة خفيفة حتى وصلنا لمكان السكن، ذهبت معه للحرم وتركنا سليمان ينزل الأغراض، سألته قلت تريد أن تتوضأ؟، قال: لا، النوم في السيارة ما ينقض الوضوء بحكم إني جالس.

واعتمرنا وانتهينا وذهبنا للحلاق، فكلما رأى حلاقا حالقا لحيته أشر على لحيته، كأنه يقول له: لا تحلق عند من يحلق لحيته، فدخل عند حلاق لم يحلق لحيته.

عدنا للسكن متأخرين حوالي الساعة الثانية عشرة فتعشينا ونمنا، والعجيب أني استيقظت في منتصف الليل، فرأيت الشيخ عند المغاسل يتوضأ، ورأيته على السجادة يصلي قبل الفجر بساعة أو نصف ساعة، ثم جلس يستغفر ويذكر الله قبل الفجر، ولما أذن ذهبنا إلى الحرم، ثم جلس إلى الإشراق ورجع للشقة، كان عنده بعد الظهر لقاء، وعقب العصر درس في أحد الجوامع، وبين المغرب والعشاء جلس في الحرم وبعد العشاء ذهب يسلم على أحد المشايخ، انبهرت من هذه الطاقة العجيبة، أمس كان في سفر واليوم هذا البرنامج المشحون غفر الله له ورحمه».

ويقول الدكتور عبدالمحسن العسكر: «ومن صحب الشيخ في تلك الأسفار أدرك مقدار ما يبذله من الجهد، وعون الله أكبر مدد له في ذلك، وقد رافقت الشيخ في أسفاره غير مرة، ومن ذلك دروس له أقيمت في الرس ثلاثة أيام عام ١٤١٢هـ، فكان يدرس ويفتي طوال اليوم في المساجد وفي البيوت التي يزورها».

يقـول تلميذه أحمد المهنا عن إحدى رحلاته معـه[1]: «كنا في رحلة بعد صـلاة الظهر مـن يوم الأربعاء، وكنـت أقود السيارة مـع الشيخ متجهين إلى إحدى المحافظات تبعد عن الرياض ثلاثمائة كيلو، خرجت من الدوام والشيخ عنـده درس بعد الفجر والضحى يقـرأ في بعض الكتب، جئته بعد الظهر فإذا بالشيخ في الشارع ينتظرني.

فمشينا إلى هذه البلدة، وجلسنا ثلاثة أيام ما نمنا فيها إلا ست ساعات.

كنت أحس أن رأسي سينفجر من قلة النوم، والشيخ بكل أريحية أقول له: ألا تنـام، فيقول: نحن مرتاحين جالسين على الكرسي ليس عندنا تعب، التعب عند الأولين الذين يسافرون على الإبل، ويروون الماء ويتيهون في الطريق.

وصلنـا البلـد فاستقبلنا الإخـوة، و كان من عادة الشيـخ إذا ذهب إلى إحـدى المحافظـات أو البلـدان أن يحمـل مـن الكتـب التي لديه، سـواءً من مؤلفاته أو مؤلفات غيره، يحملها في كراتين، ويزود بها مكاتب الدعوة وتوعية الجاليات، وهذه قليل من يصنعها.

كان عنـده لقـاء بعد العصر، ثـم حفل بعد المغرب، ثـم لقاء بعد صلاة العشـاء، ولم نصـل البيت الذي نريد أن نستقر فيـه إلا الساعة الثانية عشرة والنصف.

وكان عنده في الغـد درس بعد صلاة الفجر، فكان من المناسب أن نضع مكانـا مستقلا للشيـخ لينام فيه، فلما دخل نظرت مـن الباب فوجدت الشيخ ذهب يتوضأ، فما حاولت أن أشعره وسكت.

---

(١) برنامج مرآة الحدث في قناة المجد.

في الغد انطلقنا إلى عدة أماكن في هذه المحافظة: عزاء، زيارة مريض، زيارة مكتب دعوة الجاليات، زيارة محافظ البلد، وأنا أقول: سبحان الله بركة الوقت مع هذا العالم عجيبة.

قال الشيخ بعد صلاة العصر: عندنا كلمة تبعد سبعين كيلو عن المحافظة.

كانت هذه الكلمة عن فضل صلاة العصر، جلس فيها الشيخ خمسا وأربعين دقيقة يتكلم عن فضل صلاة العصر، يتكلم ويسوق أقوال العلماء في الخلاف في الصلاة الوسطى.

كان عنده بعد العشاء محاضرة، ولم ننته إلا في الساعة الحادية عشرة ذهبنا بعدها إلى محافظة أخرى تبعد مائة وخمسين كيلومترًا.

قلت للشيخ: لعل فيك نومًا؟. وكنت أرغب: أن الشيخ يوافقني في أن نأخذ بيتا وننام فيه، قال: لا.. إذا أنت تعبان أنا أسوق.

وصلنا الساعة الواحدة والربع، كان البلد صغيرا، و طلاب العلم يعدون على الأصابع، فجلسنا في البيت، وقال الشيخ: خلاص أنتم الآن ناموا وأنا سأنام.

كنا في وسط الصيف، وأذان الفجر الساعة الرابعة إلا خمس تقريبًا، قبل أن أنام أردت الاطمئنان على الشيخ فتحت الباب وجدته يصلي.

أخذت عشر دقائق ورجعت فوجدته يصلي، أنا رأسي يكاد ينفجر من التعب والإرهاق.

اضطجعت على الفراش وكان متواضعا جدا عبارة عن مسند نمت عليه، وكان فراش الشيخ مثل فراشي.

وقبـل الأذان بنصف ساعة وإذا بالشيخ يوقظني: أبا عبد الرحمن توكل على الله.

فجلس الشيخ بعد صلاة الفجر في الدرس حتى الساعة السابعة والربع.

قلـت للشيخ: هل تريد أن تنام قليلا؟، قـال: لا.. الإخوان عندهم سؤال على الهاتف.

أنا أعرف أن البلد صغير، لم يأته إلا ستة أو سبعة أسئلة، والشيخ ينتظر عند الهاتف.

قال لي الشيخ: قم اغتسل لصلاة الجمعة، فلما قربت الصلاة قال الشيخ: خذوا أحمد لأحد الجوامع في إحدى القرى، وامتثالا لأمر الشيخ ذهبت وخطبت».

هذه نماذج من أسلوب الوالد رحمه الله في رحلاته، مما جعل الشيخ ناصر العمر كما سيأتي يقول: إن الشيخ لايكل ولايمل.

ولهـذا كان رفقـاؤه في أسفاره من أبنائه وأقاربـه وتلاميذه يتعبون وهو لايتعب، فقد كنا نتعاقب على مرافقته طوال اليوم، وهو رحمه الله لا يحتاج أحدا لكننا نحب ذلك.

بـل إن الطلاب الذين يتابعون دروسه ومحاضراتـه ولقاءاته في البلدان التـي يزورها يتعبـون وهو لا يتعب، يذكر ذلك الأخ حمدان بن أحمد في مقالة له[1] يقول: «تشرفت بصحبة الشيخ رحمه الله في أثناء زيارته للجنوب، وكنا نتعب من ملاحقة دروسه ونحن شباب، وهو الذي يلقي الدروس لا يكل ولا يمل».

---

(١) مقال بعنوان:المنهج الرصين في حياة ابن جبرين (رحمه الله) لجينيات
http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=9021

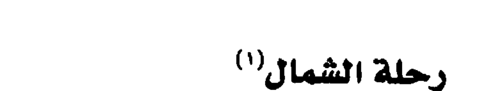
ويقول الدكتـور ناصر العمر حفظه الله[1]: «حدثني عن نفسه قبل سنوات وكنـت عنـده أنه ذهب إلى مناطق المملكة جميعًـا، قدرنا ما قطعه في الإجازة الصيفيـة بقرابـة عشـرة آلاف كيلو مـتر فقط،وحدثني كيف أنـه انطلق من الرياض إلى جنـوب المملكة إلى غربها إلى شمالهـا إلى شرقها إلى وسطها، تعاقبـه من طلابه ثـلاث مجموعات، تأتي مجموعة وتذهـب مجموعة وهو لا يكل ولا يمل».

فهـو إذن لا يـكل ولا يمل، وسترى كثيرًا مما يثـير العجب فيما يأتي من النقاط، حيث سنتحدث عـن بداياته في الدعوة وتجاربه الأولى، ومن أبرزها رحلـة الشمـال، ثم نفيض في الحديث عن جولاته العلميـة والدعوية في أنحاء المملكـة، وما تحمله من دروس وعبر، ثم ننتقـل إلى جهوده الدعوية في مدينة الرياض، وسنختم بتلمس منهجه في الدعوة وطريقته فيها.

البدايات

الدعـوة كغيرها مـن المجالات تحتـاج إلى الخبرة والمعرفـة والممارسة العمليـة، ولا شك أن العلـم أسها وأصلها، ولقد أوتـي الشيخ الوالد رحمه الله في شبابـه من العلم خـيرا كثيرا، ولكن الله إذا أراد بعبده خـيرا هيأ له أسبابه، وهـذا ما حصل للوالد رحمه الله، فقد كتب الله لـه الاشتراك في رحلة دعوية بل تجربة عملية، صحب فيها شيخه ومعلمه الأول الشيخ أبو حبيب، وشاركه هذه التجربـة ثلة من زملائه ممن عرفوا بالغـيرة والحماسة والبذل والاحتساب، كانت هذه التجربة الأولى كما يقول رحمه الله.

(١) برنامج مرآة الحدث في قناة المجد.



رحلة الشمال[1]

هكـذا كان يسميها رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ابتدؤوها في شهر صفر من عام ثمانين وثلاثمائة وألف قبل تخرجه مـن المعهد بسنة واحدة، واستغرقت أربعة أشهر إلا عشرة أيام.

علموا فيها الكثـير من الجهلة في البوادي والقرى، وقاموا بالدعوة حق القيام.

يقـول الشيـخ الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وسببهـا أن أناسا جـاؤوا من الحدود الشماليـة، واشتكوا كـثرة الجهل في القبائل الذين يقطنـون هناك من قبائل الرولـة وشمـر والحويطـات والعميرات وبلـي وعطية وقبائل مـن مطير ومن حولهم.

كانـت القبائل هناك تعيشـ في البوادي ولم يتعلمـوا، ولما جاءهم بعض مـن معه علـم، وإذا بالجهل ينتشر بينهم، ففيهم كثـير من الجهلة في أحكام الطهارة وفي أحكام الصلاة وفي شروطها وفي صفتها، فلما ذكروا ذلك للشيخ عبدالعزيز أبو حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ عرض الأمر على الشيخ محمد بن إبراهيم، فقال هـؤلاء في ذمتكـم ولا تبرأ الذمة إلا بأن تعلموهـم، فقال له الشيخ محمد: هل عنـدك استعداد أن تذهـب لتعليمهم؟، قال: نعم، ولكن أريد أن تعطوني رفقة مـن الذين أختارهم، ووقع اختياره على الشيخ عبدالرحمن بن فريان والشيخ فهد بن حمين والشيخ عبدالرحمن بن مقرن وأنا رابعهم.

---

(١) انظر للمعلومات عن هذه الرحلة كتاب الدكتور محمد بن ناصر الشثري العذب الزلال في اختصار رحلة الشمال.وصفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

ولما عزمنا على الرحيل زودنا الملك سعود بكل ما نحتاجه من الأدوات والمشتريات، وأجرى لنا نفقة يوميا مائتي ريال.

كان الشيخ محمد البواردي رحمه الله صديقا للشيخ أبو حبيب فجاء إليه وأخذ يشجعه، ثم إنه نظم أبياتا يشجع فيها على هذه الرحلة.

الشيخ ابن باز أيضًا رحمه الله شجع على ذلك ولازمنا وسار معنا في سيارته إلى أن وصلنا إلى مفرق رماح فودعنا ثم رجع».

ثم ذكر الوالد رحمه الله قصة هذه الجولة أو الرحلة وهي طويلة، حيث سجل يومياته فيها بدقة في دفاتر بخط مرصوف، فملأت أربعة دفاتر كل دفتر فيه نحو مائة وعشرين صفحة (١٢٠صـ) أي ستين ورقة (٦٠ورقة) والدفتر الأول فيه ثمانون صفحة (٨٠صـ)، وقد أصابها السيل فتأثر بعضها ثم راجعها، ولعلها أن تطبع قريبا، ففيها كثير من المعلومات المفيدة، واختصر هذه الرحلة الدكتور محمد بن ناصر الشثري وطبعها في كتاب سماه:العذب الزلال في اختصار رحلة الشمال.

ومن القرى التي مروا بها: رماح، واللهابة واللصافة وقرية العليا وأبرق الكبريت والسعيرة والقيصومة والحفر، وكان فيها تجار من العراق يسمون المشاهدة، ثم مروا بقرية نصاب وسماح والشعبة، وكان أميرها في ذلك الوقت سهو العتيبي والد الدكتور تركي أستاذ النحو، ثم مروا بقرية أم رضمة ثم لينة و الحفيرة و رفحا و لوقة و الحبكة والحبيكة والمندسة والدويد، وكان قاضيها زميله الشيخ إبراهيم بن خنيزان رحمه الله، ثم مروا بالعويقيلة وأم خنصر، ثم وصلوا إلى عرعر وأقاموا فيها خمسة أيام، ويحيط بها قرى منها الجديدة و حزم الجلاميد، ثم وصلوا إلى طريف على الحدود العراقية

والأردنية وبعدها رجعوا إلى سكاكا الجوف و دومة الجندل و نبك أبو قصر ثم مروا بالبوادي الذين في وادي السرحان وأغلبهم من الشرارات ومن العوازم ومن قبائل أخرى حتى وصلوا إلى القريات وهي قريات الملح وفيها قرى منها: العين و النبك والكاف و منوة والحفيرة والقريات ثم توجهوا إلى تبوك وبعدها واصلوا إلى حقل على الساحل، يقول رَحِمَهُ اللهُ: كنا ننظر بالمكبر ونشاهد بنايات اليهود على الساحل الغربي ما بيننا وبينهم إلا هذا البحر، وساروا على الساحل ومروا بالبدع وضبا والوجه، ومنها رجعوا شرقا إلى وادي القرى الذي يسمى الآن العلا، ثم توجهوا إلى خيبر ثم إلى المدينة ثم رجعوا فمروا بالحناكية ثم حائل والقصيم وبعدها رجعوا إلى الرياض.

يقول الوالد رَحِمَهُ اللهُ[1]: «كانت طريقتنا في التعليم أن نجمعهم في مخيماتهم فنبدأ في تعليمهم العقيدة: كثلاثة الأصول ثم شروط الصلاة باختصار ونكررها عليهم ونعطيهم أيضًا إذا كان فيهم من يقرأ شيئًا من النسخ التي معنا، ونتجول على الدوائر الحكومية في وقت الدوام ويجمعون لنا الموظفين، ونلقي عليهم تعليمات نحثهم فيها على إصلاح الأعمال وعلى تعلم ما ينفعهم وعلى النصيحة لمن حولهم، وكذلك نزور المدارس ابتدائية ومتوسطة لأنه لم يكن هناك ثانويات إلا قليل، فيجمعوا الطلاب فنلقي عليهم كلمات.

وحيث إننا أربعة فإننا نتفرق على الدوائر الحكومية وعلى المدارس وعلى المساجد، حتى ندور على البلد مرتين أو ثلاثًا، نستوعب كل المساجد غالبًا، وكل يتكلم فيما يناسبه أو فيما يراه، وذلك بأن نسأل أهل القرى التي نحن فيها عن أهم الأشياء التي يحتاجون إليها، فنسأل القضاة والمعلمين والمسئولين فإذا أرشدونا إلى شيء ركزنا عليه.

---

(١) تجربتي في طلب العلم.

وفي وسط الضحى نأتي الأسواق التي هي مجتمعات الناس ونلقي عليهم كلمات، يكون هذا في طرف السوق وهذا في وسطه وهذا في الطرف الثاني، فيجتمع عدد لا بأس به، قد يجتمع مائة أو خمسين أو نحوهم من العامة الذين هم بحاجة إلى توجيه، فنرى فيهم التأثر وتكون النصيحة لهم نصيحة زهدية، نزهدهم في شهوات الدنيا التي تشغلهم عن التعلم حتى يتفرغوا، وذلك لأنا لسنا فيهم الجهل والإعراض، ورأينا انتشار المعاصي».

كانت هذه الرحلة هي التجربة الأولى للوالد رحمه الله، وقد أكسبته دربة وحبًا لهذه المهمة العظيمة، التي هي الدعوة إلى الله.

الدعوة قبل انتشار الدعوة

لقد كانت هذه التجربة حافزا له رحمه الله على الدعوة، فقد رأى حاجة الناس لذلك، والذي عاش في الثمانينيات والتسعينيات الهجرية يدرك ذلك، فإن القائمين بالدعوة إذ ذاك قلة، والشباب كثير منهم معرض عن الدين معجب بالحركات القومية التي كانت رائجة في تلك السنين.

لقد كان هناك مجموعات وأفراد قليلون يقومون بالواجب، قبل أن يكون هناك مراكز رسمية وتعاونية للدعوة.

لقد كان من المجموعات المجتهدة في هذا المجال مجموعة الشيخ يوسف ابن محمد المطلق وإخوته المشايخ الذين كان الشيخ الوالد رحمه الله من المؤسسين فيها، مستلهما تجربته في رحلة الشمال.

يقول رحمه الله عن حديثه عن رحلة الشمال[1]: «ثم بعد ذلك أخذنا فكرة هذه التجربة لما أتينا في الرياض، بحيث نجتهد في أن نفعل ما نستطيعه من

(١) تجربتي في طلب العلم.

التذكير في المساجد، سواءً في الرياض في الجوامع أو في خارج الرياض في القرى.

واتفقت مع أحد المشايخ المشهورين من أهل القصيم وهو الشيخ/ يوسف ابن محمد بن مطلق رحمه الله، فكان عنده سيارة ونحن لا نملك سيارة، قبل أن نملك السيارات، فتبرع بسيارته في أن نذهب معه ثلاثة أو أربعة إلى القرى المجاورة للرياض، إلى الخرج وضرما والدرعية وما حولها وإلى حريملاء وشقراء وثادق، فكنا بعد صلاة الجمعة يقف كل منا في مسجد بعد الانتهاء من الصلاة ويلقي موعظة، هذه الموعظة إما أنها في موضوع خاص، أو أنها تعليق على الخطبة التي سمعها الحاضرون.

استمر بنا هذا الفعل وكنا أيضًا نذهب إلى قرى بعيدة حتى نصل إلى الأحساء والدمام وما حوله، وإلى قرى سدير: المجمعة والروضة والحوطة، وقرى العرض القويعية والدوادمي وما حولها هذه أيضًا من التجارب.

استمر عملنا على هذا أكثر من خمس عشرة سنة ونحن نخرج كل جمعة غالبًا وإذا لم يتيسر الخروج أو تأخرنا فلا نعدم أن نصلي في جوامع الرياض، كل واحد يصلي في جامع، ويلقي كلمة بعد ذلك، ويكون لذلك تأثير.

وإن كان أهل المدن كالرياض ونحوها غالبًا يخرجون بعد الصلاة ولا يجلس إلا القليل لكن هؤلاء القليل ولو كانوا من عامة الناس ينتفعون بما يسمعون.

وكان من زملائنا في هذه الرحلات:

الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله.

والشيخ عبد الله بن مسعود حفظه الله.

والشيخ عبد الرحمن بن حماد بن عمر حفظه الله.

وغيرهم من المشايخ الذين يخرجون في بعض الأوقات، هذه أيضًا تجربة وجدنا لها تأثيرا».

كانت هذه التجربة رائدة في المجال الدعوى، يذكر رحمه الله برنامجهم الدعوى فيقول[1]: «نصلي في المساجد صلاة الفجر يوم الجمعة ونلقي بعض المواعظ التي تناسب العامة وكذلك نحاول أن نخطب ببعض الجوامع وإذا لم يتيسر نتكلم بعد الصلاة في الجامع الذي نصلي فيه بعد خطبة ذلك الخطيب».

وكان الشيخ يوسف رحمه الله يصطحب بعض أبنائه في هذه الجولات، وقد صحبتهم أنا قليلا، وكانت السيارة التي يسافرون بها أولا سيارة للأخ محمد ابن صالح الدبيخي سيارة ونيت، ثم اشترى الشيخ يوسف سيارة من نوع بيجو فصاروا يسافرون بها، ثم اشترى أيضًا صالون جي إم سي، هكذا حدثني الدكتور عبدالمجيد ابن الشيخ يوسف المطلق، وكان كثيرا ما يصحبهم في هذه الأسفار، وذكر أيضًا ممن يذهبون معهم: الشيخ إبراهيم بن عتيق والشيخ عبدالرحمن ابن فريان وأحيانا يرافقهم الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل إذا قدم للرياض.

ومما حدثني به الدكتور عبدالمجيد المطلق أيضا: أنهم كانوا يعينون لهم أميرا في كل رحلة، وكانوا يحاولون أن يخطبوا بدل الخطيب، فإذا لم يتيسر تكلموا بعد الجمعة، وربما ضاق عليهم الوقت فاجتمع الاثنان في مسجد واحد فخطب واحد وتكلم الآخر بعد الجمعة، وكانوا يتشاورون في الموضوعات المناسبة ويتفقون عليها.

---

(١) تجربتي في طلب العلم.

لقد كانت هذه المرحلة طويلة وثرية، فقد بدأت في أوائل التسعينيات الهجرية، واستمرت حوالي خمس عشرة سنة، لقد عايش فيها الوالد رحمه الله الناس، وجلس معهم عن قرب، وأحس بحاجتهم لطلاب العلم والدعاة، وحاجتهم للوعظ والتذكير، فكان ذلك حافزا له على مواصلة المسيرة والسير على النهج نفسه، ولقد كان تعيينه خطيبا في الرياض مانعًا له من مواصلة المشوار الدعوي في الجمعة الأسبوعية التي اختطها مع هذه الثلة المباركة، لكنه لم يترك المجال، بل أبدع فيه وفاق كما سيأتي.

الجولات الدعوية في أنحاء المملكة

لقد عرف رحمه الله بقيامه بالدعوة في داخل المملكة، حيث لم يخرج لخارجها سوى في رحلته العلاجية إلى ألمانيا، فكان يتجول في المدن والقرى، حيث يقوم بإلقاء محاضرات أو خطب أو إجابة على الأسئلة.

وكانت هذه الجولات على قسمين:

الأول: جولات في المناطق القريبة من الرياض وذلك كل شهر غالبا حيث يلقي محاضرة في معهد أو مركز صيفي أو مسجد أو جامع، ويجتمع بالأهالي ويبحث معهم في مشكلات البلاد وعلاجها.

والثاني: جولات في مناطق المملكة البعيدة وقد تستمر أسبوعا أو أكثر، فيقيم هناك دروسا ومحاضرات ولقاءات، ويزور بعض الدوائر الحكومية للمناصحة والإرشاد، فيلقى تقبلا وتشجيعا وترغيبا في الاستمرار[1]. وقد أخذت هذه الجولات شكلا منظما منذ عام ١٤١٦هـ، واستمرت حتى وفاته رحمه الله.

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

ولـو سألت أي قرية من قرى المملكة وهجرها فضلا عن مدنها لحدثتك بأن الشيخ زارها وآنسها.

لا أريـدك أن تسأل مكة والمدينة والدمام وجدة وتبوك والباحة وجيزان وأبها وحائل والباحة والطائف ونحوها، فهذه تعرف عرفه وأثره.

لكـن سل المجـاردة وبارق وثربان ورهـاط والكامل والرفيعـة والصرار ويبريـن والحمر وأمثالها، فستحدثك أن الشيخ الوالد رحمه الله من القلة الذين عطروا هواءها وآنسوا عمارها.

يحكي الشيخ الوالد رحمه الله قصة إحدى جولاته الصيفية في عام ١٤٢٣هـ فيقول[1]: «أوقات الإجازة الكبيرة نتجول على البلاد التي بها حاجة إلى إلقاء بعض الدروس، فآخرها هذا العام بعد الانتهاء مـن الدروس قمنا بدورة في المسجد الذي عند البيت مسجد الراجحي ولمدة أربعة أسابيع، ابتدأنا في زاد المستقنـع قرأنـا منه إلى الصـلاة، وكذلك أكملنا العقيـدة الواسطية ومتن الورقات و متن الرحبية و متن الآجرومية وغيرها.

بعد ذلك قمنا بجولة، هذه الجولة نقوم بها غالبًا سنويًا منذ سبع سنين.

فابتدأنـا بمكة ثم المدينة ثم الطائف ثم قـرى حول الباحة أربع قرى أو خمسـ ثم سبت العلايا ثم قرية بقـرب بيشة ثم بيشة ثم ذهبنا إلى الخميس ثـم القـرى التي حوله أربع أو خمس، أقمنا هنـاك دروسًا ودورة، ثم بعد ذلك رجعنـا إلى القـرى التـي في الطريق إلى تثليـث ثم الـوادي والسليل والأفلاج والحوطـة والـدلم، ثم بعد ذلـك انتقلنا إلى الشمـال، فالأسبـوع الماضي كنا في حفـر الباطن ألقينـا دورة لمدة ستة أيـام، والأسبوع الآتي الـذي أوله غدًا

(١) تجربتي في طلب العلم.

عندنا اشتراك في دورة مسجد علي بن المديني الذي في الروضة في الرياض والأسبوع الذي بعده عندنا دورة في حائل والأسبوع بعده دورة في الدمام، وبه تنتهي الدورات التي في الخارج، ويبقى لنا أيضًا دورتان في الرياض ولمدة ثلاثة أسابيع، والله الموفق».

ويحدث رحمه الله عن جولة له في إحدى السنوات فيقول« في هذه الإجازة سوف أشارك إن شاء الله في دورة في مدينة الرس لمدة أسبوع، ثم في دورة مسجد سلطانة لمدة ثلاثة أسابيع بعد المغرب، ودورة في مسجد ابن المديني بعد العصر لمدة أسبوعين، ودورة في الأحساء لمدة أسبوع، ودورتين في الخميس وأبها لمدة أسبوعين، ودورة في مسجد الأميرة هيا في الرياض لمدة أسبوعين، وفي مسجد العز بن عبد السلام في الرياض لمدة أسبوعين».

وهذا أنموذج لجدول جولاته الصيفية في السنة التي سبقت وفاته رحمه الله:

مواعيد الجولات الخارجية في الإجازة الصيفية لعام ١٤٢٩هـ

مكان الدورة	تاريخها	المدة	المسجد	الوقت	المتن
مكة	السبت ٧/١٦	أسبوع	جامع المهاجرين	بعد الظهر	- صريح السنة للطبري
				بعد العصر	- الحيدة للكناني
جدة	السبت ٧/٢٣	أسبوع	جامع الملك سعود	بعد الفجر	- كتاب السنة من سنن أبي داود - زاد المستقنع - الطلاق
			جامع خديجة بغلف	بعد العصر	فضل علم السلف على علم الخلف
الطائف	السبت ٨/١	أسبوع	جامع ابن عمار	بعد الفجر	الإبانة الصغرى لابن بطة
المدينة	السبت ٨/٨	أسبوع	جامع عبد اللطيف آل الشيخ	بعد الفجر وبعد العصر	- منهج السالكين (باب المواريث)
في المدة من ٨/١٥ إلى ٨/٣٠ محاضرات متفرقة في الرياض وضواحيها عدا الدورة الآتية:					
الرياض	السبت ٨/٢٢	٤ أيام	جامع الأميرة موضي السديري	بعد المغرب	كتاب الصيام من عمدة الأحكام

وان شئت شاهدا على ذلك فدونك شهادة أساطين الدعاة من الشباب، الذين عرفوا بالدعوة والترحال، يحكون لك أن شيخهم كان سابقا لهم إلى البلدان التي زاروها.

يقول الدكتور خالد الخليوي[١]: «إنني ما ذهبت إلى قرية من قرى المملكة، ولا هجرة من هجرها، ولا حي من أحيائها القديمة، إلا كانت إجابة أهله في الغالب أن الشيخ ابن جبرين زارنا قبل مدة.

وما طلب مني أن أسجل كلمة في سجل الزيارات لبعض المؤسسات أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم والجمعيات الخيرية في مختلف أنحاء المملكة، إلا وجدت زيارة الشيخ ابن جبرين مدونة في سجل الزيارات قبل كثير من الدعاة».

ويقول الدكتور محمد العريفي[٢]: «لا أذهب إلى منطقة إلا ويقال لي: قد زارنا الشيخ عبد الله بن جبرين، قرى الليث، وقرى القنفذة، وبعض القرى القريبة من جيزان، وبعض القرى التي في الشمال».

يقول الدكتور طارق الحواس[٣]: «ما ذهبت إلى قرية ولا إلى بلدة لأجل أن أشارك في الدعوة إلا قالوا: كان الشيخ ابن جبرين من ليلتين هنا في قرى بعيدة، ليس فيها فنادق، وليس فيها مساكن، وليس فيها حتى جمهور كبير يسمعون، ولكن تحرك هذا العالم لنشر العلم غريب على كبر سنه وضعفه».

ويقول الدكتور عبدالوهاب الطريرى[٤]: «فوجئت عندما زرت قرية نائية في جنوب المملكة والمسافة بعيدة، والطريق وعر، حتى ظننت أني أول

---

(١) من جريدة الاقتصادية
article_252034.html/14/07/http://www.aleqt.com/2009
(٢) قناة اقرأ.
(٣) قناة اقرأ.
(٤) مقال بعنوان حياة من نور.



من زارها، فلما قلَّبت سجل الزيارات في مركز الدعوة وجدته قد حضر في أول صفحة».

يقول الدكتور عبدالله بن هضبان الحارثي[1]: «كان لدينا مخيم في غرب بيشة في وادي ترج، وعندما طلبته يلقي محاضرة هناك قال له بعض الإخوان: إنه يبعد عن الإسفلت قرابة ستين كيلو.

قال: ولو كان».

ويقول أحد الإخوة، وكان رافقه في جولاته في حائل في شهر شعبان من عام ١٤٢٧هـ[2]: «وسألته عن رأيه في حائل، فذكر أنه زار حائل عام ١٤٠٢هـ ورأى جمعًا من الأفاضل وأحبهم، ثم زار المنطقة عام ١٤٠٨هـ، وقال: استضافنا قاضٍ عندكم يقال له مسفر، وسأل عنه، فأخبرناه أنه موجود، ثم قال: وزرت حائل عام ١٤١٧هـ».

وهذا ما دفع الدكتور وليد الرشودي[3] أن يقول: «لو ادعى كل شخص في المملكة العربية السعودية أنه تلميذ للشيخ عبد الله بن جبرين لصدق، لأن الشيخ عبد الله بن جبرين له في كل بلد من بلاد المملكة الحبيبة درس، فتجد له دورة علمية في الرياض والقصيم والغربية».

درسه الشهري في القويعية

لقد خص الوالد رَحِمَهُ الله محافظة القويعية بدرس شهري، وليس هذا كله لأنها محافظته التي نشأ فيها وبلده التي ينسب إليها، فإن السبب الظاهر

(١) قناة اقرأ.

(٢) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3

(٣) قناة اقرأ.

أن الشيخ الوالد طلب منه منذ مدة طويلة أن يكون رئيسا للجمعية الخيرية في القويعية التي أنشئت في عام ١٤٠٩هـ، وكان من مؤسسيها، فلما طلب منه ذلك عرض عليه بعض طلاب العلم، ومنهم الشيخ القاضي محمد بن عبدالرحمن الهويمل، وابن العم الشيخ سعد بن عبدالله الجبرين أن يعقد لهم درسا فابتدأ درسه هناك في شهر رجب من عام ١٤١٩هـ، وكان يعقده تزامنا مع اجتماع الجمعية، فيذهب عصرا، ويعود غالبا منتصف الليل.

كان يقرأ عليه في بلوغ المرام وفي السنتين الأخيرتين أضافوا السنة لابن أبي عاصم، وتعقد الدروس في جامع ابن باز المعروف بجامع الجفونية.

المحاضرات

كان الوالد رحمه الله يقوم في غالب الأسابيع بإلقاء محاضرات في مساجد الرياض التي يكثر فيها المصلون، ويحاول اختيار المساجد التي لا يلقى فيها دروس، وأغلب الموضوعات التي يطرقها في محاضراته ما يحتاج إليه العامة من مسائل العقائد والعبادات والمعاملات ونحوها.

وهو كما ذكرنا يكون له في جولاته البعيدة والقريبة محاضرات أيضًا.

وقد زادت محاضراته المسجلة والمحفوظة عندنا في مؤسسة ابن جبرين الخيرية على أربعمائة محاضرة.

وقد قام بعض طلابه بتفريغ بعض هذه المحاضرات ورفعها على الإنترنت ليستفيد منها الناس.

ندوات الجامع الكبير

ومن الجهود التي كان يقوم بها رحمه الله الاشتراك في الندوات، التي تقام أسبوعيا في المسجد الجامع الكبير المسمى الآن بجامع الإمام تركي بن عبدالله، والتي ابتدأت منذ أكثر من ثلاثين عاما، وكان يعلق عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ولما توفي تولى التعليق عليها سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله، فله سنويًّا مشاركة بمحاضرة يلقيها منفردا، ومشاركة أخرى في ندوة مع بعض المشايخ.

قيامه بالدعوة في المناسبات

نريد بذلك أن الشيخ الوالد رحمه الله كثيرا ما يدعى إلى مناسبات، وأكثر ما يكون ذلك في مناسبات الزواج، وقد بدأ بعض الناس قبل عدة سنوات بجعل مناسبة الزواج فرصة للدعوة، بسبب كثرة من يحضرها، وكان بعض طلبة العلم لايحبذ ذلك لأنها ليست محلا للموعظة، فهي مناسبة للفرح واللقاء والسلام ونحوه، غير أن الوالد رحمه الله لم يكن يرى بذلك بأسا، وكان كثيرا ما يطلب منه ذلك فيلبي، وتجهز قاعات الاحتفالات بمكبرات الصوت، بحيث يسمع الجميع، ولكنه عادة يختصر، ويتكلم في موضوع يناسب المناسبة، ويناسب الحاضرين، وربما طرحت بعض الأسئلة فيجيب عنها.

وقد يدعوه بعض الشباب لمناسبات أصغر من ذلك: كعقيقة أو اجتماع عائلي أو اجتماع لبعض الشباب في منزل أو استراحة فيلبي ذلك، وتستغل المناسبة للاستفادة منه رحمه الله.

يقـول رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الموضوع[1]: «أما الدعوة التي في الرياض أو غيره فهذه تكون في المجالس، وتكون في بعض الحلقات.

يكون أحدنا إذا جمعه مع أهل الحي الذين حوله مجمع أو مجلس أو حفل زواج أو نحو ذلك يفتتم هذا الجمع، ويلقي كلمة توجيهيه مناسبتها المناسبة الحاضرة».

ويقـول أيضـا[2]: «أتذكـر أنني زرت أحـد الاجتماعات، فبعض الأسر يجعلون لهم اجتماعًا شهريًا يجمع الأسرة، قد يكونون أربعين أو مائة أو ستين، يجتمعون صغارهم وكبارهم.

استـزارني أحد الأفـراد من الشباب الصالح، ولمـا زرتهم كان قد جعل مكـبرًا، وجعل له سماعة عند الإنـاث أيضا، ولما ابتدأت في الموعظة قام بعض مـن الشباب الذين لا يناسبهم الكلام في العلم، فانفردوا في مجلس، وأغلقوا البـاب وصاروا يتناجون فيما بينهم، ولكن البقية الذين يقربون من ثلاثين أو أربعين حضروا هذا المجلس فانتفعوا».

ويقول الدكتور سعد بن مطر العتيبي[3]: «وأذكر أنه حرص على حضور مزاين الإبل لقبيلة قحطان، برغم أنه لاينتمي لها، وألقى هناك كلمة توجيهية تحث على نبذ العصبية القبلية».

تنظيم مواعيد جولاته ومحاضراته

إن الشيـخ الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ سهـل سمح، يعرف ذلك منـه كل من خالطه، يصل إليه كل من أراده، ويستطيع الترتيب معه الصغير والكبير، لا يتردد في

(١) تجربتي في طلب العلم
(٢) تجربتي في طلب العلم
(٣) جريدة عكاظ http://www.okaz.com.sa/okaz/osf /2009...B1%D9 %8A%D9 %86

الموافقة إذا لم يكن مرتبطا، سواء كانت الدعوة لمحاضرة أو درس، أو لمناسبة اجتماعية، أو لحفل ونحوه.

لم يضع رَحِمَهُ اللَّهُ منسقا، كان يحرص في بداية كل عام على الحصول على مذكرة الجيب، يسجل فيها المواعيد بنفسه، وقد حرصنا في السنوات الأخيرة على ترتيب مواعيده وتنسيقها، وذلك من خلال المكتب، وتولى أخي سليمان هذه المهمة، وحرص عليها وكان أهلا لها، فقد كان مع الوالد في حضره وسفره غالبا، وكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يحيل عليه أحيانا، وبرغم ذلك فلم يتخل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن مذكرة الجيب، وكان يسجل، وسليمان يسجل بتكليف أو إذن منه.

وقد تتزاحم المواعيد، فنكتشف أن لديه ثلاثة مواعيد في وقت واحد، لكن لا شك أن المسجل في مذكرته دائما هو الأولى، فبعض الناس يأتيه على عجل ويأخذ منه موعدا ويبني عليه، فيفاجأ وقتها بأن غيره قد سبقه، وتحل المسألة في وقتها، ولا أذكر برغم كثرة التعارض أننا وجدنا صعوبة في التوفيق، لكن الأخ سليمان كثيرا ما يحرج من إلحاح الإخوان.

ومن المواقف الطريفة عن تعارض المواعيد ما كتبه الشيخ محمد السعيد[١] قال: «أتيت إليه قبل عشر سنوات بعد صلاة العصر عند بابه، وإذا به قد ركب مع بعض الشباب ليذهب معهم، فسلمت ورفض أن أقبل رأسه لتواضعه، فقلت له: إلى أين أنت ذاهب يا شيخ؟ فقال: إلى القويعية مع هؤلاء الشباب، لحضور حفل حفظة القرآن الكريم، فقلت له: يا شيخ هل نسيت أن عندك اليوم محاضرة في ثادق بعد المغرب؟، فتبسم الشيخ، وأخرج محفظته الصغيرة الحمراء، ووجد نفسه قد دون الموعد ولكنه نسيه، فقال: أجل نذهب

---

(١) جريدة الجزيرة http://search.al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/17/fe4.htm.

معـك، واعتذر للشبـاب وركب معي. ونعم الرفيق الـذي لا يُمل. فوصلنا ثادق عنـد أذان المغـرب، فسألته يا شيخ هل تعلم ما هـو موضوع المحاضرة؟، قال: لا، فأعلمتـه، فقال: الله يعيننا، فصلينا المغرب، وبدأ الشيخ المحاضرة، وكأنه حضَّـر لها قبل شهـر!!، ثم صلينـا العشاء، وأجـاب عن أسئلـة المصلين، ثم تناولنـا العشاء، ثم كان بعده لقاء مع الشبـاب يوجههم، ويجيب عن أسئلتهم حتـى نفدت، وكان رجوعنـا للرياض الساعة ١,٣٠ ليـلاً، ولم يبد تضجره أو ملله أو تعبه مع كبر سنه رَحِمَهُ اللَّهُ».

وأكثر ما يحرص الأخ سليمان على ضبطه مواعيد كلمات رمضان، حيث يلقـي رَحِمَهُ اللَّهُ كل يوم كلمـة في مسجد من المساجد كثـيرة الجماعة، وذلك في النصـف الأول من الشهـر، ومواعيد كلمات الحج، حيـث تطلب منه حملات الحـج أن يزورها في مقارها، ليلقي كلمة على الحجاج الذين معهم، ومواعيد الجـولات الصيفية، لأن هذه المناسبات يكثر مـن يطالب فيها بموعد فيضيق الوقت، فيقدم الأسبق غالبا.

ومعظـم المواعيد تتم بترتيب شخصي مع الإخـوان المتبرعين بالدعوة، وهـم الذيـن يتابعون الحصـول علـى الإذن لهـا، وبعضها يأتي مـن المكاتب الرسميـة للدعوة في المناطق أو في الـوزارات والمؤسسات الحكومية، وبخاصة الحرس الوطني ووزارة الدفاع ووزارة الداخلية ووزارة الصحة.

وبسبـب آراء الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض المسائل، فقد يقـف منه بعض من يتـولى المسؤولية عن أمـور الدعوة في بعضـ المناطق موقفـا، ويحاول تعطيل أو تأخـير حضوره وحرمـان الناس منه، لكن الأمـر إذا وصل لكبار المسؤولين - وكثـيرًا مـا يصـل - يحسم مـن قبلهم بالموافقـة المطلقة، وبخاصـة أمراء المناطق ووزير الشؤون الإسلامية أو نوابه.

ومن ذلك أنه رتب له الأخ سليمان ثلاث محاضرات متتابعة في الرياض وتأخر فسحها فاتصل بمعالي وزير الشؤون الإسلامية وأخبره عن ذلك فوجه بعدم تأخير فسح أي محاضرة له رحمه الله فاتصل به الشيخ عبدالله الحامد وأخبره بأن ينسق مع مكتبه في ذلك مباشرة.

وقد تأخر الإذن له مرة في مدينة أبها بسبب بعض أصحاب الأهواء، وضاق المشايخ الذين يرتبون له كل عام بالأمر، فحاولنا الاتصال بوزير الأوقاف هاتفيا، فلم نفلح في الوصول له، فرفعنا له خطابا عاجلا، فسرعان ما جاء الجواب بالموافقة.

المنهج الدعوي

«كل الأعمال التي قام بها الشيخ رحمه الله كانت من منطلق علمي معرفي، لم يكن الشيخ عاطفيا أو ارتجاليًا أو صاحب غيرة مطلقة، وإنما كان الشيخ رحمه الله منذ صباه نشأ في مجالس العلم، وكان العلم بالنسبة له هو النور الهادي في الطريق، وهذا درس مهم جدًا».

كانت هذه الكلمات شهادة من أحد طلاب العلم في قناة دليل، وهو الشيخ مسعود الغامدي.

هذا أساس المنهج، الدعوة المبنية على علم وعلى بصيرة.

أما منهجه التفصيلي فقد لخصه تلميذه الشيخ إبراهيم بن محمد الهلالي،[1] حيث يقول: «يطوف البلاد عرضًا وطولًا، برًا لا جوًا، يُدرّس في دورة علمية، ويُلقي محاضرة عامة، ويجيب دعوة داعية، ويزور جمعية برٍّ

(١) http://www.saaid.net/Minute/288.htm.

أو تحفيظ، ويكتب لمكتب دعوة أو لجنة اجتماعية، ويزور عالمًا في بلد مروره، ويسمع من أهل كل قرية عمًّا لديهم عن قريتهم من ذكريات وتاريخ ومن سكنها من أهل فضل وعلم ودعوة، جدولٌ مملوءٌ بكل نافع ومفيد، منذ أن ينطلق من بيته حتى يعود إليه، اسألوا ابن الشيخ الأستاذ سليمان كيف كان يحار في ترتيب جدول أبيه وزياراته، وهو يرى هذا كله أمام عينيه، وقد صدرت موافقة الشيخ بكل أريحية على كل ما فيه، فلم تتعود نفسه أن تُغضب حبيبًا، ولم يتعود لسانه أن يردَّ طالبًا، وما بقي على سليمان إلا التوفيق بين كل ذلك مع جزمه أن ذلك كثيرٌ ومرهقٌ للشباب وأصحاب الفتوَّة، فكيف برجلٍ يعانق عِقْده الثامن، ولكنه في الوقت ذاته يعلم أن راحة الشيخ وفرحة قلبه، وسعادة نفسه أن يكون كذلك، فلله درُّه من حاملٍ لنفس وروحٍ عشقت العلياء، فلم ترض بالدون، وأنست بالقمم، فلم تنظر للقيعان».

ويصف جانبا آخر الشيخ خضر بن سند قائلا[1]: «يجلس بين الناس بكل حب وود ونقاء، يبين لهم أحكام الشريعة بوضوح ويسر، يراعي ظروفهم، ويتكلم بما يناسب عقولهم، ربما شرح كتابًا وأقام أيامًا، وربما عقد دورة علمية مكثفة، يكتب لهم التزكيات والتوصيات، ويزور مشاريعهم الخيرية ويجلس مع أعضائها، ويلتقي بالقضاة وطلبة العلم والدعاة ، تراه يسكن في منزل متواضع أو فندق عادي».

ومن المعالم الفريدة في رحلاته الدعوية رحمه الله حرصه على توزيع الكتب النافعة، حيث يحمل معه كراتين صغيرة فيها بعض كتبه وكتب أخرى عهد إليه بتوزيعها، يقول الدكتور محمد العريفي[2]: «ذهبت معه مرة في محاضرة،

---

(١) ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729.
خضر بن صالح بن سند: عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة جدة ١١/٦/١٤٣٠
(٢) قناة اقرأ.

فوجئت لما انتهت المحاضرة قال: يا محمد افتح شنطة السيارة الخلفية، ففتحتها فإذا كتب قال: وزع على الناس، لم يكتف بإلقاء المحاضرة بل إنه يذهب بكتب لتوزيعها على الناس».

كانت أسفاره غالبًا ما تكون بالسيارة مع عائلته أو مع بعض تلاميذه، وقد كان يمر بقرى صغيرة في طريقه للمدن الكبرى، ويقف في كل منها لأجل موعد وعدهم إياه قبل عدة أشهر، فيعطيهم درسًا أو يحضر عندهم مأدبة، ولا يقلل من أهمية هذا العمل.. ويتقطع عليه الطريق حتى يصل بعد عدة أيام من السير[1]..

الكلمة نفسها التي بدأنا بها هذا الموضوع، لأنها هي التي تصفه وصفا دقيقا.. إنه حقا.. داعية لايكل ولا يمل، فرحمه الله، وأخلفه على الأمة بخير.

المفتي القدير

الفتاوى في حياة الوالد رحمه الله معلم من المعالم التي اشتهر بها، سواء من حيث كثرتها، حيث فاقت خمسين ألف فتوى، أومن حيث ثقة الناس بها وتقبلها، أومن حيث قيمتها العلمية، حيث تجمع بين التأصيل الشرعي والتطبيق الواقعي.

يقول تلميذه الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة[2]: «كان الشيخ من مراجع الفتيا للناس في حياة شيخه ابن باز، بل نُقل عن سماحة الشيخ ابن باز الاستشهاد بفتوى شيخنا ابن جبرين، وكذلك سمعت من شيخنا عبد الله العقيل، وأحال عليه في بيانه عن الجزء المكذوب على مصنف عبد الرزاق».

(١) انظر ماكتبته الأخت هيا عن والدي رحمه الله.

(٢) http://alukah.net/articles/1/ 7038.aspx

خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين.

ويقـول تلميـذه عبد المحسن العسكـر: «كان له عناية بالفتـوى، لا سيما بعـد أن ولي منصب الإفتاء، فكان يجيب السائلين ويكتب الفتاوى بيده، وكثير من فتـاواه تفرقت في أيدي المستفتين، وحين عني أبناؤه البررة بتدوين علومه وضبـط فتاواه، قيدوا له أكثر من سبعة عشر ألف فتوى، وهذا العدد لو قامت بـه لجنة لكان مفخرة لهم، فكيف والمفتي واحد؟! وما لم يقيد من فتاواه كثير أيضـا، وقـد تذاكرت يوما مع شيخنـا عبد الرحمن البراك خـبر شيخنا ابن جبرين في الفتاوى، فقال: الشيخ عبد الله حافظ وقلمه سيال».

ولقيت مرة الأستاذ المربي عثمان الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلما عرفني قال: هذه الأيام بدأ والدك في الإجابة في الإذاعة في برنامج سؤال على الهاتف، فعجبت من علمه، هذا هو العلم الحقيقي، وهذه هي الفتوى.

ويقـول الدكتـور إبراهيم الدويش[1]: «مما يتميـز به رَحِمَهُ ٱللَّهُ سعة الفقه في كثير من الأمور التي سبق بها أهل زمانه، فله فتاوى استقل بها وانفرد عن كثـير من أهل العلم، وكنا أحيانا نستغرب أن الشيخ انفرد بهذه الفتاوى، فإذا بالزمان لما مضى يظهر فقه الشيخ من خلال فتاواه التي انفرد بها».

لقـد سـارت فتـاواه في الآفـاق وشرقـت وغربـت، يقـول الشيـخ خالد الأحمـدي[2]: «كنت قبل ثلاث سنوات في زيارة للهند، ومكثت بها مدة طويلة، ولقيت فيها عددًا من علمائها، وكانوا كثيري الرجوع إلى فتاوى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل إن بعضهم كان حريصًا على الاتصال بالشيخ والتحدث معه».

وقـد قطعت بعض فتاواه الجـدل في قضايـا مهمـة، كادت أن تعصف بالأمة، كما قال الدكتور عادل بانعمة في خطبة له بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تختصم الآراء في قضيـة توسعـة المسعـى، ويذهب جمهـرة من أهل الفضـل إلى منع

(١) قناة بداية

(٢) لجينيات http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=8937

ذلــك وتحريمه، فيكتب الشيخ في تأييد الجــواز بحثه المفصل المدعم بشواهد التاريخ، فيكون فيه مقنع وبلاغ».

كما كان لبعض فتاواه الصدى الواسع والأثر البالغ في قضايا حساسة في حيــاة الأمة وفي قضايا أخرى، لها حضورهــا في حياة الناس، ومن ذلك فتواه المشهورة في تكفير الرافضة، وفتواه في الحزب الرافضي الذي يسمى «حزب الله» في صراعه مــع اليهود، وفتوى طالبان المشهورة، وفتواه في صرف الزكاة للأشراف، وغيرها مما سيمر معنا بعضه في هذا البحث.

سنتحدث أولا كالمعتاد عن بدايته رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتوى، ثم منهجه فيها وما يميز فتاواه رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم عن بعض الفتاوى المشهورة وملابساتها، ثم نورد بعض الفتاوى التي انفرد بها رَحِمَهُ اللَّهُ.

البداية

لانعــرف تحديدا متــى بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتــوى، لكنه كان يفتــي من مدة طويلــة، كما ذكرنــا حينما تحدثنا عن نبوغه المبكــر، ونقلنا هناك عن الشيخ عبدالوهــاب الزيد قولــه[1]: «حدَّثني الشيــخ العلامة القاضــي عبدالرحمن ابــن سحمان أن الشيخ ابن جبرين والشيخ ابن فوزان كانا يفتيان أيام الشيخ محمد بــن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى»، وقد توفي الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من عام ١٣٨٩.

وفي التسعينيــات الهجرية كان الوالــد رَحِمَهُ اللَّهُ يشارك في التوعية الإسلامية في الحــج، ولعــل ذلك من عــام ١٣٩٥هـ حتى عــام ١٤٠٣هـ، ومن أهــم ما يقوم به المشاركــون الإجابة عن أسئلة الحجاج، وكان يوضع له كرسي في الحرم يجلس فيه

(١) /http://www.hdeeth.com/vb

بعـد كل صلاة، فيلقي موعظة يسـيرة تتعلق غالبا بما يهم الحجاج، ثم يلتف حوله الناس، ويسألونه عما أشكل عليهم من أمور الحج وغيره.

وقـد شاركت في عام ١٤٠٤هـ في التوعيـة في الحج، وكان القائمون على التوزيـع يظنون أني الوالد رَحِمَهُ اللهُ، فوضعوني مكانه مـع كبار المشايخ، مع أني كنت حديث التخرج من الجامعة، فكان من بركاته عليَّ أن درست في الحرم.

وقـد كان الكثـير من الأقارب والجـيران والمعارف من زمن قـديم، يعرضون عليه أسئلتهم، ويطلبون منه كثيرًا قسمة التركات، ويستشيرونه في كثير من الأمور.

وكل ما مضى لم يكن بداية فعلية في مهمة الإفتاء، وإنما البداية الفعلية حينمـا انتقل لرئاسة الإفتاء في عام ١٤٠٢هـ، وكانت تسمى إذا ذاك الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميـة والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيسها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

ولانتقالـه لإدارة الإفتاء قصة يرويها رَحِمَهُ اللهُ، فيقول[1]: «كان المفتون في إدارة الإفتـاء في الصيف ينتقلون إلى الطائـف، ويبقى المكان بحاجة إلى من يتـولى هذا العمل، الفتاوى الشفهية والفتـاوى الهاتفية، ثم إن الشيخ عبدالله ابـن غديان رَحِمَهُ اللهُ اشترك معـي وأنا في الجامعة في مناقشـة بعض الرسائل الجامعية، وعرف عني شيئًا من المقدرة، فاقترح على الشيخ ابن باز أن يطلب نقلي إلى الإفتاء.

وقـد طلب مني الشيـخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في سنة ١٤٠٠هـ وفي السنة التي بعدها أن أعمل في الإجازة الصيفية في إدارة الإفتاء، فكنت أجلس في المكتب وأستقبل الفتاوى الشفهية والفتاوى الهاتفية.

(١) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

بعد ذلك لما رأى أن المكتب بحاجة مستمرة إلى عضو يقوم بالإفتاء طلب من مدير الجامعة في ذلك الوقت الدكتور عبدالله التركي أن أنتقل إليهم، ولم يزل يلح ويطلب إلى أن حصلت الموافقة، قبلت ذلك وإن كنت أفضل الإقامة في الجامعة».

يحكي العم محمد حفظه الله أن الشيخ ابن باز لما طلب من الجامعة نقله لديه على وظيفة باحث بالمرتبة الثالثة عشرة اجتمع مجلس الجامعة للنظر في نقله، ورفضوا جميعًا، وكتب مدير الجامعة للشيخ ابن باز: أن هذا يدرس الأجيال في أهم العلوم وهو العقيدة، ولو كان لديك لوجب أن تمدنا به، ولم يقنع ابن باز بذلك وكتب للمقام السامي بطلب نقله عضو إفتاء على المرتبة الرابعة عشرة، فنقل رحمه الله للإفتاء على وظيفة باحث وعين عضو إفتاء، وتصدى لفتاوى الناس من داخل المملكة ومن خارجها.

يقول رحمه الله[1]: «لما انتقلت رسميا في سنة ثنتين وأربعمائة التزمت بأن أقوم بالفتاوى الشفهية، حيث يتوافد كثير من الذين عندهم أسئلة شفهية، وقد يكون أيضًا بعضهم يحتاج إلى تحرير هذه المسألة أو الجواب عليها رسميا، فأكتب جوابا، ولا أحتفظ له بصورة، وأكثر ما أحتاج إليه المسائل الفرضية، التي تحتاج إلى حساب، وتحتاج إلى قسمة تركة، ونحو ذلك، كذلك أيضًا قمت بالفتاوى الهاتفية، وهي التي أيضًا تشغل وقتا، وكان السنترال يحيل إليّ أكثر الفتاوى الهاتفية، التي تأتي من اتصالات قريبة أو بعيدة، فتوليت الفتاوى شفهية أو هاتفية وأحيانا تحريرية.

وبعد مدة أصبحت أحتفظ بصورة من الفتاوى التحريرية، وقد جمع منها عدد، وتولى طبعه وتصحيحه أحد الموظفين عندي، وهو الأخ عبدالله

(١) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

الحوطي، والذي تولى العناية بها أحد الطلاب اسمه عبدالله بن عجلان من أهل رغبة، وقد طبع منها مجلدا.

وبقيت أتولى هذا العمل الذي هو الفتاوى، ويعظم العمل في الإجازة عندما يذهب المشايخ كلهم وأبقى وحدي، وبقيت هكذا حتى حصل التقاعد في سنة ثنتي عشرة، فطلب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تمديد خمس سنوات إلى سنة سبع عشرة، ثم تعاقدوا معي أيضًا سنة أخرى، فلم أترك العمل إلا في سنة ثمان عشرة وأربعمائة وألف».

وفي الجملة فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ في مدة وجوده في رئاسة الإفتاء يقوم بمهمات عديدة، فقد تولى كما ذكر الفتاوى الشفهية والهاتفية والكتابة على بعض الفتاوى السريعة وقسمة المسائل الفرضية.

كما كان رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم ببحث ما يحتاج إلى بحث من فتاوى اللجنة الدائمة، التي يحيلها عليه الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك قراءة البحوث المقدمة لمجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها الرئاسة وتحكيمها[1]، وهي مجلة محكمة كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أعضاء لجنة التحكيم فيها، لمعرفة ما يصلح للنشر وما لا يصلح، وكان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يحيل له دراسة بعض المسائل والكتابة فيها نيابة عنه.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «تعرفون أني لا أزال أشرف على الرسائل التي تطبع في مجلة البحوث؛ حيث إنني أشترك مع بعض زملائنا الذين هم: أحمد الدويش، ومحمد الشويعر، ورئيس المجلس الذي هو عبدالعزيز بن عبدالمنعم، وهؤلاء

(١) سيرة الشيخ من موقعه على الشبكة.

(٢) قصتي في طلب العلم بجامع الصانع.

تـوزع عليهـم شهريًـا أو كل شهرين بحوث يتقـدم بها أصحابهـا إلى المجلة، ويأمروننـا بـأن نقرأها ونكتـب الملاحظات، هل هي صالحـة للنشر أم ليست صالحة؟».

وامتـدت عضويته في لجنة الإشراف على مجلة البحوث الإسلامية منذ عام(١٤٠٣هـ)، حتى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

ومـن خلال ممارسة الإفتاء في إدارة الإفتاء عرف رَحِمَهُ اللَّهُ مفتيًا قديرًا، فكان يفتـي كثيرا في خارج إطار الإدارة، فيفتـي في المحاضرات وفي الندوات وغيرهـا من مجامع الناس، وكنا قد رتبنا له مكتبا في البيت في عام ١٤١٧هـ، وخصصنـا هاتفا مستقلا للفتاوى، وهـو ٤٢٥٣٠٥٠ وانتشر هذا الرقم ونشر كثـيرا، فكان يجلس لاستقبـال الناس والرد على فتاواهـم شفويا ومن خلال الهاتف وكذلك كتابيا.

وجمعـت كثير من فتاواه في المكتب، ورتبت حتى وصلت قريبا من ثلاث عشرة ألف فتوى، وبعد افتتاح الموقع الإلكتروني الخاص به رَحِمَهُ اللَّهُ أدخلت هذه الفتـاوى فيه، وفتح المجال للفتوى عن طريق الإنترنت، فكانت تأتي الكثير من الأسئلة من جميع البلدان.

كذلك كانت تأتي رسائل كثيرة بالبريد العادي، وأذكر أنه خلال سنتين تقريبا في عامي ١٤٢٠ و١٤٢١هـ كثرت الرسائل التي تأتينا من الجزائر، ربما تجاوز مائة رسالة في الأسبوع، ثم انقطعت أو قطعت تماما.

وكان لفتـاواه الحضـور في كثير من وسائل الإعلام، فقد كانت له فتاوى يومية وأسبوعية وشهرية، يعرضها عليه بعض طلبته ومحبيه، ثم ينشرونها في صفحـة خاصة بفتاواه، وقد نشر له في جريدة المسلمون وجريدة اليوم ومجلة الدعوة ومجلة الحرس الوطني وغيرها.

ثم كان له مشاركة في برنامج سؤال على الهاتف لمدة ثلاث سنوات، وله مشاركة في برنامج الجواب الكافي في قناة المجد، وغير ذلك من المشاركات.

وكثيرًا ما كان يطلب منه لقاء مفتوح يكون متمحضًا للفتاوى سواء في المساجد أو في الدوائر الرسمية.

ولقد استمر رحمه الله في العطاء في مجال الفتوى حتى توفي رحمه الله، وكان لفتواه القبول والتأثير بسبب ما تميز وتميزت به من خصائص، وسنخصص للكلام عن خصائصها عنوانا مستقلا.

منهجه وطريقته في الفتوى وما تتميز به فتاواه

كان الشيخ الوالد رحمه الله كأمثاله من إخوانه العلماء العاملين قديما وحديثا، حريصا على أن تكون فتواه موافقة للدليل، قريبة من الصواب، بعيدة عن الشبهات، مراعية لحالة الواقعة، مشتملة على ما يهم السائل وما يفيده.

وفي هذا العنصر سأحاول استجلاء المنهج الذي يسير عليه رحمه الله في فتاويه، ومعرفة الطريقة التي يسلكها للجواب عن الفتاوى على اختلاف أصنافها وتعدد موضوعاتها، وقبل ذلك سأعرض بعض ما يتصف به رحمه الله في هذا الباب، منقولا من كلام من تعامل معه في مجال الفتاوى.

لخص تلميذه عبدالواحد المزروع الصفات التي يتميز بها الوالد رحمه الله في مجال الفتوى، وأجملها بقوله(١): «كنت حريصًا على سؤاله لعدة نواح الأولى حبًا له، والثانية ثقة بعلمه، والثالثة تلطفه بطلابه وبمن جاء يسأله، ورابعًا حلمه وصبره، وخامسًا لأنه يتأنى ويناقش الأمر من جوانب شتى، وسادسًا لأن بابه مفتوح في عمله أو مسجده أو بيته، وسابعًا لأنه يجيبك ويوجهك، وثامنًا لأنه يحيلك إلى المرجع من أمهات الكتب وأقوال المتقدمين، فتستفيد حكمًا

---

(١) http://www.lojainiat.com/index.cfm?do=cms.conPrint&contentid=7831

وعلمًـا، وتاسعًا لأنه يذكرك بالمتقدمين من العلماء الراسخين،وعاشرًا لما تراه من النور والبهاء على محياه، وحادي عاشر لأنه لا يمل جلوسه ولا يشعرك بما لديه من ضغط أو عمل، إلى غير ذلك من الصفات والشمائل، التي مكن الله تعالى لشيخي ابن جبرين وحبا ه بها».

ويقـول الشيـخ خضـر بـن سنـد[1]: «ابـن جبريـن يجمع بـين المعرفة بالنصوص الشرعية، ومعرفة المذاهب الفقهية، وبين الربط والتحليل واختيار القـول الصحيح، حتى لو خالف ما عليه الناس، ففتـواه يأنس بها طلبة العلم لـا فيها من القوة العلمية، ففيها الجمع بين أقـوال الفقهاء القدامى، مع دقة الفقه والفهم للمسائل المحدثة المعاصرة، التي يكثر فيها الخلاف والنزاع.

فتـاواه سبق بها علماء عصـره، ولذلك رغم تدريسـه لمذهب الحنابلة فهـو متوسع في الاطلاع علـى الحديث والأدلة، بل هو أميـل لمذهب المحدثين، فكانت فتاواه تحمل المعاصرة مع هيبة الدليل، فلم يكن ليرضي العامة بفتاواه أو يسايـر الواقـع ويبرر للناس فعلهم، ولكنه يبحث عـن الدليل، ويجمع أقوال الفقهـاء، فيكون قوله أشبه ما يكون فيصـلًا قويًا عند النزاع، فيحترم طالب العالم رأيه، لأنه مبني على دليل وليس هوى أو مجاراة.

عرفـه الناس قبل مدة طويلة بأنه صاحـب الفتاوى الجريئة، التي ربما تخالـف بعض أراء مشايخه أو المذهب الحنبلي، ولكنـه لم يكن ليفتي بالرأي أو إرضاء للجمهور أو العامة، بل كان الحق مذهبه، والدليل قائده وهاديه».

ويقـول الشيخ سعد بن مطر العتيبـي[2]: «وقد أفدت - كغيري من طلبة العلـم - من فتاويـه الفريدة في تحقيق مسائل خالف فيهـا بعض الآراء، التي

---

(١) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729

(٢) موقع الألوكة http://www.alukah.net/articles/67 /7065.aspx

كانـت سائدة، مما كنت أميل إلى قـول الشيخ فيها نتيجة بحوث و مدارسات، كفتـواه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جـواز الرسـوم الهادفـة في مجـلات الأطفـال، وفي أفلام الكرتـون النافعـة، وفي المسعى حيث فتـواه المدعّمة بشهادتـه، وهو من هو في العناية بالتاريخ..

لا تـكاد تجد لجنة شرعية في مؤسسة دعويـة أهلية إلا وله فيها عضوية فاعلـة، وفتاوى فريدة، بعضها ينص فيها الشيخ على أنها فتوى خاصة بإقليم كـذا أو بأهـل البلـد الفلاني لا يجـوز إعمالها في غـيره!! أي إنهـا من فتاوى السياسة الشرعية المؤقتة».

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ معايشـا للواقع، متابعا للتطـورات الحديثة، مسايرا لها، مع أصالة وتميز وثبات وبصيرة، يقـول الدكتور سلمان العودة[1]: «يتميز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتكيـف مـع الجديد ومـع المتغـيرات، فالشيخ لما جـاء الإعـلام والصحافة والإنترنـت والقنوات الفضائية وغيرهـا من الوسائل الحديثة شارك فيها، بل حتـى مواقف الشيخ من القضايا فيها تميز، لما حدث الخلاف في المسعى كتب الشيـخ، وقـال: أنا شاهدته بعينـي، وكان يكتب عن رؤيـا بصيرة في عدد من القضايا، فلا تحس أن الشيخ أسيرًا للمألوف أو لمرحلة معينة».

وقـد يظن بعض الناس أنـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعيد عن بعض القضايا المعاصرة، يـروي بعض الإخوة، فيقول [2]: «كنت في درس لـه أستمع لبعض الأسئلة التي تطـرح على الشيـخ، سواء مـن الحضور أو مـن الشبكة الإنترنـت، وكان من ضمن الأسئلة شخص يسأل عن حكم المحادثات في البالتوك (البرايفت) بين

(١) قناة دليل.

(٢) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

الرجال والنساء!! فقلت في نفسي ما أجهل هذا السائل، وكيف سيعرف الشيخ البرايفت».

وقد أجاب رَحِمَهُ اللهُ عن السؤال جوابا شافيا، لأنه استضيف مرارا في البالتوك ورأى أثره، وعرف أخطاره.

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان مشيرًا لتميز الوالد رَحِمَهُ اللهُ[1]: «تجده واسع الأفق بعيد النظر، ينظر للمصالح وما تؤول إليه الأمور، هذا هو الفقه الحقيقي».

ويقول الدكتور عبدالوهاب الطريري[2]: «الشيء الذي ألاحظه في فتاواه أنه يتفهم حال السائل، وتأتي فتياه على مقاس السائل والسؤال، وهو يميل إلى اليسر ما وسعه ذلك، تقفيًا لقول الرسول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»[3] «وإنما بعثتم ميسرين»[4]، لذلك كان من أوائل من أفتى بجواز الرمي قبل الزوال، وأذكر أنه رَحِمَهُ اللهُ كان يحدثنا ويقول: الناس يجتمعون عند الجمرة الصغرى في اجتماع حاشد، يكاد يكون مقتلة، ينتظرون أن تزول الشمس، فلما رأيت ذلك أفتيت بهذه الفتيا.

وكان رَحِمَهُ اللهُ بسبب طول ممارسته للفتيا موهوبا في حسن انتزاع الجواب، فتأتي المسألة تخيل إليك أنها شائكة، فإذا استمع إليها الشيخ وعنده من الدربة والمران ما يسهل معه انتزاع محل الإشكال، فإذا سمعت جواب الشيخ قلت: سبحان الله، الجواب بهذا اليسر، وأنا ما فطنت له».

(١) قناة دليل.
(٢) قناة المجد.
(٣) رواه البخاري في باب ما كان النبي صلى الله عليه و سلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا من كتاب العلم برقم ٦٩. ومسلم في باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير من كتاب الجهاد برقم ١٧٣٤.
(٤) رواه البخاري في باب صب الماء على البول في المسجد من كتاب الوضوء برقم ٢٢٠.

ومع هذا فكان يصغر نفسه ويتهمها، ويرى قصوره وتقصيره، سألته مجلة البيان في مقابلة معه سؤالا حول فتاواه نصه[1]: «تلقى فتاواكم بحمد الله ارتياحًا عامًا، يعزى فيما نحسب بعد توفيق الله تعالى لحسن فهمكم روح الشريعة، ومراعاة مقاصدها، واعتبار المصالح والمفاسد، هل من توجيه لطلبة العلم في هذا الصدد؟».

فأجاب رحمه الله: «أعترف على نفسي بالقصور والنقص، وكثرة الخطأ، وأسأل الله العفو والغفران، وستر العيوب، والنقائص، حيث إني أكتب أجوبة الأسئلة التي ترفع إليّ دون مراجعة، أو بحث في أقوال العلماء غالبًا، نظرًا إلى كثرة الأعمال، وعجلة السائل، والارتباط بالمواعيد والدروس، وأعتمد فيما أكتب على معلومات قديمة علقت بالذهن وقت الطلب والتلقي عن المشايخ، أو تجددت وقت التدريس الرسمي الذي كنت أستعد له وأراجع وأحضر قبل الإلقاء، أو حصلت من الممارسة وتكرر المرور، ومن المطالعات والدروس الجديدة التي أقوم بإلقائها في المساجد، فأما القابلية لها عند العامة أو التلاميذ فلعل ذلك لحسن الظن، ولما يتلقونه من الدروس التي يتقبلونها، واثقين بصحتها، ومع ذلك فإني أقول: ما كان فيها من صواب فمن الله تعالى، وهو الذي وفق له وهدى، وما كان من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله مما وقع مني، وأقول على طلاب العلم أن لا يعتمدوا على فتوى تخالف الدليل أو الحق والصواب، فإن على الحق نورًا، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، فلابد من مراجعة الكتب والمؤلفات وتطبيق الفتاوى الاجتهادية لي ولغيري، على كلام العلماء، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، والله أعلم».

وكان رحمه الله إذا رأى من السائل ما يدل على ريبة أو وقيعة تصرف معه تصرفا حكيما، ومن ذلك القصة المشهورة التي ذكرها الدكتور سلمان العودة

---

(١) مجلة البيان، العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.



أنـه قدم له سؤال عـن الدكتور سلمان، ذكر فيه السائـل بعض ما يعدونه من المثالـب عليه، فكتب الوالد رحمه الله تحال إلى الشيخ سلمان العودة، ونشر ذلك الدكتور سلمان، ورد عليها في موقعه على الشبكة.

وذكـر الشيخ نـور الدين درواش في خطبة له بعد وفـاه الشيخ رحمه الله أن الشيـخ علي الحلبي رحمه الله حدثه عـن حزم الشيخ فيما يحتاج إلى حزم، فقال: «زرت يومًـا الرئاسة العامـة للإفتاء فزرت الشيخ ابن جبرين رحمه الله في مكتبه، فاتصلت به امرأة مستفتية، قالت: إن زوجها طلقها وهو سكران فهل يقع طلاقه.

فأجابهـا الشيخ ابن جبريـن عليه رحمة الله بلسان حـازم: ليأتينا أولًا لإقامة حد الخمر، ثم نفتيه في موضوع الطلاق».

وكان رحمه الله رجاعا إلى الحق، يقبله ممن جاء به، رفع إليه أحد الإخوة سـؤالا فيه[1]: «سمعت شريطا أجبت فيه على بعضـ الأسئلة، ومن ذلك قلت رحمـك الله: (إن دعـاء وجـه الله جائز، لأنـه صفة ذاتية)، وقـد جاء في رد شيـخ الإسلام ابن تيميـة أن دعاء الصفة كفر باتفاق المسلمين، أرجو إفادتي بالدليل والأرجح».

فرد عليه بقوله: «نشكرك على هذه الملاحظة، ونعتذر عمًا وقعنا فيه من الخطأ، ونستغفر الله تعالى، وحيث إن صفة الوجه ذاتية، وأن الوجه يطلق على الـذات[2]، كقوله تعـالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهـف: ٢٨]. وحديـث: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»[3]

(١) الفتوى رقم (٧٧٢).

(٢) يريد رحمه الله: أن الوجه يطلق ويراد به الذات، لا أن الوجه عين الذات، فبقاء وجهه سبحانه هو بقاء ذاته، انظر: فتاوى ابن تيمية ٢/٤٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود في باب كراهية المسألة بوجه الله من كتاب الزكاة برقم /١٦٧٣.

فإن للوجه خصوصية ليست كصفة الكلام والعلم والقدرة والعزة، فإنها لا تطلق على الذات. والله أعلم، قاله وأملاه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ١٨/١٢/١٤١٨هـ».

ولا يضيره أيضًا أن يكتب بتوقفه وعدم معرفته بالجواب فيما لم يجزم فيه بشيء، وقد رأيته مرارا يحيل بعض السائلين على الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وعلى اللجنة الدائمة.

وكتب له قاضي رأس الخيمة عن قضية طلاق وقعت عنده، وكان الزوج في حالة غضب، فكتب له بعد الديباجة قائلا[1]: «أفيدكم بأني أتوقف في هذه المسألة، ولا أجزم فيها بوقوع الطلاق ولا عدم وقوعه؛ نظرًا إلى قوة الخلاف في هذه المسألة، فهناك خلاف فيما إذا طلق وحده، ولم تكن الزوجة عنده، ولم يُشهد على الطلاق، وخلاف قوي في طلاق الحائض هل يقع أم لا يقع، والمشهور وقوعه سواء علم بالحيض أو لم يعلم، وخلاف في طلاق الغضبان، والجمهور على أنه يقع ما لم يغم عليه من شدة الغضب، وخلاف في طلاق التكرار، إذا قال: هي طالق طالق، هل تُحسب واحدة أم اثنتين، وإذا كان كذلك فنرى لكم أن تجتهدوا حسبما فتح الله عليكم، وتنظروا ما يترجح في هذه المسألة وتُخبروه بالجواب. والله أعلم».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ شجاعا في فتاواه، ومن مظاهر الشجاعة أنه لا يخفي شيئا من الفتاوى التي قد يكون لها حساسية، حتى لا يكون ذلك سببا في فهمها على غير وجهها، يقول أحد الإخوة الذين كتبوا في الإنترنت عن مرافقته في زيارته لمدينة حائل[2]: «ثم أوصلت له رسالة خاصة واقتربت منه، وقلت: يا شيخ امرأة كبيرة في السن تعرضت لابتلاء ومصيبة، تريد جلسة خاصة معك،

(١) الفتوى رقم(٣٠٢٣).

(٢) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

لتشرح وتستفسر منك عن شبهات مرت عليها وعلى موت ابنها، ولا تثق بأحد غيرك، فقال الشيخ: بالتلفون، فذكرت للشيخ أن التلفون يتعذر لأسباب، فقال: بل التلفون أفضل»، وكما سنذكر بعد، فإنه لايتحرج من الجواب عن أي سؤال مهما كانت حساسيته، فيجيب جواب العالم البصير الحريص على نفع الناس ورفع الإشكال، وكأنه يقول: لمن نترك الناس، وقد كنا نحاذر في المحاضرات العامة أن نعرض عليه الأسئلة المثيرة سياسيا أو اجتماعيا أو فكريا أو منهجيا، وسيأتي لهذه النقطة مزيد تفصيل.

وأما طريقته رحمه الله في الفتاوى، فإن الفتاوى لا تخلو: إما أن تكون شفوية كالفتاوى المباشرة في البيت أو المكتب أو المسجد أو نحوها، وكذلك الفتاوى التي تلقى عليه في المحاضرات والإذاعة والقنوات الفضائية.

وهذه الفتاوى يجيب عليها مباشرة، ويلتمس وجه الحق في ذلك، بعد أن يعي ما قاله السائل، ويستفسر منه إن احتاج الحال لشيء من ذلك، وهو رحمه الله لا يتبرم من سؤال سائل أو إطالته أو تكراره، وبخاصة إذا علم أن ذلك عن حسن نية وحب فائدة، إما إذا رأى تنطعا أو تشبعا، فإنه يعامله بما يناسب حاله، وقد يقطع عليه السائل قراءته أو راحته أو ذكره، فلا يكفهر ولا يتسخط، بل ربما تبسم في وجهه، وأجاب عن سؤاله.

ولم أر صبرا كصبره على الهاتف، فقد كان عنده لما كان في الإفتاء هاتفان أو ثلاثة، وكان يرد عليها جميعا، بحيث لا يجد وقتا للراحة مدة جلوسه في المكتب، حيث كان يعينه السائق أو الخادم أو أحد الموظفين، وربما تطوع بعض الحاضرين لإمساك الهاتف، وأمر المتصل بالانتظار حتى يفرغ رحمه الله من الهاتف الآخر.

يذكر الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الكوس من الكويت أنه في أيام

الدراسة في الجامعة بالرياض في حدود عام ١٤٠٥هـ كان يزوره في مكتبه في إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فكان مكتبه مفتوحًا يقول[1]: «فكنا ندخل ونسلم عليه ونجلس معه، ونطرح عليه العديد من الأسئلة، فيجيبنا عليها بصدر رحب.

وأذكر في إحدى المرات كان على الهاتف أحد القضاة، ومكث مدة طويلة، وهو يستفتيه ويسأله في إحدى القضايا».

فقد كان بعض السائلين في الهاتف يطيل، فربما جلس نصف ساعة أو أكثر والوالد رحمه الله يجيب عن أسئلته بكل هدوء وصبر ورفق وعلم، لاتفرق بين جوابه الأخير وجوابه الأول.

ومن العجائب التي يعرفها من خالطه صبره على الموسوسين ورفقه بهم وأنسهم به واستفادتهم منهم، وأعرف الكثيرين منهم والكثيرات الذين بكوا عليه لما توفي، وكأنما فقدوا آباءهم أو أشد، وكان واحد منهم يأتي بالطائرة من مكان بعيد ليشفي غليله ويروي ظمأه، مع أنه يتصل بالهاتف كثيرا، وقد تعودنا على إحداهن تتصل في كل أسبوع مرة تقريبا، ويمكث معها الوالد أكثر من نصف الساعة وهو يقنعها بأن هذه وسوسة، وآخر مثلها يطيل مع الشيخ الوالد كثيرا دون أن يتبرم منه، فرحمه الله وغفر له، وأخلفه عليهم وعلى غيرهم بخير.

وأما الفتاوى التي في المحاضرات ونحوها، فإنه لا يتبرم من كثرتها، وما عرفت عنه، بل لم أسمع أنه قال لقارئ الأسئلة: قف أو يكفي، وكنا نرسل للقارئ خفية أو نشير إليه إذا أحسسنا بالإطالة أو لاحظنا أن الوالد متعب، أو كان لديه موعد، فإذا علم عن صنيعنا لم يستحسنه وربما عاتبنا، أما إذا كان هو الذي يقرأ الأسئلة فلا يتوقف حتى يأتي على آخرها.

(١) http://www.alwatan.com.kw/Default.as...&AuthorID=1041.

وللوالــد رحمه الله إذا أمســك الأسئلــة ليقرأها منهجــان لا يتركهما أبدا، يقــرأ الأسئلة حتى تنتهي، ويقرأ الأسئلة مهمــا كانت حتى ولو كانت من أشد الأسئلة صراحة، يقرأ كل شيء ويجيب بوضوح.

وكان لا يــترك سؤالا بلا جواب مهمــا كان موضوعه، ولذلك كنا نتحرى في فرز الأسئلة، ونوصي من يفرزها، ويحرج القائمون على المحاضرة مثلا أو مسؤولي مكاتب الدعوة إذا عرض عليه سؤال، مما لاينبغي عرضه أمام الملأ.

ولطالمــا تسرب سؤال يتعلق بالسياسة أو الحكام أو القضايا الاجتماعية الحساســة أو القضايا الفكرية، فيكشــف الوالد رحمه الله فيه الأمر، وينطق فيه بالحق والعدل، الذي لا يطيقه كل أحد.

وإذا كنــت معــه أقرأ الأسئلة له، أحيانا يأمــرني رحمه الله فيقول: اقرأ كل شــيء، فإذا أمرني لابد أن أقرأ كل شيء، حتى إني مرة ألقيت سؤالا عن ابن لادن، وهــو مقطع متداول الآن في الإنترنت، وإن كان فهم على غير وجهه،كان السؤال ونحن في الحج.

فهــم الناس أنــه يثني على ابن لادن، لأنه قال: إنــه مجتهد، ولم يعرفوا كلام أهل العلم في معنى ذلك، ولو أرادوا الحق لنظروا لفتاواه الأخرى، وكلامه الآخر المكتوب عن ابن لادن، فهو يرى أن ابن لادن يكفر الناس ومنهجه خطأ، فمعنــى مجتهد أنه مخطئ في اجتهاده، لأنه لا يلزم أن يكون المجتهد مصيبا، وبعض الناس فهموا أنه مصيب، وما كل مجتهد مصيب، فإن ابن لادن أرسل للوالــد شريطا صريحا بصوتــه ومعه خطاب، نصيحة عامــة للعلماء موجهة لعلماء السعودية، شريط صوتي صريح فيه التكفير للدولة وللحكومة وللعلماء، وذلك قبل عشر سنوات من وفاة الوالد رحمه الله تعالى.

وهـذا المسلـك أعني الصراحة والوضوح أثار ضـده ـ في مرات عديدة ـ الأوساط السياسية أو الأحـزاب والجماعات الإسلامية أو التوجهات الفكرية أو المجتمعات والتجمعات الإقليمية والقبلية ونحوها.

ولقد ابتلي بسبب ذلك كثيرا، وأوذي في عرضه ونفسه، فصبر واحتسب، وسنذكر هذا في موضعه من هذه السيرة إن شاء الله تعالى.

وأما الكتابة فيقول الوالد رحمه الله عن منهجه فيها[1]: «الغالب الاقتصار على القدر المطلوب في السؤال دون استقصاء وتوسع في الجواب، وكذا الإملاء إذا كان الجـواب ارتجاليـا، كمـا وقع في الأسئلـة التي طبعت بعنـوان (حوار رمضاني) الذي طبعته مؤسسة آسام للنشر عام ١٤١٢هـ في ٢٨ صفحة بقطع صغير، وكذا في أسئلة متعلقة برمضان وقيامه والقراءة في القيام ودعاء الختم ونحـوه، حيث ألقى بعض الشباب ٣٦ سؤالا وقد كتبـت عليها جوابا متوسطا، ثـم قام السائل وهـو سعد بن عبد الله السعدان بتحقيقهـا وتخريج أحاديثها وطبعـت بعنوان (الإجابات البهية في المسائـل الرمضانية) نشر دار العاصمة مطابع الجمعة الإلكترونية عام ١٤١٣هـ ١٠٣ صفحة». أ.هـ.

وكان رحمه الله لا يستعـين بأحـد فيمـا يعرض عليه من فتـاوى، فإما أن تكـون الفتـوى حاضـرة في ذهنه، أو يقـوم بالبحث عنها في مظانهـا إن كان يعـرف مظانها، وكثـيرًا ما رأيته يقوم وهو يملي إحـدى الفتاوى على الكاتب، فيذهـب لمكتبتـه ويستل أحد الكتـب ليراجع فيه شيئا، ثم يعـود ليكمل إملاء الفتوى، وأذكر مرة واحدة فقط أنه ورده سؤال عن فاطمة بنت أسد بن هاشم الهاشمية، والدة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهم بالقيام للبحث عنها في الكتب المتخصصـة، وكنـت إذ ذاك بقربـه فاقترحـت أن أبحث له عنهـا في المكتبة الشاملة لأنها أيسر، فوافق، وأخرجت ما يتعلق بها، وعرضته عليه رحمه الله.

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه على الشبكة.

ومما يشهد لهذا يقول الأخ منصور البراك[1]: «من المواقف المباشرة عندما كنت محررًا صحفيًا في جريدة اليوم في العام ١٤١٦هـ كنت أطرح بعض الموضوعات التي أرى أن القارئ يحتاج إليها وأعد حولها مجموعة من الأسئلة، وأحملها إلى مكتب الشيخ الذي يقوم بالإجابة عنها، والعبرة في ذلك أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يفضل أن يقوم بتفصيل الإجابة كتابة بيده، وبخط واضح برغم إمكانية أن أسجل إجاباته، أو إنابة من يكتب عنه، ولكن حرصًا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على نفع المسلمين ومازلت أحتفظ بنماذج منها حتى الآن».

وبعد تنظيم مكتبه في المنزل في عام ١٤١٧هـ تم ترتيب دورة إدارية للفتاوى، تضمن الإتقان والدقة والسرعة، فكانت الرسائل المكتوبة تأتي بالبريد العادي أو الإلكتروني أو تسلم مناولة أو تصل بالفاكس فيتم فرزها بحيث تفصل الطلبات عن الاستفتاءات، ثم يبحث عن الأسئلة التي لأجوبتها شبه فيرسل للسائل ما يشبهها، وبقية الأسئلة تجهز للشيخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليجيب عنها، وإذا كان منها ما لايصلح الجواب عنه إما لحساسيته أو لقصد سيء من مرسله أو لغير ذلك، فهذه تعرض عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ للاطلاع، وأما ما يستحق الجواب فيجلس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوميًا غالبا من بعد الظهر إلى قرب العصر، ليملي على كاتب الفتاوى الأستاذ أحمد حسين الأجوبة.

بعد أن تتم الإجابة تراجع الفتاوى للتأكد من سلامتها من الأخطاء الطباعية، ثم ترسل لأصحابها، وقد رئي أن يكتب عليها فتوى خاصة غير قابلة للنشر، حيث لوحظ أن بعض المستفتين يتقدم بها للقضاء كمستند له في قضيته، وما يرغب في نشره مما يصلح للنشر لفائدته العامة لا تكتب عليه هذه العبارة.

---

(١) http://www.al-jazirah.com/104890/fe5.htm.

وسبب ذلك أن بعض القضاة الذين حكموا في قضية بخلاف ما يراه لما ثبت عندهم من البينات، أحرجوا عندما أتاهم الخصم بفتوى الوالد رحمه الله، فبين لهم أن العمل على ما يراه القاضي الذي نظر القضية واطلع على ملابساتها، فبعد كتابة العبارة خف هذا الأمر كثيرا.

ومن طرائف ما حدث في هذا أن أحد الإخوة قدم ورقة استفتاء عمن هو أحق بالأذان الإمام أو وكيل المؤذن؟ فأفتاه بأن الوكيل أحق، فلما أخذ الفتوى بعد أن مهرها الوالد رحمه الله بتوقيعه، وإذا بأحد الأقارب يتصل بنا، ويشرح لنا ملابسات الموضوع، وأن الإمام بينه وبين المؤذن حساسية، وكان القصد الانتصار بالفتوى على الإمام.

وقد نقلت عن الوالد رحمه الله قريبا أن بعض الفتاوى التي كتبها طبعت في كتب: ككتاب حوار رمضاني، والإجابات البهية، كما جمع الأخ عبدالله الحوطي فتاوى وطبعها في مجلد، ونشر الدكتور طارق الخويطر العديد من الفتاوى، وأخرجها في رسائل صغيرة بحسب الموضوعات، منها: فتاوى في المسح على الخفين، وفتاوى في المعوقين، و فتاوى في أحكام المولود، و فتاوى في الطهارة الشرعية، و فتاوى في المدينة النبوية، وغيرها كثير، كما نشر الشيخ إبراهيم الشثري فتاوى للوالد رحمه الله في المسائل الطبية في جزئين، وهناك كتب أخرى سنذكرها إن شاء الله في أثناء الحديث عن نتاجه رحمه الله.

الفتاوى المشهورة للشيخ الوالد رحمه الله

سأذكر في هذا الموضوع بعض الفتاوى التي كان لها شهرة لسبب من الأسباب: إما لحساسيتها أو لتعلقها بحوادث مشهورة، وسأترك فتاوى أخرى كان من المناسب إيرادها هنا، لكن لصلتها القوية بموضوعات أخرى آثرت بحثها مع تلك الموضوعات، لنحافظ على الوحدة الموضوعية، كفتواه في الرافضة وفتوى طالبان ونحوهما.



فتوى ما يسمى بـ «حزب الله»

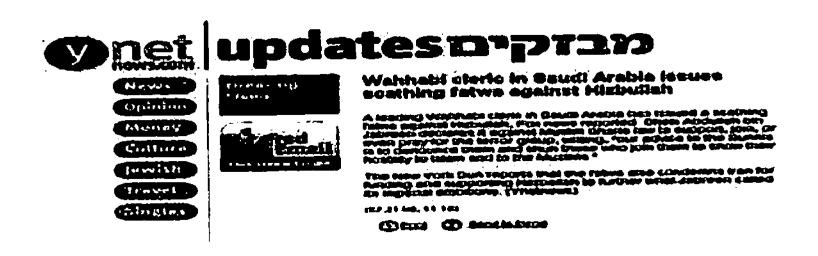
لقد أثارت هذه الفتوى عاصفة في العالم الإسلامي من شرقه إلى شرقه، وكانت تزامنت مع هجوم شنه هذا الحزب على حدود اليهود مع لبنان، فصفق له الغوغاء من عوام أهل السنة، والقصة مشهورة منشورة، لكننا هنا سنتحدث عما يتعلق بهذه الفتوى التي أثارت جدلا واسعا، ليس في أوساط العامة فحسب، بل حتى بين الدعاة والجماعات الإسلامية، فإلى القصة من بدايتها..

نشر موقع نور الإسلام، الذي يشرف عليه الشيخ محمد الهبدان فتوى للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول حزب الله هذا نصها(1):

عنوان الفتوى	هل يجوز نصرة(ما يسمى) حزب الله الرافضي
المفتي	الشيخ / عبد الله بن جبرين
رقم الفتوى	١٥٩٠٣
تاريخ الفتوى	١٤٢٧/٦/٢١ هـ -- ٢٠٠٦-٠٧-١٧
تصنيف الفتوى	العقيدة-> فرق ومذاهب وأديان-> كتاب فرق منتسبة-> باب طائفة الرافضة
السؤال	هل يجوز نصرة(ما يسمى) حزب الله الرافضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟
الإجابة	لا يجوز نصرة هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤا منهم، وأن يخذلوا من ينضموا اليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديمًا وحديثًا على أهل السنة، فإن الرافضة دائمًا يضمرون العداء لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

(1) http://www.islamlight.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&Itemid=0&atid=1399&id=15903

وبعـد أن نشرت هذه الفتوى شرق بها النـاسـ وغربوا، وتلقفها القاصي والـداني، حتـى إن بعضـ وسائـل الإعـلام الغربيـة نشـرت عنهـا، ومنهـا قناة (فوكس نيوز) وصحيفة (نيويـورك صن) الأمريكيتين، ونشرتها صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية بتاريخ ٢١/٧/٢٠٠٦[1].


ynet news.com | updates מבזקים

News
Opinion
Money
Culture
Jewish
Travel
Singles

Wahhabi cleric in Saudi Arabia issues scathing fatwa against Hizbullah

وترجمة الخبر كالتالي:

«رجـل دين وهابي بارز في السعودية أصدر فتوى قاسية ضد حزب الله، حسب تقرير من محطة (فوكس نيوز).

أعلـن الشيخ عبد الله بن جبريـن أن قوانين الشريعة الإسلامية لاتجيز مساعـدة أو الانضمـام أو حتـى الدعاء للجماعـات الإرهابيـة، وأصدر ذلك كتابيًـا، ونصح أهل السنة بأن يشجبوا ويجتنبوا أولئك الذين ينضمون إليهم، حتى يكشف حربهم للإسلام والمسلمين.

وأعلنت (نيويـورك صـن) أن الفتـوى أيضًـا شجبـت إيـران لدعمهـا ومساندتها لحزب الله» أ.هـ.

---

(١) http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3279280,00.html

ولقد كانت وسائل الإعلام التابعة للرافضة قد حملت كبر إشاعة هذا، ونشره عبر قنواتهم وصحفهم ومواقعهم الإلكترونية، حتى خدع بذلك كثير من أهل السنة في مصر والمغرب العربي والشام واليمن وحتى الخليج العربي.

وأول من تولى كبر نشر الموضوع شبكة راصد الإخبارية، وهي شبكة رافضية نشطة، لكنها قائمة على الكذب والدعاية المغرضة ضد أهل السنة وبخاصة العلماء، وسأسوق لك النص الذي نشرته، وأترك لك تأمل ما في طياته من الكيد والكذب والجهل، وقد نقلته عن وكالة الأخبار السعودية وهذا تلبيس، فإن من قرأه يظنه وكالة الأنباء السعودية، وإنما هو موقع إلكتروني رافضي يسمي نفسه وكالة الأخبار السعودية المستقلة (واسم)، ولننتقل إلى نص الخبر.

«شبكة راصد الإخبارية - وكالة الأخبار السعودية بتصرف ١٩ / ٧ / ٢٠٠٦م ١٠:١١ ص

ابن جبرين أفتى بحرمة الدعاء لحزب الله اللبناني

أصدر الشيخ السلفي السعودي عبد الله بن جبرين يوم أمس الإثنين فتوى ضد حزب الله اللبناني، قال فيها: إنه «لا يجوز نصرة هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين».

ووجه ابن جبرين نصيحة للمسلمين السنة، قائلًا: «ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤا منهم، وأن يخذلوا من ينضموا إليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين».

ويعد ابن جبرين ثاني أكبر مرجع ديني للحركة الوهابية بعد الشيخ عبد الرحمن البراك، وكان ابن جبرين يشغل منصبا عاليا في لجنة الإفتاء الحكومية حتى تقاعده قبل سنين قليلة، وتنشر له وكالة الأنباء السعودية الرسمية (واس) أخباره ومحاضراته، التي تتولى وزارة الشؤون الإسلامية تمويلها.

وتأتي الفتوى الدينية متناسقة مع التصريحات السياسية المتكررة للحكومة السعودية الأسبوع الماضي، التي حملت فيه «حزب الله» المسؤولية الكاملة للقصف الإسرائيلي على لبنان.

ويشهد الشارع السني والسلفي الوهابي في السعودية انقساما حادا في موقفه تجاه حزب الله، حيث برزت أصوات سلفية لأول مرة تؤيد حزب الله، وبدا أن الفتوى أتت لقطع الطريق على تنامي تأييد الشارع السلفي الوهابي لحزب الله الشيعي.

ونشر الفتوى موقع «نور الإسلام» الذي يديره الشيخ السلفي محمد الهبدان، والمعروف بتأييده لتنظيم القاعدة. وكما جرت العادة فإنه ليس من المتوقع نشر الفتوى في وسائل الإعلام، التي تسيطر عليها الحكومة». انتهى خبر شبكة راصد[(١)].

وقد نقله عنها العديد من المواقع الشيعية والسنية وبنوا على كلامها.

وكانت هذه الفتوى كما عرف بعد ذلك فتوى قديمة للوالد رحمه الله صدرت عنه في تاريخ ٧/٢/١٤٢٣هـ، فلم يصدرها بمناسبة الحدث ولا علاقة لها به، وهو أيضًا لم يستأذن في نشرها، وإنما نشرها القائمون على موقع الشيخ

---

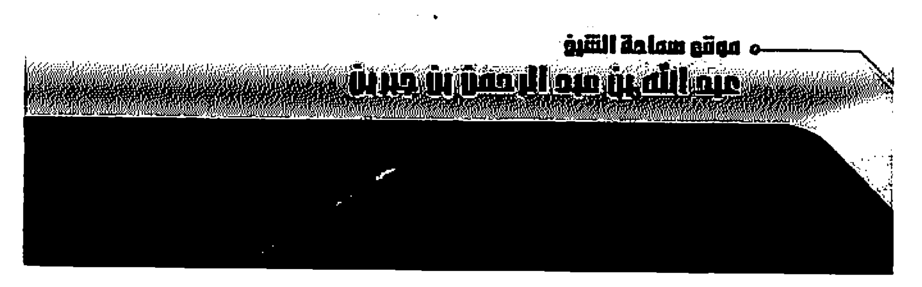
(١) http://rasid201.homeip.net/artc.php?id=12035.



الهبدان اجتهادا منهم، ووضعوا لها رقما وتاريخا خاصا بموقعهم، ولم يذكروا الرقم والتاريخ القديم، وهذا مما لبس الأمر على الناس.

هذه هي ملابسات الفتوى ولكن السرعان من الناس في أقوالهم وأفعالهم لايتثبتون ولا يسألون، وإنما سمعوا ما قاله الرافضة، الذين اهتبلوا الفرصة وبنوا عليه.

صورة الفتوى الأصلية من موقع الوالد رحمه الله(١)



الصفحة الرئيسية > الفتاوى > عرض الفتوى

رقم الفتوى	٤١٧٤
موضوع الفتوى	نصرة حزب الله الرافضي والانضواء تحت إمرتهم و الدعاء لهم بالنصر والتمكين
السؤال	س: بدأ في الآونة الأخيرة ظهور بعض المنادين بنصرة حزب الله اللبناني. هذا الحزب رافضي موالٍ لإيران وسؤالنا: هل يجوز نصرة حزب الله الرافضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟
الإجابة	لا يجوز نصرة هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرءوا منهم، وأن يخذلوا من ينضمون إليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديما وحديثا على أهل السنة، فإن الرافضة دائما يضمرون العداء لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

(١) http://www.ibn-jebreen.com/controller?action=FatwaView&fid=4174

وبسبب هذا اللبس، ولأن الأمر اختلط على كثير ممن يظن بهم خيرا، فخاضوا في ذلك بقصد ودون قصد، اقترح بعض محبي الشيخ أن يصدر عنه ما يوضح الأمر.

فقدم سؤال له حول الموضوع كان نصه: نشر أحد مواقع الإنترنت فتوى منسوبة إليكم، تتعلق بحزب الله اللبناني، فهل تصح نسبة هذه الفتوى لكم؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله[1]: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد...

فهذه الفتوى قديمة صدرت منا في تاريخ ٧ / ٢ / ١٤٢٢ هـ، والواجب على الذين نشروها أن يبينوا ما تتعلق به، وأن يتثبتوا فيها قبل نشرها، وأن يردوها إلى من صدرت منه، حتى يبين حكمها ويبين مناسبتها، وهي لا تتعلق بما يسمى حزب الله فقط، فنحن نقول: إن حزب الله هم المفلحون، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وأما الرافضة في كل مكان فهم ليسوا من حزب الله، وذلك لأنهم يكفرون أهل السنة، ويكفرون الصحابة الذين نقلوا لنا الإسلام ونقلوا لنا القرآن، وكذلك يطعنون في القرآن، ويدعون أنه محرف، وأنه منقوص منه أكثر من ثلثيه، وذلك لما لم يجدوا فيه شيئًا يتعلق بأهل البيت، كذلك هم يشركون بدعاء أئمتهم الذين هم الأئمة الإثني عشر، هذا هو مضمون تلك الفتوى؛ فإذا وجد حزب لله تعالى ينصرون الله وينصرون الإسلام في لبنان أو غيرها من البلاد الإسلامية، فإننا نحبهم ونشجعهم وندعو لهم بالثبات، وحيث إن الموضوع الآن موضوع فتنة وحرب بين اليهود وبين من يسمون حزب

(١) الفتوى رقم (١٥٢٩٤).

الله، واكتوى بنارها المستضعفون ممن لا حول لهم ولا قوة، فنقول: لا شك أن هـذه الفتنة التـي قام بها اليهود وحاربوا المسلمـين في فلسطين، وحاربوا أهل لبنـان أنهـا فتنة شيطانيـة، وأن الذين قاموا بها وهم اليهـود، يريدون بذلك القضاء على الإسلام والمسلمين، حتـى يستولوا على بلادهم وثرواتهم، وهذا ما يتمنونه، ولكن نقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]. وندعو الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين في كل مكان، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، وأن يبدلهم بعد الخوف أمنًـا وبعد الذل عزًّا، وبعد الفقر غنى، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يرد كيـد اليهود والنصارى والرافضة وسائر المخالفين، الذين يهاجمون المسلمين في لبنـان وفي فلسطين وفي العـراق وفي الأفغان وفي سائـر البلاد الإسلامية، وأن يقمعهـم ويبطل كيـد أعداء الله الطامعين في بـلاد المسلمين، وندعو الله سبحانـه وتعـالى للمسلمـين أن يردهـم الله إلى دينهـم الحـق، وأن يرزقهم التمسك به، وأن يثبتهم على ذلك، حتى يعرفوا الحق، وحتى ينصرهم تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. والله أعلم وصلـى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قاله وأملاه: عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين في ١٤٢٧/٧/٣هـ.

لقـد أطفأ هذا البيـان بعض الفتنة، ولكن الذيـن في قلوبهم مرض من الرافضـة ونحوهـم، وبعضـ المخدوعـين من أهـل السنة لم يكفهـم ذلك بل أثارهم، وحتى تتصور حجم المسألة سأورد لك شواهد مما قيل في وقتها.

القسم الأول: ما قاله المخدوعون من أهل السنة

في إحدى الصحف الجزائرية[1] كتب أحدهم تحت عنوان فتوى سعودية تحرم نصرة حزب الله!! فقال: «في تفسير أولي لهذه الفتوى، يظهر ذلك التناسق والتناغم مع الموقف الرسمي للحكومة السعودية، التي أدانت ابتداء عمل «حزب الله»، ووصفته بالمغامرة غير المحسوبة العواقب... ولا يخرج هذا التصرف الذي تعاضدت فيه السلطتان الدينية والسياسية في السعودية، عن النسق المميز لسياسة الدولة السعودية، وموقفها من المد الشيعي، واعتباره أكثر تهديدا من غيره».

وكتب أحدهم في الساحة السياسية: «أنّ الفتوى القديمة المنسوبة لسماحة الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله فيما يتصل بالشيعة وبحزب الله، التي نبش عنها من نبش ونشرها، وجعلها مدار ومحلّ تطبيق فيما يتصل بعلاقتنا بإخواننا في لبنان بمن فيهم الشيعة، الذين يُذبحون الآن، وتُهدم عليهم بيوتهم.. أقول: إن تلك الفتوى في حاجة ماسة إلى أن يُعاد فيها النظر بما يخدم المصلحة العامة لما في محتواها من شق الصّف وتشتيت الكلمة والسرور الذي تُدخله على أعداء الأمة، فضلا عن مجافاتها ومناهضتها لموقف قيادتنا الرشيدة، التي تقف مع أشقائنا في لبنان وفي فلسطين في صفّ واحد».

القسم الثاني: ما قاله الرافضة

نشرت بعض المواقع الشيعية أن رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام في إيران هاشمي رفسنجاني وجه رسالة إلى الشيخ رحمه الله، حذره من السعي إلى إثارة الخلافات بين السنة والشيعة.

---

(١) صحيفة البلاد الجزائرية عدد يوم السبت ٢٢ يوليو ٢٠٠٧.

وأسف الإيراني لأن بعض الأشخاص يقومون بإثارة الخلافات بين الشيعة والسنة في التعاطي مع قضية لبنان.

وكتب أحد الرافضة في القطيف، وهو حسن العوامي رسالة طويلة للشيخ الوالد رحمه الله بخصوص هذه الفتوى، ونشر رسالته في المواقع الإلكترونية الشيعية، ثم بعث نسخة إلى الوالد بدأها بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله خاتم الرسل وعلى آله الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى أصحابه الذين اتبعوه بإحسان ومن والاه إلى يوم الدين.

فضيلة الأخ الشيخ عبد الله بن جبرين المحترم

أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

آمل أن تقرأ هذه السطور قراءة متأمل، فلا ترمي بها قبل قراءتها، لأنها من رافضي شيعي ـ حسب تعبيرك الجميل ـ فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنَّى وجدها.

جناب الشيخ، بين حين وآخر نقرأ لكم تكفيرًا للشيعة«الروافض»، وتحذير المسلمين منهم، وتنبيه الغافلين الذين يحسنون بهم الظن، ويتعاملون معهم، وآخر ذلك إجابتكم على سؤال هو: هل يجوز نصرة ما يسمى حزب الله الرافضي؟».

ثم ساق الفتوى وجوابها، ثم قال: «جناب الشيخ، حينما يخط قلمك مثل هذه الأفكار ـ بل هذه السموم، التي تنخر في جسم الأمة الإسلامية، وتحدث العداء والبغضاء والتفرقة والتشرذم بين جماعة المسلمين ـ وربما الاحتراب

لا سمح الله - بل حدث ذلك وتكرر، ويتكرر في بلاد الإسلام بين المسلمين عند كل مناسبة وأحيانًا دون مناسبة، ويشتد زند العداء أواره بسبب فتاواكم وأمثالكم».

ثم سار على هذا المنوال في مواعظ ونصائح وتحريف للنصوص ولي لأعناقها، واستدلال بضعيفها بل سقيمها، وهمز ولمز، وكيد واستعداء، كما هي عادتهم.

ومن طرائف ما قاله:«أنت تعلم إن سيدك وإمامك ابن تيمية حشرك الله معه نهى عن تكفير من يقول لا إله إلا الله، ويقول: إنها أول بدعة أحدثت في الإسلام».

وكأنه لايعلم أن ابن تيمية هو الذي قال عنهم[1]: «فليس في الطوائف أدخل في ذلك من الرافضة، فإنها أعظم الطوائف كذبا على الله و على رسوله و على الصحابة و على ذوي القربى، وكذلك هم من أعظم الطوائف تكذيبا بالصدق، فيكذبون بالصدق الثابت المعلوم من المنقول الصحيح و المعقول الصريح».

ثم لبس ثوب الواعظ، وبدأ يعظ الشيخ الوالد رَحِمَهُ الله، ويحذره من الحساب والعقاب، وختم كلامه بقوله: «ارجع أيها الشيخ إلى صواب عقلك ورشد تفكيرك، وتب إلى ربك، ولا يلعب بعقلك الشيطان، فتكون بعض حطب جهنم، واردم الهوة العميقة التي أحدثتها أحاديثك لتكون من التائبين.

وتقبل شكر وسلام أخيك: حسن باقر العوامي».

وكتب أحد الرافضة من القطيف في ١٩ / ٧ / ٢٠٠٦م في أحد المواقع

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٣٧/٧ بتحقيق د. محمد رشاد سالم نشر مؤسسة قرطبة، ط ١

علـى الشبكة: «ليس بالغريب على الوهابيين. وحـزب الله سار على نهج الإمام الحسين، والشيخ عباس الموسوي، والشيخ راغب حرب، والسيد الإمام الخميني. أمـا السلفيون فهم مع مصالحهـم، أينما سار ركب كبرائهم سـاروا معه، وإلا صـدرت الفتاوى بالعكس. فعلى الرغم من مقاومة حزب الله ضد إسرائيل فهو في نظرهم معتد، وتسبب في دمار بلاد المسلمين بسبب جنديين، حيث كان يجب عليـه مشورة القيـادة أولا، بينما لم يطالب أي منهـم إسرائيل بمشورة أحد في اعتقالها واغتيالها للمسلمين في فلسطين ولبنان، أو يستنكر ذلك». أ.هـ.

والذين تابعوا الأخبار في تلك الأزمة يعلمون أنها بدأت بأسر جنديين من الجيش الإسرائيلي، وقتل ثمانية، وجرح ما يزيد عن عشرين جنديًا إسرائيليًا.

ثم قامت (إسرائيل) بعملية همجية ومنهجية في آن واحد، فقصفت جميع البنى التحتية الموجودة في لبنان: كالمطار والطرق والجسور، واستطاعوا تقطيع أوصـال البلاد، كما قصفوا المصانع وكثيرا من السيارات والشاحنات والناس، وكان القصف يركز على البنى التحتية للدولة، ولم يكن يركز على حزب الله أو قيادته، وقد أدى القصف إلى قتل وجرح المئات، والى ترهيب الناس وإرعابهم وتهجيرهـم ونزوحهـم، فالصـواب أن (إسرائيل) ضربت لبنـان، ولم تضرب حـزب الله، ثم أخيرا قصفت بعض المناطق الشيعية التي فيها حزب الله، ومن ثم فإن حزب الله لم يتأثر مما يشعر بأن هناك نوعًا من الاتفاق غير المعلن.

وكان اللبنانيـون يتساءلـون: مـا الفائـدة التـي سنجنيهـا حـين نقاوم (إسرائيـل)، وهل يستحق موضـوع الأسيرين الذين اختطفهما حزب الله كل هذا الدمار الذي أصابنا.

وكانت الإشكاليـة الموجود إذ ذاك أنك إما أن تؤيد (إسرائيل)، وإما أن

تؤيد حزب الله، وليس هناك من يدرس المسألة من جميع جوانبها[1].

وممن اشتهر ونشر عنه في تلك المدة انتقاد الفتوى تصريحا أو تلميحا:

- الدكتور محسن العواجي.
- الدكتور سلمان بن فهد العودة.
- العلامة الدكتور يوسف القرضاوي.
- الدكتور علي جمعة مفتي مصر.
- محمد مهدي عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر.
- د. محمد إمام رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق ومستشار رئيس جامعة الأزهر.
- الشيخ جمال قطب رئيس لجنة الفتوى بالجامع الأزهر سابقًا.
- الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر.
- الدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع فقهاء الشريعة الإسلامية بالولايات المتحدة.
- الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر السابق.
- المستشار الشيخ فيصل مولوي رحمه الله الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان.
- العلامة اليمني إبراهيم الوزير.
- الدكتور غالب القرشي –رئيس لجنة العدل والأوقاف بالبرلمان اليمني–.
- الشيخ عبد المجيد الزنداني – رئيس مجلس شورى التجمع اليمني للإصلاح ورئيس جامعة الإيمان.

وليس العجب أن يخالف العالم رأي عالم آخر، لكن العجب حينما تتهم

---

(١) انظر موقع المسلم.

النيات، ويلقى الكلام على عواهنه، ليس من غوغاء الناس وعوامهم، لكنه من علماء أو مفكرين أعلام، لهم قيمتهم ووزنهم على الساحة الإسلامية.

ولا تفهم من ذكر القائمة السابقة أني أعنيهم، ولكن قد تكلم بعض من تكلم عن فتوى الوالد رحمه الله وقال: إن الفتوى جاءت استجابة لموقف سياسي للحكومة السعودية، وكان هذا الأمر غريبا أن يصدر في حق مثل الوالد رحمه الله، وهو الذي عرف بمواقفه الشجاعة التي لم يكن يأبه فيها بأحد، ولم يكن يرى سوى الحق ومسؤولية العالم أمام الناس، كان غريبا لأنه رحمه الله تكلم في قضايا عديدة سبب فيها حرجا للدولة مع دول أخرى، ولولا أن الدولة تعلم صدق نيته وصفاء سريرته، ونقاء سيرته، لكان لها معه موقف آخر.

ومن باب العدل نقول: إن كثيرا من هؤلاء بعد أن ظهر هذا الحزب على حقيقته، وأثار الفوضى في لبنان، عرفوا عداوته وشره، وبين بعضهم خطأه، وأن الشيخ رحمه الله كان ينظر بنور الله، ومنهم الدكتور العواجي.

ولا شك أيضًا أن كثيرًا من العلماء والدعاة كانوا يعرفون الرافضة، ويعرفون هذا الحزب الرافضي، فلم ينكروا ما قاله الوالد رحمه الله، بل أيدوه لعلمهم أيضًا بمكانة الشيخ العلمية، وأنه يأخذ من مشكاة النبوة، وممن نشر ذلك وأظهره الدكتور ناصر العمر حفظه الله.

فتوى الأشراف

هكذا يسميها الناس، وهي أيضًا من الفتاوى التي أثارت جدلا واسعا في داخل المملكة وخارجها، وذلك لأنها تتعلق بمسألة حساسة، وهي انتساب طائفة من القبائل إلى النسب النبوي الشريف.

ولحساسية هذا الموضوع، وخشية أن يفسر كلامي على غير ما أردت، أحب أن أنبه أني أكتب للتاريخ، كتابة سيقرؤها الأولاد والأحفاد، مع تقديري واعترافي بالقبائل المشهورة، والمشجرات النسبية المحفوظة لدى هذه القبائل.

قد يظن البعض أن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ جر إلى هذه الفتوى جرا، وأنها زلة لسان وخطأ غير مقصود، فأحب أن أوضح أن هذا الرأي للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ قديم، وأن هذه فتواه مذ عرفته، ولدينا فتاوى مقيدة قبل أكثر من عشرين عاما من هذه الحادثة.

ودعني أعرض أولا فحوى هذه الفتاوى، ثم أعرض سبب شهرتها، ثم أعرض تداعياتها، ولن أعرض نص الفتاوى مراعاة لمشاعر المحبين من هذه القبائل.

فالشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يرى جواز دفع الزكاة لآل البيت، ويعلل بتعطل الخمس الذي كانوا يأخذونه في العصور القديمة.

وثمة أمر آخر، هو الذي أثار الناس، وحملوه على غير وجهه، وهو أن كثرة الانتساب لآل البيت، وبخاصة لذرية الحسن و الحسين مدعاة للشك في هذا النسب.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ لايريد بذلك القبائل معروفة النسب، وإنما يريد شيئا آخر، هو الذين ينتسبون في كثير من البلاد دون مستند لذلك الانتساب، كما وضح ذلك في البيان الذي أصدره.

أما سبب شهرة هذه الفتاوى وانتشارها، فيعود إلى أن الدكتور خالد ابن الشيخ عبدالرحمن الجريسي رجل الأعمال المعروف، صنف كتابا عن

العصبية القبليــة ونشره، وكان مما نشر فيه فتوى حول الموضوع كان قد سئل عنها الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقــد أدى ذلك إلى القيام بتتبع فتــاوى الشيخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإظهار ما يتعلق بالموضوع ونشره وتداوله في الإنترنت وغيره.

كما قام بعض وجهاء هذه القبائل بتقديم عرائض للمسؤولين يطالبونهم باتخاذ موقف من هذه المسألة، وقام بعض طلاب العلم وبعض البا حثين بكتابة ردرد مطولــة في بعض الصحف ومواقع الإنترنت، ولا شك أنه قام أيضًا بعض المغرضــين أعني ممن ليس علــى منهج أهل السنة بالنيــل من الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعند الله تجتمع الخصوم.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بادئ الأمر كعادته مع مخالفيه، لم يعر الأمر اهتماما، ولم يفكر بالانتصار لنفسه أو الشكاية لغير الله.

ولكــن بعد أن تفاقــم الأمر وكثر القيل، رأى بعضــ الغيورين من طلاب العلم من بيوت آل البيت ومن غيرهم السعي لإطفاء الفتنة، وإسكات الغوغاء ببيان يصدره رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوضح فيه رأيه ويفسر كلامه الذي حمل على غير وجهه، وكان مــن أبرزهم الشريف الدكتور حاتم بن عــارف العوني والشريف الشيخ علوي بــن عبدالقادر السقــاف، والشريــف المهندس محمد بن علــي الوشلي الحسني.

ولذلك أصدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوضيح المشهور، ونصه: «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد...

فقد بلغنا أن بعض إخواننا من قبائل أهل البيت ساءهم ما ورد في بعض الفتاوى الصادرة منا، المتعلقة باستحقاق أهل البيت للزكاة، ولدفع الإشكال وإزالة الالتباس نحب التنبيه إلى ما يأتي:

أولًا: أن أهل البيت هم ذرية من أشرف بيت وجد على وجه الأرض حسبًا ونسبًا، ولهم أنساب محفوظة إلى عصرنا الحاضر، ونحن لا نقدح في نسب أحد منهم، حيث تحققوا من صحة النسب وثبوته، والناس مأمونون على أنسابهم، ولا نحل لأحد أن يقدح في نسبهم أو ينال منه.

ثانيًا: أننا نعرف لأهل البيت فضلهم وحقوقهم، التي وردت في الكتاب والسنة، واتفق عليها أهل العلم والإيمان، ومن جمع منهم بين اتباع السنة مع شرف النسب فقد جمع بين فضيلتين، ومن انحرف عن الصراط المستقيم فلن ينفعه نسبه يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ: «**من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**» رواه مسلم، والتفاضل عند الله إنما يكون بالتقوى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثالثًا: نعتذر لكل من ساءته تلك الفتاوى، التي لم نرد بها الإساءة لأحد، ولا نجيز لأحد أن يستغلها في الإثارة والتشكيك، ونحث المسلمين جميعًا على التمسك بالتقوى والحرص على جمع الكلمة والقضاء على مادة الاختلاف وأسبابه.

نسأل الله للجميع التوفيق. والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، قاله وأملاه عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين ١٩/٤/١٤٢٨هـ

ولقد قضى هذا البيان على المشكلة ولم الشمل بحمد الله تعالى.

فتوى المسعى

تعـد فتوى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في جـواز السعي في المسعى الجديد من الفتاوى المهمـة، فقد أطفأت فتنة كادت أن تنشب بين طلاب العلم، وهو أول من صرح مـن العلمـاء المعتبرين بذلـك، وكانت هيئـة كبار العلمـاء قد أشكلـت عليها المسألـة، وحـدث اختلاف كبير بين أعضائها، فخرجت فتـوى الوالد وأزاحت عن الناس عبئًا ثقيلا.

وممـا ورد فيها[1]: «أنه يجوز السعي في المسعى الجديد، ومن سعى فيه لحج أو عمرة، فإنه قد أتى بالركن أو أتى بالواجب الذي أمر الله به وشرعه.

و معلـوم أن الصفـا في الأصل يمتد من جهة الشـرق، وقد رأيته أنا قبل ستـين سنة في أول مرة حججت فيها البيت، وكان ذلك سنة تسع وستين رأيته ممتدًا إلى مكان لا أحدده.

وكذلـك المروة كان عليها مبان، المكان الذي نقف عليه بالمروة خلفه من جهة الشرق بنايات بمكان مرتفع، فيدل على أن المروة كانت مرتفعة.

وذكر أنه تقدم عشرون مسلمًا مواطنًا من الثقات إن شاء الله، الذين لا يتهمون بأنهم خانوا أو كذبوا أو تخيلوا شيئًا ليس بحقيقة.

فالـذي نختاره أنه يسعـى في المسعى الجديد، ولا حرج على من سعى في ذلك، سواء كان في حج أو عمرة».

وقـد ذكر لي الأخ سليمان أن الوالـد التقى قبل البدء في مشروع المسعى ببكر بن لادن، وكان كل منهما لا يعرف الآخر، فلما عرفه بكر سلم عليه وسأله

(١) جريدة الرياض الثلاثاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٩هـ - ١ أبريل ٢٠٠٨م - العدد ١٤٥٢٦.

عـن توسعة المسعى، فأفتـاه بالجواز، ولم يجر بعد ذلك حديـث بينهما، إذ لا علاقة بينهما.

ولا أحب أن أطيل في هذا الموضوع، لأنه مشهور معروف، وليس الحديث فيـه من صلب موضوعنـا، وإنما أردت أن أبين أن فتـوى الوالد رحمه الله قطعت الخلاف أو أزالت الإشكال عند العامة.

ذكـر لي الدكتـور محمد بن عودة السعوي أن معـالي الشيخ عبدالكريم الخضير قال لبعض الصحفيين في مجلة الدعوة لما نشروا كلام بعض العلماء من العالم الإسلامي، وذكروا كلام الوالد معهم: أنتم كمن استدل بآية، ومعها أحاديث موضوعة.

ويذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبد الكريم الخضير عن والده أنه كان يقول: إن شهادة الشيخ ابن جبرين جمعت بين المعاينة البصرية والحجة الشرعية

ورأيـت في موقعـه الإلكـتروني حفظه الله قولـه [1]: «الذّيـن أدركُوا مكان السَّعي قبل أنْ يُعمر، ورأوا المسعى على حقيقته، وأنَّهُ أوسَع من القديم، فهؤُلاء لهم أنْ يُفتُوا، ومعروف كلام الشيخ ابن جبرين -حفظهُ الله- قال بمثل هذا، أنَّـهُ حجّ سنة تسعـة وستّين قبل عمارة المسعى وكان أوسـع من هذا، فلا مانع حينئذ من السَّعي في الجديد».

وقـال الشيخ عبدالعزيـز الحمين رئيـس هيئة الأمر بالمعـروف والنهي عـن المنكر سابقا [2]: «فتواه فيمـا يتعلق بتوسعة المسعى وشهادته رحمه الله، التي حسمت الموضوع وكانت محل ارتياح المسلمين جميعًا».

(١) http://www.khudheir.com/text/1320.

(٢) http://www.alriyadh.com/2009/ 07/ 15/article444783.html



ومع أن هنـاك كثيرًا من طلاب العلم والباحثين حرروا المسألة وتوسعوا فيها، لكن لم أر من تحدث منهم عن فتوى الوالد بشيء يسوء.

نماذج من فتاواه التي انفرد بها رحمه الله أو لها نوع تميز

سفر المرأة في الطائرة دون محرم

ومـن الفتـاوى التي انفرد بهـا رحمه عن كثير مـن معاصريه، وهي من النـوازل المعاصـرة فتـواه في سفر المـرأة دون محرم بالطائـرة، ويشترط أن يوصلها وليها إلى الطائرة، ويستقبلها آخر من أوليائها إذا وصلت.

وكنـت مع إجلالي له، وعدم رغبتي في مراجعته، إلا أني في هذه الفتوى راجعتـه كثيرا، وكنت أفرح بمن يناقشه حولهـا، لعله أن يرجع، ولعلي أعرض هـذه الفتـوى، ثم أعرض بعض ما روجع به حولها، ثـم ألخص ما وصلت إليه بعد مدة طويلة من التأمل والمراجعة.

فقد سئل مرارا عن هذا الموضوع، وأفتى بعدة فتاوى نشرت واحدة منها جريدة المسلمون، ومن أجمع الفتاوى حول الموضوع قوله رحمه الله[1]:

«وردت السنّـة بنهـي المـرأة عـن السفـر دون محـرم، كقولـه ﷺ: **«لا تُسافـر المـرأة مسيـرة ثـلاث ليال إلا مـع ذي محـرم»**[2] وفي رواية: **«مسيرة يومـين»**[3] وفي لفـظ: **«مسيـرة يـوم إلا مـع ذي محـرم»**[4]، ولا شك أن هذا

---

(١) http://ibn-jebreen.com/ftawa.php?view=vmasal&subid=7286&parent=786

(٢) رواه مسلم في باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من كتاب الحج برقم /٣٣٢٤.

(٣) رواه البخاري في باب الصوم يوم النحر من كتاب الصوم برقم /١٩٩٥ ورواه مسلم في باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من كتاب الحج برقم /٣٣٢٦.

(٤) رواه مسلم في باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من كتاب الحج برقم /٣٣٣١.

يـدل على التحريم، وذلك أن السفر يعرضها لركوب الأخطار، وسلوك الطرق البعيدة، التي قد يوجد بها من الفسقة، وقُطاع الطريق من يفجر بها طوعًا، أو كرهًا، وكان السفر ذلك الوقت بواسطة الرواحل من الإبل، والحُمر، والخيل، والسفـن، وكلهـا تستغرق وقتًـا طويلا، مما تبتعـد به عن محارمهـا وأهلها، وتطـول غيبتها، وتقع في أسباب الردى، فـلا جرم ورد النهي عن سفرها، ولو لحـج ونحوه، وورد أيضًـا جواز ذلك للحاجة، فقد أرسـل النبي ﷺ عمرو بن أميـة الضمـري إلى الحبشـة، واستصحـب أم حبيبة بعـد أن عقد النبي ﷺ عليهـا من الحبشة إلى المدينة دون محرم، وكذا زينب بنت النبي ﷺ لما أطلق زوجهـا من الأسر يوم بـدر، واشترط عليه أن يرسلهـا إلى المدينة، فجاء بها بعض الصحابة من مكة إلى المدينة مسيرة عشرة أيام دون محرم للضرورة، ثـم إن بعض العلماء كالمالكيـة أجازوا أن تحج المرأة مع نسـوة ثقات، مع بُعد المسافـة من المغرب وقُرى إفريقيا، الذي قد يستغـرق شهرًا أو أكثر، حيث إن الحـج فريضـة، والسفر بلا محـرم مظنة فعل الفاحشة، والظـن قد يخف أو يزول مع النسوة الثقات، فلا يكون الظن مانعًا للفرض.

أمـا في هذه الأزمنة فقد تقاربت البـلاد، ووجدت وسائل النقل المريحة التي تقطع المسافات في زمن قريب، فالذي أراه جواز سفر المرأة في الطائرة، لمـدة نصف يـوم أو ثلثيه، بحيـث يوصلها المحـرم الأول إلى المطـار، ويتصل بالمحرم الثاني ليستقبلها في البلد الثاني، ولا خلوة في الطائرة، والمرأة كسائر الراكبـات، وليس هناك مجـال للخوف عليها، والاحتمـالات التي تقدر نادرة الوجـود، والأصـل السلامـة، وهذا يعم السفـر للحج وغيره، وهـذا ما ترجح عندي رفقًا بالمسلمين، وأستغفر الله من الخطأ والزلل، والله أعلم».

ومن أشهر من راجعه في هـذه الفتوى شيخه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى، فقد نشرت للوالد جريدة المسلمون الفتوى المرفقة، فبلغت شيخه رحمه الله، فكتب له الكتاب المرفق يراجعه في الفتوى، وكانت الصحيفة قد عممت الفتوى، فأدخلت السفر بالبواخر والحافلات مما ساء الشيخ الوالد رحمه الله، حيث إنه يرى جـوازه بالطائرة فقط، فكتب للجريدة ونشرت تعقيبه، ثم كتب لشيخه يبين وجة نظره ومسوغات رأيه.

وقد راجعه بعض المشايخ وطلاب العلم، ونشر بعضهم بحوثا يطول المقام عن ذكرها، وكنت ممن أكثر مراجعته في ذلك، وعرضت عليه الأخطار المحتملة، فكان يجيبني عنها ولما أكثرت عليه، قال لي رحمه الله: أليس المحرم يموت؟، أليست تذهب إلى السوق وإلى المستشفى بالساعات وحدها، وذكر نحو ذلك رحمه الله، حتى انشرح صدري لصحة رأيه.

وهو رحمه الله قد انطلق من منطلق تأصيلي في نظرته للسفر، فهو يرى أن ما يكون أقل من يوم وليلة لايسمى سفرا، ولو قطعت فيه المسافات الطويلة، فلا يبيح فيه جمعا ولا قصرا ولا فطرا لأجل السفر، ورأيه في ذلك مشهور رحمه الله، وقد بنى عليه هذا الموضوع أيضًا.



يجيب عن أسئلة هذا العدد الشيخ عبد الله الجبرين عضو الإفتاء بالسعودية

وسائل النقل الحديثة قللت خطورة سفر المرأة بدون محرم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام للمملكة

الرقم: ٢٦٧/خ
التاريخ: ٩/٢/١٤١٧هـ
المشفوعات: صورة من جريدة المسلمون
الموضوع:

خاص

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين عضو الإفتاء وفقه الله لما فيه رضاه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأشفع لفضيلتكم قصاصة من صحيفة المسلمون الصادرة في ٢٨/١/١٤١٧هـ حول سفر المرأة بدون محرم. وقد درستها مع اللجنة الدائمة ورأينا جميعاً الكتابة إلى فضيلتكم في ذلك ناصحين لفضيلتكم بالرجوع عن الفتوى المذكورة لكونها مخالفة للأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم سفر المرأة بغير محرم مطلقاً ولما في سفرها بدون محرم من الأخطار الكثيرة ولو كان هناك من يتلقاها في البلد الذي تتوجه إليه الطائرة لأنه قد يتأخر أو يعوقه عائق ولأن الطائرة قد ترجع لأسباب وقد تنزل في مطار آخر لأسباب ولا يخفى على مثلكم الخطر العظيم على المرأة التي ليس معها محرم في جميع أنواع السفر فأرجو إعادة النظر في الموضوع والرجوع عن الفتوى السابقة تمشياً مع السنة المطهرة واحتياطاً للإسلام وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» سدد الله خطاكم وجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين ومنحكم التوفيق إنه جواد كريم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المفتي العام

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم :
التاريخ : ١٤١٧/٧/١٤هـ
المشفوعات :

الموضوع : ......

سماحة شيخنا ووالدنا المفتي العام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تلقيت خطابكم الكريم برقم ٤٦٧/خ في ١٤١٧/٢/٢٨هـ ومعه قصاصة من جريدة المسلمون الصادرة في ١٤١٧/١/٢٣هـ حول الفتيا التي نسبتها الجريدة في سفر المرأة بدون محرم و[illegible] من التوسع والتساهل في سفر المرأة حيث لا أتذكر أني أفتيت بسفرها في [illegible] إلا في الطائرات [illegible] وقد اشترطت شدة الحاجة في سفر الطائرة وقصر المسافة. ولقد طلبت من الإدارة [illegible] على أصل الفتوى التي كتبتها لهم وطال انتظاري [illegible] بدون الإجابة مما يفهم منه أنهم [illegible] منها وقد ألزمتهم بنشرة أخرى تقييد تلك الفتيا وإليكم صورة ما نشر في [illegible] الجريدة عدد ٦١٦ في ١٤١٧/٧/١١هـ [illegible] التقييد بالضرورة لما روي أن عمر رضي الله عنه رد نساء [illegible] [illegible] من الحبشة إلى المدينة مع عمرو بن أمية الضمري [illegible] عليه وسلم من مكة إلى المدينة [illegible] المدة التي تقضيها [illegible] [illegible] يستقبلها هناك ولعدم الخلوة [illegible] ما يحذر [illegible] [illegible] [illegible] الشيخ أبو بكر الجزائري التي [illegible] نادرة الوقوع والنادر لا حكم له ولأنه [illegible] من النساء [illegible] المدول [illegible] الأمر [illegible] على هذه الملاحظة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

ابنكم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين
عضو الإفتاء

[illegible]



بدء تسويقها في الكويت

صناديق بريد «صوتية»!

الندوة العالمية وتفعيل العمل الإسلامي

دراسة فرنسية تتساءل.. أين

التسبيح بأصابع اليدين

ومن فتاواه التي انفرد بها رَحِمَهُ اللهُ عن كثير من معاصريه رأيه بأن التسبيح عقب الصلوات المكتوبة أو غيره من الأذكار يكون بأصابع اليدين العشرة، وليس باليمنى فقط.

يقول رَحِمَهُ اللهُ[1]: «السنة عقد التسبيح والأذكار بأصابع اليدين كلتيهما، والدليل حديث يسيرة ﷺ، وفيه: «واعقدن بالأنامل، فإنهن مسؤولات مستنطقات»[2].

والأنامل أصابع اليدين كلتيهما، وهي التي يمكن العقد بها، أخبر بأنها تنطق، أي: تشهد بما عمل بها، فشهادة الأصابع كلها أولى من شهادة بعضها.

---

(١) ينظر الفتوى رقم (١٢٦٢٤)، على موقع الشيخ الرسمي على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

(٢) هو في مسند أحمد برقم / ٢٧٠٨٩، وأخرجه الترمذي في أبواب الدعوات برقم /٣٥٨٣، كما أخرجه أبو داود في باب التسبيح بالحصى من كتاب الدعوات برقم /١٥٠١

فأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فأكثر الرواة يقولون: «رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيده»[1]، واليد اسم جنس يعم اليمين والشمال، وتطلق على اليدين، لقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، مع قوله ﷺ: «والخير بيديك»[2]، ثم رواه بعضهم بلفظ: «يعقد التسبيح بيديه»[3]، ورواه بعضهم بلفظ: «يعقد التسبيح بأصابعه»[4]، وهو يعم أصابع اليدين كلتيهما[5]، وتفرد أحدهم وهو محمد بن قدامة فقال: « بيمينه»، والحديث رواه أيضًا الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى، وابن ماجه، والحميدي، والبخاري في الأدب المفرد، وابن أبي شيبة، وابن السني، وابن حبان، والحاكم، والبغوي في شرح السنة، وكلهم قالوا: «يعدهن بيده» أو نحوها وقد بين أن تعليل الألباني رحمه الله تعالى النهي عن العد بالشمال بأنها آلة الاستنجاء، فينزه الذكر عن استعمالها غير سديد، لأن العد ليس هو الذكر الذي هو النطق باللسان، وإنما العد بالأصابع أو بآلة العد لأجل معرفة العدد المطلوب، وإن اليد اليسرى تستعمل في العبادة، فيرفع يديه عند التكبير، ويعتمد عليهما معًا في الركوع، ويسجد عليهما، وقد يعتمد عليهما عند القيام، ويرفعهما سواء في الدعاء، ولا يقتصر في ذلك على اليمنى ثم ساق أدلته على مايراه رحمه الله، وبين أن هذا عمل المسلمين علمائهم وعوامهم، فلم يزالوا يستعملون في العد أصابع اليدين، وتلقاه الخلف عن السلف، وتتابعوا على ذلك من غير نكير، ولاشك أنه قد تلقاه

---

(١) أخرجه الترمذي في باب ماجاء في عقد التسبيح باليد من أبواب الدعوات برقم /٣٤٨٦.

(٢) رواه مسلم في باب التلبية وصفتها ووقتها من كتاب الحج برقم /١١٨٤.

(٣) لم أجده.

(٤) رواه عبدالرزاق في المصنف في باب التسبيح والقول وراء الصلاة من كتاب الصلاة برقم /٣١٨٩.

(٥) للوالد رحمه الله فتاوى عديدة في ذلك منها: فتوى بتاريخ١٤١٨/٣/١٤ هـوتاريخ ١٤١٨/٨/٢٠هـ وهما دون ترقيم، وقد أصدر رحمه الله بيانا مفصلا حول المسألة بتاريخ ١٤٢٥/١٠/١٢هـ.

الآبـاء عـن الأجداد، والعامة عـن العلماء، وعمل الأمة طوال هـذه القرون يعد إجماعًـا، وهـو حجة قاطعة، حيث لم يذكـروا في مؤلفاتهم في كل مذهب ما هو صريح في منع استعمال اليد اليسرى.

والمقصـود الإشارة للمسألة، وليسـ تحقيق القول فيها، وممن كان يرى مثل رأي الوالد الشيخ بكر أبو زيد رحمهما الله، فقد نصر التسبيح باليدين، وأطال في ذلك في كتابه لاجديد في أحكام الصلاة[1].

منع قرن التكبيرتين في الأذان

ومن آرائه التي ينبه عليها كثيرا، تنبيهه المؤذنين الذين يقرنون التكبير، فيجعلون كل تكبيرتين في نفس واحد[2]، فكان يقول لهم: إن هذا ليس بمشروع، بل إنه يجعل ألفاظ الأذان تنقص، فبدلا من أن تكون خمس عشرة تكون ثلاث عشـرة، ويذكر أحد الإخوة أنه من الأشياء العجيبة التي رآها في زيارة الوالد رحمه الله إلى مدينة حائل[3] أن الشيخ عندما سمع مؤذن جامع خادم الحرمين، وكان صوتـه جميلا جدًا بـالأذان، على نمط أذان الحرمـين الشريفين، وهي دمج التكبيرتين بنفس واحد، لاحظ الشيخ هذه الملاحظة عليه، وقال الشيخ: إن المؤذنـين يخطئـون في هذه الطريقـة، ولابد من فصـل كل تكبيرة وحدها في الأذان، وأن مـن يعمل ذلك استدل بحديـث «فيقول الله أكبر الله أكبر ثم يقـول الله أكبر الله أكبر» وقال الشيـخ: ليس في ذلك دليل على أن التكبيرتين تدمجـان مع بعض، وأكثر الأحاديث على الفصـل.. ثم رأيت المؤذن بعد ذلك جزاه الله خيرًا يفصل التكبيرات، وعوضه الله بأن أصبح صوته أندى.

---

(١) لا جديد في أحكام الصلاة ص٣٧-٤٥.

(٢) انظر الفتوى رقم ١٩٤٤.

(٣) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

صيام الست من شوال في ذي القعدة للنفساء

يرى رَحِمَهُ اللَّهُ أن النفساء التي أفطرت جميع رمضان إذا بدأت بالقضاء بعد رمضان مباشرة ثم صامت شهرًا كاملًا وأرادت أن تصوم الست وقد دخل عليها شهـر ذو العقدة، أنها تصوم الست في ذي القعـدة[1] وأنها داخلة في قوله ﷺ: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال، فكأنما صام الدهر كله»[2].

يقول الأخ عبدالله الحوطي: وقد راجعه الشيخ عبد الله الركبان حَفِظَهُ اللَّهُ، ولكـن الشيخ أصرّ على رأيه وأقنعه بأن هذا هو ظاهر الحديث، وأنها أفطرت بعـذر شرعي، فلما انتهى العذر أرادت الصوم فهو بالنسبة لها رمضان، فإذا انتهت أتبعته بستة أيام، فتعد من شوال، وتحصل على الأجر المترتب على هذا العمل الوارد في الحديث.

عملية زراعة الوجه

كانـت الفتاوى تأتيه رَحِمَهُ اللَّهُ مـن كل مكان وبالذات في النوازل الجديدة، ومنهـا أنـه ورد سـؤال من أمريـكا حول إجـراء أول عملية لزراعـة الوجه في الولايـات المتحـدة الأمريكية[3]، حيـث تم استبدال نحو ٨٠٪ مـن وجه امرأة بوجه متبرعة متوفاة، و هذه العلمية تعد الرابعة من نوعها في العالم.

وكان جوابه رَحِمَهُ اللَّهُ وافيا، فبين أن الأصل بالنسبة إلى الأشخاص الذين خلقهم الله، وولدوا على الخلق الطبيعي، أنه لا يجوز العبث في أعضائهم، فإن

---

(١) انظر الفتوى رقم ٨٧٥٢.

(٢) أخرجه مسلم في باب باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان من كتاب الصيام رقم ٢٨١٥.

(٣) انظر الفتوى رقم ١٧٧١٩.

ذلــك داخل في تغيير خلق الله، الذي هو مــن وساوس الشيطان، كما ذكر الله عنه أنه قال: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[النساء: ١١٩]. وهكذا قول النبي ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمـات، والنامصـات والمتنمصـات، والواشرات والمستوشـرات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»[1]، وأن الإنسان يرضى بما خلقه الله عليه.

وأمـا إذا حـدث اعتـداء على الإنسـان، وحصــل تشوه في وجهــه أو في شــيء من بدنــه، فلا مانع من علاج ذلــك، فقد ثبت أن رجــلًا من الصحابة اسمه«عرفجة» قطع أنفه في وقعة يوم الكلاب، فرخص له النبي ﷺ أن يركب أنفًــا من ذهب، ليتم به الجمــال، إذا وجد من يتبرع له بشيء من بشرته جاز ذلك دون تضرر للمتبرع ونحو ذلك.

أكل اللحوم المستوردة

ومــن الفتاوى التي لم تتغير طول حياته، رأيــه في أكل اللحوم المستوردة من بــلاد النصارى[2] فإنه يرى أنه لا يجوز أكلها لقوة الشك في إباحتها، لأن الذبح عندهم يُخالف غالبًا الذبح الشرعي، فلا يذبحون الحيوانات بالسكين الحادة، ولا يذكرون اسم الله عند الذبح، فقد يذبحونها بالصعق الكهربائي، وقد يُعلقون الطيور في أشرطة حديد، فتمر وهي حية بماء يغلي، فتنغمس فيه لكي ينسلخ جلدها، وتخرج وقد ماتت، ثم يُقطع رأسها بعد ذلك.

---

(١) هذا الحديث أصله في مسلم في باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله من كتاب اللباس والزينة برقم / ٥٦٩٥.

(٢) انظر الفتوى رقم ٢٩٠٨ .

حكم النشيد والتمثيل الهادف

من فتاواه التي خالف بها بعض المشايخ رأيه فيما يسمى بالنشيد الإسلامي، وفي التمثيليات الهادفة التي يمثلها الطلاب في نشاطاتهم، يقول في ذلك رحمه الله[1]: «يجوز الإنشاد إذا كانت تلك القصائد دينية إسلامية، ولا بأس بسماعها إذا كان فيها شيء من الحماس، الذي يبعث الهمم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، ولكن لا يكون إلقاؤها كإلقاء الغناء، الذي فيه تغنج وتلحين ودفع لفعل الفواحش والمنكرات، كما يجوز التمثيل إذا كان هادفًا يستفيد منه الحاضرون، ويتصورون ذلك المثال، مما يكون له وقع في النفوس وتأثير في الحياة، مع أن الحاضرين يعلمون أنه ليس حقيقيًّا، وإنما قُصد منه تقريب المعاني، ففي ذلك فائدة محسوسة، وأما إذا كان القصد منه التلهي والضحك وشغل الوقت في غير فائدة فنرى عدم الاستعمال له».

فتوى لطيفة

من الفتاوى اللطيفة[2]، أن امرأة أرسلت له سؤالا عمن جامع قبل الاغتسال من الحيض مباشرة، ثم أوقع الطلاق بعد الاغتسال.

وكانت قد صاغت السؤال بما يشبه الشعر، أو هو أقرب للسجع منه للشعر، قالت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسمت لأسألن الشيخ «ابن جبرين»

عن تفسير آي من رب العالمين

(١) الفتوى رقم(٨٥٤).

(٢) الفتوى رقم(١٢٦٥٣).

بأول سورة الطـــــــلاق

هـل كـان فـيها مـن مختلفيـــــن!

أن يــقع طــلاق بحائــض

أو من كانت بزوجـها مــن المجتمعـــين!

فأفتنــا يــا شيخـنا فإنــــي

قــد جـبت الأرض مـع الحـيرانـــين

و ناديت زوجـــي مــــرارا

أن يمسكني لأحيض ثم لأكون من الطاهرين

فـإن شـاء أمسكنـــي بجنبـــه

أو يطلقــني دون مساس إن كان من الكارهـين

فأوصانــي ألا أتأسى بحديث ابن عمر

لأن الأئمة فـي تفسيره مــن المختلفيـــــن

وكيف لي بهذا؟! و قد طال حديث ابن الجوزي عنه

و رواه خمس عشــرة من الأئمة المشهوريــن

ووضع أعلام الأئمة قاعدة فقهية

أن الشك ليـس لـه شـأن بزوال اليقيـــن

و عندمــا جادلــت زوجـــي

أبـــى إلا كـلام» ابـــن جبـــريـــــن»

فأجبنا يا شيخنا و تحرى الصواب

سألت اللـــه أن يجمعنــا في عليـيـــن

- فأجابها رَحِمَهُ اللهُ على منوال سؤالها فقال في الجواب:

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد...فإن الله أباح الطلاق بين المختلفين
للتخلص من الاجتماع الذي يدنس ويشين
فجعل فيه خلاصًا عندما يكون لزوجته من الكارهين
فإذا أوقع الطلاق بها وكان من المتعمدين
ولم يكن في زوجته من الراغبين
فإن هذا الطلاق يقع بها وتبين
ولو كانت حائضًا أو كانت لزوجها من المجامعين
وهذا الطلاق من البدع في الدين
ولكن يعاقب فيقع به عند الأئمة المشهورين
فإن كان طلقة واحدة فلعله يكون من المتراجعين
وإن كان ثلاثًا فإنها منه تنفصل وتبين
ولا تحل له حتى تنكح زوجًا من الراغبين
ثم تطلق منه ويباح بعده كونهما من المجتمعين
وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين

وماذا عن التأليف؟

التأليف أحد الأوعية المهمة التي يحفظ بها العلماء علمهم، ولقد ترك العلماء المسلمون تراثا ضخما شاهدا على بذلهم للعلم وحرصهم على تبليغه، ولا شك أن تلاميذ العلماء كان لهم جهد أيضًا في حفظ علم شيوخهم، فليس كل عالم يوهب ملكة التأليف أو يتفرغ لها، بل كان بعض العلماء مشغولا بمهمات أخرى كالقضاء والإفتاء والتدريس، ربما رأى أهميتها من مثله للناس، فقدمها على التصنيف، فكان تلاميذه يقيدون علمه من دروسه وأماليه، كما فعل أبناء الإمام أحمد وتلاميذه.

ولقد كان الشيخ الوالد رحمه الله من هذا الصنف فمع ما وهبه الله من ملكة في التأليف إلا أن عطاءه في التدريس والإفتاء كان هو الأغلب، فلذا قلت المؤلفات التي كتبها، فقام عدد من طلابه وغيرهم بتفريغ بعض دروسه ومحاضراته وطبعها في كتب كان لها القبول والتأثير.

وسنعرض هنا لأبرز المعالم عنده في ميدان الكتب والمؤلفات تصنيفا وتحقيقا وتصحيحا وتعليقا، مما انفرد به أو شارك فيه غيره، مما كتبه هو أو حرره تلاميذه وغيرهم، وسنبدأ ببداية الكتابة والتأليف عنده رحمه الله وتسلسل ذلك، ثم نشير إلى منهجه في التأليف والتصنيف، ثم نشير إشارة لجهود تلاميذه في إخراج علمه ونشر كتبه.

بداية الكتابة والتأليف وقصة رحلة الشمال

إن أول مستند مكتوب بين أيدينا للشيخ الوالد رحمه الله هو رحلة الشمال، فقد ذكرنا أنه رافق شيخه أبو حبيب في رحلة دعوية إلى شمال المملكة استغرقت أربعة أشهر، وكان الشيخ الوالد أحد الدعاة في هذه الرحلة، يشارك في الوعظ والتعليم، ويقرأ على شيخه في أوقات الراحة، ومن لطيف ما صنعه أنه كان يكتب يومياته في هذه الرحلة ويسجلها بدقة متناهية، يذكر البلاد وسكانها وأمراءها وقضاتها ووجهاءها، ويذكر الأحداث والوقائع، ويصف وصفا دقيقا كل ما يراه في يومه وليلته، وجاءت أوصافه على سجيته صاغها بأسلوب سردي أثر في صياغتها تكوينه العلمي وبيئته الدينية، وكان الشمال إذا ذاك ينتشر فيه الجهل وتكثر فيه المنكرات، فكان هذا مثيرا للوالد رحمه الله وهو الذي قد نشأ في بيئة دينية ووسط محافظ تنتشر فيه السنة، ولا يتجرأ أهل المنكرات على إظهارها، ولهذا تلحظ في بعض عبارته الحدة، ويظهر

فيها الامتعاض والأسف والأسى على الواقع الذي يعيشه القوم هناك، ويسجل ملحوظاته وتعليقاته على الأشخاص مما جعل هذه اليوميات يصعب نشرها كما هي، بسبب أنه كان يكتب لنفسه لا لغيره، وقد جاءت هذه المذكرات في خمسة دفاتر، كان يسميها الأعداد حيث يسجل في أول كل دفتر رقم عدده، وقد احتفظ بها مع كتبه وأوراقه، لكن المطر في إحدى السنوات أصاب كثيرا منها، حينما كان يسكن رَحِمَهُ اللَّهُ في أحد البيوت الطينية في الرياض، فوكف السقف وخر الماء عليها وعلى غيرها، مما جعل حبر بعض أوراقها يذهب أو يخف، ولقد أحزن هذا الأمر الوالد لأنها كانت عنده نفيسة، ولم يشتغل بإصلاحها إلا في آخر حياته، حينما عرض عليه الدكتور محمد الشثري طباعتها، فحاول إصلاح بعضها، وكان - كما هو معروف - قد أنعم الله عليه بذاكرة عجيبة، فكان يذكر أحداث الرحلة كأنما هي اليوم أو أمس، فاستدرك مواضع مما طلبه منه الدكتور الشثري، ثم طبع الدكتور مختصرا لها سماه العذب الزلال في اختصار رحلة الشمال، وكان الدافع للاختصار حذف ما قد يسبب حساسية مما يمس الأشخاص أو القبائل، وحذف التكرار والزيادات التي لا حاجة لها، وقد رأيت أن الاختصار قد أفقدها روحها وطعمها، فعرضت على الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ النظر فيها لإعادة طبعها كما هي، لأنها تحكي مرحلة من مراحل التاريخ التي مرت بها بلادنا حماها الله، ولا شك أن منطقة الشمال تغيرت الآن، وانتشر فيها الوعي والعلم، وصار بعض أبنائها أعلاما في العلوم الدينية والدنيوية، ولا يضير أن يكتب التاريخ عن مرحلة مرت بها البلاد، فهذا مما لايقدح فيها ولا في أهلها، فإن أهل نجد عاشوا في مدة من الزمن حياة جهل وظلام قبل مجيء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل كانوا يعبدون

الأحجار والأشجار كما هو معروف، بل إن العرب قبل مجيء النبي ﷺ كانوا في جاهلية جهلاء وظلمة عمياء، ثم أصبحوا أعلام الدنا ومصابيح الدجى.

طبعنا هذه الرحلة كاملة، وقرأها الوالد رحمه الله كلها وصححها وكملها، وكتب لها مقدمة، حيث لم يذكر في الدفاتر مقدمات الرحلة، ولعل الله أن ييسر طبعها عما قليل، وسنحاول عدم ذكر ما يجرح أو يشين شخصا بعينه.

وتعد هذه الرحلة من مثله في عصره من الغرائب يقول الشيخ خضر بن صالح بن سند[1]: «ومن العجائب أنه سجل يوميات رحلته مع شيخه أبو حبيب لزيارة قرى وهجر شمال المملكة في عام (١٣٨٠)، وطبعت هذه الرحلة بعد خمسين سنة، وفن الرحلات لم يكن من الفنون التي يدونها بالتفصيل علماء نجد آنذاك، وهي رحلة ماتعة يذكر فيها معاناة الصحراء، وصفة البدو والقبائل، ويذكر فيها الفوائد العلمية والنفيسة التي مرت بهم في الرحلة».

التعليقات على متن اللمعة

في عام ١٣٩١هـ قام رحمه الله بتدريس متن لمعة الاعتقاد لابن قدامة لطلاب معهد إمام الدعوة العلمي، وكتب عليها أسئلة وأجوبة مختصرة تتلاءم مع مقدرة أولئك الطلاب في المرحلة المتوسطة، وبقي هذا الكتاب حبيس الأدراج، حتى اقترح بعض طلاب العلم القيام بطبعها، فطبعت بعنوان (التعليقات على متن لمعة الاعتقاد) في عام ١٤١٢هـ، وحيث إن ابن قدامة في اللمعة وقع منه ألفاظ في بعض المواضع فهمت على غير وجهها حول موضوع التفويض في معاني الصفات، فقد وقع في هذه النسخة أخطاء حيث تابع الوالد رحمه الله ظاهر المتن والأدلة، وبعد الطباعة انتبه لذلك فأعيد طبعها، واستدرك ذلك[2].

---

(١) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729.

(٢) سيرة الشيخ في موقعه رحمه الله.

أخبار الآحاد

في عام ١٣٩٠هـ أنهى الوالد رحمه الله مرحلة الماجستير، وحيث يكلف كل طالب أن يكتب رسالة، كتب الوالد رحمه الله رسالة بعنوان (أخبار الآحاد في الحديث النبوي) وأشرف عليها الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله وناقشها كل من: الشيخ مناع القطان والشيخ حسنين مخلوف، ومنح الماجستير بتقدير امتياز، وقد طبع هذا البحث في عام ١٤٠٨هـ في مطابع دار طيبة ثم أعيد طبعه مرارا، وهو موجود مشهور.

التدخين مادته وحكمه في الإسلام

هذه هي التجربة الرابعة التي بين أيدينا مما كتبه الوالد رحمه الله، فقد رشح للمشاركة في مؤتمر في الجامعة الإسلامية في عام ١٣٩٨هـ يتعلق بمشكلة المسكرات والمخدرات، فشارك ببحث بعنوان (التدخين مادته وحكمه في الإسلام)، وهو بحث متوسط، وفيه فوائد وأحكام نفيسة، وقد أعجب به المشايخ المشاركون، وقد طبعته مطابع دار طيبة، ثم أعيد طبعه عدة طبعات، وهو مشهور متداول وإن كان مختصرا، لكن حصل به فائدة كبيرة، حيث جمع في الدخان ملخصا لما قاله علماء الشريعة وعلماء الطب والصحة.

تحقيق شرح الزركشي على مختصر الخرقي

رغب الشيخ محمد بن عبد الله الجميح بإشارة بعض المشايخ في طباعة كتاب نفيس للحنابلة هو شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ويعد من كتب المذهب المهمة، التي اهتمت بجمع الروايات عن الإمام أحمد وكلام الأصحاب، وقد أشار الشيخ محمد بن الأمير بتكليف الوالد رحمه الله

بالعمل في الكتاب، وحينما عرض عليه أبدى موافقته، فبدأ في حوالي سنة ١٤٠٠هـ فجمع مخطوطات الكتاب التي قاربت الخمس، وكان يكمل بعضها بعضا لوجود نقص في كثير منها، وبدأ مقابلة المخطوطات مع بعض تلاميذه، ومكث في ذلك قريبا من العام، ثم شرع في تحقيق الكتاب، وقد لقي فيه صعوبة لسعة الكتاب وكثرة نقوله وندرة الكتب التي نقل عنها، وعدم بعض المراجع للأحاديث التي يستشهد بها، معتمدا على كتب الفقهاء، التي لا تعزو الأحاديث إلى مخرجها، فيحتاج إلى بحث في كتب الفهارس والتخريج، التي تذكر المشهور من الأدلة دون النادر منها، ولكن الله أعانه على كثير منها، وحصل منه توقف في بعضها الذي فقدت أصوله كأول سنن سعيد بن منصور وكسنن الأثرم ومسند إسحاق ونحو ذلك، ولو وجد من ينقلها لكن مع قصور واختصار.

وقد اعتنى في هذا الشرح بتخريج الأحاديث والآثار الكثيرة التي يوردها الشارح وقام بترقيمها، فبلغ عددها كما في آخر المجلد السابع ٣٩٣٦ وإن كان فيه تكرار قليل وقد بذل جهدا في هذا التخريج بمراجعة الأمهات وكتب الأسانيد التي تيسر له الرجوع إليها، وكان يذكر موضع الحديث من الكتاب برقمه أو بالجزء والصفحة، ويذكر اختلاف لفظ الحديث إن كان مغايرا لما ذكره الشارح، ويذكر من صحح الحديث أو ضعفه من المتقدمين: كالترمذي والحاكم والذهبي وابن حجر والهيثمي، إلا إن كان في أحد الصحيحين للثقة بهما.

وقد تقدم ببعضه بإشارة بعض المشايخ لنيل درجة الدكتوراه في عام ١٤٠٧هـ كما ذكرنا فمنحها، ثم أكمل تحقيق باقيه، وطبعه الجميع ووزعه على طلبة العلم، فنفع الله به كثيرا، لما فيه من العناية بالفقه والحديث، ثم طبع بعد ذلك مرتين أو ثلاثا.

وممن أعجب به الشيخ الدكتور بكر أبو زيد، الذي اقترح إفراد الأحاديث مـع تخريجها في كتاب مستقل، وكذا غيره مـن العلماء وطلاب العلم والأدباء ونحوهم[1].

الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق

في عـام ١٤٠٢هـ رفـع إليـه رحمه الله كلام لبعض علماء مصـر ينكر فيه إثبـات الصفـات، ويرد الأدلة ويتوهـم أنها توقع في التشبيـه، وكذا يميل إلى الشـرك بالقبور ويمـدح الصوفية، وقد لخص كلامه بعضـ الإخوان في أربع صفحـات وأرسلهـا لمناقشتها، فكتب عليه جوابا وافيـا، وتتبع شبهاته وبين ما وقـع فيه من الأخطـاء، بعبارة واضحـة ومناقشة هادئة، وطبـع ذلك البحث في العـدد التاسع من مجلة البحوث الإسلاميـة التي تصدرها دار الإفتاء، ثم أفـرده بعض طلابه بالطبع في رسالة مستقلة بعنوان (الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق)، ثم طبع مرة أخرى، وهو موجود متداول.

الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما

في عـام ١٤٠٦هـ كتب بحثا لطيفـا يتعلق بمعنى الشهادتين وما تستلزمه كل منهمـا، وطبـع في العدد السابع عشـر من مجلة البحـوث الإسلامية التي تصدرهـا إدارة الإفتاء، ثم أفرده بعض تلاميـذه بالطبع بعنوان (الشهادتان معناهمـا وما تستلزمه كل منهما) وطبع في عام ١٤١٠هـ في مطابع دار طيبة، ثم طبع بعدها وترجم إلى عدة لغات.

---

(١) راجع سيرة الوالد رحمه الله في موقعه الإلكتروني.

جمل رفيعة حول كمال الشريعة

لما أراد القائمون على موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم طباعتها، طلبوا منه رحمه الله مقدمة تتوج بها الموسوعة، فكتب مقدمة ضافية في عدة صفحات حول كمال الشريعة الإسلامية، وقد رأى بعض تلاميذه إفرادها لنفاستها، فأفردت في رسالة صغيرة.

وهناك كتب أخرى كتبها في مناسبات مختلفة بعضها بحوث لمجلة البحوث الإسلامية التي تصدر عن إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ومنها:

١- الرأي السديد إذا وافق يوم الجمعة العيد.

٢- تربية الأجيال وتنشئة الأطفال.

٣- بحث في التوحيد.

٤- الحسد.

بحوث لم تطبع في حياته رحمه الله

كتب رحمه الله بحوثا أخرى قصيرة لم يتح المجال لطبعها في حياته رحمه الله، وهما بحثان:

بحث عن حياة الشيخ ابن باز رحمه الله وجهوده شارك به في مؤتمر باسم: «ندوة الشيخ ابن باز وجهوده في العمل للإسلام والدعوة إلى الله» المقامة في جامعة الملك خالد في أبها من ١٨-١٤٢١/٨/٢٠هـ.

بحث حول الفتوى وضوابطها، شارك به في مؤتمر «الفتوى وضوابطها»، الذي نظمه المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في العشرين من محرم ١٤٣٠هـ في مكة المكرمة.

رسالة بعنوان أحكام القسم بين الزوجات.

فهذه أبرز المصنفات التي كتبها رحمه الله تعالى

كتب الشيخ الأخرى رحمه الله

تعد الكتب التي صنفها رحمه الله استقلالا قليلة بالنظر إلى عدد العناوين التي طبعت له رحمه الله، فقد جاوز المطبوع له مائة وخمسين كتابا، قام على إعداد معظمها للنشر والطباعة تلاميذه وبعض طلاب العلم الحريصين على نشر علمه، وهذه الكتب يمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات: شروح الكتب المفرغة من الدروس، والمحاضرات المفرغة، والفتاوى، والكتب المختارة من دروسه ومحاضراته ولنبدأ في إعطاء لمحة عنها.

شروح الكتب المفرغة من الدروس

عرفنا أن الوالد رحمه الله كان من المكثرين من الدروس العلمية بشكل لم يعرف له نظير في العصر الحاضر، حتى إنه يجلس للطلاب حوالي أربعين ساعة في الأسبوع، ولقد سجل له الكثير من الدروس كما عرفنا ذلك من قبل، وكان درسه مليئا بالفوائد الفرائد واللطائف والمعارف، يبنيه على التأصيل، ويقيمه على الدليل، ويوشحه بالمنهاج الأصيل، ويحليه بالأدب والمنطق الجميل، ولهذا كثر طلابه وتنافسوا في القراءة عليه.

كانت هذه الدروس وبخاصة في سنواته الأخيرة تسجل، فاحتسب عدد من طلاب العلم من تلاميذه وغيرهم ففرغوا بعضها وقابلوه وراجعوه، ثم عرضوه على الوالد رحمه الله فراجعه أيضا، وكمل ما يحتاج إلى تكميل مما نقص، أو لم يكن واضحا فطبع له العديد من الكتب، ومن أبرزها:

١- الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد.

٢- إبهاج المؤمنين بشرح منهج السالكين (مجلدان).

٣- التعليقات الزكية شرح العقيدة الواسطية (مجلدان).

٤- الدرر المبتكرات في شرح أخصر المختصرات (أربعة مجلدات).

٥- السبك الفريد في شرح كتاب التوحيد (مجلدان).

وهناك غيرها لكنا أردنا التمثيل، وسنرفق في ملحقات هذه السيرة قائمة بكل كتبه رحمه الله، وقد توفي رحمه الله وعدد من تلاميذه يعمل على بعض كتبه نشر بعضها، والبقية في الطريق، ومنها شرح العقيدة الطحاوية (طبع في خمسة مجلدات)، وشرح زاد المستقنع، وشرح بلوغ المرام، وشرح عمدة الأحكام، وغيرها.

المحاضرات المفرغة

لقد عرف رحمه الله بالسماحة والسهولة، ولهذا كان يرتب له طلابه ومحبوه محاضرات في مساجد في داخل الرياض وفي خارجها في مواضيع متعددة، ويتم تسجيلها، وقد بلغ ما وجدنا منها أكثر من أربعمائة محاضرة، ثم إن بعض طلاب العلم اهتم بنسخ بعضها وإعداده للطبع، وكان من أول ما طبع له



رسالتان الأولى بعنوان (الإسلام بين الإفراط والتفريط) في ٥٩ صفحة، والثانية بعنوان (طلب العلم وفضل العلماء) في ٥١ صفحة، وكلاهما طبع عام ١٤١٣هـ.

وفي عام ١٤١٩هـ ألقى محاضرة قيمة بعنوان: عمارة المساجد فضلها وأحكامها، في جامع جامعة الملك سعود فطلب منه وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الإذن لهم بطبعها فراجعها ورتبها ثم أرسلها لهم.

ثم بعد ذلك تتابع طبع هذه المحاضرات في كتيبات صغيرة، ومنها:

١- السحر، حقيقته وطرق الوقاية منه.

٢- فتن هذا الزمان وكيفية مقاومتها.

٣- فضل الصحابة وذم من عاداهم.

٤- الآداب والأخلاق الشرعية.

٥- الكسب الحلال أهميته وآثاره.

وهناك غيرها لكنا - كما ذكرنا - أردنا التمثيل، وسنرفق قائمة بكل كتبه رحمه الله.

الفتاوى

كان رحمه الله كما عرفنا فاتحا قلبه وبيته وصدره للمستفتين والسائلين، وكانت الفتاوى تأتيه من كل صوب، فيفتي في مكتبه لما كان في الإفتاء وفي بيته وفي المسجد وفي الطريق وفي المحاضرات وفي الدروس وعبر الهاتف وعبر الإنترنت.

وكان قديما يكتب بقلمه على الفتوى، وقد تفرقت كثير من فتاواه في أيدي الناس، ولم يبدأ في حفظ صور منها إلا متأخرا، وكذلك كثير من فتاواه الشفوية لم تسجل أو تقيد.

ومع هذا فقد حفظ من فتاواه الكثير، ونقدر أن عندنا ما يقرب من خمسين ألف فتوى ما بين مكتوب ومسجل.

وكان أول من اقترح عليه حفظ صورة من الفتاوى الأخ عبد الله الحوطي، الذي كان يعمل في مكتبه في الإفتاء، يقول الأخ عبد الله[1]: «في بداية عملي مع الشيخ اقترحت عليه رحمه الله بأن يتم تصوير الفتاوى التي تصدر منه لنشرها، حتى تعم الفائدة لعموم الناس، فوافق الشيخ على هذا الاقتراح، فسررت بذلك فقمت بتصوير وطباعة وترتيب الفتاوى التي تصدر من الشيخ بالتعاون مع أحد طلبة العلم، وبعد أن أجازها قمت بإخراجها في كتابين ولله الحمد، ومنها كتاب أسميناه (النخبة من الفتاوى النسائية) والكتاب الآخر (اللؤلؤ المكين لفتاوى ابن جبرين)، وهما موجودان حاليا في المكتبات».

وقام عدد من طلابه بعد ذلك بإخراج عدد من الكتب تحوي فتاوى في موضوعات متخصصة، كانوا يقدمون فيها أسئلة له رحمه الله، فيجيب عنها ثم يستأذنونه في نشرها ومنها:

١- مائة سؤال وجواب في العمل الخيري.
٢- الأجوبة الفقهية على الأسئلة التعليمية التربوية.
٣ - الفتاوى الشرعية في المسائل الطبية (جزءان).
٤- فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام.
٥- المفيد في تقريب أحكام المسافر.

(١) جريدة عكاظ الخميس١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ ٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢.

كمـا قام أحد طلاب العلـم بنشر كتاب جمع فيه الفتـاوى الفقهية على كتـاب عمـدة الأحكام، التي كان يسأل عنها الوالـد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درسه في كتاب عمدة الأحكام.

وقـد نشط الدكتور طارق الخويطـر في آخر حياة الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نشر كتيبات تحوي فتاوى له في موضوعات متخصصة، ومنها:

١- فتاوى في المسح على الخفين.

٢- فتاوى في الجنائز.

٣- فتاوى في الصيد.

٤- فتاوى في الطهارة الشرعية.

٥- فتاوى المدينة النبوية.

والكتـب التي تحـوي فتاوى الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تزيد علـى خمسين كتابا، لكنا هنا أردنا التمثيل كما بينت ذلك.

الكتب المختارة من دروسه ومحاضراته

تعـد الكتب السابقة كتبا محضة للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجهد من قام عليها من طـلاب العلم منحصـر في متابعة الطباعة ومراجعة الصـف، ونحو ذلك من الأمور الإجرائية، وليس لهم جهد علمي في ذلك.

أمـا هذا القسم من الكتب فهـو عبارة عن تصنيف، حيث يقوم الباحث باختيار موضوع معين، ثم يجمع من تراث الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ المطبوع والمسموع بعض ما يتعلق بالموضوع، وبعد الانتهاء من الترتيب يراجعه الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويقره.

ومن أبرز الذين كانوا يسلكون هذا المسلك الشيخ علي أبو لوز، حيث أعد كتبا عديدة بهذه الصورة، ومن أمثلة الكتب في هذا النوع:

١- السراج الوهاج للمعتمر والحاج.

٢- بعض المخالفات المنتشرة في الحج.

٣- الصيام آداب وأحكام.

٤- الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام.

٥- الحلول الشرعية للخلافات والمشكلات الزوجية.

وإضافة لما ذكر فقد صدر عنه رحمه الله بعض الفتاوى المهمة والنصائح القيمة، التي كانت تنشر على شكل مطويات بكميات كبيرة، فتوزع مجانا وتباع، وكانت في موضوعات متعددة، ومن أشهرها:

١- الدور الحقيقي لإمام المسجد.

٢- أبنائي الشباب هذه نصيحتي.

٣- أحاديث وعظات في فضل التبكير إلى الصلوات.

٤- فضل أيام عشر ذي الحجة.

٥- خطبة الجمعة.

جهوده رحمه الله في تصحيح الكتب

هذا الجانب كما يلاحظ ليس جانب تصنيف، بل هو جانب تصحيح ونشر، ولقد كان له رحمه الله جهود مستقلة في مراجعة بعض الكتب لطبعها، وجهود مشتركة مع بعض العلماء، فمن الجهود المستقلة:

١- تصحيح كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لمحمد بشير السهسواني الهندي.

وهـذا الكتاب قام فيه المصنف رحمه الله تعـالى بالرد على الشيخ دحلان في كتابـه: (الـدرر السنية في الرد على الوهابية)، فتتبـع ما عنده من أخطاء بالدليل والبرهان، ويقع في خمسمائة وستين صفحة.

وحينمـا رغب آل الجميح في إعادة طبعه عهدوا للوالد رحمه الله بمراجعته وتصحيحه فطبع في عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، وكانت تلك هي الطبعة الخامسة على نفقة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح، وقفا لله تعالى.

وقد ألحـق الوالد رحمه الله في هذه الطبعة تعليقات مهمة للشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله وغيره

٢- كتاب تبيين العجب فيما ورد في شهر رجب لابن حجر رحمه الله.

وهـو كتاب مشهـور طبع عدة مـرات، وقد رغـب سمو الأمـير بندر بن عبدالعزيز آل سعود في طبعه طبعة خيرية، وعرض على الوالد رحمه الله تصحيح هـذه الطبعـة ففعل ذلك، وطبع في عـام ١٤٠٠هـ على نفقتـه بالمطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ويقع في ثمان وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

أما الجهود المشتركة فنشير إلى ما اطلعنا عليه من ذلك.

١- المشاركة في تصحيح فتح الباري لابن حجر رحمه الله

يقول الوالد رحمه الله متحدثا عن مشاركته في مقابلة فتح الباري [1]، حيث كان يشارك في مقابلة نسخ فتح الباري بإشراف الشيخ ابن باز رحمه الله «قبل أن ينتقـل الشيـخ للمدينة، ابتدأ في تصحيح فتح البـاري مع مجموعة من طلاب العلم، وأحضروا ثمان نسخ مخطوطات ومطبوعات يقابلونها، يقرأ أحدهم ثم

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الرابعة.

ينظـر إذا اختلفت النسخ، ويقول: أثبتوا نسخـة كذا وكذا. نحضر معه أحيانا في هذه المقابلة إلى أن قطع شوطا من التصحيح، يعني قريبا من ثلاثة أجزاء إلا ربع كما هو معروف، ولما تولى في المدينة الجامعة الإسلامية انشغل كثيرا».

وقد استمرت هذه المقابلة حوالي خمس سنين، لأنها لا تكون كل يوم، وذلك من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف إلى سنة ثمانين في بيت الشيخ رحمه الله[1].

٢- المشاركة في تصحيح فتاوى ابن تيمية

كان مـن جهود الشيخ الوالد رحمه الله في هـذا المجال مساعدة الشيخ محمد ابـن الشيخ عبدالرحمن بـن قاسم في إكمال فتاوى ابن تيميـة التي بدأها والده وطبع كثير منها في حياته، يقول الوالد رحمه الله عن ذلك[2]: «كلفه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، بالإشراف على طبع ما بقي من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، التـي كان قد اشترك مع أبيه في جمعها وتصحيحهـا وترتيبها وطبعها في مطابع الرياض في حدود سنة تسع وسبعين، وحيث بقي منها الخمس مجلدات الأخيرة، فقد كلفـه الشيخ أن يُشرف على طبعها بمكة في مطبعة الحكومة، فسافر بأولاده في حـدود سنة سـت وثمانين أو قبلها، وقـام بطبع وتصحيـح المجلدات الخمسة الأخـيرة، ثم اشتغل بالفهارس العامة، وطلب مساعدتي له في الإجازة الصيفية، فاشتركت معه في عمل الفهارس في الإجازة سنة سبع وثمانين، وثمان وثمانين».

يقول الدكتور يوسف بن أحمد القاسم[3]: « قام الشيخ ابن جبرين بجهد مشكـور في مقابلـة نسخ مجموع الفتاوى وقت إعدادهـا للطباعة مع مجموعة

---

(١) رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد من موقع إمام المسجد http://www.alimam.ws/ref/1822

(٢) الفتوى رقم ٧٦٢.

(٣) .article_252730.html/16/http://www.aleqt.com/2009/ 07

من المشايخ منهم الشيخ غيهب الغيهب ، والشيخ سالم الدخيل رحمه الله ، والعم محمد بن قاسم، والوالد رحمهما الله تعالى جميعا».

٣- تصحيح كتابي حاشية كتاب التوحيد، والجزء الرابع من الإحكام شرح أصول الأحكام كلاهما لابن قاسم رحمه الله.

قام رحمه الله، هو والشيخ سعد ابن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم بمقابلة بعض كتب الشيخ وذلك في عام ١٣٩٦هـ، ومنها كما ذكر في العنوان: حاشية كتاب التوحيد، والجزء الرابع من الإحكام شرح أصول الأحكام، حيث إن الأجزاء الثلاثة قد راجعها الشيخ ابن قاسم قبل وفاته رحمه الله، وقد استمرا في ذلك قرابة العام.

٤- تصحيح كتاب حاشية الروض المربع لابن قاسم رحمه الله

قام أيضًا هو والشيخ سعد بمقابلة ومراجعة حاشية الروض المربع، مع مقابلة متن الروض المطبوع على الروض المخطوط، منذ عام ١٣٩٧هـ، و لمدة أربع سنوات. وكانا يقومان بالمقابلة والمراجعة في مسجد الأمير ناصر في حي دخنة المعروف بمسجد آل حماد، وذلك من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، ولما هدم في سنة ١٣٩٧هـ انتقلا لجامع ابن عتيق بقرب بيت الوالد رحمه الله، وأحيانًا يجتمعان يوم الخميس في بيت الوالد رحمه الله لهذا الغرض، حتى أنهيا الكتاب، وهيآه للطباعة.

يقول الدكتور يوسف بن أحمد القاسم[1]: «وقد لاحظ العم - حسبما ذكر لي - نباهة الشيخ، وقوة حفظه، حيث كان يستشكل بعض المسائل، ويلاحظ خللًا في السياق، فإذا راجعا الأصل، وجدا أن هناك خطأ ما، يحتاج إلى تعديل، حسبما فطن له الشيخ رحمه الله».

---

(١) http://www.aleqt.com/2009/ 07 /16/article_252730.html

ويقول الدكتور عبدالمحسن العسكر: «ذكر لي الشيخ سعد ابن الشيخ العالم عبدالرحمن بن قاسم، قال: لما توفي والدي كانت حاشيته الكبيرة على الروض المربع مخطوطة، وكثير منها على هيئة مسودات، فجئت إلى الشيخ ابن جبرين فأخبرته بحاجتها إلى التصحيح والمقابلة، وأبديت له رغبتي في أن يساعدني، وأن العمل ضخم، فرحب بذلك، ومكثنا أربع سنين وبضعة أشهر، نصحح كل يوم من العصر إلى المغرب، حتى انتهى الكتاب مطبوعا».

الإشراف على الرسائل العلمية ومناقشتها

ومما يقرب من التصنيف الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها، فقد كانت كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تعهد له كثيرا بالإشراف والمناقشة، حينما كان في كلية الشريعة وبعد انتقاله للإفتاء وحتى بعد تقاعده، وتعهد له أيضًا بذلك جامعات أخرى لكن ذلك قليل، فيقوم رحمه الله بما يقوم به المشرفون على الرسائل العلمية، وقد يجتمع عنده ثلاث رسائل أو أربع، فيقرأ ما يقدمه الطالب من بحثه كل شهر، ويبين ما فيه من خطأ ونقص، ويجتمع به غالبا كل أسبوع، ويقوم بتوجيه الطالب وإرشاده إلى مراجع البحث في الأمهات أو نحوها، ويرفع عنه للجامعة تقريرا عن سيره وما يعوقه، وفي النهاية يكتب تقريرًا عن رسالته ومدى صلاحيتها وتتم المناقشة وتقويم الرسالة بإشرافه، كما هو معروف في مثل هذه القضايا.

ومن الرسائل التي أشرف عليها لمرحلة الدكتوراه:

١- العقوبات التبعية في الفقه الإسلامي، للطالب فهد بن عبدالعزيز بن سلمة عام ١٤٠٩هـ في الجامعة الاسلامية.

٢- التبرك: أنواعه وأحكامه، للطالب ناصر بن عبدالرحمن الجديع عام ١٤١٠هـ.

٣- جابر بن عبدالله وفقهه، للطالب موسى بن علي بن محمد الأمير عام ١٤١١هـ.

٤- تطبيقات القواعد والضوابط الفقهية في مجال الأحوال الشخصية، للطالب سعود بن عبدالله بن عبدالرحمن الغديان عام ١٤١٢هـ.

٥- النكول وأحكامه في الفقه الاسلامي، للطالب عبدالعزيز بن عبدالرحمن العجلان عام ١٤١٦هـ.

ومن الرسائل التي أشرف عليها لمرحلة الماجستير:

١- الشهادتان: حقيقتهما وأثرهما، للطالب محمد يوسف بن سنيك عام ١٤٠٢هـ.

٢- العقد الثمين في شرح أصول الدين، لابن غنام تحقيق إبراهيم يوسف الماس عام ١٤٠٣هـ.

٣- القواعد الكلية للأسماء والصفات، للطالب إبراهيم بن محمد البريكان عام ١٤٠٤هـ.

٤- التوسل أنواعه وحكمه، للطالب عبدالكريم بن محمد الحميدي عام ١٤٠٤هـ.

٥- العين والأثر في عقائد أهل الأثر، لعبدالباقي الحنبلي تحقيق:راشد بن حمد الطيار عام ١٤٠٥هـ.

٦- الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، للإمام نجم الدين السكندري الغيطي تحقيق ودراسة عمر بن سعود بن فهد العيد عام ١٤٠٥هـ.

٧- التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ على الاتفاق والتفرد، لابن منده القسم الأول تحقيق ودراسة موسى عبدالعزيز الغصن عام ١٤٠٦هـ.

٨- التوحيـد ومعرفة أسماء الله ﷻ على الاتفاق والتفرد، لابن منده القسم الثاني تحقيق ودراسة: محمد عبدالله الوهيبي عام ١٤٠٦هـ.

٩- الجاهليـة بين القديم والحديث، للطالب عبـدالله بن سليمان العميريني ١٤٠٧هـ.

١٠- الشرك الأكبر حقيقتة و حكمه و أنواعه، للطالبة أسماء بنت عبدالعزيز السلمان.

كمـا قـام بمناقشـة العديـد مـن الرسائـل، وكان يبـدى مـا لديه من الملاحظـات عنـد مناقشـة الرسالة كالمعتـاد، وكان الطـلاب يحرصون على مناقشته لما يعرفون عنه من العلم والأدب والسماحة.

ومن الرسائل التي ناقشها رسالة الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية للطالب محماس الجلعـود، وكان المشرف عليه زميله وصاحبه الشيخ فهد بن حمين رحمه الله، وشاركهما المناقشة الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله.

ومن الطلاب الذين ناقشهم الوالد رحمه الله سلمان العودة في عام ١٤٢٣هـ يقول الدكتور سلمان حفظه الله عن ذلك[1]: «عند المناقشة دهشت، لأن الرسالة في الحديث والتخريج، وجدت شيئا عجيبا، وأنا الذي أظن أني متخصص في هذا العلم، وفي هذا الباب على وجه الخصوص، وجدته يتعقب في أشياء غاية في الدقة، مثلًا أقول: هذا الكتاب مخطوط، فيقول: الكتاب طبع عام كذا، وهو موجود عندي».

وكانـت تعهد له المجلات العلمية المحكمة ومراكز البحوث في الجامعات بفحصـن بعضـ البحـوث المقدمـة لهـا، ويكتـب كالمعتـاد بعد قـراءة البحث

(١) قناة دليل.

ملحوظاتـه وتوجيهاتـه وهذا أنموذج لما كتبه عن أحـد البحوث، ولسرية ذلك فلـن نذكر اسم البحـث ولا الباحث، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ بعد الديباجـة: «بعد قراءة كلا البحثين تبين لي ما يأتي:

البحث الأول طويل، استوفى فيه الباحث الموضوع، ويلاحظ عليه ما يأتي:

الاستطـراد والتوسـع كعادة أهل البحوث بذكر مسائـل قد لا يسبق إلى الفهم صلتها بالموضوع إلا من بعيد.

التكرار لبعض القواعد التي ذكرها في آخر البحث.

التساهل في بعض المسائل مما قد يسبب تعطيل أكثر الحدود.

ومع هذه الملحوظات؛ فالبحث جيد في الجملة، من حيث الابتكار والتجديد في النتاج العلمي، وهو مفيد يستحق عليه الترقية إلى رتبة أستاذ مشارك حسب طلبه؛ وإنما الملحوظات شكلية لا تحط من قدر البحث وجهد الباحث.

أما الرسالة الثانية فهي كما وصفها بدء في تحقيق شرح متوسع، اقتصر علـى الدراسة وشرح بابـين، وأكثر مسائـل الباب الأول ساقطـة من الأصل، فنقلهـا من المغني وعلـق عليها، فهو نموذج لتحقيق كتـاب مفيد يستحق عليه الترقية إلى المرتبة المذكورة».

تقريظ الكتب والتقديم لها

ممـا يتعلق بالتصنيف والتأليف تقريظ الكتـب والتقديم لها، ولقد كان الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ مقصدًا لطلاب العلـم ونحوهم، ممن يصنفـون مصنفات أو يحققون كتبا، سواء بقصد تسديده وتوجيهه، أو لذلك مع الحصول على تأييد منه، ليثق الناس بالكاتب فيروج كتابه.

ولـه في التقريظ والتقديم باع طويـل ومساع مباركة، ولقد قاربت الكتب التـي احتفظنا في مكتبـه رحمه الله بصورة من تقديمها المائتـين، وهـي بلا شك تفـوق هذا العـدد مما سبق ترتيب هذا الأمر أو ند في غفلـة منا أو انشغال أو بسبب بعد المكان وعدم توافر وسائل التصوير ونحو ذلك.

وهـو يصطحب هـذه الكتب التي يعطيـه إياها المؤلفـون معه في رحلاته ويقـرأ فيها في السيارة والطائرة ووقت الراحة، يحـدث أحد الإخوة عن رحلة الوالـد رحمه الله إلى حائل في شعبان مـن عام ١٤٢٧هـ فيقول[1]: «دخلنا المجلس ولم يكـن الشيخ موجودًا، فسألت ابنه، فأخـبرني أن الشيخ صلى الظهر ورجع يرتـاح لغرفتـه، وبعد قليل يخـرج إن شاء الله، كنت أظن راحـة الشيخ بالنوم - مثلي ومن هو على شاكلتي - ولكني اكتشفت أن الشيخ لا ينام إلا قليلًا، ووقت راحته يقضيه في مراجعة بعض البحوث والأوراق، وبعض الكتب التي أحضرها الشيخ معه، وفيها كتب يريد أصحابها تقديم الشيخ، ليتشرفوا بذلك».

ويقـول أيضًـا عن كتاب لـه أعطاه للوالـد ليقدم لـه[2]: «وبعد الصلاة سلمنـي الشيـخ الكتاب وقد قـدم له بمقدمه جميلة وثناء ولقـب لا أستحقه، وقـد تفاجأت بأن الشيخ اكتشف ملاحظات نحوية فاتت عليَّ وعلى من راجعه بعـدي، بل فاتت حتى علـى دكتور في اللغة العربية، فالشيـخ متضلع في اللغة، وأوراقه معي بخط يده ما أحب أن لي بها حمر النعم».

وهو يحب نفع الناس، لكنه يحب أن يعدل بينهم، ولهذا لما تكاثرت عليه الكتب التي يرغب أصحابها في فحصها وتقريظها بدأ ينتقي المهم ويعتذر عن سواه، ثم يأخذهم بالترتيب بحسب الأسبق حتى ولو كان من جاء به من أقرب

(١) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

(٢) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

الناس تقول أختي هيا وفقها الله: «أعطيته ذات مرة كتابًا ليقرأه، ويكتب له مقدمة قبل طباعته. فوضعه عنده، ولما أتيت أسأل عنه قال: إنه لا يتذكره، وأشار إلى مجموعة أوراق، وقال: ابحثي هنا، فلما وجدته وأقبلت به إليه، قال: كلا لن أكتب له الآن حتى يأتي دوره.

وبعد وفاته رحمه الله دخلت بيته، ووجدت كتابي في الرف نفسه الذي رفعه عليه، وقلت لنفسي: سبحان الله لم يأت دوره،لكني وجدت فيه ورقة خارجية وضعت بين صفحاته، ولما فتحته وجدته قد بدأ فيه، وقرأ منه بضع صفحات، وعلق عليها فبكيت، لأن المنية حالت بينه وبين تمامها، والحمد لله على كل حال».

وسأثبت إن شاء الله في الملاحق ثبتا بأسماء الكتب التي لدينا معلومات عن تقديمه لها غفر الله ورحمه ونماذج من ذلك.

ليت وهل ينفع شيئا ليت

قد يبدو العنوان غريبا في هذا السياق، حيث نتحدث عن الكتب والتصنيف والتأليف، لكن المضمون له علاقة بالموضوع، فلقد عضضنا أصابع الندم، وتألمنا أننا لم نسع في خطوات نسابق فيها الزمن، لنستفيد من الشيخ قبل رحيله، ولكنها الأقدار، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

سبب هذا العنوان أن أبناء الشيخ وبعض تلاميذه ومحبيه تنادوا قبل وفاته لجمع تراثه وإخراج علمه، لكن تأخر البداية وضخامة التراث وصعوبة الحصول على التراث سببت بطء التنفيذ وتأخر العمل، دعني أسوق لك القصة، وستعلم حينها أني حينما قلت: ليت وهل ينفع شيئا ليت، لم أبعد عن الحقيقة.

تنادى أبناء الشيخ وبعض تلاميذه للاجتماع، كي يبحثوا ما يمكن عمله لجمع تراث الشيخ ونشر علمه، فاجتمعوا في منزل الشيخ الوالد رحمه الله في يوم الثلاثاء ٢٥/١١ /١٤٢٦هـ.

لقد كان الدافع لاجتماعهم التشاور فيما يمكن المساهمة به لخدمة الشيخ من خلال العناية بتراثه، أوتنظيم النشاط العلمي أو الأعمال ذات النفع العام، التي يقوم بها الشيخ، ولذلك سموا اجتماعهم: الاجتماع التشاوري الأول لكبار تلاميذ الشيخ عبدالله بن جبرين.

وكان هناك عدد من الأسباب التي دعت لهذا الاجتماع منها:

١- تعدد أعمال الشيخ وكثرتها مما يدعو للتشاور في تنظيمها لحفظ جهد الشيخ ووقته.
٢- كثرة المواد غير المنشورة للشيخ مما يدعو لوضع خطة عملية للتعجيل بنشرها.
٣- شرح الشيخ لبعض الكتاب عدة مرات والحاجة لوضع آلية للتعامل مع ذلك.
٤- كثرة فتاوى الشيخ التي زادت في ذلك الوقت على خمسة عشر ألف فتوى محفوظة في المكتب، وهناك آلاف الفتاوى غير محفوظة والحاجة لوضع آلية لجمع ونشر الفتاوى والتعامل مع الفتاوى المكررة بحسب تغير الاجتهاد أو بحسب الاختصار والتوسع.
٥- تفرق المواد العلمية بين الطلاب وأهمية جمعها والحاجة للتعرف على أماكن وجودها.
٦- وجود الملحوظات على التراث المنشور للشيخ بسبب عدم وجود آلية واضحة وجهة إشرافية موحدة.

لقد وضعوا جدولا حافلا بالأعمال بل حتى وبالأماني التي تساعد في نشر علم الشيخ وجمع تراثه رَحِمَهُ اللهُ، ومن ذلك:

١- حصر قدماء طلاب الشيخ.

٢- استعراض الكتب المشروحة التي يرى نشرها.

٣- استعراض الطريقة المناسبة لجمع المواد العلمية المراد نشرها.

٤- استعراض الأماكن والأشخاص المتوقع وجود المواد العلمية عندهم من شروح وتعليقات وفوائد.

٥- استعراض الجهود السابقة للعناية بالتراث العلمي للشيخ.

٦- استعراض الآلية المناسبة للعناية بالتراث العلمي للشيخ.

٧- تكوين اللجنة الإشرافية واللجنة التنفيذية من كبار طلاب الشيخ وتحديد مهماتها.

٨- عرض الخطة المقترحة للعناية بكتب الشيخ وأشرطته.

وجهت الدعوة لكبار تلاميذ الشيخ الذين عرفوا بملازمته، ولبعض المهتمين بالموضوع من محبي الشيخ، إضافة لبعض موظفي مكتبه، وهم:

١- معالي الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغيث.

٢- فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن عبدالله الحميد.

٣- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الشثري.

٤- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد السدحان.

٥- فضيلة الشيخ محمد بن ناصر التركي.

٦- فضيلة الشيخ الدكتورمحمد بن حمد المنيع.

٧- فضيلة الشيخ الدكتور طارق بن محمد الخويطر.

٨- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٩- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله المبدل.

١٠- فضيلة الشيخ عبدالله بن علي عامر.

١١- فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز أبانمي.

١٢- فضيلة الشيخ أحمد بن عبدالرحمن المهنا.

١٣- فضيلة الشيخ حمد بن عبدالعزيز الجبرين.

١٤- فضيلة الشيخ أحمد بن محمد الجبرين

وخلصوا من هذا الاجتماع إلى وجوب الإسراع في إخراج الكتب، وكونوا لجنـة إشرافية مكونة من الحاضرين برئاسة الشيخ الوالد رحمه الله، كما كونوا لجنة تنفيذية مكونة من:

١- الدكتور سعد بن عبدالله الحميد رئيسا.

٢- الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين نائبا للرئيس.

٣- الشيخ أحمد بن عبدالرحمن المهنا نائبا ثانيا

٤- الشيخ حمد بن عبدالعزيز الجبرين.

٥- الدكتور طارق بن محمد الخويطر.

٦- الشيخ محمد بن ناصر التركي.

٧- عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين أمينا للجنة



كمـا خلصـوا لعدد من النتائـج المهمة، التي لو تحققت لـكان فيها خير كثير، ومن أبرزها:

١- التعريف باللجنة عن طريق الإعلانات والنشرات

٢- تصميم شعار للجنة يوضع على الكتب المطبوعة

٣- الحرص على تسجيل دروس الشيخ وحفظ ذلك.

٤- إعادة طباعة الكتب الموجودة في السوق بعد عرضها على اللجنة.

٥- طباعة الكتب مفردة وعلى شكل مجموعة

٦- البداية بطبع الكتب المشروحة المتوافرة أشرطتها كاملة.

٧- محاولـة جمـع الـتراث المتفرق بأيـدي الطـلاب وغيرهم، كمكاتـب الدعوة والتسجيلات الإسلامية في الرياض وفي خارج الرياض وجامعة الإمام محمد ابـن سعود الإسلامية وإذاعة القرآن ومحاضرات الجامع الكبير والإنترنت والمجلات والصحف وما سجل في جامع الراجحي وغيره من المساجد.

انتهى الاجتماع وكان انشغال المشايخ وضعف المتابعة سببا في أن لايثمر بشـيء ملموس، وكان مكتب الشيخ قام بخطوات قليلة في هذا السبيل سنراها في أثناء الكلام عن جمع تراث الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

الإمامة والخطابة

الخطابـة والإمامة من المهمات التي يتولاهـا العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى، ولقد كان للوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ من هـذه المهمة النصيـب الأوفى والقدح المعلـى، فهو كما ذكرنـا عند الـكلام عن نبوغه المبكر تـولى هذا الأمر ولما يبلـغ العشرين من عمره إمامة وخطابة، ففي سنة سبع وستين التي أكمل فيها حفظ القرآن أمره

الشيخ أبو حبيب أن يصلي صلاة التراويح في أحد المساجد في بلدة الرين، وكان يصلي بهم من حفظه ويطيل، حتى إنه في العشر الأواخر قارب أن يختم بهم ختمتين[1]، ثم ألزمه أن يتقدم إذا غاب والده الذي كان إماما وخطيبا في جامع الرين، فكان يصلي بهم جمعة وجماعة إذا غاب والده،وكان الشيخ أبو حبيب هو الذي يتولى ذلك من قبل إذا سافر جدي رحمه الله[2].

ولم يتول الوالد رحمه الله الإمامة رسميا إلا في مسجدين: مسجد آل حماد والجامع الكبير في الرياض نيابة عن شيخه ابن باز في بعض الأوقات فلنلم بمعلومات عن هذين العملين، وقبل ذلك دعوني أعرض هذه اللطيفة.

الشيخ الوالد رحمه الله يحب الصلاة ويطيل فيها، وبخاصة في رمضان كما مر بنا أنه قارب أن يختم مرتين في العشر الأواخر، وهذه القصة الطريفة له في الرياض، يقول رحمه الله: «في سنة أربع وثمانين رغب إليّ راشد بن رشود، وكان يصلي في مسجد بن عدوان، قال: أنت تحفظ القرآن، وأنا ما أحفظه، أريد أن تصلي بهم التراويح. صليت بهم أول ليلة ثلاث عشرة ركعة، أقرا في الركعة نصف ثمن، ولكن كأنهم ما رغبوا، وقالوا صل بنا يا راشد ولو من المصحف»، صلى بهم الوالد رحمه الله صلاة متوسطة، وكان يراها خفيفة، لكن جماعة المسجد استثقلوها[3].

إمامته في مسجد آل حماد

يقع مسجد آل حماد في وسط الرياض في حي الديرة حاليا في الزاوية التي تلي سوق أشيقر من تقاطع شارع الديرة وشارع طارق بن زياد امتداد شارع آل ريس.

---

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية .

(٢) تجربتي في طلب العلم.

(٣) أسرة واحدة.

تعـين إماما في هذا المسجد في شهر شوال عـام ١٣٨٩هـ، وقد كان الذي يصلي به سماحة المفتي الحالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، ونقل في هذا العام إلى إمامة وخطابة جامع دخنة الذي كان يصلي به الشيخ محمد بـن إبراهيم رحمه الله، فتولى الوالـد رحمه الله الإمامة في مسجد آل حماد من آخر سنـة تسع وثمانين إلى أن هدم المسجـد وهدم الحي كله في سنة سبع وتسعين، توسعة للأسواق، وأقيم مكانه مواقف متعددة الأدوار، كما هو معروف الآن[1]، وقد ذكرنا ـ فيما سبق ـ قصة تعيين الوالد رحمه الله إماما في هذا المسجد[2].

إمامته في الجامع الكبير

أمـا إمامته للجامـع الكبير فإن الشيـخ ابن باز رحمه الله اختـاره لينوب عنه إذا سافـر، وقد تحدث الوالد رحمه الله عن هـذا، فقال: «كان الذي يصلي التراويح بالجامـع الكبـير رجل يقال له عبدالرحمن بن رشيد بـن عوين من أهل الحوطة، و الشيـخ ابن باز يصلي معهم كمأمـوم، ولكن بعد سنتين اشتكى ابن عوين، حيث أصابـه مرض السكر واشتد عليه، وتوقف عن التراويـح، فألزمني الشيخ ابن باز رحمه الله أن أصلـي بهم، ولكنـه لا يصلي معنا يصلي في البديعـة عند قصره الآن، فكنت أصلي بهم، كانت الأئمة الذين حوله يصلون إحدى عشرة ركعة، وأنا أصلي ثلاث عشرة عملا بحديث ابن عباس، وفي العشر الأواخر أصلي في أول الليل أربع عشرة ركعة منها تسليمتان أطيل فيهما، وفي آخر الليل أصلي ست ركعات والوتر.

وفي آخـر سنة سبع وتسعـين استنابني الشيخ ابن بـاز رحمه الله كإمام في الجامـع في الإجازة نحو ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، حيث يذهب هو ومن معه

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني وبرنامج عالم أمة للشيخ المنجد.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الخامسة.

من المفتين إلى الطائف، فقمت بالإمامة، ولما رجع رأى أن ينيبني في العشاءين، لأنه قد يشق عليه إلا أنه كان يأتي ليلة الجمعة لأجل ندوة الجامع الأسبوعية وليلة الاثنين والأربعاء لأجل دروس كانت عنده، وبقية الليالي أنا الذي أقوم بالإمامة هناك[1].

و عندما سكنا أول سنة أربعمائة واثنتين[2] السنة التي توفي فيها الملك خالد، كنت أذهب على سيارتي وحدي سيارة تماتيك، وأصلي وألقي الدروس التي بعد الفجر والتي بعد المغرب والعشاء، وكذلك أيضًا بقية الصلوات في حال غيبة الشيخ وأرجع[3]».

الخطابة

جاء الوالد رحمه الله للرياض في عام ١٣٧٤هـ وكان في ذلك الوقت متدربا على الخطابة، حيث كان يخطب في مسجد والده في الرين، فصار يمارس الخطابة تطوعا في بعض المساجد، إما بالنيابة وإما في الجولات الدعوية التي ذكرناها من قبل، ومن المساجد التي ناب فيها مدة طويلة مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم الذي في دخنة، وكان اسمه قديما مسجد الشيخ عبدالله ابن عبداللطيف، ثم سمي باسم الشيخ محمد بن إبراهيم، وذلك في سنة تسعين، فقد كان الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله المفتي العام هو الذي يخطب به، ولما جاء الأمر بتعيينه خطيبا في الجامع الكبير رغب إلى الوالد أن يخطب بدلا منه في ذلك الجامع، فخطب به نحو ستة أشهر[4].

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.
(٢) في حي السويدي.
(٣) برنامج أسرة واحدة.
(٤) أسرة واحدة.

في عـام ١٣٩٩ عين الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ خطيبـا احتياطيا، يتولى الخطبة عند تخلف خطيب أو نحو ذلك، وكانت وزارة الحج والأوقاف وهذا اسمها في ذلك الوقت قد بدأت في تعيـين خطباء احتياطيين للقيام بالخطابة بدلا من الأئمة عنـد الحاجـة لذلك، فعـين الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان ينتقل بين الجوامـع، وربما استمر في أحد الجوامع أشهرا وكان يتولى صلاة العيد والاستسقاء أحيانا[1].

ومـن المساجد التي صلى بهـا جامع العود الجنوبي وجامع المشيقيق في شارع الشميسي وجامع ابن عتيق في السبالة وجامع المنصورية وغيرها كثير، ومن المواقف الطريفة أنه أنيب في جامع في حي الشفا، فذهب مع أخي محمد، ولم يعرفـوا مكان المسجد، فداروا كثيرا حتى خشوا فوات الصلاة، فصلوا في أحد الجوامع، ثم علمنا أن أهل الجامع صلوا ظهرا في ذلك اليوم لعدم وجود من يستطيع الخطابة.

وقبـل حادثة لجنة الحقـوق الشرعية كان يخطب مؤقتـا بجامع في حي السويـدي اسمه جامـع والدة الأمير عبدالعزيز بن مقـرن، حيث لم يعين فيه إمـام بعد، فلما جـاءت الحادثة عزل من الخطابة، ولـما انكشفت الغمة أعيد رَحِمَهُ اللَّهُ للخطابة، وثبت في هذا الجامع، وبقي فيه حتى توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان يطلـب أحيانـا للخطابـة في بعض جوامـع الرياض أو في خارج الرياض أو يسافر فينيبني للخطابة في جامعـه، فإذا سافرت معه أناب العم ناصـر أو الخال سليمان بن جبرين أو الشيخ عثمان الشعلان أو الشيخ صالح الفنتوخ أو غيرهم.

---

(١) سيرة الشيخ من موقعه الإلكتروني.

لمحة عن طريقته في الخطبة رَحِمَهُ اللَّهُ

قبل أن أورد ما عندي في هذا الموضوع أحب أن أعرض جوابا للوالد عن سؤال في هذا السياق، فقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ[1] عن تجربته في الخطابة، وكيفية إعداده للخطبة، فأجاب قائلا: «كُنا في أول الأمر نقرأ من الخطب المكتوبة؛ حيث يوجد لدينا خطب وعظية ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، ولا تزال مخطوطة لم يتيسر نشرها، وغالبها يكون في المواعظ وإنكار البدع والحوادث والتذكير بتقلب الدنيا وبالموت وما بعده وبالجنة والنار، ثم فيما بعد رأينا الخطبة بما يُناسب الحال ومعالجة الوقائع والحوادث المُتجددة، فنخطب في كل وقت بما يناسب المخاطبين، وحيث كان الأغلب عليهم وصف العامية وعدم التعمق في المعلومات وقلة التأثر بما يتجدد من المُحدثات، فإنا نخطب بما ينفعهم ويستفيدون منه: كفضل العبادات والآداب الإسلامية، وما يحصل به التخلق بالفضائل، والحث على العبادة، والإكثار من القُربات والنوافل، وكذا التحذير من المنكرات، ومن التوسع في المباحات، ومن الانخداع بالدعايات، ونُعد للخطبة إعدادًا مبدئيًا، بحيث يكون التفكير في ذلك الأسبوع بما هو مشهور أو مُتداول بين العامة، فنحرص على التطرق له، وهكذا التنبيه على ما يحصل من المُخاطبين كمُعالجة الكسل والتثاقل عن الطاعة والحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة وعدم الانقطاع عن نوافل العبادات، ولا نرى إعدادًا خطيًا للكتابة في الموضوع، بل نكتفي بالتفكير وذكر عناصر الموضوع، وما يحتاج إليه من الأدلة من آيات وأحاديث وآثار وحكم وأحكام وتعاليل ومصالح ومضار، وتستغرق الخطبتان والجلسة بينهما نصف ساعة إلى أربعين دقيقة ونعد ذلك تقصيرًا بالنسبة إلى خطب من يطيل بنحو ساعة أو ساعة ونصف،

---

(١) الفتوى رقم ٢٩٧٧ بتاريخ ١٤٢١/١١/٢٢ هـ.

وذلك لأنه لا يتهيأ للكثير من الناس الاستفادة والتعلم إلا بواسطة الخطب لقلة حضورهم حلقات العلم وسماعهم للإذاعات الإسلامية، وقلة اهتمامهم بتحصيل الفوائد وقراءة الكتب العلمية والإنصات إلى الأشرطة الإسلامية، فلم يبق مجال إلا سماع هذه الخطب، فاستلزم ذلك التطرق إلى ما ينفعهم، وما هم بحاجة إليه ومُعالجة ما هم فيه من التثاقل وترك العبادات، ولا يدخل ذلك في إطالة الخطبة المنهي عنه؛ فإن تقصير الخطبة أمرٌ نسبي».

يصل الوالد رحمه الله غالبا قبل بداية الخطبة بنصف ساعة تقريبا، فقد عودنا أن نخرج في الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وكان المسجد يبعد عشر دقائق، وإذا وصلنا دخل المسجد وصلي، ثم يجلس يقرأ القرآن حتى يدخل الوقت، وكان لايصعد المنبر إلا بعد دخول الوقت، وحدثته عما يفعله بعض الخطباء من التبكير قبل الزوال، وأنه فعله بعض الصحابة، فكأنه رأى أن ذلك لعذر، وأن الأصل أن وقت الجمعة بداية ونهاية هو وقت الظهر، ويذكر أن النساء في البيوت غالبا يصلين إذا سمعن الأذان فإذا لم يعلمن عادة الخطيب وقعت صلاتهن خارج الوقت[1].

وهو رحمه الله كما ذكر يخطب ارتجالا فيما أدركته من خطبه، ولعله منذ أن جاء إلى الرياض، أما لما كان في الرين فكان يخطب من خطب أجدادنا التي كانت موجودة عند أبيه رحمه الله تعالى، وكان فيها مواعظ ولها تأثير بليغ، حتى ذكر أنه يسمع حالة الخطبة بكاء الحاضرين وخشوعهم، ولو كانوا من العوام، وذلك لرقة قلوبهم وصفاء فطرهم [2].

---

(١) الفتوى رقم ٣٢٨بتاريخ ١٤/٣/١٤٢١هـ.

(٢) تجربتي في طلب العلم.

وهـو رحمه الله يطيـل الخطبة عادة فـلا تقل خطبه عن نصـف ساعة، وكنت أقـول له في بعض الأيـام بين السلامين تمام الساعـة، أي سلام الخطيب وسلام الصلاة، فيقول: بين السلامين قريب الساعة، وأذكر مرة أنه صلى بمسجد حارة العود وأطـال الخطبة كعادته، وكان المسجد مزدحمـا، وبعض الناس في السطح، وهـو لايعلم أنهـم في الشمس، فقام أحـد المصلين فأخذ حجـرا كبيرا وضرب به السطـح مما يلي المحراب، فانتبه الوالد واجتـزأ في الخطبة رحمه الله، وكان يثرب علـى بعض الخطبـاء تقصير الخطبة، ويقـول كما نقلنا أعـلاه: إن الناس لا يستمعـون للمواعـظ إلا في يـوم الجمعة، ويقـول: إن الأصـل الإطالة، ولذلك احتيـج إلى أن يجلـس بينهمـا للاستراحة[1] ولو لم يكن هنـاك طول لما جلس بينهما يستريح، والتقصير الوارد في بعض الآثار نسبي.

وغالـب خطبه وعظية، كما ذكر رحمه الله مراعاة لحـال السامعين، وكنت قبـل أن أعلم وجهة نظـره أحدث نفسي لما لا يرقى بخطبـه قليلا، حتى أنيب مـرة فصلى بجامع الملك عبدالعزيز خلفا للشيخ عبدالوهاب الطريري، وكان الشيـخ عبدالوهـاب من مشاهير خطبـاء الرياضـ أداء وأسلوبـا وموضوعا وجـرأة، ويقصده طلاب العلم والمثقفون للصلاة معه، لأنه يتطرق لموضوعات حساسة، وكان ذلك في أثناء أزمة الخليج، وتلك الأيام يعرفها من أدركها فيها حماسة لدى الشباب مجاراة للأحداث في العالم.

ولمـا ارتقـى الوالـد المنبر قلت وقـال غيري مـن الحضور وقـد حدثني بعضهـم بعد ذلك: مـاذا عسى الشيخ أن يقول على منـبر عبدالوهاب، الذي منـع من الخطابة بعـد إحدى خطبه الحماسية، فخطـب الوالد رحمه الله خطبة وافيـة ضافيـة كافية شافية، جمعت بـين العلم والعاطفـة والحماسة والعقل، واستمر يلقي الدرر، ويجود بالغرر، ونحن نقول: ليته لا يسكت رحمه الله.

---

(١) الفتوى رقم ٧٥٥٩.

فبعد هذه الخطبة حدثته رحمه الله لم لا تخطب كهذه الخطبة في المساجد الأخرى، فقال: الناس يختلفون.

ويذكر الأخ سليمان أنه كان معه في إحدى مدن المنطقة الجنوبية وكانت أول سنة تقام فيها مهرجانات غنائية فخطب خطبة بليغة حول ذلك أثرت في الحضور وكان فيهم أحد مسؤولي الإمارة فمنعت المهرجانات بعد ذلك العام.

وكان يعتمد في خطبه على عصا، ويحرص على السنن: كابتداء الخطب بحمد الله تعالى والثناء عليه وشكره وذكره، ثم بالشهادتين والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه، ويأتي بلفظة أما بعد؛ ثم بالوصية بتقوى الله أو بما يحرك القلوب، ويتحرى الألفاظ الفصيحة التي يفهمها الحاضرون ويعرفون المراد منها، ويتقيد بالسجع المتتابع في المقدمة وفي بعض الخطبة، ويرى أنه يكون أقرب إلى الإنصات والتلذذ بالكلمات[1]، ومن ذلك قوله في إحدى خطبه: «الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، أرسل إلينا أشرف المرسلين، وأنقذنا به من بدع المبتدعين، نحمده سبحانه على ما أولاه من الفضل العظيم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله إلى جميع الثقلين، وأنقذ به الأمة من شرك المشركين، ومن بدع المبتدعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد..

عباد الله، اتقوا الله تعالى حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فأطيعوا أمره ولا تخالفوه فتكونوا من الضالين، واذكروه دائما ولا تكونوا من الغافلين، واشكروه على نعمه ولا تكونوا بها من الكافرين»[2].

---

(١) الفتوى رقم ٢٩٧٩بتاريخ ١٤٢١/١١/٢٣ هـ.

(٢) http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=10&book=195&toc=8091&page=7072&subid=28327

وفي الخطبة الثانية يبدأ غالبا بالخطبة المشهورة: «الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له تعظيما لشانه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ الداعي إلى رضوانه، الهادي إلى إحسانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا بلا إله إلا الله؛ فإنها العروة الوثقى، واحذروا المعاصي، فإن أجسادكم على النار لا تقوى، وتواضعوا لله؛ فإن من تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله وضعه، ومن زرع التقوى حمد عند الحصاد ما زرعه.

واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يد الله مع جماعة المسلمين، ومن شذ عنهم شذ في النار.

واعلموا رحمكم الله أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة هي دار المقر؛ فتزودوا من ممركم لمقركم، وتأهبوا ليوم حسابكم وعرضكم على ربكم، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيون، وعن أفعالكم محاسبون، وعلى تفريطكم وإهمالكم نادمون، وعلى رب العزة ستعرضون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٧]. واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسوف يتخطى غيركم إليكم؛ فخذوا حذركم.. إلخ»[١]، ثم يكمل بعض ما يتعلق بالموضوع ولا يطيل، ثم يذكر بالصلاة على النبي ﷺ، ويتلو دائما

(١) http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=10&book=192&toc=8065&page=7053

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقوله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا من الصلاة عليَّ فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»[1]. ثم يصلى على النبي ﷺ، ويترضى عن الآل والأصحاب، ثم يدعو دعاء طويلا، وكثيرا ما يستسقي في خطبته، ومن نماذج ذلك قوله في إحدى خطبه: «اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي البشير النذير، والسراج المنير، اللهم صل وسلم عليه عدد ما صُلِّي عليه من أول الدنيا إلى آخرها، اللهم وارض عن أصحابه الخلفاء؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الستة الباقين من العشرة، وعن الذين بايعوا نبيك تحت الشجرة، وعن عمي نبيك؛ حمزة والعباس وعن زوجاته أمهات المؤمنين وعن بقية الصحابة أجمعين، اللهم ارض عن التابعين وتابعي التابعين، اللهم ارض عمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم ارض عنا معهم بمنك، وكرمك، وجودك، وإحسانك يا رب العالمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين؛ اللهم أعز الإسلام والمسلمين؛ اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم انصر عبادك الموحدين، اللهم انصر الدين ومن نصر الدين، وأذل الكفرة والمشركين، اللهم انصر أنصار الدين وقوِّ عزائمهم يا رب العالمين، اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك الموحدين، اللهم أظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبيك محمدا ﷺ على الدين كله يا رب العالمين، اللهم آمنا في أوطاننا، واستعمل علينا خيارنا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين؛ يقولون بالحق وبه يعدلون، اللهم أصلح من في صلاحه خير للإسلام والمسلمين، ودمر من في بقائه ضرر على الإسلام والمسلمين يا رب العالمين، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام

---

(١) أخرجه أبو داود في باب الاستغفار من كتاب الوتر برقم /١٥٣٣.

والمسلمين بشر فاشغله في نفسه، واردد كيده في نحره، اللهم عليك باليهود والنصارى وأعوانهم في كل مكان، اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم، واثلم حدهم، واشقق عليهم عصاهم، اللهم دمر اليهود والنصارى والشيوعيين والمنافقين، والباغين والملحدين وكل عدو للدين، اللهم انتقم منهم فإنك عزيز ذو انتقام. اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في الشيشان وفي كشمير وفي الفلبين وفي سائر البلاد الإسلامية، اللهم قو عزائمهم، وثبت أقدامهم، وسدد سهامهم وسدد رميهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وإنهم عراة فاكسهم،وإنهم حفاة فاحملهم، اللهم ثبتهم، وقو عزائمهم، وانتقم من أعدائهم يا رب العالمين، اللهم أقم علم الجهاد واقمع أهل الشرك والفساد والعناد، وانشر رحمتك على العباد يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنى والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا وأغثنا، اللهم اسق عبادك، وبلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت، اللهم اسقنا وأغثنا، اللهم اسقنا غيثا مغيثا وحيا، وجدا طبقا غدقا مغدقا مونقا هنيئا مريئا مريعا سحا عاما دائما دررا، نافعا غير ضار عاجلا غير رائث، تحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغا للحاضر والباد، اللهم أنزل في أرضنا زينتها، اللهم أنزل في أرضنا سكنها، اللهم أنزل من السماء ماء فأحي به بلدة ميتا، واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللأواء والشدة، والضيق، والضنك ما لا نشكوه إلا إليك، اللهم اسق بهائمك، وانشر رحمتك يا رب العالمين، اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، اللهم لا تحرمنا خيرك، ولا تحرمنا فضلك بذنوبنا؛ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين،

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى... إلخ».

وهو دائما يرفع يديه في الدعاء في الخطبة وفي غيرها ويمسح بعد الفراغ من الدعاء وجهه بيديه، ويرى أن ذلك مشروع، وأن الأحاديث التي وردت في رفع اليدين عامة في جميع المواعظ، فيرى أنه يسن للخطيب رفع يديه حالة الدعاء، وللمأمومين رفع أيديهم مع التأمين على الدعاء، ويرى أن حديث: « قبح الله هاتين اليدين... إلخ»[1] في رفعهما وحركتهما حالة الخطبة، أو رفعهما عند الشهادة، وأن المشروع عند الشهادة الإشارة بالسبابة للتوحيد[2]، وأن الخطيب المذكور في الأثر كان يأمر الناس أن يرفعوا أيديهم في الذكر، ويقول: اذكروا الله يذكركم. ويشير للناس أن يرفعوا أيديهم، ويمثل الوالد رحمه الله ذلك برفع يديه كهيئة من يريد تكبيرة الإحرام[3].

وهو في صلاة الجمعة كثيرا ما يقرأ سورة الأعلى والغاشية، وذات مرة قرأ في الركعة الأولى سورة الأعلى، وفي الركعة الثانية ابتدأ بسورة الغاشية، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾[الغاشية: ٢١]، قال: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[الأعلى: ٩]، وأكمل من سورة الأعلى، ولم يفتح عليه أحد من المأمومين، فلما سألته بعد الصلاة، قال: إني تفكرت فيما ذكره العلماء من الحكمة في قراءة هاتين السورتين في الجمع والأعياد ونحوها من الصلاة الجامعة، وذلك لما فيهما من الأمر بالتذكير، فلذلك سهوت.

---

(١) رواه مسلم في باب تخفيف الصلاة والخطبة من كتاب الجمعة عن عمارة بن رؤيبة قال: "رأى بشر بن مروان على المنبر رافعا يديه فقال قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة".

(٢) الفتوى رقم ٩٥٩٨ بتاريخ ١٤١٥/٨/٨هـ

(٣) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3

ويقرأ أحيانا في الركعة الأولى سورة الجمعة وفي الثانية سورة المنافقون، اقتداء بالنبي ﷺ، وربما قرأ غيرهما لمناسبة كآيات الصيام أو الحج أو التوبة من الذنوب أو الشكر أو الصبر أو نحوها.

وهو يحرص على الخطابة في مسجده وفي غيره حبا في نفع الناس، حتى ولو كان مرهقا أو متعبا، وفي السنين الأخيرة كنا نلاحظ عليه الإرهاق في أثناء الخطبة، ومع ذلك لا ينيب ولا يستخلف، وفي إحدى المرات كان يصلي الجمعة في حي العريجا في الجامع الذي يصلي به الشيخ عبدالله المطرود، وفي أثناء الخطبة لاحظت عليه تعبا ظاهرا، فصعدت للمنبر فلما رآني صاعدا جلس، وأشار لي أن أكمل الخطبة فأكملتها وهو جالس على الكرسي خلفي، فلما انتهيت نزل من المنبر وصلى بالناس، فلما سألته ما الأمر قال: إن المنبر ليس فيه تكييف كاف، وشعرت بالحر فلم أستطع المواصلة، وكان هذا قبل عشرين عاما من وفاته رحمه الله.

وحدث هذا كثيرا في السنوات السابقة لوفاته، كما سأتحدث عنه إن شاء الله عند الحديث عن مرضه، والشاهد أنه كان يتجلد في سبيل نفع الناس وإفادتهم رحمه الله.

هذه أبرز المعالم فيما يتعلق بخطبه، نسأل الله أن يغفر له، وأن يجعل ذلك ذخرا له يوم يلقاه.

تقاعد أم انطلاق؟!

هذه آخر وقفة لنا مع عطاء الشيخ الوالد رحمه الله، وهذا الموضوع ليس فيه كثير حديث، وعنوانه كاف في الدلالة على مضمونه.

كنا في صحبته في المدينة قبل سنين عديدة فزرنا الشيخ حمادًا الأنصاري رحمهما الله، وكان قد تقاعد لتوه من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، وذلك في عام ١٤١٠هـ، فقال الشيخ حماد للوالد ممازحا: يقولون لي: «مت قاعد».

والعلماء والدعاة ورجال العمل الخيري لا يوهنهم التقاعد، بل يزيد من نشاطهم، ويوسع دائرة اتصالهم.

وهكذا كان الوالد رحمه الله لم يزده التقاعد إلا نشاطا وانطلاقا..

- حينما كان في العمل لم يكن يبرح الرياض إلا نادرا، فقد كان العمل يقيد تحركاته، فهو من السبت إلى الأربعاء يتقيد تقيدا دقيقا بالدوام الرسمي من الساعة الثامنة وحتى الثانية والنصف، بل لا يصل للبيت إلا حوالي أذان العصر، وبعد التقاعد انطلق في الأرض مشرقا ومغربا، فالجولات الصيفية لم تأت إلا بعد التقاعد، والدورات الصيفية لم تبدأ إلا بعد التقاعد، والرحلات الشهرية للمناطق لم ينشط لها إلا بعد التقاعد، ودرس القويعية الشهري لم يكن إلا بعد التقاعد... وغيرها كثير.
- زادت دروسه الأسبوعية بعد التقاعد على خمسة عشر درسا، ستة بعد الفجر، ودرس بعد الظهر، ودرسان بعد العصر، وخمسة بعد المغرب، وثلاثة بعد العشاء، كما زاد الوقت الذي يقضيه في الدروس، فضلا عن الدروس نصف الشهرية والشهرية.
- أصبح له زيارات منتظمة وغير منتظمة للدوائر الحكومية، فله لقاء شهري في الحرس الوطني، ولقاءات أخرى في المستشفيات والقطاعات العسكرية وغيرها.
- فتح بابه للناس من المستفتين والمستجدين وطالبي الشفاعات والزوار

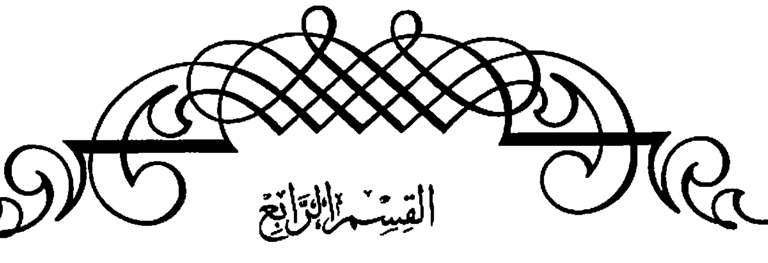
وغيرهم، فالأعمال التي كان يمارسها في مكتبه انتقلت لبيته بعد التقاعد.

- نظم مكتب البيت وجهز بالمكاتب والأدوات المعينة على العمل، وعين فيه موظفون رسميين ونظم العمل الإداري بتوجيهه رحمه الله وإشراف أبنائه وبعض إخوانه وأقاربه وتلاميذه.
- افتتح موقعه الإلكتروني على الإنترنت، وبث دروسه عبر النت إلى العالم، وعرفه البعيد والقريب.
- انفتح على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في برامج منتظمة كسؤال على الهاتف وغير منتظمة كالحوارات التلفزيونية في قناة المجد ونحوها.

هذه أبرز المعالم وخلاصتها أن الشيخ الوالد رحمه الله لم يتقاعد بل انطلق، كان التقاعد بداية لمرحلة جديدة مليئة بالعطاء.

لم يتفرغ لأهله، بل انشغل عنهم، لم يتفرغ لنفسه، بل استعملها في الطاعة ونفع المسلمين، لم يكن التقاعد فرصة للراحة، بل كان هو الراحة نفسها، لقد وجد رحمه الله راحته في حلقات العلم ومجالس الذكر ونفع الناس.





القِسْمُ الرَّابِعُ

الشخصية الفذة

- الملامح والسمات
- معالم الإخلاص
- علو الهمة
- تواضع وعزة
- زهد وورع
- جبل الصبر
- الوقت في حياة الشيخ
- حلم وأدب
- الشجاعة المتزنة
- أحوال النفس
- صفات الريادة
- ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

الشخصية الفذة

كانت الأقسام الثلاثة السابقة أقسامًا سردية تحكي واقعًا حيًّا، وتصور حياة ملموسة، لكن هذا القسم يغوص في عمق النفس، ويترجم الأحاسيس والمشاعر، ويتلمس الصفات والسمات التي قد تظهر، وقد لا تظهر بسبب خفائها في نفسها أو حرص صاحبها على إخفائها؛ رغبة في الثواب وطلبًا للأجر، وبالرغم من أن هذا القسم أشق عليَّ من الأقسام السابقة لصعوبة الوصول إلى المعلومات فيه، لكنه في الآذان أعذب وللنفوس أقرب، فهذا العالم النحرير والمفتي القدير والمحقق المدقق المتفنن المبدع، لا بد أنه يملك شخصية فذة، فقد حباه الله بالجميل من الأخلاق الفاضلة، وجبله على كثير من الصفات الكاملة.

سنعيش في هذا القسم مع الإخلاص والتواضع والزهد والورع والحلم والسماحة، سنعايش الصبر والتحمل والشجاعة والعزة والترتيب والتنظيم، سنحلق مع علو الهمة والسمو للمعالي ورباطة الجأش وصدق العزيمة، سنتلذذ ونحن نحكي قصص الابتلاء والإيمان بالقضاء، ونحن نتأمل حسن المعاملة واللطف والدعابة، سنلم بالسمات والملامح الخَلْقية، والصفات والفضائل الخُلُقية، وسنحاول أن نسبر غور النفس وأحوالها في فرحها وحزنها، ونتعرف على معالم الريادة وصفات القيادة.

أقول هذا، وأنا أعلم أننا نحاول محاولة، وقد لا نوفق لمعرفة بعض ذلك، لكننا سنحاول تلمس شيء من ذلك؛ ليعرفه القراء وتستفيد منه الأجيال، ومع هذا، فسنبعد عن المبالغات، وما ذكرته هنا هو عرض لا وصف، ولعله يأتي مَنْ يحكيه أو يحاكيه، فإننا نتحدث عن علم من الأعلام بلغ فيما نحسب حدود الغمام.

وفوق كل هذا سيكون الحق رائدنا والشفافية منهجنا، سأحكي الواقع كما كان دون زيادة أو نقصان، وسأشير أيضًا من باب البيان إلى ما يقوله بعض المنتقدين من أهل النصح والخير، فمن الذي ترضى سجاياه كلها، وسأضرب صفحًا عن كلام أهل الحسد أو الجفاء، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ معرضًا عن كلامهم، مجافيًا لنقدهم، فعلى نهجه سأسير، فهكذا علمنا وعلى هذا درَّبنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ حسن الخلق، لين الجانب، كثير التواضع، طيب المعشر، يبذل الوسع في التوسعة على المحتاجين، يفرح بمن يزوره، ويكرمه.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ دائم البشر والابتسام، لا يحقد على أحد، ولا تجد في قلبه بغضًا ولا كراهية؛ لذا أحبه الناس وأحبهم، وألفوه وألفهم.

لقد كان عمره حافلًا بالمزايا الطيبة والسجايا الكريمة، التي هي سمت العالم وسمة المؤمن كحب الخير، والرفق بالناس، وسعة الصدر، ورجاحة العقل.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ سلس الحديث ثاقب الرأي حصيفًا، يعطي كل من يقابله حقه من المعاملة الحسنة، وينزل الناس منازلهم، ويعرف لهم قدرهم، ويقضي حوائجهم.

بيته ومكتبه مفتوحان؛ فلم يكن له حجّاب، وليس على بابه بوّاب، الكل يدخل عليه، هذا يسأله، وذلك يطلب شفاعته، والآخر يرجو معونة أو صدقة، وهو يجيب هذا، ويشفع لذاك، ويعطي الثالث، وكأن الشاعر عناه بقوله:

تَـرَاهُ إِذَا مَـا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلا ... كَـأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجَـادَ بِـهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ

هُوَ البَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المَعْرُوفُ وَالبَحْرُ سَاحِلُهْ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ ... دَعَاهُ لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ[1]

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٦٦ / ٦٠.

لقد عاش رَحِمَهُ اللهُ ثمانين عامًا، قضاها في خدمة الناس وقضاء حوائجهم، رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

وأخيرًا نقول: لقد كان له رَحِمَهُ اللهُ من كل فضيلة السهم الأعلى والقدح المعلَّى، ولنبدأ في تفاصيل هذا القسم وفروعه؛ علّ ذلك أن يكون نبراسًا لطلاب العلم ومحبي الخير.

الملامح والسمات

إن الناظر للشيخ الوالد رَحِمَهُ اللهُ ليتبين من ملامحه الصورة السائدة لشيوخ القبائل النجدية، حيث اللون القمحي المشرب بالحمرة والجبهة العريضة والعينان السوداوان اللتان يتوسطهما أنف متوسط تحته ثغر باسم وذقن مزدان بلحية بيضاء، لم يغير الشيخ بياضها ولو بالحناء، وكان إذا سئل عن ذلك ذكر قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «هو سنة، ولو نقوى عليه اتخذناه، ولكن له كلفة ومؤنة»[1].

الوالد رَحِمَهُ اللهُ معتدل القامة ليس بالطويل، ولا بالقصير فيه انحناءة يسيرة تظهر بوضوح عند المشي، وكان رَحِمَهُ اللهُ خفيف اللحم، وقد منع من تراكم اللحم عليه ضيق في المريء صبر عليه أكثر من ثلاثين عامًا، وبعد أن أجرى عملية لتوسيع المريء عام أربعة عشر وأربع مئة وألف تحسنت حالته، وزاد وزنه عشرين كيلو جرامًا، فقد كان وزنه قبل ذلك ثلاثة وخمسين ثم أصبح ثلاثة وسبعين كيلو جرامًا، وطوله ١٦٥سم.

---

(١) الفروع لابن مفلح ١/١٥١.

ومما يميزه رَحِمَهُ اللَّهُ بحة في صوته قديمة من أصل خلقته وليست كما يتصور بعض الناس بسبب مرض أو عين.

لباسه الغالب الشماغ الأحمر والثوب الأبيض الذي يكون إلى مستدق الساق، والنعلان النجديان المعروفان بالزبيرية، وإن كان يلبس غيرهما أحيانًا، ويلبس في الشتاء معطفا يسمى «الكوت» هو من الصوف غالبًا، وربما لبس في الشتاء إذا اشتد البرد الملابس الشتوية الملونة، والشراب والأحذية الشتوية، ويختار أن يلبس جوربًا صفيقًا أو يلبس اثنين؛ لأنه لا يرى المسح على الجورب الخفيف.

أما المشلح فإنه لا يكاد يفارقه إلا إذا كان في بيته، أو مسجد حيه، أو دروسه اليومية.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ يحب في ملابسه اللون الأبيض وما قاربه.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ لا يهتم بالمظاهر، ولا يحب المغالاة في ذلك، فملابسه ومشلحه من الملابس المعتادة التي يلبسها عامة الناس.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يغير ملابسه إذا اتسخت، ويغيرها عندما يغتسل في يوم الجمعة، تطبيقًا لسنة النبي ﷺ في لبس الثوب النظيف والتطيب يوم الجمعة.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ حريص على الطيب، يضعه على شماغه ولحيته، فلا يُشَمُّ منه إلا رائحة طيبة، فهو يحمل الطيب دائمًا في جيبه يطيب من حوله، ويتطيب ويهدي.

معالم الإخلاص

الإخلاص خصلة من الخصال التي يتصف بها العلماء الربانيون الذين سخَّروا أوقاتهم وأعمارهم كلها لله وحده لا شريك له.

والوالـد رَحِمَهُ اللهُ له من هـذه الصفة النصيب الأوفى، فـإذا رأيته رأيت في وجهه الصدق والإخلاص، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

كان رَحِمَهُ اللهُ يُلمح الإخلاص في عمله، وهو ما أثمر البركة في أعماله، كما كان محافظًا على الصـدق في حديثه، فإذا استمعت إلى دروسه ومحاضراته وكلماتـه، أحسست بالصـدق الذي يحليه الإخلاص، مع أنه رَحِمَهُ اللهُ يجتهد في إخفاء عمله ما استطاع إلى ذاك سبيلًا.

يحمـل في قلبه حـبَّ الدعوة، وحب إيصـال الخير للناس، دون تصنع وتكبر وتعالٍ على الخلق، بل مع طلاقة وجه وكرم خلال.

ومن المظاهر التي تدل على إخلاصه رَحِمَهُ اللهُ: أنه كان يحاول التخفي في المجالس وعدم الظهور، يقول الدكتور سلمان العودة [1]: «دخل المجلس مرّات؛ فألقـى السلام على من حولـه، وقعد في طرف المجلس متسلـلًا مستخفيًا، لا يحـب أن يعلم به أحد، فـإذا علموا به، فقامـوا إليه، وقدموه؛ تباطـأ، وتلكّأ، وسايرهم على مضض».

وكان لا يحب أن يتحدث، ولا يبدأ بالحديث إلا إذا رأى ضرورة لتصحيح أو إنـكار أو إذا دعـي إلى الحديث فإذا تحدث أتـى بالعجب العجاب، وأمطر كمزن السحاب يقول عنه معالي الشيخ عبدالله الركبان حَفِظَهُ اللهُ: «كان يستمع أكثر مما يتحدث» [2].

والحديث عن هذه الخصلة عسير جدًّا؛ لأنها خفية وصاحبها يحب إخفاءها، ولكـن حسبنـا ما نراه مـن بركات عملـه رَحِمَهُ اللهُ وما خلـف من العلـوم والتلاميذ

(١) htm.116315-http://islamtoday.net/salman/mobile/mobartshows-28

(٢) من مقالة للدكتور سلمان العودة بعنوان السهل الممتنع: http://islamtoday.net/salman/ .htm.116315-artshow-28

والفتاوى والسيرة العطرة ومحبة الناس وثقتهم، ما يدفعنا للظن بأنه كان من المخلصين الصادقين نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

ويظهر لكل من خالطه، وعرفه كثرة الأعمال التي يقوم بها، والتي ينوء بحملها أولو القوة والبأس من الرجال؛ ومن عرف الوالد رحمه الله، عرف أنه لم يكن يعمل هذه الأعمال طلبًا للشهرة ومعسول الثناء، بل يبغض ذلك، ويتضايق منه، كما سيأتينا إن شاء الله تعالى.

يقول الدكتور سلمان العودة[1]: «الشيخ رحمه الله يستمد قوته من إخلاصه، هذا الذي ظهر لي، أنت تستطيع أن تثني على عمل إنسان، لكن أحيانًا قد تتردد في الثناء على إخلاصه؛ لأن النيات أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنتم شهداء الله في الأرض»[2]، الذي يعلمه كل من جالس الشيخ أن الرجل في غاية الإخلاص، وكأنه لا حظ له من نفسه، يوم كان طلابه في المسجد عشرة وخمسة، وهو يدرس، ولما كانوا آلافًا يدرس».

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان[3]: «أظن أن من أكبر الأسباب التي جعلت الشيخ يتميز، ويتفوق في طلب العلم وقوة التحصيل، ثم في العطاء والجهاد الذي يبهر النفوس هو الإخلاص هكذا نحسب الشيخ، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا، فلا يمكن أن يتفانى الإنسان بهذه الدرجة إلا وهو يريد ما عند الله سبحانه وتعالى».

ومن القصص التي ذكرت عن البركة في الوقت التي يراها من يرافقه، يقول أحمد بن العم محمد: «كنا في حصاة قحطان، وكان سيصلي بهم الجمعة في أيام الشتاء والنهار قصير، وكان عنده درس بعد المغرب في الرياض، قلت

---

(١) قناة دليل.
(٢) رواه البخاري في باب ثناء الناس على الميت من كتاب الجنائز برقم /١٣٠١.
(٣) قناة دليل.

في نفسي: إن صلينا الجمعة فلن نلحق درس المغرب، لكن جعل الله في الوقت بركة، سلكنا الطريق البري، ثم سلكنا الأسفلت، ووصلنا قبل أذان المغرب بحمد الله».

ويقول أخي سليمان: «كنت معه في الحج، وذهبنا لطواف الإفاضة، فلما أقبلنا على الحرم وجدنا الأبواب مغلقة بسبب الزحام، والشرطة يصيحون: ممنوع الدخول، الحرم ممتلئ، وذلك قبل وضع اللوحات التي على الأبواب، قلت له رحمه الله: ما رأيك؟.

قال: سندخل إن شاء الله، فذهبنا من جهة الصفا، مع السلم الكهربائي إلى السطح، فلما وصلنا السطح نزلنا مع السلم القديم الذي بجوار الصفا، حتى وصلنا المطاف في الدور الأرضي، فأنهينا أربعة أشواط قبل الصلاة بجوار الكعبة، ثم أكملنا الثلاثة بعد الصلاة».

علو الهمة

علو الهمة من الأخلاق الإسلامية التي حث عليها الإسلام، وربى عليها النبي ﷺ أصحابه الكرام، وكانت حياته ﷺ وحياة أصحابه مليئة بالمواقف التي تدل على علو الهمة.

والمسلم الذي تربى على علو الهمة تجده جادًّا في حياته، مبتعدًا عن مواطن الشبهة والشهوة، مترفعًا عن الصغائر والدنايا، مجتهدًا في الطموح إلى المعالي، سباقًا إلى فعل الخيرات.

والشيخ الوالد رحمه الله يلحظ كل من عرفه أنه كان عالي الهمة، فله في كل ميدان بصمة، وذكر حسن، ومواقف حميدة تذكر، فتشكر.

بلغ رحمه الله الثمانين من عمره، لكن همَّته ونشاطه في الدعوة والتعليم والاحتساب وبذل الجاه ونفع الناس، يعجز عن مجاراتها أبناء العشرين.

يقول أحد طلابه رحمه الله[1]: «صحبت الشيخ في إحدى رحلات العلمية التي يقوم بها للبلدان وما أكثرها، وألقى الشيخ درسه، ثم عدنا بعد منتصف الليل، فذهبت إلى النوم مباشرة بسبب التعب والإنهاك، وفي اليوم التالي اكتشفت أن الشيخ رحمه الله كان يقوم الليل تهجدًا لله».

ويقول الشيخ حمد عبد الرحمن الكوس في مقال له بعنوان: «لقائي الأخير بالإمام ابن جبرين رحمه الله»[2]: «لقد قدر لي التتلمذ على يديه أيامًا قلائل في الدورة العلمية بعد الفجر، فكان لا يكل ولا يمل، ويجلس أكثر من ساعتين، وكان الشيخ وقتها قد ناهز السبعين، ولكن همته كانت تفوق همة الشباب ونشاطهم! وكانت أوقاته عامرة بالدروس والإفتاء لعويص المسائل ودقائقها بهمة عالية ليس لها نظير».

يقول الشيخ عبد الله بن راضي المعيدي[3]: «حينما قدَّمت له كتابي: (تشنيف الآذان في أحكام الأذان) كان الشيخ في إحدى الدورات العلمية، وكنت أتوقع بقاء الكتاب عند الشيخ مدة ستة أشهر؛ كما هو المعتاد، هذا ما قاله لي الأخ الفاضل سليمان ابن الشيخ، ولكن العجيب أنه في درس الفجر من الغد أعطاني الأخ سليمان النسخة التي دفعتها للشيخ أمس!! فقلت في نفسي: لعل الشيخ رفض التقديم للكتاب، ولهذا سألت سليمان: لماذا؟ هل رفض الشيخ الكتاب؟ فضحك، وقال: اقرأ وأنت سترى، فقلت: هل كتب الشيخ عليه شيئًا،

---

(١) أورد هذه القصة عبد الله بن محمد الحربي، انظر مقاله في موقع أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-179870.html.

(٢) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=179870&page=5.

(٣) http://islamtoday.net/nawafeth/mobile/zview-102-116142.htm.

قال: نعم، قلت: ولكن كيف؟ فجدوله مليء بالدروس! قال: وجدت الشيخ جالسًا وقت الظهيرة، وهو وقت راحته، فقلت له: إن أحد طلبة العلم أعطاني كتابًا له يريد أن تقدم له، وهو غير مستعجل، فقال: أعطني إياه، فقلت: لعلك ترتاح الآن، فقال: لا، هات الكتاب!!

يقول ابنه سليمان: فما قام من مجلسه حتى أنهى قراءة الكتاب، وعلق عليه؛ بل لم يترك حتى الأخطاء الإملائية، وكل ذلك مع كونه مرتبطًا بدروس بعد كل صلاة، ولقاءات وزيارات، وهذا شرف لي وللكتاب أن يكون بتعليق هذا الإمام، فرحمه الله».

ويحكي عبدالرحمن ابن العم ناصر يقول: «كنا في عام سبع وعشرين في رحلة في جنوب المملكة، وكنت سأرجع بعد أسبوع للرياض لأسجل في الجامعة، فقلت للشيخ، ونحن في الطائف: إني بعد أسبوع سأسافر للرياض، وأرجع لأجل التسجيل في الجامعة، قال: طيب وأنا لا أعلم أن له مغزى ولكني لاحظت أن معه مجلدًا كبيرًا من كتاب «شرح منار السبيل» كان يراجعه، فرأيته بدأ يقضي أوقاته التي ليس فيها دروس في قراءته يقرأ ويصحح وأنا لا أدري ماذا يقصد، حتى ونحن في طريقنا لخميس مشيط مع بعض طرق الجنوب الممتعة، الطريق السياحي لم يرفع الشيخ عينيه من الكتاب، فرأيت الأسفلت مقشورًا، فقلت له أريد ألفت نظره؛ لكي يرى الطريق: يا شيخ لِمَ يقشرونه؟ فرد علي: لم أسألهم!! وهو منهمك في القراءة حتى وصلنا للجنوب فجلس الأيام الثلاثة الباقية يقرأ فيه فلما حان رجوعي وإذا هو قد ختمه، فأعطاني إياه؛ لأسلمه لابنه عبدالرحمن وآتي بالمجلد الثالث، فعرفت حينئذ سبب جده في ذلك، وكان إذا عزم على شيء وجّه نفسه له، وأنجزه».

ويقــول الأستــاذ عبــدالله الحوطــي[1]: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ يمتــاز بالسرعــة في إنجــاز الأعمــال، فقد كان عضــوًا في فحص البحوث التــي تنشر في مجلة البحــوث الإسلامية التــي تصدرها رئاسة البحوث العلميــة والإفتاء منذ عام ١٤٠٢، وكانــت هذه البحوث تصل إلى خمســة أو ستة بحوث، فيقوم بقراءتها قراءة كاملة ويدون ملاحظاته ومرئياته عليها في مدة وجيزة».

ولقد قدمنا الشواهد السابقة، وهي تحكي جانب العبادة وجانب التعليم وجانب العمل بوصفها نماذج وإلا فهمته رَحِمَهُ اللَّهُ عالية لا تسامقها إلا الجبال.

ويكفــي ما مــر بنا من أنه رَحِمَهُ اللَّهُ حفــظ القرآن في ثمانيــة أشهر، وكان يراجع في اليوم عشرة أجزاء.

وأنــه تعلق قلبه بطلب العلم منذ الصغر، فحفظ كثيرًا من المتون ودرس العشرات من الكتب.

وأنــه منذ أن نشــأ لم يكن له التفــات إلى اللهو واللعب كمــا يحكي أحد أقرانــه وهو ابــن عمه محمد بن عبدالله بن محمد الجبريــن يقول: كنا نلعب ونلهو في الصغر والشيخ جالس تحت ظل شجرة يقرأ في كتاب.

وأنه جلس لتعليم الطلاب، وهو لم يبلغ العشرين ربيعًا، ثم أصبح التعليم شغله الشاغل وعمله الدؤوب.

وأنــه سجل لــه أكثر من عشــرة آلاف ساعة من الدروس والمحاضرات والذي لم يسجل أضعاف ذلك.

---

(١) مقالة بعنوان: "ابن جبــرين.. صــرحنا الــذي هــوى" جريدة عكاظ، الخميس ١٤/٠٨/١٤٣٠هـ ٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢.

وأن دروسه الأسبوعية المعتادة خمسة عشر درسًا.

وله محاضرة في كل أسبوع، حتى زادت محاضراته على الألف المحفوظ المسجل منها أكثر من أربعمائة.

وله جولات علمية في الصيف إلى المناطق، يلقي فيها خلال ستة أسابيع قريبًا من ثلاث مئة برنامج ما بين درس ومحاضرة ولقاء، وغيرها.

وأنه إذا لم يكن مشغولًا بدرس فإن الكتاب لا يكاد يسقط من يده فاحصًا أو مراجعًا أو مطلعًا، ولقد جرد كثيرًا من المطولات، وقرأ المئات من الكتب وقرأ المهم منها، كتفسير ابن كثير وبعض كتب الفقه والحديث أكثر من مرة، كما ذكرنا في الأقسام السابقة.

إن الهمة العالية لتنأى بصاحبها عن حظوظ نفسه حتى الطبيعية منها، ولو تأملت حياته رحمه الله مع ملذات الدنيا من الطعام والشراب واللباس والنوم والنزهة والراحة لرأيت عجبًا، وقد ذكرنا في هذه السيرة طرفًا من ذلك يعجب منه العجب.

إن الوالد رحمه الله عندما سجل في معهد إمام الدعوة كان عمره آنذاك خمسة وعشرين عامًا، ولم يعاتب نفسه، ويقول: بعد أن بلغت هذا العمر أدرس منتظمًا مع الطلاب.

إن نفسه الطامحة للسمو والعلو جعلته يناقش رسالته الدكتوراه ولحيته بيضاء، فلم يرهبه هذا، ولم يتكبر أن يجلس ليناقشه بعض زملائه في الطلب؛ بل كسر كل التقاليد، ولم تكن هذه الشهادة ذات قيمة علمية ولا وظيفية بالنسبة إليه آنذاك، فقد بلغ سن التقاعد أو قاربها، حيث نالها وعمره ثمانية وخمسون عامًا.

إن ما مضى من أقسام هذه السيرة، وما سيأتي يترجم همته العالية ونفسه الطموحة وعزيمته الماضية، ولولا التكرار لذكرنا ما قلناه في مواضع أخرى، لكننا نحيلها إلى وعي القارئ اللبيب ومن أحيل على مليء فليحتل.

تواضع وعزة

سأله الدكتور فهد السنيدي في برنامج «صفحات من حياتي»: طلبت التقاعد النهائي؟، فكان رد الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: حصلت الإحالة للتقاعد.

إجابة جمعت بين الصدق والتواضع الذي عود نفسه عليه حتى صار له سجية، وهو قبل ذلك منة إلهية ومنحة ربانية، وقد اشتهر رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الخلق حتى صار هو الميزة التي بها يعرف، حتى قال فيه سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ[1]: «الشيخ عبدالله بن جبرين أخٌ لنا، وصاحب لنا، عرفته منذ زمن طويل، وعرفت منه التواضع الجمّ، والخلق الفاضل».

ولتواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ رفع الله قدره، وأعلى مكانته، وحبّبه لعباده، مصداقًا لقول النبي ﷺ: «وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله»[2].

يقول الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «ومن الآداب التي أدّبنا بها الإسلام التواضع ولين الجانب؛ فإنه أمر أهله بالتواضع، ونهى عن التكبر، والمتواضع هو الذي يُقبل على الناس إقبالًا متساويًا كبيرهم وصغيرهم، يسمع من هذا وذاك، ويقبل من هذا وهذا، ويلين جانبه لهم، ويسعهم خلُقُه، ويسفر لهم وجهَه، ويبسط لهم جاهَه، ويتواضع لهم قلبًا وقالبًا»

---

(١) www.al-q.com/forum/archive/index.php/t-29327.html.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في باب استحباب العفو والتواضع من كتاب البر والصلة والآداب برقم /٢٥٨٨.

(٣) ينظر كتاب (الآداب والأخلاق الشرعية)، لفضيلة الوالد الشيخ عبدالله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ٢٨).

لقد عُرف رَحِمَهُ اللَّهُ بتواضعه الجم مع الناس كلهم صغيرهم وكبيرهم، من جالسه وعاشره وجد فيه التواضع بأسمى صوره، وقد ضرب رَحِمَهُ اللَّهُ أروع الأمثلة وأعظمها في ذلك، فهذا الخلق دأبه وسجيته.

دعني أذكر بعض معالم تواضعه، وإن كانت تفاصيلها ذكرت في مظانها.

فمن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه كان لا يحب الظهور ولا الشهرة، فلو دعي لمحاضرة أو درس، ولو في مكان بعيد، فإنه لا يأنف، ولا يتردد، ولو علم قلة الحضور، فهو لا ينظر إلى عدد الحاضرين كما ذكرنا حين تحدثنا عن قيامه بالتدريس، ولا لبعد المكان كما ذكرنا في جولاته الدعوية.

وقد كان في أثناء الحج يذهب لرمي الجمرات، فكان الشباب الذين معه يحاولون حمايته من مشقة الزحام، ويدفعون عنه الناس، ولكنه يأبى إلا أن يكون كغيره من الناس، فيدخل في زحام الجمرات، فيسقط شماغه من شدة الزحام، وربما ضُيّق عليه من غير قصد، فيقول: الأجر على قدر المشقة، كما قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «أجرك على قدر نَصَبك»[1].

كان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا ذهب لمكة يصلي في الحرم في أي مكان، وربما رتبنا له مكانًا، فلا يلتزم بذلك مع أنه قادر على أن يصلي خلف الإمام أو في بعض الأماكن الخاصة، ولكنه لم يكن حريصًا على ذاك وفي آخر رمضان له في مكة المكرمة عام ١٤٢٩هـ لمح الشيخ صالح آل طالب إمام وخطيب المسجد الحرام الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وهو في طريقه لصلاة العشاء، فأمسك بيده، وقبّل رأسه وأخذه إلى الحجر وبعد أدائه السنة انتظره حتى فرغ من صلاته، ثم نهض

---

(١) مشهور بهذا اللفظ في كتب الفقه وغيرها وقد أخرج أصله البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها وهو في البخاري في باب أجر العمرة على قدر النصب من كتاب الحج برقم / ١٧٨٧، وفي مسلم في باب وجوه الإحرام من كتاب الحج برقم / ١٢١١.

وأمسك بيده وأشار الشيخ صالح للجنود أن يهيئوا مكانًا له خلفه وكان كذلك، وبعد انتهاء الصلاة وأداء السنة سأله الشيخ صالح: هل لك مكان تقصده لصلاة التراويح؟ فأجاب ببساطته المعهودة: سأبحث عن مكان حتى أجد، فأصلي مثل الناس، فأخذه إلى حيث يصلي الأئمة ووضعه بجانبه على الرغم من الزحام الشديد، وفي الليلة المقبلة وكانت ليلة الختمة تأخر الشيخ صالح إلى الصف الثاني لضيق المكان ووضع الوالد رحمه الله في مكانه [1]، فجزاه الله خيرًا على بره بشيخه.

ومن المواقف الغريبة ما حدثنيه الشيخ محمد حسان، ثم ذكره في برنامج في رثاء ابن جبرين في قناة «الرحمة» وعجبت من أن الوالد رحمه الله لم يخبرني بذلك، يقول الشيخ حسان: «تأخر الشيخ رحمه الله تعالى في يوم من الأيام عن درس المغرب في جامع الراجحي بالربوة، وهذا ليس من عادة الشيخ ثم حضر متأخرًا قبيل العشاء وكان بعض الطلبة ما زالوا ينتظرون الشيخ رحمه الله تعالى فألقى درسه ولم يعلق على شيء، ثم سألته وكانت المفاجأة حينما علمت سبب تأخره رحمه الله، فقد كان في طريقه إلى الجامع مع أخ يقود السيارة فمر على كمين لحملة مرورية، وسأل الجندي الشيخ عن هويته وهو لا يعرفه، فاعتذر له الشيخ بأنه لا يحملها، ولما أراد قائد السيارة أن يخبر الجندي بأنه ابن جبرين، وإذ بالشيخ يسرع فيسكت الطالب ويأمره ألّا يخبر عنه، فأصر الجندي على أن ينزل معه الشيخ، فنزل الشيخ؛ لأنه لا يحمل البطاقة وذهب معه بالفعل إلى المخفر، ودخل بتواضعه الجم دون أن يتكلم، فقابله ضابط من طلاب العلم، فأقبل على الشيخ يقبل رأسه، ويرحب به بشدة، ويعرض عليه أن يقدم له أي خدمة يريدها.

---

(١) http://www.albarzh.com/vb/showthread.php?t=8932 موقع البرزة.

فابتسم، وأخبره بالسبب الذي جاء به إلى الشرطة، فما كان من الضابط إلا أن اعتذر غاية الاعتذار، وقبل رأسه، وعاد الشيخ إلى الدرس ولم يعلق على هذا الموقف بكلمة».

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ لا يحب الرسميات، ويميل إلى البساطة، ولهذا يفضل السفر بالسيارة على الطائرة، وقد حدثني غير مرة وهو يقارن بين السيارة والطائرة، فيقول غفر الله له: الوقت متقارب، إذا أردت أن تسافر إلى مكة المكرمة ستحتاج إلى ساعة من البيت إلى المطار وساعة في المطار وساعة ونصف الساعة في الطائرة وساعة من الطائرة حتى تخرج من المطار وساعة ونصف الساعة إلى مكة المكرمة، فإذا حسبتها فإذا هي ست ساعات وأضف إليها ساعتين أو ثلاثًا وكن أمير نفسك تقف متى ما أردت وتصلي متى ما شئت وتأكل وتشرب ما تريد وتتحدث في أنس مع رفقتك وتستمتع بالمناظر وتحرم مطمئنًا في المحرم، فهو يرى أن السيارة أكثر راحة وإن كانت الطيارة أقصر وقتًا، أما المنطقة الشرقية فيستحيل أن يسافر إليها بالطائرة إلا إذا كان في مهمة رسمية كمؤتمر أو نحوه، أما الرحلات العادية أو الدعوية فكل رحلاته إليها بالسيارة.

يقول الشيخ أحمد المهنا[1]: «أذكر من الأشياء التي أثرت في نفسي زيارة الشيخ للأمير فيصل بن بندر أمير القصيم، فقد كان هناك موعد محدد مع الأمير في عام ألف وأربعمائة وعشرين بعد صلاة الظهر، فلما وصلنا وجدنا العسكر عند الباب والبوابة مفتوحة، ويطلبون منا أن ندخل على المنصة التي تدخل على الباب الرسمي.

فقال الشيخ: لا، قف هنا أو ادخل في الموقف، فذهبنا إلى الموقف وجئنا على الأقدام».

---

(١) قناة المجد، مرآة الحدث.

وكان لا يأنف أن يجلس إلى من هو أقل منه علمًا، أو في طبقة طلابه وهذا يعرفه طلابه عنه، فهو يجلس دائمًا في الدرس الذي يسبق دروسه في الدورات العلمية التي تعقد في الصيف، فيحضر مبكرًا كبقية الطلاب ويجلس يستمع، وقد يجلس في درس بعد درسه، بل تقام أحيانًا محاضرة في وقت درسه المعتاد لبعض الدعاة والمشايخ، وتراه جالسًا يستمع للمحاضرة.

فقدته مرة في الحرم، وكان سألني عنه أحد المشايخ لأمر مهم، فبحثت عنه كثيرًا في الأماكن التي أظن أنه يقصدها أو يجلس فيها، ثم وجدته في إحدى الحلقات لأحد المدرسين غير المشهورين في الحرم.

ومن تواضعه رحمه الله: أنه كان يرفض المديح والإطراء، وأشق شيء عليه أن يسمع ثناءً أو إطراءً.

يقول الشيخ الدكتور عبدالوهاب الطريري[1]: «لم يكن تواضعه متكلفًا؛ بل كان على السليقة وبعفوية تأسر النفوس، وهذا الذي تنقطع دونه الهمم.

لقد كان تواضعًا فطريًا غير متكلف منسجمًا مع شخصيته، لا يؤثر فيه مدح المداحين، ولا يضره ذمُّ الذامّين، فصدق عليه قول القائل: (مادحه وذامّه سواء)[2]، وأشق شيء عليه أن يسمع ثناءً أو إطراءً، ولا أزال أذكر أني قدمت الشيخ يومًا ليلقي كلمة، فغلبتني عاطفتي تجاه شيخي، فوصفته ببعض ما يستحق، فلما قام ليلقي كلمته بدأها قائلًا: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

---

(١) مقالة بعنوان «حياة من نوره».

(٢) هذه العبارة قيلت في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله انظر الرد الوافر لابن ناصر الدين ٦٦/١.

والله لو علموا بقبح سريرتي	لأبى السلامَ عليَّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملّوا صُحبتي	ولبؤتُ بعدَ كرامةٍ بهوان
لكن سترتَ معايبي ومثالبي	وحلمتَ عن زللي وعن طغياني[1]

ثم تبرأ من كل ما قيل في مدحه قبل أن يبدأ كلمته».[1]

وقال رحمه الله مرة عندما مدحه المقدم في إحدى محاضراته[2]: «أعتذر مما ذكره أخي من هذا الإطراء، وهذا الوصف البليغ؛ فلست هناك، فأنا من آحاد الناس، ولم أصِلْ إلى هذه الرتبة التي أشار إليها، ولكن أُحِبُّ أن أسهم بقدر ما أستطيع، وأستسمحكم عُذْرًا عن الخطأ وعن الزلل؛ فلست بمعصوم. أقول ما تسمعون، وأرجوكم أن تعفوا عما يكون من التقصير، ومن النقص؛ فالإنسان محل النسيان، ولم نبلغ درجة الاجتهاد، ولا درجة الحكم بما نراه؛ وإنما نقول بما نستطيعه، وبما وصل إليه علمنا. والإنسان عليه أن يعرض العلم الذي يسمعه على الأدلة، وعلى ما يقوله العلماء الأولون، وإذا رأى صوابًا قَبِلَهُ، وإذا رأى خطأ رَدَّهُ؛ ولو كان القائل من كان، ولو كان فلانًا أو فلانًا».

ومن ذلك: أنه ذات مرة أنابه الشيخ ابن باز رحمه الله لإلقاء محاضرة في جامع الشيخ الدكتور عبدالعزيز التركي، فبدأ الشيخ المحاضرة بالاستغفار، ولوم النَّفس على الحديث بدلًا من الإمام ابن باز.

وكان يستشهد في مثل هذه المناسبة بقول الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم	ونزلت بالبطحاء أبعد منزل

---

(١) من أبيات القحطاني في قصيدته النونية البيت الثامن عشر وما بعده.

(٢) http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=8&book=119&toc=7437&page=6542



وقال مرة بعد قصيدة قيلت فيه[1]: «وبعد أيها الإخوة: فأنا لا أحب هذا المديح؛ وذلك لما ورد في الأحاديث: أن رجلًا مدح آخر عند النبي ﷺ، فقال: «ويحك! قطعت عنق صاحبك، إن كان أحدكم مادحًا لا محالة، فليقل: أحسبه كذا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا»، وبكل حال، فإن أخانا الشاعر -وفقه الله- قال وتكلم بحسب ما يظنه، ونحن نستغفر الله أن نكون دون ما يظن، ولا شك أن الإنسان أعرف بنفسه، ولا يجوز لأحد أن يظن أو يتخيل شيئًا لم يكن، والإنسان يظن بنفسه القصور، ويعرف من نفسه أنه ليس أهلًا للمديح ولا للمقالات؛ لما يعرفه من نفسه ولا يعرفه غيره».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «أنا أشعر بأنني ضعيف في الحفظ، كثير النسيان وكذلك إذا قايستم بيني وبين الزملاء، ولكن معلوم أن الإنسان إذا كرر المتن، وكرر القراءة يسر الله له الحفظ».

وقال أيضًا في مناسبة أخرى رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «أعوذ بالله أن أكون في أعين الناس كبيرًا، وعند الله صغيرًا، وأقول كما قال الشاعر القحطاني:

والله لو علموا بقبح سريرتي	لأبى السلام علي من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي	ولبؤت بعد كرامة بهواني

وأقول كما قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون». ولا أحب أن أواجه بمثل هذا الإطراء، وهذا الرفع، فلسان الحال يقول:

أنا العبد الذي كسب الذنوبا	وصدته الأماني أن يتوبا

---

(١) مقدمة محاضرة «محرمات متمكنة من الأمة».
(٢) قصتي في طلب العلم.
(٣) http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=9&book=166&toc=7916&page=6932&subid=30073.

فأنا:

لي ذنــــوب شغلتني	عــن صــيــامــي وصــلاتــي
تــركــت جــســمــي عــلــيــلا	مـــات مـــن قــبـــل وفــاتــي
لــيــتــنــي تــبــت لــربــي	مـــن جــمــيــع الــســيــئــات
أنـــا عـــبـــد لإلـــهـــي	مــغــضــب في الخــلـــوات
قـــد تـــوالـــت ســيــئــاتــي	وتـــلاشـــت حــســنــاتــي

ويقول الدكتور عبدالوهاب الطريري[1]: «في يوم من الأيام سبقت الشيخ إلى حذائه، وقربته منه، وقبل أن أصل إليه أسرع إلي، ودفعني بكلتا يديه، وهو يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وقد وضح عليه كراهية هذا الأمر؛ ولذلك لم أعد إليه مرة أخرى».

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه لم يكن يرضى أن يُقَبِّلَ أحدٌ رأسه؛ بل يمنع ذلك ولا يحبذه؛ ويمسك عنق من يحاول، ويدفعه، في حين أنه يُقَبِّلُ هو رؤوس مشايخه وزملائه.

يقول عبدالله بن سعيد بن زعير[2]: «صلى معنا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ صلاة العصر في المسجد المحاذي لمنزل الوالد في اليوم الثاني بعد إطلاق سراح الوالد من سجنه، وتعانق الشيخان أمام المصلين، وأمسك كل منهما برأس الآخر ليقبله، ولكن الشيخ ابن جبرين أقسم على أن يقبّل رأس الوالد، ففعل».

ويقول الشيخ محمد حسان[3]: «كنت في مكة المكرمة، وكنت أحب اللقاء بالشيخ، فلما هممت بالانصراف من بيت الله الحرام وإذا بأحد الإخوة

(١) برنامج «مرآة الحدث» في قناة المجد.
(٢) http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=81&cid=769.
(٣) قناة «الرحمة» في رثاء ابن جبرين.

ينادي ويقول: الشيخ ينتظرك، فعدت إليه مسرعًا وإذا بالشيخ يقف للسلام علي وأنا من تلاميذه، فانكفأت على رأسه؛ لأقبلها وإذا به بقوة شديدة يقبل رأسي فانكببت على يده لأقبلها فانكب على يدي، وهو يريد أن يفعل ذلك فبكيت وقلت: يا شيخنا، أنا تلميذك، فكيف تفعل ذلك؟».

ويقول خالد الأحمدي[1]: «أذكر أنني زرته في بيته ذات مرة لسؤاله عن بعض المسائل، فوقفت بفناء المنزل منتظرًا قدومه من المسجد وكان بالقرب مني رجل مسنٌّ من عوام الناس ينتظر الشيخ كذلك، ولما دخل الشيخ علينا ورأى الرجلَ هش له وبش كعادته، وصافحه بحرارة تُنبئك عن قرب الرجل من الشيخ، ولما همَّ الرجل بتقبيل رأس الشيخ، إذ بالشيخ يحاول هو تقبيل رأس المسن، وأخذا بالتطاول أمامي في منظرٍ قل أن يتكرر ويُشاهد من غير ابن جبرين، وإذ بالشيخ يفاجئ الرجل ويفجؤني معه بانحنائه وتقبيله ليد ذلك المسن، فاستل الرجل يده مسرعًا وهو يردد: أنا من أُقبل يدك يا شيخ».

ويقول الشيخ إسلام دعدوشة[2]: «كان الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يضرب أعلى المثل في هذه المسألة، وكان ينهى الطلاب تمامًا، حتى إنه كان يصعب عليك جدًّا أن تقبل رأسه أو تقبل يديه وقد حاولت مرارًا، فكان يمنعني تمامًا إلا على حين غِرّة».

ويقول تلميذه فهاد القحطاني[3]: «كل يريد أن يقبل رأسه، حتى إن الشيخ كان يقول لي: أجلس أحيانًا ثلاثة أيام أعالج رقبتي مما أجد من الآلام من كثرة ما يشد الناس رقبتي».

---

(١) لجينيات http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=8937

(٢) برنامج «التبيان» في قناة «الناس».

(٣) http://ibn-jebreen.com/ommah/save.php?t=word&cid=781

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: تقديره للعلماء المعاصرين، وحرصه على زيارتهم، وعيادة من يمرض منهم.

يقول الشيخ أحمد عبد الرحمن الكوس[1]: «كان متبحرًا في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكذا كان أجداده من العلماء، واشتهر بذلك حتى إن العلامة محمد بن جراح كبير علماء الحنابلة في الكويت أوصى قبل موته بعض كبار تلاميذه بالعلامة ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ وبالعلامة عبد العزيز آل الشيخ حَفِظَهُ اللَّهُ (المفتي الحالي للمملكة) فلما ذهبوا لابن جبرين قال في تواضع جم: كيف تقرؤون علي بعدما قرأتم على الشيخ ابن جراح؟! فكان رَحِمَهُ اللَّهُ متواضعًا، ولعل هذا من أسباب رفعته وقبول الناس له».

وكان في كل عام يذهب غالبًا من تاريخ الخامس عشر من رمضان إلى مكة المكرمة ويقيم إلى آخر الشهر، ومن الأشياء التي يقوم بها في مكة المكرمة أنه يسلم على جميع أئمة الحرم، فيمر على كل واحد منهم في مكتبه أو غرفته، وكان يفطر مع الشيخ عبد الرحمن السديس في الحِجر ويسلم عليه، وكانوا يعتذرون للشيخ ويقولون له: لك الحق علينا أن نأتيك.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا كلما ذهب إلى مكة المكرمة، يزور الشيخ إبراهيم الحديثي قاضي أبها رَحِمَهُ اللَّهُ ويفطر معه في الحرم، ولما توفي الشيخ الحديثي لم يقطع الشيخ هذه العادة؛ بل استمر على ذلك وكان يأتي عند أبنائه ويفطر معهم.

وله كما سأذكر بعد زيارات منتظمة لعدد من المشايخ وأهل الخير ومنهم سماحة الشيخ عبد الله بن عقيل والشيخ فهد بن حمين رَحِمَهُمَا اللَّهُ والشيخ ناصر الشثري والأمير عبد الرحمن بن عبد الله.

---

(١) http://www.arrouiah.com/node/170419.



في عام (١٤٢٦) سمع الوالد رحمه الله أن الشيخ سفر الحوالي مريض، وأنه في العناية الخاصة، فذهب للاطمئنان على حالته، وكان يحضنه ويقبله كأب، ويمسح بيده على جسمه؛ ليواسيه ويبشره بثواب الله[١].

يقول الشيخ سلمان العودة[٢]: «قبل عشرين سنة، أي: عام (١٤١٠هـ) بدأني هو بالزيارة، وسهر في بيتي مع ثلّة من أبنائه الصغار، الذين يسميهم (مشايخ) بكل عفوية وصدق.

ويقول: لقد أرسل إليّ صديقي د. علي الحماد؛ يعزيني في الشيخ، وقال: كنت عنده قبل مرضه وقلت له: الأخ سلمان مواعدني في الرياض، فنريد أن تشرفنا معه يا شيخ؟ فقال: لا بأس بشرط أن يعطيني الأخ سلمان موعدًا».

يقول الشيخ حماد الحماد[٣] ومن تواضعه: تقديره للعلماء المتقدمين والمتأخرين، بل قرأت له مقدمات لكتب ورسائل وسمعته في دروسه يصف بعض طلابه بصفات التبجيل، كقوله العلامة الشيخ ونحوها.

وكان رحمه الله يزور طلابه إذا مرض أحدهم،أو دعاه للزيارة، يقول الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الشثري[٤]: «زارني الشيخ في منزلي عام (١٤٢١هـ) عندما علم أنني أصبت بحادث مروري، وكان لهذه الزيارة الأثر الكبير عليَّ وعلى من كان حاضرًا عندي ذلك اليوم في المجلس».

يقول الشيخ عصام العويد[٥]: «من المواقف العجيبة يقول أحد الإخوة في زواج أختي: نسيت أن أدعو الشيخ حتى أذن العشاء والزواج بعد صلاة

---

(١) مقالة خضر سند.

(٢) من مقالة للدكتور سلمان العودة بعنوان السهل الممتنع: .htm.116315-http://islamtoday.net/salman/artshow-28

(٣) .http://www.alriyadh.com/2009/ 07/ 24/article447102.print

(٤) .http://www.al-jazirah.com.sa/2009jaz/aug/7/is14.htm

(٥) قناة «اقرأ».

العشاء، فجئت إلى بابه لأطل إطلالة؛ لعلي أجده، فرأيته خارجًا إلى الصلاة فسلمت عليه وقلت له يا شيخ عبدالله، الليلة زواج أختي ولعلك أن تأتي، فاعتذر، فقلت: إن أباها توفي وليس لها إلا الله ثم أنت وألححت عليه وأخرجت مكبر الصوت من جيبي حتى أريه أني قد جهزت له كلمة، فجاء معي رَحِمَهُ اللهُ».

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللهُ: أنه كان يصرح برأي طلابه في بعض المسائل.

يقول الشيخ حماد الحماد[1]: «سمعته أكثر من مرة يراجعه الشيخ عبدالعزيز السدحان أحد طلابه المبرزين في بعض المسائل حال الأسئلة، فكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقول: الشيخ عبدالعزيز يقول كذا، الشيخ عبدالعزيز يقول: الحديث ضعيف».

ويقول الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة[2]: «مرة في أحد دروسه ذكر معلومة مشتهرة عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لكنها غير ثابتة عند التحقيق، فكتبتُ ورقة بذلك وأرسلتُها للشيخ، فقرأها أمام الحضور، وقال بكل تواضع: هكذا كتب الأخ، ونستغفر الله إن أخطأنا».

وقال أيضًا: «ولا أنسى لمّا طلبت من سماحته الكتابة بشأن القطعة المكذوبة التي وضعها بعض الغلاة، وزعموا أنها من مصنف عبدالرزاق الصنعاني، وكتبتُ فيها كتابة، وأعطيتُها مع الأصل المردود عليه لمكتب الشيخ، فلم يَرُعني إلا اتصالٌ في اليوم التالي، وآخر ما توقعتُه أن يكون المتصل هو الشيخ نفسه، فقال بنبرته المعتادة بعد السلام: معكم أخوكم عبدالله بن جبرين - هكذا دون ألقاب، وقال: اتصلت بك لأشكرك على كتابتك، وقد

(١) http://www.alriyadh.com/2009/07/24/article447102.print.

(٢) http://alukah.net/articles/1/7038.aspx.

كتبتُ لك بيانًا في الموضوع تفضل وخذه من المكتب، وختم بدعوات صالحات أرجو من الله إجابتها، وأنهى المكالمة بالسلام، وأنا لا أكاد أستوعب الموقف الذي أثّر بي كثيرًا: من تواضع الشيخ، وسرعة استجابته - مع انشغاله التام بالدروس المكثفة وغيرها، ولما أخذت البيان ظهر لي أن الشيخ اقتطع من وقته الثمين جزءًا ليس قليلًا لهذا الموضوع، فقد قرأ الأصل والرد الطويلين، وراجع لأجله بعض الكتب، وكان بيانه من أهم البيانات التي كُتبت في العالم الإسلامي في إنكار تلك الجريمة النادرة من الكذب المعاصر في الحديث النبوي».

ويقول الشيخ سلمان العودة[1]: «لقد أدهشني مرة أن كان في مدينة الرّس، فسُئل عن مسألة المساهمة في الشركات التي فيها نسبة قليلة من الربا، وأصل نشاطها مباح، فقال: كنت قلت بتحريمها ثم قرأت جواب فلان، وأنا الآن أقول به، وسمى عبدًا مثلي، لا يصلح أن يكون من تلاميذه».

ويقول الدكتور عبد المحسن العسكر: «وحضرت له مجالس كثيرة يطلب فيها أن يتحدث، فيشير إلى من هو في طبقة طلابه أو صغارهم، وكنا مرة في حدود عام ١٤٠٥هـ في جامع تركي بن عبدالله المعروف قديمًا بالجامع الكبير وهو إمام المصلين، إذ صلى خلفه في آخر الصف الثاني أحد زملائه في التدريس في كلية الشريعة، وهو أصغر منه سنًّا فقام إليه الشيخ وسلم عليه».

وتذكر أختي «هيا» أنه كان يحكي لهم قصة مثل لامرأة ماكرة تعطي زوجها وأولاده من غيرها طعامًا رديئًا، وتخفي في أسفل القدر طعامًا جيدًا شهيًّا فتبقيه لنفسها، وتقول: لا أريد سوى حكاك القدر، وهو ما يتبقى في القدر بعد غرف الطعام وغالبًا ما يكون ناشفًا أو محروقًا، فاكتشفها ابن

(١) من مقالة للدكتور سلمان العودة بعنوان السهل الممتنع:
.htm.116315-http://islamtoday.net/salman/artshow-28

لزوجها وصار يأكل معها، فقال لأبيه لما دعاه للأكل معهم: أنت ما تدري وولدك يدري، أحلى المعاوش حكاك القدر، فذهبت مثلًا.

فقلت له: أحلى المعايش بالياء أفصح. فقال: صدقت: لقوله تعالى: ﴿مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠].

ومن ذلك: أنه كان يراجع النشرات والكتب التي يطلب منه طلاب العلم مراجعتها والتقديم لها، حتى لو كان صاحب الكتاب شابًّا صغيرًا، يقول الشيخ أيمن بن عبدالعزيز أبانمي[1]: «قبل نحو خمسة عشر عامًا، حينما كنت في المرحلة الثانوية، كتبت ورقة عن بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، فأردت من الشيخ ابن جبرين أن يراجعها؛ فذهبت إلى مكتب الشيخ في الإفتاء، فلما دخلت على الشيخ في مكتبه، فإذا بعدد من الناس يريدون سؤال الشيخ، وبجواره ثلاثة أو أربعة أجهزة هاتف والموظف يقول للشيخ تفضل اتصال من جنوب إفريقيا، فيأخذ الشيخ السماعة، ويجيب عن السؤال، وما إن ينتهي الشيخ حتى يعطيه السماعة الأخرى من مصر والثالثة من سكاكا ورابعة من الحفر، ثم يأخذ المستفتين ويجيبهم، فلما جاء دوري قدمت للشيخ الورقة التي تحتوي على كلام مكتوب بخط صغير، وطلبت من الشيخ قراءتها والتعليق عليها. توقعت أنه سيقول لي: راجعنا بكرة؛ لما رأيته من كثرة مشاغله، لكن الذي فاجأني أن الشيخ أخذ الورقة وجعل يقرؤها كلها، ثم فتح قلمه وكتب في آخرها مراجعته للورقة وإقرارها والحث على نشرها، ومهرها بتوقيعه وختمه وسلّمني الورقة بكل تواضع، ولم يقل هذا شاب صغير في الثانوي، وبحمد الله تمت طباعة تلك الورقة في مطوية، وتم توزيعها على الآلاف في العالم الإسلامي؛ لتكون في ميزان حسنات الشيخ، مع أن العملية لم تستغرق من

(١) http://www.al-jazirah.com/84158/rj4.htm.

الشيخ سوى خمس دقائق، وهكذا العظماء ينجزون أمورًا عظيمة في أقصر الأوقات ودون ضجيج».

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: أن السائل يأتيه ليسأله، وهو في المجلس، فيستحي السائل أن يسأل أمام الناس الحاضرين، فيطلب من الشيخ أن يخرج معه خارج المجلس، فيلبي الشيخ طلبه، ويخرج معه إلى خارج المجلس، وربما كان هذا السائل شابًّا صغيرًا.

ومما يقرب من هذا ما يذكره الدكتور طارق الخويطر يقول[1]: «أذكر مرة أنني اتصلت عليه أسأله بعض الأسئلة، وكنت قد فتحت جهاز التسجيل في الجوال، وفي أثناء جوابه لي علمت أنّ التسجيل توقف، فطلبت منه أن أعيد الاتصال عليه، فقال: لا بأس، فأعدت الاتصال عليه مرة أخرى، ثم قلت له: سأعيد السؤال مرة أخرى، وأرجو منك أن تعيد الجواب؛ لأنه لم يُسجل، فوافق رَحِمَهُ اللَّهُ».

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه كان يلاعب الصغار، ويسألهم أين يدرسون؟ وكم يحفظون من القرآن؟ وهو يبتسم لهم ويضاحكهم؛ وربما ركل الكرة بقدمه حينما تأتي أمامه؛ ليعيدها لصبية يلعبون في الشارع.

وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحترم طلاب تحفيظ القرآن الكريم، ويجلهم ويعرف لهم قدرهم، ويحضر حفلات تخرجهم، ويستقبلهم في بيته، يقول الشيخ خالد الهميش وهو مشرف على حلقات تحفيظ القرآن الكريم في حي الروضة في الرياض[2]: «قبل أكثر من أربع سنوات رتبنا موعدًا لزيارة الشيخ عبدالله الجبرين؛ لزيارته في منزله، وكان معي مجموعة من الطلاب الحفظة لكتاب

---

(١) http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm.

(٢) http://www.aleqt.com/2009/07/15/article_252363.html.

الله الكريم، فاستقبلنا رَحِمَهُ اللَّهُ في منزله، وكانوا خلال مقابلتهم للشيخ يريدون أن يقبلوا رأسه، فكان يرفض، بل إنه قام لاستقبالهم جميعًا مع أنهم في سن أحفاده وكنا نقول له: استرح يا شيخ، فكان يقول: هؤلاء الحفظة لا بد من القيام لهم؛ لأنهم يحفظون كتاب الله الكريم، فكان موقفًا مؤثرًا في حياة هؤلاء الشباب وأسهم في ثباتهم على الطاعة حتى الوقت الحاضر».

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: معاملته الرحيمة للخدم والسائقين ونحوهم، كما سيأتي ذلك مفصلًا إن شاء الله تعالى.

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: فتح بابه وقلبه للشفاعات وهو من أشهر من عرف بذلك بعد شيخه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وسيأتي ذلك مفصلًا إن شاء الله تعالى.

ومن تواضعه رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه كان سهلًا سمحًا يقبل دعوة من يدعوه، فيزوره في بيته، وربما ألقى كلمة في ذلك المجلس؛ ليفيد الحاضرين، يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله السليِّم[1]: «أذكر للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ موقفًا لطيفًا، وذلك بعد أن انتهى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من أحد دروسه في أحد المساجد، جاءه أحد كبار جماعة ذلك المسجد، وطلب من الشيخ أن يزوره في بيته، فاعتذر الشيخ منه بعد أن بيَّن عذره وطيَّب خاطره بالدعاء له ولذريته، ولكنه أعاد طلبه على الشيخ، فما كان من الشيخ إلا أن قبِلَ دعوته، وحدَّد له موعدًا قبل صلاة المغرب بنصف ساعة من اليوم نفسه، مع أنه قد كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك اليوم ستة دروس. وفي الموعد؛ اجتمع في مجلس المضيف: الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وأحد أبنائه وثلاثة من طلابه، والمضيف وأبناؤه، وبعد السلام أخذ المضيف يعرِّف أبناءه للشيخ ويذكر له وظائفهم ومراحلهم الدراسية، وكم للمتزوج منهم من

(١) http://www.al-jazirah.com/119698/fe25.htm.

الأولاد، ومتــى قدم للرياض، ولماذا اختار هذا الحي... وأخذ يستطرد في ذكر وظيفته، وحاله بعد التقاعد منها، ونحو ذلك.

ولا أزال أذكر ابتسامة الشيخ رحمه الله، وإظهاره السرور بما يسمع، يستحثه بذلـك على الاستمـرار، ولما انتهى المضيف مما أحـب أن يذكره، دعا له الشيخ رحمه الله ولاطفـه في الـكلام، ثم بدأ رحمه الله يقابل المضيـف في حديثه عن نفسه، فأخـذ يعرِّف له أبناءه، ويذكر له وظائفهم وأعمالهم، ومتى قدم إلى الرياض، وأيـن أول مسكنـه فيها... إلى آخـر كلامه رحمه الله مما يناسب حـال المضيف؛ وعجبـتُ أكثر حين علمت أن الشيخ يقابل مضيفـه لأول مرة.. فعجبت من هذا العالم الرباني، وعظيم أدبه، وكمال مروءته، وحسن مراعاته لمشاعر جليسه».

ومـن تواضعـه رحمه الله: أنه لا ينتقـم لنفسه، ولم تبدر منـه الإساءةُ إلى أحدٍ من الناس فيما أعلمه، ولم يتجهَّم أو يصخب على أحد من المستفتين، أو طـلاب العلم أو غيرهم، فكان لطيفًا حبيبًا قريبًـا من النفوس؛ وإذا وقع منه مثـل ذلك تراجع وطلب المعـذرة والمسامحة، يقول تلميـذه الشيخ محمد زياد ابـن عمر التكلة[1]: «ومن القصص المعبرة التي شهدتها له: أنه تكلم في أحد دروس التسهيل للبَعْلي عن العمالة الوافدة، واستطرد في الكلام إلى أن أصاب فيه -من غير قصد- جَرْحًا في نفوس بعض الحضور من الوافدين، وفي نهاية الدرس قرأ المعيد ورقة جاءت للشيخ: بأنك قلتَ كذا وكذا وآلمتنا، فقال الشيخ أمام الملأ: إنني لم أكن أقصد هذا، وأعتذر، وأرجو المسامحة، ونحو ذلك.

ولم تنتهِ القصة هنا، فقد كان ذلك الدرس في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في حـي سلطانة بعد صلاة العصر، وكان لشيخنـا درسان متواليان بعد المغرب والعشاء في مسجد الراجحي بشبرا، وكنت ممن حضرهما، وبعد درس

(١) خواطر ومواقف في وفاة سماحة الشيخ ابن جبرين لمحمد زياد بن عمر التكلة: .http://alukah.net/articles/1 /7038.aspx

العشاء طُرحت الأسئلة عن الدرسين، فجاء ضمنها ورقة لأحدهم مفادها: إنني يا شيخ، بعد أن سمعت منك الكلام السابق في درس العصر تضايقت، ووقعتُ فيك، واغتبتك، فأرجو منك مسامحتي. فما كان من الشيخ إلا أن قال بابتسامته المعتادة ما معناه: قد حللتك، واشهدوا أنني حللت كل مسلم».

ومن تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا أراد شيئًا ليس قريبًا منه فإنه لا يطلب ولا يتكلم إلا نادرًا ولكن نلاحظه ينظر إليه بطرف عينه دون أن يشعر أحد، وقد تعودنا منه ذلك وعرفنا طريقته فإذا رآه من معه ممن يعرف طبيعته أنه لخص الشيء بعينه عرف أنه يريده فقربه منه، فمثلًا ونحن على المائدة والماء بعيد عنه لا يقول: أعطني ماء مع أني ابنه وأتشرف بخدمته؛ لأنه لا يطلب مطلقًا، فإذا نظر إلى الماء بطرف عينه عرفت أنه يريده، فأقربه له، بل إنه يقوم من المجلس ونحن عنده فيذهب لمكتبه أو للمكتبة ويرجع بظرف أو كتاب ولا يأمر أحدًا بالإتيان به، مع أنه لو أشار إلى أحد ممن معه إشارة لسُرَّ بذلك وفرح بالخدمة، غير أنه تعود ألاّ يسأل الناس شيئًا حتى أبناءه وموظفيه، مستحضرًا في ذلك وصية النبي ﷺ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ألاّ تسأل الناس شيئًا**»[1]، وقوله ﷺ لثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من يَتَقَبَّلُ لي بواحدة أَتَقَبَّلُ له الجنة؟**»، قال: قلت: أنا. قال: «**لا تسأل الناس شيئًا**»، فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب، فلا يقول لأحد: ناولنيه حتى ينزل، فيتناوله[2].

يقول الشيخ أحمد المهنا[3]: «في أثناء تسجيل برنامج سؤال على الهاتف كنت أنا الوحيد الذي يدخل معه إلى الغرفة؛ لنقوم بالتسجيل، فكانت زوجته

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٥٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٣٨٥)، وابن ماجه في باب كراهية المسألة من كتاب الزكاة برقم (١٨٣٧).

(٣) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. لعمرو بن أحمد الضبعان: http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.

أحيانًا تضع القهـوة أو الشاي عند باب الغرفة، فكان الشيخ يقوم بنفسه على الرغم من أنه في الخامسة والسبعين، ويرفض أن أقوم أنا».

هـذه بعضـ معالم تواضعـه رحمه الله ولقد أورثته هـذه الخصلة محبة في قلوب الناس وقبولًا عند الخاصة والعامة، ولم تكن هذه الخصلة مانعة له من عزة النفس؛ لأن التواضع هو رفعة لا مهانة وعزة لا ذلة، وهكذا كان رحمه الله.

زهد وورع

صفتان مـن صفات الكمال، تضفيان على من تحلـى بهما رونقًا وبهاء، ونقـاء وصفـاء، نحـاول أن نمر على كل صفـة؛ لنجلي بعضـ معالمها في حياة الوالـد رحمه الله، الـذي كان قدوته نبيه محمدًا ﷺ إمـام الزاهدين الذي قال: «مالي وللدنيا»[1] وهو الصادق الأمين الغاية في الورع والتقى واليقين صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم الدين.

فأمـا الزهد فلقد عُرف الشيخ الوالـد رحمه الله بزهده الفريد، حيث سار علـى نهج السلـف الصالح من هذه الأمة في التقل من الدنيا، متمثلًا في ذلك قـول المصطفى ﷺ: «اللهـم، أحيني مسكينًا، وأمتنـي مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين»[2].

وكان رحمه الله إذا ذكرت عنده أمور الدنيا يتمثل بقول الشاعر:[3]

هـي الـدنـيـا تـقـول بمـلء فيها	حذارِ حذار من بطشي وفتكي
فلا يغـررڪـم مـنـي ابتسـام	فقولي مضحك والفعل مبكي[3]

---

(١) أخرجه البخاري في باب هدية ما يكره لبسه من كتاب الهبة وفضلها برقم/٢٤٧١.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي عن أنس في باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم من أبواب الزهد برقم/ ٢٣٥٢.

(٣) هو من قصيدة لأبي الفرج الكاتب يرثي بها أحد الملوك، انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ٤/٧٠٨.

ويذكـر العـم محمـد أنـه رأى الوالـد رَحِمَهُ اللهُ قد علـق على أحـد كتبه قول الشاعر:

قاطـع الدنيا فمـن عاداتهـا تخفض العالي وتعلي من سفل[1]

ترك رَحِمَهُ اللهُ مزاحمة أرباب الدنيا، وتفرغ لطلب العلم وبذله؛ فكان له ما كان من رفعة وشموخ وعزة وتمكين، وسيرة طيبة سيحفظها التاريخ.

إن زهده رَحِمَهُ اللهُ يذكرنا بزهـد السلف الصالح الذين نُقل عنهم أعجب الصـور في الزهـد في الدنيا وزينتهـا، ولولا أن هذا الكتـاب في سيرته رَحِمَهُ اللهُ لذكرنا من عجائب السلف في ذلك شيئًا كثيرًا لكننا نخشى الإطالة.

كانـت قاعدتـه رَحِمَهُ اللهُ التـي خطها لنفسه أنـه لا يطلب شيئًـا من أمور الدنيـا، ولا يسعى لها، وإذا طرقت بابه من غير البـاب الذي يرتضيه ويأمنه ردها؛ خوفًا على نفسه منها.

وكان متبسطًا في حياته كلها، في لباسه، وطعامه، وكلامه، وغيرها، ولم ينقص ذلك من قَدره شيئًا؛ بل والله هو بعض ما حاز به المعالي.

وأذكر هنا نماذج مما أعرفه، أو رواه بعض من اطلعت على كلامهم من أقاربـه وتلاميذه ومعارفه، مما يدل على زهـده رَحِمَهُ اللهُ لعل ذلك يكون حافزًا لطلاب العلم على سلوك هذا المسلك العسير.

فمما أثر في نفسي، وحفر في ذاكرتي أنه لما أعيد للعمل بعد حادثة لجنة الدفـاع عن الحقوق الشرعية عام ١٤١٣هـ ذهـب للسلام على الشيخ ابن باز رَحِمَهُمَا اللهُ وكان في الطائف، ثم مر بجدة؛ للسلام على الأمير سلمان.

---

(١) من وصية عمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ لولده، انظر جواهر الآداب ٢/٤٣.

فرح به الأمير، وأكرمه، ودار بينهما حديث محبة ومودة وكان مما قاله له الأمير سلمان: «يا شيخ عبد الله، نحن نعرف صدقك وإخلاصك ومحبتك للخير، والملك أوصاني قال: انظر ماذا يريد الشيخ ابن جبرين، وأعطوه إياه».

فكأني أراه الآن وهو ينفض يديه رَحِمَهُ اللَّهُ ويقول: جزاكم الله خيرا، وجزى الملك خيرًا، لا نحتاج إلى شيء، عندنا بيت ملك، وليس علينا ديون، وعندنا ما يكفينا وأهلينا.

لم يستغرب الأمير جوابه؛ لأنه يعرفه ويعرف عدم رغبته في هذه العطايا تربية لنفسه وتهذيبًا، ولهذا قال: إذا احتجتم إلى شيء فنحن جاهزون.

أعلم أنه لو طلب في ذلك الموقف ما طلب لأعطي، ولكنه طلق الدنيا ثلاثًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

لقد خرجت من قصر الأمير مع الوالد حيث الأثاث والرياش والفخامة ورأسي يعانق السحاب، صغرت الدنيا في عيني، ورأيتها كنواة ملقاة على الأرض ينظر الناس إليها، ولا يأبهون بها.

رَحِمَهُ اللَّهُ، لقد علمني هذا الموقف كثيرًا، فهذه المواقف لا يطيقها كل أحد، ولا يحسن التعامل معها إلا أولو الألباب المهديون للصواب.

لقد ربانا رَحِمَهُ اللَّهُ بفعله وسمته قبل أن يربينا بأمره ونهيه، ففطمنا أنفسنا أنا وإخوتي عن أن نطلب أو نتكثر، فلا أذكر أننا كتبنا سوداء في بيضاء لطلب شيء من الدنيا له أو لنا.

وهذه قصة أخرى قريبة من سابقتها، ففي أواخر عهد الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ أُرسل للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مائة ألف، وكان الرسول سمو الأمير عبد العزيز بن فهد

وهـو من محبي الوالد، فجاءه، وقـال: «يا شيخ، هذه من الأمير عبدالله يسلم عليك ويقول هذه ضيافة لكم، وستكون شهرية».

فشكره الوالد، فلما كان من الغد ناداني وأراني خطابًا لطيفًا كتبه للأمير عبدالعزيز يعتذر منه عن قبول هذه الضيافة، وأنه بخير وليس محتاجًا إليها، فأشـرت عليه أن نستشـير بعض المشايخ الذين يثق الوالد في سداد رأيهم، ثم نعمـل بما يظهر له بعد مشورتهم، وكان رَحِمَهُ اللهُ يحـب ذلك، فاستشرت بعض كبـار العلماء ممن أعطـوا هذه الضيافة عن رأيهم فيمـا رآه الوالد، فأشاروا بـأن يصرفها على المكتب والموظفين، وأخبرني أحدهـم بأنها مؤقتة وفعلًا لم تستمـر سوى ثلاثة أشهـر، فأخذ الوالد بهذا الـرأي وكتب رَحِمَهُ اللهُ خطابًا بما صنعه فيها.

ومن المواقف في هذا أنه يوجد بجوارنا في الحي أرض واسعة على أربعة شـوارع، وهي حكومية، فألح علينا بعض الأقارب لطلبها للوالد؛ لنتوسع فيها، فشاورت الوالد فيها، فقال: لتكون سكنًا للطلاب، فقلت: أو لنا، فسكت، فظننته قد وافق، فأعددت خطابًا موجهًا للأمير سلطان رَحِمَهُ اللهُ حول الموضوع، وجعلت فيـه عمومًـا؛ خشية أن يرفضـه الوالد رَحِمَهُ اللهُ، وكان ذلك منـي رغبة في بناء بيت يناسبه رَحِمَهُ اللهُ، ولما قابلنا الأمير سلطان هش وبش ورحب بالوالد رَحِمَهُ اللهُ، فسلمت الوالد الخطاب، فشرح للأمير الموضوع، وقال: بجوارنا أرض حكومية نرغـب في أن تمنح لنا سكنًا يتوسع فيه الطـلاب، ففرح الأمير بالطلب وقال: تستاهـل يا شيخ عبدالله، فعرف نيتـه رَحِمَهُ اللهُ، وكان بعض الأهل لما منحت له يطلبون منه عمارتها، وهو يجيب جوابًا عامًّا، فلما توفي رَحِمَهُ اللهُ أخبرت الورثة وهـم زوجته وإخوتي بنيتـه فيها رَحِمَهُ اللهُ فطابت بها نفوسهـم، فجعلناها وقفًا جزاهم الله خيرًا.

فلم يكن رَحِمَهُ اللهُ يعير الدنيا اهتمامًا، وكان بإمكانه أن يستغل مكانته وشهرته لجني الأموال الطائلة، ولكن الله أنعم عليه بالقناعة وملأ قلبه بالغنى وإنما الغنى غنى النفس.

ومن جالسه رَحِمَهُ اللهُ وخالطه تبين له عظيم زهده، وبعده عن التكلف، وعن زخارف الدنيا، وكأنه يعيش في غير عصره، لم تغره هذه الحياة ببهرجها وزخرفها الفتان.

عاش رَحِمَهُ اللهُ عازفًا عن مظاهر الدنيا، لا يعرف من البيع والشراء إلا ما يحتاج إليه في حياته العادية، وذلك قبل أن نكبر أنا وإخوتي، وبعد أن كبرنا كفيناه المهمة، فانصرف عن الدنيا بكليته وصرف حياته كلها في العلم ونفع المسلمين.

يقول العم محمد حَفِظَهُ اللهُ عن الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «عندما عين مدرسًا في معهد إمام الدعوة جعلوه في المرتبة الثالثة، ثم عينوا زملاءه في المرتبة السابعة ولم يطالب ولم يراجع حتى ألححت عليه، فكان يقول: ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولما ذهب إلى الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - وكان نائبًا للشيخ محمد بن إبراهيم على المعاهد العلمية - جعلوه في السادسة واعتذر له الشيخ عبداللطيف بأنه لم يعلم عن ذلك».

وقد مكث في إدارة الإفتاء سبعة عشر عامًا لم يطلب ترقية ولا انتدابًا، وكان المشايخ يذهبون في الصيف للطائف ويجلس في الرياض ولا يطلب شيئًا، وكذلك ينتدبون للحج في كل عام، ولا يذهب معهم في التوعية، وكان حينما كان في الجامعة يذهب مع التوعية في كل عام، ولم يكلم الشيخ ابن باز في شيء من ذلك، مع أنه من أقرب الناس له.

وبعد أن توليت أمور الوالد وجدت في بعض أوراقه صكوكًا لقطعتي أرض صغيرتين في حي لبن وحطين في مدينة الرياض وسندات لأسهم الراجحي، فسألته عن ذلك؟ فقال: هذه الأراضي منحة من الدولة، منحت لأساتذة الجامعات، وهذه الأسهم أشار بها بعض الإخوان منذ مدة طويلة.

وكانت شهادة أسهم الراجحي قديمة من أسهم التأسيس وفيها ٩٤ سهمًا بقيمة مئة ريال للسهم، أي قيمتها نحو عشرة آلاف ريال والوالد لم يحرك فيها ساكنًا ولم يفتح محفظة، فراجعت البنك ووجدتها قد ضوعفت مرات، ورتبت وضعها النظامي.

أما الأراضي فهي أيضًا على وضعها منذ أن استلمها قبل ثلاثين عامًا، فقمت أيضًا بترتيب أمورها النظامية.

ولم يسألني رَحِمَهُ اللهُ عنها ماذا صنعت، إلا أنه كان يسألني في رمضان كم تتوقع عندنا نزكيه؟ فأجتهد بحسب وسعي، وأقدر.

وبعد انتقالنا من بيتنا في حارة السبالة إلى حي شبرا بقي بيت السبالة فارغًا، ثم إن أحد جيرانه اقترح علينا تأجيره مستودعًا للأواني، فكنت أنا أتابع تحصيل الأجرة وكان الوالد إذا تأخرت يحثني، ويلومني فآتي له بالأجرة كاملة، ولا أعلم سبب حرصه حتى دخل المستشفى رَحِمَهُ اللهُ فقال لي: «احرص على عمارة بيت السبالة، فإني قد أوقفته في أعمال البر» فعلمت حينها سبب حرصه على الأجرة، حيث كان ينفقها في وجوه الخير.

يقول الشيخ أحمد المهنا[1]: «تعلمون أن بعض طلاب العلم والمشايخ لهم أنشطة تجارية، أو على الأقل ربما يتحدثون عن بعض أمور الدنيا، كالتجارة

(١) http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.

والاقتصـاد وغيرها، في حين كرس الشيخ عبدالله بن جبرين كل حياته لأمور الآخرة، من علم ودروس ومحاضرات وفتاوى.

وأنا بحسب معرفتي بالشيخ لا أعلم أنه تكلم في أمر من أمور الدنيا أبدًا، ولا سأل عن أمر من أمورها، وتلاحظون في العادة أن البعض وهم يسيرون في الطرقـات يسألون عن الأراضي وأسعارها، أو مثلًا هذه العمارة جميلة أو هذا القصر جميل، بينما لم أرَ الشيخ يتحدث عن أمر كهذا إطلاقًا، ولم يكن ينظر إطلاقًا إلى مظاهر الدنيا.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عندمـا يسافر في السيارة من الرياض إلى إحدى مناطق المملكـة لإلقاء الدروس والمحاضرات، تجده ممسكًا بكتاب يقرأ ويصحح فيه، وقـد يكـون الكتاب له، أو لغـيره لمراجعته والتقديم له، والشاهـد: أن السيارة تسـير مسافات طويلة، وهو لم يرفع نظـره من الكتاب لينظر إلى متاع الحياة الدنيا، كما يفعل الكثير».

يقـول الدكتور غازي الشمـري[1]: «الموقف العجيب الـذي أذكره من حياة شيخنـا العالم الجليل أول مرة رأيت الشيخ فيهـا في أكثر من مجلس قبل تسع أو عشـر سنـوات أننا نجلس في مجالـس لأكثر من ساعة أو ساعتـين أذكر أنهم لم يتكلمـوا في الدنيا أبدًا، أول مـا يجلس يسلم ويسأل عن الصحة والأولاد، ثم تبدأ الأسئلـة لا يتكلم عن عقار ولا عن موديل سيارات ولا عن بيوت، حتى إني اتصلت على أحد أقربائه فقلت له، فقال: الشيخ معروف بهذا، هذه طبيعته».

وأمـا زهـده في ملبسه: فإنه لا يحب التباهـي في لباسه وهيئته، والذي لم يسبق أن رأى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ قد لا يعرفه؛ لأنه لا يتميز في لبسه عن الناس بشيء.

(١) حلقة عن حياته رَحِمَهُ اللَّهُ في قناة «حياتنا».

وكان رَحِمَهُ اللهُ ربما ذهب إلى بعض الوجهاء لابسًا ثيابًا عادية، ومشلحًا متواضعًا، فهو يدخل البيت قبل ذهابه، ويأخذ المشلح المعلق أيًا كان، ويمضي مهما كانت المناسبة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ لا يجدد الملابس في كل حين على عادة الناس، بل كان يقول: ملابسي جيدة لا عيب فيها، فكنا نحرص على أن نأخذ القديم من الملابس، ونضع بدلًا منه ملابس جديدة، وكذا الأمر في الأحذية وغيرها.

وفي السنوات الأخيرة عزم عليه أحد محبيه وهو الشيخ سليمان بن حمد اليحيى صاحب مؤسسة الكسائي ومحال الفاخرة للخياطة أن يفصل له ثيابًا في الصيف وفي الشتاء وكان يرسل الخياط إلى بيت الوالد رَحِمَهُ اللهُ ليأخذ مقاساته.

ومن زهده أن معه ساعة مكثت سنين طويلة، وكانت مربوطة في سلسلة تتدلى من جيبه الأمامي[1]، وكان يتعجب رَحِمَهُ اللهُ من ساعته، ويقول: «اشتريتها بسبعة وعشرين ريالًا، وأصلحتها بخمسة ريالات وعاشت اثنتين وثلاثين سنة، كل سنة بريال».

وأما بيته: فقد بني قبل وفاته بنحو ثلاثين عامًا، والذي قام على بنائه العم محمد وأخي محمد بقرض من الصندوق العقاري.

وكان بعض الأقارب يسألونه: لمَ لا تبني بيتًا جديدًا، فيقول لهم بلهجة أهل نجد: (ما يمدينا...ما يمدينا)، ويعني بذلك: أنه لم تعد هناك مدة وفرصة للبقاء في هذه الدنيا أكثر مما مضى منها.

وعندما كان يقال له: إن البيت ضيق، ولا بد أن يكون لك بيت أوسع منه، كان رَحِمَهُ اللهُ يقول: سوف نوضع في أضيق منه (يعني: القبر)، ولم يكن يأبه بترميم أو تجديد في البيت.

---

(١) هذه طريقة أهل نجد قديمًا، وكان بعض المشايخ يفعله تحرجًا من وضع الساعة في اليد.





وحين قال له أحد الإخوة، قبل تقاعده من الوظيفة بسنة: لماذا لا توسع مكتبك وتغيره؟ رد عليه بقوله: (هي ساعة، وتنقضي).

وقد عرض عليه كثير من المشايخ ورؤساء القبائل الزواج من مولياتهم، وكان يقول لهم: أنا قد فرغت من الدنيا.

يقول الشيخ عصام العويد[١]: «كنت أمازحه رَحِمَهُ اللهُ يومًا في السيارة ونحن في الطريق لزيارة التاجر الصالح محمد العساكر رَحِمَهُ اللهُ ففي الطريق قلت للشيخ: ألا تعدد يا شيخ؟.

قال: قد طلقت الدنيا ثلاثًا ثم أخذ ينشد أبياتًا في ترك الدنيا وأن النساء من الدنيا وأنه لا يريد التعدد وأني تزوجت العلم وتزوجت مدارسته».

ويقول أحد الإخوة من حائل[٢]: «قلت: إن شاء الله سنختار للشيخ زوجة من بنات حائل، فقال ابنه سليمان: لا تحاول فأبي لم يستطع عليه أهل القويعية – وهي موطن الشيخ – ولم يستطع عليه أهل الرياض ولا القصيم».

وأما زهده في المأكل والمشرب: فكان رَحِمَهُ اللهُ لا يهتم بنوع الطعام الذي يُقدم له، سواء كان مفاطيح[٣]، أو غيرها.

فعندما كان رَحِمَهُ اللهُ يزور بعض المناطق؛ ليلقي عندهم الدروس والمحاضرات والدورات العلمية لعدة أيام، فإن أهالي المنطقة يدعون الشيخ للإفطار والغداء والعشاء إكرامًا له رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) قناة «اقرأ».

(٢) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

(٣) مفاطيح: جمع: مفطح وهي من ألفاظ العامة المشهورة: وهو عبارة عن خروف يطبخ كاملاً، ويوضع على صحن الأرز بحيث تكون الرجلان مع الإلية وتفصل اليدان مع الكتفين، فيكون ثلاثة أجزاء غالبًا.

وذات مـرة ذهـب إلى منطقـة يقال لهـا: «يبرين»، وهي تقـع في الربع الخـالي، وأهلهـا مـن بني مرة وهـم أهل كرم وجـود، وفي أول يـوم دعي فيه رَحِمَهُ اللَّهُ علـى الإفطار، وضعوا على الإفطار (حاشيًا[1])، فتغير وجهه، وتضايق من فعلهم هذا، ولم يأكل إلا شيئًا قليلًا جدًّا.

ولم ينكـر عليهم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه أول مرة يزورهم، فلذلك رأى أنه من غير المناسـب الإنكار؛ حتـى لا يؤثر ذلـك في نفوسهم؛ خاصَّة أنهـم أرادوا بذلك إكرامه وتقديره رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي موقف مماثل حصل معه في إحدى زياراته إلى المنطقة الشرقية؛ حيث دعاه أحد المشايخ المحبين له، وهو الشيخ ناصر المدرع ليفطر عنده؛ فوافق ولكن ألـحَّ عليه ألا يتكلف، لأنـه يعرف كرمه وجوده، وكانت هـذه عادته رَحِمَهُ اللَّهُ مع كل من يدعوه للطعام، حيث يطلب عدم الكلفة، ويقول: طعام الاثنين يكفي الثلاثة.

فلما دخـل رَحِمَهُ اللَّهُ إلى غرفة الطعام، فإذا بالشيخ ناصر، وفقه الله، قد وضع على الإفطار (مفطحًا)، فلما جلس الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لم يضع يده في الطعام، وتضايـق جدًّا، ثم قام ورجع إلى غرفـة الجلوس، ورفض الأكل والجلوس على السفرة، وقد حاولوا معه أن يأكل، ولكنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ رأى أن في ذلك كلفةً وإسرافًا.

ولما أصرَّ رَحِمَهُ اللَّهُ على عدم العودة وعدم الأكل، قال له الشيخ ناصر: إذا أنـت يـا شيخ، ما تأكل، فأنا أيضًا لن آكل، ثم جاؤوا بشيء من الإدام والخبز، وأكل منه هو وصاحب الدعوة في غرفة الجلوس.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الفطور يكفي والحمد لله.

---

(١) الجمل الصغير.

وقــد تكــرر هذا الموقف عنــد زيــارة الوالــد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى وادي الدواسر، وفي رنيــة وحوطة بني تميم وغيرها، حتــى أصبح الناس يتحدثون به، ويحذر بعضهم بعضًا، مع أنهم لا يفعلون ذلك إلا إكرامًا له وتقديرًا.

ويحكــي عبدالرحمن ابن العــم ناصر أنه في إحــدى زياراته إلى مدينة (الأفــلاج)، وبعــد الانتهــاء من الدروس والمحاضــرات، بات ليلــة الخميس عندهــم، وقــد اتفق رَحِمَهُ ٱللَّهُ مــع مرافقيــه على أن يعــودوا للرياضــ بعد فجر الجمعــة؛ لكي يخطــب الجمعة في مسجــده.. ثم إن أحد الإخــوان في المنطقة حلــف ألاّ يذهب الشيخُ ومرافقوه إلا بعد الإفطــار، فقال: لا بأس نذهب نسلم عليه، ونفطر عنده، ثم نسير، فلما وصلوا عنده وسلموا عليه، جلسوا ينتظرون الإفطــار، والوالد معــه كتاب يقرأ ويصحح فيه، ثم قال العم محمد: نسينا أن نخبر أخانا الداعــي بألاّ يذبح ولا يتكلف، وبعد برهة من الزمن، فإذا بالوالد يشم رائحة طبخ اللحم.

فقــال رَحِمَهُ ٱللَّهُ باللهجة المحليــة: «إن كان ذابح فوالله ما أقعد عليها»، ثم استمر في القراءة.

فقــام العم محمد، وذهــب للداعي، وقال له: ما حصل؟ فقال: والله إنا ذبحنــا وهذه عادة عندنا عندمــا يأتينا ضيف، فقال له: هــذه طبيعة الشيخ، فقال الداعي: إذًا نحضــر إفطارًا خفيفًا بسرعة ثم تمشون، ونقول للجماعة: إن الشيخ استأذن ومشى، ثم قال العم للوالد: يا شيخ، هذه عادة عندهم أنهم يذبحون، فالتفت الشيخ إليه، وما زاد على كلمتين: (جزاءً له وردعًا لأمثاله)، ثم عاد لقراءته وتصحيحه، فرحمه الله رحمة واسعة.

وأما زهده في حظوظ نفسه: فكان رَحِمَهُ اللَّهُ على الرغم من أعماله وإنجازاته الكثيرة زاهدًا في حظوظ النفس التي يتنافس فيها المتنافسون، من السمعة والجاه والمكانة والظهور.

ومن ذلك: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ بذل جهدًا في العمل في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وفي تصحيح حاشية الروض المربع وغيرها مع الشيخ سعد بن قاسم، وفي تصحيح كتب الشيخ عبدالعزيز السلمان، ومع ذلك لم يحرص أن يبرز اسمه في شيء من ذلك، ولا تشوف له.

ولقد طبع الكثير من كتبه، من شروح ومحاضرات وفتاوى، وصدرت له الأشرطة بالمئات، ومع ذلك لم يطلب على ذلك حقوقًا مادية؛ بل كان الذين يقومون بتحقيق كتبه وطبعها ونشرها يستفيدون ماديًّا، ولم يطلب منهم ريالًا واحدًا، يريد بذلك وجه الله والدار الآخرة، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم دون أن يشوبها شائبة.

وقد كتب كتابًا عامًّا في حياته عن هذا؛ لأن وزارة الإعلام تطالب بإذن المؤلف، ونصه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد...

فلقد عرض بعض المشايخ موضوع إمكانية الاستفادة من الأشرطة التي سجلت لنا من الدروس والمحاضرات والخطب ونحوها مما هو مسجل في الأشرطة، فرأينا أن المناسب أن تكون حقوق هذه الأشرطة - سواء أشرطة الكاسيت أو الفيديو - مباحة لكل مسلم، يريد تسجيلها وتوزيعها مجانًا، أو بيعها بالسعر المناسب، وذلك ليعم الانتفاع بها في الأمكنة القريبة والبعيدة،



ويعد هذا إذنًا عامًّا منـــا لجميع الأشخاص وجميع محلات التسجيلات لنسخ هــذه الأشرطة وعدم جواز احتكارها؛ حتى لا يحرم المسلمون من الإفادة مما فيها، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم...

قــال ذلك، وأملاه الفقير إلى الله، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين».

وفي إحــدى رحلاتــه رحمه الله لإحدى المناطــق، قدموا له تذكــرة للسفر، فقــال: لا نريد التذاكر، نحن نأتي عــن طريق البر، وهذه التذاكر اجعلوها في جمعية خيرية أو في حسابكم؛ لأنه رحمه الله كان يحب السفر عبر البر.

يقــول الشيخ علي أبو لوز: «كنت مع الشيــخ في رحلة إلى جنوب المملكة، وفي أحد الأيام ذهبنا إلى قرية ثربان؛ ليلقي فيها الشيخ محاضرة، ولما وصلنا قبيــل أذان المغــرب بدقائق ذهب الشيــخ إلى مكان الوضــوء، وذهبت أنا معه للغرض نفســه، ولما فتح الشيــخ صنبور الماء، فــإذا الماء ضعيف جــدًّا، فقال الشيخ رحمه الله: الماء شحيح.

فأخذت إبريقًا كان موجودًا، وجمعت فيه بعض الماء، ثم أتيت به الشيخ؛ لأصــب عليه، فرفض رحمه الله، وقال: يكفــي ماء الصنبور إن شاء الله، فأخذت الإبريق وتوضأت منه».

وكانت عادة على المائدة يفتح علبة اللبن ثم يصب ما فيها في كأس ويشربه ثــم يحضر ماء قليلًا ويصبه داخل العلبة ويغلــق العلبة ثم يرجها ثم يشرب ما فيها ولعله لا يريد أن يرمي ما بقي من اللبن في العلبة - وهذا من احترام نعمة الله علينا - وإلا فالعلب التي توضع أمامه كثيرة، ولكنه يكتفي بواحدة[1].

(١) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

وجوانب الزهد في حياته رحمه الله كثيرة وأما الأمانة والورع فإن الحديث عن ذلك في حق مثله رحمه الله من فضول القول، فهي خلق من أخلاق الإسلام، وصفة من صفات المؤمنين، وهي من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين، بل هي لقب نبينا محمد ﷺ الذي لقبه به أهل بلده منذ صغره.

يقول ﷺ: **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**[1]، وقال ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»**[2].

ولكن نحب أن يتعرف القارئ، وتتعلم الأجيال من خلال المعالم الرئيسة لسيرة علمائنا المعاصرين، ولقد كان الشيخ الوالد رحمه الله مثلاً رائعًا في هذا المقام، فكان رحمه الله يحرص على الأمانة والورع، ويتحرى ذلك كثيرًا، فقد كان أمينًا في عمله الوظيفي، وأمينًا على أموال الزكوات والصدقات التي تعطى له؛ لينفقها على مستحقيها، وأمينًا على أعراض المسلمين، وأمينًا على أسرار الناس وفتاواهم الخاصّة.

فمن أمانته في العمل الوظيفي: أنه كان يبكر للعمل، حينما كان يعمل في الرئاسة العامة للإفتاء، ولا يخرج إلا بعد خروج جميع الموظفين، بل ربما جلس الحراس ينتظرون خروجه، فيدفعه حرصه على قضاء حوائج الناس والرد على المستفتين إلى التأخر.

وكان قبل الخروج يقوم بإطفاء الإنارة في الممرات التي يمر عليها؛ حرصًا على أموال الدولة؛ لأن بقاءها مضيئة فيه إسراف وتبذير.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند عن أنس بن مالك برقم / ١٢٣٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب ما جاء في أن «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» برقم ٢٦٢٧ وقال: حديث حسن صحيح.

ومما يدل على حرصه على الدوام، عندما توفيت زوجته والدتي رحمها الله باشر العمل في اليوم اللاحق؛ أداء للأمانة وخدمة المسلمين، وقد فوجئ منسوبو الإفتاء بحضوره في ذلك اليوم، مع أنها ابنة عمه الشقيق، وقد حزن لفقدها حزنًا شديدًا.

وكان رحمه الله أمينًا في علمه الذي ينشره بين الناس، فمن أمانته حرصه على عدم التخلف عن دروسه العلمية، والتفاني في ذلك بكل أمانة وصدق وإخلاص.

وكان شديد الأمانة والورع في فتاواه، وهو ما جعل طلاب العلم يتهافتون على سؤاله عن دقيق المسائل وكبيرها، ثقة فيه رحمه الله.

وكان رحمه الله أمينًا على الوقت والمواعيد؛ لذا كان شديد المحافظة عليه، ويحرص كل الحرص على الوفاء بها وعدم إخلافها، كما سنبين ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

وكان رحمه الله أمينًا على الكتب التي يقرؤها، ويراجعها، ويصححها لطلابه وغيرهم، فتجده يقرؤها قراءة كاملة ويدوِّنُ ملاحظاته ومرئياته عليها.

ومما يدل على ورعه رحمه الله: تورعه عن التصوير في أول حياته، حينما كان يرى عدم جوازه، وكان ذلك حال المشايخ في تلك الحقبة، فقد بذل جهدًا في عدم وضع صورته الشخصية على حفيظة النفوس وهي البطاقة الوطنية في ذلك الوقت، ولنسق القصة لطرافتها بكاملها كما رواها يقول رحمه الله: «في حدود سنة إحدى وثمانين (١٣٨١هـ) طُلب مني إخراج ما يسمى بالحفيظة، وامتنعت عن التصوير، ورفع الأمر إلى الجوازات، وكان المدير

فيهـا يُقال له: ابن ضـاوي[1] فأصر على التصوير، فجـاءه خطاب من مدير معهـد إمـام الدعوة، ولكنـه أصر على الامتنـاع، وقال: لا نصـدر حفيظة إلا بصورة إلا للقضاة، ثـم استشفعت بالشيخ عبدالرحمن بن هويمل رَحِمَهُ اللهُ[2]، فكتب إليـه خطابًا، فأصرّ أيضًا ولم يقبله، وحاول معه الشيخ أن يعملها سريًّا ولكنه امتنع، فرفعنا الأمر إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ فكتب إليـه خطابًـا قويًّا وأمره بإعفائنا من التصوير، فلـم يجد بدًّا من قبول ذلك، فأُخرجـت لي الحفيظة من دون صورة في شعبـان سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة وألف (١٣٨١هـ) باسم مدرس وكُتب فيها: معفى من التصوير.

ثم لما احتيجت إلى التجديد، وكان مكتوبًا فيها معفى جُددت من أحوال القويعية، وكان ذلك في حدود سنة تسعٍ وتسعين وثلاث مئة وألف (١٣٩٩هـ)، وأضيف فيها الأولادُ الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت.

وأضيـف بعـد ذلـك في آخرهـا الرقـمُ المعتاد الـذي هو رقـم البطاقة الشخصية التي يحملها الأفراد».

وحينمـا احتـاج إلى بطاقـة العائلة الحديثة وكان لابـد فيها من صورة أخـذت له صورة من إحدى محاضراتـه في الإنترنت، ولم يحتج إلى التصوير فلما رآها استغرب وقال: «الله المستعان».

---

(١) محمد بن ناصر بن ضاوي من بلدة حرمة، إحدى بلدان سدير في نجد، رحل لبلدة الزبير في العراق، ودرس فيها بمدرسة النجاة الأهلية الابتدائية للبنين وتخرج فيها، وعاد إلى المملكة، فالتحق بالديوان الملكي، ثم تولى رئاسة دائرة الجنسية والجوازات بمدينة الرياض.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن محمد الهويمل، من قبيلة بني زيد، ولد في القويعية، وتعلم على يد علماء الرياض، كالشيخ محمد بن إبراهيم وعبداللطيف بن إبراهيم، عين عام ١٣٥١هـ إمامًا وخطيبًا في جامع المربع، ثم تولى القضاء في الزلفي وساجر ثم في الرياض إلى ١٣٩٣هـ حيث أحيل إلى التقاعد، وقد توفي عام ١٤١٤هـ في الرياض.



وفي أوائل هذا القرن في حدود ١٤٠٢هـ لما تعلم قيادة السيارة، واشترينا له سيارة أتوماتيك؛ ليذهب بها إلى أداء دروسه ومحاضراته في الجامع الكبير نيابة عن ابن باز رحمهما الله، طلب رحمه الله من الأمير سلمان أمير منطقة الرياض أن يعفيه من التصوير لأجل الرخصة، فكتب للجهات المختصة أن اختبروه من دون صورة، فوافقوا على ذلك، وحمل رخصة من دون صورة كما ذكرنا سابقًا.

ومن القصص في ذلك يقول أحد أساتذة جامعة الإمام المصريين الذين زاملوه في التدريس فيها: رأيت الشيخ يشرب الماء من الصنبور، فلما رأيته قلت: أسألك بالله يا شيخ عبد الله، لماذا شربت من الصنبور ولم تشرب من البرادة التي يشرب منها الناس كلهم، أريد جوابًا صريحًا دون تعريض أو مواربة؟

فقال الشيخ عبدالله بابتسامة: بلغني أن البرادة اشتريت من صندوق الطلاب، ولعل بعضهم لم يرضَ بما أخذ منه[1].

ويقول الأخ عبدالله الحوطي[2]: «عندما تقاعد الشيخ رحمه الله من عمله في دار الإفتاء، قام بجمع أوراقه وأغراضه الخاصة في آخر يوم من دوامه، وفي أثناء ذلك وجد بين الأغراض قلم رصاص وممحاة، فسألني قائلًا: هل أحضرت يا أبا سعد، هذه من مالك أو من مال الرئاسة؟ وهذا من حرصه رحمه الله حتى لا يأخذ شيئًا ليس من حقه».

وكان رحمه الله بعد تقاعده يذهب بنفسه دون أن نعلم، ويسحب رصيده بعد نزول راتبه من البنك العربي الذي تودع فيه الدولة رواتب المتقاعدين،

---

(١) عصام العويد قناة «اقرأ».

(٢) جريدة عكاظ، الخميس١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ ـ ٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢، الخميس ١٥/٠٨/١٤٣٠ هـ.

ويودعــه في بنــك الراجحي، تورعًا مــن الربا وبعدًا عنه، ولمــا علمنا عن ذلك صار الأخ سليمان يكفيه هذه المهمة.

جبل الصبر

إن الصــبر مــن أبرز الأخــلاق التي وردت في القــرآن الكريم، وما ذاك إلا لارتباطـه بجميـع الأخلاق، فما من خلق أو فضيلـة إلا كان الصبر أساسه وركيزته.

ولقد حث الإسلام على التحلــي بخلق الصبر، ووعد الصابرين بالأجر العظيـم والثواب الجزيل، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ومن يتصبر يصبّره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[1].

والشيــخ الوالد رحمه الله يعد من شيــوخ الصبر في زماننا هــذا، فقد نَقَلَ عنــه طلابه ومحبــوه والمقربون منه أروع الأمثلــة في الصبر؛ سواء صبره على العبادات والطاعات، أو صبره على المصائب والابتلاءات.

فأما صبره على العبادات والطاعات:

فإنــه يذهــب كل عام خمسة عشر يومًا إلى مكــة في النصف الأخير من شهر رمضان، فكان يجلس في الحرم من قبل صلاة العصر جلسة واحدة يقرأ القــرآن من حفظــه، لا يتململ في جلسته، ولا يكاد يغيرها، ولا ينشغل في شيء إلى صلاة المغرب.

---

(١) أخرجه البخاري في باب الاستعفاف عن المسألة من كتاب الزكاة برقم / ١٤٦٩.

فكان بعض من يراه من الإخوان يؤثرونه بأماكنهم، فيطلبون منه أن يستند إلى كرسي أو عمود من أعمدة الحرم؛ لكي يريح ظهره قليلًا، ولكنه لا يقبل، فاشترينا له في سنواته الأخيرة مسند ظهر، فكان يستند إليه.

وكان الناس يكثرون من سؤاله ولا يرد أحدًا ولا يتبرم، بل ربما جلس بجواره شخص يشرح له مشكلة طويلة أو نحوها، فكان يتبسم ويرد عليه بلين ورفق.

ويقرب من ذلك جلسته رَحِمَهُ اللَّهُ للطلاب في الدروس، حيث يشرح لهم المتون ويجردون عليه المطولات الساعات الطويلة، فلا يكاد يغير جلسته، صابرًا محتسبًا، لا يشتكي تعبًا أو إرهاقًا، وقد ذكرنا في أثناء الكلام عن مهمة التدريس نماذج من صبره العجيب على الطلاب، وبخاصة ضعيفي القراءة الذين كان يترفق بهم، ولاينفرهم.

يقول الدكتور محمد بن عبدالله المشوح[1]: «لقد أجريت لقاءات مع شخصيات تجاوزت مائة عالم وداعية، لكني لم أعلم أحدًا كان لديه مثل ذلكم الحشد الهائل والعظيم من الدروس والمحاضرات، والنشاط العلمي الذي لا نظير له».

كان له درس بعد الفجر، ويستمر حتى قُرب الساعة الثامنة صباحًا، وبعد الانتهاء من الدرس يمشي راجلاً إلى البيت وكان يبعد نحو نصف كيلو، وكان يمشي معه السائل وصاحب المشكلة وطالب الحاجة، وربما وقف عند الباب ربع ساعة، حتى يفرغوا دون تذمر أو ملل.

وذكرنا صبره على الدعوة إلى الله، والرحلات الصيفية العلمية والوعظية والإرشادية الطويلة، التي يطوف فيها المملكة من شرقها إلى

---

(١) http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm.

غربهـا، يقطع آلاف الكيلومـترات بالسيارة، ويذهـب إلى مدن صغيرة وقرى جبليـة أو ساحليـة، أو في وسط الصحراء، ويستمر في الرحلة قرابة الشهرين من كل عام، وهمه أن يجد طلاب علم يفيدهم، أو أقوامًا يرشدهم، أو أناسًا يسألونه، فيجيبهم.

ولعلنا نشير هنا إلى نماذج من مثل هذا لم نذكرها من قبل.

يقـول أحد الإخوة من حائـل[1]: «الغريب أن الشيخ لا يطلب من أحد أن يتوقف، حتى ولو بلغ به الجهد مبلغه، وأذكر أني اتصلت عليه ذات مرة وقلت: يـا شيخ، عندي بعض الأسئلة فأستأذنك لطرحهـا وأذن وسألته عشرة أسئلة ثم قلت: يا شيخ، أواصل فوافق ثم عشرة وعشرة إلى أن طرحت عليه خمسين سؤالًا في الهاتف.

وكنـت والله في بعض الدروس أرحم الشيـخ حتى إنـه ذات مرة تكلم يشـرح ويوضـح ما يقارب الساعتين ثـم جاءت الأسئلـة وكان يستمع للأسئلة وكان السائـل صوتـه ضعيفًا ما حدا بالشيخ إلى أن يطلب من السائل أن يعيد السؤال أكثر من مرة بل وصل بعض الأحيان إلى أن يطلب منه الشيخ أن يعيد كلامـه أربـع مرات!! حتى إن الشيـخ تعب، واتضح عليه التعـب ولكنه لا يقول للسائل كفى أو نكمل غدًا، بل ينتظر إلى أن ينتهي السائل من جميع الأسئلة».

ويقـول الشيخ عبدالواحد المزروع[2]: «ناقشته رحمه الله في مسألة صرف العملة المعدنية بالورقية مع الزيـادة، حينما كانت الهواتف التي تعمل بالعملة الحديـدة موجودة وكانـت العملة المعدنية رائجة ومطلوبـة، وكان رأيه رحمه الله

(١) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

(٢) http://www.lojainiat.com/index.cfm?do=cms.con&contentid=7831.



جـواز صرف العشرة من الورق بتسعة من المعدن، وكنت أناقشه في قوله هذا، وبعـد أن قارب وقت النقاش ما يزيد على عشرين دقيقة قال لي رحمه الله: هذا رأيك!! عندهـا أمسكت، وفي ظني أنه لو كان نقاشي مع غير أستاذي وشيخي ابن جبرين لكان قد قطع أو أوقف قبل أن أكمل ثلاث دقائق».

ويقـول الشيخ سعد بن جمهور السهيمي[1]: «جاء إلينا الشيخ في جولة دعويـة ووضعنا له برنامجًـا وكان رحمه الله متقيدًا بالبرنامـج لا يغادر المسجد إلا بعـد الانتهاء من تلـك الدروس العلمية وإلقائها، وكنـا نطلب منه الراحة، ولكنـه كان يقول لنـا وقد حمل أمامنـا مجموعة من الأسئلة: لـن أرتاح حتى أجيب عن هذه الأسئلة، وأخذ يطالع الأسئلة ويجيب عنها، ولم ينتهِ منها إلا في ساعة متأخرة من الليل، وخلد للنوم ساعات قليلة، وجئت أوقظ الشيخ للفجر، فوجدته قائمًا يصلي قبل صلاة الفجر، وهو لم يرتح إلا دقائق، فقد كان حب الصلاة والمسجد يسريان في عروقه».

ويقول نواف بن عبيد الرعوجي[2]: «حينما أقول الصبر فإني أرى جميع معـاني الصبر قـد تحققت فيـه، ولا أزال أتذكر أيام الحـج كيف كان رحمه الله ينتقـل بين المخيمـات في إلقاء الدروس والمحاضـرات والفتيا دون ملل أو كلل، ربما يعجز عنه الكثير من الناس».

يقول الشيخ أحمد المهنا [3]: «في برنامج سؤال على الهاتف يجلس ساعة كاملـة والسماعة في يده، فقلـت للشيخ: هنا جهاز أضعه علـى رأسك، وتكون السماعات في الأذن واللاقط أمام فمك ولا تتعب، فقال: لا، ليس هناك تعب.

---

(١) http://www.lojainiat.com/index.php?a...wMaqal&id=8955.

(٢) http://majles.alukah.net/showthread.php?t=37498.

(٣) محاضرة بعنوان: «الإمام الراحل».

ونسافر معـه، فيصيبنا إرهاق شديد والشيخ بـكل قوة وأريحية ويقول: نحن في راحة السيارة مريحة والأوائل على رواحل، ولا نروي ماء من الآبار».

يقول الدكتور سعد الحميد: «إن شيخنا رحمه الله لا يأتيه أحد – كائنًا من كان – ويطلـب مساعدته والوقوف معه، إلا وجده سمحًا كريم السجايا سباقًا لفعل المعروف مادام ذلك في مقدوره، سواء كان مساعدة بمال أو بذلًا لجاه أو غيره؛ لذا أحبه الجميع، علماء، وطلبة علم، وعامة.

وأمـا سرعة استجابتـه لمن يطلب منـه محاضرات، ودروسًـا، ودورات علمية، فإن من رآها عرف أن الشيخ أتعب من جاء بعده، فلا أعرف له مثيلًا في تحملـه المشاق في هذا السبيل مـن سفر وغيره، بالرغم من كبر سنه. وأما في شبابه وكهولته فعجب عجاب».

ويحكـي الشيخ الدكتور إبراهيـم الدويش برنامجًا لـه في مدينة الرس يمثـل صـبره وجلده، فيقـول[1]: «كان الشيـخ رحمه الله لا ينـام إلا قليلًا، فبعد صـلاة الفجر تبدأ الـدورة وتستمر إلى مـا قبيل الظهر، فنرجـع إلى البيت؛ ليستعد لصلاة الظهر، وبعد صلاة الظهر يبدأ الإجابة عن أسئلة الحضور في المسجـد ثم نرجع نأخذ الغداء قليلًا، وبعد ذلك يبدأ البرنامج المسائي للشيخ ما نرجع إلا الساعة التاسعة والنصف أو العاشرة.

كنـت أظن أن الشيـخ الآن سيرتاح، وإذا بالشيـخ رحمه الله يجلس، ويبدأ يحرر الإجابات عن الفتاوى المكتوبة، حتى كنت أقول للشيخ: يا شيخ، غفر الله لـك رفقًا بنفسـك، هذه الإجابات نجعل لها وقتًا مـن ضمن وقت البرنامج، قال: لا، إذا اجتمع الناس والشباب نستثمر الوقت معهم، ويجلس الشيخ يحرر

(١) قناة «بداية».



الإجابـات مكتوبة بيده حتـى ساعات متأخرة من الليل، وأنـا أنتظر، وكنت لا أحب أن أنصرف حتى يبيت الشيخ، فإذا بات الشيخ وأطفأت الأنوار وذهبت، فأفاجأ بعد ساعة ونصف تقريبًا وإذا بالشيخ قام وأضاء النور، وتوضأ وأخذ يصلي، وأنا أعلم أن الشيخ ليست الخمسة أيام فقط هذه أحد برامجه، بعدها سيكـون عنـده في جهة أخرى ثم مكان آخر، فكنـت والله أعجب أشد العجب من الشيخ وجلده رحمه الله، فهذه والله لا نستطيعها، هذه المواقف تتراقص أمام عيني كلمـا فترت عزيمتي، هو مدرسة لي في الصـبر والجلد والعزيمة، كلما حاولـت أن أعتـذر من أحد في برنامـج نظرًا لضغط البرنامـج أو لانشغال أو لغيره تذكرت مواقف الشيخ، وازدادت همتي وعزيمتي الضعف.

كان ابنه سليمان يحدثني أنه كان يجوب معه في الصيف مناطق المملكة مرة في الشمال ومرة في الجنوب، فكنت أقول لسليمان: ألا تتعبون؟

فقال: والله يا شيخ، إننا مجموعة من الشباب من أبنائه وطلابه نتناوب على مصاحبته، فنتعب وهو الذي يقوم بالبرنامج من الصباح إلى وقت النوم في المساء لا يتعب.

هـذا الجلد العجيب يـا أخي، مدرسـة يستفيد منها الشبـاب والأخيار والدعـاة والعلماء يستفيد منها شبابنا اليوم في كيفية الصبر والمثابرة وكيف نعالج الفتور والضعف؟».

تقول الأخت سميرة ياسين بعدما سمعت عن صبر الوالد رحمه الله وجلده: «الجميـع يتحدث عن أن للشيخ طاقة رهيبة رحمه الله تعالى، وكان رفقته يتعبون وهو لا يتعب، ولكني أحس بأن سماحته كان يتعب، ولكنه كان يصبر ويحتسب، يتطلع لشيء أعظم ولراحة أكبر، وهي الراحة في الفردوس الأعلى، لذلك كان

يجهد نفسه كثيرًا ويقدم راحة الناس على راحته، وعلمه قبل نفسه رحمه الله، وينتهز كل ثانية من أنفاسه في أن يفعل شيئًا يقدمه عند الله عز وجل».

وكثيرًا ما يسأل رحمه الله عن جلده وتحمله، فيقول: «عودوا كل جسد ما اعتاد»، فهو يرى أن الجسم إذا تعود شيئًا لم يشق عليه.

وسنذكر إن شاء الله عند الكلام عن عبادته شيئًا مما يدل على صبره على العبادات من الصلاة والصيام والحج وغيرها.

وأما صبره على المرض فكان رحمه الله لا يشتكي أبدًا، فإذا آلمه شيء أو حتى جرحه شيء صبر وتحمل، وسنذكر إن شاء الله تعالى في أثناء الكلام عن مرضه عجائب من صبره رحمه الله، ولا مانع أن نذكر هنا شيئًا مما يناسب المقام مما لن يتكرر هناك.

فمن ذلك ما ذكرته الأخت هيا: «أنه أحس بألم في اثنين من أسنانه، فحين طال الألم فيهما، طلب من سائقه التوقف عند إحدى عيادات الأسنان، ثم دخل على الطبيب وطلب منه خلع هذين السنين؛ لأنه لم يجد وقتًا لعلاجهما، فخلع السنين، وحين علمنا بذلك، أقنعه إخوتي بأهمية العناية بالأسنان وعلاجها من خلال طبيب متمكن، ورتبوا له مواعيد متسلسلة مع أطباء أكفاء، وعالجوا جميع أسنانه».

ومرة جرحت رجله في الحج جرحًا بالغًا، فمسح الدم ووضع عليها مناديل ورقية، ولما رأيتها فجعت وكنا في مخيم الحرس الوطني في منى، فذهبنا للطبيب وقام بعلاجها وربطها.

وكثيرًا ما نرى في يده أو قدمه أثر رضة أو كدمة من باب أو حجر، وهو لا يلقي لها بالاً، فإذا سألناه قال: شيء سهل.



وقد أصيب رحمه الله بمرض السكري، ولم يكن يشتكي من آثاره وأعراضه، حتى لاحظت زوجته أنه عندما يستيقظ في كل صباح يصيبه دوار يوشك معه أن يصطدم بالباب، فأخبرتنا، وبعد تحاليل عدة تبين أنه مصاب بمرض السكري، فرتب له الطبيب علاجًا، فانتظم عليه.

ودخل المستشفى مرة لعرض أصابه، فخاف عليه الأهل والطلاب والزملاء كثيرًا، وكان إذا سأله أحد ورأى لهفته وشفقته قام من سريره ثم جلس مرارًا، وهو يقول: ها أنا طيب معافى؛ ليطمئنهم على أنه بخير[1].

وكان يردد عبارة عامية: «اربط يدك وعرضها الطببا» ومعناها: اربط يدك، واعرضها على الأطباء ولو كانت سليمة فكل طبيب سيذكر لك علة غير ما يذكره الآخر، يريد أنه في عافية ولكن الأطباء يدققون تدقيقًا زائدًا.

ومن الأمراض التي أصيب بها رحمه الله فصبر واحتسب، إصابته باللسنة؛ وهي مرض يصيب اللسان، فقد كان رحمه الله في صغره متميزًا على أقرانه في القراءة، يقول رحمه الله متحدثًا عن ذلك[2]: «في حدود سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وألف (١٣٦٢هـ) كنت أقرأ في ليالي رمضان مع بعض القراء المسنين؛ فكنت أصلح بعض الأخطاء منهم على الرغم من صغر سني، فحسدني بعضهم وأصبت بعين حاسد؛ حيث تورم اللسان، وذلك ما يسمى باللسنة، انتفخ اللسان وتعطلت عن الكلام حتى لا أتكلم إلا بالإشارة أو نحوها، ما أثقل علي الكلام وصرفني عن تعاهد القرآن وتعلم العلم، وأضرني في الأكل والشرب، وقد عولجت بالرقية والأخذ من أولئك المتهمين، وعالجني أحد أعمامي رحمه الله بكية تحت الحنك وبكية فوق العنق تحت الرأس من

---

(١) من مذكرات الأخت هيا.

(٢) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية وقصتي في طلب العلم.

الخلف، وحماني عن بعض المأكولات فشفيت بإذن الله، ولكن بقي أثرها معي أكثر من عشر سنين يصعب علي مواصلة الكلام، ويصعب علي أيضًا النطق وسرد القرآن وما أشبهه إلى أن زالت والحمد لله بالتدريج».

كما أصيب رحمه الله بالعين حين صلى بالناس إمامًا في صلاة التراويح في أحد مساجد الرين، فقد كان يطيل في قيام رمضان، حتى إنه في العشر الأواخر قارب أن يختم بهم ختمتين، فأصابه بعض الحساد بالعين، ما نتج عنه قرحة في ساقه اليمنى، فكان يضع تحت رجله لبنة من الطين؛ حتى لا يشتد ألم الساق من آلام هذه القرحة، ثم إنه عالجها حتى شفيت بإذن الله تعالى[1].

وأما صبره على البلاء فقد ابتلي رحمه الله كثيرًا فصبر واحتسب، وحمد العاقبة في الدنيا، وسيحمدها إن شاء الله في الآخرة.

المواقف العصيبة في حياته رحمه الله

اختفاء ابنته مع المطلوبين أمنيًا

فمن ذلك أن أختي الصغرى اختفت مع زوجها، حيث كان من المطلوبين أمنيًا من قبل الدولة، وغابت قرابة ستة أشهر دون أن يعلم عنها خبرًا، وقد رأينا أثر الهم والتأثر عليه في شحوب لونه ونزول وزنه فقد نزل وزنه، أكثر من عشرين كيلوًا، ومع هذا فلم يشكُ لكبير ولا صغير سوى لربه جل وعلا، حتى عادت بعد أن قتل زوجها رحمه الله، ولهذا قصة طويلة محزنة سأوردها إن شاء الله في موقف الوالد رحمه الله من القاعدة.

(١) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية.

دخوله مع لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية

من الأمور التي ابتلي بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصبر دخوله مع لجنة الحقوق الشرعية، وما صاحب ذلك من فصله من عمله ومنعه من الدروس والمحاضرات، وكانت أيامًا عصيبة وأحداثًا غريبة، فقصته مع هذه اللجنة مليئة بالدروس والعبر، فيحسن أن نرويها بتفاصيلها.

ولن أخوض في تفاصيل إنشاء اللجنة ودوافعها؛ لأننا نتحدث عن ترجمة خاصة للشيخ الوالد، ولذا سأذكر ما يهمنا من أحداث مما يتعلق به رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكن لا بد من تمهيد للموضوع يفهم من خلاله القارئ تسلسل الأحداث، فلقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ غيورًا على حرمات الله، محبًا لصلاح الأمة، وكانت حرب الخليج الثانية التي قضي فيها على صدام حسين، بداية لأحداث جسام مرت بها بلادنا حماها الله.

لقد كان دخول القوات الأجنبية فرصة لاستغلال بعض أصحاب الأهواء هذه القضية في سبيل الخروج عن سمت المجتمع المتمسك بتعاليم الدين وأحكام الشريعة.

كانت مظاهرة قيادة السيارات التي قامت بها مجموعة من الأكاديميات والمثقفات السعوديات في ربيع الآخر من عام ١٤١١هـ هي السهم الأول الذي رمى به هؤلاء، ولعلها كانت بمنزلة اختبار لردة فعل المجتمع.

كانت خطوة جريئة في وقت حرج جدًا تمر فيه الدولة بتهديد وهذا غالبًا مسلك هذه الفئة، فإنها تستغل أوقات الاضطراب؛ لأنها تظن أنها لن تواجه.

كان صدام حسين يهدد بلادنا بعد غزو الكويت، بل أرسل صواريخ وقع عدد منها في مناطق مختلفة من العاصمة الرياض، وكان في المملكة جيوش

أكـثر من ثلاثين دولة عربية وأجنبية، ومع هذا فقـد أقدم هؤلاء على فعلتهم وأثاروا ضجة كبيرة، كما هو معروف.

لقد وقفـت الدولة والعلماء والشعب وقفة مشرفـة أمام هذا التصرف، ولكنه سبب ظهور تيارين قويين يتجاذبان مركب البلاد:

تيـار علماني متمكن من الإعلام ومـن بعض المناصب ومن مواقع مهمة في الاقتصـاد، وتيار محافظ يستند للواقع والتاريخ والنظام، ودارت سجالات عدّة ليس هذا موطن شرحها.

لكن من المهم بيان أنه تكوّن في تلك المدة فئة من أساتذة الجامعات من خريجـي الجامعات الأجنبية وممن يحملـون في الوقت نفسه توجهًا إسلاميًّا، علـى اختلاف بينهم في المدارس الفكرية التي ينتمون إليهـا، ففيهم السلفي والإخواني والمستقل بل والتحريري، أعني المنتمي لحزب التحرير.

وظهـر تيار قـوي من المشايخ الشبـاب الذين بـرزوا، واشتهروا بصورة سريعـة، وتميزوا بطرق موضوعات حساسة ونقاشـ الأمور بجرأة ووضوح لم يتعـود العلماء ولا المجتمع عليها، فطار بهم النـاس، وبخاصة شباب الصحوة، وشرقوا وغربوا.

ثم قـام التيار العلماني بقيادة الدكتور غـازي القصيبي رحمه الله بهجمة شرسـة لتشويـه الصحـوة الإسلاميـة والتحريض عليها وعلـى الدعاة عبر مقالاتـه، وبخاصـة زاويتـه: «في عين العاصفـة» التي كان يكتبهـا في صحيفة الشـرق الأوسط ثم كتابه الـذي بعنوان: «حتى لا تكون فتنـة»، الذي قدم فيه القصيبـي قراءة نقدية لخطاب الصحوة السياسي، وذلك من خلال مناقشة محاضـرات ودروس ألقاهـا كل من الدكتـور سلمان العـودة والدكتور ناصر

العمر والدكتور عائض القرني قاموا بإلقائها تفاعلاً مع أزمة الخليج، وقد شارك الدكتور القصيبي عدد من الكتاب، لكن لم يكونوا في مثل حضوره ولا في قوة طرحه وجرأته.

لم تقف المسألة عند هذا الحد من المساجلات الفكرية، بل تطورت إلى أساليب عملية دخل فيها فئات فكرية كثيرة، كل منها ركب الموجة لتحقيق غرضه والله من وراء كل قائل وفاعل وقلبه، وتشكلت مجموعة في جامعة الملك سعود سمت نفسها لجنة الجامعة للإصلاح والمناصحة «لجام»، وبدأت في خطوات عملية كان لها آثار كثيرة وخطيرة، واستفيد من كبار المشايخ كالشيخ ابن باز وابن عثيمين والوالد رحمهم الله لكسب التأييد الشرعي والاجتماعي.

ولعلي أعرض بإيجاز أهم الأساليب العملية التي طرقت وكيف استفيد من المشايخ فيها، ثم أحكي قصة الوالد رحمه الله معها.

كان أول الأساليب التي قامت بها هذه المجموعة بعدما انتهت الحرب تقديم مذكرة إلى الملك فهد وقع عليها أكثر من أربعمائة شخص وتعرف بخطاب المطالب الاثني عشر؛ لأنها اشتملت على اثني عشر مطلبًا، وقد قدمت في شوال عام ١٤١١هـ واستطاع بعضهم إقناع كل من سماحة الشيخ ابن باز وابن عثيمين بدعمه، فكتب كل منهما خطاب تأييد لها.

ولقد أثار هذا الخطاب ضجة سياسية واجتماعية، ما تسبب في صدور بيان من هيئة كبار العلماء بتاريخ ١٤١١/١١/١٩هـ يستنكر الطريقة التي سلكت في نشر خطاب المطالب وتوزيعه.

وفي المحرم من عام ١٤١٣هـ، بعد إعلان الملك فهد عن الأنظمة الثلاثة قامت المجموعة بتوجيه (مذكرة النصيحة) الشهيرة إلى الملك، وتضمنت

أفـكارًا إصلاحيـة في المجالات الإدارية والسياسيـة والاقتصادية والعسكرية والقضائيـة والاجتماعية، وقد علم فيما بعـد أن الدكتور محمد المسعري كان وراءهـا، ولهذا تأثرت ببعض أفكار حزب التحرير، وقد قدمت للشيخ ابن باز رحمه الله فوعد بدراستها مع نخبة من العلماء تعرف باسم «اللجنة الخماسية»، تمهيدًا لرفعها إلى خادم الحرمين الشريفين.

وقـد تسربـت المذكرة، ونشرتها جريـدة «المحـرر» الباريسية، وأحدثت ضجة هائلة، وأصدرت هيئة كبار العلماء بيانًا في ١٩/ ٣/ ١٤١٣هـ، يدين هذه المذكـرة، وقد رد هـذا التيار ببيان عرف بالبيان الثلاثـي في الرد على الهيئة وبيانها بشأن مذكرة النصيحة، وقد وقعه كل من الشيخ حمود بن عبد الله بن عقـلاء الشعيبـي، والشيخ الوالد عبد الله بن عبد الرحمـن الجبرين والشيخ عبـد الله بن سليمان المسعري رحمهم الله، ولكـن المتأمل في صياغة الرد يجزم بأنه ليس أسلوب كبار المشايخ، فهو أسلوب حماسي بعيد عن حكمة الشيوخ وعقلهم وسمتهم[1].

كانـت الخطوتان السابقتان مقدمة لخطـوة ثالثة جريئة، وهي تأسيس لجنـة الدفاع عن الحقـوق الشرعية، وقـد ولدت فكرة تأسيسهـا بعد تقديم مذكـرة النصيحـة للدولة بأشهر عـدة، وذلك بعـد اعتقال الشيـخ إبراهيم الدبيـان في منطقة القصيـم، حيث عقد لقاء موسع في منـزل الدكتور حمد الصليفيـح رحمه الله بالرياضـ، حضـره مـا يزيد علـى أربعين داعيـة وأستاذ جامعـة ومفكـرًا، وكان ذلك في نهاية شهر رجب من عـام ١٤١٣هـ واتفق فيه الحاضـرون على تأسيس اللجنة تحت اسـم (لجنة النصرة والحقوق) وكلف مـن يعد بيانهـا التأسيسي، ثم عقد اجتمـاع آخر في منـزل الدكتور عبد الله

---

(١) لقراءة هذا الراد انظر http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-40-146748.htm.

الحامد في ذي القعدة ١٤١٣ فوافق الجميع على المشروع والبيان وتم اختيار ستة أشخاص معروفين ليوقعوا البيان وهم الدكتور حمد بن إبراهيم الصليفيح والشيخ عبدالله بن سليمان المسعري والشيخ الوالد عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله والدكتور عبدالله بن حامد الحامد والشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي والشيخ عبدالله بن حمود التويجري.

وبعد إعلان اللجنة من الرياض في ١٢/١١/١٤١٣هـ، الموافق ٣/٥/١٩٩٣م اتصلت وكالات الأنباء العالمية بالشيخ عبدالله المسعري بصفته الأمين العام لها، فأحالهم بطريقة عفوية إلى ابنه الدكتور محمد المسعري الذي يتحدث اللغة الإنجليزية ولم يكن مرشحًا حينئذ ضمن المجموعة التأسيسية، ما سهل تكليفه في اجتماع لاحق لكي يصبح ناطقًا رسميًا باسم اللجنة، وقد أحرج ذلك فيما بعد المنظمين للجنة بسبب أفكاره المبنية على فكر حزب التحرير وطريقته القاسية في النقد.

كان التحرك الأول ضد اللجنة هو دعوة من الأمير سلمان بن عبدالعزيز لأعضاء اللجنة، بمن فيهم ناطقها الرسمي، لمكتبه للتأكد من صحة تواقيعهم ولإعطائهم الفرصة لتوضيح تصرفهم، وعندما أكد الجميع أن تواقيعهم صحيحة، أمر الأمير بكتابة محضر بذلك وقَّع عليه الجميع.

ثم صدر بعد ذلك بيان هيئة كبار العلماء حول اللجنة وبيان عدم شرعيتها، وصدر بعد قرار من الدولة بفصل من كان موظفًا في الدولة من أعضاء اللجنة من وظائفهم وإغلاق مكاتب المحاماة التابعة للباقين.

هذا ملخص لما ظهر للناس، وأما ما يدور في الخفاء فالله أعلم به. ولكن دعني أحكي لك ما أذكر من وقائع، وما رأيت في هذه الأزمة العصيبة،

سأحكي لك الأمور كأنك تراها، ولن أمرّ عليها مرور الكرام، فليس في ذلك ما يغض من مكانة الوالد رحمه الله؛ لأن التاريخ أمانة يجب أن تعرفه الأجيال.

كان الوالد رحمه الله يعمل في الإفتاء، ويلقي دروسه العلمية في عدد من مساجد الرياض، ويجلس بعد العصر في المنزل للمستفتين والزوار.

كنت حينها مشغولاً بأطروحة الدكتوراه ومشغولاً بأسفار متعددة دعوية وعلمية، فلم أكن قريبًا من الوالد رحمه الله، ولم يكن مكتب البيت قد نظم بعد.

وأصدقك القول: أني لم أعلم عن اللجنة إلا من الصحف ومن الناس، وليس هذا بغريب لما ذكرته من انشغالي، ولكني كنت أعرف أن الوالد رحمه الله له جهود في الاحتساب وأن الإخوة يستفيدون من دعمه وتأييده لهم، وقد حضرت معه مجالس فيها نقاش لبعض القضايا، كان أحدها في منزل الشيخ عبدالمحسن العبيكان، وأذكر من الحضور، إضافة إلى الوالد رحمه الله الدكتور محسن العواجي، وقد عجبت حينها من حماسة الجميع وبخاصة العبيكان والعواجي للإنكار على الدولة، وكنت أصغر القوم وبحضرة الوالد، فلم يكن لي مجال للحديث.

كما حضرت الحادثة الشهيرة التي كانت في مسجد العبيكان، وهي محاضرة للشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله التي انتهت بمعركة حامية كادت تحدث في المسجد، لولا لطف الله، ثم تدخل الوالد رحمه الله لتهدئة الوضع ومنع الشباب من الفوضى.

وأذكر أيضًا أن ثلاثة من أساتذة جامعة الملك سعود جاؤوا للوالد في المنزل؛ لتوقيع إحدى العرائض التي كتبت، وكانوا في فورة وحماسة.



كان الوالـد رحمه الله باذلاً لجاهه ونفسه لخدمة المسلمين، وقد ظهر في تلك المـدة قضايا تجاذبهـا الناس، كل بحسب منهـج تفكيره ورؤيتـه الفكرية، كان الوالـد يحب الخير، صادق النية، حسن الظن، ولقد دخل عليه من جره للدخول في اللجنـة من هـذا الباب، وهو لم يكن يعلم ما يبيت في الخفـاء، وأنا أجزم أن كثـيرًا من طـلاب العلم ومن محبي الخـير الذين تفاعلوا مع تلـك الأحداث لم يكونـوا على علم بمـا يراد بها أيضًا، ولهذا بعد أن تكشفـت الأمور لم يبقَ منهم أحد إلا قليلاً ممن لم يحتمل الصبر على قرارات الدولة أو غلب عليه فكر القوم.

علمت كما ذكرت لك من الناس، وذلك بعد صدور قرار الدولة بالفصل وإغلاق مكاتب المحاماة بتاريخ ١٤١٣/١١/٢٣هـ، ولا أخفي عليك أخي القارئ، أني دهشـت جدًا، واستغربت وجئت وقتها للوالد رحمه الله مستغربًا، فوجدته قد غلـب عليه الذهول أيضًا وبخاصة لما علم عـن تصعيد القضية عالميًا فلم يكن يريـد الأمـور على هذا المساق، بـل يظنها كما عهده نصـرة للمظلوم بإيصال المظـالم للمسؤولين وحثهم على إزالتها وهو مـا كان يعمله قبل اللجنة واستمر عليه بعدها فلم يكن يعلم أن هذه اللجنة ستتخذ هذا المسلك في مقاومة الدولة والخـروج عن السمت العـام لعلماء هـذا البلد، وهو رحمه الله معـروف بمنهجه الواضـح مـع ولاة الأمور، فهو يحبهـم ويحب لهم الخـير، وإن كان يناصحهم ويصارحهم.

لم يكـن الفصـل من الوظيفة ولا التشهير بأشـد وقعًا عليه من المنع من الدروس، لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبـت، فالدروس روحه وحياته وقلبه الذي ينبض، وأما الدنيا فلم يكن يلقي لها بالاً.

استغربنـا موقف الدولة مـن الوالد، بل من المجموعـة وللدولة ـ عادة ـ

حنكة في معالجة مثل هذا الأمر، لكن لعل تصعيد الدكتور محمد المسعري لموضوع اللجنة وإيصال صوتها للعالم ومحاولته الخروج عن السائد في المجتمع جعل الدولة تعامل اللجنة معاملة أخرى.

كنت أتوقع قبل صدور قرار الفصل أن يستدعي الأمير سلمان الوالد، ويحاول إبعاده هو وغيره من المشايخ من اللجنة، ولكن الأمر لم يسر على هذا ولكل قضية ظروفها.

استغرب الوالد أيضًا من شيخه ابن باز رحمه الله ومن زملائه في هيئة كبار العلماء أن أحدًا منهم لم يتصل به أو يسأله ما الأمر، حتى إنه شاركهم العشاء في الليلة التي صدر في صبيحتها بيان هيئة كبار العلماء حول اللجنة، وكانوا يتحدثون معه كأن شيئًا لم يكن، ولكن قضاء الله غالب ونافذ.

رأيت في وجه الوالد علامات التأثر، كما كثر المترددون عليه من المشايخ من زملائه وطلابه وغيرهم من محبيه ومعارفه ما بين مشجع ومستفسر ومستغرب ومنتقد وكان ذلك بعد صدور القرار، ثم انكمش الناس بعد ذلك وكاد البيت أن يخلو من الزوار، والوالد خلال ذلك لم يبدِ لأحد شيئًا ولم يشتكِ إلا لله، فقد كانت شفتاه تتحركان بالذكر والدعاء، ولم يقع منه شيء موقعًا مثل منعه من الدروس والخطابة والمحاضرات.

مرت أيام عصيبة عجيبة عرفنا فيها وفاء الأوفياء وصدق الأصدقاء وتناقص الناس الذين كانوا بالعشرات، حتى لا يكاد يأتي أحد وكنت أنا والدكتور محمد بن حمد المنيع حفظه الله وبعض المحبين نلازم الوالد كل عصر وكان يجلس كعادته لاستقبال الناس، وتذكرت حينها قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك، وعرفنا أن العامة يدورون مع مصالحهم وهم

معـذورون في ذلك، ولهذا لا ينبغي الاغترار بإقبـال العامة ولا بالغوغاء، فإن المشايخ الذين كان الناس يحضرون عندهم بالآلاف بعد أن منعوا وسجنوا لم تنفعهم تلك الجماهير التي كانت تموج معهم، وهذا درس عظيم ينبغي للقادة والعلماء والدعاة الاستفادة منه.

بـدأ بعض زملاء الشيخ ومحبيـه في محاولة إقناعه للتراجع عن اللجنة وإعلان البراءة منها، وكان ممن ألح عليه في ذلك الشيخ عبدالرحمن البراك والشيـخ سعود الفنيسان وما زلت أتذكر إلحاحهمـا عليه وهو يتمنع أنفة منه وعـزة وليس اقتناعًا وحماسة، وكأنه قد استغرب ما حصل مما كان يمكن أن يستدرك قبل وقوعه، وبخاصة من هيئة كبار العلماء.

وبعـد إلحاحهما وإلحـاح غيرهما مـن أقاربه وتلاميـذه ومحبيه وافق رحمه الله على كتابة اعتذار عن اللجنة، فكتب خطابًا وجهه للأمير سلمان وقمت بإيصال الخطاب له ولما قرأه استبشر وقال: أنا أعرف الوالد وصفاء سريرته، فقلـت له: الوالد حريص على الرجوع للدروس، فقال يبدأ من اليوم ولا حرج، فرجعـت لتوي إلى الوالـد، وأخبرته بما حصـل، فتهلل وجهه وقـال: هذا هو المهـم، أمـا الوظيفة فالرزق على الله أو كلمة نحوهـا، ولم يكتب بعد ذلك ولم يتصـل بأحد بخصوص الوظيفة بل قمنا بترتيب أوراقه ونزل راتبه التقاعدي بناء على أنه لا رجعة للوظيفة.

وقـد استمر الوضع هكـذا مدة شهريـن تقريبًا، والوالد يـؤدي دروسه ويخطـب بجامعه، وعـاد الأمر قريبًا ممـا كان عليـه إلا أن ورود الناس خف كثيرًا كما ذكرت، وبعد شهرين تقريبا، اتصل الشيخ عبدالعزيز بن باز، وكان في الطائـف بالوالـد رحمهما الله وأخبره بصدور قرار برجوعـه للعمل وتعيينه على

المرتبـة الخامسة عشرة من تاريخ ١/٢/١٤١٤هـ، وبارك له وباسطه الحديث ثـم ودعه بعـد أن طلب منـه أن يباشر في الرياضـ، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قد مكث في الإفتـاء أكثر من عشر سنوات علـى المرتبة الرابعة عشرة ولم يطلب ترقية ولا انتدابًا ولا شيئًا من أمور الدنيا، لكن هذه جاءت من الله جل وعلا.

رغب الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في أن نسافر إلى الطائف؛ للسلام على المشايخ، فلبيت طلبـه وركبنا السيارة أنا وهو وحدنا وسرنا حتى وصلنا الطائف وبتنا هناك وفي الصباح ذهبنا لدار الإفتاء فسلمنا على الشيخ ابن باز وقد لاطفه الشيخ وتحدث معـه طويلاً دون أن يعرض لموضوع اللجنــة والظروف التي مرت، ثم سلم الوالد علـى مشايخ اللجنة الباقين، ولما خرجنا من عندهم كان الأمير سلمان في جدة فشاورت الوالد في المرور للسلام عليه فوافق، وسرنا قبل الظهر إلى جدة.

وصلنـا جـدة ولم نكن نعرف مكان قصر الأمـير ومكتبه، فبعثوا لنا من يرشدنـا حتى وصلنا المـكان، استقبلنا الأمير وجلس مـع الوالد جلسة خفيفة وكان وجـه الأمـير يتهلـل سـرورًا وفي ظني أن معظـم تدبير الأمـر في رجوع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ للوظيفة بعد تدبير الله كان من صنعه؛ لأنه يحب الوالد ويثق به ويعرفـه جيدًا، ثم دعانا لتناول الغداء معه، فتغدينـا من غدائهم، وأذكر أن الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ تعجب من طريقة تقطيع البطيخ (الحبحب) فعادتنا أن نقطعه بقشـره على شكل مثلثـات أما هم فقد قطعوه مكعبات مـن دون قشر؛ ليسهل أكلـه بالشوكة وهذه أول مرة نراه هكذا، فلم يتعود الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ غشيان بيوت الأمراء والكبراء ولا الأكل عندهم.

بعـد ذلـك رجعنا للرياضـ وعاد الوالـد لعمله، وأطفـأ الله الفتن ودفع البلاء.

هذا ملخص القصة، وبقيت جملة لطائف.

أولاهـا: بعد صدور قـرار الفصل بيومين اتصل الشيـخ ابن باز بالوالد رحمهما الله فقـال لـه لدي محاضـرة في السويـدي في مسجـد الشيـخ عبدالعزيز التركـي، وأنا متعب فأريد أن تقوم بها بدلاً مني، فاستعد الوالد رحمه الله وذهب للمسجد وذهبت معه.

كان الحضـور كثيرًا حيث امتلأ المسجد برحباته وكان عنوان المحاضرة حـول الفتن والأحـداث الجارية في ذلك الوقت والنـاسـ في حاجة للسماع من الشيـخ ابـن باز، لقد كان حضور الوالد مفاجـأة للجميع، ولقد بكى النـاس في تلك المحاضـرة، وبكى الوالد رحمه الله، بكى الوالد لأنـه قدم بمقدمة استصغر نفسـه فيهـا وقال: أين أنا من ابن باز، حتى يكلفني بـدلاً منه؟، وبكى النـاس؛ لأنهم رأوا شيخهم الممنوع من المحاضرات ماثلاً بين أيديهم.

لقـد حضرت المحاضرة، وكانت من نـوادر ما تكلم به الوالد رحمه الله عن الفتن، ولم أعجب من شيء عجبي من تكليف ابن باز له وهو يعلم أنه ممنوع، ولم أجـد جوابًـا إلا أنهـا رسالة من ابن باز رحمه الله وكأنه يقـول: هذا تلميذي وأنـا أعرف به، وهـي رسالة للوالد أيضًا ناطقة بأنك منا ونحن منك لم نتغير عليك، لقد نفس هذا التصرف على الوالد، وكان رحمه الله يعرف نفسه وبراءته ممـا ألصق بـه، وأن ما أصابه ليس مستحقًا لـه؛ لاختلاف منهجه عن منهج بعض القوم وطريقتهم، ولكن الفتن لا تفرق بين النـاس، ولم يكن ضيق صدره لفوات شيء من الدنيا، لكن العزل والتشهير صعب على النفوس البريئة.

وأمـا اللطيفـة الثانية فقد جـاءه الشيخ عبدالرحمن الـبراك والدكتور سعـود الفنيسان؛ لمحاولة إقنـاعـه بالتراجع كما ذكـرت وكان مما أذكره من

كلام الشيخ البراك: إن وجودك في الوظيفة أنفع للناس؛ لأن الإنسان إذا جلس في بيته لا يعرف، ولا يستفيد منه الناس، وتوسل إليه أن يعتذر من اللجنة وأن يقبل العودة للوظيفة إذا طلب منه ذلك، وكان بعض الدعاة المتحمسين قد أكثروا عليه بألاّ يعتذر ولا يقبل العودة لوظائف الدولة وكان رَحِمَهُ اللَّهُ مترددًا، اكتشف خطأ دخوله مع اللجنة وهو مقتنع بأنها لا تناسب منهجه، وفي الوقت نفسه ثقل عليه التصرف الذي عولج به الأمر، فعزة نفسه تدعوه إلى عدم الاعتذار، ولكنه يثق بالمشايخ ورأيهم، ولهذا اعتذر من اللجنة، وكنت الذي رتبت زيارة الشيخ البراك ومن معه في هذا الموضوع جزاهم الله خيرًا.

وأما اللطيفة الثالثة فقد ذكرت من قبل أننا حينما زرنا الأمير سلمان وجلس معنا قبل الغداء، قال الأمير حَفِظَهُ اللَّهُ للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: يا شيخ عبدالله، الملك فهد موصيني، يقول: انظر ماذا يريد الشيخ عبدالله نحققه له.

كان الكلام واضحًا وصريحًا بأن للشيخ أن يطلب من الدنيا ما شاء، وأظنه لو طلب في تلك اللحظة ما طلب لأعطي إياه.

كان الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مستندًا، فاعتدل وقابل الأمير وقال وهو يومئ بكفيه: جزاك الله خيرًا وجزى الملك فهد خيرًا، أنا ولله الحمد في نعمة، ليس علي ديون، ومنزلي ملك، وراتبي يكفيني، ولست في حاجة إلى شيء.

لم يكن الجواب مستغربًا، بل أظن الأمير سلمان يتوقعه؛ لأنه فطن وذكي وخبير بطبائع الناس، ولهذا رد ردًّا مناسبًا: وقال إذ احتجتم إلى شيء، فنحن جاهزون، ثم قمنا للغداء.

وأما اللطيفة الرابعة فإننا في رجوعنا للرياض مررنا بالمدينة النبوية؛

للصلاة في المسجد النبوي، وعادة الوالد رحمه الله أن يصلي فيها خمس صلوات، فأحب أن يزور الشيخ أبا بكر الجزائري، فزرناه بعد العصر وكان في ذلك اليوم مريضًا وعنده درسه المشهور بعد المغرب في الحرم، فعرض على الوالد رحمه الله القيام بالدرس فوافق، وألقى الدرس نيابة عن الشيخ أبي بكر الجزائري في المسجد النبوي، وعجبت حينئذ من سماحة الشيخين وشجاعتهما، وكان الوالد رحمه الله لم يؤذن له بعد في غير دروسه المعتادة، إنها صدق النية ومعاملة الله جل وعلا.

الوقت في حياة الشيخ

يرتبط النجاح والوصول لمراقي الكمال أو مقاربتها بسيطرة الإنسان على وقته ومحافظته عليه واستثماره كله أو جله فيما يعود عليه بالنفع في العاجل أو الآجل أو كليهما.

والتعامل مع الوقت يحتاج إلى توفيق واستعداد وتدريب واجتهاد والناجحون في جميع المجالات الدينية والدنيوية يقرون بذلك ويطبقونه، ومن قرأ قصصهم وجد أنها تبدأ مع استغلال الوقت، وتنتهي معه.

والشيخ الوالد رحمه الله من هذا الصنف الذي ملك وقته، وسخره لما يخدم الدين والمسلمين.

لقد مر بنا في الفصول الماضية والمباحث السابقة، وسيأتينا فيما بقي من فصول ومباحث ما يدل على هذا، فنشأته في الصغر حينما حبب إليه العلم وزهد في اللعب وتعلق بالكتب وأنس إلى الخلوة وآثر الوحدة وعكف على القرآن وحبس نفسه في المكتبة ولازم العلماء ورافق الصالحين ثم لما ترقى

في درجات العلم وبدأ في العطاء وبسط نفسه للطلاب وبذل جهده في التعليم والدعوة ونفع العامة ونصيحة الخاصة، كان كل ذلك يستغرق وقته بل لايكاد وقته يكفي لكل ما يريد.

ونحن في هذا الموضوع سنسلط الضوء على معالم الوقت في حياته رحمه الله ما سيعطي القارئ صورة واضحة عن قيمة الوقت في حياة العظماء وبركة الوقت في حياة الصالحين.

اهتمامه بالوقت

من أهم المعالم في حياة الشيخ الوالد رحمه الله قيمة الوقت ومكانته عنده، فلقد كان للوقت عنده قيمة كبيرة جعلته يعزف عن اللهو واللعب ويزهد في الراحة ويعرض عن الفرجة والنزهة إلا نادرًا، ولا يعني هذا عدم محبته للانبساط وبعده عن الترويح، بل معنى هذا وزن هذه الأمور وتقديرها بقدرها.

كان رحمه الله يشكو من ضيق الوقت، ويعجب مما يسمعه من الشباب والعاطلين الذين يقطعون أوقاتهم ويتذمرون من طول الوقت، ويقول: ياليتهم يعطوننا ما عندهم من الفراغ، وتمنى ذات يوم أن الوقت يباع، وكان رحمه الله يقول: ما رأيت أقطع للوقت من البحث عن مسائل العلم في بطون الكتب.

وكان رحمه الله يتضايق - وإن كان لا يبدي ذلك- إذا جاءه بعض الثقلاء، وهو مشغول في قراءة أو بحث، فتراه يجاريه وهو متعلق بشغله ويرد عليه إذا تكلم رد مجاملة يفهم الذكي مقصوده.

كان يضيق رحمه الله بالفراغ إذا لم يجد شغلاً، ولعلك أخي القارئ، قرأت ما ورد في هذه السيرة من تضايقه حينما نذهب لنزهة، فتأخذ من الوقت



أكثر مما يحب ويصر على البحث عن فرصة لاستغلال الوقت فيما يفيد النفس أو الناس وقد تكرر منه هذا كثيرًا رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان مرافقوه يزعمون أنهم يريحونه وما علموا أن راحته في البذل والعلم.

برنامجه اليومي

سئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن برنامجه اليومي فأجاب على سجيته قائلًا[1]: نقوم بإلقاء الدرس الصباحي يوميًّا ما عدا يوم الأحد، فنقرأ في فنون عدة أغلبها في العقيدة والحديث والفقه، وينتهي ذلك قرب السابعة والنصف إلى الثامنة، وفي صباح الخميس والجمعة قد يمتد إلى التاسعة، ثم بعد ذلك نستريح ساعتين أو نحوهما، ثم نقوم بقراءة البحوث وتلقي الأسئلة الهاتفية، وبعد الظهر نستقبل بعض الزوار ونجيب عن بعض الأسئلة الشفهية والتحريرية إلى قرب الساعة الثانية والنصف، وبعد العصر نلقي بعض الدروس في الفرائض وفي الفقه ونستقبل الزوار وأهل المراجعات والخطابات والأسئلة إلى الليل وبعد المغرب نلقي دروسًا يومية في المساجد ما عدا يوم الخميس ليلة الجمعة حيث نفرغه للمحاضرات داخل الرياض وخارجها، وبعد العشاء نلقي أيضًا دروسًا قد تستمر إلى الساعة العاشرة ليلًا، نقرأ في الحديث والفقه والعقيدة، وبقية الليالي أربع ليالٍ بعد العشاء نتفرغ للزوار وللزيارات».

فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يمضي يومه كله في طاعة نحسبه كذلك والله حسيبه، ولكن دعني أفصل لك الأمر أكثر: فعند استيقاظه يقوم عادة كالفزع، ويهب للصلاة ولو لم يكن متأخرًا، ولقد سألته عن سبب قيامه فزعًا؟ فقال: إن هذا يساعد على طرد الكسل، أما إذا فتح الإنسان عينه وهو على فراشه، فلا يزال

(١) الفتوى رقم ٧٥٨.

الكسل يلازمه، وجربت هذا فوجدته صحيحًا.

وبعد صلاة الفجر يكون عنده كما ذكر درس في المسجد، وذلك في جميع أيام الأسبوع ما عدا يوم الأحد ويستمر الدرس ساعتين أو أكثر.

يعود إلى البيت في الضحى، فينام ساعة أو نحوها ثم يتناول إفطاره ويجلس يصحح بعض الكتب في المنزل حتى أذان الظهر، وربما كان عنده في الضحى محاضرة أو موعظة في مدرسة أو مستشفى أو نحوهما.

يصلي الظهر غالبًا في مسجد الفنتوخ المجاور للبيت وإن كان هناك جنازة سيصلي عليها أو لديه موعد لكلمة في دائرة حكومية، فإنه يذهب قبل الظهر بمدة كافية.

أما بعد الظهر فيجلس في المكتب فربما استقبل بعض الناس مدة وجيزة ثم يجيب عن الفتاوى التحريرية التي ترد من أنحاء العالم مناولة أو بالبريد أو بالفاكس أو بالبريد الإلكتروني، ويمكث إلى قرب العصر ثم يعود لبيته الملاصق لمكتبه؛ ليأكل لقيمات الغداء وكان يفضل الطعام الشعبي المصنوع من الدقيق الأسمر كالمرقوق أوالقرصان أو الجريش.

وبعد أن يصلي العصر يلقي كلمة قصيرة في مسجد الفنتوخ ما عدا يوم الخميس فإن كلمته في مسجد الخرجي القريب من البيت أيضًا، حيث يشرح أحد الأحاديث النبوية ثم يرجع للمنزل ويفتح باب بيته لاستقبال الناس حتى أذان المغرب، فيساعد الفقير ويشفع للمحتاج ويعقد لمن يريد زواجًا، ويأتي القريب والصديق والمحب للسلام، يغشى هذا المجلس العامة والخاصة والأكابر وغيرهم وكل يجد منه رحمه الله ما يحب.

وكان هذا المجلس عامرًا منذ أن استقر في حي شبرا عام ١٤٠٢هـ حتى

توفي رَحِمَهُ اللهُ، ولم نبدأ في تنظيم العمل إلا بعد خمسة عشر عامًا في عام ١٤١٧هـ، وأما قبل ذلك فكان يقوم بكل المهمات بنفسه يكتب على الفتاوى، ويسطر الشفاعات بقلمه.

أما بعد المغرب فلديه كما عرفنا دروس منذ مدة طويلة.

وبعد العشاء عنده أربعة دروس أسبوعية وفي الأيام الأخرى يكون غالبًا مدعوًّا لوليمة أو نحوها، فيلبي الدعوة أو يذهب لبيته؛ ليمضي باقي ليلته في قراءة وتصحيح لبعض الكتب حتى الساعة الثانية عشرة غالبًا، ولم يكن ينام قبلها، وكان أحيانًا يرهق نفسه بالأعمال ويغشاه النعاس قبل الثانية عشرة، فيقاوم ويفتح عينيه ليكمل قراءته وكتابته؛ حتى لا يدع للكسل مجالًا[1].

ثم يذهب لفراشه أخيرًا بعد يوم مليء بخدمة الأمة، وله مع الليل شأن آخر سنتحدث عنه في أثناء الكلام عن عبادته رَحِمَهُ اللهُ، أسأل الله أن يجعل ما قدمه في ميزان حسناته وأن يلحقنا به في عليين.

المواعيد

للوالد رَحِمَهُ اللهُ مع المواعيد شأن عجيب.

حاولنا منذ زمن أن نرتب مواعيده، وبذلنا جهودًا لإقناعه بالتنازل عن دفتر المواعيد الذي يحمله، وكان هدفنا أمرين.

أولهما: أن صغار تلاميذه لهم منسقون للمواعيد، وهذا عرف جيد بحيث لا ينشغل الشيخ بذلك بل يتفرغ للعطاء، ثم هو نوع من إضفاء الصبغة التنظيمية والرسمية على العمل.

(١) بعض هذا من مذكرات أختي هيا.

وثانيهما: حتى لا تتضارب المواعيد؛ لأن لين الشيخ الوالد رحمه الله وسماحته تجعله يعطي في الوقت الواحد أكثر من موعد، وقد تكرر هذا كثيرًا.

وهناك أمر ثالث كنا نخفيه عنه رحمه الله وهو أننا نريد الرفق به وتقليل الارتباطات قدر الإمكان والتركيز على المهم فقط.

وقد باءت محاولاتنا بالفشل، وربما أدرك الشيخ مرادنا الخفي وهو يخالف طبيعته، حيث يستوي عنده الكبير والصغير، ولا يحب أن يرد أحدًا؛ لصغره أو فقره أو ضعفه.

وبقي دفتر المواعيد في جيبه يسجل فيه المواعيد والأحداث والذكريات وهذه لم نكن نعرفها حتى استعرضنا دفاتره وقرأناها، مواليد أبنائنا ووفيات الأقارب والمشاهير والأحداث المهمة كلها مسجلة في دفاتر مواعيده رحمه الله.

يقول الشيخ أيمن بن عبدالعزيز أبانمي[1]: «ذهبت للشيخ لأدعوه لتشريف حفل تحفيظ القرآن لأحد الجوامع بالرياض، ومشيت معه وهو خارج من بيته لصلاة المغرب، فذكرت له أن إمام المسجد وهو شيخ معروف يريد موعدًا مناسبًا ليقابله ليدعوه للحفل، فأخرج الشيخ من جيبه مفكرة البيان الجيبية، وقال لي: متى الموعد؟ فذكرت له اليوم، فأخرج قلمه وسجل الموعد، قلت له: إمام المسجد يريد أن يزورك ليدعوك، فقال الشيخ: لا، يكفي، خلاص، سجلت الموعد. وهكذا بكل بساطة.. مع أن الشيخ أكثر العلماء والدعاة دروسًا ومحاضرات وارتباطات، ومع ذلك لم يجعل له منسقًا ليرد على الاتصالات أو مدير مكتب يعبس في أوجه الناس، ويشترط على الناس

---

(١) الشيخ عبدالله بن جبرين.. جهاد في العلم وتواضع جَمّ.
.http://www.al-jazirah.com/84158/rj4.htm



اشتراطات لكي يقابلوا شيخه أو يجعل بينه وبين الناس آلاف الحواجز.. فليت الدعاة وطلبة العلم يأخذون من الشيخ هذا الخلق العظيم، ويتأسون به في حرصه على نفع الناس في دينهم ودنياهم».

وهو رَحِمَهُ اللهُ لنيته الطيبة وعزيمته الصادقة وجده وجلده قد بورك له في وقته، ففي بعض الأيام يكون عنده نحو عشرة مواعيد، ويذهب لها كلها بيسر وسلاسة.

والعجب أنه في رمضان ومع الصيام تكثر مواعيده:

- قراءة بعد الفجر.
- ثم زيارة لحلقة قرآن.
- وموعد في الضحى لمدرسة.
- وبعد الظهر في دائرة حكومية.
- وكلمة بعد العصر.
- ثم يجلس للناس في المكتب.
- ودعوة للإفطار.
- وكلمة بعد العشاء.
- وزيارة بعد الكلمة.
- وهكذا...

وقد لاحظت فيه دقة عجيبة في الالتزام بالمواعيد، ودعني أمثل لذلك بأمثلة:

يخطب الوالد رَحِمَهُ اللهُ الجمعة وقد استقر في العشرين سنة الأخيرة من عمره في جامع والدة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن مقرن في حي الفريان الجديد الذي بقربنا، وكنت أصحبه أنا وأولادي عبدالله ومحمد وعبدالعزيز

وقد وقّت لنا وقتًا للتحرك هو الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرون دقيقة، وكنت أنا الذي أقود السيارة قبل أن يكبر الأولاد، فلما كبروا صاروا يقودون السيارة، وكنت حريصًا على الموعد، ولا أعلم يومًا من الأيام أني سبقته بالخروج بل أجده غالبًا قد أخرج السيارة، وينتظرنا أو يطرق الباب علينا إذا تأخرنا رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

وذكرت لك قبل أن له زيارات منتظمة لعدد من المشايخ وأهل الخير ومنهم سماحة الشيخ عبدالله بن عقيل رحمه الله والشيخ ناصر الشثري والأمير عبدالرحمن بن عبدالله، والعجب أنه قد برمجها كما يقال في زيارة شهرية الأسبوع الأول لفلان والثاني لفلان وهكذا، لا يكاد ينسى أو يخرم عادته.

وقد رتب في كل أسبوع أن يصلي فجر الأحد في مسجد مجاور لنا، إمامه الشيخ خالد السرا ويصلي عصر الخميس في مسجد الخرجي كما ذكرت قبل قليل وعلى مدى سنين طويلة لم ينسَ ولم يتأخر، بل إنه إذا لم نأتِ أنا وإخوتي إليه لنذهب به لمسجد الخرجي لنسياننا أو انشغالنا يقود السيارة ويذهب بنفسه.

يقول الدكتور طارق الخويطر[1]: «ومن المواقف التي لا أنساها لسماحته رحمه الله: أنني دعوته ذات يوم، وكانت الدعوة في شهر شعبان، فلما دعوته أبلغت الأقارب والزملاء الذين يكنون له الحب والتقدير، وكان من عادته أنه إذا أراد الاعتذار اعتذر قبل أيام من الموعد؛ حتى يكون الشخص على استعداد للاعتذار للمدعوين، ولا يكون قد تكلف بشيء، وقبل أيام من الموعد اتصل بي الدكتور عبدالرحمن، وأبلغني أنّ الوالد يعتذر لتضارب الموعد مع موعد آخر، وهو حضور الشيخ إلى إحدى حفلات تخريج حفظة كتاب الله جل

(١) http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm.

وعـلا، فتكلمـت معه وذكرت له أننـي كنت أتمنى أنه يحضـر، فقال: لا بأس، لعلنـا إذا خرجنا من المكان الذي أعد لحفل تخريج الحفظة نأتيك، فقلت: يا شيخ، أظن هذا يشق عليك، ولذلك تتكرم عليّ بتأجيل الموعد إلى موعد آخر، فوافـق، ولما قابلته وذكّرتـه بالموعد أعطاني موعدًا في شهر شوال، ولما كان في صبـاح ذلـك اليوم اتصل بي الدكتـور إبراهيم أبو عباة، وقـال لي: إنّ إحدى قريبـات الشيخ قد توفيت هذا اليـوم، وأظن أنّ الموعد سيُلغى من قِبل الشيخ، ولـما هاتفت ابنه الشيخ سليمان قلت له: حصلـت وفاة إحدى قريباتكم وأظن أنّ الوالـد سيعتـذر، قال: إنه لن يعتذر، وإنه قال: يكفـي أننا اعتذرنا في المرة الأولى، ولـن نعتذر في المـرة الثانية، فذهب رَحِمَهُ اللَّهُ إلى القويعية، وصلى هناك العصر، وحضر الدفن، وحضر العزاء، ثم قدم من القويعية، فحضر اللقاء، فتأثرت كثيرًا باحترام هذا الوعد الذي لم يخلفه».

إن المحافظة على المواعيد والالتزام بها دليل على كمال في الدين والعقل، وهي سبب من أسباب البركة في الوقت الذي نلاحظه في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا أحد محبيه الذين استفادوا منه كثيرًا، وهو الشيخ محمد المنجد[1] يصـف هـذه البركـة بقوله: «إذا دخلـت إلى مكتبـه في الإفتاء يرفـع سماعة والأخـرى علـى الطاولة، وأمامه مـن يسأله، وعلى الطاولـة أوراق يكتب فيها فتاوى، وطالب يقرأ عليه إذا وجد فرصة، مواصلة، تعب، دأب، انتقال، سفر، بركـة في الحضـر، ونفع في السفر، وهكذا، حتى صلـة الرحم، والإحسان إلى الجيران، والعناية بالفقـراء والمساكين، والشفاعات، وهو أبو الشفاعات، وفي مجلسـه في بيته يعقـد نكاحًا، يكتب في مسألـة، يستقبل ضيوفًـا، يُقرأ عليه، والهاتف يعمل، والعمل متواصل، والبذل مستمر».

---

(١) رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد موقع إمام المسجد .http://www.alimam.ws/ref/1822

حلم وأدب

في هذا الموضوع سأتحدث عن خصال كريمة من أهم ما تميز به الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وعرفه بها الناس، وهو ما جبله الله عليه من حلم وسعة صدر وحسن معاملة ولين جانب وتلطف بالكبار ورحمة بالصغار ودعابة وطرافة تحببه للجميع، مع احتفاظه بهيبته وبقائه على سمته ووقاره، وهذا موطن العجب.

تقول تلميذته سميرة: «أبرز ما تعلمته منه قبل كل شيء الخلق الحسن، كان يقول: الخلق الحسن أمر هين، وجه طليق وقول لين، وقد طبقها عمليًّا فتراه هينًا لينًا بشوش الوجه يبتسم، وكثيرًا ما يجعلك تبتسم وأنت تستمع لدرسه، وقد شرفت بزيارته لمنزلي رَحِمَهُ اللَّهُ وجعله في الفردوس الأعلى».

ويقول الدكتور محمد العوضي[1] عن أحد لقاءاته بالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا السكون المعطي هذا الهدوء الذي يحركك بهدوئه، هذا السمت الذي يربيك من غير أن يصدر منه لا كلمة ولا حركة، هذا الذي يذكرنا بقوله ﷺ: «أولياء الله الذين إذا رأيتهم ذكرت الله»[2] وهذا نادر، وبخاصة في هذا القرن، فعندما يتميز الشيخ بهذا الشيء بشهادات متنوعة هو لا شك أنه يربي من غير أن يكثر من الحديث، هذه ميزة تعلمتها أنا في ذلك المجلس الذي امتد طويلًا».

الحلم وسعة الصدر واستيعاب الناس

الحلم فضيلة خلقية يتصف بها من منحه الله سلامة الصدر، والصبر على الناس، وما يقع منهم بسبب الجهل والجفاء ونحوهما؛ ولذا قال ﷺ لأشج

(١) قناة «حياتنا».

(٢) روى الإمام أحمد عن عمرو بن الجموح حديثًا برقم /١٥٥٨٨ جاء فيه: "وأن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم" وروى الطبراني نحوه وقد ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٩).

عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلم والأناة»[1]، وهو كسائر الأخلاق يمكن اكتسابه، فقد جاء في الأثر: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم»[2].

وكل من خالط الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ شهد له بالسبق في هذا الميدان؛ وذلك لأنه يعلم فضل الحلم، وأنه من صفات العلماء والدعاة التي يمكن من خلالها كسب الناس وتقريبهم إلى شرائع الإسلام، واستقامتهم على دين الله.

لقد اتسم رَحِمَهُ اللَّهُ بالحلم وسعة الصدر في تعامله مع جميع الناس، واستمر قريبًا من ثلاثين عامًا يستقبل الناس كل يوم من بعد صلاة العصر حتى أذان المغرب في المنزل، يدخل الناس في البيت زرافات ووحدانًا، لكل منهم حاجته، فيستقبلهم برحابة صدر وحلم وأناة، لا يتضجر، ولا يتململ، ولا يغضب، ولا يحتقر أحدًا، ويلبي طلبات الجميع بنفسه، فهذا يعطيه شفاعة، وآخر يجيبه عن سؤال، وثالث يمنحه مساعدة، ورابع يستمع لشكواه، وغير ذلك.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يستمع لشكاوى الناس، ولو في أصعب الظروف، دون أن يتضايق أو يرد السائل أو ينهره، ولهذا كان كثير من الناس بعد افتتاح مكتب البيت يصرون على أن يقابلوا الشيخ بأنفسهم، فإذا كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مسافرًا أو مشغولًا وعرضت عليهم المساعدة أنا أو أحد إخوتي أو أحد الموظفين في المكتب يتأبى كثير منهم إلا أن يبث ما عنده للشيخ، ونكتشف أحيانًا أن الأمر سهل يمكن تحقيقه من قبل غيره، ولكن الناس تعودت منه هذا اللطف، فكانت تأنس إذا بثته شكواها وشاركها مشاعرها.

---

(١) أخرجه مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه من كتاب الإيمان برقم/ ٢٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط في باب من اسمه إبراهيم من حديث أبي الدرداء يرفعه برقم /٢٦٦٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٨/١: "فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب".

أما المستفتون فكان له معهم شأن آخر ذكرنا طرفًا منه في الحديث عن الفتاوى فهو حليم في التعامل مع المستفتين، حتى إنه ربما وقف ما يزيد على نصف ساعة ليجيب عن استفتاء سائل عرض عليه سؤاله في أثناء مروره أو وقوفه.

يقول الأخ أنور القرني[1]: «أذكر موقفًا له رحمه الله رحمة واسعة ولا يمكن أن أنسى هذا الموقف حتى ألقى الله جل وعلا، عرض لي مسألة علمية شائكة، فصليت الفجر في الخبر ثم سافرت إلى الرياض وتوجهت لمنزل الشيخ رحمه الله ولما وصلت عنده الساعة الثامنة صباحًا طرقت الباب ولم أكن أتوقع أنه سيخرج لي، فقال الشيخ: من عند الباب؟

فعرفته باسمي، فلما فتح فإذا بي أرى وجهًا يتلألأ نورًا، فلما سلمت عليه قبلت رأسه ثم قبلت يده بالقوة، ثم أخذ يدي بقوة ثم لواها ثم قبلها فبكيت من هذا الموقف قلت: يا شيخ، والله لأقضينها، قال: لا تستطيع، ثم أخذ يتلطف حتى هدأت وأدخلني، ثم أخذ يشركني في الحديث وكان عنده بعض طلبة العلم يقرؤون عليه، فلما انتهى سألته عن مسألتي فشفى قلبي وودعته وانصرفت».

وقد كان كثير من المبتلين بالوسوسة يتصلون به، رجالاً ونساءً، ويمكث مع أحدهم نصف ساعة أو قريبًا منها، دون أن ينهره أو يعنفه، مع أنه يكون مشغولاً أحيانًا وعنده مراجعون أو ضيوف، ويقول إذا استُعْجِل: «لمن نتركهم، هم في حاجة إلى من يهدئ نفوسهم».

ومن أخلاقه في هذا الباب أنه كان رحمه الله حريصًا على عدم جرح مشاعر الآخرين أو إحراجهم، وقد كان مرة راكبًا مع أحد طلابه، وكان يقود

(١) قناة «المجد».

السيـارة بسرعة، فأراد أن ينبهـه لذلك، فقال: هل تعلم أن ابني عبد الرحمن نال مخالفة قبل أيام عدة؛ لأنه كان يقود سيارته فوق المائة والثلاثين؟! ففهم الطالـب الرسالة التـي أراد الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ إيصالها؛ لأنـه رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يحب السرعة الزائدة إلا لحاجة ملحة[1].

وبمناسبـة موضوع السرعة، فالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ كان يحب السرعة المعتدلة، وأذكـر أني أسافر أنا وإياه أحيانًا وحدنـا مسافات طويلة للمنطقة الشرقية أو القويعية، وقد تعودت أني لا أزيد على مئة وعشرين ومئة وخمس وعشرين فإذا نظـر إلى عداد السرعة فهمت ماذا يريـد، فأقول باللهجة المحلية: أزيد شوي، فيقـول: شـوي، أقول: كم؟، مئة وأربعون؟، فيقول غالبًـا: فيها البركة، فأعمل بما يقول ومن خلال طول الملازمة له رَحِمَهُ اللَّهُ أصبحت أعرف ما يريد غالبًا.

ومن مواقفه في ذلك ماذكره الأخ أبو سارة من حايل[2]: «كنا مع الشيخ في وليمـة وكنـت قد جئت مع أبي طلحة بعد أن بدؤوا في الطعام وانتهى الشيخ مـن الطعام وفي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ميزة أدب وهي أنه يعلم أن العرف لدينا أنه إن قـام الضيف قام غالب الناس معه، ولا يقومون من الطعام قبله، فكان أحيانًا يجلس وينتظر حتى ينتهي الجميع من الطعام.. ثـم أخذ الشيخ يضع اللحم الذي وضع أمامه بكثرة أمامي لأجل أن آكله.

رفع الشيخ يده من الطعام ورفع الجميع أيديهم ولم يبقَ إلا أنا وصاحبي أبـو طلحة نأكل، فشعـر الشيخ أن جلوسهم محرج لنا وقيامهم ربما يسبب لنا إحراجًا فقال لنا وهو مبتسم: كلوا ولا تستعجلوا نحن سبقناكم».

---

(١) http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.

(٢) كتبه في يوم الجمعة ١٤٢٧/٨/٨هـ
http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

ويقول الشيخ أحمد المهنا[1]: «كتبت مرة إحدى المواد، وكانت عبارة عن وصية مقترحة وعرضتها على الشيخ وكان فيها خطأ إملائي من الذي طبع الكلمة، فقال لي الشيخ بعد قراءته لها: اقرأها علي، فقرأتها، فقال: أعد، فأعدتها، قال: أعد، فأعدتها، فاكتشفت سبب طلب الشيخ الإعادة، وهو تنبيهي إلى الخطأ الوارد في الطباعة».

ويقول الأخ عبدالله من النماص[2]: «في يوم من الأيام بعد صلاة الظهر كان له درس رحمه الله في النماص، فخرجنا من الدرس وقلت للشيخ: ما رأيك أن أطل بك من الشفاء وهو مكان جميل يطل على تهامة وكنت أريد أن أروح عن الشيخ فامتنع الشيخ، فقال لي ابن أخيه وكان معه في السيارة: لف على الشفاء والشيخ لن يمانع.

فذهبت إلى جهة الشفاء وكنت قلقًا من أن الشيخ يعاتبني، وحين توقفنا نزل وشعرت أنه ارتاح وانشرح صدره وبدأ يتنقل فوق الصخور، وكان على كبر سنه قد أمده الله ﷻ بالصحة».

وكان رحمه الله حليمًا في الردّ على من خالفه من العلماء في فتوى أو حكم شرعي، فقد كان رحمه الله جريئًا في قول الحق لا يخاف في الله لومة لائم، ولكنه مع ذلك يرد على مخالفيه بكل أدب واحترام، مبينًا لهم ما يدين لله به من الدليل، وموضحًا الصواب في المسألة.

ومن قرأ ردوده رحمه الله على مخالفيه أو على أهل البدع والضلال عرف ذلك، وظهر له أنه رحمه الله لم يكن القصد من ردّه الانتقام أو التشفي ونحو ذلك، وإنما قصده بيان الحق والوصول إليه.

---

(١) http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.

(٢) قناة «المجد».

ومـن أمثلـة ذلك رده رحمه الله على بعض طلاب العلـم ممن أباح الطبول يقـول: «اطلعت على فتـوى في إباحة الأغاني والطبول للرجـال والنساء، بقلم أحـد المعاصرين، وقـد تسرع - هداه الله - في هذه الفتوى وفي غيرها، وتوسع في ذلـك، وتحمـل إثمًا كبيرًا لمن قلده في هذه الفتـوى، حيث اتخذت وسيلة في ضـرب الطبول في كل مناسبـة، واستعمال الأغاني المحرمـة، استنادًا إلى ما ذكره هذا المفتي - هداه الله - من تلك الآثار التي استند إليها، مع أنها خاصة أو ضعيفـة لا صحة لها، وقد كان كثير من جهابـذة العلماء يتحاشون التسرع في الفتوى.... إلخ»[1].

وقـال في جـواب آخـر: «نشـر في صحيفـة الرياض في يـوم الثلاثـاء ٢١/٩/١٤٢٣هـ مقال بعنوان: هـل حجم الأسرة مفتاح للفقـر؟، كتبه الأخ/ عبدالوهـاب الفايز، والذي يفهم من كلامـه أن الكثافة السكانية سبب للفقر في هـذه الدنيـا، وحيث إن هـذه العبارة تردد كثـيرًا، أحببنـا أن نعلق عليها، فنقول... إلخ».

ولكنه أحيانًا يشدد في العبارة إذا رأى مناسبة للتشديد كالمكابرة وسوء القصد، مع حرصه على الإصلاح، وسلامة نفسه من الحقد، وسأبين ذلك إن شاء الله في موضعه.

كان رحمه الله محبوبًـا لـدى الجميع، كل من رآه وعرفـه أحبه، وما أعطي هـذه الرفعة وهذه المحبة والمكانة بين النـاس إلا لشدة تواضعه وحلمه وصبره وسعة صدره ورحابته.

---

(١) نشر مكتب الشيخ هذا الرد بتاريخ ٢١/٣/١٤٢٦هـ.

يقول الشيخ أحمد بن مشرف الشهري[1]: «أتذكر صورته ووقاره، فأتذكر الأدب في أسمى صوره، أتذكره متواضعًا، لينًا هينًا في أيدي الناس، أتذكر شيخًا كبيرًا لم أرَ شيخًا أصدق حياءً منه، أتذكره وهو يؤدي السنة الراتبة وقد تجمهر طلابه حول كرسي الدرس، فيستحي من أن يُفسح له طلابه من بينهم الطريق، فيلتفُّ من خلف الصفوف؛ حتى يأتي من خلف الكرسي؛ حياءً وأدبًا».

والذين عرفوا الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، أو جالسوه، يجمعون على أنه سهل قريب جدًّا من الناس، فالوصول إليه سهل، والانتفاع به سهل، والتعلم معه أسهل.

وقد زان ذلك بتمثل قول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2]؛ لأن محبة الناس تؤدي إلى التعاون معهم وإرادة الخير لهم، فكان يحب الناس ويحب الخير لهم، وهذا ما جعله رَحِمَهُ اللَّهُ يبذل نفسه للصغير والكبير، والعامي وطالب العلم، فكان يشفع لهم، ويجيب عن فتاواهم.

يقول الشيخ محمد بن عبد الله الشايع[3]: «الشيخ له مكانة واحترام في قلوب الخلق ونحن في طريق الجمرات يمشي الشيخ: فهذا شاب يوقفه فيعانقه، وذاك طفل يضاحكه ويداعبه، وتلك امرأة تشتكي إليه، فسبحان من رزق الشيخ الصبر والحلم يقف معهم ويجيب سؤلهم ويقضي شغلهم، لا يمل ولا يسأم، ولا يعنف ولا يزجر، بل ابتسامة هادئة، وسعة بال، وتحمل مشاق، فرحمة الله عليه».

---

(١) موقع الألوكة http://www.alukah.net/articles/1 /7163.aspx.

(٢) هو في البخاري من حديث أنس في باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من كتاب الإيمان برقم /١٣.

(٣) http://www.burnews.com/articles-action-show-id-2746.htm.

ويقـول الدكتـور عبدالوهـاب الطريـري[1]: «كان الشيخ يتمتـع بعافية نفسيـة تامة، ولذلك كان ظنه في الناس حسنًا، يحملهم على أحسن المحامل، فـلا يستبطن سـوء الظن، ولا يشغل نفسه بالحـذر والتحفز، ولذلك سلم من عاهـات سوء الظن وفـرز الناس وامتحانهم، وألقى كل مـا عنده لكل الناس، فوسـع الناس علمـه وحلمه وخلقه، ولقـد أورثته هذه العافيـة سكينة نفسية، ولياقـة عالية في التعامل مع النـاس، فامتد في حياة الناس بعمق واستوعبهم، وكان فناء قلبه رحبًا لا يزدحم الناس فيه».

كما اشتهر عن الشيخ الوالد رحمه الله العفو عن الناس ومسامحتهم، والتنازل عن حقّه طلبًا للأجر والثواب، وتمثلًا لقول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقوله ﷺ: «إن الله تعالى عفو يحب العفو»[2].

يقـول الأخ عبدالله الحوطي: «في إحدى السنوات حضر بعض الوافدين إلى المملكـة لقصد طلـب العلم في إحدى الجامعـات، وذات مرة زاروا الشيخ في مكتبـه بالإفتاء، وطلبوا منـه أن يشفع لهم لدى أحد المحسنين؛ ليساعدهم مساعـدة ماليـة لسـد حاجتهـم، فلبي الشيـخ طلبهـم وشفع لهم لـدى أحد المحسنـين، ولكنهم تـرددوا على هذا المحسـن مرات عـدة بشفاعات مزورة باسـم الشيخ وتوقيعه وختمه، ما جعل هذا المحسـن يشك في أمرهم؛ فأرسل مندوبـه لمكتب الشيخ للتأكد من صحة الخطابـات التي وصلت إليه من هؤلاء الأشخاص، فاتضح له أنهم قد زوروا توقيع الشيـخ وختمه، ورُفع أمرهم إلى مكافحة التزوير، فاعترفوا بخطئهم وصدر الأمر بترحيلهم وعدم السماح لهم

(١) مقال بعنوان «حياة من نور».

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم /٤١٦٨.

بالدخول إلى المملكة مرة أخرى، فلما سمع الشيخ بخبرهم عفا عنهم وكتب خطابًا عاجلًا لإدارة مكافحة التزوير بالاكتفاء بمعاقبتهم وعدم ترحيلهم؛ رأفة بحالهم وحتى يستمروا في دراستهم الجامعية؛ ليتزودوا بالعلوم النافعة علَّ الله أن ينفع بهم».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ نائيًا بنفسه عن الاستهزاء بالناس وتنقصهم ويحذر طلابه كثيرًا من هذه الصفة وأمثالها، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إن من أعظم أسباب الأمراض والعاهات والمصائب وزوال النعم: الاستهزاء بالناس وانتقاصهم وازدراءهم، والسخرية بالفقراء والمساكين وسبهم - ثم قال: - إن رجلًا غنيًّا ذا مال أتاه فقير محتاج ليلة زواجه فرده الزوج وشتمه وتنقصه، فذهب الرجل وهو مكسور الخاطر، وبعد أيام قلائل، فإذا بالرجل يختلف مع زوجته ويطلقها ويخسر ماله، والمرأة المطلقة تزوجت بعد خروجها من العدة.

وفي ليلة عرسها جاءهم فقير يطلب المساعدة، ولم يكن عندهم إلا دجاجة، فقال الزوج لزوجته: خذي هذه الدجاجة وأعطيها للفقير، فلما أخذت الدجاجة وأعطتها الفقير رجعت وهي تبكي، فقال لها الزوج: ما يبكيك، فقالت: أتدري من هذا الفقير؟! إنه زوجي الأول، وقصَّت عليه القصة، فقال لها: وممَّ تتعجبين؟!، أتدرين من هو الفقير الذي رده وانتقصه زوجك؟! إنه: أنا!!».

يقول الشيخ سلمان العودة[2]: «الشيخ ابتلي ببعض من يحط من قدره وهناك أناس يجمعون كتب الشيخ وغيره لا ليستفيدوا منها ولكن ليبحثوا عن الأخطاء والزلات.

---

(١) نقل ذلك الشيخ عصام العويد حَفِظَهُ اللَّهُ.

(٢) قناة «دليل».

ومع ذلك الشيخ كان يدافع عن بعض من يقع عليهم القيل والقال وكتب مقالات طويلة وأشرطة رحمة الله تعالى عليه يدافع عن العبد الفقير الذي لا يستحق مثل هذا المقام وربما يحسن ظني بنفسي لما أسمع من أمثال سماحة الشيخ مثل هذا الكلام ولكن لا أعرف أبدًا أنه دافع عن نفسه إلا بالبيان، أما أن يقف في مواجهة الناس الذين ينتقصون أو يزرون أو يعيبون أو يسبون فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أقل في نفسه من ذلك».

ويقول الدكتور محمد العريفي[1]: «رفقه ولينه وبساطته في التعامل مع الناس وشدة تواضعه لا تعني أن الشيخ رجل ضعيف وليس له شخصية، لا والله بل رأينا في بعض المجالس إذا احتد النقاش أحيانًا في بعض المسائل استوفز في جلسته ونصب ركبتيه وعدل جلسته واشتد في الكلام وقال: اقرأ الكتاب الفلاني انظر ماذا قال ابن حجر راجع ما قال ابن قدامة ولكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يغلب عليه الرفق واللين، حضرت عنده سنوات وحضر غيري من زملائنا من طلبة الشيخ أكثر، لم يذكر أن الشيخ يومًا سب أحدًا باسمه أو تكلم في أحد من خصومه باسمه أوانتصر لنفسه».

اللطف والدعابة

لقد جمع الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الحلم لطفًا ودعابة غير متكلفة يأنس بها الصغير ويعجب لها الكبير، فهو يحب أن يدخل السرور والانبساط على طلابه وأضيافه ومحبيه، فيمازحهم ببعض الأمور التي تناسب المقام، وقد يعمر المجلس أو يقطع الطريق ببعض القصص والحكايات المفيدة غالبًا.

(١) قناة «دليل» برنامج في وداع فقيه العصر.

والوالـد رَحِمَهُ اللهُ إذا بدأ في الحكايات وبخاصة قصص أجداده وقصص طفولتـه والقصص التي مرت عليه في حياته لا يمل حديثه، فهو يسوق القصة بأسلوب عجيب وبدقائق وتفاصيل ممتعة؛ لذا أتعمد إذا سافرت معه أو ذهبنا لمـكان بعيد بالسيارة أن أفتح له بابًا؛ ليبدأ في هذه الحكايات؛ لأنه إذا أمسك بالكتـاب قبل أن يتحدث لا يمكن أن يقطع القراءة وكنت أتمنى أن معنا دائمًا مسجـلًا نسجل هذه القصص التي فيها شيء مـن الظرافة والطرافة، فمنذ أن يبـدأ في القصــة حتى ينهيها وهو يذكر تفاصيل دقيقـة وأشياء كأنك ترى الشيء بعينك، فيذكر لي قصصًا عن خالي إبراهيم وأسفاره وعن جدي لأمي محمـد رَحِمَهُمَا اللهُ وعن بعض قصصه لما جاء إلى الرياض وعـن عيشته مع عمي محمد أول مجيئهم للرياض مع ابن عمته عبدالله العريفي حينما كانوا عزابًا قبـل أن يأتي بالوالـدة رَحِمَهُمَا اللهُ، دقائق غريبة كان المفروض أنها تسجل وتكتب لكـن طواها التاريخ، وكثيرًا ما يأتي أيضًا بقصص عن السالفين عبر القرون من العلماء من كتب التاريخ وغيرها.

وهـو يحـب أن يدخل السرور والأنس على من معـه وبخاصة في السفر يقـول د. يوسـف بن أحمد القاسـم[1]: «جمعني به يومًا لقـاء في مطار جدة، وكنـا ننتظـر الإعلان عن رحلة المغـادرة، فأخذ يقص علـي- برحابة صدره، وابتسامتـه الجذابة- بعض أخباره مع الوالـد في أيام الطلب، وبعض المواقف الطريفـة، كل ذلـك بتواضع جم، وببساطة وعفوية غـير متكلفة، مما يكشف عـن معدن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وما كان يتمتع به مـن لين الجانب، وسماحة النفس، وكـرم الخلق، والغريـب أنه أخذ يكشف لي عن بعض التفاصيل الدقيقة قبل أكثر مـن خمسين عامًا، وكأنه يتحدث عن أحـداث وقعت بالأمس، ما يكشف عن ذاكرة متوقدة، وذهن حاضر يستوعب أدق التفاصيل».

---

(١) http://www.aleqt.com/2009/ 07 /16/article_252730.html.

ويقـول أبـو طلحـة: «أول ما بـدأت أسافر معـه استغربت منـه، ما من شيء يمر بنـا إلا وتكلم عنه وأورد فيه قصصًا وحكايات ومعلومات، نمر على القطـار مثلًا، فإذا بالشيـخ يأتينا بقصة عن أول قطار رآه وعن معلومات عن القطـارات ونحـو ذلك، ثم نرى جمـلًا فيتكلم عن الجمـال وطريقة أوسمتها ونوع هذا الجمل ويأتي بقصة أو قصص تتعلق بذلك، فهو رحمه الله موسوعي.

أذكـر أننا كنـا عائدين مـن الشرقية ومعنا حمد بـن عبد العزيز صهر الشيـخ رحمه الله وكان متعبًا فكنت أقود السيـارة، ظننت الشيخ سينام ويتركني أقـود وكنا في الليل فإذا به يسألني كيـف أتيت للمملكة وكيف حياتك مع الشيخ وكيف عرفك الشيخ ابن باز وكيف استقبلك وغير ذلك وخلال سيرنا ثلاث مئة وخمسين كيلوًا وأنا أحكي له القصة فقال في آخر الحديث: كان أبا للجميع كان أبا للجميع فرحمه الله، رحمهما الله جميعًا».

ومـن الطرائـف أنـه كان في درس المغـرب وفجـأة انطفأت الكهربـاء فليس هنـاك نـور ولا تسجيل حتـى استعانوا بالمحمـول والجوالات؛ للإضـاءة لأن الوالد رحمه الله لم يتوقـف عـن الحديـث، فصار النـاس في ظلام حتى إن أبـا طلحة قرب اللابتـوب مـن الوالـد؛ لكي يـرى النـاس وجهـه، وكان يشـرح في كتـاب الجنائز فحـول الـكلام إلى موعظـة، وبعـد نصف ساعـة جاء النـور، وفي الأسبـوع التالي - وكان الدرس أسبوعيًا- أعاد الدرس، وقال: حصل ما حصل، فنعيد الدرس».

ولـو استطردنـا في ذكر لطائفه رحمه الله لطال بنا المقـام ولعلي أذكر هنا نمـاذج مـن اللطائف التـي أذكرها من طـول صحبتي له أو رواهـا بعض من جالسـه رحمه الله من الأقارب والتلاميذ، أو ذكرهـا بنفسه في بعض المقابلات، فمن ذلك:

١- يتحدث بكلمات أجنبية:

كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يحفظ كثيرًا من الكلمات والعبارات بلغات مختلفة منها: الهندية، والبنغالية، والفارسية، والفرنسية وغيرها كبعض اللغات الإفريقية؛ وقد حفظها رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال خلطته ببعض أهل هذه اللغات كبعض طلابه وكالسائقين والخدم ونحوهم، وكان أحيانًا يخاطب بها من يراه من هذه الجنسيات من باب المداعبة؛ ليدخل عليهم السرور.

فمرة كنا في المدينة النبوية، وركبنا في مصعد البناية التي نسكنها وصعد معنا رجل يظهر أنه فارسي، فالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من باب المداعبة تكلم بكلمة على لغته، ففهمها الرجل واستغرب، وأخذ ينظر إليه ويبتسم.

وذكر عبدالرحمن ابن العم ناصر:أنه عندما كان رَحِمَهُ اللَّهُ يشرح متن الآجرومية، عند قول المصنف: (الكلام هو: اللفظ المركب المفيد بالوضع)، فقال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: الكلام في اللغة العربية مركب من: اسم وفعل وحرف... إلخ، وفي آخر الدرس ذكر للطلاب أمثلة من لغات أجنبية، فقال: مثلًا كلمة (كومونتسو) (Comment êtes) كلمة فرنسية مركبة، ولكن لا تعد كلامًا؛ لأنها ليست عربية، وأيضًا كلمة (بيرنتي) كلمة إندونيسية مركبة، ولكن لا تُعدّ كلامًا؛ لأنها ليست عربية.

وكان الطلاب يستمعون له، ولم يفهموا هذه الكلمات، وهم مستغربون أن الشيخ يحفظها، ثم سألوا الشيخ عن معنى الكلمة الفرنسية فقال: اسألوا أبا طلحة.

وكان هذا الدرس يبث مباشرة عبر الإنترنت ويحضره عدد من الطلاب في جميع أنحاء العالم، وتأتي رسائل من الطلاب يستغربون كيف أن الشيخ يحفظ هذه الكلمات؛ بل ويتحدث بها؟!



وقال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في درس آخر: سألني بعض من لا أعرف لغته، يظهر أنها الإنجليزية، يقول: سبيك انقلش (speak English) فهذه الكلمة حيرتني حتى فهمت معناها، هل هذه الكلمة من العربية؟ ليست من العربية.

وعندما نكون في السيارة في الرياض أو في سفر ونقف عند إحدى محطات البنزين لنتزود بالوقود، ومعلوم أن أكثر الذين يعملون في محطات البنزين من الجنسية البنغلاديشية، أو من الجنسية الهندية من كيرلا، كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يخاطبهم بلغتهم، فيقول مثلًا: (وايريرنو)، يعني: املأ السيارة بالبنزين تمامًا، وهذه لهجة عند الهنود من كيرلا.

وكان يستضيف دائمًا بعض الوافدين، فإذا جلسوا على الطعام يكلمهم بلهجاتهم فتنشرح صدورهم، وربما سألهم عن بعض الكلمات وحفظها لتوه.

والوالد رَحِمَهُ اللَّهُ كما ذكرت حفظ هذه الكلمات من بعض العمال والخدم والسائقين الذين عملوا في مكتبه، ومن هؤلاء: الأخ علوي وهو هندي، والأخ زركل وعبدالغفور وهما أفغانيان والأخ كافي وحسني وحمزة وهم إندونسيون، والأخ قمر وهو بنغالي وكذلك من بعض الضيوف والزوار ومنهم الأخ إبراهيم العفري رَحِمَهُ اللَّهُ وسفيان وهما إثيوبيان وشريف حيدر ومحمد دوا وحسين عبدي ومحمد خير وهم صوماليون وحفظ بعض الكلمات الفرنسية من أبي طلحة واسيني الذي كان يرافق الوالد كثيرًا في حله وترحاله لتسجيل دروسه ومحاضراته.

والعجيب أن الوالد حفظ هذه الكلمات ولم ينسَها، مع أنني حفظت بعض الكلمات ولكني نسيت أكثرها الآن ومما أذكره: بلاً وتنئ وأكم واخرا وكنان ولروس وكيري وبيرتني ووايرِ يرنو.

وصنيــع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يذكرنا بما رواه البخــاري عن أم خالد بنت خالد ابن سعيد، قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: «سنه سنه»، قال عبدالله: وهي بالحبشية: حسنة... الحديث[1].

٢- ينتقدون لهجتي:

وقــد ذكرت قبل سبــب حرص الوالد على اللغــة العربية، حيث ذكر عن بعضــ زملائه أنهم كانوا ينتقدون لهجتــه حينما جاء من القويعية فالتزم أن يترك اللهجة ولا يتكلم إلا باللغة العربية الفصحى.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتعجب مــن بعض الكلمات واختلاف أهل القرى في النطق بهــا وممــا أذكره أنه يتعجب مــن اختلاف لهجات أهل نجــد في نطق «يا الله حيــه» وهي كلمــة ترحيب، ويقول كل بلــد ينطق بها بصــورة تختلف عن البلد الآخــر فأهل القصيم يضمــون الياء للرجل ويفتحونها للمــرأة وأهل الرياض يفتحونها وأهل القويعية يكسرونها وعدد مناطق أخرى أنسيتها الآن.

٣- الأسئلة بالقلم الأحمر والإجابة بالقلم الأحمر أيضًا:

يقــول الأخ علــي أبو لوز: في إحدى المرات عرضــت على الشيخ مجموعة مــن الأسئلــة للإجابة عنها، وقد كُنت كتبت بعض هــذه الأسئلة باللون الأزرق وبعضهــا باللون الأحمــر، ولم أكن أقصد ذلك، ولكن ربمــا أنني فقدت القلم الأزرق حينها أو أن حبره قد انتهى، فلم يكن من بد إلا أن أكمل باللون الأحمر.

والحاصــل: عندمــا رجعــت للشيخ بعد مــدة لأخذ الإجابــات، فقال لي ممازحًا: الأسئلة التي كُتبت بالأزرق أجبنا عنها بالأزرق، والأسئلة التي كتبت

(١) أخرجه البخاري في باب من تكلم بالفارسية والرطانة من كتاب الجهاد والسير برقم ٣٠٧١.

بالأحمـر أجبنا عنها بالأحمر، وكانت هذه دعابـة جميلة من الشيخ، أراد بها المؤانسة وإدخال السرور؛ فرحمه الله رحمة واسعة.

٤- فقدان العجل:

ذكـر الشيـخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكرياته عندمـا كان شابًا أنه نزل عليهم في إحـدى السنوات مطر غزير، فأنبتـت الأرض عشبًا كثيرًا، وكان عند والده رَحِمَهُمَا اللَّهُ ثـور صغير فذهب مـع بعض أصحابـه ومعهم بقرات لهـم إلى منطقة فيهـا ربيع كثـير؛ ليرعوا هناك، ولكن في أثناء الطريـق تفلت الثور من الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأخـذوا يطاردونه ولم يفلحوا، فتركوه وعجلـه وذهبوا إلى مبتغاهم، ثم بقي وحده واستطاع أن يمسك بالعجل ويربطه في شجرة بعد أن هجم عليه الظـلام، وبات ليلته بلا طعام ولا شراب حتـى أصبح، وفي الصباح ذهب إلى مراده وعاد إلى أهله في آخر النهار.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يسـرد القصة بأسلوب قصصي رائـع، وسبق أن أوردناها مطولة فيما سبق [١].

٥- قيمة البيبسي

مـن القصص الطريفة التي حدثني بها ابن العـم عبدالرحمن بن ناصر أن الوالـد كان مـع الشيـخ عبدالرحمن بـن فريان رَحِمَهُمَا اللَّهُ وثالث معهـم أنسيته خرجـوا للدعوة ومروا بجدة، وفي رجوعهم إلى مكة مروا باستراحة في الطريق، فجـاء لهم بالبيبسي كولا وكان سعره غاليا؛ لكونـه خارج المدينة، فلما أخبرهم بالقيمـة كأنهـم استكثروها ولم يعطـوه سوى القيمة المعروفـة، فلما وصلوا إلى

(١) انظر ص (٥٨).

نقطة التفتيش وإذا ببلاغ عنهم فأوقفوهم فاستغرب الشرطة البلاغ، وقالوا: كيف أنتم مشايخ والرجل بلغ عنكم أنكم ما دفعتم قيمة البيبسي، فأخبروهم بالقصة.

يقول عبدالرحمن ابن العم ناصر عن هذا الرحلة: «ذكر لي الشيخ موقفًا أعتقد أنه كرامة من الله له يقول: كان أخي عبدالعزيز يعمل في جدة ومنقطعًا عنا نرسل له رسائل بعضها يصل وبعضها لا يصل، فذهبت إلى جدة مع بعض المشايخ للدعوة وفي وقت الراحة نزلت العصر أمشي في الشارع، وأنا أسأل نفسي كيف سأصل لأخي وأسلم عليه، السيارات تمر بسرعة وتقف السيارات فجأة وأنا أنظر إليها فتقف أمامي سيارة وإذا بالذي يسوقها عبدالعزيز أخي فأتيت مسرعًا وفتحت الباب وركبت وأغلقت الباب فلما فتح الخط التفت السائق وهو يظنني أريده بالأجرة كعادة الناس فلما رآني فوجئ وقال كيف أتيت؟، فقلت له: إلا أنت كيف أتيت؟ فوقف بجانب الطريق وتعانقنا بحرارة وهو يقول: آخر من توقعته يركب معي أنت فرجعت للشيخ ابن فريان وأخبرته هو ورفاقي فتعجبوا من ذلك».

٦- ممكن تجي شوي:

يحكي الأخ أحمد حسين وهو كاتب الفتاوى في مكتب الوالد رحمه الله أنه في أحد الأيام اتصل الشيخ على أحد موظفي المكتب، وكان موظفًا جديدًا، ولم يعتد على صوت الشيخ، فلما رن الهاتف رد عليه الموظف، وقال له الشيخ: «ممكن تجي شوي»، فسأله الموظف من أنت؟ فأجاب: «عبدالله»، ولما توجه إلى المكتب ليرى من المتصل وجد الشيخ واقفًا مبتسمًا ينتظره أمام المكتب.

لم يقل: أنا الشيخ ونحو ذلك، وإنما ذكر اسمه مجردًا تواضعًا منه رحمه الله، ولم يؤنب الموظف، ويقول له: ما تعرفني، أو كيف ترد علي بهذا؟



٧- في بطن أمك:

مـن فطنته ولطافته أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان يتحدث ذات يوم مع رفقته – وكانوا بمنًـى – عن قصة إحـدى حجاته التي حجت معه فيهـا والدتي لطيفة وكانت حامـلًا بي إذ ذاك، فـكان الوالد منهمكًا في وصف تلـك الأحداث، وفي نهاية حديثـه سألته مداعبًا: هـل كنت معكم حينها؟ فلم يجـب، فحين أعدت عليه السؤال، قال: نعم، في بطن أمك.

٨- طفا الكهرب:

يقـول عبدالرحمـن ابن العم ناصر: اتصلت بالشيـخ – وكان حينها في الطائـف – أريـد أن أسأله عن مسألة، فقلت له: يا شيخ، الرياض أظلمت بعد سفرك، فقال الشيخ: أظلمت؟ كأنه استنكر الكلمة، فقلت: والله أظلمت، فقال الشيخ: «أجل طفا الكهرب»، يعني: تمشون بتريكات[1].

٩- أفطر وطر

ويقول العم سعد: «كنت أسكن عنده حينما كنت أدرس في الرياض وكان يوقظنـي لصـلاة الفجر، فيقول: قم قم، فأقول: طيـب طيب، فيقول لي: وش أطيـب؟ أطيب عيش، وحينمـا يوقظني للإفطار في الصبـاح يقول لي: أفطر وطر أفطر وطر».

وهذه الكلمات اللطيفة تأتي دائمًا على لسانه مماكان يحفظه من أمثال وحكـم أو ينشئهـا هو رَحِمَهُ اللَّهُ فـكان إذا جلسنا ننتظر الوالـدة تحضر الغداء رَحِمَهَا اللَّهُ يقول: «عطونا غدانا وغطوا غدا عاطف».

---

(١) هي مثل السراج تستخدم للإضاءة قديمًا.

ويـــردد أحيانًا إذا أعجبه الشاب قول الحريري في مقاماته: «بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا».

وإذا ألح عليه شخص للضيافة قال ممازحًا: عندكم عيش وعندنا عيش تعزمونا على ويش.

وإذا انتهــى من الطعام أحيانًا، قال ملاطفًا: أكلنا رزكم والله يعزكم أو أكلنا بركم والله يبركم أو أكلنا لحمكم والله يرحمكم.

ومثل هذا كثير منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- هذه هديتنا نأخذها:

يقــول الأخ علــي أبــو لوز: عندمــا تقاعد الشيــخ مــن دار الإفتاء، كنت حاضرًا في مكتبه في آخر يوم، وبدأ الشيخ يلملم أغراضه من المكتب، ونضعها في كرتــون، ومــن ذلك: أنني كنت قــد أهديت الشيخ لوحــة صغيرة مصنوعة مــن خشب الزيتون كُتــب عليها اسمه، وكان قد وضعها علــى مكتبه، فتناولها وقــال: هذه هدية أبــي أنس نأخذها ولا نتركهــا، وكان يبتسم حينها، فشعرت والله بالسعادة والسرور؛ لأنه اهتم بهديتي وحافظ عليها ولم يهملها، ثم إنني رأيتها في مكتبه الخاص في المنزل بعد سنوات.

تعامله مع الصغار

كان للوالــد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مــع الصغار شأن آخــر، كان لطيفًا معهم، يمازحهم ويسلــم عليهم، يداعبهم، ويدعو لهــم، ويعاملهم بكل تواضــع وبأسلوب أبوي لطيف، بل إنه كثيرًا ما يقبل رؤوسهم وأياديهم، وينحني لهم ويتحدث معهم،

وكان يحرص على حفظ أسماء أحفاده وأسباطه وأولادهم وكانوا قاربوا الثمانين.. وإذا سلمت عليه الفتيات يقوم بذكر كنية كل واحدة منهن سواء أكن بناته، أم بناتهن، وبنات أبنائه، وبنات إخوته[1].

يقول الشيخ عبدالملك القاسم[2]: «كان يقدم علينا في مكة في أشهر الصيف وذلك لمساعدة الوالد رحمه الله في طبع المتبقي من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وفهارسها، فأنست بقربه صغيرًا مدة ثلاثة أشهر كل عام، وكان يأخذ بيدي ويردد بعض الأبيات المعروفة وأكررها معه، ويذكر لي دائمًا أنه حضر عقيقتي».

ويقول عمرو الضبعان وهو من جيراننا[3]: «كنت في الصف الأول المتوسط أو الثاني، وطلب مني إمام مسجدنا ذات مرة إلقاء كلمة في المسجد، وكان يشجع صغار السن ويدربهم على ذلك، كانت عن فضل إكرام الجار، وكان الإمام ابن جبرين حاضرًا، وكان يصلي خلف الإمام، عندما وقفت في المحراب.. وشاهدت الشيخ أمامي.. ارتبكت.. كان موقفًا عصيبًا، ألقيت الكلمة، وأردت العودة بعدها لمكاني، ولكن ناداني الشيخ..!!! سلم علي.. وأثنى على حسن إلقائي.. ودعا لي.. ومن ثم علّق على الكلمة، وأشاد بي في بدايتها.. ودعا لي مرة أخرى.. ثم واصل كلمته».

---

(١) من مذكرات الأخت هيا.

(٢) مقال بعنوان العلامة الزاهد ابن جبرين للشيخ عبدالملك بن محمد القاسم في صحيفة الجزيرة العدد ١٣٤٣٩ الأربعاء ٢٢ رجب ١٤٣٠هـ.
.http://al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/15/fe36.htm

(٣) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. حكايات تنشر لأول مرة..!! لعمرو بن أحمد الضبعان
.http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229

وربما مر وهو خارج من المسجد على بعض الأطفال وهم يلعبون الكرة فتصل الكرة دون قصد إلى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فلا يتضايق أو يتذمر بل يردها إليهم وهو يبتسم[1].

هذا الموقف وأمثاله له أثر فعال في نفوس الصبية، يقول الأستاذ أحمد ابن محمد الجردان[2]: «عَرفتُ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وعمري آنذاك خمس سنين في مسجد قريب من منزلنا في حي دخنة بالرياض، وقد لمست بعفويّتي وطفولتي سماحة ذلك الرجل وطيبة قلبه وبسمته وحنوه وصفاء نفسه ومراعاته لي ولأمثالي من صغار السن، فلم نرَه ينهرنا ولا يغلظ علينا، بل نجده دائمًا حين يشاهد من الواحد منا عبثًا طفوليًا يعالجه بأسلوب محبب للنفس فهمت بعد ذلك أنه أسلوب نبوي كريم، وقد كان له مع ذلك هيبة في قلوبنا لكنها هيبة ممزوجة بحبه وتقديره، فقد نال رَحِمَهُ اللَّهُ من قلوبنا الصغيرة والغضة التي لا تعرف المجاملة أو النفاق من الحب أغلاه ومن السكن أن سكن في سويدائها وماذا بعد سويداء القلب».

ويقول الدكتور عبدالوهاب الطريري[3]: «أذكر وأنا صغير أني لما التقيته أول مرة ومع ذلك كان يحدثني كأنه يحدث زميلًا له وهذه من جوانب عظمة الشيخ، إنه لا يشعر أحدًا بالدونية معه».

ويقول الأخ حمد الجبرين صهر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرى أولادي إذا دخلوا عليه رَحِمَهُ اللَّهُ يحتضنهم، فيعبثون بلحيته ويعبثون بأقلامه وهو يقبلهم ويمازحهم فيحك شعر لحيته في خدودهم من باب المداعبة.

---

(١) المقالة السابقة من رواية الشيخ أحمد المهنا وأرى هذا الموقف يتكرر كثيرًا منه رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) موقع لجينيات http://174.120.81.100/index.php?action=showMaqal&id=9005.

(٣) قناة «المجد».

وعنـدي ولد اسمه محمد يمزح دائمًا فيلقبـه بلقب أحد الأعمام فيقول أنـت محمد وإلا مصيبيح يمـزح معه كثيرًا في هذا ويمزح مـع أبنائي يوسف ومالـك، فيقول ليوسف: أنت اسمك يونس فيرد عليـه ابني: لا أنا يوسف وهو صغـير، فيقـول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: لا اسمـك يونس يونس من الأنس ويوسف من الأسف، وكل ما جاء قال أنت يونس كيف حالك يا يونس كررها عليه».

وكان رَحِمَهُ اللهُ يداعب الصغار من أولادنا ويصيح في آذانهم بأسمائهم.

الشجاعة المتزنة

الشجاعة هي الجرأة وهي لا تحتاج إلى قوة في الجسم ولا إلى تضلع في العلـم، بل هي قـوة في القلب يقول أبو هلال العسكـري[1]: «الشجاعة الجرأة والشجاع الجريء المقـدام في الحرب ضعيفًا كان أو قويًا، والجرأة قوة القلب الداعي إلى الإقدام على المكاره، فالشجاعة تنبئ عن الجرأة»، وفي المخصص لابـن سيـده[2]: «الشجاعة: شـدة القلب عند البأس، وقد تكـون الشجاعة في القوي والضعيف».

ولقد وهب الله الوالد قلبًا شجاعًا جريئًا ثابتًا مقدامًا، ونفسًا طويلًا في مجالـدة الشدائـد والتصدي للملمات، فكان رَحِمَهُ اللهُ من أبـرز أهل عصره في قول كلمـة الحق صداحة صريحة واضحة شفافة، لكـن ذلك كله بلا اندفاع، وبحماسـة منضبطة بضوابط الشرع، شجاعة العاقل الحكيم الذي يقدر متى يقول كلمته ويعرف كيف يستثمرها.

---

(١) الفروق اللغوية ١ / ٩٩.
(٢) المخصص لابن سيده ١ / ٢٧٤.

لقـد خط منهجًـا واضحًا صريحًـا حكيمًا متزنًا لقـول كلمة الحق التي تؤتـي ولا تؤذي يقول عنه الشيخ خضر بن سند: «عرفه طلبة العلم في المواقف الصعبـة، فهو لا يتحـدث إذا وجد من يكفيه الحديث ولا يتكلم لمجرد أن يقال تكلـم فـلان، ولكنـه إذا رأى أن العجز والضعف دب لقلـوب الخاصة، وخشي ألّا يقـوم بالحـق قائم، تراه وقد قام من بين الصفـوف ليكون فيصلًا وناطقًا يحمده التاريخ.

زرع محبتـه في قلوب الحكام والمحكومين، فهو طراز فريد اجتمعت فيه غيرة المؤمن وإباء وعزة العربي الصميم.

يحافـظ على الأمـن الفكـري والأمن الحســي، لا يشوش علـى الناس حياتهم، ولا يحث على زعزعة الأمن، ولا يقبل أن يشوه الدين».

ويقـول الدكتور محمد العوضي[١]: «مـن الأشياء التي تعلمناها من هذا الرجـل العظيم في هذا العصر الذي كثر فيه ملاحظة المصالح الخاصة على حســاب الحق أن الرجل يقول كلمة الحق بهدوء، الرؤية عنده واضحة لا سيما في القضايا المصيرية الكبرى.

كان ابـن جبرين ليس رجل منطقة أو قرية أو مجموعة أو دعوة أو راية، كان رجـل أمة وهذا من الأمور التي تشكر له ونرجو ألّا يموت هذا الفكر الذي يبث مثل هذه المعاني العظيمة».

ويقول الدكتـور عبدالعزيز الفوزان[٢]: «الشيخ عرف عنه جانب مشرق ومضيء تميز به عن كثير من أقرانه رحمة الله عليه وهو الجرأة في قول الحق

(١) قناة «حياتنا».
(٢) قناة «دليل».

والصدع به، فكان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالي بما فاته من مال أو منصب أو جاه».

وقد مر بنا، وسيمر في أثناء هذه السيرة العطرة ملامح هذه الشجاعة، ولعلنا هنا نذكر أو نذَكِّر بشيء من ذلك.

أولًا: الفتاوى

تعد الفتاوى أبرز ما عرف به الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وقد بينت في أثناء الحديث عنها منهجه في الفتاوى وما جبل عليه فيها من الوضوح والصراحة والشجاعة، وقد عرف هذا كثير من طلابه، بل حتى عامة الناس.

وكنت أحرص ونوصي من يرافق الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في محاضراته بالانتباه للأسئلة؛ لأن الناس يسألونه في الأمور التي لا يتكلم فيها كثير من المشايخ؛ مراعاة لأمور سياسية أو مصلحية يقدرونها ولما سأل بعض التلاميذ الدكتور عبدالعزيز السدحان وكان هو الذي يفرز ويقرأ الأسئلة في بعض دروس الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: لمَ لا تقرأ بعض الأسئلة التي تعطى للشيخ؛ كي نستفيد ويستفيد الناس؟، أجاب: بأن الشيخ لا يتحرَّج من الإجابة عن أي سؤال، ونخشى أن يُضرَّ بسبب الإجابة عن أحد الأسئلة[1].

وتقول الأخت هيا: «حضرت له محاضرة في أحد المساجد، فسئل عن فتوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ التي قال فيها: إن من يدخل الطبق الفضائي يُعدّ غاشًا لرعيته فهل هذا صحيح؟ فقال: «بل لعل الذي يكون غاشًا لرعيته هو المسؤول الذي أدخل هذه الأطباق إلى البلد» فخفت حينها على أبي لصراحة هذه الكلمة والخوف أن تفهم على غير وجهها.

(١) مقالة بعنوان «رحل الذين أحبهم، فعليك يا دنيا السلام»، أحمد بن مشرف الشهري موقع الألوكة .http://www.alukah.net/articles/1 /7163.aspx

ويقـول الأخ أبو سارة[1] عن رحلـة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حائل: «بعد الغداء طلب مني سليمان ابن الشيخ شريط الفيديو الذي سجلناه وألح في ذلك وقال: لـو نشر ما فيه لكان على الوالد ضرر كبير، فقلت لـه: نستأذن الشيخ، فقال: أعرف والدي والله لو استأذنت فلن يمانع، ولكن أنا أحدثك للمصلحة العامة، ولما رأيت إصراره قلت له: أبشر ولكن بشرط، قال: ما هو، قلت: تمسح إجابة الشيـخ التـي تراها غـير مناسبة للنشـر، وتعطينـي بقية الإجابـات وخاصة التربويـة؛ لأننـي أريدها تبقى لتفيـد الناس، فوافق ثم سحبـت الشريط من الكاميرا وأعطيته إياه».

ويقـول الدكتـور عادل بانعمـة [2] عن مقابلة مطولـة أجراها مع الوالد في مجلـة الجسور عام ١٤٢٤هـ: «عرفت من خلالها أن للشيخ نفسًا في فتاواه ينفـرد به عن كثيرين مـن أقرانه، وربما من أشياخه وأساتذته، وكان في كثير من إجابته صريحًا جريئًا مختلفًا كذلك».

ويقول الدكتور عبدالله بن هضبان الحارثي عن مقابلته التي أجراها مع الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في قناة «اقرأ» وكانت من آخـر المقابلات: «عندما جلس أمامي في الكرسـي بدأت أتحدث معـه أريد أن أعطيه بعض المحـاور للقاء، قال لي: اسأل ما بدا لك شرح الله صدرك».

والكلام في هذا يطول والشواهد تكثر، فهذه الصراحة والوضوح جعلت كثـيرًا من الناس يسارعون ويسألونه حينما تنـزل نازلة، أو يحصل منكر ما، فيسارع رَحِمَهُ اللَّهُ بـكل ما يستطيع من واجب الإنكار، سواء بمخاطبة المسؤولين، أو بإصدار الفتاوى التي تبين الموقف الشرعي من النازلة[3].

---

(١) الجمعة ١٤٢٧/٨/٨هـ http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

(٢) في وداع ابن جبرين، خطبة جمعة للدكتور عادل بانعمة.

(٣) د. يوسف بن أحمد القاسم http://www.aleqt.com/2009 /07 /16/article_252730.html.

فقـد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يفتي بما يـراه محققًا لمصلحة الأمة، كفتواه في وجوب نصـرة المجاهديـن في الشيشان والأفغان قبل تغير الأحـوال، وفتوى مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية، وغيرهما.

ومـن الفتاوى التي أبدى فيهـا شجاعة في جانب آخر فتوى المسعى حيث كان كثـير مـن العلماء وعدد من طلاب العلم يرون عـدم جواز التوسعة، فلما تكلـم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وفصـل الكلام فيه وذكر شهادته علـى ذلك في أول حجة حجهـا أزاح همًّا عن الأمة وأزال تـرددًا كان يختلج في صدور كثير من طلاب العلم بل وحتى بعض العلماء.

وقد بان من موقفه في هذه الفتوى أن الشجاعة ليست كما يظن البعض هـي الصراحـة في مواجهة الولاة، وإن كان هذا مـن الشجاعة وللوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فيه جهد كبير، بل إن الشجاعة أيضًا تكون في مواجهة الناس.

ثانيًا: الرافضة

قضيـة الرافضة وموقف الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ منهم وموقفهم منه هي القضية الأشهر والأكبر في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وسأذكر بداية القصة وتطورها في الحديث عن موقفه منهم في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى، لكننا هنا سنركز على الجوانب التي تبرز شجاعته وقوته في الحق.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتكلـم عـن معتقداتهـم الباطلـة كتكفـير الصحابـة ولعن الشيخـين وغيرهمـا وموقفهم مـن عائشة رضـي الله عن جميـع الصحابة، وكدعائهـم الأئمـة مـن دون الله وغير ذلـك ممـا في كتبهم، وهـو مستحضر

لكثير من النصوص من كتبهم ومستوعب للمسألة استيعابًا تامًا، ولهذا يقع كلامه عليهم كالصواعق بل كالحمم؛ لأنه حق موثق من أحد أساطين العلم.

وهذا ما جعل تلميذه الدكتور عبد المحسن العسكر يقول بعد وفاته: «لشيخنا عبد الله بن جبرين شجاعة وصدع في الحق، فإنه رحمه الله صرح بكفر الروافض في فتاوى كثيرة مسموعة ومكتوبة، وبسط القول في كفرهم تدليلًا وتعليلًا، ولم يأبه بنصح من نصحه بترك التعرض للرافضة، وعسى أن تنشر فتاواه كاملة ولا يتصرف في شيء منها بحذف أو تعديل فإن هذا العلم دين وأمانة، وقد بلغ الشيخ وبرئ وأدى ما عليه رحمه الله».

ولقد حرص الرافضة على إيذائه ولكن الله رد كيدهم كما سنبين ذلك مفصلًا فيما بعد إن شاء الله تعالى، هزئوا به، سخروا منه، استخدموا الإعلام والسياسة والقضاء الدولي لتخويفه والنيل منه، وهو لم يأبه بهم بل لم يشعر بهم فضلًا عن أن يخاف أو يتراجع.

يكاد ينفرد رحمه الله بذلك في هذا العصر على مستوى أقرانه وبمستوى تصريحه وإصراره ودأبه واهتمامه ولقد رزق بأحد تلاميذه البررة وهو الشيخ علي بن عبد الله العماري، فكان يمده بالجديد مما يطبع من كتبهم أو ما ينشر من آرائهم، وكان العماري بدأ اهتمامه بالموضوع بإشارة وتشجيع من الوالد رحمه الله.

ونحن نتكلم عن شجاعته فيما يتعلق بهذا الموضوع فإن بعض تلاميذه ومحبيه يخافون عليه ويعرضون له ويعرضون عليه التخفيف من حدته معهم اتقاء لشرهم، ويرد عليهم بأنهم أقل من أن يفعلوا شيئًا ويردد دائمًا: «لا ينجي حذر من قدر».

يقـول الدكتور محمد العريفـي[1]: «قابلنا الشيخ بعد فتواه المشهورة في حـزب الله فقلنـا: يا شيخ، أما تخشـى من أن يضـروك أو يصيبك شيء من مضرتهم من قتل أو أذى.

فقال الشيخ: مادام أنها في سبيل الله يا مرحبًا بها».

ومـن أهم الفتاوى الأخيرة التي انفرد بها وتبين أخيرًا أن الصواب معه رأيـه في حرب حـزب الله مع اليهود، وقـد سببت له كما ذكرنـا قبل أن وقف ضده الرافضة بأجمعهم ومعهم كثير من علماء السنة ممن لا يعرف الرافضة حق المعرفة.

وقـد هاجـوا وماجوا حينمـا أصدر فتـواه المشهورة بتحـريم الأكل مما يذبحونـه عام ١٤١٢هـ حتى أرسلت إيران استنكارًا للحكومة، فأرسل الديوان أحـد المشايخ للوالد؛ ليناقشـه ويطلب منه الرجوع أو التوضيـح، فأراه الوالد رحمه الله فتـاوى للمشايخ قبله ومنها فتوى للجنة الدائمة برئاسة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

وكان عنـد الوالـد برنامـج في المنطقة الشرقيـة، فألغته الإمـارة هناك؛ خوفًـا على الوالد رحمه الله فأصر عليه بعض الشباب هداهم الله بالمجيء ونظموا لـه برنامجًـا خاصًـا لم يعلن للعامة، فاستجـاب لهم وذهب ولم يخشَ إلا الله، واضطررنـا إلى أن نصحبه بمجموعة من الشباب الأشداء؛ تحسبا لأي مشكلة، وقد علمت الإمارة بالبرنامج فأرسلوا أحد وكلاء الإمارة وطلب من الوالد رحمه الله مغادرة المنطقة؛ حسمًا للمشكلات فاستجاب الوالد رحمه الله واعتذر من الشباب.

ثم نظمـوا له بعد أسبوعين برنامجًا آخر وألحـوا عليه وكان رحمه الله إذا استثـيرت عاطفته يلين فقالوا: إن في هذا عـزًا للرافضة ونصرة لهم وأكثروا

---

(١) قناة «بداية».

عليـه جـدًّا فاستجاب لهـم وكان في نيته أن يذهب لأمير المنطقـة أولًا؛ ليبلغه وجهـة نظره ويحثـه على عدم الخنـوع والخوف منهم، فـلا أدري كيف وصل الأمر إلى الحكومة فاتصل به في ليلة السفر خادم الحرمين الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ ورجـاه ألا يسافـر؛ خوفًا من تفاقـم الأحداث، فحاوره الوالـد ليقنعه بذهابه فأصـر كل منهما على رأيـه، وكان الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ ذكيًّا فقال للوالد: أنا ولي أمـرك وآمرك ألا تذهب، عندها قال الوالد: حينما كانت مشورة أبديت رأيي فـإذا كانـت أمرًا فإني أسمـع وأطيع، فلم يذهب، ولكن بعـد أن هدأت الأمور سافر للمنطقة الشرقية مرارًا في برامج معلنة دون خوف أو وجل.

وفي قصـة مشابهـة حينما طلب منه بعض الإخوة في نجـران أن يأتي إليهـم لإلقـاء محاضرات ودروس، وهـو لم يذهب لنجران قط مـع أنه طاف معظم مـدن المملكة وقراها، فرتبنـا له الحجز والبرنامـج وفوجئنا باتصال مـن سمـو الأمير نايف وزيـر الداخلية، آنذاك رَحِمَهُ اللَّهُ فطلب مـن الوالد عدم الذهـاب مراعاة للنواحـي الأمنية حيث يكثر هنـاك الإسماعيلية، فاستجاب رَحِمَهُ اللَّهُ لطلب الأمير.

ومما يـدل على شجاعته وعدم خوفه منهم وعـدم إخفاء نفسه أنه إذا رآهـم في مكـة المكرمة أو في المشاعـر أو في المدينة المنـورة يجادلهم بل يشدد عليهـم في بدعهم وشركياتهم فينهاهم عن دعاء غير الله وينهاهم عن إيذاء الطائفـين بالصلاة خلف المقام حيث إنهم يجعلـون حلقة ويصلي أحدهم في داخلهـا خلـف المقام فهو يقتحم الحلقـة ويشدد عليهم في ذلـك، وكذلك إذا رآهـم يسجـدون على تربة كربـلاء أو نحوها نصحهم وبـين لهم خطأ ذلك، يفعل ذلك كله دون خوف منهم، مع أنهم يودون لو سفكوا دمه.

موتـه على فراشه بسبب المرض بعـد هذه المساجلات مع الرافضة وهم أهـل كيد ومكر وشر يذكـرني بخالد بن الوليد رضي الله عنه الـذي كان يعرض نفسه للمـوت في المعـارك فيفر الموت منـه، وهو درس للعلماء وطـلاب العلم وأهل الغـيرة بأن الشجاعة المتزنة تنفـع ولا تضر وهي مصلحة أخروية محضة وإن فاتـت بسببها بعض مصالـح الدنيا، فالوالد رحمه الله لم تضـره شجاعته حتى في أمـور دنيـاه فقد بقي في وظيفته حتى تقاعد بعـد أن مدد له خمس سنوات وتعاقـدوا معه مدة سنة، ولما تقاعد زادت شهرته وذاع صيته ونفع الله بعلومه في داخل المملكة وخارجها، فرحمه الله وعفا عنه وأعاننا على بره.

ثالثًا: المناصحات للمسؤولين

سنعقـد إن شـاء الله لمناصحات الوالد رحمه الله مبحثًـا مستقلًا، وهو قد ضـرب في هذا الباب بسهم بل بسهام وهـو دليل على صدق نية ومحبة للخير ورغبـة في الإصلاح نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا، وهي أيضًا من أهم وظائف العلماء الذين أخذ الله عليهم الميثاق بالبيان.

ولكن هذا الباب يدل أيضًا على قلب شجاع ونفس مبادرة لا تخاف لومًا ولا تخشـى عاقبة، وبخاصـة إذا كانت شجاعة متزنة ومـن مثل الشيخ الوالد رحمه الله في سنه وعلمه؟

سـترى حينمـا نتكلم عن المناصحـات أنه لا يكاد يبلغه أمـر يحتاج إلى نصيحـة إلا وبادر إلى ذلك بخطاب أو اتصال أو زيارة أو مندوب، كتب وقابل واتصـل بكثير من مسؤولي الدولة كالملك وولي العهـد ووزير الداخلية ووزراء آخريـن ومـن دونهم، وإن كان كثـيرًا ما يكتب للأمير سلمـان وبينهما معرفة قديمـة ومحبة وثقة وتقديـر وإن كانا يختلفان كثـيرًا في بعض وجهات النظر

وقــد يشــدد عليه الأمير سلمــان أحيانًا ويطلــب منه تــرك الشفاعة في بعض الأمــور، لكنــه لا يلبث أن يكتب فيها مبينًا وجهة نظــره، وقد حضرت مجالس بينهمــا يشتــد فيها النقاش، وكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لايشــدد في النقاش مع الولاة وإنما يكتب ما يريده في ورق فإن قبل وإلا فيرى أنه أدى الأمانة.

وقــد حضرت معــه لدى أكثر مــن مســؤول، فيقدم لهم خطابــات فيها نصائــح قويــة لا يجرؤ علــى كتابتها كل أحــد حتى إني قبل الذهــاب ببعضها أقــترح عليــه أن نطبعهــا؛ لأنه كان يكتبها بيــده ثم أقترح عليــه تهذيب بعض عباراتها، ولكن مهما هذبنا العبارات فإن بعض الموضوعات لا يمكن أن تهذب بـل لا بــد فيها من الوضــوح، وفي معظم اللقــاءات بعــد أن أعطيه الخطابات التــي طبعناها ويقدمها للمسؤول وقد تكون أربعــة أو خمسة أفاجأ بأنه أخرج ورقــة صغــيرة من جيبه سجل فيهــا قضايا أخرى رأى أنــه لا يكتبها، وبدأ في نقاشهــا مــع المسؤول وربما أخــرج خطابًا خبأه عني ونظــر لي حينها وابتسم فتعــودت ذلك منه رَحِمَهُ اللَّهُ مع أني كنت لا أخالف لــه أمرًا ولكني أحيانًا أشير، فإن أطاعني وإلا أطعته.

ومــن بــاب إحقاق الحــق والاعــتراف بالفضل لأهله فــإن كل مــن قابله من المسؤولين وإن خالفوه في بعض القضايا أو جادلوه إلا أنهم يفرحون بقدومه ويظهرون له المــودة والاحترام والتقدير والقبول ونرى لمناصحتــه غالبًا أثرًا ولو بعد حين، ولا شك أن سبب ذلك معرفتهم بصدق نيته وحبه للخير وإخلاصه لولاة الأمر.

رابعًا: التوقيع على البيانات

تعودنــا مــن معظــم مشايخنا الكبــار ألا يشاركــوا المشايــخ الشباب في أنشطتهم وطروحاتهم، وكانت هــذه الأنشطة ومنها البيانات والعرائض التي

توقع من عدد من الناس مما أفرزته الصحوة وتبناه من يعرفون بمشايخ الصحوة وهم طلاب العلم الذين تأثروا بالحركات الإسلامية المعاصرة أو تربوا في محاضنها، وكان الوالد رحمه الله أبرز المشايخ الذين يوقعون هذه البيانات والنصائح ونحوها، بل إن اسمه غالبًا يتصدر القائمة.

ولا شك أن هذا الصنيع مع دلالته على الحرص على الإصلاح ونصرة الحق وأهله إلا أنه أيضًا دليل على جرأة وشجاعة سكنت في قلب الوالد رحمه الله لم تعكرها رهبة، ولم تخمدها رغبة.

ومع أن بعض هذه البيانات ونحوها سببت له متاعب وجرت عليه مشكلات قد ذكرت بعضها فيما سبق، ولكنه استمر على هذا النهج حتى ودع الدنيا، وكان من أهم دوافعه تشجيع الشباب الغيور وشد عضدهم، فغفر الله له ورحمه.

خامسًا: موقفه من الخلاف بين الجماعات والطوائف

هذه القضية كغيرها من القضايا أوردناها شاهدًا على شجاعته رحمه الله وإلا فإن بحثها سيأتي بتفصيل طويل، فهي تمثل منهجًا يحتذى وطريقة تقتفى سار فيها على نهج سلفه من مشايخه الذين تلقى عنهم العلم.

وهنا سأتكلم عن شواهد من شجاعته في هذا الميدان، وذلك بناء على الخط الذي اختطه لنفسه والمنهج الذي سار عليه.

فهو يرى أن اختلاف الجماعات هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وأن عند كل منهم بعض الصواب وإن كان عندهم أخطاء وأن الواجب التناصح لا التفاضح وإحسان الظن لا إساءته.

ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ حمل على بعض الفئات والأشخاص الذين يتصدون لبعض الدعاة في داخل المملكة وخارجها يكفرون ويبدعون ويلمزون ونحو ذلك، وكنت أود لـو أنه لم ينتصر لأحد على أحد وجعـل كلًّا يدافع عن نفسه، والحق أبلج والباطل لجلج.

وكنا نحـاول أن نحجب عنه الأسئلة التي تتعلق بفلان وفلان؛ درءًا للفتنة وطلبًـا لتهدئة الأمور ولكـن بعض الإخوة يسلمون أو يسربـون له الأسئلة وهو لا يترك الجواب وإذا قال بيَّن ووضح ما يكفي فيه التلميح عن التصريح رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومـرة كما ذكرت في موطن آخـر من هذه السيرة حضر محاضرة لأحد هـؤلاء المشايـخ وكادت تحدث فتنـة فأمسك الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لجـام الأمر وهدأ الجميع وشرح الوضع وكان مما قاله: «إذا كنت تقول: لا تسمعوا إلا من الكبار فلِم تحضر وتتكلم».

ولقـد انتصر رَحِمَهُ اللَّهُ لكثير من رجـال الدعوة الأمـوات والأحياء الذين تناوشتهـم سهامُ التصنيفِ في حـين سكت كثير من العلماء وطلاب العلم عن هذه الفتنة التي فرقت بين الأمة وشتت الجماعة.

ولهـذا تناولته الأقـلام بالتصنيف، بل ربما بالتبديـع وسار رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يبالِ برائح أو غادٍ.

كان ينظـر لشباب الجهاد نظرة أب يشفق عليهـم ويتألفهم ويفرق بين التكفيريـين والجهاديين ولهذا عابه الذيـن لا يفرقون بينهما قصدًا أو جهلًا؛ لأنه يزور جريحهم ويعزي قتيلهم الذي قتل في المعركة مع الأعداء في الشيشان أو الأفغان أو العراق ويرجو أن يكون من الشهداء.

أمـا التكفيريون فإنه يصرح كما سنبين بخطئهم وضلالهم وبغيهم وإن كان لا يقول بكفرهم كما هو منهج أهل السنة في هذا، فرحمه الله وعفا عنه.

سادسًا: موقفه من الاتجاهات المنحرفة

أريـد بالاتجاهـات المنحرفة الاتجاهـات الفكرية المعاصـرة التي غرت شبابنا وغزت عقولهم.

فالوالـد رَحِمَهُ اللهُ مـع تصدره في العلـوم الشرعية وإمامتـه في ذلك، يعي العصر ويعرف الاتجاهات المعاصرة ويجيد الحديث فيها.

وإذا تأملـت دعـاءه في خطبـه أو في القنـوت في التراويـح أو في خواتيم محاضراته وبعض دروسه لمست ذلك.

وحـين نتحدث عن شجاعته فإن هذا مـن ميادين الشجاعة حين يواجه هـذه الفئات التي تسيطر على الإعلام وربما غيره مـن وسائل التأثير بفتاواه القويـة كفتواه في جريـدة الشرق الأوسط وفتواه في جريـدة الوطن ورده على كثير مـن الكتاب الذين لاحظ عليهم بعض الملحوظات حينما ينتقدون الشرع أو شيئًـا من أحكامه، ولهـذا تسلط عليه بعضهم باللمـز والهمز، فيترفع عن ذلك ولا يلتفت له، ويمضي في طريق البنـاء غير عابئ بالعقبات.

سابعًا: تفاعله مع قضايا الأمة

المعالجـة هنا لبعض ما يدل عليه العنوان فـإن للتفاعل مع قضايا الأمة سجلًا حافـلًا في حياة الوالد رَحِمَهُ اللهُ فهي تجري في عروقه وتشغل باله وتقض مضجعـه، ولا أعلم مذ عقلـت قضية من قضايا الأمة سواء كانت على مستوى

المملكة أو على المستوى الإقليمي أو الدولي إلا وللوالد رَحِمَهُ اللهُ فيها صولات وجولات ولكن - كما عرفت - ليس هذا موطن البحث إنما موطن البحث مظاهر الشجاعة ودلالاتها في هذا المجال.

فالوالد رَحِمَهُ اللهُ ليس سياسيًّا ولا مسؤولًا بل هو عالم من علماء المسلمين الذين وظيفتهم البيان، ولقد كان رَحِمَهُ اللهُ واضح البيان لا يرده عن ذلك خوف ولا تأويل.

وإيرادي لبعض فتواه هنا من باب التمثيل وإن كان يخالفه فيها بعض كبار العلماء ولكل منهم دليل وتعليل وكل منهم مجتهد مثاب.

لكني أريد أن يرى القارئ الكريم أن العالم يجب عليه أن يوضح ويبين الحكم الذي أدى إليه اجتهاده، ضابطًا ذلك بالضوابط الشرعية التي لا تؤدي إلى مفاسد.

فمن ذلك فتواه في العمليات الاستشهادية وفتاواه في دعم الجهاد في المناطق الملتهبة وفتاواه في تأييد المسلمين في فلسطين وغيرها.

يقول الدكتور عادل بانعمة [1]: «حينما دنس شارون عليه من الله ما يستحق المسجد الأقصى وهبت انتفاضة الأقصى الشهيرة، اتصلت بالشيخ أسأله عن رأيه في المقاطعة فأفتى بفتوى شديدة قوية كانت سببًا في اضطرار الجريدة إلى إخفاء اسمه شهرًا أو شهرين، وعرفت حينها أن الرجل صاحب مواقف وأنه يعيش هم أمته وأنه يصدع بالحق إذا رآه».

ويعد الوالد رَحِمَهُ اللهُ أبرز العلماء الذين دعوا إلى نصرة المسلمين في قطاع غزة؛ حيث انتقد مَن تخاذل عنها خلال العدوان الصهيوني الأخير،

---

(١) في وداع ابن جبرين خطبة جمعة.

ووقع مع بعض العلماء والدعاة بيانًا حرَّم أي مبادرة سلام تفيد أن لليهود حقًّا في أرض فلسطين، أو تنص على تطبيع العلاقات مع الاحتلال[1].

وقد كان رحمه الله يجمع التبرعات بنفسه حينما كان جمعها مأذونًا فيه دون خجل أو تقاعس فكنت أرافقه وبعض إخوتي وبعض تلاميذه لبعض الجوامع الكبيرة والمساجد كثيرة الجماعة في رمضان، فنجمع الأموال بعشرات الآلاف.

جمع لفقراء الجنوب وبخاصة في رمضان، وكان من المساجد التي كنا نحسب حسابها كل عام في رمضان جامع الدكتور سعد البريك وجامع الملك خالد رحمه الله بحي أم الحمام، حينما كان يصلي به الشيخ عادل الكلباني وجامع عتيقة وجامع الراجحي في الربوة وجامع الأمير محمد بن عبدالرحمن في حي عتيقة حينما كان إمامه الشيخ محمد الزنان رحمه الله وغيرها كثير.

كما كان يجمع كل عام لجامعة العلوم الأثرية في باكستان وهي جامعة سلفية جاء إليه رئيسها الشيخ عبدالغفور، وجمع للمجاهدين الأفغان وللشيشان وغيرهم.

ثامنًا: التراجع عند وضوح الحق

هذه المسألة أيضًا ملمح من ملامح الشجاعة ودليل من أدلتها.

إن التراجع عن القول أو التنازل عن الرأي صعب على النفوس شاق عليها، ووجود هذه الخصلة دليل الكمال؛ لأنه يدل على الإخلاص والتواضع والحرص على الخير.

إن من أهم التراجعات التي قل أن تحصل من مثله تراجعه عن لجنة الحقوق الشرعية ورجوعه للعمل الرسمي بعد أن فصل منه وشهر به في

---

(١) رابطة علماء فلسطين - لجينيات.

الصحف ووسائل الإعلام ونحوها، وأنا أعرف عددًا من المشايخ من أهل الفضل والعلم الذين فصلوا من أعمالهم ولم يعاملوا كما عومل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومع هذا استعصت عليهم نفوسهم أن يراجعوا أو يتراجعوا، ولا أقول هذا لومًا ونقدًا بل عرضًا وبيانًا، فلكل وجهة نظره ورأيه.

لقد فاجأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الناس برجوعه ونشر براءته من هذه اللجنة بكل وضوح، وأعلن عدم تأييده لمنهجهم، وذكر أن الخير والصلاح في جمع الكلمة، ولم الشمل، وأن التفرق مذموم في الشريعة.

لقد أذهلت شجاعته في التبرؤ منهم معظم الناس وإن كان هناك من عدها ضعفًا ولكن العبرة بالمقاصد والمعاني، لقد خالف القاعدة العامة التي تقول بكسب التيار المعارض؛ لأن العالم الرباني هو الذي يقول الكلمة بناء على ما ترجح له، ليس بناء على ضغط طلابه وجمهوره ومن حوله، ولذلك كان بيانه في تلك المدة من علامات قوته وشجاعته في قول ما يعتقد.

ومن ملامح الشجاعة ما ذكره لي الدكتور طارق الحبيب الطبيب النفسي المشهور، فقد سئل الوالد في برنامجه المباشر سؤال على الهاتف عن الوسواس في الصلاة، وأجاب الإجابة الشرعية عن وسوسة الشيطان في الصلاة وكيفية دفعها، وكان الدكتور طارق الحبيب في الإستوديو يستعد لبرنامج له يلي برنامج الوالد، فانتبه للأعراض التي يذكرها السائل وعرف أنّه مصاب بالوسواس القهري وليست وسوسة الصلاة فطلب المداخلة وعلق على جواب الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتحدث عن الوسواس القهري وأعراضه وعلاجاته.

يحدثني الدكتور طارق ويقول: لم أكن أعرف الشيخ عن قرب ولا أدري ماذا سيكون موقفه من جوابي، فالذي أعرفه أنه شيخ تقليدي كبير

في السن وتوقعت أن يكون الرد إما هجوميًّا أو سلبيًّا مجاملًا، ولكن حدث ما لم أتوقعه فلما انتهيت قال الشيخ رحمه الله: هل انتهيت؟، قلت: نعم، فخاطب السائل قائلًا: يا بنيّ، كلامي ألقه في البحر فأنا لست متخصصًا واسمع كلام الدكتور طارق!!

لقد أكبرته وهذا الموقف يسجل في حسناته وصفحاته البيض، هو موقف التواضع وقبول الحق ممن جاء به.

وقد طبع له رحمه الله كتيب فيه تعليقات على «لمعة الاعتقاد» كان ألقاها على طلاب المعاهد العلمية حينما كان يدرس فيها، فاستشكل بعض طلاب العلم كلمات منها، وقد رفع للوالد رحمه الله سؤال عن هذا الموضوع فأجاب عنه بما يجلي المسألة واعتذر عن سهوه في ذلك.

سؤال[1]:

١- صفحة ١٤: الكلام في المشكل من النصوص: «يقبل أهل السنة... وإذا أشكل شيء من ذلك قبلوا لفظه وفوضوا العلم بالمعنى والكيفية إلى عالمها وذلك كصفة النزول وكيفية الاستواء ونحوها».
٢- صفحة ١٨: الفقرة «ب» ونكل كيفيتها ومعناها إلى الله».
٣- صفحة ٢٠: الفقرة «ج» وعدم التعرض لمعناها بغير علم».

أليست هذه العبارات من جنس التفويض؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا!!

الجواب: نعتذر أولًا أن الموفق رحمه الله كان في زمان تمكن فيه المذهب الأشعري وهو إنكار صفات الأفعال وبعض صفات الذات فلم يجرؤ في عقيدته

(١) رقم السؤال (٧٩١١).

بما يخالفهم صريحًا كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان الأشاعرة يعتقدون أن مذهب السلف إمرار الصفات وعدم بيان معانيها مع اعتقاد أنها لا تدل على صفات في نفس الأمر فلم يتجرأ الموفق في هذه العقيدة على التصريح واكتفى بإيراد الأدلة وروى تلك الأخبار التي قد يُفهم منها التفويض، وقد جرينا معه على ما ظهر من مقصده ثم طبعت على ذلك الوضع، وقد أضفنا إليها تحسينات وإيضاحات لما نقصده، بحيث يظهر المعنى المُراد ولو تيسر إرسال نسخة من المصححة لفعلنا ونحن نعتقد أن أدلة الصفات ظاهرة في الإثبات وأن معانيها مراده وإنما الذي نجهله أو نفوضه هو الكنه والكيفية التي صرح السلف بأنها مجهولة، فعليكم بيان ذلك لمن لديكم وعليكم مطالعة رسالة الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ففيها مقنع لمن أراد الحق وقصده، والله عند لسان كل قائل.

قاله وأملاه

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

١٩/٨/١٤١٤هـ

تاسعًا: الخروج مع المحتسبين في الأسواق

لقد كان رَحِمَهُ اللهُ لا يخشى في الله لومة لائم، ولهذا كان من أبرز الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في عصرنا الحاضر بقلمه ولسانه وقلبه بحسب القدرة والاستطاعة، ولسنا هنا كما عرفت بصدد الكلام عن قيامه بالحسبة وإنما في مقام ذكر شجاعته في هذا الباب، ولقد كان الإخوة المحتسبون يشدون به الأزر في كثير من أمورهم سواء كانوا من أعضاء الهيئات الرسمية أو المتطوعين.

كان يدخل الأسواق معهم آمرًا ناهيًا معينًا، وكان يقصد تشجيعهم، وهم يقصدون إطلاعه على وضع الأسواق وبخاصة المجمعات الحديثة، وقد قام الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك في عدد من مدن المملكة وبخاصة في الرياض ومكة المكرمة.

ومن المواقف التي رواها قال رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت في عرفات، فرأيت رجلًا من أفريقيا واقفًا وهو يرفع يديه ويلتفت ويقول: يا عبدالقادر الجيلاني، اغفر لي يا عبدالقادر الجيلاني، ارحمني.

فأقبلت إليه وكان عظيم الجسم وقلت له: يا أخي، اتق الله أنت في عرفات والناس قد أقبلوا على الله وأنت تدعو رجلًا في قبره لا يسمع دعاءك ولا يجيب نداءك، ادعُ الله ودع سواه، فالتفت إلي ودفعني بقوة، قال: اذهب عني يا شيبة، أنا أعتقد عقيدة جازمة أنه ما تنزل قطرة من السماء ولا تخرج حبة من الأرض إلا بإذن عبدالقادر الجيلاني.

يقول الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فقلت: أعوذ بالله، أعوذ بالله اتقِ الله، ثم انصرف عني وهو يردد: عبدالقادر يا جيلاني يا متصرفًا بالأكوانِ[1].

أحوال النفس

أعني بأحوال النفس عواطفها وما يعتريها من فرح وسرور وحزن وبكاء، فالبكاء يكون بسبب رقة يقذفها الله في قلوب من يشاء من عباده، وهو نعمة من النعم الإلهية، وقد يدل على خشية الباكي وخشوعه.

وقد كان نبينا ﷺ سيد الخاشعين، وأكثر الناس بكاء من خشية الله، ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «اقرأ علي

(١) سمعتها من الوالد، ورواها الدكتور محمد العريفي في قناة «بداية».

القرآن»، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل!، قال: «إنني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأ عليه سورة النساء حتى بلغ هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]، فقال ﷺ: «حسبك الآن».

قال ابن مسعود رضي الله عنه: فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[1].

وهي خصلة محمودة اتصف بها كثير من الصحابة والتابعين والسلف الصالح.

والشيخ الوالد رحمه الله، كان رقيق القلب، سريع التأثر، فما إن يسمع بخبر محزن إلا وبدا التأثر على وجهه، وربما ذرفت الدموع من عينيه، ومع ذلك كان شديد التصبر والتحمل، إذ ما يلبث أن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وكان يكثر من قولها ويوصي بها كثيرًا.

فعندما مرضت والدتي رحمها الله عام (١٤١٤هـ) وهي ابنة عم الوالد، وقد عاشت معه أكثر من أربعين عامًا، كان يذهب إلى المستشفى يوميًّا؛ ليرقيها ويطمئن عليها، وقد مكثت في المستشفى أكثر من شهرين، ولما توفيت رحمها الله وكانت نفسها قد فاضت في آخر الليل وكنت عندها حينئذ، بادرت بالرجوع للبيت لإخبار الوالد رحمه الله، ولم يثقل علي أمر مثل ما ثقل نقل هذا الخبر إليه؛ لعلمي بمحبته لها وقدرها عنده، فلما طرقت عليه الغرفة خرج فزعًا، وعرف من عيني الخطب، فاتكأ على الجدار وتحدرت من عينه قطرات من الدمع

(١) رواه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ من كتاب التفسير برقم/٤٥٨٢.

مال برأسه ليخفيها عني، ثم استرجع مرارًا، ورجع إلى الغرفة ولبس ثوبه ثم رافقنـي للمستشفى، وجئنا إليهم وهم يلفونها بلفائـف الموتى، فوقف بإزائها وهو مطرق الرأس يسترجع ويدعو لها رحمها الله.

وكان هذا صنيعه عندما يسمع بوفاة أحد الأقارب أو زملائه ومحبيه.

وكان يبكي وترى الدموع تذرف من عينيه عندما يذكر مشايخه ومحبيه الذين سبقوه إلى الدار الآخرة، فيترحم عليهم، ويذكر شمائلهم ويدعو لهم.

وكذلـك عندما يـرى موقفًا مؤثرًا يـرق قلبه وتدمع عينـاه ومما قرأته مـن كتابات بعد وفاته أنـه في عودته من الجمرات رأى رجـلًا من الباكستان وهـو يحمل والدته العجوز على كتفيه فوقف متأملًا ومتأثرًا بمشهد عظيم من مشاهد البر والإحسان، فدمعت عيناه رحمه الله[1].

وتظهـر هذه العاطفـة أيضًا في دروسه ومحاضراتـه وبخاصة إذا مرت المواعظ والرقائق سواء كان يرويها أو يلقيها، فقد كانت عبراته تسبق عباراته أحيانًا.

يقـول الشيخ إسلام دعدوشـة[2]: «كنا ندرس مع الشيـخ لمعة الاعتقاد لابن قدامة في مبحث الصحابـة فذكر المؤلف العشرة المبشرين بالجنة فكان القـارئ يقـرأ، فلما بدأ يذكر: فـلان في الجنة وفلان في الجنـة وإذا بالشيخ يبكي بكاءً شديدًا وحبسته العبرة ونظرت يمينًا وشمالًا فإذا الحلقة كلها تبكي لبكاء الشيخ رحمه الله تعالى فقد كان سريع التأثر».

(١) الشيخ ابن جبرين وسبع سنوات في الحج للشيخ محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشائع http://www.burnews.com/articles-action-show-id-2746.htm.

(٢) برنامج «التبيان» قناة «الناس».

ورأيتـه مـرارًا في عرفات وهو يدعو بعد العصـر وقد خشع وخضع ورق وأذعن ولا أكاد أميز كلماته من اختلاط العبرات بالعبارات.

أمـا الفـرح والسـرور في حيـاة الوالد رحمه الله فهـو دائم البشـر لا تكاد الابتسامـة تفـارق ثغره وقد تحدثنا عن طرف من هـذا حين تكلمنا عن حلمه وسماحته ولكنه عند الأخبار السعيدة والمناسبات السارة يبين ذلك في وجهه، فتنطلق أساريره ويقترب من ناقل الخبر فيضع يده على كتفه أو رأسه ويشعره بالاهتمام.

أتذكـره في زواج ابني عبدالله ولا أزال أذكر صورته وهو يحتفي بالناس ويبتسـم لهم وقـد حضر الزواج جموع غفيرة من الأقـارب والمعارف وتلاميذ الوالد وعدد من كبار المشايخ وبعض الأمراء والوجهاء.

كمـا أذكر أني إذا بشرته أنا أو أحد إخوتي وأخواتي بولادة مولود يظهر البشر في وجهه، ويظهر الفرح والسرور.

ونلاحظـه كثيرًا إذا جاءه قريب أو صديق أو قرين طلب أو رفيق طفولة أو زميل عمل أو تلميذ قديم، يقربه ويجاذبه الحديث في أنس وراحة.

أمـا بقية أحـوال النفس من الجزع والتسخـط والتشكي فليست لعقلاء الرجـال فضلًا عـن علمائهم والكمالات تزيل المعايـب أو تغطيها، وأنا أحسب فيـه مـن الكمالات في العلـم والعقل والخلـق والأدب ما جعله ينـأى عن سيئ الأخلاق ورديئها.

صفات الريادة

حـق هـذا الموضوع أن يكون في صـدر هذا القسم، ولكنـي أخرته ليكون مجاورًا للعنصر الذي بعده لما بينهما من المقابلة والتوازن.

ونقصد بصفات الريادة الصفات التي تضفي على صاحبها كمالًا وجمالًا وجلالًا وتؤهله للقيادة والريادة والسيادة.

وتشمل صفات عدّة تكون في مجموعها صورة للشخصية المثالية، ويكون في الإنسان من الكمال بقدر ما وهب أو اكتسب منها.

ومن هذه الصفات الهيبة والفراسة والكرم وقوة الشخصية وحضور البديهة ونحوها.

وإن امتزاج التواضع بالهيبة وتحلية كل منهما الآخر لا يحلو، بل لا يكون إلا لدى عظماء الرجال، قال ابن قتيبة: لم يقل في الهيبة مع التواضع بيت أبدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية:

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم[1]

ولقد كان الشيخ الوالد رحمه الله تعالى رجلًا مهيبًا، على الرغم من تواضعه الجمّ، فمن زاره أول مرة رأى فيه الهيبة والوقار وحسن السمت، ولعل هذا من آثار التقوى - نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا - كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إنما يهابك الخلق، على قدر هيبتك من الله[2].

يقول الشيخ عبدالعزيز عبدالله الحاج المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف[3]: «عرفت شيخنا منذ مدة ليست باليسيرة وكانت أول مقابلة لي به أن زرته في مكتبه إبان عمله في دار الإفتاء وقد والله هبته لجلال طلعته وهيبة جلسته فقد كان يجلس على كرسيه محتبيًا جلسة الخاشع المتواضع».

ولقد أثمرت هذه الهيبة تقديرًا وتوقيرًا لدى الخاص والعام.

---

(١) العقد الفريد ١/ ٣٦ والبيت من قصيدة مشهورة للفرزدق يمدح بها الإمام زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) حلية الأولياء (٨/ ١١٠).

(٣) http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=83&cid=499.

ومـن صفات الريـادة التي اتصف بها الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ الفصاحة وبلاغة الخطـاب والكتاب وهـي ليست بمستغربة على مثلـه رَحِمَهُ اللَّهُ لكون الجيل الذي عاصـره مـن شيوخه أو زملائه هم ممـن درس العلم علـى طريقة المتقدمين قبـل مجيء المدارس النظامية وضعف مناهج وطرق التعليم، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخه صالح بن مطلق: «إذا بحثت معه في الفقه وجدته فقيهًا وفي اللغة تجده لغويًا وفي النحو تجده نحويًا وفي العربية وفي الفرائض وما أشبه ذلك».

قلت: ومعظم طلاب العلم في تلك الحقبة على تلك الصفة.

ولقـد كان جدي رَحِمَهُ اللَّهُ مهتمًا بتعليمه وقد ذكـرت أن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ قرأ عليـه مبادئ النحـو في الآجرومية وأن الوالد قال عـن جدي رَحِمَهُمَا اللَّهُ: «فعلمنا تعليمًا كاملًا للنحو، وذلك حينما كنا في سن الثالثة عشرة».

وذكـرت أنه قـرأ في النحو علـى الشيخ عبدالعزيز الشـثري الآجرومية وشرحها لخالد الأزهري وكذلك قرأ في ألفية ابن مالك إلى المفعول المطلق.

وهـو رَحِمَهُ اللَّهُ يستظهر الآجرومية ومعظم الألفية، ويذكر طلابه وبخاصة مـن تخصص منهـم في اللغة كالدكتـور عبدالمحسن العسكـر أن الشيخ نادر اللحن مستحضر لمعظم مسائل النحو.

بـل حدثني بعض من درسهم الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في معهد إمام الدعوة أنهم يستغربون من إتقانه للعربية وندرة لحنه فيها.

وبالإضافـة إلى ذلك فهو يحفـظ كثيرًا من القصائـد والفوائد الأدبية ويـكاد يستظهـر مقامـات الحريـري وتأثـر في بذلـك بشيخه الشيـخ صالح ابـن مطلق رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى ولهـذا تجده في دروسه ومحاضراتـه ومجالسه كثير الاستشهاد بالشعر، بل ربما سرد القصيدة الطويلة ذات الأبيات الكثيرة دون

أن يخرم منها شيئًا كأنما حفظها لتوه ولا يكاد يمر بمناسبة أو يذكر أمرًا إلا وذكر فيه حكاية أدبية أو قصيدة شعرية أو قصة محكية.

وقد ذكرت أن من صفات الريادة الفراسة وسرعة البديهة، والفراسة: الحدس والتوسم وهي المهارة في التعرف على بواطن الأمور من ظواهرها[1]، والبديهة: إصابة الرجل الرأي في أول ما يفاجأ به[2].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] قال: للمتفرسين»[3].

وكان شاه الكرماني يقول: «من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته»[4].

ولقد اشتهر علماء الإسلام بالفراسة؛ لما حباهم الله من حبه وخوفه، والحديث عن فراسة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وسرعة بديهته كالحديث عن غيره من إخوانه العلماء السابقين واللاحقين.

فيعرف كثير من طلابه رَحِمَهُ اللَّهُ عنه هذين الوصفين، فهو يفرق بين المستفتين بحسب فراسته فيهم من حيث الذكاء والفطنة والحياء والجرأة

---

(١) تاج العروس مادة: "فرس" والمعجم الوسيط باب الفاء.
(٢) لسان العرب مادة: "بده".
(٣) أخرجه الترمذي في باب ومن سورة الحجر في أبواب تفسير القرآن برقم ٣١٢٧.
(٤) الروح ١/٢٣٩.

والاستفــادة والتعالم والحاجة ومع أنه يجيــب الجميع، لكنه إجابته لكل منهم بحسب ما يتفرسه فيه.

وهو كذلك مع السائلين للصدقات، حيث يعطي كلًّا منهم ويمنعه بحسب ما يظهر له من حاله فقد يرد بعضهم بكلمة وبعضهم بمبلغ للترضية وبعضهم بعطيــة سنية، بل إنه يقوم من مجلسه ويدخــل مكتبة ثم يدعو شخصًا بعينه ويريشه بما يراه قبل أن يكلمه.

وربمــا تفرس في طالــب النجابة، فأولاه عنايته حتى تقدم وفي آخر ضد ذلك فجامله وداجاه حتى يعرف ضعف نفسه فيقنع بمكانه.

وممــا أذكره من حالي معه رحمه الله أني كنــت أول ما تخرَّجت من المعهد العلمــي رغبتُ في الكليَّــة العسكريّة آنذاك، وقدَّمت أوراقي لهــا دون أن أكلِّم والــدي، ولكــن الله لم يكتب لي ذلك، فقــد أخفقتُ في اختبــار قياس القامة، حيــث إني كنتُ قصير القامــة، وكان عندي في ذلك الوقت اهتمام ومطالعات في الدراســات النفسيــة، فكنتُ مغرمًــا بعلم النفس، فسجَّلــت في كلية العلوم الاجتماعيــة في قسم علم النفــس، فأتيت والدي وسألنــي، فأخبرته برغبتي، فرفضــ إلاَّ كلِّية الشريعة، فمــا كان لي مناصــ إلا أن أطيعه، فذهبت فغيرت رغبتــي، وكان في ذلــك خير لي، وأحمــد الله ﷻ أن سجّلت في كلية الشريعة، وقــد شاورته قديمًــا في مشاركــة شخص في بعضــ الأمــور التجارية فنهاني فرجوته أن يأذن لي فأذن فتأسفت بعد أن خسرت مبلغًا كبيرًا.

وكنــت أستشيره كثيرًا، فإذا أطعته أفلح وأنجح غالبًا وإذا ألححت عليه بغير ما أشار به، وهو غالبًا لا يشدد فإني أتأسف غالبًا.

وأمــا سرعــة بديهته رحمه الله فأشهر من أن تذكر بــل أظهر من أن تشهر ومما يتكرر كثيرًا أن الوالد رحمه الله في بعض المحاضرات واللقاءات التي يدعى

لهـا لا يعلم بموضوعها إلا بعد أن يجلس على الكرسي من خلال تقديم المقدم أو يقوم بسؤاله ثم يتكلم عن الموضوع كأنما راجعه شهرًا، أو تكرر عليه مرارًا، وقد يكون الموضوع من دقائق العلم وعويص المسائل.

ومـن أعجب ما أذكر أنـه دعي للقاء في مكة المكرمـة في منزل الدكتور ناصـر العمـر حفظه الله وبحضور ثلـة من كبار طـلاب العلم منهـم بعض أئمة الحرم، فسألوه عن المرور بين يدي المصلي في الحرم فتكلم عن المسألة قريبًا من ثلث ساعة موردًا النصوص من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم وخلافهم وحججهم حتى بهر الحاضرين.

وصليـت خلف الوالد في الجامع الكبير بالرياض حينما كان نائبًا لابن باز رحم الله الجميع، فأطال الصلاة وبعد السلام بدأ رجل في طرف الصف بالـكلام ولم يتلفظ إلا بكلمتين أو ثـلاث حتى تناول الوالد رحمه الله المكبر وتكلم عـن صلاة رسول الله ﷺ وتطويله فيها بكلام شافٍ كافٍ وعلمنا بعد ذلك أن الرجل كان يريد أن يتكلم عن التطويل في الصلاة.

أما كرمه وجـوده فإن الكرم خلق من الأخلاق الإسلامية الفاضلة، أمر بـه الشـارع لتقويـة أواصر المحبة بـين الناس، وهو من مظاهـر التراحم بين المسلمين، وهو صفة محمودة وعادة حميدة.

فالشيـخ الوالد رحمه الله كـريم يحب الجود من غير إسـراف ولا مباهاة، متمثلًا ما يروى عن الحكماء «الجود بذل الموجود».

وكان إذا رأى مـن يسـرف، وهو لايجد سعة يردد عبـارة «كرم الفليس من إبليس».

ويلوم بعض العامة الذي يبالغ في الضيافات والولائم ويستدين لذلك ثم يذهب يسأل الناس وفاء ما استدان.

لقـد كان رَحِمَهُ اللَّهُ جوادًا كريمًا بوقته ومالـه وجاهه وجهده، ويلحظ ذلك كل معاين، ويشهده كل من كان قريبًا منه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وإن الزائـر لنـا في منزله يعجـب من كثرة توافد النـاس إليه من جميع الجنسيـات ومختلـف طبقات المجتمـع، من الضعفـاء والمحتاجـين، وطالبي الشفاعـة، فـلا يرد طالبًـا، ويعطي الجميـع ويساعدهم، ويقـدم لهم الشاي والقهوة والنعناع والزنجبيل.

وأمـا كـرم الضيافة فحدث عـن ذلك ولا حرج، لقـد كان بيته ومجلسه رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخلوان من الضيوف، وكان يقيم الوليمة تلو الوليمة لقدوم غائب، أو لجمـع بعض أقاربه أو زملائه أو طلابه، ولم تكـن ولائمه قليلة العدد؛ بل كان مجلسه يمتلئ عن آخره، فكلما جاءه ضيف ذبح له خروفًا أو أكثر ودعا إخوته وأولادهم وبعض أقاربه وطلابه وجيرانه.

يقول الشيخ عبدالله الفائز[1]: «الشيخ عجيب في تواضعه لطلبة العلم يدعـو الصغـير منهم لوليمة عنـده في بيته غداء أو عشـاء، فهو حريص على كسب القلوب وعلى تأليف نفوس طلبة العلم».

وعند عودته من سفـره الطويل في الجولة الصيفية أو بعد الحج يأمرنا أن نرتـب وليمـة في بيتنا ويدعو كثيرًا من الأقـارب ونحوهم؛ لأنه يعلم أن كلًّا منهم سيدعوه لزيارته، فيحب ألّا يكلف عليهم.

وكان يُرى البشر في وجهه إذا رأى إخوته أو أصهاره أو أقاربه أو طلابه، ويبالغ في إكرامهم.

وكذلك كان يحـب أخواته ويقدرهن ويدعوهن لولائمه وكان يرى البشر على وجهه إذا رأى أخواته في بيته وكانت إختة هيا تكبره، فكان يكنّ لها الحب والاحترام ويقوم لها إذا دخلت ويفرح بمبيتها عنده.

(١) المنهج الرصين في ترجمة ابن جبرين خطبة جمعة للشيخ عبدالله الفائز.

كان أخـي محمـد حفظه الله هو الذي يتـولى غالبًا ولائـم الوالد رحمه الله، فـإذا جاء وافـد من خارج الرياض مـن المشايخ أو نحوهم دعـاه الوالد وأكد عليـه للضيافـة، وإذا دعـي رحمه الله إلى وليمـة شرط بـأن يـزوره الضيف في بيتـه ليكرمـه، ولكنه كان ينهانا عـن الإسراف ويقول: «**طعـام الاثنين يكفي الثلاثـة**»[1] ولكننا نعلـم عادته، فإنه إذا كان عنده وليمـة دعا كل من يلقاه، فضلًا عـن الجيران والأقارب والطلاب ونحوهم، ولهـذا فإننا نحتاط لهؤلاء فنكثر من الطعام.

وفي بدايـة دروسـه رحمه الله كان يلقي درسه في منزلـه، وكان عدد الطلاب يقـارب الستين طالبًا، وكان يأمـر الأهل بإعداد الشـاي، والقهوة، والزنجبيل، والنعناع، وحين انتقلت الدروس للمسجد استمر بإحضار الشاي والقهوة لهم في المسجـد، وحين يلومه أحد في اهتمامه بطلابه بهذا القدر، كان يقول لهم: إن ما أصنعه قليل، والطلاب كثير، وما أجلبه إنما يكفي الصف الأول فحسب.

يقول الدكتور سعـد البريك[2]: كنا نغشى بيته وندرس وكان لا يرضى أن أحدًا يقدم لنا الشاي والقهوة، بل هو الذي يفعل ذلك بنفسه إذا لم يكن أولاده موجودين».

ومـن جوده وكرمه رحمه الله أنـه لا يأتيه سائل يسألـه في بيته إلا ويعطيه، رجلًا كان أو امرأة كبيرًا أو صغيرًا.

وأحيانًـا يأتيه ذو الحاجة بعـد الدروس أو المحاضرة، أو وهو ذاهب إلى المسجد، ويسأله مـن الصدقات، فيعطيه الشيخ ما تجود به نفسه، دون تذمر أو تأفف، وقد رأينا ذلك منه كثيرًا.

---

(١) هذا ثابت من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في باب «طعام الواحد يكفي الاثنين» من كتاب الأطعمة برقم /٥٣٩٢.

(٢) قناة «المجد».

تعوّد بسطَ الكفّ حتى لو انه ثناها لقبضٍ لم تُطعه أناملُه[1]

وفي رمضان يعهد بعض الأثرياء للوالد بتوزيع زكواتهم وكان يذهب بنفسه للبنك أو يأمر الأخ سليمان فيصرف فئات متعددة من الخمسة ريالات إلى الخمس مئة؛ لذا كان جيبه لا يخلو من هذه الدراهم فيعطي من سأله بحسب تقديره رَحِمَهُ اللهُ وكثيرًا ما تنتهي هذه الزكوات والصدقات فيصرف من راتبه الشهري.

يقول الدكتور محمد المنيع[2]: «رافقت الشيخ في جولة في جنوب المملكة فمنذ أن ركبنا وقد تجولنا في الجنوب وذهبنا إلى قرى ومدن فما وقف له أحد وسأل إلا أعطاه».

وفي النصف الأول من رمضان يضع مائدة للإفطار في منزله يحضرها كثير من الفقراء وكان يوزع عليهم نقودًا بعد الإفطار لترغيبهم.

وقد مر أحد كبار التجار قبل المغرب ورأى هؤلاء الفقراء مجتمعين للإفطار فكأنه لم يرق له هذا وقال كلمة فيها لمز بلغت الوالد رَحِمَهُ اللهُ ومعناها أن الشيخ يتمدح بهذه العطايا للفقراء ويقلد التجار في أعطياتهم، ومنع هذا التاجر ما كان يرسله للوالد رَحِمَهُ اللهُ فلم يراجعه الوالد ورآه مرارًا ولم يكلمه في ذلك، بل عامله كأنه لم يسمع شيئًا فتأثر هذا التاجر من ذلك وبدا عليه الأسف فاتصل بي في السنة التالية وأعطاني مائتين وخمسين ألفًا؛ ليوزعها الوالد وكان سابقًا يرسل مائة ألف.

(١) البيت لأبي تمام وهو من الأبيات الشوارد التي سارت في الآفاق، وهو من قصيدة يمدح بها المعتصم، انظر ديوانه برقم/ ٥٣٩٢.

(٢) قناة «المجد» لقاء مع الدكتور سعد البريك.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ جـوادًا معنا في البيت مع الأهل والأولاد لا يبخل بشيء، ولا أذكـر أني سألته شيئًا فمنعنيه رَحِمَهُ اللَّهُ، كمـا كان كريمًا مع إخوانه؛ حيث كان لهم كالوالد الحنون؛ لأنه أكبرهم سنًّا.

ولكنـه رَحِمَهُ اللَّهُ - كما ذكرت - يكره الإسراف ويمقته أشد المقت فإذا رأى الطعـام الكثيـر في الولائـم أو في المنزل يتسـاءل: من الذي سيـأكل كل هذا؟ لم تكـثرون مـن الأصناف؟ ثم يجعل يعدهـا كلها صنفًا صنفًـا، فتكون قرابة العشرة أو الخمسة عشر صنفًا.

ومن لطائفه أنه يرد الهدية بهدية غالبًا ومن ذلك ما ذكره الشيخ أحمد المهنا يقول[1]: «كنا ذاهبـين للمفتي لحضور اجتماع حول تنظيم المحاضرات في جامـع الأمير تركي بن عبدالله فأخرجت دهن ورد وطيبت الشيخ فقال لي الشيـخ: هـذا طيب زين، فقلت: هذا هدية لك يا شيـخ، فتمنع وألزمت عليه، فأخـرج من جيبه دهـن عود وقال: وهـذه هدية لك. فنظرت إليهـا وقلت: يا شيخ: هذا ربا».

فهـذه بعض الصفات التي تميـز بها رَحِمَهُ اللَّهُ ويجمعها مـكارم الأخلاق ومحامد الطباع، أسأل الله أن يغفر له ويرحمه ويسكنه فسيح الجنان.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

هذا صـدر بيت سيار منسوب إلى يزيد بن محمد المهلبي وقد نسب إلى غيره وعجزه: «كفى المرء نبلا أن تعد معايبه»[2].

---

(١) لقاء بعنوان الإمام الراحل.

(٢) ذكره في نهاية الأرب في فنون الأدب ٣/٩٤.

إن هذا الموضوع من أثقل موضوعات هذه السيرة على قلبي وأشقها على نفسي، فإني أتكلم عن والدي الذي رباني ورعاني وملأ الإعجاب به نفسي وحبه قلبي ونشأت بيني وبينه وبالذات في آخر سنيه علاقة الثقة والإعجاب والإكبار والانجذاب، فكيف بي وأنا أتكلم عما يقوله الناس فيه أو ما رأيته من وقائع كنت أتمنى ألا تقع، وكان الواجب فيها أن تطوى ولا تروى، ولكني لا أتكلم عن والدي بل أتكلم عن شيخ أمة وإمام زمان وقدوة من قدوات المسلمين وأعجوبة عصر، فلا بد لي من الحديث ولو شق عن هذه الجوانب؛ ليعلم القارئ العدل الذي بنيت عليه هذه السيرة، فهي لم تبنَ على مجاملة ومديح وإكبار وتهويل، بل بنيت على منهج العدل والصدق والحق.

ولقد تكلمت فيما مضى عن أخلاق الوالد رحمه الله وذكرت ما كان يتمتع به من الصفات الحميدة والسجايا المجيدة ولا شك أن البيئة التي عاش فيها والفطرة التي فطره الله عليها والعلم الذي وهب الله له أثرت في أخلاقه وزودته بكريم الخلال وجميل الخصال، وحتى يعلم القارئ أن ما ذكرناه ليس تقديسًا ومبالغة، نحب أن نذكر في هذا المبحث بعض المواقف التي تعد مخالفة في الجملة لما عليه سمته رحمه الله وهي إن كانت قليلة لا تكدر صفو ما وهبه الله من سمات وخصال وخلال الكمال إلا أن ذكرها يزيد القارئ بصيرة بشخصيته ويزيده يقينًا بالطبيعة البشرية والسنة الإلهية والعقيدة الإسلامية بأن العصمة لمن عصمه الله.

فمع اتصاف الشيخ الوالد رحمه الله بالحلم ولكنه يغضب أحيانًا ويشتد في الكلام أو التصرف كطبيعة الإنسان، وإن كان غضبه يزيد إذا رأى مخالفة للشريعة أو السنة النبوية.

وهـذا ماجعل الشيخ سلمان العودة[1] يقول: ما رأيت الشيخ مغضبًا قط أبـدًا، ولولا أنه يقرأ عن الغضـب في الكتب أظنه لم يكن يعرف ما هو الغضب إلا أن تنتهك حرمات الله فلا يقوم لغضبه شيء لكنه فيما سوى ذلك لا يمكن أن يغضب لنفسه حتى لو يؤذيه إنسان صغير أو كبير معلوم أو مجهول».

فالوالـد رحمه الله حليـم لكنه إذا غضب أو أصر علـى شيء لا يتنازل عنه ومعظـم الأشياء التي يصر عليهـا غالبًا تكون أشياء شرعيـة أو دينية، أذكر مـرة أننا كنا في الطريـق لمكة المكرمة في رمضان وبعـد تجاوزنا الميقات أذن الفجـر فوقفنـا في الزيمة نصلي في المسجد وقد فاتتنـا الجماعة الأولى وكان في المسجـد جماعـة يصلون يصلـي بهم شاب مصري، فلمـا صلى وانتهى لم ينصرف للمأمومين فانتظـره الوالد رحمه الله قليلًا، فلما تأخر قام إليه وحرفه وهـو مكانه بقوة حتى استقبـل الناس وقال: أنت خالفت السنة في شيئين قنت والقنـوت في الصلاة هو الإطالـة وليس الدعاء وهذا مذهـب الشافعي وأمره سهـل لكن مـا انصرفت ما وجهـت وجهك للمصلـين هذه سنـة الرسول إذا انصرف من صلاته استقبل النـاس بوجهه.

كان المصري عاميًّا، فما جادل وما تكلم وإنما انصرف وسكت.

ومـن أمثلـة غضبه رحمه الله: أن أحـد أبنائه إذا نام عـن الصلاة بعد أن أيقظـه، ثم رجع الوالـد رحمه الله من المسجد ووجده نائمًا يأخـذ برأسه وشعره يجره إليه وهو يعاتبه على نومه عن صلاة الجماعة.

وعـام ١٣٩٦هـ اشترى أحد إخوتـي - خلسة - جهاز تلفـاز، وأخفاه في غرفتـه، وكان حديث عهد بعرس، فكانت أخواتـي الصغيرات يتسللن لغرفته

---

(١) قناة «دليل».

ويجلســن مع زوجتــه؛ ليشاهدن التلفاز، فلما عرف الوالــد بذلك أخذ التلفاز وألقاه من سلم البيت (الدرج) حتى تهشم وفسد.

ويذكـر أحمـد ابن عمي محمد أنهـم كانوا في إحـدى الرحلات البرية وأطالوا البحث عن مكان فحدد الشيخ ساعة معينة وقال: إذا لم تجدوا مكانًا وقفنــا في مكاننا وفعلًا بعـد انتهاء الوقت فتح الباب ونــزل ومعه كتابه وقال: انزلوا هنا ولم يكن المكان جيدًا.

وقد ذكرنا أنه لا يحب التكلف في الطعام، وكان إذا دعي في أثناء رحلاته إلى طعــام الإفطار صباحًا أجاب الدعوة واشترط عدم التكلف، فإذا وجد أن مضيفــه قـد تكلف في الإفطار فذبح لــه شيئًا من بهيمة الأنعــام، فإنه يغضب ويمتنع عن الطعام تربية وتأديبًا للناس.

وكان رحمه الله يغضــب إذا انتُقص أحـد المشايـخ أو الدعــاة، ولا يرضى بذلــك، يحكــي الأخ سليمان أنه في إحـدى المرات حضر الوالــد مجلسًا لأحد المسؤولين، وكان فيه عدد من الزوار، وفيهم بعض المشايخ وطلبة العلم، ثم إن بعضهم أخذ يتكلم في بعض الدعاة ويسبهم، ويقولون: هؤلاء أفسدوا وضيعوا الأمة، ونحو ذلك.

ولمــا كثر اللغط في المجلــس، وكثر السب والشتم والانتقــاد، غضب الوالد رحمه الله وتكلم، فقال: هؤلاء الأشخاص الذين تكلموا في المشايخ والدعاة حسدة، فما حملهم على ذلك إلا الحسد، لما رأوا أن هؤلاء المشايخ والدعاة نفعوا، وأفادوا وذاع صيتهم وبرزوا حسدوهم، وأخذوا يتكلمون فيهم، ويصدون الناس عنهم.

فغضب هذا المسؤول من الوالد رحمه الله، وقال: في مجلسي تقول هذا الكلام، هؤلاء المشايخ فيهـم كذا وكذا، وأنت تدافع عنهم، فقال الوالد رحمه الله: نعم، أنا

أدافع عنهم، واحتد النقاش بينه وبين هذا المسؤول، ثم إن هذا المسؤول غضب فقام وغادر المجلس فغادر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا المجلس مغضبًا.

ولم يكن رَحِمَهُ اللَّهُ يغضب فينتقم لنفسه، بل كان يتسامح ويعفو عمن أغضبه أو انتقص منه، ولهذا لم يقطع زيارة هذا المسؤول، بل زاره بعد ذلك مرارًا.

ولما مرض الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ تأثر هذا المسؤول كثيرًا، وكان يتصل بنا ويسأل عن صحته.

ثم لما مات الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ اتصل بنا من خارج المملكة وفقه الله معزيًا، وقد بدا عليه الحزن على فراق الشيخ، فغفر الله له، وتجاوز عنه، ورحم الله الوالد رحمة واسعة.

والشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لتبسطه وعفويته يتكلم بكلام على سجيته، فيؤثر في نفوس بعض الناس جاءه مرة أحد السائلين الذين يكثرون سؤاله والتردد عليه والشيخ يعطيه كثيرًا، فقال له منشدًا لأبيات مشهورة:

ياعباس يأخينا... يا ثقيل الثقلاء

أنت في الصيف سموم... وجليد في الشتاء

أنت في الأرض ثقيل... وثقيل في السماء

ومن الأشياء التي يتداولها الناس عن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يصدق كل أحد، ولا يتثبت من الناس ويحسن الظن بهم كثيرًا مع أن فيهم الكاذب والمخادع، وهذه إن كان لها جوانب إيجابية كانت سببًا في حب الناس له واستفادتهم منه إلا أن لها جوانب سلبية أدت لزعزعة الثقة فيه لدى بعض التجار والمسؤولين الذين لا يعرفونه رَحِمَهُ اللَّهُ، وكنت أحدثه عن ذلك أول ما صحبته وبدأنا في ترتيب مكتب البيت، فيقول: نكتب لهم فإن قبلوا وإلا فنحن على أجر.

وكثيرًا ما حدثني الناس عن هـذه القضية وشكوا لي من ذلك ولم يكن لي جواب سوى أن هذا منهج الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وقد كلمه بعض المشايخ عنه لتغييره فلم يقتنع.

ولقد استفاد من هذه الخصلة كثير من الناس سواء من الأقارب أو من يحتكون به كثيرًا كبعض موظفي الإفتاء وبعض طلابه ومن يترددون عليه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فعاطفته رَحِمَهُ اللَّهُ قوية وقلبه رقيق سريع التأثر، فإذا كان أسلوب المتحدث مؤثرًا أثر فيه، فاستجاب له.

أذكر امرأة من جيراننا رأيتها تأتيه صباحًا وهو قادم من الدرس وكان وقتًا يقل فيه الناس فيقف معها عند الباب وتحدثه طويلًا وبعد مدة جرى الحديث مع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وذكر لي أمرها وعرفت أنه أعطاها مبالغ كثيرة فاستأذنته أن أبحث عنها، فسألت فتبين لي أنها بخير، وإنما تتكثر فأخبرته ولكن بعد فوات الأوان.

وقد قلبت بعض أوراقه بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ ورأيت منها دفترًا سجل فيه الديون التي على الناس ووجدت كثيرًا من الديون الميتة، بعضها له أكثر من عشرين سنة وعلى أناس لا نعرفهم بل هو رَحِمَهُ اللَّهُ لا يعرفهم وإنما رحمهم وصدقهم فأعطاهم، ولو أحصيتها لزادت على مليون ريال.

منها رجل بل رجال رهنوا بطاقات الأحوال عنده حتى صرف الراتب ومضت السنوات والبطاقات تنتظرهم، ومنها خطابات من موظفين وموظفات وعدوا بالتسديد تقسيطًا ولم يسددوا شيئًا.

ولقد ناداني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن انتكست حالته وقال لي: الأسلاف التي على الناس صدقة، فلا تشددوا عليهم في طلبها، وكأنه خشي أن نطالبهم ونضيق

عليهم، فأخبرت إخوتي بوصيته فطابت بها نفوسهم وقلنا: إن جاءت جعلناها في الصدقات.

وكان يتساهل رَحِمَهُ اللَّهُ في الشفاعات حتى إن رجلاً جاءه وطلب منه الشفاعة لدى الأمير سلمان في ابن له قبض عليه من قبل مكافحة المخدرات وذكر أنه بريء، فاتصل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وطلب من الأمير العفو عنه، ولما نظر الأمير للمعاملة ووجد فيها طوام، حيث وجد مع الشاب تسعين ألف حبة وله سوابق، فأرسل الأمير مدير مكتبه للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ومعه المعاملة برمتها ليقتنع، فلما رآها استغرب من عدم صدق هذا الرجل، هداه الله.

ولقد استغل بعض أهل الأهواء والمصالح هذه النقطة، فأخذوا منه فتاوى وتوقيعات كان لها آثار سلبية كما ذكرنا في دخوله في لجنة الحقوق الشرعية وفتواه في طالبان وغيرها.

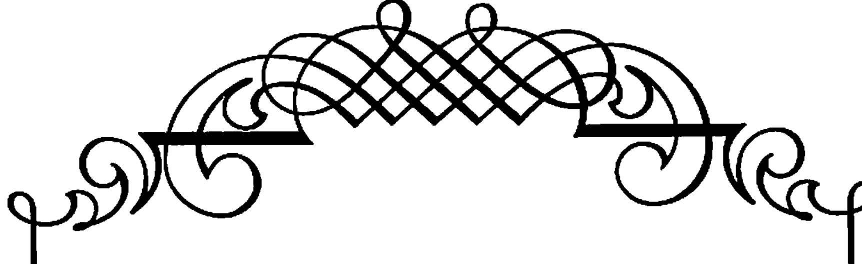
فهذه القضايا هي أكثر ما كنت أسمعه من الناس، والكامل من عدت هفواته، وأتمثل هنا بقول بعض البلغاء: «لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله، عيب تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد، ما بقيت، مهذبًا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب».

وما أحسن ما قال ابن الرومي:

هم الناس في الدنيا فلا بد من قذى ... يلم بعين أو يكدر مشربا

ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي الـ ... مهذب في الدنيا ولست المهذبا

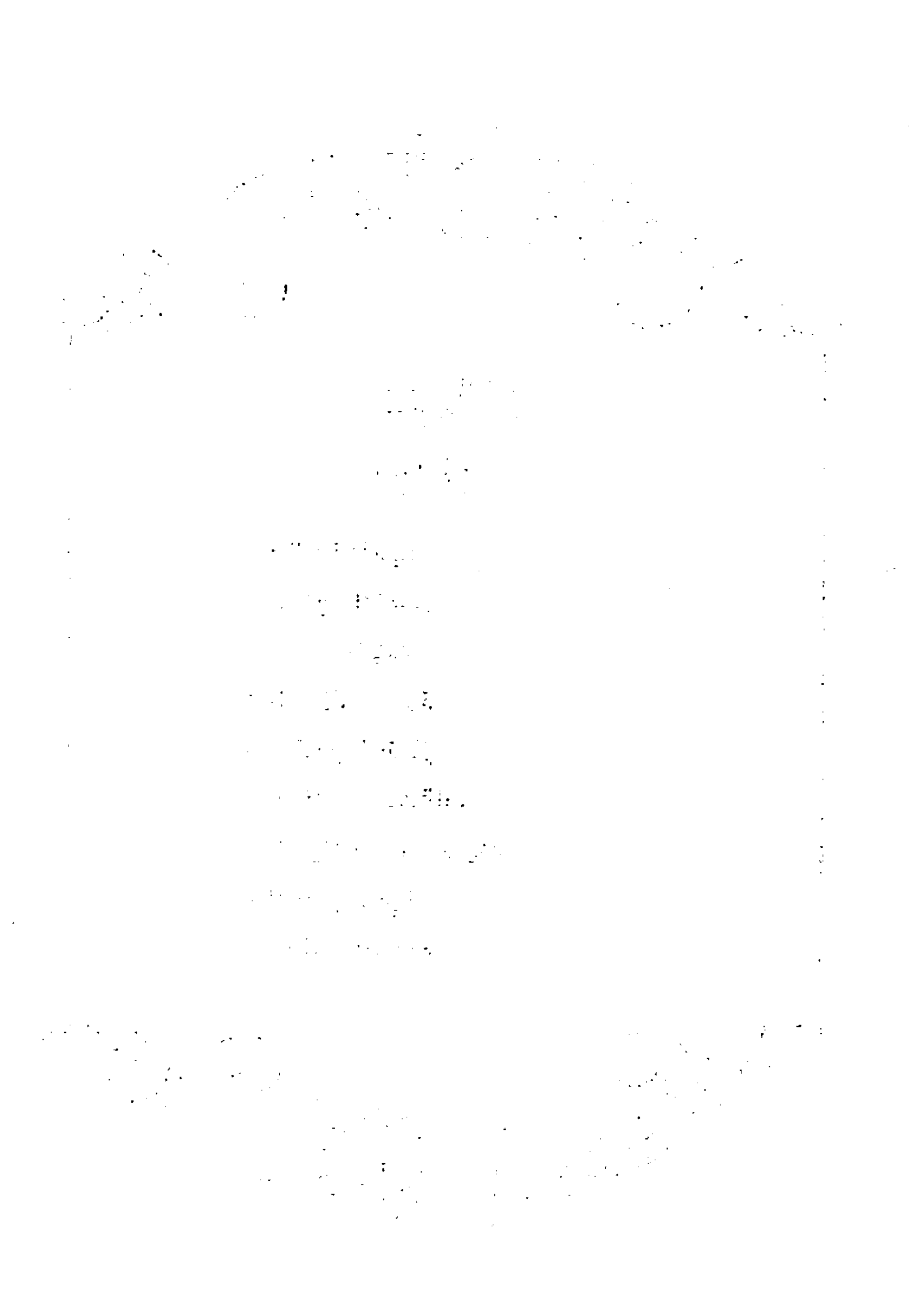




القِسْمُ الخامِسُ

العقيدة والعبادة

- عقيدة الشيخ
- مذهبه الفقهي
- العالم العابد
- الصلاة الصلاة
- حضور الجنائز
- الزكاة والصدقات
- الصيام وشهر الصيام
- الحج والعمرة
- الذكر والدعاء



العقيدة والعبادة

تعارف الباحثون والمشتغلون بالتراجم على ذكر عقيدة المترجم له ومذهبه الفقهي ولا شك أن هذا الأمر في مثل الوالد رحمه الله واضح للقريبين منه ولكن لأن هذه السيرة كتبت للتاريخ وللعالم دون تقييد بزمان ومكان، فيحسن ذكر طرف مما يتعلق بذلك.

عقيدة الشيخ

العقيدة الصحيحة هي العقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكل ما دل عليه الكتاب والسنة مما يتعلق بالعقيدة في الله أو يتعلق بالإيمان وأركانه ولواحق ذلك، فإنه يجب الإيمان به واعتقاده والعمل به، وكل ما لم يدل عليه كتاب ولا سنة يجب نفيه ورفضه والابتعاد عنه، فإن الأصل في ذلك التوقيف.

والشيخ الوالد رحمه الله كإخوته من علماء بلادنا حماها الله أنموذج لعقيدة السلف الصالح في التمسك بالعقيدة الصحيحة ونبذ البدع، والرد على المخالفين، تلقى عقيدته عن مشايخه، فقرأ وحفظ ما تيسر من كتب العقائد؛ كالواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وغيرها، وتلقى شروح كتبها من مشايخه الذين كانوا يفسرون غريبها، ويوضحون معانيها.

ثم صار رحمه الله من الدعاة للعقيدة الصحيحة والسنة النبوية، ومن المدافعين عنها بالدليل والأثر، دون غلو وإفراط أو تساهل وتفريط، فالمتتبع لدروسه ومحاضراته وفتاواه يعرف أنه كان على معتقد صحيح، بعيد عن الانحرافات والبدع والخرافات.

لقد كان في هذه الدروس والمحاضرات والفتاوى واللقاءات يبين معالم عقيدة أهل السنة والجماعة ولعلي أورد إحدى الفتاوى الجامعة التي ذكر فيها معظم مايتعلق بالعقيدة يقول رحمه الله[1]: «على المسلم أن يُصَدِّق بأن الله تعالى هو الرب الخالق المالك المتصرف، وهو المُنعم المُتفضل على عباده، وهو المُستحق لجميع أنواع العبادة من الذل، والخضوع، والدعاء، والاستغاثة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والركوع، والسجود، والرغبة، والرهبة، وغير ذلك، وهكذا عليه أن يصدق برسالة الرسل وصدقهم، وأن خاتمهم وآخرهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ وأن رسالته عامة لجميع الثقلين؛ وأن شرعته باقية إلى قيام الساعة، وعليه أن يصدق بما بعد الموت، وبالجزاء على الأعمال، وبالجنة والنار، وبكل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر من الجمع، والحشر، والحساب، والحوض، والميزان... إلخ.

وهكذا يؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وتنزيهه عن صفات النقص، والمرجع في ذلك إلى كتاب الله تعالى، وسُنة الرسول ﷺ، كما أن على المسلم التصديق بأن القرآن كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ وأن الله تولى حفظه، وأن محمدًا ﷺ قد بلغه وبينه، وأن الصحابة حفظوه ودونوه، وحفظوا السُنة وبلغوها، وأن على المسلم التصديق بأن الصحابة رضي الله عنهم هم خيرة هذه الأمة وصفوتها، وهم الأمناء على وحي الله وعلى شرعه، وأنهم نقلوا إلينا ما تحملوا عن النبي ﷺ قولًا وفعلًا، حتى وصل إلى هذا الزمان، وعلى المسلم الإيمان بما قدره الله وقضاه، مع العمل بالأسباب، وفعل ما أقدره الله عليه من الأعمال، وأن يعتقد أنه لا يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته، وبذلك تصح عقيدته».

---

(١) الفتوى رقم ٧٨٥٩.

أفنى عمره رحمه الله في تدريس العلم ونشر السنة وكان يهتم بتصحيح عقائد المسلمين، ولذلك يبدأ محاضراته وكلماته غالبًا بتوجيهات حول العقيدة؛ ويعتني في دروسه بعقائد طلابه.

وكان من الجهود القديمة له في نشر العقيدة وتعليمها رحلته إلى شمال المملكة عام ١٣٨١هـ مع عدد من المشايخ التي استغرقت أكثر من ثلاثة أشهر، وكان الهدف منها توعية الناس وتصحيح عقائدهم وتعليمهم أمور دينهم، وقد ذكر في هذه الرحلة ما لقوه من العجائب من المخالفات والأخطاء في العقائد وغيرها، بسبب الجهل وقلة العلم.

وعندما قام بالتدريس في معهد إمام الدعوة من عام ١٣٨١هـ إلى عام ١٣٩٥هـ كان مما درسه مقرر العقيدة والتوحيد إضافة إلى المواد الأخرى، وكان يلخص للطلاب بعض المتون؛ لأجل تسهيلها وتبسيطها على الطلاب، فقد وضع رحمه الله أسئلة وأجوبة على كتاب «لمعة الاعتقاد»، ووضع أسئلة وأجوبة على كتاب التوحيد، ولكنها فقدت ولم نعثر عليها.

ولما انتقل إلى كلية الشريعة وبدأت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تنظيم الأقسام العلمية ضم إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وكان يُدرِّس مقرر العقيدة كالتدمرية التي وضع عليها أسئلة زادت على الأربعمائة ودرس الطحاوية، وأشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تُقدم لقسم العقيدة، واشترك في مناقشة كثير منها، ولقد استمر رحمه الله في الإشراف والمناقشة حتى بعد انتقاله لدار الإفتاء إلى قبيل وفاته.

وقد قرأ عليه التلاميذ في المساجد كثيرًا من كتب العقائد المختصرة والمبسوطة؛ ككتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، ولمعة الاعتقاد، والفتوى

الحموية، وتجريد التوحيد للمقريزي وشروح الواسطية؛ للهراس، ولابن سلمان، ولابن رشيد، وشرح الطحاوية،، وشروح كتاب التوحيد، واعتقاد أهل السنة للالكائي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وحافظ الحكمي، وغيرهم ممن كتب في العقيدة، وغيرها، وطبع بعضها في حياته ولعل الله أن ييسر طبع الباقي ونحن جادون في ذلك.

وكانت طريقته رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح كتب العقائد أن يقرأ أحد الطلاب جملة من الكتاب، ثم يقوم رَحِمَهُ اللَّهُ بشرحها وتوضيحها.

وعندما يتكلم عن العقائد للعامة أو لصغار التلاميذ في المسجد أو في غيره، فإنه يسلك أسلوب التسهيل والتبسط، دون الدخول في التفاصيل التي قد تشوش عليهم، ولكن عندما يشرح للطلاب في دروسه المعتادة فإنه يفصل ويوضح ويبين، وينقل الأقوال والأدلة، ويناقش ويرجح، ونحو ذلك.

يقول الأخ علي أبو لوز: «سافرت مع الشيخ إلى محافظة المجاردة عام ١٤١٧هـ، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحرص على إلقاء كلمة تتعلق بالعقيدة يوميًا على أهل القرى هناك، كما أنه في خلال هذه الرحلة التي استغرقت أسبوعًا واحدًا، شَرَحَ ثلاثة الأصول، ومتن لمعة الاعتقاد».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يرد على أي مسألة فيها مخالفة للعقيدة، وخاصَّة إذا وقعت ممن ينتسب إلى الفرق الضالة كالروافض والصوفية وغيرهم، فيفند شبهاتهم بالدليل وله رسالة مطبوعة اسمها: الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق، وهي ردٌّ على رسالة لأحد علماء مصر أخطأ في بعض المسائل المتعلقة بالصفات وغيرها.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا ما يُسأل عن كتب العقائد التي يجب على المسلم قراءتها والاهتمام بها، فكان يقول: نوصي المسلم بقراءة كتب العقائد لأهل السنة من السلف الصالح، ومن ذلك ثم يعدد كتبًا كثيرة منها[1]: كتاب السنة للإمام أحمد برواية الإصطخري وكتاب السنة لعبدالله بن أحمد والسنة لابن أبي عاصم والسنة للبربهاري والإيمان لابن أبي شيبة والإيمان لابن منده والتوحيد لابن خزيمة والتوحيد لابن منده والإبانة لابن بطة والأسماء والصفات للبيهقي والاعتقاد له، والسنة للخلال وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي والشريعة للآجري والعقيدة الواسطية وشروحها: كالروضة، والتنبيهات، والكواشف. وكذا الفتوى الحموية، والرسالة التدمرية، واجتماع الجيوش الإسلامية، والكافية الشافية، والصواعق المرسلة، والصفدية، والتوسل والوسيلة، واقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ومفيد المستفيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، ومسائل الجاهلية، وعقيدة المسلمين للبليهي وتطهير الاعتقاد للصنعاني، ونحوها من كتب العقائد.

فهذه ملامح عامة عن عقيدته رَحِمَهُ اللَّهُ وبعض جهوده في خدمة هذه العقيدة.

مذهبه الفقهي

لم يكن الناس في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم يسلكون مذهبًا معينًا، بل كان العلماء يجتهدون لاستنباط الأحكام الشرعية، وغير المجتهدين يسألونهم فيما لا يعرفونه، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب ولا التزام بشخص معين.

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=6&book=16&toc=750&page=719&subid.

ثـم لما كان القـرن الرابـع الهجري وما بعـده، ظهر التمذهـب الفقهي واشتهرت مذاهب الأئمة الأربعة من بين المذاهب، وصار لكل مذهب فئام من الناس ينتحلونه.

واتفـق العلماء أن كل مـن اجتهد في فتواه وتحـرى الصواب فهذا حكم الله في حقـه ولو أخطأ، واتباعه إنما يسوغ في اجتهاده الموافق للصواب، ومتى اتضح أن الفتوى تخالف الدليل، وجب الرجوع إلى الحق، ولم يجز تقليده، ولو خالف ذلك المذهب؛ فإن الحق أحق أن يتبع[1].

ولقد كان الوالد رحمه الله ممن درس وتتلمذ على مشايخه الذين كانوا منتسبين إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكانوا لا يخرجون عنه غالبًا.

ولقـد اقتصر رحمه الله على هذا المذهب، وأكثر من قـراءة كتب الحنابلة وشروحهـا والتعليـق عليها، وفي التدريـس كانت عنايته كذلـك بكتب المذهب الحنبلي الوجيزة والوسيطة والمبسوطة.

ومعلـوم أن مذهـب الإمـام أحمـد رحمه الله هـو أوسـع المذاهـب؛ لكثرة الروايات فيه التي توافق المذاهب الأخرى غالبًا، فمن قرأ هذا المذهب وتوغل فيه أحاط بأكثر المذاهب.

وبالرغـم من تعمقـه رحمه الله في مذهب الإمام أحمـد وتدريسه له، فهو متوسـع في الاطـلاع على الحديث والأدلة، وأقوال الفقهـاء، وكان يربط بينها ويحلل، ثم يختار القول الصحيح، حتى لو خالف بعض آراء مشايخه، أو خالف المذهـب الحنبلي، أو خالف ما عليه الناس، فلم يكـن يرضي العامة أو يساير

(١) انظر شفاء العليل شرح منار السبيل للشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله (١/٦٥)، بتصرف يسير.

الواقـع ويسوغ للنـاسـ فعلهم، ولذلك فـإن فتواه يثق بها طلبـة العلم؛ لما فيها من القوة العلميـة، والجمع بين أقوال الفقهاء القدامى، مع دقة الفقه والفهم للمسائل المحدثة المعاصرة التي يكثر فيها الخلاف والنزاع[1].

وهـو رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن الاختلاف الواقـع بين الأئمة الأربعة سببه الاجتهاد في الوقائـع والحـوادث؛ لأن العـالم يفتي بما ظهر له، وقـد ثبت عن كل واحد منهـم الرجوع إلى الحـق، ونهوا عن تقليدهـم إذا اتضـح أن الدليل مخالفٌ لأقوالهـم، ولكـن بعضـ أتباعهم من المتأخريـن تعصبوا في التـزام المذهب، والتمسـك بمـا نص عليه مُتَّبَعوهم، حتى لو ثبت خطـؤه، وكان الواجب عليهم قبـول الحق والعمل بـه، والاعتذار عن إمامهم الـذي لم يبلغه الدليل فاجتهد برأيه، وله أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور، ولا يسوغ اتباعه في الخطأ[2].

العالم العابد

لعلـي أبدأ هـذا الموضوع بنص لأحد تلاميـذ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ومحبيه وهو الدكتـور إبراهيم بن صالح الخضيري عضـو المحكمة العليا في الرياض، فقد وصـف الوالـد بأنه حمامة مسجد وهو وصف يطلق على من كان كثير العبادة طويـل الملازمـة للمسجد يقول الشيخ إبراهيـم حَفِظَهُ اللَّهُ[3]: «الأمة الإسلامية فقدت بوفاة الشيخ عبدالله الجبرين عالمًا جليلًا ومؤرخًا كبيرًا ومحدثًا وفقيهًا في آن واحد، وعرفت الفقيد وأنا أدرس في المرحلة الابتدائية، وكنا نقطن حيًّا واحدًا وكان إمام مسجد الأمير ناصر بن عبدالعزيز في دخنة[4]، وكنت أتابعه

(١) عبدالله بن جبرين (الأسطورة المشاهدة) لخضر بن صالح بن سند .http://www.saaid.net/Minute/287.htm

(٢) انظر الفتاوى رقم (١١٣٩٠)، ورقم(٦٠٤٩)، للشيخ عبدالله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ على موقع الشيخ الرسمي على الشبكة العنكبوتية.

(٣) .http://www.aleqt.com/2009 /07 /14/article_252034.html

(٤) يريد مسجد آل حماد وكان بقرب بيت الأمير ناصر.

رَحِمَهُ اللَّهُ آنـذاك حيث كان له ارتباط وثيق بالمسجد الذي كان يجلس فيه كثيرًا، وكانت له اليد الطولى في المناصحة والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهو حمامة مسجد، إذ كان يمضـي جـل وقته في المسجـد، وكان ذا حافظة رائعة وبنـكًا معلوماتيًّا متحـركًا يمتلئ بالعطاءات الخيرة، رحم الله شيخنا عبدالله الجبرين وشمله الله بعفوه وغفرانه إنه ولي ذلك والقادر عليه».

فالعبـادة هـي روح العـالم وراحتـه وزاده وقوتـه، ولهـذا عرفهـا شيخ الإسـلام ابـن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بأنها اسـم جامع لكل ما يحبـه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء والذكر والقراءة، وحب الله ورسولـه، وخشية الله والإنابة إليه، والتوكل عليه وأمثال ذلك من العبادة لله[1].

وقد كانت حياة النبي ﷺ كلها عبادة، وكان ﷺ يتلذذ بالعبادة، فها هو يقـول ﷺ لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أرحنا بالصلاة يا بـلال»[2]، وكان ﷺ إذا حزبه أمر صلى[3].

وقد كان الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا على أداء العبادات بأنواعها؛ فهو حريص علـى أداء الفرائض، وحريص علـى أداء السنن والنوافل، فلا يترك سنة ثابتة عن النبي ﷺ قدر المستطاع، مهتديًا في ذلك بفعل السلف، فقد قال

(١) انظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٨).
(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم / ٢٣٠٨٨.
(٣) رواه أبو داود في باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل من كتاب الصلاة برقم / ١٣١٩ عن حذيفة، ورواه أيضًا أحمد في المسند برقم/ ٢٣٢٩٩.

عبدالرحمن بن مهدي: «سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به، ولو مرة»[1].

وقال الإمام أحمد: «ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به حتى مر بي في الحديث أن النبي ﷺ: «احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا»، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت»[2].

يقول أخي سليمان: رأيت الوالد رحمه الله يغتسل بين المغرب والعشاء في العشر الأواخر في رمضان، فسألته عن ذلك فذكر أنها سنة.

ولعله يعني ما أورده ابن رجب في لطائف المعارف[3] حينما تكلم عن سنن العشر الأواخر من رمضان، فقال: « منها: اغتساله بين العشاءين: وقد تقدم من حديث عائشة واغتسل بين الأذانين والمراد أذان المغرب والعشاء وروي من حديث علي أن النبي ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة يعني من العشر الأواخر وفي إسناده ضعف.... وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر».

لقد كان رحمه الله يحرص كل الحرص على تطبيق السنن والأخذ بالعزائم، مع كبر سنه وكثرة مشاغله، وكان يأتي بالسُّنة كاملة ولا يترك منها شيئًا.

لقد عرف عنه رحمه الله جلده في العبادة والطاعة، وكانت له مواقف عجيبة تدل على ذلك مع كبر سنّه، قدوته وأسوته نبينا محمد ﷺ، الذي قام من الليل حتى تفطرت قدماه، ثم يقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[4].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٦ /٦٢٩.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١٢/٢.
(٣) لطائف المعارف لابن رجب / ١٨٩ وقد نقل الوالد رحمه الله هذا في كتاب الصيام آداب وأحكام.
(٤) أخرجه البخاري في باب قيام النبي ﷺ الليل حتى تورم قدماه من كتاب الجمعة برقم/ ١١٣٠.

سوف أتطرق إلى شيء من حرص الوالد رَحِمَهُ اللهُ واهتمامه ببعض العبادات، كالصلاة، والزكاة والصدقات، والصيام، والحج، والأذكار والأدعية وغيرها، وذلك من خلال النقاط الآتية؛ ليعرف الشباب والدعاة أن العبادة ركن مهم في حياة طلاب العلم.

الصلاة الصلاة

لا شك أن للصلاة منزلة عظيمة في الإسلام، فهي عماد الدين كما قال ﷺ: «وعموده الصلاة»[1]، ولقد كان الوالد رَحِمَهُ اللهُ يحرص كل الحرص على أداء الصلاة، ويهتم بها مهما كانت حاله، حتى وهو في حال التعب الشديد أو المرض، ويتمثل قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم...»[2]، وكان يردد هذا الأثر ويستشهد به كثيرًا[3].

وسئل في إحدى المقابلات:[4] ماذا تعني لك الصلاة؟، فقال: «هي قرة العين وراحة البدن وسرور القلب وهي صلة بين العبد وربه وبها يأنس المسلم ويلقى فيها الاتصال بذكر ربه وعبادته فيجد بعدها نشاطًا في القلب والبدن».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم /٢٢٠١٦.

(٢) أخرجه مسلم في باب صلاة الجماعة من سنن الهدى من كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم /٦٥٤.

(٣) انظر الفتوى رقم /٢٠٩.

(٤) مقابلة مع إحدى نشرات المراكز الصيفية بتاريخ ١٥/٧/١٤٢٠ هـ.

ولهـذه الفضائل العظيمة للصلاة كان رَحِمَهُ اللَّهُ يقدمها على كل شيء، ولا يتأخر عنها مهما كان الأمر.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ معـه ساعة العصر قـد وضعها في جيبه الجانبي مخصصة لمعرفة وقت الصلاة؛ لتنبه قبل الوقت بعشر دقائق، وساعته المعتادة في الجيب الأمامي وهو جيب الساعة كما يسمى عند القدامى.

وكان يبكـر للمسجـد غالبًا، فبعـد انتهاء الأذان يتوجـه للمسجد، لكنه لا يقـوم حتى يفرغ المؤذن وينتهي من متابعته ويذكر أن ذلك ثابت عن العلماء ولعلـه يريد ما ذكره صاحـب المغني[1] عن الأثرم، قـال: «سمعت أبا عبدالله يسأل عن الرجل يقوم حين يسمع المؤذن مبادرًا يركع؟ فقال: يستحب أن يكون ركوعـه بعدما يفرغ المـؤذن، أو يقرب من الفراغ؛ لأنه يقال: إن الشيطان ينفر حين يسمع الأذان، فلا ينبغي أن يبادر بالقيام».

يقـول الأخ علي أبو لوز: كنت مـع الشيخ في رحلة إلى جنوب المملكة وكنّا نعـود للسكـن في ساعـة متأخرة بعد سلسلـة من المحاضـرات والدروس التي يؤديهـا الشيخ، وقد بـدا علينا التعـب والإرهاق، فأذهب للنـوم مباشرة، أما الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه يبقى مستيقظًا، يصلي ويقرأ ويصحح ويراجع بعض الكتب للتقديم لها؛ ومع كل هذا الجهد والتعب فقد كان الشيخ يوقظنا لصلاة الفجر عندما يؤذن المؤذن، ثم يذهب للمسجد.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في أحد لقاءاته متحدثًا عن التبكير للجمعة[2]: «عندما كنا في الريـن قبل أن أتولى الخطابـة كان الوالد يحثني على أن أتقدم قبل الأذان

---

(١) المغني لابن قدامة ١/٢١١.

(٢) قصتي في طلب العلم – جامع الصانع.

الأول بساعة أو بساعتين لقراءة القرآن، وكنت قد سمعت فضل الصلاة كما في قوله ﷺ: «من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرًا من ذهب في الجنة»[1]، فكنت أتقدم وأواظب على أن أصلي ست تسليمات، وأجد أيضًا أن الجماعة قد حضر أغلبهم في المسجد يعني: أنهم يحضرون قبل الأذان الأخير بنحو ساعة أو ساعة ونصف؛ مع العلم أن بعضهم يأتون على أرجلهم أو على حُمُرٍ مسيرة أربعة أو خمسة كيلو مترات.

وبعدما جئنا إلى الرياض كنّا غالبًا نصلي الجمعة في الجامع الكبير، الذي هو الآن جامع الإمام تركي؛ فكنا نصلي فيه أحيانًا صلاة الصبح، وبعد الصلاة يأتي أناس من أهل المساجد الأخرى يحجزون لهم أماكن، فيضعون سجادات أو عِصِيًّا ونحوها ثم يذهبون، فإذا قارب وسط النهار، أي: قُرْبَ الضحى بدؤوا يتوافدون ويلزمون أماكنهم، ويجلسون مدة ساعتين أو ثلاث ساعات قبل أن يأتي الخطيب، ما بين قراءة وصلاة ودعاء.

ويُذكر أيضًا أنه في مسجد دخنة الذي يتولى الخطابة فيه واحد من آل الشيخ وهو أخو الشيخ محمد بن إبراهيم واسمه عبد الله بن إبراهيم كانوا يفعلون الأمر نفسه، هكذا كانوا يتسابقون.

أما في هذه الأزمنة فقد عم الكسل، فصار يوم الجمعة كأنه يوم لهو ويوم تكاسل، فتدخل المسجد قبل الأذان الأخير بربع ساعة أو بخمس دقائق، ولا تجد فيه إلا قلة، وإنما يأتون بعدما يسمعون الأذان، وربما تفوتهم الخطبة الأولى، وهذا من المنكرات العظيمة، والله المستعان».

وقد ألف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في فضل التبكير إلى الصلوات.

---

(١) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في صلاة الضحى من أبواب الوتر برقم /٤٧٣.

وهـو رَحِمَهُ اللَّهُ حريص على الصـلاة في أول وقتها، يقـول الدكتور محمد ابـن عدنان السمان: «صحبته في الحج عام ١٤١٠هـ، وقد شدني جدًّا مواقف عجيبـة من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكنت أتعجب كثيرًا من تلك المواقف التي تدل على جلـده في العبادة والطاعة مع كبر سنه رَحِمَهُ اللَّهُ وأتذكر يوم أن انطلقنا من منى متجهـين إلى عرفـات، وبعد وصولنا نـزل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مـن الحافلة، ونزلنا معه، وكان وصولنا بعد أذان الظهر، فلما وصلنا إلى المخيم كان أول ما أمرنا به أن نستعد للصلاة، فصلينا الظهر والعصر».

ومـع أنه يسهر في بعض الليـالي إلى وقت متأخر، ولكن صلاة الفجر لا تفوته، ونجده لا يفارق الصف الأول غالبًا في جماعة المسجد.

يذكـر الشيخ أحمـد المهنا[1] أنـه كان مع الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في السيارة في الرياضـ، ففاتتهـم تكبيرة الإحرام فأخذ يتضجـر ويلومه: لماذا لم تقف عند أول مسجـد؟، وهذا بعذر شرعـي؛ لأن طرق الرياض مليئـة بالزحام، فربما يؤذن ولا تصل للمسجد بسهولة.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحـب أن يذهب إلى المسجد ويعود منه ماشيًا، حتى لو كان المسجد بعيدًا، فقد كانت دروسه في مسجد الشيخ عبدالله الراجحي وهو يبعد عـن بيته نصف كيلو متر، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يمشـي إليه في الفجر لوجود السعة في الوقت، ويحب أن يمشي وعليه السكينة والوقار، مقاربًا خطاه، تطبيقًا للسنة، وإذا رأى من يسرع وجهه ونبهه.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحـب الصـلاة الطويلـة، فقـد كان بجـوار البيـت عدد من المساجـد، فـكان يصلـي الأوقـات الجهرية إذا لم يكـن عنده دروس في مسجد

---

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.



البرغش الذي يصلي فيه الشيخ عثمان الشعلان، وكان الإمام يطيل القراءة جدًّا في معظم الصلوات الجهرية، ويصلي معه ظهر الخميس؛ لأنه كان يطيلها جدًّا.

يقول الشيخ محمد حسان[1]: «لا أنسى كلمته لي حين كنت أتقدم لأصلي بهم صلاة المغرب والعشاء في بعض الدروس، وفي يوم ما بعدما صليت المغرب قال لي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: أطل أطل؛ فإنا نحب أن نسمع هذه التلاوة، وكان الشيخ رقيقًا بكاءً».

وأمراض الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ التي تمنع من صلاة الجماعة نادرة، فقد نوم في المستشفى مرات قليلة، وكان يصلي مع الجماعة، حتى لو شق عليه ذلك، وفي المرض الذي توفي فيه، حينما اكتشف الأطباء مشكلة القلب منعوه من التحرك من السرير، فلما جاء وقت الظهر هم بالنزول؛ ليتوضأ ويصلي فمنعه الطبيب وقال له: أنتم تقولون يجب العمل بقول الطبيب المسلم وأنا حرصًا على صحتك آمرك بالتيمم والصلاة على السرير، وكان السرير ليس في اتجاه القبلة، فأمرهم ووجهوه للقبلة حتى يصلي.

وكنت معه في ليلة العملية وكان المغذي في يده، فكان يذهب للحمام ويتوضأ وضوءًا كاملًا ويصلي واقفًا، حتى إنه سقط في تلك الليلة وهو ذاهب للحمام.

وكان يحرص على صلاة الجمعة ويصليها ولو كان مسافراً أو وافقت صلاة عيد لأنه يرى أنها لا تسقط بصلاة العيد.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحرص على كل ما يكمل الصلاة المفروضة من النوافل كقيام الليل والرواتب وصلاة الضحى وغيرها من الصلوات.

---

(١) محمد حسان قناة «الرحمة».

فقد صحبته رحمه الله ثلاث عشرة سنة كنت فيها كظله وكنت أجلس لانتظاره في المسجد بعد صلاة الظهر حتى يخرج الناس، وهو لا يزال يصلي ويطيل في القراءة والركوع والسجود والدعاء.

ويذكر الشيخ أحمد المهنا[1] أن صلاة الشيخ للسنن الرواتب ليست كصلاتنا، كثير منا يصلي السنة الراتبة فيقرأ من قصار السور، لكن الشيخ يقرأ من حزبه، تصل صلاته إلى عشر دقائق في السنة القبلية أو البعدية.

وكان عبدالرحمن ابن العم ناصر مع الوالد في سفر إلى مكة المكرمة، فحدثني قائلًا: «عندما وصلنا أدينا العمرة ونمنا في وقت متأخر من الليل، ثم إنني قمت قبل الفجر بساعة تقريبًا، فرأيت الشيخ يتوضأ، ثم راقبته دون أن يشعر فرأيته قد أخذ السجادة وجلس يصلي عليها، ثم استغرقت في النوم، وقبل الفجر بقليل قمت للصلاة فرأيت الشيخ جالسًا على السجادة يردد الأذكار، فلما أذن الفجر ذهب للحرم، ثم صلى الراتبة والفجر وجلس حتى الإشراق، ثم قام وصلى ركعتي الإشراق، وانصرف للشقة».

ومن النوافل التي كان يهتم بها رحمه الله ويحب الإطالة فيها: صلاة التراويح في رمضان، حتى إنه كان يقول: «إن صلاة التراويح قديمًا كانت أطول من الآن، ولم يكن الناس يتضجرون أو يتضايقون؛ بل يحضر الجميع ويؤدي الصلاة مهما كانت طويلة»[2].

ويقول رحمه الله[3]: «في سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٦٧هـ) التي أكملت فيها حفظ القرآن، أمرني الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب أن أصلي

---

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.
(٢) لقاء معه رحمه الله في برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».
(٣) برنامج «صفحات من حياتي، الحلقة ٢».

بالناس صلاة التروايح في مسجد في الرين، فكنت أصلي لهم من حفظي وأطيل الصلاة، ولم يكن هناك كهرباء ولا سُرُج، حتى إني في العشر الأواخر قاربت أن أختم بهم ختمتين، والناس يتحملون ويصبرون، ولا يتململون».

ويقول أيضًا[1]: «وفي سنة من السنوات سافر الوالد إلى الرياض، وطلب أن أصلي بالجماعة التروايح والقيام بدلًا منه، فصليت بهم العشر الأواخر، وقد ختمت بهم الختمة الأولى، وفي الختمة الثانية لم يبقَ عليّ إلّا جزء ونصف أو جزء وثلث.

ومع طول هذه الصلاة لم نكن نفقد أحدًا من المواطنين، لا في القيام الأول ولا في القيام الثاني؛ بل إنهم جميعًا يصلون طوال الليل».

تقول أختي هيا: «في رمضان يصلي القيام في مسجد قريب عند بيتنا وكان إمامه يطيل الصلاة حتى قبيل الفجر، فكان يصليها رحمه الله كاملة وهو واقف مع كبر سنه، ويكون قريبًا من الإمام يفتح عليه بالآيات إذا نسي، فكنا نسمع صوته وهو يرد على الإمام إذا أخطأ»[2].

يقول الشيخ أحمد المهنا[3]: «مرة من المرات في صلاة التراويح وفي سفر ومحاضرة بعد صلاة التراويح قدمني هذا الإمام للصلاة بالناس وحصل عندي نوع من الخوف والرهبة أن أصلي والشيخ خلفي، فقرأت نصف جزء ولما انتهينا من الصلاة التفت علي الشيخ قال: ما هذه الصلاة؟ قرأت نصف جزء، هذه صلاة؟ فقلت: كم تريد أن أصلي؟، قال: على الأقل جزء أو جزء ونصف».

---

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».
(٢) من مذكرات أختي هيا.
(٣) لقاء بعنوان: الإمام الراحل.

وفي رمضان كان كثير من أئمة المساجد يطلبون من الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة بعد صلاة التراويح، وكنا ننظم سنويًّا جدولًا بذلك لمدة أربعة عشر يومًا؛ لأن الوالد يذهب في اليوم الخامس عشر إلى مكة المكرمة، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحثهم جميعًا على القراءة الطويلة والتأني في الركوع والسجود.

ومن المواقف اللطيفة: أن الشيخ فهد الغراب إمام جامع شيخ الإسلام ابن تيمية طلب من الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة، فقال الوالد: إن كنت ستصلي ثلاث عشرة ركعة كما ثبت عن ابن عباس[1] صليت معكم، فقال الشيخ فهد - وهذا من كمال أدبه - أصلي ثلاث عشرة ركعة.

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحب الصلاة الطويلة في قراءتها وأركانها الأخرى، ويذكر عمن عاصرهم في حياته الأولى مثل ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كان الشيخ أبو حبيب يصلي بنا في الرين صلاة التراويح يقرأ من حفظه وليس هناك كهرباء في المسجد فيصلون في السرحة؛ لأن جوها بارد، ويستغرق في الصلاة ساعة ونصفًا تقريبًا، بما في ذلك الوتر والقنوت، وكنّا نصلي ثلاثًا وعشرين ركعة، نقرأ فيها جزءًا وربع الجزء، وكنا نختم ليلة إحدى وعشرين ختمة، ثم يستمر في القراءة، فيقرأ كل ليلة خمسة أجزاء فيختم في ليلة سبع وعشرين، بحيث تقسم الخمسة أجزاء على التراويح والقيام».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «كان الشيخ عبد العزيز الشثري أبو حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصلي في رمضان في العشر الأواخر ثلاث مرات، وكذلك الوالد كان يصلي بذلك المسجد الذي يقال له مسجد آل جليغم وهو الذي صليت به أنا، كان الوالد يختم في الشهر ختمتين ونصفًا، فأتذكر أنه كان يطيل حيث إنه مرة لما أقبل

---

(١) أخرجه البخاري في باب: إذا قام الرجل عن يسار الإمام، فحوله الإمام إلى يمينه، لم تفسد صلاتهما من كتاب الأذان برقم /٦٩٨.

(٢) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٣) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

علـى الختمة في ليلة ست وعشرين قرأ في أربع ركعات أربعة أجزاء، جزء «قد سمـع الله» في ركعة وجزء «تبـارك» في ركعة وجزء «عـم» في ركعة وقرأ جزءًا آخـر من سـورة البقرة في ركعة، كل ذلك من حفظه، وكان يطيل الأركان التي هـي الركوع والسجود، فكان يقـرأ كل ليلة من ستة أجـزاء ونصف إلى سبعة أجـزاء، فيصلون أول الليـل خمس تسليمات، أي: عشر ركعات، يقرؤون في كل ركعـة ثُمُنًـا، أي: يقرؤون في العشـر ركعات جزءًا وربعًا، ثـم يستريحون نحوًا مـن ساعتـين إن كان الليل طويلًا، أو ساعـة إن كان الليل قصـيرًا، ثم يأتون ويصلون أربع ركعات ويسمونها الأربع، وهذه يطيلونها بحيث تستغرق ساعتين أو ساعتين إلّا ربعًا.

ثـم يستريحـون ولا ينامون، فيجلسـون في أحد المجالـس يشربون الشاي والقهوة ثم يرجعون ويصلون ثلاث تسليمات، أي: ست ركعات ثم يتبعوها بالشفع والوتـر، وتستغرق ساعتـين أو أكثر، وكانوا بعـد التسليمة الثانيـة يستريحون، فيقـرأ عليهم أحـد القراء من أحد الكتب، أو يذكرهـم بشيء من المواعظ لمدة ربع ساعة، ويشربون خلالها الشاي والقهوة؛ ليتنشطوا بها على العبادة، وهكذا ينتهون من ذلك قبل الأذان الأول، ثم يذهبون لتناول طعام السحور ونحو ذلك، ومـع ذلك فإن المواطنـين كلهم يصلون لا نفقد منهم أحـدًا إلا صغار الأسنان، حتى النساء لهن صفوف خلف المصلين في مكان هابط».

وقـال رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أتذكر العـم سعد[2] في محيرقة عندمـا كان يقرأ في صـلاة التراويح من المصحف على سراج؛ لأنـه لم يكن يحفظ القرآن كاملًا، وكان يقـرأ كل ليلة جزءًا وربع الجـزء، وذات مرة كان الوالد موجودًا، فقدمه

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٢) سعد بن عبدالله المعروف بالمطوع درس عليه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في محيرقة.

ليصلـي بالجماعة التراويح؛ لأنه حافظ للقرآن، فقـرأ في الليلة الأولى ولكنه لم يقـرأ من أول القرآن؛ لأنه ظن أنه سيصلي بهم هذه الليلة فقط، ولما كانت الليلة الثانيـة ورأى أنهم ألزموه بالصلاة ابتدأ في القراءة من أول المصحف، وكان يقـرأ كل ليلـة جزءًا ونصفًا إلى أن أكمل خمسـة أيام لكي يعوض قراءة الليلـة الأولى، ثم بعد ذلك كان يقـرأ كل ليلة جزءًا وربع الجزء، واستمر على ذلـك حتى وصل إلى سورة الكهف، وبعدها سافـر إلى الرين، وبقينا نحن في محيرقة.

ثـم أكمـل العـم سعـد وكان كل ليلـة يقرأ جـزءًا وربع الجـزء، هذا في العشريـن الأولى، أما في العشر الأواخر فكانوا يقرؤون كل ليلة من خمسة إلى ستة أجزاء».

وليس هذا الأمر خاصًّـا بالقرى، بل حتى في الرياض ينقل الوالد عن جـدي رحمه الله قولـه[1]: «صليت ذات مرة مـع أحد الأئمـة في الرياض قديمًا وكان يصلي خلفه سبعة صفوف، وبعد أن صلينا تسليمتين قام رجل، فتقدمت مكانـه ثـم بعد تسليمه قام رجـل آخر وتقدمت مكانه حتـى صرت في الصف الثالث أو الرابع، وكانوا يصلون ثلاثًا وعشرين ركعة، واستمروا على ذلك ولم ينقصوا من هذا العدد».

وقـال رحمه الله[2]: «كنت أحيانًـا أصلي في المسجد الذي يصلي فيه الشيخ محمـد بن إبراهيم رحمه الله، وكان يصلي بهم شيخ من آل عتيق، عُيِّن بعد ذلك قاضيًا في نجران، وكان يصلي التراويح في العشرين الأولى من رمضان ثلاثًا وعشرين ركعة، والشيخ خلفه قائم يصلي.

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٢) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

فـإذا دخلت العشر الأواخـر كان يصلي بهم التراويح، ثـم يصلي أربع ركعـات يطيـل فيها، حيث يقرأ فيها نحـوًا من جزأين، فإذا جـاء آخر الليل، أي: قبـل الفجر بساعتين ونصف أو ثلاث ساعـات اجتمعوا فصلوا تسليمتين طويلتـين، أي: أربع ركعـات، ثم يجلسون بعدها يستريحـون تقريبًا ربع ساعة يشربون فيها الشاي والقهوة التي أحضرت من بيت الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ويقـرأ عليهـم من أحـد الكتب بعضـ الفوائـد والأحكام التـي تتعلق برمضان وغيره، ثم يقوم ويكمل بهم، هكذا كانت تراويحهم وقيامهم».

وقـال رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «في سنـة أربـع وسبعـين وثلاثمائـة وألـف للهجـرة (١٣٧٤هـ) كنت أقيم في الرياض بعض الوقت، وقد دخل علينا رمضان ونحن في الرياضـ، ثم عزمنا على أن نذهب إلى الرين بصحبة معالي الشيخ ناصر أبـو حبيب، وبعد أن صلينـا العشاء أردنا أن نشتري مـن السوق فاكهة نتحف بهـا أهل الرين، فنظرنا في الأسواق التـي في المقيبرة والبطحاء وغيرها فإذا كلهـم قد أغلقوا محالّهم، ولم نجد متجرًا واحـدًا فاتحًا؛ لأنهم كلهم يصلون التراويـح والقيـام، ولهذا لم نستطـع أن نشتري شيئًا، وقـد كانت الفاكهة في الرين عزيزة لا توجد إلا إذا جُلبت من الرياض، وقد كانت المساجد تمتلئ في صلاة الفجر والمغرب والتراويح بالمصلين، ويكون عدد المصلين فيها ضِعْفَ ما كانت عليه قبل رمضان مرتين أو ثلاث مرات».

وأمـا صـلاة الليـل فإن جيلـه رَحِمَهُ اللَّهُ ممن عودهـم أهلوهـم على هذه الصـلاة، يقـول الشيخ محمد المنجد[2]: «أخبرني بأنه قـام فجأة قبل الفجر ليجـد أباه في آخر سورة آل عمران، فتعجب كيـف قطع البقرة وآل عمران في

(١) برنامج أسرة واحدة في قناة «المجد».

(٢) رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد.

هذا الوقت القصير نسبيًا، وكان أبوه يقوم ساعتين، ويقيم أولاده قبل الفجر بنصف ساعة؛ لينالوا نصيبهم من الليل».

كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا تكاد تفوته صلاة الليل حضرًا أو سفرًا، ويذكر طلابه ومرافقوه في الأسفار أنه كان يصلي الليل ولو كان السفر شاقًا.

يقول الشيخ أحمد المهنا[1]: «أحيانًا لا نصل مقر السكن إلا الساعة الواحدة والربع وأذان الفجر الساعة الرابعة ولديه درس بعد صلاة الفجر، فأراقب الشيخ أحيانًا، وأفتح الباب فأجده قائمًا يصلي، ويوقظنا لصلاة الفجر قبل أذان الفجر بنصف ساعة غالبًا، فكان رحمة الله عليه يقوم من الليل قيامًا لا يصفه أحد».

ويذكر الأخ عبد الله الحوطي[2] رحلته معه إلى المجاردة، فيقول: «في يوم من أيام الرحلة ذهبنا إلى إحدى القرى ليلقي فضيلته محاضرة في إحدى المدارس، وكانت تبعد عن مقر إقامة الشيخ ما يزيد على أربعين كيلو مترًا، وكان معظم الطريق وعرًا جدًا، فشد انتباهي لما عدنا إلى مقر إقامة الشيخ عند الساعة الثانية عشرة ليلًا أن الشيخ جلس في غرفته يتابع القراءة في الكتاب الذي كان يقرأ فيه من بداية رحلته، مع أنه كان مرهقًا إرهاقًا شديدًا بسبب الجهد الذي بذله في ذلك اليوم، وبعد ذلك توقف عن القراءة وشرع في صلاة التهجد، وكان الوقت نحو الساعة الثانية ليلًا».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحرص على الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر، فإن كان عنده درس اشتغل به وإلا اشتغل بالذكر وقراءة القرآن حتى ترتفع الشمس ثم يصلي ركعتين أو أربعًا قبل خروجه.

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٢) جريدة عكاظ الخميس١٤/٠٨/١٤٣٠ هـ، ٦ أغسطس ٢٠٠٩م، العدد: ٢٩٧٢.



ويحرص رحمه الله على الصلوات ذوات الأسباب كالكسوف والخسوف والاستسقاء ونحوها.

ومن حرصه عليها أنه كلما صدر بيان من الديوان الملكي عن صلاة الاستسقاء حث طلابه عليها وتكلم على فضل صلاة الاستسقاء والحضور لها[1].

وتخلف الإمام في صلاة الاستسقاء مرة فتلفت الناس فرأوه، فأشاروا إليه فتقدم فصلى ثم خطب خطبة عصماء لو أعدها في شهر لقيل: ما أحسنها.

وأما صلاة العيد فقد ذكرت أن الوالد رحمه الله يقضي النصف الأخير من رمضان في مكة المكرمة وقد عودنا رحمه الله أنه يصلي العيد في مكة المكرمة إذا كان شهر رمضان ناقصًا، ويصلي التراويح في الحرم إذا اكتمل، ثم يسافر من الغد.

وسأذكر بالتفصيل حاله وأعماله في العيد، ولكن بالنسبة إلى صلاة العيد فإنه إن لم يصلِّ في الحرم فإنه يصلي في محيرقة ونادرًا ما يصلي في غيرها؛ لأنه تعود الصلاة فيها منذ صغره، ولأن فيها أخواله آل مسهر، وكثير من جماعتنا آل جبرين.

ومن الفوائد التي سمعتها منه أنه يختار أن يقول بين كل تكبيرتين من تكبيرات العيد والاستسقاء: «الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا» ويعلل بأن الصلاة ليس فيها سكوت، وهذا جامع لأنواع الذكر؛ ففيه التكبير وفيه التسبيح وفيه التحميد، وفيه الصلاة على النبي ﷺ. فجمع أنواع الذكر المطلوبة، هذا هو السبب في اختياره.

---

(١) لقاء للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

هذه بعض المعالم من حاله مع الصلاة وكان كثير الحث عليها والترغيب فيهـا وعلى الأخص ينبه على الخشوع فيها والخضوع لله جل وعلا، ويحب أن يقرأ كثيرًا أول سورة المؤمنون.

حضور الجنائز

هـذا الموضوع لصيـق الصلة بموضوع الصلاة، وإنمـا أفردته لما له من حضـور في حيـاة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فقد عـرف عنه حرصه علـى حضور الجنائز والصـلاة عليها واتباعها وحضور دفنها والدعاء للميت على قبره، يفعل ذلك مهتديًـا بقول النبي ﷺ: **«مـن شهد الجنازة حتى يُصلـى عليها فله قيراط، ومـن شهدهـا حتـى تدفن فله قيراطـان، قيل: وما القيراطـان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين»**[1].

واشتهـر عنـه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يصلـي على الجنائز باستمـرار في جامع الأمـير عبدالله بـن محمد بحي عتيقـة، وجامع الراجحي بحـي الربوة، وأنه يحرص على حضـور جنائز المشايـخ والعلماء والدعاة مـن مشايخه وأقرانه وطلابـه وذوي طلابه وغيرهم من الأقارب والأصدقاء[2]، كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحضر جنائزهم ويشيع الجنازة حتى تدفن، حتى في شدّة الحرّ في الصيف الحارق.

يقـول الشيخ علي بن حسين فقيهي[3]: «لم أحضر جنازة لعالم أو داعية أو وجيـه إلا وأرى الشيـخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعـالى في مقدمـة المصلين وأمـام المشيعين ومتصدرًا للمعزين».

---

(١) أخرجه البخاري في باب من انتظر حتى تدفن من كتاب الجنائز برقم /١٣٢٥.

(٢) خالد الحيان جريدة الجزيرة http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm.

(٣) علي بن حسين فقيهي من مذكراتي: أيام مع ابن جبرين http://majles.alukah.net/showthread.php?p=325483.

ويقـول الشيخ أحمـد المهنـا[1]: «أي طالب من طلاب الشيـخ يتوفى له قريب ترى الشيخ يصلي عليه ويحضر في المقبرة».

ويقـول الشيـخ محمد المنجـد[2]: «كان عجبًا في زيـارة المرضى وشهود الجنائز ولما سمـع بوفاة جدي رحمه الله جاء بنفسه وطلبت منه أن يصلي إمامًا عليـه، فصلى عليـه وكان لها في نفسي أثر كبير؛ لأن إتيـان الشيخ إلى جنازة أقـارب تلميذ من تلاميذه ممـا يؤثر كثيرًا في نفس الطالب فيحب شيخه على هذا الاهتمام».

ويقـول الشيـخ عبدالواحد بن الشيـخ حمد المزروع: «في جنـازة والدي رحمه الله قبل ثلاث سنوات حرص رحمه الله أن يحضر الصلاة عليه؛ لما كان بينهما من علاقة أخوية قوية، وكان ذلك في جامع الراجحي في الربوة بالرياض، ولما حضرت صلاة الجنازة بعد العصر يوم الخميس ٢٦/٥/١٤٢٧هـ تقدم شيخنا ابـن جبرين رحمه الله وصلـى على الجنائز إمامًا وكـبر رحمه الله خمس تكبيرات لوجود طفل مع الجنائز وكان ذلك تعليمًا بالتطبيق العملي في هذه المسألة».

وكان رحمه الله يقـف على قبر الميت بعد دفنه يدعـو له بالمغفرة والرحمة، واضعًا نصـب عينيه قول النبي ﷺ: «استغفروا لأخيكـم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»[3].

---

(١) خطبة للشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

(٢) محمد المنجد قناة «الرحمة» حلقة في رثاء ابن جبرين.

(٣) أخرجه أبو داود في باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف من كتاب الجنائز برقم/٣٢٢١.

ولقـد شوهد عندما دفن شيخه العلامـة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وهو واقـف على قبره بعد أن دفن وذهب جميع الناس، فبقي واقفًا على قبره يدعو له ودموعه تنهمر على خديه.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يرى جواز الموعظة عند القبر أحيانًا، كما ذكر ذلك في بعض فتاواه[1]؛ فقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تشرع الموعظة والتذكير عند الدفن في المقبرة؟

فأجاب: نعم، يشرع ذلك، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما جيء بالميت ولما يلحد لـه، جلس وجلسوا حولـه، فأخذ يقص عليهم عذاب القـبر ونعيمه في حديث طويـل مشهور[2]، ولأن الموضوع يناسب فيه ذكر الموت وما بعده، والحاضرون يشاهـدون القبور، ومعهم هـذا المتوفى، فهم في حاجـة إلى ما يرقق القلوب، ويذكـر بالآخـرة، ويزهد في الدنيـا، فالتذكير يؤثر عليهم غالبًـا، وقد ذكروا عن بعض السلف أنه حضر جنازة تدفن، فأبصر بعض الحاضرين يهرب من الشمس والغبار، فأنشد قوله:

من كان حين تصيب الشمس جبهته	أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته	فسوف يسكن يومًا راغمًا جدثا
قفراء موحشة غبراء مظلمة	يطيل تحت الثرى في غمها اللبثا
تجهـزي بجـهـاز تبلغيـن به	يانفس، قبل الردى لم تخلقي عبثا[3]

وللوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ موعظة أسبوعية قبل صلاة الظهـر من يوم الثلاثاء في جامع الأمير عبدالله بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في عتيقة بالرياض وهو جامع يصلى فيه

(١) الفتوى رقم ٥٥ من كتاب «الكنز الثمين» ورابطها في موقع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ .http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=6&book=67&page=3597

(٢) أخرجه أبوداود في باب في المسألة في القبر وعذاب القبر من كتاب السنة من سننه برقم/ ٤٧٥٣.

(٣) لطائف المعارف ١/ ٢٤٧ (المكتبة الشاملة).

على الجنائز ويكثر المصلون لأجل ذلك وغالب مواعظه فيه تتعلق بالاستعداد للموت وما بعده من أهوال القبور والبعث والنشور.

وكان أئمة المساجد يقدمونه ليصلي على الجنازة في المساجد التي يصلى عليها في الجنائز، كجامع الأمير عبدالله بن محمد رحمه الله، وجامع الشيخ سليمان الراجحي، وجامع الملك خالد رحمه الله في أم الحمام، وكان إذا صلى على جنازة لعالم أو فاضل أو عزيز عليه أو كان في الجنائز أطفال كبر خمس تكبيرات.

يقول رحمه الله في شرح الروض المربع[1] عن هذا الموضوع: «التكبير على الجنازة اختلف في عدده؛ المشهور أنه أربع تكبيرات، وروي خمس تكبيرات وروي ست، ولا إنكار على من زاد؛ حيث إن بعض الصحابة صلى على رجل وكبر عليه ستًا، وقال: إنه بدري يعني من أهل بدر[2]، وصلى بعضهم بخمس تكبيرات، وقال: إن رسول الله ﷺ كان يكبرها[3].... ولعله ﷺ كان يكبر أحيانًا خمسًا وأحيانًا ستًا، ولكن الأغلب والأكثر الاقتصار على أربع، فإذا زاد الإمام خامسة فلا ينكر عليه.

فإذا كبر خمسًا فإنه يجعل الدعاء العام، وهو: اللهم، اغفر لحينا وميتنا، اللهم، من أحييته منا فأحيه على الإسلام، بعد تكبيرة، والدعاء الخاص: اللهم، اغفر له وارحمه بعد تكبيرة، وإذا كبر ستًا فإنه يدعو بعد

(١) موقع الشيخ رحمه الله.
http://ibn-jebreen.com/book.php?cat=7&book=77&toc=4779&page=4297&subid=32958

(٢) روى الطبراني في المعجم الكبير في باب السين برقم/٥٥٤٦: أن عليا رضي الله عنه صلى على سهل بن حنيف، فكبر عليه ستا، ثم التفت إلينا فقال: «إنه بدري».

(٣) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبر على جنائزنا أربعًا، وإنه كبر على جنازة خمسًا، فسألته، فقال: «كان رسول الله ﷺ يكبرها» انظره في باب الصلاة على القبر من كتاب الجنائز برقم /٩٥٧.

الخامسة بقوله: اللهم، لا تحرمنا أجره إلى آخره، ولا يدعو بعد السادسة، بل يقف قليلًا ثم يسلم».

يقول الأخ عبدالله الحوطي: ولما علم الشيخ صالح الأطرم رحمه الله بذلك جاء إلى الشيخ عبدالله بن جبرين في مكتبه، وراجعه في ذلك، فرد عليه الشيخ قائلًا: أما قرأت قول عبدالرحمن بن أبي ليلى: «كان زيد بن أرقم يُكبِّر على جنائزنا أربعًا، وإنَّه كبَّر على جنازة خمسًا، فسألته، فقال: كان رسول الله ﷺ يكبرها، وأيضًا أنه كبر ستًّا وسبعًا في أكثر من رواية، وثبت عن النبي ﷺ أنه كبر تسعًا على حمزة، وغيرها من الآثار الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم.

ثم قال الشيخ بعد إيراد هذه الأدلة: ولهذا فإن الزيادة على أربع تكبيرات ثابتة في السنة، فلا بد أن نعمل بها أحيانًا لإحياء السنة؛ فإذا لم نحي نحن السنة فمن سوف يحييها إذًا؟!

وكان يسافر أحيانًا للصلاة على بعض العلماء ونحوهم، فقد سافر إلى مكة المكرمة لما توفي الشيخ ابن باز، وكذلك لما توفي ابن عثيمين رحمهما الله، ولما توفي الملك فهد رحمه الله كان في الطائف في دورة علمية، فرجع للرياض وصلى عليه ثم عاد وأكمل دورته، وسافر إلى القصيم للصلاة على الشيخ حمود العقلا رحمه الله، وكان يسافر كثيرا للقويعية لشهود الصلاة على بعض الأقارب الذين يتوفون هناك.

ويرى أن السفر، وإن لم يكن معهودًا عند السابقين لتباعد المسافات فليس في الشرع ما يمنعه ولا يقاس على السفر لزيارة القبور، وقد تبع في ذلك شيخه ابن باز، حيث يرى جواز ذلك [١].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، المجلد الثالث عشر http://ibnbaz.org/mat/2580.

وقد كان الوالد رحمه الله يقوم إذا رأى الجنازة أو فتح الباب الذي دونها للأحاديث الصحيحة في ذلك[1]، وإذا صلى عليها أو شهد الصلاة عليها وقف في مكانه حتى ترفع، ويستدل بما ذكره صاحب المغني[2] عن مجاهد أنه قال: «إذا صليت فلا تبرح مصلاك حتى ترفع. قال ورأيت عبدالله بن عمر لا يبرح مصلاه إذا صلى على جنازة حتى يراها على أيدي الرجال». قال الأوزاعي: «لا تنقض الصفوف حتى ترفع الجنازة».

وإذا دخل المقبرة بدا عليه الحزن، وتذكر من سلف ممن سبقه من آبائه ومشايخه ويقف خلف الناس حتى ينتهوا من اللحد، فإذا بدؤوا في الدفن تقدم، وكان ينهى من يزاحم الناس ليفسح له الطريق بل يتخلل مع الفجوات حتى يصل ثم يحثو ثلاث حثوات من قبل رأس الميت، ثم يرجع لمكانه في الخلف يستقبل التعازي ويعزي من لقيه من أقارب الميت، فإذا انتهى الدفن تقدم ودعا دعاء طويلًا رافعًا يديه مستقبلًا القبلة جاعلًا القبر بينها وبينه، ثم انصرف قافلًا.

وكان رحمه الله يزور أهل الميت في بيتهم ويعزيهم ولا يرى في الاجتماع لذلك بأسًا، يقول في إحدى فتاواه[3]: «تسن تعزية المصاب بالميت ولو بالذهاب إلى منزل أهله، ويجوز لأولاده أو إخوانه الاجتماع في منزل أحدهم حتى يقصدهم المعزون ليجدوهم مجتمعين ويحصل الأجر بتعزيتهم جميعًا؛ حتى لا يتكلف بتتبع منزل كل واحد منهم رغم تباعد المنازل أحيانًا».

وقد جلس للعزاء لما توفيت والدتي، ولما توفي عمي إبراهيم رحمهما الله.

---

(١) انظر باب القيام للجنازة من كتاب الجنائز من صحيح البخاري.

(٢) المغني لابن قدامة ٢/٣٦٧.

(٣) الفتوى رقم /٨١٥٩ من ترقيم مكتب الشيخ.

وكان يشارك أقاربه الأقربين في العزاء بالجلوس معهم مثلما شارك أخواله آل مسهر لما توفي بعضهم، بل يتكفل بإعداد الطعام عند وفاة أحد أقاربه أو محبيه، ويصر على أن يشركوه في إحدى الوجبات، ولا يرى في ذلك بأسًا.

وقد اشتهر رَحِمَهُ اللَّهُ بحبه لمشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، سواء كانوا من الكبراء أو الفقراء أو غيرهم، وقد زادته هذه الخصلة قربًا من الناس، وحبًّا وتقديرًا.

ودعني أروي لك قصة لشهوده جنازة في حائل، وتتميز بأن من كتبها قد أحسن تفصيل دقائقها ولهذا سأوردها برمتها مع تصرف يسير، يقول الأخ أبو سارة حَفِظَهُ اللَّهُ[1]: «عرضنا على الشيخ بعد صلاة العصر الصلاة على عائلة حصل لهم حادث بعد قدومهم من مكة المكرمة، حيث توفي الأب وزوجته وابنتهم الداعية وطفلها خاصة أن ابنتهم من الداعيات المشهورات في حائل رَحِمَهُمُ اللَّهُ وسألني الشيخ: أين سيصلى عليهم؟ فقلت: في الجامع الكبير، فقال: لا بأس، سبقنا الشيخ سعود التمامي للمسجد وتوضأ الشيخ وانطلقنا نحن الأربعة إلى الجامع الكبير.

سألت سليمان ابن الشيخ - وكان بجانبي - هل سيخرج الشيخ للمقبرة؟ فقال: لا أظن لكن سأسأله، ثم قال لوالده: هل ستخرج يا والدي، للمقبرة أو عليك مشقة؟، فقال الشيخ: بل نخرج معهم.

هذه العائلة نرجو أن يكون الله راضيًا عنها، فقد توفوا بعد العمرة، وسيصلي عليهم هذا العالم الجليل، وسيخرج ويشهد دفنهم، ويدعو لهم.

---

(١) أبو سارة ١٤٢٧/٨/٨هـ http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

وسمعت بعد ذلك أن ابنتهم الداعية كانت تدعو أن يكون ختام عمرها بعد عمرة وأن يكون ابنها معها وأن يصلي عليها عالم.. وتحقق لها ما أرادت. فاللهم لا تحرمنا فضلك.

وأُخبر الشيخ بعد ذلك بدعوة المرأة في إحدى المجالس.. ودعا لهم..

ثم بعد الصلاة أتى الإمام وسلم على الشيخ وطلب منه أن يتقدم للصلاة على الجنازة ورفض الشيخ وطلب من الإمام أن يؤم؛ لأنه أحق، فرفض الإمام وألزم الشيخ أن يتقدم فتقدم الشيخ للصلاة.

وبعدها وقف الشيخ قليلًا ينظر للجنائز ثم قال بمكبر الصوت سنكبر خمس تكبيرات بعد الأولى الفاتحة وبعد الثانية الصلاة والسلام على النبي ﷺ وبعد الثالثة دعاء عام، وبعد الرابعة نقرأ دعاء خاصًا للأموات، وبعد الخامسة دعاء للطفل.

كنت في البداية أظن أن الشيخ كبر التكبيرات الخمس لمكانة المرأة لأنها داعية إلى الله، ولكني اكتشفت أنها لأجل الطفل وأن هذا رأي بعض الفقهاء ويراه الشيخ. فعندما ركبنا السيارة سألت الشيخ مباشرة عن بعض أحكام الجنائز؟ وسألته عن سبب التكبير بخمس؟ فأخبرني أنه لأجل الطفل.. وقال: لا بد إن كان مع الأموات طفل أن يخص بتكبيرة ودعاء.. وقال: مع الأسف أن الناس لا يزيدون حتى في الحرمين.

فوصلنا المقبرة وطلب ابن الشيخ أن نقترب لباب المقبرة وكانت السيارات كثيرة جدًّا، فقال الشيخ: لا بأس، قفوا في أي مكان والمقبرة ليست بعيدة إن شاء الله.. فوجدنا طريقًا بين السيارات كأنه مهيأ لنا حتى وصلنا لباب المقبرة، وأردنا الدخول للمقبرة بالسيارة، فرفض الشيخ، وقال: يكفي هنا.

نـزل الشيـخ الفاضل، وطلـب من ابنـه أن يخلع البشت منـه؛ لأن هذا مقـام خضوع وذل لله.. وترجل حتى دخل المقبرة وكانت الشمس حارة شعرت بالعرق يتصبب من جسمي من شدتها، وقلت لابن الشيخ: اطلب من الشيخ أن يذهـب للظل وكان هناك كثير من كبار السن في الظل وعندهم كراسي كثيرة ليسـ عليها أحد، فقال للشيخ فرفض الشيـخ واستمر واقفًا قريبًا من القبر.. كان هنـاك زحام وترى في الناس الباكـي والمتأثر.. والشيخ مستمر في وقوفه، حتـى انتهوا مـن اللحد، فتقدم الشيخ يريد مشاركتهـم في الدفن؛ لكي يحثوا ثلاث حثيات على القبر كما ورد في السنة وفعلًا تقدم الشيخ في وسط الزحام وكثـير من الناس لم ينتبه للشيخ، فمنهم مـن يرجع عليه ومنهم من يأتي من خلفـه ويحـاول أن يسبقه حتى ضقـت ذرعًا فقلت بصوت مرتفـع: يا إخوان، وسعوا للشيخ.

فأشـار لي ابنـه أن لا تخبرهم والحقيقة جاء في بـالي أمران ربما هما السبـب: أن الشيـخ لا يرضى أن يقدم علـى الناس تواضعًا منـه.. أو أن ابنه خشي على الشيخ أن يعرف ويزداد الزحام عليه، المهم وصل الشيخ وحثا ثلاث حثيات على قبرين ولم يستطع إكمال الحثي على بقية القبور..

ورجـع الشيخ لمكانه وبدأ الناسـ يتوافدون عليه وأحضـر ابنه ماء ليشربه الشيخ حتى إنه لم يستطع الشرب من كثرة الناس.. المهم ذهبت وأحضرت الكرسي للشيخ ليستريح وكان الشيخ يريد أن يشرب جالسًا كما في سنة النبي ﷺ.. وفعلًا أحضـرت له الكرسي وجلس وشرب والناسـ ينتظرونه ينتهي ليكملوا السلام عليـه ولما انتهـى الشيخ من الشرب كنـت أتمنى أن يستمـر جالسًا ولكنه قام مباشـرة وأبعد الكرسي ليسلم على الناس حتـى إن بعضهم أصغر من الشيخ بستـين سنة والشيخ واقف يسلم عليهم!! ولمـا انتهى الشيخ أمر بالاقتراب من

القبر للدعاء لهم واقتربنا من القبر ورفع الشيخ يديه متوجهًا للقبلة وبين يديه القبر ودعا دعاء طويلًا.

وبعد فراغه تقدم له شاب، وقال: يا شيخ، أريد أن أبشركم بشارة، المرأة والأسرة التي صليتم عليها كانت ابنتهم تدعو الله أن يميتها وهي آتية من عمرة وأن يقبض روحها مع ابنها وأن يصلي عليها عالم.. ثم قال: يا شيخ، وإن شاء الله تحقق لها ما أرادت فأشار الشيخ برأسه، ثم قال: رحمهم الله».

رحمك الله يا والدي، فكم واسيت من حسير وكم جبرت من كسير، جعل الله ذلك في موازينك يوم تلقاه.

الزكاة والصدقات

الصدقة من أعظم الأعمال الصالحة، ومن أفضل ما يُتقرب به إلى الله تعالى، فالمتصدق يستظل بظل صدقته يوم القيامة كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ[1]، ويشمل ذلك الزكاة المفروضة والتبرعات المطلقة، ولقد كان الشيخ الوالد رحمه الله كريمًا سخيًا جوادًا كثير الصدقة، يتتبع وجوه الخير ومظانه، فإذا علم عن محتاج بادر رحمه الله لمساعدته والوقوف معه، راجيًا بذلك الأجر والثواب من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩].

وكان رحمه الله يجتهد في إخفاء الصدقة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، عملًا بقول الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٧١].

---

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد رحمه الله في مسنده برقم /١٧٣٣٢.

يقول الشيخ محمد العريفي في إحدى محاضراته: «حدثني أحد الثقات من زملائنا ممن كانوا يحضرون عند الشيخ أن رجلًا كان يسكن في جدة جاء إلى الرياض، واستأجر بيتًا في السويدي؛ ليعالج ابنته من السرطان في مستشفى الملك فيصل التخصصي، فلاحظته صلى معنا يومًا أو يومين ولاحظت عليه الحاجة.

قال: فكلمت أحد التجار أن يأتي لمساعدته، فجاء وطرق عليه الباب بعد أربعة أو خمسة أيام، ثم فتح ذلك الرجل الباب، فقال له: أنا أريد مساعدتك أحضر لك شيئًا من الأرز والطعام والمال.

فقال: جزاك الله خيرًا، أنا أول ما جئت كنت محتاجًا لكن سبحان الله خلال اليومين الماضيين ألاحظ أنه يوضع عند بابي كل يوم وأنا خارج لصلاة الفجر طعام ومال ولا أدري من يأتيني به!!

يقول التاجر: فتحيرت فما بِتُّ تلك الليلة بل سهرت وخرجت بسيارتي وجعلت أرقب ذلك البيت؛ لأنظر من ذا الذي يأتي بالمال إليه؟، فلم يأتِ أحد، فلما كانت الليلة التي بعدها جلست أراقب طوال الليل، فرأيت سيارة أقبلت قبيل الفجر بربع ساعة، وأوقف صاحب السيارة سيارته قريبًا من باب ذلك الرجل ثم نزل شيخ كبير وفتح الباب الخلفي للسيارة وأنزل بعض الأغراض ثم وضعها عند باب ذلك الرجل، ثم أخرج من جيبه شيئًا من المال ووضعه، ثم ركب سيارته ليذهب، فأضأت نور سيارتي وذهبت لأنظر فإذا هو الشيخ عبدالله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى».

لما سمعت هذه القصة استغربتها، حيث لم أسمع بها من قبل، وكنت أظنها من مبالغات بعض الإخوة، فاتصلت بالدكتور محمد العريفي فذكرها بسنده إلى الدكتور عبدالعزيز السدحان وكلاهما ثقة ثبت، فسألت الشيخ



عبدالعزيز السدحان فقال: إنه لا يستحضر الآن من حدثه بها لكنه من جيران الشيخ من آل ضويحي وهي قديمة منذ بداية معرفتي بالشيخ رحمه الله وكان الشخص الفقير سوريًا جديدًا على الحي.

وفي الحقيقة لا أستغرب هذا الآن، فقد كان الوالد في ذلك الوقت أي في حدود ١٤٠٣هـ يقود سيارته بنفسه فربما حدث هذا في غيبة منا وما أكثر الأشياء التي اكتشفت أني أجهلها بعد وفاته رحمه الله.

ولعل من المواقف المؤثرة: موقف لامرأة فقيرة كبيرة السن كانت تجلس أحيانًا في الطريق الموصل لمنزل الوالد رحمه الله، وكان كلما رآها أعطاها بعض المال، وعندما علمت قبل أيام بوفاة الشيخ بكت بكاءً شديدًا وجلست تردد عبارات مثل: من لنا بعده، ومن للمساكين والفقراء[1].

تبكي الأرامِلُ واليتامى فقده — وبكى عليه القاص قبل الداني

تبكي المساجد شيخَها وإمامهَا — من كلِّ ناحيةٍ وكلِّ مكان

موتُ الأئمةِ ثلمةٌ في دينها — والخطبُ أعظمُ يا أخا العرفان[2]

وهي مازالت في مكانها إلى اليوم، تجلس على الرصيف في شارع مسجد البرغش.

هذان موقفان ولعل ما خفي كثير أسأل الله أن يجعله في موازينه، فإنه لما توفي جاءنا كثير من الفقراء يذكرون أنه كان يعطيهم ويتعاهدهم، وتذكر

---

(١) الإمام ابن جبرين.. أسرار.. مواقف.. حكايات تنشر لأول مرة..!!
عمرو بن أحمد الضبعان http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.

(٢) من قصيدة (دمعة وفاء)، في رثاء الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله؛ للشيخ خالد أبو صالح، نشرت في موقع الشيخ رحمه الله ورابطها
http://ibn-jeb[een.com/ommah/index.php?t=content&tid=87&cid=724.

أخواتــي أنه جاءهن خلق كثير من النساء يقلــن: من لنا بعد الشيخ، فقد كان يعولنا ويقوم علينا.

وأمــا الذين نعــرف أنه يرعاهم ويتعاهدهم إمــا شهريًّا أو سنويًّا فكثير ولعل الحديث يأتي عنهم في أثناء الكلام عن العمل الخيري في حياته رَحِمَهُ اللهُ.

وقد ذكرت أن جيب الوالد لا يخلو دائمًا من النقود حيث يصرف ريالات مــن فئة الخمســة والعشرة؛ لتوزيعها علــى الفقراء، وكثيرًا مــا يفعل ذلك في مكــة المكرمة حيث يــوزع على العمال والمساكين وهو في طريقه إلى الصلاة في الحرم في رمضان وفي غيره.

وهــو رَحِمَهُ اللهُ لا يكاد يــرى فقيرًا إلا ويعطيه، فــكان إذا خرج من المسجد يخرج المال من جيبه ويعطي الرجال والنساء الذين يجلسون عند باب المسجد وبعد الصلاة، وأحيانًا يعطيني أو من معي من إخوتي أو أبنائنا؛ لنوزع عليهم.

يقول الشيخ محمد المنجد[1]: «ما أذكر خرجت معه من المسجد إلا ويعطي فقــيرًا، لا بد أن يتصدق بشيء وهو خارج مــن المسجد أو ذاهب إلى مكان، إذا وجد أحدًا جالسًا لابد أن يعطيه شيئًا، لا يفوت الصدقات على تنوع مواضعها».

تقــول أختي هيــا: «كان يحب الصدقة ويعطي كثــيرًا، مرة كنا سنسافر لمكــة المكرمة وقد ركبنا سيارتنا فجاء سائل يطلب مالاً من أبي رَحِمَهُ اللهُ فأخرج أبي ما في جيبه ووجد ورقة نقدية فئة ٥٠٠ ريال، ثم حاول إدخالها، لكنه رأى لهفة السائل لها فأعطاه إياها».

وقــد يتفرس في بعض الناس فيأمره بالكسب، ويقول: إنها لا تحل لغني ولا لقوي مكتسب، وقد يلوم من يكثر التردد لسؤال المال ويوجهه بطلب الرزق، وكان

---

(١) قناة «الرحمة».

يقول لبعض الشباب: اعملوا مثل العمال الذين في سوق الخضراوات أو غيره، وإذا جاء السائل وعليه أثر المعصية قدم له النصيحة قبل أن يقدم له المال[1].

وكان رحمه الله يبذل كثيرًا من ماله للمحتاجين ولهذا لم يدخر شيئًا ولم يتجر، فبعد أن توليت الإشراف على مكتب الوالد رحمه الله كنت أقوم بترتيب الأمور المالية وقد لاحظت أن الوالد يصرف كثيرًا من عنده، مع أن الحسابات المخصصة للصدقات أعرف ما يصرف منها، فتبين لي بعد سنوات حينما سلمني الوالد كثيرًا من الأمور أنه يصرف من حسابه الخاص، فقد جاء لي مرة بثلاثين ألفًا وقال: ضمها لما عندك، قلت: من أين؟، قال: من عندنا زكاتنا، قلت: ليس عندنا ما نزكيه بهذا المبلغ، قال: الباقي صدقة.

وقد ذكرت قبل أنه يجعل مائدة للإفطار في رمضان يشهدها عمال وفقراء؛ لأن الوالد رحمه الله يغريهم بتوزيع بعض النقود بعد الإفطار، فيعطي كل شخص أحيانًا خمسة وأحيانًا عشرة وأحيانًا خمسين ريالاً، فيكثرون بسبب ذلك، وهذه النقود غالبًا إما من عنده، أو من ريع وقف تسبب في شرائه أحد تلاميذه، وهو الشيخ محمد بن ناصر التركي، وكان يعطي الشيخ شهريًّا مبالغ لتوزيعها، بعد أن رأى موقفًا للشيخ وهو يوزع، فسألني من أين هذه؟، فقلت: من راتب الوالد حتى إنه أحيانًا لا يبقى من راتبه شيء.

وقد عُرف عنه رحمه الله اهتمامه بالزكاة والصدقة التي يودعها عنده التجار والمحسنون، فكان يتحرى المحتاجين والفقراء؛ لأنه يرى أنها أمانة، فيحرص أن تصرف لمستحقيها.

يقول أحد الإخوة: «سافرت إلى إحدى الدول العربية لبعض الأعمال، وتأخرت هناك بعض الوقت، فما كان من صاحب العقار الذي يسكن فيه

---

(١) لقاء بعنوان الإمام الراحل مع الشيخ أحمد المهنا.

أهلـي إلا أن شدد عليهم بدفع الإيجار، واتصلـت بصاحب العقار، ولكن دون جدوى، فاتصلت بالشيخ وأخبرته بالأمر، وطلبت منه سلفة عشرة آلاف ريال، فأبدى الشيخ استعداده وسلفني المبلغ، ولما رجعت من السفر كتبت للشيخ ورقة لإثبـات المبلغ ووعدته بالتسديد خـلال شهرين، ففوجئت بأن الشيخ يقول لي: هـذا المبلغ زكاة وضعها أحد الإخوان عندنا لإعطائه من يستحقه، ورأينا أنك تستحق ذلك، فالحمد لله هذا رزق قد ساقه الله إليك.

وقد بدأ التجار يعهـدون للوالد رَحِمَهُ اللهُ بتوزيع صدقاتهم منذ مدة طويلة، حيـث كان يقوم بعض تجـار جماعته منذ الثمانينيـات الهجرية بتسليمه بعض زكاتهـم فكان الشيخ سعـد بن سعود العريفـي الملقب بعايش والشيخ عبدالله بـن محمد اليابس الملقـب براضي يعهدان للشيخ ببعض زكواتهم وصدقاتهم، وبعـد أن انتقل للإفتاء أصبح كثير من الأمراء والتجار يرسلون له من زكواتهم وصدقاتهـم ومـن أبرزهـم الأمـير سلطـان بـن عبدالعزيـز رَحِمَهُ اللهُ والأمـير عبدالعزيـز بـن فهد، وكان مكتـب الشيخ في الإفتاء الذي تـولى الإشراف عليه الأستـاذ عبدالله بـن سعد الحوطي هو الـذي ينظم استقبال هـذه الصدقات وتوزيعهـا، حيث كانـت تأتي صدقات عامة كما تأتي صدقـات خاصة لمن يكتب لهم الوالد رَحِمَهُ اللهُ لحاجتهم.

وبعـد تقاعده رَحِمَهُ اللهُ تولى مكتبه الـذي في المنزل القيام بمهمة التنظيم لهـذه المساعـدات، وسيأتي في أثنـاء الحديث عن العمل الخـيري عند الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللهُ تفصيل هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

الصيام وشهر الصيام

الصيام عبادة من أعظم العبادات، ومن أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل؛ لما له من الفضائل التي أعدها الله للصائمين، كقوله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

ولقد كان للوالد رحمه الله مع الصيام ورمضان شأن أي شأن، فقد كان يحرص كل الحرص على هذه الشعيرة العظيمة؛ لعلمه بأهميتها وعظيم أجرها عند الله تعالى.

وقد بدأ رحمه الله الصوم في سنٍّ مبكرة، في وقت كان فيه الحرّ شديدًا: يقول رحمه الله[2]: «كان أول صيام كاملٍ لي وعمري أربعة عشر عامًا، وذلك في سنة أربع وستين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٦٤هـ)، وكان الجو في ذلك الوقت شديد الحرارة».

ويحرص رحمه الله على صيام النفل، فهو يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، والتاسع والعاشر والحادي عشر من محرم، والست من شوال، وعشر ذي الحجة، لا يكاد يخرم هذه العادة، حتى لو كان عنده درس أو محاضرة في مكان بعيد، فإنه يأخذ إفطاره معه فيفطر في المسجد أو في السيارة، وإذا كان مسافرًا أو لم يجهز له شيء لعارض من العوارض أفطر على ما تيسر.

يذكر أحد العاملين في جامع القاضي أنه رأى الشيخ يدخل من باب المحراب قبيل المغرب، ثم يفطر على ثلاث تمرات وكأس ماء فقط، ثم يصلي

---

(١) أخرجه البخاري في باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان من كتاب الإيمان برقم /٣٨، ومسلم في باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح من كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم /٧٦٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برنامج «أسرة واحدة» في قناة «المجد».

ويلقـي درسًا بعد المغرب وآخر بعد العشاء ويجيب عن الأسئلة، دون أن يكل أو يمـل، وذلك نشاط الروح المؤمنـة التي لا يتحملها جسد شيخ في عقد الثمانين لولا الإيمان والاحتساب، نحسبه كذلك والله حسيبه[1].

ويقـول الشيخ أحمد المهنا[2]: «لا أذكر في يوم من الأيام أن الشيخ ترك صيـام الأيام البيض، وأحيانًا يصوم ونحـن في السفر، ويقول العبرة بالمشقة نحـن ما عندنا مشقة، يذهب للدرس ومعه الصحن فيه ثلاث تمرات من قبل صـلاة المغـرب بأربعين دقيقـة حتى الساعـة الحادية عشرة لا يـأكل إلا هذه التمرات الثلاث».

وأنـا أعلـم أن زوجته العمة هيلة جزاهـا الله كانت تحرص كل الحرص علـى إعداد إفطاره ليذهب به معه وقد اشترينا أواني صغيرة خاصة للشوربة والفطائـر؛ لأنه لا يشرب القهـوة رحمه الله، وإنما يفطر في مثل هذه الحالة على رطبات أو تمرات وماء وشوربة وفطائر لينة.

كان رحمه الله يأخذ بالعزائـم، فيصوم الفريضة وحتى النافلة في السفر، فـإذا قيل له: لو رفقت بنفسك، ذكر حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «خرجنا مـع النبي ﷺ في بعض أسفـاره في يوم حار حتى يضع الرجـل يده على رأسه مـن شدة الحـر، وما فينا صائم إلا مـا كان من النبي ﷺ، وابـن رواحة»[3]، ولهـذا يصوم دائمًا إذا سافرنا في رمضان والأيام البيض ونحوها ويقول: إنه لا مشقة علينا.

وقـد يلقـى إحراجًـا بسبـب ذلك ومـع هذا فإنـه لا يفطر وقـد يحضر وينصـرف قبـل الطعام ومن الحوادث في ذلك ما ذكره أبـو سارة عن زيارته

---

(١) مقالة لأحمد العساف http://www.lojainiat.com/index.php?a...wMaqal&id=8945.

(٢) لقاء بعنوان: الإمام الراحل.

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا صام أيامًا من رمضان ثم سافر من كتاب الصوم برقم/ ١٩٤٥.

لحائل[1]: «أذكر شيئًا كدرني وضاقت علي الأرض بما رحبت لما سمعته.. وهو أني علمت أن الشيخ سيصوم الأيام البيض وهي تصادف الإثنين والثلاثاء والأربعاء.. فلذلك سيلغى كل فطور وغداء في هذه الأيام، وكنت قد حجزت أن يكون الشيخ عندي يوم الإثنين للغداء وتم اختيار هذا اليوم؛ لأتشرف بأن أكون أول من يعزم الشيخ.

ضاق صدري واتصلت على بعض الإخوة أستشيرهم وتضاربت الآراء.. ولكني عزمت على تكليم الشيخ مباشرة ومعالجة هذه القضية.. وكان هدفي من هذه العزيمة هو أن أتشرف بإكرام هذا العالم الجليل الذي أعلم أنه بعد سنوات سيندم من لم يجلس مع هذا الشيخ أو يقابله، كما ندم كثير منا بعد وفاة الشيخين الفاضلين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله والهدف الآخر جمع الإخوة جميعًا للجلوس مع الشيخ حتى يتشرف الجميع برؤيته.

طلبت من ابن الشيخ أن يتوسط عند الشيخ لأجل أن يفطر ولا يصوم.. ولكنه قال إن الشيخ لن يرضى! واتصلت على أحد طلاب الشيخ الخاصين له في الرياض أستشيره، وأسأله هل مرّت مثل هذه الحالة عليكم مع الشيخ؟ لعلي أجد مدخلًا أحاجّ به الشيخ.. فقال: لا أذكر.. وعندما حضر شيخنا الجليل قلت: يا شيخ، غدًا نسقت مع استراحة وسيأتي مجموعة من الإخوة وطلاب الحلقات والمكتبات الخيرية - لأني أعلم أن الشيخ يحب الجلوس معهم - ومجموعة من الإخوة الأفاضل وفوجئنا بأنك صائم! هل بالإمكان أن تفطر غدًا يا شيخ؟! فقال: لا يمكن، بعدها استحييت أن ألزم الشيخ تأدبًا معه ولكني طلبت من ابنه سليمان أن يتوسط عند الشيخ والشيخ يسمع وتوصل ابنه سليمان إلى حل جميل، وقال لوالده: يا شيخ، ما رأيك أن تحضر غدًا

(١) الجمعة ١٤٢٧/٨/٨هـ http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

وتتكلم معهم وتجيب عن الأسئلة وإذا حضر الغداء انصرفنا؟ فقال الشيخ: لا بأس.. والحمد لله ارتحت كثيرًا لهذا الرأي وإن كنت أحب أن يأكل الشيخ من الطعام الذي أصنعه».

وقد ذكرت من قبل حرصه على تفطير الصوّام في رمضان في المنزل، وإن من رأى مجلسه رحمه الله ومجلس أمثاله من المشايخ أدرك أنه مجلسٌ مفتوحٌ للجميع بكلّ مشاربهم ومستوياتهم، في جميع أيام السنّة، وبخاصّة في رمضان، حتى يصل عدد من يأتينا بعد العصر في بعض الأيام إلى مئات أربع أو خمس.

فتُعد سفرة لطعام الإفطار في رمضان كل يوم، يجتمع فيها عدد كثير من الصوّام من جميع الجنسيات، وربما شارك الوالد رحمه الله في تقديم طعام الإفطار، فإذا طلبنا منه أن يستريح، وقلنا: الإخوان فيهم بركة، ردّ علينا وقال: الأمر سهل.

لقد أخذ هذه الخصلة الشريفة عن والده رحمه الله فقد حدث عن والده رحمهما الله بأنه كان يحرص على تفطير الصوام في الرين، يقول[1]: «والدي قد أعطاه الله ووسع عليه فكان يصلح القهوة أو يأمرني بإصلاحها، كذلك يصلح الإفطار الذي هو التمر، أما الشراب فكان الأقط المعروف نجعله في قدر كبير ونصب عليه ماء باردًا حتى يذوب ذلك الأقط ثم نأتي به عند الذين يفطرون وفيه كأس يغترفون منه ويجعلون معه أيضًا شيئًا من التمر ويسمونه المريس؛ لأنه لا يأتي الإفطار إلا وهم في أشد الظمأ وفي أشد الحاجة فنضعه في قدر قد يسع قربة أو قربة ونصفًا، يشربونه كله وهم نحو عشرة من الجيران وليس فيهم من أقاربنا إلا شيخ كبير اسمه محمد بن ناصر بن عويضة رحمه الله والبقية من الجيران».

(١) برنامج «أسرة واحدة».

وقـد تعودنا مـن سنين أن يكـون إفطار اليـوم الأول لإخوتـي وأعمامي وأبنائهـم وأبنـاء الأخوال عنـد الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم ندور بعـد ذلك على بيوتهم حتى منتصف الشهر.

وعودنـا أخوالنـا آل مسهر جزاهـم الله خيرًا أنهم يأتـون للسلام على الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في أول يوم من رمضان يأتون كلهم صغارًا وكبارًا ولم أذكر أنهم تركوا هذه العادة مطلقًا.

ويأتيـه بعد العصر في الأيام الأولى كثير من الأقارب والطلاب والمحبين على عادة الناس في المباركة بدخول الشهر الكريم.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يذهـب إلى مكة المكرمة في شهر رمضان في كل عام، فعندما كان يعمـل في الرئاسـة العامـة للإفتاء كان يذهـب إذا بدأت إجـازة الموظفين، ويبقـى حتـى نهاية الشهر، وبعـد أن تقاعـد أصبح يقضي النصـف الأخير من رمضـان في مكة المكرمة ، يصطحب معه أخواته ومن يلتحق به من أولاده وأولاد إخوته وأخواته ونحوهم.

وأول عام ذهب فيه إلى مكة المكرمة في رمضان ١٤٠٢هـ، ثم استمر بعد ذلك يذهب كل سنـة، وكان يسكن غالبًا في الشامية، وسكن بعد ذلك سنوات عدة في محبس الجن، لما هيئت الحافلات التي تنقل الناس من محبس الجن إلى الحرم، وتحمل رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك مع ما في الحافلات من مشقة الزحام والحرج مـع النـاس؛ لكون تلك الشقق أكثر نظافة وسعة وأقـل سعرًا من التي في جوار الحـرم، ثم قام الشيـخ يوسف العطير، وهو من تلاميذه البررة ومن الأثرياء بتوفير شقة في عمارة الكعكي ثم في أبراج الصفوة بجوار الحرم، فكان يسكن فيها حتى توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو في مكة المكرمة منقطع عن الناس متفرغ للعبادة غالبًا غير أنه يزور بعض الناس للسلام عليهم مثل أبناء شيخه عبدالعزيز الشثري وأخواله آل مسهر ويمر على مشايخ الحرم ورئيس الحرمين؛ للسلام عليهم.

وكان يدعى لولائم، فيعتذر غالبًا إلا أنه يحضر سنويًا عند عبدالله اليابس؛ لأن أباه كان صديقًا له، وعند عبدالرحمن بن ملوح وهو أخوه من الرضاعة، وربما ذهب لغيرهم عرضًا.

وربما دعته بعض المؤسسات الخيرية لزيارتها فأجاب، ولكن ذلك قليل.

وكان يزوره أحيانًا في سكنه بعض الدعاة وطلاب العلم وأصحاب الحاجات.

وقد طلب منه في السنوات الأخيرة المشاركة في الإفتاء في الحرم للرد على أسئلة المستفتين في غرفة الفتوى وكذلك الرد على هاتف الفتوى في الحرم، وكان ذلك سببًا في بث الناس همومهم له وطلب مساعدته، فكان يبذل ما يستطيعه لذلك.

وكان إذا صلى الفجر جلس إلى إشراق الشمس، ثم يطوف أحيانًا وينصرف إلى المنزل، وربما انصرف قبل الإشراق وبخاصة في العشر الأواخر.

ويقضي وقته في الشقة بمطالعة بعض الكتب والرسائل وتصحيحها، ويصلي جميع الصلوات في الحرم ولو بعدت المسافة.

وقد زاره في السنتين الأخيرتين وفود من المجاهدين في العراق من الحزب الإسلامي وغيره وطلبوا منه الشفاعة لدى الحكومة السعودية لمساعدتهم والتعاون معهم، وبينوا له ما فعله الرافضة بأهل السنة هناك، وقدموا له تقارير ومعلومات مهمة ورفعها رحمه الله للمسؤولين في الدولة.

وكان كما ذكرنا يحمل في جيبه بعض النقود، ويوزعها على عمال الحرم والمتسولين في الطريق، ولم يكن يعطي من يحلق لحيته ولا المرأة التي لا تحتجب وإن ألحوا عليه بيَّن لهم السبب.

وقد كان في الطريق للحرم كعادته يأمر بالمعروف ويرشد الناس من المقصرين، فإذا رأى حالق لحية أو شارب دخان أو امرأة سافرة أو نحوهم أرشدهم ونصحهم بأسلوب يجمع بين الدعابة والحزم، كما سنذكره إن شاء الله في الحديث عن جهوده في الحسبة

وكان رَحِمَهُ اللهُ يأتي المسجد الحرام قبل صلاة العصر ويجلس في مكانه جلسة واحدة يقرأ القرآن من حفظه لا يتململ في جلسته ولا ينشغل في شيء حتى يأتي وقت صلاة المغرب.

وكان قد عود الناس منذ مدة على الجلوس في مكان معين؛ ليقصده من يريده من أقاربه أو طلابه أو معارفه أو غيرهم، وذلك في الدور الثاني بين المسعى وباب أجياد، وقد يجلس في غير مكانه المعتاد إلى قرب الغروب؛ لكي يتفرغ للقراءة وإذا عرفه الناس واجتمعوا عليه قام وغيَّر مكانه مرة أخرى.

ولقد كان الناس في الحرم مع محاولة الاختفاء يلمحونه، فيأتونه ليسألوه فيجيبهم بأدب وحسن خلق ويتبسط معهم ولا يرد أحدًا، وبخاصة إذا كانوا من الوفدين من البلاد العربية والإسلامية.

ومما كان يتمناه ولم يسعَ إليه، مع أنه ألمح لبعض المسؤولين في الحرم حول ذلك: أن يخصص له خلوة من خلوات الحرم لكي يعتكف فيها، ولما لم يتيسر ذلك لم يكن يعتكف رَحِمَهُ اللهُ.

وكان يجلس محتبيًا ويعرض عليه الناس مساندهم؛ ليستند عليها فيأبى، حتى اشترينا له مسندًا خاصًا به.

يقول الدكتور محمد المشوح[1]: «لقد شاهدت بنفسي حرصه وصبره على العبادة وذلك خلال قدومه في شهر رمضان من كل عام للقيام في مكة المكرمة والصلاة في المسجد الحرام فكان يحضر قبل صلاة العصر ويجلس جلسة واحدة يقرأ في القرآن من حفظه لا يتململ في جلسته ولا ينشغل في شيء إلى صلاة التراويح.

فكنت أطلب منه أن يستند إلى كرسي أو عمود يريح ظهره قليلًا، ولكنه لا يقبل، وكنت أعجب من تواضعه وابتسامته لكل من عرفه وهو جالس في الحرم حتى من عامة الناس الذين قد يكثرون السؤال عليه، ولكنه لا يرد أحدًا».

وجدول الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في رمضان مليء بالأنشطة كما سبق أن ذكرت، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن برنامجه في رمضان[2]: «في هذه الأيام أصوم والحمد لله ولا أحس بتعب لا بظمأ ولا بجوع ولا بجهد كذلك أيضًا في الليالي أقوم بتذكير في المساجد بعد صلاة التراويح نزور كل ليلة مسجدًا من المساجد التي يؤمها كثير من المصلين ونصلي معهم صلاة التراويح ثم أقوم بموعظة وتذكير فيما يختص بهذا الشهر من آثار القيام وفوائده وأمثلته ونحو ذلك.

والحمد لله أنا مستمرون على ذلك إلى نصف الشهر الذي بدأ وسوف نسافر بإذن الله إلى مكة المكرمة ونكمل الشهر هناك بإذن الله وتوفيقه».

وقد تكلمت عن أعماله العبادية والدعوية المختلفة في مواضعها، وذكرت الحديث عن شأنه مع صلاة التراويح في الكلام عن اهتمامه رَحِمَهُ اللَّهُ بالصلاة.

---

(١) د. محمد بن عبدالله المشوح http://www.al-jazirah.com/81483/rj3.htm.

(٢) برنامج «أسرة واحدة».

ولكني سأختم الحديث هنا بذكر أمرين تحدث عنهما الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وهما من سجل الذكريات.

الأول: كيف كانوا يعرفون دخول شهر رمضان؟

والثاني: حالهم مع القرآن في رمضان.

فأما الأول وهو كيفية تلقي خبر دخول شهر رمضان في الماضي فقد تحدث الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك وكان مما قاله[1]: «كان الخبر يأتي بالبرقية من الرياض أنه ثبت رؤية هلال رمضان أو هلال شوال، ولم يأتِ جهاز البرقية للقويعية إلا في حدود سنة إحدى وستين وثلاث مئة وألف، كان الأمير يقال له حمود بن ضبعان عنده سيارة واحدة كان يرسلها إلى القرى، فإذا جاءت البرقية لمركز الإمارة بالقويعية بدخول الشهر أو خروجه، فإنهم يقومون بكتابة خطابات لأهل القرى، خطاب لأهل مزعل، وخطاب لأهل القويع، وخطاب لأهل الرويضة، وخطاب لأهل الخنقة، وخطاب لأهل الرين، وغيرها من القرى، فيجلسون وقتًا طويلًا وهم يكتبون هذه الخطابات، ثم يرسل الأمير سيارة لتوزيع هذه الخطابات على أهل القرى.

ومعلوم أن الطرق لم تكن مسفلتة في ذلك الوقت، ثم إذا وصل إلى أي قرية وسلمهم خطابهم لم يخرج من عندهم إلا بعد أن يكتبوا له خطابًا بأنه بلغهم وجاءهم الخبر، فقد يتأخر وصول الخبر إلى الضحى أو العصر والناس مفطرون، أو يكونون صائمين في آخر الشهر.

فإذا جاء الخبر لأهل القرية يقومون بتثوير البندق، وهذا علامة، فإذا سمع الناس البندق أمسكوا أو أفطروا، نحن في الرين قد لا يصلنا الخبر إلا في اليوم الثاني يفوتنا يوم وأحيانًا نصوم يوم العيد ولا يأتينا الخبر إلا في

---

(١) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية وبرنامج «أسرة واحدة».

الآخـر؛ لبعدنا عـن القويعية، مرة ما جاءنا الخبر إلا بعـد العصر، فأمسكنا بعـد العصر فقط، وكذلـك أيضًا الصيام نصوم العيـد يأتينا الخبر أنه عيد بعد العصر أو بعد الظهر، فنفطر ونصلي من الغد صلاة العيد».

هكذا كان يثبت الصوم والفطر عندهم، ولا يعتمدون على خبر الإذاعة؛ لأن الراديـو كان عندهم منكـرًا، وحدثني أحد كبار السن مـن أسنان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه في عـام ثمانية وسبعين كان قاضي الرين هو الشيخ المزيني رَحِمَهُ اللَّهُ وفي يوم الثلاثين من شعبان جاءهم شخص من آل قميش وهم يشربون القهوة في مجلس آل سريع، فقال: أنا صايم، فقال له القاضي بناء على ماذا؟، قال: الراديـو، فأمـره الشيخ بالإفطـار، وبعد نصف ساعة جـاء الخبر، حيث ثور البندق خوي الإمارة.

وأمـا قراءة القـرآن فقد تحدث الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ عن كيفيـة إحياء ليالي رمضـان في زمانهم يقـول: «كان لشهر رمضان خصوصيـة في ذلك الزمان، ففـي سنـة ثنتين وستين كنـت في محيرقة بعـد أن قرأت القـرآن ولم أحفظه فكانوا يجتمعون بعد صلاة التراويح قرب بيت العم سعد رَحِمَهُ اللَّهُ ويقرؤون، كل واحـد يقرأ ثمنًا يفرشون فراشًا في مكان برّي قـرب بيت العم سعد وعندهم سـراج يقرؤون عليه فيدور علينا مرتين أو مرة ونصفًا حتى نقرأ ثلاثة أجزاء في كل ليلـة أنا أقـرأ ثمنًا والعم سعد يقرأ ثمنًا وابنه عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ يقرأ ثمنًا وأخـوه إبراهيم بن عبدالله بن جبرين يقرأ ثمنـا وسعد الذي هو ابن دهران رَحِمَهُ اللَّهُ يقرأ أيضًا ثمنًا في المصاحف كلهم، إلا الوالد فإنه كان يقرأ من حفظه وأظن أنهم قد توفوا لم يبقَ منهم من أتذكره كان منهم اثنان من العرافا من أبنـاء عبدالله بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ سعد وعبدالعزيز وكان منهم بعض أفراد من آل صالح ونحوهم ويغلب على الظن أنهم كلهم قد توفوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وهكـذا نعمـل عندما كنّا في الريـن يجتمعون في السـوق وعندنا سراج نوقـده ونقرأ، الذي يصلح القهـوة لا يقرأ لأنه لا يعرف، نقـرأ أنا وأبي ويقرأ معنـا المؤذن اسمه ضويحي بن سالم قحطاني يؤذن هناك يقرأ معنا سعد بن عبدالرحمن بن سريع وكذلك أحيانًا يقرأ معنا معالي الشيخ ناصر أبو حبيب الشـثري، وهكذا حتى نكمل ثلاثة أجزاء كان التقويم في ذلك الوقت بالساعة الغروبـي ننصرف والساعة الخامسة والنصف أي بعد غروب الشمس بخمس ساعـات ونصف ما بقي مـن الليل إلا شيء قليل أربع ساعات أو ثلاث ساعات ونصف ننام فيها ثم نقوم للسحور ثم نقوم لصلاة الفجر.

ولا يـزال بعضهم يحيون ليالي رمضـان حتى الآن بهذه الطريقة، وبهذا كنّا نختم القرآن في العشرين الأولى من رمضان ختمتين.

وقـد أدركت من يفعل ذلـك في الرياض، فعندما جئت إلى الرياض كان لنـا جار يقال لـه: الزير رحمه الله، يجمع عشـرة أشخاص ممـن يحسن قراءة القرآن، ونجلس تحت الأنوار التي في الشارع، ونقرأ حتى نختم ثلاثة أجزاء.

وبعد الفجـر ننام قرابة ساعتين أو ثلاث ساعات أو ساعة ونصف، بعد ذلك ليس لنا حاجة إلا قراءة القرآن، أما عامة الناس الذين لا يقرؤون فإنهم في الغالـب ينامـون ولا يسهـرون؛ ولا يعرفون هذا السهر الـذي ابتلي به كثير من الناس».

ويقـول رحمه الله[1]: «إذا دخل رمضـان كان الذين يحسنون قراءة القرآن يعتكفـون على قراءته طـول الشهر، ولقد عهـدت أن الحافظين للقرآن عندنا في ذلـك الزمان هم: الشيـخ أبو حبيب، والوالد، وشيخ يقـال له: ابن مسعد، والشيخ صالح بن مطلق، وذلك قبل أن أكمل أنا حفظ القرآن.

---

(١) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية.

وكان هؤلاء الحفظة إذا دخل رمضان يختمون القرآن كل ليلتين، فكانوا يختمون في رمضان خمس عشرة ختمة، زيادة على التي كنا نقرؤها بعد التراويح؛ وبذلك يكونون قد ختموا القرآن سبع عشرة مرة، إضافة إلى التي كانوا يختمونها في صلاة التراويح والقيام».

ويقول رحمه الله أيضًا[1]: «قد أدركت من يختم القرآن كل يوم مرة أو يختم كل يومين مرة! فقد يسره الله وسهله عليهم، وأشربت به قلوبهم، وقد يستكثر بعض الناس ذلك ويستبعدونه، وأقول: إن هذا ليس ببعيد، فقد أدركت أناسًا يقرؤون من أول النهار إلى أذان الجمعة أربعين جزءًا في مجلس واحد، يقرأ حتى يختم القرآن، ثم يعود فيختم ثلث القرآن».

وسمعت الوالد رحمه الله يحكي عن أحد الناس أنه يقرأ من بعد الفجر إلى وسط الضحى عشرة أجزاء.

وقد أثرت هذه التربية التي نشأ عليها رحمه الله فقد كان رحمه الله كثير الذكر كثير قراءة القرآن؛ سواء في رمضان أو في غيره، ولكن كان له رحمه الله مع رمضان حالة خاصّة، فربما ختم القرآن في كل ثلاثة أيام، وكان يستمر في القراءة ويواصلها حتى في الصلاة، وهذا شأن العلماء رحمهم الله.

حدثني عن شيخه عبدالعزيز الشثري رحمه الله أنه تقدم بهم لصلاة الظهر، فلما صلى الأربع قام للخامسة، فسبحوا له فأبى الرجوع، فجلس أكثرهم فأشار إليهم بالقيام، فلما سلم قال لهم: إني في الركعة الأولى لم أقرأ الفاتحة؛ لأني بدأت في القرآن من حيث وقفت قبل الصلاة.

---

(١) انظر كتاب (الصيام آداب وأحكام) لفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله (ص: ٨٩-٩٠).

ولقد كنّا نرى الوالد رحمه الله وهو يقرأ القرآن ويذكر الله في السيارة وفي المجلس وفي المسجد وفي جميع أحواله ولا يقطع القراءة إلا إذا سأله أحد عن مسألة أو قرأ عليه طالب في أحد الكتب.

وقد نقلت عن عبدالرحمن ابن العم ناصر قوله: سافرت مع الشيخ إلى مكة المكرمة وكنت أقود سيارته، ومنذ أن ركب وهو يقرأ القرآن واستمر على ذلك ولم يتوقف أبدًا، حتى إن أخت الشيخ - وكانت معنا - حاولت أن تتكلم معه وتقطع عليه القراءة، فكان يرد عليها بكلمة أو كلمتين ثم يستمر في قراءته، ففهمت أنه مشغول عنها فتركته حتى أنهى حزبه ثم رجع للحديث معها.

وكنا نعرف أنه ختم القرآن إذا رفع يديه للدعاء بعد القراءة لأنه كان يحرص على دعاء ختم القرآن.

الحج والعمرة

الحج والعمرة من شعائر الدين العظيمة، فالحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام.

لقد كان الوالد رحمه الله حريصًا أشد الحرص على المشاركة في الحج في كل عام، وذلك ليحصل أولاً على الأجر الذي ثبت عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[1] وثانيًا لأن هذا الموسم العظيم يجتمع فيه ملايين المسلمين من أصقاع الأرض؛ لأداء هذه الشعيرة، فهو حريص على الدعوة ونشر العلم بينهم، فمع تقدم عمره وكبر سنّه، تراه يحرص على هذه الفريضة؛ بل إنه يتلذذ بأدائها ويهتم لها.

---

(١) أخرجه البخاري في باب وجوب العمرة وفضلها من كتاب الحج برقم/١٧٧٣، ومسلم في باب فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة من كتاب الحج برقم/١٣٤٩.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «مناسك الحج ومشاعره من أفضل الأعمال والبقاع وفي هذا الزمان يتوافد الحجاج من كل فج عميق، ولا شك أن كثيرًا منهم يجهلون أغلب شعائر الدين؛ حيث عاشوا في جوانب من البلاد بعيدين عن سماع القرآن والذكر والعلم منشغلين بأمور حياتهم وبتحصيل معاشهم.

كما أن كثيرًا من الوافدين قد تأثروا بدعايات أهل الضلال والبدع ووقعوا في الشركيات.

لذا كان من الواجب على الدعاة في مواسم الحج أن يعلّموا الناس ويبينوا لهم ما يخفى عليهم وما يجهلونه، مستعينين في ذلك بكل الوسائل المتيسرة، المسموعة والمقروءة والمرئية».

ولقد عمل بهذا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولهذا تراه بعد وصوله ينطلق في كل مكان واعظًا ومرشدًا ومفتيًا، فيجد الناس لدعوته قبولًا ولنصحه أثرًا.

حج رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من أربعين حجة منها ما كان قديمًا مع الأقارب أو العائلة، ومنها ما كان مع التوعية الإسلامية في الإفتاء، فقد حج معهم نحو عشر حجج، وكانت تشرف عليها حينذاك إدارة الإفتاء ولما انتقل للإفتاء أصبح يبقى في الدوام إلى نهايته ولا يشارك في التوعية فصار يحج مع حملات الحج الخاصة فحج مع مخيم النسك الذي كان يشرف عليه الشيخ صالح التويجري من عام ١٤١١هـ حتى عام ١٤١٤هـ، ثم مع حملة الشيخ سليمان اليحيى الخيرية حيث يحج معه بعض الفقراء والوافدين والمسلمين الجدد إضافة إلى أهله وأصدقائه ومعارفه وموظفيه من عام ١٤١٥هـ حتى عام ١٤٢٢هـ، ثم في عام ١٤٢٣هـ عرض الشيخ الدكتور إبراهيم أبو عباة

---

(١) ينظر الفتوى رقم (١١٤٨٥)، على الشبكة العنكبوتية، على موقع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بتصرف يسير.



رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني على الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون معهم في مخيم الحرس الوطني حيث يقوم جهاز الإرشاد والتوجيه بمهمة إرشاد الحجاج وينتدب عددًا من المشايخ وطلاب العلم لهذه المهمة منهم الشيخ صالح السدلان والشيخ محمد الفهيد والشيخ سعد الشثري وغيرهم، فصار الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشارك معهم حتى توفي.

يحكي الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصة أول رحلة حج قام بها، فيقول: «في عام ثمانية وستين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٦٨هـ)، أراد والدي أن يرسلني مع الحجاج على الإبل، وذلك لتوفرها في ذلك الوقت، وهيأ لي كل ما أحتاج إليه من الناقة والنفقة وجميع ما كان يُحتاج إليه، ولما تمت الإجراءات ولم يبقَ إلا المسير، تراجع بعض الرفقة الذين كانوا التزموا بالحج بي، وقالوا: إن علينا مسؤولية مع هذا الطفل الذي لا يزال جاهلًا، ونخشى أنه وأنه، فبعد ذلك تراجع الوالد وقال: تصبر، ولعلك تحج في السنة التي بعدها أو نحو ذلك.

وفي سنة تسع وستين وثلاث مئة وألف للهجرة (١٣٦٩هـ) كان هنا سيارة في (القويعية) يملكها العم سليمان بن عبدالله بن جبرين، وهو والد الذين تولوا الإمارة من بعده، وهي سيارة مستعملة وليست جديدة، وقد عزم على أن يجمع حجّاجًا ويحج بهم، واختار بعض الأقارب وبعض المواطنين، واجتمع عنده نحو خمسة وأربعين ما بين رجال ونساء.

وكانت أجرة الحاج يسيرة، سبعين ريالًا ذهابًا وإيابًا، وفي اليوم الثاني من ذي الحجة اجتمعنا وركبنا السيارة، وكان يركب في مقدمة السيارة (الغمارة) ثلاثة أشخاص وهم: ابن مالك السيارة واسمه سعد بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأبوه سليمان، ومعهما أحد الركاب وهو أمير قبيلة العرافا اسمه عبدالعزيز بن عبدالله العريفي، كلهم توفوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، والبقية يجلسون في الحوض وكنت أنا معهم، ويجعلون النساء في الأمام والرجال يكونون بعدهم.

وكان بصحبتنا الشيخ صالح بن مطلق رحمه الله، وكان أعجوبة الزمان في حديثه وتنشيطه لمن حوله في سرد الحكايات والقصص ونحو ذلك.

وبعد أن تجمعنا وركبنا سرنا قليلًا، جاءتنا القيلولة ونحن في سرحة وهو المكان المعروف الآن بـ «أبو سليم»، ونزلوا هناك وأصلحوا لهم طعامًا تبرع به صاحب السيارة الأمير سليمان، وأكلوا وشربوا القهوة والتمر، وفي وقت العصر توجهوا إلى الدوادمي، ولم يكن هناك طريق يمر بالقويعية، فالطريق يمر بالدوادمي ثم يمر بعفيف؛ ولم يكن الطريق مسفلتًا، ولكنه كان طريقًا معروفًا مسلوكًا تسير معه السيارات بكثرة.

ولما سرنا قليلًا رأينا اثنتين من الظباء تعدو عن يميننا، وكنا لا نحب أنهم يطاردونها لأن المكان لا يصلح للطرد؛ لأن فيه أشجارًا وكثبانًا رملية، فالأمير سليمان يقول: رأيناها ولكن ما رغبنا أنا نتبعها، فالحاصل أنهم تجاوزوها وواصلنا السير حتى وصلنا إلى الدوادمي قبيل الغروب وبتنا هناك.

والأمير سليمان صاحب السيارة كان معروفًا عند الملك سعود وكان حينئذ وليًّا للعهد وكان يحبه، رحمهم الله جميعًا، وقد أبرق برقية بأننا سوف نحج ونريد منكم مساعدتنا في الوقود (البنزين)، فأرسل الملك سعود برقية إلى جميع المحطات قال فيها: إذا جاءكم سليمان فأعطوه وقودًا ذهابًا وإيابًا، فبتنا في الدوادمي وهو يُعدّ ثاني مركز، والمركز الأول في مرات، ولكن تجاوزناه إلى مركز الدوادمي.

ولما أصبحنا جئنا إلى المحطة لنتزود بالوقود وطلبوا من الأمير البرقية التي فيها أمر الملك سعود؛ لأنهم لا يعرفونه، فالتمسها حتى وجدها ولما قدمها عرفوا أنه هو، وبعد أن أخذوا ما يكفيهم من الوقود سرنا، وفي أثناء الطريق

حدث معنا حادث انكسار ما يسمى بـ (السستة) التي كانت تحمل العجلات؛ وحيث إن السائق لم يكن يجيد القيادة كثيرًا اضطر إلى لف السيارة قليلًا ليخرج من الخط، لأن وراءه سيارات، فصادف أن تلك الحديدة انكسرت وحزت في الكفر حزًّا شديدًا، ما اضطرنا إلى أن نتوقف لأجل إصلاح هذه (السستة)، ولم ينتهوا من إصلاحها إلا قرب العصر، ثم ساروا بعد ذلك ولكن أدركهم الليل قبل أن يصلوا إلى عفيف، فوصلوا إلى ما يسمى الآن بالبجادية أو بعدها بقليل، وبتنا في هذا المكان.

ثم لما أصبحنا سرنا إلى أن وصلنا إلى عفيف، وقت القيلولة، ثم تزودنا بالوقود، ثم بعد ذلك واصلوا السير، وكان الطريق القديم ما بين (عفيف) إلى (المويه) طويلًا، وفي أثناء الطريق انتهى الوقود ووقفت السيارة، وكان الناس وأهل السيارات في ذلك الوقت متعاونين، فإذا رأوا أحدًا متوقفًا فإنهم يسعفونه بما يستطيعون، فأوقفوا سيارة وجاء صاحبها وتبرع بشيء من الوقود، ثم سرنا وفي أثناء الطريق أيضًا انتهى ذلك الوقود الذي أخذناه من السيارة فلم نجد بدًّا من أن نوقف سيارة أخرى وأخذنا منها وقودًا إلى أن وصلنا إلى (المويه) قرب القيلولة أو قرب الظهر.

وسميت هذه البلدة (المويه) لأن فيها عين ماء تنبع من جبل فيها، والناس يأتون إليها ويرتوون ويملؤون قربهم وأوانيهم، وفي هذا الوقت أخذ قائد السيارة رَحِمَهُ اللَّهُ من قلب السيارة آلة تسمى (الكلبليتر) وجعل يغير ويصلح فيها؛ فصادف أنها خربت بسبب تغييره لبعض المسامير التي فيها، فلما رجعنا وجدنا السيارة لا تمشي إلا قليلًا، فبتنا تلك الليلة وتحيرنا كيف نفعل؟، فذهبوا إلى إمارة (المويه) وأعطونا رجلًا قائدًا عندهم عنده معرفة، وجاء من الضحى نحو الساعة التاسعة، وأخذ يعمل في هذه الآلة ويصلح واستمر في

إصلاحها إلى ما بعد العصر، وبعد أن صلحت توجهنا إلى (عشيرة) والطريق بين (المويه) و(عشيرة) طويل فجاءنا الليل ونحن في الطريق.

ولما جاء الليل حدث أيضًا أن نور السيارة كأنه ضعيف، فأوقفنا إحدى السيارات في الطريق وقلنا له: إن النور ضعيف، فقال: أنا أتبرع لكم بأحد أنوار سيارتي، وآخذ منكم النور الخربان، وهذا ما فعلناه، ثم سار كلٌّ في طريقه، ولكن تبين فيما بعد أن المشكلة ليست من النور، وإنما من داخل الماكينة.

ولما سرنا قليلًا فإذا بالسيارة تتعتع وتقطع بسبب خلل في داخل الماكينة، فخفنا أن الحج يفوتنا، فجلسنا وتحيرنا في أمرنا، وكان الملك سعود رحمه الله يسير سيارات تسير على الطريق، فمن وجدوه متعطلًا أسعفوه، وقد ذُكر له أن سيارتنا متعطلة وأننا بقينا في (المويه) قريبًا من يومين ولما وصلوا إلى (المويه) وجدونا قد مشينا، ثم إننا وقفنا في الصحراء وعزمنا على أن نشير إلى السيارات، فمن وجدناه طلبنا منه أن يركبنا معه، فصادف أن مرت إحدى سيارات الملك سعود، وهي سيارة كبيرة واسمها (عنتر ناش)، وطلبنا منه أن يحملنا فلبى طلبنا وقال: أهلًا وسهلًا، وحملنا وحمل جميع أمتعتنا، وسار بنا، وتركنا سيارتنا وعندها الأمير وولده وأحد الموالي.

والحاصل: أننا سرنا إلى أن وصلنا المركز الذي في (عشيرة)، ولما وصلنا ذهبوا إلى المركز، وقالوا: هؤلاء الركاب تعطلت سيارتهم وجميعهم من القويعية، ونزل اثنان من الأسرة من الركاب وكتبوا أسماءهم ووقعوا أنا ننوب عن جميع الرفقة ونتحمل مسؤوليتهم، أحدهم عمي عبدالعزيز رحمه الله، والثاني خال الوالد محمد بن سعود العريفي.

ثم نزلنا مع الجبل الذي يشرف على السيل وهو جبل مرتفع ارتفاعًا طويلًا، وفي أثنائه رأوا بعض الحجلات (نوع من الطيور) فوقف السائق ورمى

بعضها وصاد منها حجلتين، ثم سرنا حتى وصلنا السيل، وقال: تأهبوا وأحرموا، ونحـن إذا انتهيتم نسير بكم، ونزل هو وأخذ الحجلتـين وطبخهما هو ورفقته، ونحـن أصلحنا لنا طعامًا كغداء وتأهبنـا ولبسنا إحراماتنا، فلما انتهينا ركبنا حتـى وصلنـا إلى المقبرة المعروفـة الآن في المكان الذي يسمـى (العدل)، وهذه المقبرة هي التي دفن فيها الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى.

نزلنـا هناك وبنينا خيامنا، وذهبنا راجلين إلى الحرم، وأنهينا عمرتنا ورجعنا.

ولمـا كان من الغد من الضحى جاءت سيارتنـا المتعطلة وفيها الأمير، وذكر أنهم عالجوها بشيء يسير من العلاج، وأنها صلحت، ثم قالوا: هذا السائق يمكن أن تخفـى عليـه الطرق في مكة المكرمة ولا بد أنكم تستأجرون سائقًا من أهل مكة المكرمة يعرف الطـرق، ويعرف الأماكن والمواقف ونحو ذلـك، فاستأجروا سائقًا من أهل مكة المكرمة وقد ارتاحوا له؛ لأنه يعرف السيارات ويعرف الطرق.

ولمـا كان يـوم التروية ذهبنا من مكاننا ونزلنـا في منى نهار الثامن، ثم في صبـاح يـوم عرفة توجهنا إلى عرفة، ثم رجعنـا إلى مزدلفة عندما غربت الشمس يوم عرفة، وبتنا في مزدلفة.

وفي أثناء تلك الليلة رأينا كثيرًا من المنقطعين الذين بقوا في عرفة ليس معهـم من ينقلهم، فقال: الأمير ومعـه السائق سوف نقوم بنقل الحجاج هذه الليلـة من عرفة إلى مزدلفة، فصاروا ينقلونهـم بالأجرة، فنقلوا تقريبًا أربع أو خمس مرات.

ولمـا أصبحنـا يوم العيد وهو يوم النحر العاشـر من ذي الحجة تحركنا قبيـل أن تطلـع الشمس متجهـين إلى منى، ولما وصلنا منـى نزلنا قرب المكان

الـــذي يسمـــى (الشبك) والذي تذبح فيـــه البهائم، ثم ذهبنـــا ورمينا وحلقنا وأتممنا التحلل الأول.

وفي اليــوم الثــاني، أي: في اليوم الحادي عشر مــن ذي الحجة وهو أول أيام التشريق نزلنا وتحللنا التحلل الثاني.

ولما أصبحنا في اليوم الثاني عشر، وإذا الروائح قد بدأت تظهر من آثار الذبائح الكثيرة التي ذبحت في (الشبك) ولم تؤكل، وأكثرها من الإبل.

بعــد ذلــك رمينا الجمــرة بعد الزوال، ثــم نزلنا في مكاننــا الذي قرب المقــبرة عند (العدل)، وبعد ذلك ودعنا، ثم سرنا يقودنا ذلك السائق الذي من أهل مكة المكرمة الذي اتفقنا معه أن يوصلنا إلى بلدنا في القويعية.

وقــد مكثنا في الطريق يومين ونصفًا، أو قريبًا من ثلاثة أيام، إلا أننا لا نسير في الليل، إنما نسير في الضحى مبكرين ونستمر في السير إلى القيلولة، ثم نعود للمشي مرة ثانية قبل العصر إلى قرب العشاء، ثم نبيت، وهكذا.

ولمــا وصلنــا إلى القويعية أعطــوا الساق أجرتــه كاملة، وأعطــوه زيادة يومين، ورجع إلى مكة المكرمة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الحجة أن الموسم كان لا يزيد على خمسين ألف شخصــ، وقال: إنه صلى في الحرم قديمًا صلاة التراويح وكان عدد الجماعة أربعين رجلًا فقط[1].

ولقــد حــج الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعد هــذه الحجة كثــيرًا، وسأحــاول أن أعطي القارئ صورة كيف كان يحج ويعتمر رَحِمَهُ اللَّهُ وماذا كان يعمل.

---

(١) محمد المنجد برنامج في قناة «الرحمة» بعد وفاة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فعلى مر السنين التي حج فيها غير حجاته القديمة، فإنه حج مع التوعية الإسلامية سنين عدة، وكان يسكن غالبًا في حي الغزة القريب من الحرم المكي ويكون له درس في الحرم من عشرين ذي القعدة إلى بداية الحج، وكان درسًا عاديًا يجتمع حوله الحجاج، فيلقي كلمة توجيهية ثم يجيب عن أسئلتهم، فإذا جاء اليوم الثامن انتقل مع الحجاج إلى منى وبعد نهاية أيام التشريق يعود إلى الغزة مرة أخرى، ويعاود التدريس في الحرم إلى العشرين من ذي الحجة غالبًا.

وبعد انتقاله للإفتاء أصبح يحج مع حملات الحج، فلا يصلون مكة المكرمة إلا ليلة الثامن، وكان يرى في هذه الحالة أن الحج مفردًا أفضل فلا يعتمر ويتوجه إلى منى مباشرة.

ولما ابتدأ بالحج مع الحرس الوطني كان يأتي في اليوم السادس، فيعتمر، ثم يتوجه إلى منى.

وفي السنتين الأخيرتين طلبت منه وزارة الشؤون الإسلامية عن طريق وكيلها الدكتور/ توفيق السديري أن يشارك في التوعية، فوافق لهم فكان يذهب في العشرين من ذي القعدة إلى العشرين من ذي الحجة ويكون له درس في جامع الشيخ ابن باز رحمهما الله.

ومع كونه يدرس بعد الفجر وبعد المغرب، لكنه يذهب للحرم يوميًّا قبل الظهر ولا يعود إلا منتصف العصر، حيث يصلي الظهر والعصر هناك، ويجلس بين الصلاتين يقرأ القرآن ويصحح بعض الكتب.

وبعد هذا السرد الوصفي أعود لذكر بعض الحجات التي حجها رحمه الله وما فيها من المواقف.

ففـي عام ١٣٩٠هـ اتفق مع ابن حوشان وهو من أهـل القصيم على أن يحـج معه، فحج بأمـه وبوالدتي وأمها وأخي محمد وأختـي سارة، وكان ذلك في داتسـون غمـارة واحدة ركب الوالـد رحمه الله في الغمارة وركـب الباقون في الصندوق الخلفي، وكان معهم غيرهم.

وفي عـام ١٣٩٢هـ اشترى الوالد رحمه الله داتسون غمارتين موديل ١٩٧٢م فحج بجدي ووالدتي وعمي محمد وكان عمي هو الذي يقود السيارة.

وفي عـام ١٤٠٨هـ حج بأعمامي الصفار زبـن وصقر، وفي هذه الحجة أضـاع رحمه الله وأخواه الرفقة، فاضطروا للمشي مـن عرفات لمنى ولم يكن مع الوالـد رحمه الله سـوى عشرة ريالات فلـم يكلم أحدًا ولم يطلب مـن أحد شيئًا، وكان قـد عرف واشتهر، ولـو عَرَّفَ أحدًا بنفسه لخدمـه، لكن آثر عدم ذلك وتحمل المشقة والعنت حتى وصل إلى منى.

وفي حجته الأخيرة كان يذهب للحرم كالمعتاد ويصلي فيه الظهرين وكان يجلـس بجوارنا في الحـرم بعض الحجاج من الشبـاب السوريين الذين جاؤوا للمشاركـة في نحر الهدي فأنسوا به جـدًّا وأنس بهم وأفادوا منه كثيرا، وفيهم أطباء وتجار وطلاب علم، ولكنهم يأتون بوصفهم جزارين، ليتمكنوا من الحج.

وفي حجتـه الأخـيرة ذهبنـا في اليوم الحـادي عشر لرمـي الجمار بعد صـلاة الظهـر، ووقفنا السيارة على بعد كيلو متر تقريبًـا، فمشى على قدميه وبعـد أن مشى نصـف المسافة أحس بتعب شديد ولعله مـن آثار مرض القلب الذي تبين أخـيرًا فاضطر للجلوس وكان ذلك بجوار مركز للشرطة فسارعوا وفقهم الله لخدمته بالماء وأعطوه برتقالة؛ لتزيد من نشاطه وعرضوا عليه أن يوصلوه بالدراجة النارية لكنه أبى، واستـراح قليلًا ثم واصل المسير رحمه الله.

وأمـا عمـره فإنه يعتمر كثيرًا جـدًّا وغالبًا يعتمر في العـام ثلاث مرات علـى الأقل عمرة رمضان وعمرة في الصيـف ويكون عنده دورة علمية في مكة المكرمة وعمرة الحج، وهناك عُمَرٌ تكون عارضة أحيانًا.

فـإن كان في رمضان انطلق بعد العمرة لسكنه وتفرغ للعبادة كما ذكرنا من قبل.

وإن كان في الإجـازة الصيفية سكن قريبًـا من الحرم وانطلق يوميًّا بعد العصر غالبًا؛ لإلقاء دروسه، وقضى بقية الوقت في الحرم وفي السكن كالمعتاد.

وإن كان للحـج فـإذا أنهى عمرته انطلـق لمقر إقامته للبـدء في إرشاد الحجاج وتوجيهم.

ومـن أبرز عمره التي اعتمرها عمرته لما توفي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقـد جاء مع الطائرة التي سيرها الأمير عبدالعزيز بن فهد لمن سيشارك في الصلاة على الشيخ، ولم يكن قد أخذ معه إحرامًا، ولما وجد في الوقت متسعًا أحرم بثيابه حتى المشلح والشماغ، ولما نزل للمطار عرضنا عليه أن نشتري له إحرامًا، فلم يرغب في ذلك، وأكمل هو ومن معه العمرة بثيابهم وكانوا كثيرًا، ولعلـه أراد أن يبيـن جواز ذلك، ولم يرد أن يكلفهم بالشـراء بعد أن استقرت الفدية، وأمر الجميع بفديتين للمخيط وتغطية الرأس.

والعمرة الأخرى آخر عمرة اعتمرها في الحادي والعشرين من محرم من عام ١٤٣٠هـ وكان قد جاء لمكة المكرمة لمؤتمر الفتوى وضوابطها الذي نظمته رابطـة العالم الإسلامي خلال المدة من العشريـن حتى الرابع والعشرين من شهر المحرم عام ١٤٣٠هـ وذلك في مقر الرابطة في مكة المكرمة، ونسمي هذه العمرة عمرة الوداع، وقد التقى فيها العلماء من مختلف دول العالم الإسلامي

حيث بلغ عددهم أكثر من مئتي عالم وفقيه، وكان من أبرز الحضور:

١- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

٢- الشيخ محمد بن عبدالله السبيل.

٣- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان رحمه الله.

٤- أ.د. أحمد بن علي سير مباركي.

٥- د. صالح بن عبدالله بن حميد.

٦- د. عبدالله بن محمد المطلق.

٧- د. عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٨- الشيخ محمد بن حسن بن عبدالرحمن آل الشيخ.

٩- د. عبدالله بن سعد الرشيد.

١٠- الشيخ عبدالله بن محمد بن سعد خنين.

١١- د. سعد بن ناصر الشتري.

١٢- د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس.

١٣- د. سعود بن إبراهيم الشريم.

١٤- د. سعيد بن مسفر القحطاني.

١٥- الشيخ عبدالله المحفوظ بن بيَّه.

١٦- د. عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان.

١٧- د. عصام أحمد البشير أمين عام الهيئة العالمية للوسطية في الكويت.

١٨- الشيخ محمد رفيع بن المفتي محمد العثماني مفتي جمهورية باكستان.

١٩- د. محمد مصطفى الزحيلي أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة الشارقة.

٢٠- د. إبراهيم محمد السلقيني مفتي مدينة حلب.

٢١- د. يوسف القرضاوي.

٢٢- الشيخ خليل محيي الدين الميس مفتي زحلة والبقاع الغربي.

٢٣- د. علي جمعة عبدالوهاب مفتي جمهورية مصر العربية.

٢٤- الشيخ أحمد المرابط المفتي العام للجمهورية الموريتانية.

٢٥- د. محمد حسن الددو رئيس مركز تكوين العلماء في موريتانيا.

٢٦- د. حمزة أبو فارس عضو هيئة التدريس في جامعة طرابلس - ليبيا.

٢٧- د. يوسف أبرام إمام المؤسسة الثقافية بجنيف.

٢٨- د. خالد سيف الرحمن أمين عام المجمع الفقهي الإسلامي الهندي.

٢٩- د. أحمد بن محمد هليل رئيس القضاة في الأردن.

٣٠- الشيخ محمد أحمد حسين مفتي عام للديار الفلسطينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك.

٣١- د. الله شكور باشا زاده شيخ الإسلام ومفتي أذربيجان.

٣٢- الشيخ الأمين عثمان الأمين مفتي دولة إريتريا.

٣٣- الشيخ عبدالسلام عظيمي رئيس القضاة في أفغانستان.

٣٤- د. أحمد الحداد كبير المفتين في إدارة الإفتاء في حكومة دبي.

٣٥- الشيخ سليم موتشا مفتي ألبانيا.

٣٦- الشيخ شعبان رمضان موباجي المفتي العام لجمهورية أوغندا.

٣٧- الشيخ محمد أسلم خدابخش رئيس المحاكم الشرعية في أوروبا.

٣٨- الشيخ شمس الدين ضياء أستاذ بالجامعة الإسلامية بفتية بنجلاديش.

٣٩- د. علي برادق أوغلو وزير الأوقاف والشؤون الدينية في تركيا.

٤٠- د. محمد المختار السلامي مفتي الديار التونسية سابقًا.

٤١- د. سعيد برهان مفتي جمهورية جزر القمر الاتحادية.

٤٢- د. أحمد لوح عميد الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية في داكار.

٤٣- الشيخ معمر زكروليتش رئيس المشيخة لإقليم السنجاق في صربيا.

٤٤- الشيخ أحمد حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان.

٤٥- الشيخ شوقي درويش عمر باشيش مفتي جمهورية كرواتيا.

٤٦- الشيخ نعيم بايزيد ترنافا مفتي كوسوفا.

٤٧- د. داتو عبدالشكور حاج رئيس مجلس هيئة الفتوى بماليزيا.

٤٨- الشيخ سليمان رجبي أفندي مفتي مقدونيا.

٤٩- د. عبدالوهاب لطف الديلمي وزير العدل السابق، في اليمن.

٥٠- د. صلاح الصاوي رئيس الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية.

فكان اللقاء بهذه الثلة من العلماء أشبه ما يكون بالوداع، حيث أدخل المستشفى بعد خمسة عشر يومًا من عودته إلى الرياض.

وقد تخلل اللقاء تعارف وتشاور في كثير من القضايا مع كبار العلماء من العالم الإسلامي، وقد احتفى كثير منهم بالوالد رحمه الله وفرحوا به؛ لأنهم يعرفونه ويسمعون عنه ولم يلتقوه، لعدم خروجه إلى خارج المملكة ولقلة اشتراكه في المؤتمرات.

ومما ذكر لي إخوتي من عمره أنه في عام ١٣٩٠هـ ذهب إلى مكة المكرمة في رمضان ومكث عشرة أيام وكان معه والدتي ووالدتها، وعام ١٤٠١هـ اعتمر عمرة خفيفة مع والدتي ووالدتها وأخي محمد.

ولقد كان رحمه الله حريصًا على تطبيق السنة في الحج العمرة وكان يأخذ في ذلك بالعزائم كاملة دون توكيل أو إنابة أو ترخص قدر الإمكان.

فقد كان يحب أن يحرم من الميقات دائمًا ويغتسل فيه ويتنظف ولو كان حديث عهد باغتسال، وبعد أن يصلي في المسجد يلبي بالنسك ثم يشرع في التلبية.

وقد سألت الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن وقت الإهلال وأن الأحاديث في حجة النبي ﷺ تدل على أنه أهل لما ركب راحلته، فقال: أراد أن يبين للناس صفة الإهلال، والأصل أن الإنسان إذا لبس ملابس الإحرام أهل.

وإذا ركب السيارة أكثر من التلبية وكان يرفع بها صوته رَحِمَهُ اللَّهُ بخشوع وتذلل، وكان يلبي بتلبية النبي ﷺ: «**لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**» كما يلبي ببعض الصيغ الواردة، ومما كان يقوله: «لبيك وسعديك، والخير بيديك، لبيك والرغباء إليك والعمل»، ويقول أيضًا: «لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورقًّا»[1].

وهو يقول دائمًا: إن التلبية شعار للحاج والمعتمر، فإذا أحرم بالعمرة فإنه يكررها إلى أن يبدأ في الطواف؛ لأن بدء الطواف بدء في أسباب التحلل، وإذا أحرم بالحج فإنه يكررها حتى يبدأ في الرمي؛ لأن بدأه في الرمي بدء في أسباب التحلل، يكررها في كل وقت، ولكن تتأكد في عشرة مواضع كانوا يحفظونها عن النبي ﷺ فكان يكبر إذا علا نشزًا، يعني مكانًا مرتفعًا وإذا هبط واديًا، يعني مكانًا منخفضًا وإذا ركب دابته ومثلها السيارة وإذا نزل وإذا سمع ملبيًا وإذا تلاقت الرفاق أو الركبان وإذا صلى مكتوبة وإذا أقبل ليل أو نهار وإذا فعل محظورًا ولو ناسيًا.

والغالب أنه يتوجه للحرم مباشرة؛ ليطوف ويسعى مطبقًا السنة في ذلك بالاضطباع والرمل، ويحرص على مسح الركن اليماني غالبًا؛ لأنه متيسر، أما الحجر الأسود فلا يقبله إلا إذا اعتمر في الأوقات التي يكون فيها سعة، وكان في إثناء الطواف لا يفتر عن الذكر والدعاء، كما يقوم بالتوجيه والإنكار لما يراه من منكرات وبدع وغيرها، فينكر على الذين يتمسحون

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم ٨/ ١٧٤.

بالكعبــة وربما ناقشــ بعضهم بالأدلــة إن كان يفقه ذلك، ويشــدد في الإنكار علــى الرافضة الذين يدعون عليًّا والحســين وفاطمة، ويشدد على من يضايق الطائفين بالصلاة خلـف المقام مباشرة في وقت الزحام، ويحرص أن يصلى خلـف المقام في وقت السعة، وفي وقت الزحــام يصلي خلفه ولو بعيدًا، ويدعو بدعاء طويل بعد ركعتي الطواف ثم يتوجه إلى زمزم قبل أن يذهب للمسعى.

وفي المسعى يأتي بالذكر المشروع كاملًا مرددًا له ثلاث مرات كما ورد في حديـث جابر رضي الله عنه[1] وذلك كلما رقى الصفا والمروة، وكان يسعى بين العلمين سعيًا شديدًا حتى لا نكاد ندركه ولم يكن يركب العربات بل يسعى ماشيًا إلا في السنتين الأخيرتين من عمره، وكان ذلك بعد إلحاح شديد.

وإذا انتهى من السعي دعا دعاء طويلًا، وكان يرافقه في بعض عمره وفي حجاته الأخيرة تلميذه البار الدكتور طارق الخويطر، وقد قام بتسجيل معظم أدعية الوالد رحمه الله في المناسك كلها.

ولم يكـن يقصر من شعــره أبدًا وإنما كان يحلــق بالموسى، إلا في عمرة الحــج ليوفر الشعر لحجته، وكان يحث مــن معه على ذلك، ويقول: رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين.

وهو يحرص دائمًا على طواف الوداع في العمرة ويرى أن الاحتياط فعله خروجًــا مــن الخلاف في وجوبــه أو لكونه سنــة مؤكدة على قــول الجمهور[2] وبعدمــا ينتهي من طواف الــوداع إذا تيسر له وقف بالملتــزم داعيًا بما تيسر؛ والملتــزم: هو ما بين الباب والركن، ما بين الحجر الأسود والباب؛ روي أن فيه تستجاب الدعوة.

(١) أخرجه مسلم في باب حجة النبي ﷺ من كتاب الحج برقم /١٢١٨.

(٢) الفتوى رقم /٦٣٦١.

وصفة التزامه: أن يضع يديه عليه، وإذا قدر وضع صدره، أو خده عليه، ثم يدعو بما ورد، فيقول: «اللهم، هذا بيتك، وأنا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، حملتني على ما سخرت لي من خلقك، وسيرتني في بلادك، حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك، وأعنتني على أداء نسكي، فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا، وإلا فمُنّ الآن عليَّ، وهذا وقت انصرافي، إن أذنت لي غير مستبدل بك سواك، فقبل أن تنأى عن بيتك داري، اللهم فأصحبني العافية في بدني، والصحة في جسمي، والعصمة في ديني، وأعطني طلبي، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي ﷺ.

وأما الحج فإنه في الغالب يصل إلى مخيم الحج في اليوم السابع، ويبدأ في توجيه الحجاج وإرشادهم، كما ستأتي الإشارة إليه بعد إن شاء الله تعالى.

ويحرم بالحج قبل الظهر من اليوم الثامن؛ ليصلي بإحرامه خمس صلوات كما هي السنة، وكان يلوم من يراه من الحجاج يتأخر في الإحرام، وبعد الإحرام يمارس برنامجه المعتاد.

وفي صباح يوم عرفة يتجه إلى عرفات ملبيًا، وكان رَحِمَهُ اللهُ ينهى رفقته عن العجلة والمزاحمة، وكان ينزل في خيمة خاصة به، أو في مخيم الجهة التي جاء معها.

ومع أنه كان ينزل في داخل الأميال، لكنه يرى أن الحدود التي هي حدود عرفة فيها شيء من الاحتياط[1] وإلا فهي واسعة تمتد شمالًا وجنوبًا نحو عشرة كيلو مترات، وكذلك أيضًا شرقًا وغربًا تمتد إلى الجبال الشرقية وإلى الجبال الغربية أو قريبًا منها ويستثنى منها الوادي الذي هو بطن عرنة.

(١) =http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=71&toc=4642&page=4184&subid

وفي عرفة يتفرغ للدعاء إلا ما يكون من إلقاء كلمات توجيهية ووعظية قبل الظهر أو بعده.

وكان يخرج في خارج الخيمة ويقول للناس: اخرجوا ويذكر قول ابن عمر حينما أبصر رجلًا على بعيره وهو محرم قد استظل بينه وبين الشمس، فقال له: «أضحِ لمن أحرمت له»[1] يعني لا تستظل.

وكان يكثر ويحث على الإكثار من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير، ويروي ما نقل عن الحسين بن الحسن المروزي[2] وكان جاور بمكة المكرمة حتى مات، قال: سألت سفيان بن عيينة عن تفسير قول النبي ﷺ: أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير** وإنما هو ذكر ليس فيه دعاء؟.

قال سفيان: سمعت حديث منصور عن مالك بن الحارث؟ قلت: نعم، قال: ذاك تفسير هذا ثم قال: أتدري ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى ابن جدعان يطلب نائله ومعروفه؟ قلت: لا، قال: لما أتاه قال:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء

قال سفيان فهذا مخلوق حين ينسب إلى الجود قيل يكفينا من تعرضك الثناء عليك حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق؟

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في باب من استحب للمحرم أن يضحي للشمس من كتاب الحج برقم /٨٩٧٤.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم /٥٧٥.

فيقول الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: كأنهم يستحبون أن يأتوا بهذا الشعر؛ لأن فيه إظهار الضعف والافتقار لله تعالى ولو كان الشاعر وجهه إلى آدمي، فأنت إذا قلت: يا ربِّ، لا حاجة إلى أن أذكر حاجتي، وأنت أعلم بما أحتاج، فأعطني حاجتي من غير سؤال، أثني عليك، وأذكرك، وأمدحك بما أنت أهله، فيكفيني أن أمدحك، وأثني عليك، ويكفي ذلك في قضاء حوائجي في دنياي، وفي أخراي.

وكان يبتهل في الدعاء قائمًا وقاعدًا وقد رأيته في السنتين الأخيرتين يقرأ بعض الأدعية من أحد الكتب، وإلا فمعظم دعائه ارتجال، يطيل في ذلك ولا يتحدث مع أحد، إلا إن سأله سائل فيجيبه باختصار، ويبقى على هذه الحالة إلى قرب الغروب حيث يتوجه للسيارة استعدادًا للنفرة من عرفات.

يقول د. محمد بن عدنان السمان[1] وقد صحبه في إحدى حجاته رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعد أن وصلنا إلى عرفات كان أول ما أمرنا به أن نستعد للصلاة، فصلينا الظهر والعصر، ثم أوصى القائمين على الحملة بسرعة وضع طعام الغداء؛ لنتفرغ للعبادة والدعاء، وقد اجتمعنا معه رَحِمَهُ اللَّهُ في مكان واحد قبل الغداء فوالله إن أكثر الناس كانوا يتحدثون فيما بينهم ويتسامرون استعدادًا للطعام وكان رَحِمَهُ اللَّهُ تتحرك شفتاه بذكر الله انشغل بذلك عن الحديث مع الناس، وقد رأيته رَحِمَهُ اللَّهُ قام بعد الغداء واستقبل القبلة يدعو وكان الحر شديدًا حتى أننا كنا نرفع أيدينا بالدعاء فيرهقنا الحر فنرتاح لفترة، وكنت أنظر إليه فوالله لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ على حاله التي بدأ فيها بالدعاء رافعًا يده حتى تحركنا لمزدلفة، فتعجبت كثيرًا من رجل بمثل سن الشيخ وعمره كيف يصبر على مثل هذه العبادة مع وجود المشقة الظاهرة والحر الشديد».

---

(١) http://www.alssunnah.net/vb/showthread.php?t=2213.

وفي الطريق إلى مزدلفة لا يتوقف عن التلبية إلا نادرًا حتى إذا وصل المزدلفة بدأ بالصلاة قبل كل شيء، ثم تعشى ثم اضطجع، وبعد صلاة الفجر يجلس في مصلاه يذكر الله حتى الإسفار تطبيقًا للسنة ثم يتوجه إلى جمرة العقبة.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ يرمي الجمار بنفسه في الوقت المسنون، حيث يرمي جمرة العقبة ضحى يوم العيد بعد قفوله من عرفات، ويرمي الجمرات الأخرى بعد الزوال وقبل الغروب، ولم يكن يرمي في الليل إلا قليلاً، ولا أتذكر أنه وكَّل في رمي الجمار لا في العقبة ولا في غيرها، بل إنه نزل مع الدرج الطويل المعروف قديمًا الذي ينزل من الجبل إلى الجمرات سنوات عدة، فإذا رمى حلق شعره عند الجمرات ثم رجع إلى المخيم، وكان قديمًا يذهب لحضور نجر هديه، ولما تولى البنك الإسلامي موضوع الهدي أصبح يوكلهم أو يوكل بعض الإخوة في مكة المكرمة.

وفي منى يمارس نشاطه المعتاد ويذهب لطواف الإفاضة في ليلة الثاني عشر لقلة الزحام ولا يؤخره مع الوداع، فيذهب غالبًا في الساعة العاشرة ولا يعود إلا في الثانية صباحًا.

ولا أذكر أنه تعجل في شيء من حجاته سوى ما ذكره عن الحجة الأولى، بل دائمًا يرمي الثالث عشر ثم يطوف للوداع ويقفل راجعًا للرياض.

وهو في معظم وقته في الحج إذا لم يكن مشغولاً بعبادة أو تعليم، كتابه في يده في جميع المشاعر، حيث يستغل وقت الفراغ في القراءة في بعض كتبه التي ستطبع، أو فحص بعض الكتب التي يطلب منه مراجعتها.

وبعد أن قامت الدولة بفتح المجال لتنظيم حملات الحج لمن هم في داخل المملكة، أصبح الوالد يرافق بعض الحملات كما ذكرنا، ويعرف كل من حج معه رَحِمَهُ اللَّهُ كثرة دروسه ومحاضراته في مخيمات الحجاج، فمع قيامه

بمسؤولية المخيم الذي يحج معه، من كلمات توجيهية وإجابة السائلين عن فتاواهم ومشكلاتهم، فإنه يلبي دعوات في المخيمات الأخرى ويدعوه كثير من الحملات والقطاعات الحكومية.

وكان ينظم له جدول حافل في الحج يمر فيه على كثير من حملات الحج المهمة كحملة الإحسان والفرقان والركن الخامس ومخيم العطير ومخيمات وزارة الدفاع والداخلية وغيرها كثير، فيكون عنده في اليوم الواحد خمسة برامج أو ستة غالبًا، كما أنه في اليوم السابع قبل ذهابه لمنى تستضيفه حملة الياسين من الكويت في مقرهم بالعزيزية.

ومعظم ذهابه للحملات في منى يكون مشيًا على الأقدام مع أن أصحاب الحملات يحرصون على توفير وسيلة النقل، لكن ما إن يركب وتسير السيارة قليلًا حتى تقف بسبب الزحام فيضطر للنزول والمشي على قدميه، وقد عرضوا عليه أن يركب الدراجة النارية فأبى استحياء.

وقد خففنا عنه في السنتين الأخيرتين من الذهاب للحملات رفقًا به رَحِمَهُ اللَّهُ، وأصبح نشاطه في مخيم الحرس الوطني، ولكنه نشاط مكثف.

يقول الدكتور طارق بن محمد الخويطر[1] وقد رافق الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ سبع سنوات في الحج: «لاحظت عليه كثرة دروسه ومحاضراته وكلماته، ففي أيام الحج القليلة كان له جدول كامل في مصلى الحرس الوطني، يلقي فيه كلمات ومحاضرات؛ بعد الفجر، والعصر، والعشاء، وأحيانًا بعد الظهر، وبعد المغرب، وكنت بعد انتهاء كلمته أعرض عليه من الأسئلة التي يقدمها الجلوس من الحجاج الذين أتوا إلى معسكر الحرس الوطني، فكان يجلس بعد صلاة

---

(١) http://www.al-jazirah.com/96916/rj5.htm.

الفجـر إلى ما بعد الإشراق في كلمته، ثم ألقي عليه الأسئلة، ثم بعد أن تنتهي الإجابـات يجلس في المصلى؛ ليستمع لبعض أسئلـة الحضور الذين لم أتمكن من عرض أسئلتهم عليه.

وبعد ذلك يذهب إلى خيمته ليرتاح قليلًا، ثم يجلس في الساعة التاسعة للإجابـة عن الأسئلة التـي تلقى عليه من زوار المخيم، وقـد وُضِع أيضًا عنده جهـاز الهاتف لـيرد على أسئلة المتصلـين، وكان بعض الدعـاة في المخيم إذا أشكل عليهم شيء راجعوا سماحته في الأسئلة، فيوضحها لهم.

ومـن الأشياء التـي استفدتها من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الحـج: حرصه على تطبيـق السنن وتركه للرخص، أذكر مرة أننـا في ليلة الثاني عشر ذهبنا إلى رمـي الجمـار، فخرجنا من مخيم الحرسـ متجهين إلى الجمـار في الساعة العاشرة مساء تقريبًا، ثم ذهبنا بعد ذلك إلى الحرم وخرجنا منه بعد أدائنا لطـواف الإفاضة وسعي الحج في الساعة الثانية عشـرة مساء، وركبنا إحدى السيـارات التـي يركبها عامـة النـاسـ، وفي الطريق توقف السـير من زحمة السيـارات وجلسنـا قرابة نصف ساعـة أو ساعة إلاّ ربعًا ننتظـر انفتاح هذا الطريـق، فقال: مشينا على الأقدام وخروجنا من السيارة أفضل من جلوسنا دون فائـدة، فنزلنا من السيارة، ومشينا معه، وكان يعرف الأماكن والمناطق، ولم أعرف الطريق إلى المخيـم بسبب الزحام الشديد، فتبعت سماحة الشيخ وهـو يذهب يمينًا وشمالًا حتى وصلنا إلى المخيـم في الساعة الرابعة صباحًا، وبقـي علـى أذان الفجـر ساعة وقليـل، وكان عنـده كلمة بعد صـلاة الفجر، فعرضت عليه أن نؤخر الكلمة إلى صلاة الظهر، ونجعل الشيخ سعد بن ناصر الشثري يقدم درسه إلى الفجر، فقال: لا يحتاج الأمر إلى تقديم، وإنما يعيننا الله. وهذه كلمة كان يرددها دائمًا، وهي تدل على صدق توكله رَحِمَهُ اللَّهُ.

فاقترحت عليه ألا يلقي كلمة، وأن يكتفي بالإجابة عن الأسئلة، فرفض، وألقى الكلمة في قريب من الساعة، ثم قرأت عليه الأسئلة».

وأما في عرفات فإنه يقتصر على الموعظة في المخيم الذي هو فيه، وقد اجتمع سنوات عدة في عرفات مع الشيخ أبي بكر الجزائري في حملة الشيخ سليمان اليحيى، وكانا يتناوبان الوعظ في ذلك اليوم، فلا تسأل عن تأثر الناس وبكائهم؛ لأن كل واحد من الشيخين، يعصر بكلامه القلوب، ويستمطر الدموع.

ومن خلال الحج معه سنوات عدة ألاحظ أن كلماته في عرفات تكون موعظة مؤثرة جدًّا.

وأما زيارة المسجد النبوي فكل زياراته عرضية ولا أذكر أننا شددنا الرحال له من الرياض وإن كانت مشروعة ولكنه غالبًا يزوره كل عام وبخاصة في السنوات السبع الأخيرة فإن له دورة علمية صيفية سنوية في جامع عبداللطيف آل الشيخ، فيمكث في المدينة المنورة أسبوعًا يصلي معظم الصلوات في الحرم ويلقي درسًا بعد الفجر وبعد العصر، ويحرص كلما زار المدينة المنورة على الصلاة في مسجد قباء، وزار كثيرًا من معالم المدينة كآثار البراكين ومقبرة الشهداء ومطبعة المصحف النبوي، ويلقي كلمات في بعض الدوائر الحكومية كالحرس الوطني والسجون وغيرها.

الذكر والدعاء

توافرت الآيات والأحاديث على فضل الذكر والدعاء وقراءة القرآن وهي مشهورة معروفة، منها قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨] ، وقد أخرج البخاري في صحيحه

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت»[1]، وقال ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[2].

ولقد كان الوالد رحمه الله يحرص على هذه العبادة العظيمة؛ لعلمه بأهميتها وما تجلبه للعبد من خيري الدنيا والآخرة، وقد نقل بعض طلاب الشيخ ومحبيه كثيرًا من المواقف التي تدل على حرصه على هذه العبادة، وقد مر بنا في الكلام عن الصيام والحج بعض ما يتعلق بذلك.

وهو يوجه دائمًا إلى فهم معنى الأذكار والأدعية كالتهليل والتسبيح والاستغفار والتحميد والتكبير والحوقلة حتى يكون لها تأثير، وإلى استحضار القلب؛ لأن تأثير الذكر وثوابه إذا كان بالقلب واللسان أعظم مما يكون بأحدهما ثم يليه ما كان بالقلب ثم ما كان باللسان، وهكذا إن تفكر في معانيها وشغل قلبه بها ولو كان ساكتًا فله أجره بقدر عمله[3].

ويقول: إن الدعاء يطلق شرعًا على: دعاء العبادة ودعاء المسألة، وهما متلازمان[4]:

فدعاء العبادة: هو فعل كل الطاعات، وأداء جميع القربات امتثالًا لأمر الله، وتقربًا إليه، وهو متضمن دعاء المسألة، فإن المصلي داع بلسان الحال يقول: أريد من فعلها مغفرة الله وجنته، فهو سائل في الأمر نفسه.

---

(١) باب فضل ذكر الله من كتاب الدعوات برقم/ ٦٤٠٧.

(٢) أخرجه الترمذي في باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء من أبواب القدر برقم/ ٢١٣٩.

(٣) الفتوى رقم ٩٥٤٥.

(٤) ذكر هذا في كثير من دروسه ومحاضراته رحمه الله ومنها في أول كتاب الصلاة من شرح التسهيل في الفقه.

أما دعاء المسألة: فهو السؤال والطلب، كسؤال الجنة والتعوذ من سخط الله، ومن النار ونحو ذلك، وهو ولا بد مستلزم لدعاء العبادة، فإن حقيقة العبادة الذل والخضوع، والتواضع والإذعان، فالذي يدعو ربه يسأله حال تذلل وخشوع وإنابة وإخبات.

وأما الذكر: فكل شيء يذكر بالله من الأقوال والأعمال؛ فذكره بالتهليل والتكبير والتعظيم والتحميد والاستغفار، وذكره بذكر أسمائه وصفاته؛ فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، وذكره بذكر أفعاله؛ بتذكر خلقه لنا، وخلقه للمخلوقات.

وبعد هذه المقدمة سأنقلك إلى بعض الجوانب المهمة من حياته التي تتعلق بالذكر والدعاء وقراءة القرآن.

فأما الأذكار فقد كان رَحِمَهُ اللهُ محافظًا على جميع أنواع الذكر، كأذكار الصباح والمساء، والذكر بعد الصلاة، والأذكار الخاصّة ببعض المناسبات، كأذكار السفر والركوب والدخول والخروج من المنزل والمسجد وغيرها.

كان رَحِمَهُ اللهُ يجلس في مصلاه بعد أداء الفريضة ولا يقوم حتى يتم جميع الأذكار الواردة؛ بل كان يجلس بعد صلاة الفجر إذا لم يكن عنده درس حتى تشرق الشمس ويصلي ركعتين لما ورد في ذلك من الفضل.

وقد عُرف عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يعقد التسبيح بكلتا يديه، وهو رأيه رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة خلافًا لمن يرى أن التسبيح يكون باليمين فقط، وقد سبقت المسألة وفصلت الكلام فيها في أثناء الحديث عن الفتاوى المشهورة عنه رَحِمَهُ اللهُ.

وأما الدعاء فإن له رَحِمَهُ اللهُ معه أحوالًا عجيبة، فهو كثير الدعاء في كل الأحوال والأوقات يهتم لذلك ويطيل فيه، يدعو بعد الصلوات وفي رمضان وفي الحج ويحرص في محاضراته ودروسه على أن يختم بالدعاء.

وقد اشتهر عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يرفع يديه عند الدعاء في جميع المواطن[1]، فهو رَحِمَهُ اللهُ يرفع يديه ويدعو، وهو يخطب على المنبر وذلك في جميع الدعاء وليس في دعاء الاستسقاء فقط، ويرفع يديه للدعاء بعد الصلوات النوافل، وبعد دفن الجنازة، وقبل صلاة الفجر وبعدها، وفي جميع المواطن التي يشرع فيها الدعاء، هكذا كان رأيه رَحِمَهُ اللهُ، وكان يقول: «رفع اليدين سبب من أسباب إجابة الدعاء، كما في حديث سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا»[2] يعني: خاليتين، وثبت في حديث أنه ﷺ: «كان رافعًا يديه يدعو، وخطام الناقة في يده اليمنى، فسقط منه الخطام، يقول الراوي (فرأيته رافعًا يده اليسرى وقد مد يده اليمنى، ليتناول الخطام)[3] ما يدل على أنه استمر في رفع يديه، أي: طوال ذلك الوقوف رافعًا يديه، وهو من أسباب إجابة الدعاء.

وفيه أحاديث كثيرة، قيل: إنها بلغت سبعين حديثًا، وفيها تأليف للمنذري، وجمع منها السيوطي اثنين وأربعين حديثًا عن جماعة من الصحابة، ورسالة السيوطي اسمها: فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء، وهي محققة ومطبوعة، ويدل مجموعها على أن رفع اليدين متأكد في الدعاء، وأما حديث أنس: (لم يكن النبي ﷺ يرفع يديه، إلا في الاستسقاء)[4] فيريد المبالغة، فإنه كان إذا استسقى على المنبر رفع يديه حتى تكون على رأسه مبالغة في ذلك، فأما في حال الدعاء مطلقًا فإنه يرفعهما إلى صدره، وقد ورد ذلك في حديث: (أنه لم يكن النبي ﷺ يرفعها أكثر من الصدر)[5].

(١) انظر الفتاوى رقم ٣٦٢ ورقم ٩٣٢.

(٢) أخرجه أبوداود في باب الدعاء من كتاب الوتر برقم ١٤٩٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أسامة بن زيد برقم ٢١٨٧٠.

(٤) أخرجه البخاري في باب رفع الإمام يده في الاستسقاء من كتاب الاستسقاء برقم ٩٨٤.

(٥) أخرج ابن المنذر في "الأوسط" "٢١٣/٥"، حديثًا برقم "٢٧٣٣"، "عن عبدالله أنه كان يرفع يديه في القنوت إلى صدره".

ومما اشتهر به أيضًا أنه كان يمسح وجهه بعد الانتهاء من الدعاء دائمًا؛ سواء كان دعاؤه وهو يخطب على المنبر، أو في مواضع أخرى، وهذا خلاف لمن يقول: إن مسح الوجه بعد الدعاء بدعة [1]، وذكر الحافظ حديثًا له شواهد في آخر «بلوغ المرام»، وذكر أنه بإسناد حسن، وبالتتبع بلغت سبعة أحاديث عن سبعة من الصحابة، كان يرفع يديه ويمسح وجهه بيديه بعد الدعاء، والذين أنكروه كأنهم لم يتتبعوا طرق الأحاديث.

أيضًا ورد مسح الوجه عن كثير من الصحابة من فعلهم، فقد كانوا يمسحون وجوههم بأيديهم بعد الدعاء، وذكر الحكمة صاحب «سبل السلام» فقال: إنه إذا رفع يديه فلا بد أن يكون بهما خير ورحمة وغفران، فأولى أعضائه بهذه الرحمة وجهه، فيمسح وجهه حتى يبيض وجهه يوم تبيض وجوه.

وقد ذكر السيوطي في كتابه المذكور خمسة أحاديث في ذلك ومما كان يورده الوالد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فرفع يديه فإن الله تعالى جاعل في يديه بركة ورحمة فلا يردهما حتى يمسح بهما وجهه» [2].

وكان الوالد رحمه الله يحرص على الدعاء أحيانًا بين الأذان والإقامة، وخاصّة في صلاة الفجر بعد أن يؤدي السنة الراتبة؛ فإنه يجلس محتبيًا ويرفع يديه ويدعو دعاءً طويلًا، قد يصل إلى خمس عشرة دقيقة، وقد سألته مرارًا عن شرعية ذلك، فذكر لي سنيته، وقال لي: إن الدعاء بين الأذان والإقامة في صلاة الفجر خاصّة مشروع.

---

(١) انظر الفتوى رقم ٣٩٠٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء في باب مسح الرجل وجهه عند الفراغ من الدعاء برقم /٢١٤.

ولعله يشير إلى ما رواه الطبراني في الدعاء[1] عن ابن عباس، قال: بعثني العباس رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيًا وهو في بيت خالتي ميمونة رضي الله عنها فقام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فلما صلى الركعتين قبل الفجر قال: «**اللهم، إني أسألك رحمة من عندك....الحديث**».

ومع تضعيف بعض العلماء للحديث ولكنه رحمه الله ربما رأى أن في طرقه الكثيرة ما يقويه، وهو رحمه الله يرى العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والمواعظ، فقد قال في إحدى الفتاوى[2] التي سئل فيها عن الحديث الضعيف: يُعمل بالحديث الضعيف في المواعظ وفضائل الأعمال بثلاثة شروط: أولها ألاّ يكون الضعف شديدًا، كالموضوعات فلا تذكر إلا على وجه البيان، والشرط الثاني أن تدخل تحت قاعدة عامة كفضل الصلاة وفضل الجهاد وفضل النفقة ونحو ذلك، الشرط الثالث: ألا يعتقد صحتها عند العمل بها حتى لا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله. والله أعلم.

وإذا شكا له أحد مرضًا أو بلاء حثه على الحرص على الإتيان بالأوراد والأذكار في الصباح والمساء وعند النوم، فهي تكون سببًا في حفظه بإذن الله من إصابة عين أو سحر أو مس أو مرض أو تسليط شيء من الدواب أو السباع أو الناس، وإذا قدَّر الله شيئًا فإنه يحصل في غفلة من ذلك الإنسان عن تلك

---

(١) باب الدعاء بعد ركعتي الفجر برقم /٤٨٢، وأصل الحديث في الترمذي في باب ما جاء ما يقال إذا قام من الليل من كتاب الدعوات برقم /٣٤١٩ عن داود بن علي عن أبيه، عن جده ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته: «اللهم، إني أسألك... الحديث "ولم يذكر فيه أن الدعاء بعد ركعتي الفجر، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مثل هذا من حديث ابن أبي ليلى إلا من هذا الوجه، وقد روى شعبة، وسفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن كريب، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ بعض هذا الحديث، ولم يذكره بطوله». قال الألباني رحمه الله في ضعيف سنن الترمذي ٤٤٧/١: "ضعيف الإسناد".

(٢) الفتوى رقم /٦٥٤٨.

الأوراد، فتكـون الإصابة مُترتبة على نسيانه لتلك الأدعية، ذكر بعض العلماء أنه كان محافظًـا على قولـه في كل مكان: أعوذ بكلمـات الله التامة من شر ما خلق، يقول فلم يُصبني شيء، وفي ليلة لدغتني عقرب فتذكرت أني نسيت ذلك الدعاء.

وأمـا حاله مع القرآن الكريم فإن القرآن راحته وروحه ولقد ذكرت قبل ملازمتـه للقـرآن حتى استظهـره وأنه كان يمكث في المسجـد قريبًا من عشر ساعات، ولما أكمل حفظه ابتدأ يكرره وكان يختمه في كل ثلاثة أيام[1].

وهـو رَحِمَهُ اللَّهُ في وقته كله في عبادة، سـواء كان في المسجد أو في المنـزل أو في السيارة، فهو إما في درس أو فتوى أو فائدة أو يقرأ في كتاب، فإذا لم يشغل بشـيء من ذلـك اشتغل بالقـرآن، وأراه في رمضان لا تـكاد شفتاه تقفان عن القراءة لكتاب الله.

تقول أختي هيا: «إذا كنا في الطريق فإنه يأخذ كتبًا، أما إذا صار سفرنا في رمضان إلى مكة المكرمة فإنه وإن أخذ كتبًا فإنه طول الطريق يقرأ القرآن الذي يحفظه عن ظهر قلب.. كنت أحيانًا أراقبه وأقول في نفسي: غير معقول.. لا بـد أن يغلط أو يتردد في آية ما.. لكنه يستمر يقرأ بصوت خافت وهو ينظر إلى الطريق حتى يأتيني النوم. وأحيانًا أستيقظ وهو على حالته تلك».

وقـد ذكـرت في الـكلام عـن جولاتـه الصيفيـة القصـة التـي ذكرها عبدالرحمـن ابن العم ناصر، وهو قـد لازم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في السنوات الثلاث الأخـيرة من حياته وفيهـا أنه صحب الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام سبع وعشرين لمكة المكرمـة في الصيـف يقول: «وكنت أتيت معي بمسجـل لأسجل أحاديث الشيخ وقصصـه العجيبة، فلمـا وصلنا الطريـق الدائري للرياض بـدأ الشيخ يقرأ القرآن وما قال لي كلمة واحدة حتى إني استوحشت ... إلخ».

---

(١) «صفحات من حياتي» الحلقة الثانية.

ويقــول الوالــد رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «في هــذه الأزمنــة انشغلنا كثــيرًا وشغلنا عن مراجعة القران، أتذكر قبل أربعين سنة أو نحوها في حدود ١٣٨٦هـ أو قبل ذلك أننــي كنت أختم القــرآن في كل أسبوع وأواظب على ذلك، ولكن في هذه الأزمنة مع كثرة الأعمال لا يتيسر ختمه إلا في كل عشرين يومًا أو قريبًا من ذلك.

عندنا تصحيح كتب يأتي بها كثير من الإخوة يرغبون أن نقدم لها وأيضًا مــن مؤلفاتنا وذلك لأن بعض الإخوة يسجلون لنا محاضرات ودروسًا ونحتاج إلى مراجعــة ذلــك حتى تصحــح وتطبع وكذلــك نحتــاج إلى المطالعة لبعض الدروس وبعض المسائل التي نشتغل بها، وكذلك نجعل وقتًا للأسئلة الهاتفية؛ لكثرة الذين يحتاجون إلى الإجابة عن أسئلة الهاتف بعد العصر وبعد الظهر وأحيانًا بعد العشاء وتأخذ وقتًا ولو جلسنا عند الهاتف لما تفرغنا لكثرة الذين يتصلون عندهم أسئلة وعندهم مشكلات وهكذا أيضًا كثرة المراجعين الذين عندهم مشكلات والذين يريدون أن نشفع لهم أو نخفف عنهم بعض ما وقعوا فيــه من الأزمات، هذه كلها تأخذ وقتــا وإلا نود أن نعود إلى ما كنا عليه لنقرأ القرآن كل أسبوع وكل عشرة أيام والله المستعان».

وهــو يرى مشروعيــة دعاء الختمة بعد ختــم القرآن، ســواء ختمه ليلاً أو نهــارًا يقــول[2]: «إن كان في صــلاة التراويح فختمه في أثنــاء الصلاة دعا بالدعاء وإن ختمه في آخرها أتى بالدعاء وإن أخره فختم في صلاة الوتر دعا بالدعاء قبل الركوع، وليــس هناك دعاء محدود وهناك أدعية ذكرها النووي في كتــاب التبيان، وهناك دعاء مطبوع ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويسن الدعــاء بــه، ويما يلحق بــه، واستحب بعض العلمــاء أن يختــم أول الليل؛ لأن الملائكة تستغفر له بعد الختمة إلى آخر الليل».

---

(١) قصتي في طلب العلم.

(٢) الفتوى رقم ٩٠٢.

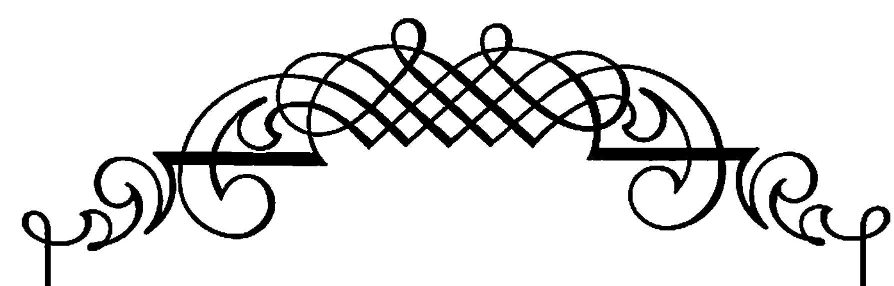
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



القسم السادس

شيخ الأمة

- مكانة الشيخ
- مؤسسة متكاملة
- الباب المفتوح
- العمل الخيري
- الشيخ المحتسب
- في قلب الحدث
- مع المجتمع
- وللعيد طعم آخر



شيخ الأمة

كان حديثنا في القسم السابق عن علاقة الشيخ رحمه الله بربه جل وعلا، وقد تابعنا زورقه الذي طوف كل بحار العبادة في خشوع وسكينة، تجللهما العقيدة السلفية والسنة المحمدية، وفي هذا القسم سنبحر مع الشيخ رحمه الله في علاقته بالناس، ومما يمتاز به الكبار أنهم شيوخ للأمة ليسوا شيوخ طائفة أو نحلة أو مذهب أو طريقة أو جماعة أو حزب أو غيرها من وسائل تشرذم الأمة وتفككها. وقد تأثر الشيخ الوالد رحمه الله كما ذكرنا بشيخه ابن باز رحمه الله؛ لِمَا كان يراه من حرصه على العلم والتعليم والعبادة ومواظبته على الأعمال والسنن[1].

وكان الشيخ ابن باز رحمه الله قد سلك مسلك التوسط في جميع الأمور، ومحاولة جمع كلمة المسلمين عامة وطلاب العلم منهم بخاصة، وهذه الطريقة لم يحتج لها مشايخه السابقون؛ لكون علماء نجد إذ ذاك لم يختلطوا بغيرهم، ولم تصلهم رياح الاختلاف.

كان الوالد رحمه الله شيخاً للأمة، لم يؤطر نفسه في جماعة، ولهذا تجد أن كثيراً من الجماعات يعتقدون محبته لهم ونصرته لهم، بل ربما تجد أرباب المذاهب والأفكار والجماعات يختلفون في تصنيفه؛ لأنه مع الجميع ناصحاً وموجِّهًا ومرشدًا ومؤيدًا.

وإذا كانت الحدة تغلبه أحيانًا وقد يقسو على بعض الفئات من أهل السنة لكنه لا يحمل في قلبه ضغينة ولا بغضًا ولا حسدًا ولا عداوة، وسيأتي في هذا القسم والذي بعده ما يكشف ذلك إن شاء الله.

---

(١) قصتي في طلب العلم – جامع الصانع

سأتحدث في هذا القسم - إن شاء الله - عن علاقة الشيخ الوالد رحمه الله بالمجتمع، سواء في مجال نفع الناس بالشفاعات والإصلاح والمساعدة المادية والمعنوية، أو في مجال صلة الناس ومحبتهم وتقديرهم ومواساتهم ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم، أو في مجال دعم العمل الخيري المنظم عبر المؤسسات والجمعيات الرسمية، أو في مجال الاحتساب والمساهمة في صيانة المجتمع والمحافظة عليه من الأخطاء والأخطار بالتواصل مع ذوي الولاية، أو بتوجيه العامة وطلاب العلم.

كما سأتحدث عن علاقة الشيخ الوالد رحمه الله بالعالم الإسلامي وتفاعله مع الأحداث ونصرته لقضايا المسلمين ودفاعه عنها.

سيتبين لك أن الشيخ الوالد رحمه الله مؤسسة متكاملة، بل يقوم بأكثر مما تقوم به بعض المؤسسات تسديدًا من الله له وتوفيقًا.

وسنقدم قبل ذلك بمقدمة عن مكانة الشيخ الوالد رحمه الله في قلوب المسلمين من الولاة والعلماء وطلاب العلم والعوام، مما سيؤكد لك أنه شيخ للأمة رحمه الله رحمة واسعة.

مكانة الشيخ

قدمنا هذه النقطة قبل عناصر هذا القسم، وإن كان حقُّها التأخير؛ لأنها كالنتيجة لما بعدها، لأن الحديث عن مكانته يعطي القارئ تصورًا أن شيخًا بهذه المكانة وإماما بهذا القدر لابد أن يكون له من الفعال والخِصال ما يجعله يتبوأ هذه المكانة، ويَحِلُّ في هذه المرتبة، بل يتسنم من المراتب أعلاها ومن الأماكن أولاها.

«الحق الذي لا مرية فيه أنه بعد وفاة شيخه ابن باز أصبح عالم الرياض الأكبر، ومفتي الناس، ومعلم الناس الخير، الشيخ الذي يتترس الشباب الأقوياء بفتاواه ومواقفه ويكون أولهم في الصف»[1].

هذه العبارة ليست من كلامي كما تشاهد في الهامش، فإنها وإن كانت صحيحة فليست مناسبة من مثلي بحكم قربي من الوالد رحمه الله، ولكني أعتقد صوابها وأرى منها ما لايراه البعيد من الناس، وقد جاء في كلام الشيخ خضر حفظه الله وكلامه درر قوله عن الوالد رحمه الله: «لم يأبه للمناصب الرسمية، وكثير من الناس يصفونه بمناصب تَشرفُ به، وينعتونه بها من حسن ظنهم بنزاهة المناصب ومن يتولاها، لكنه لم يعين فيها أصلاً، بل ليس له منصب رفيع إلا في قلوب الناس، فهو خطيب لجامع عادي في الرياض، وعضو إفتاء متقاعد فقط، هكذا بدون زيادة، شغل منصب معلم في معهد في الرياض سنين طوال، وهذا المعهد إنما تعادل شهادته الثانوية، ونقلت خدماته للجامعة على كبر سنه، فلم يمكث فيها إلا بضع سنين.

ثم طلبه شيخه ابن باز ليكون معه في رئاسة الإفتاء بمرتبة مفتٍ يرد على الهاتف ويجيب على الأسئلة الشفهية ويراجع البحوث قبل نشرها بمجلة الإفتاء، لم يكن ذا منصب رسمي كبير في رئاسة الإفتاء مثل بقية الشيوخ، ولكنه إذا دخل مكتبه تقاطر الناس عليه كما يتقاطرون على مواقع الربيع والخير، فكان هو زينة للمنصب، وبقي رفيع الجاه والمكانة عند الناس».

فالشيخ رحمه الله له مكانة واحترام في قلوب الخلق صغارا وكبارا رجالا ونساء من جميع المستويات والجنسيات، بل إن مهابته تجعل من لايعرفه يقدره.

---

(١) خضر بن صالح بن سند، عبد الله بن جبرين الأسطورة المشاهدة موقع ملتقى أهل الحديث
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729

كنا نتعب كثيرًا ونحن نمشي في الأماكن التي يكثر فيها الناس، كمواسم الحج والعمرة والمسجد النبوي والمناسبات العامة رسمية كانت أو اجتماعية، من كثرة الذين يسلمون على الوالد رحمه الله، بل أحيانًا يتجمهر الناس بعضهم للسلام وبعضهم للتأمل والنظر، حتى أنك تجد الشرطة في الحرم مثلاً يأتون لينظروا ما الأمر!.

يقول الشيخ محمد الشايع[1]: «في ظني الذي لا يخيب أن الشيخ يملك مواصفات عالية جعلت منه شخصية محبوبة لعامة الخلق صغيرهم وكبيرهم، نسائهم ورجالهم، في جميع أصقاع الأرض، هذا الحب لم يكن وليد الصدفة، فكنز الحب لم يأتِ من سَعَة ماله، أو رفعة جاهه، أو شرف مقامه، بل نبع ذلك من إخلاص صادق، وقلب طاهر، وفؤاد نقي، فلا يحمل في قلبه غيظًا ولا حنقًا ولا احتقارًا، ولا بغضًا، فرحمك الله أيها الإمام».

ولعل من بدائه ما يقال إن من أهم أسباب تبوئه هذه المكانة الرصيد العلمي الكبير الذي يملكه رحمه الله. وقد تحدثت عن هذا من قبل فلا أعيده، لكني سأذكر بعض الأمور التي تذكر بهذا وتؤكده.

كان رحمه الله بشهادة الأقران بل عامة الناس بحرًا لا ساحل له، فقد كان متبحرًا في الكتاب والسنة غاية التبحر، نافذ البصيرة في فقههما، متمكنًا من استحضار شواهدهما، طويل الباع في شتى العلوم وضروب المعرفة وأنواع علوم الآلة، متمثلًا العلم الذي حواه قولًا وعملًا[2].

وقد تميّز بالحفظ للمسائل وأدلتها وأقوال أهلِ العلم فيها بما يَنْدرُ وجوده في كثير من أهل العِلم اليوم، وقد بهرَ كلَّ من رآه أو سمع كلامه، فرحمه الله ورفع مقامه[3].

---

(١) http://www.burnews.com/articles-action-show-id-2746.htm

(٢) خالد بن فهد البهلال http://www.al-jazirah.com.sa/2009jaz/jul/31/rj10.htm

(٣) الشيخ عبدالوهاب الزيد http://www.hdeeth.net/publish/article_77.shtml

وإليك بعض ما يدل على جوانب علمه ودقته في فقه الإمام أحمد:

أولًا: قام رحمه الله بتحقيق كتاب شرح الزركشي على الخرقي في سبعة مجلدات، وقدم للكتاب مقدمة مفيدة جدًّا، يحيل إليها كثيرًا الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، مصدرًا كل ما ينقله بقوله: (قال العلامة ابن جبرين).

ثانيًا: أشرف على طباعة كتاب «حاشية الروض المربع» لابن قاسم الحنبلي وتصحيحه.

ثالثًا: قرر كثيرًا من كتب المذهب في دروسه، فمما قرره: «شرح منتهى الإرادات»، «شرح الزركشي على الخرقي»، «العدة في شرح العمدة»، «عمدة الطالب»، «روضة الناظر في أصول الفقه»، «القواعد الفقهية لابن اللحام»، «القواعد الفقهية لابن سعدي»، «التسهيل»، «دليل الطالب»، «المغني».

وأما الكتب التي أتمها وأنهاها فمنها: «الكافي»، «الروض المربع»، «زاد المستقنع»، «منار السبيل»، «أخصر المختصرات»، «منهج السالكين»، والثلاثة الأخيرة فُرِّغَتْ من الأشرطة وطبعت.

رابعًا: شرح كتبًا في المذهب ليست مقررة في دروس كثير من المعاصرين، بل كان سببًا رحمه الله في طبع سنن سعيد بن منصور رحمه الله، وهذا الكتاب مصدر مهم من مصادر كتب الحنابلة رحمهم الله.

خامسًا: اعتنى بكتب الحديث وعلومه التي هي أساس الفقه، مما له علاقة بالفقه الحنبلي كـ «كتاب المنتقى في الأحكام» للمجد ابن تيمية، و«المحرر» لابن عبدالهادي، و«الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل



الشيباني»، و «سنن أبي داود»، وهو من الكتب المهمة لدى الحنابلة، ومؤلفه من أصحاب الإمام أحمد(١).

وقد ذكرت أن العلامة محمد بن جراح كبير علماء الحنابلة في الكويت أوصى قبل موته بعض كبار تلاميذه بأخذ العلم عنه رحمه الله(٢).

وذكرت من قبل أن الشيخ ابن باز استنابه في محاضرة له، وكان يستنيبه في الجامع الكبير في الرياض فيصلي بالناس ويدرس هناك، وأن أبا بكر الجزائري استنابه في درسه في الحرم المدني لما زاره ووجده مريضا، وهذه إشارة من هذين العلمين لمكانته رحمه الله.

يقول الشيخ عصام بن عبد العزيز العويد عن الشيخ ابن باز رحمه الله: «كلما سئل توصي بمن، قال: عليكم بالشيخ عبد الله ابن جبرين»(٣).

وفي إحدى الدورات العلمية في جامع شيخ الإسلام ابن تيمية، أثنى سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين على الشيخ الوالد رحمهما الله في الحفل الختامي فقال: أحفظُنا الشيخ عبدالله بن جبرين، فردَّ الشيخُ الوالد قائلاً: أفقهُنا ابنُ عثيمين(٤).

وكان الناس في حياة الأعلام الثلاثة يقرنون بينهم، بادئين بابن باز، مثنين بابن عثيمين، مثلثين بالوالد رحمهم الله، وهذا مشهور ظاهر. ولقد أجريت بحثًا في «موقع جوجل». باسم الثلاثة مجتمعين رحمهم الله فبلغت النتائج أكثر من نصف مليون. وجمع الشيخ محمد بن عبدالعزيز المسند بعض فتاوى الأئمة الثلاثة في حياتهم في كتاب سماه فتاوى إسلامية.

---

(١) خالد الحيان جريدة الجزيرة http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm

(٢) أحمد الكوس http://www.arrouiah.com/node/170419

(٣) قناة اقرأ.

(٤) عمر المشاري http://www.al-jazirah.com/87018/rj8.htm

وسئل سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ في أحد البرامج عن الوالد، وذلك قبل وفاة الوالد رحمه الله:

فقال: يا إخواني، سماحة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن جبرين أحد إخواننا طلاب العلم، ممن عرف بالعلم والعمل به، و ممن عرف بالنشاط في دروسه العلمية، وله أثر فعال في دوراته العلمية في أرجاء المملكة، وهو رجل من صلحاء المسلمين، حامل لكتاب الله، فقيه في دين الله، وذو سمت حسن وخلق كريم وتواضع جم، نعرفه ونحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا[١].

ومما تميز به رحمه الله من خصائص العلماء التواضع، والزهد، والترفق مع المحتاجين من طلابه وغيرهم، فقد كان هناك إجماع على تميزه في ذلك وفي الفكر وفي الفتوى[٢].

ويضاف إلى حسن خلقه رحمه الله وقربه من الطلاب ومن الناس جميعًا، قربه من الشباب يناقشهم ويوجههم لما فيه الخير والصلاح[٣].

وقد سبق ببعض فتاواه - كما أشرت من قبل - علماءَ عصره، فكانت فتاواه تحمل المعاصرة مع هيبة الدليل، فلم يكن ليرضي العامة بفتاواه أو يساير الواقع ويبرر للناس فعلهم، ولكنه يبحث عن الدليل، ويجمع أقوال الفقهاء، فيكون قوله أشبه ما يكون فيصلاً قويًّا عند النزاع، فيحترم طالب العالم رأيه؛ لأنه مبنيٌّ على دليل وليس هوى[٤].

---

(١) http://www.youtube.com/watch?v=nPg_okKy470&feature=related

(٢) د. نورة السعد http://www.aleqt.com/2009/ 07 /23/article_255222.html

(٣) د. فذلة القحطاني http://ibn-jebreen.com/ommah/save.php?t=word&cid=725.

(٤) مقالة الشيخ خضر بن سند.

وقـد كـرم في ربيـع الأول مـن عـام ١٤٢٨هـ الموافـق لأبريـل من عام ٢٠٠٧م بجائـزة تسمى أستاذ الجيـل، حيث تنظم جمعية الإصلاح بالبحرين وبالتعاون مع رابطة الفن الإسلامي العالمية ومركز شباب المستقبل للدراسات والبحوث والتطوير جائزة سنوية تعرف بجائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي، تحتوي على خمسة فروع في خدمة الإسلام، وهي: القرآن الكريم، والمحاضـرات، والتأليف، والإعلام، والإنشـاد. وفي نسختها الرابعة اُستُحدِث فرع سادس للجائزة بعنوان «أستاذ الجيل»، ورشح له الوالد رَحِمَهُ اللهُ، وحضرت نيابة عنه لتسلُّم الجائزة وحضور الحفل في مركز البحرين للمؤتمرات بفندق كروان بلازا في مملكة البحرين.

تلك ملامح لمكانة الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللهُ، والترجمة كلها ترجمان لمكانته، ومـع ذلـك فإنه كغيره لم يسلم مـن كلمة نابية أو عبارة جافيـة من بعض مَنْ يخالفـه في الرأي، سواء في دائـرة أهل السنة أو غيرهم، ولم يكن يلتفت لهذا ولا ينظر إليه رَحِمَهُ اللهُ، بل كانت تزيده عزمًا ونشاطًا وقوة وثباتًا، بل ربما كانت سببًـا في انتشـار فتوى لـه أو قـول أو رأي أو شيوع سمعته وذكـره عبر العالم الإسلامـي. ومن نمـاذج ذلـك أن بعض الرافضـة في ألمانيا - كمـا سنذكره تفصيـلاً - شغـب عليه في أثنـاء رحلته العلاجية هناك، فـكان ذلك سببًا في انتشـار خبره عبر العـالم، وتساءل الكفار قبل المسلمـين عمن هو هذا الرجل المتهم، والبحث عن شيء يتعلق به، رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مؤسسة متكاملة

قبـل أن يعرف المجتمع النجـدي المؤسسات الخيرية كان العلماء في تلك البـلاد هـم رجـال العمل التطوعـي وفرسانه، فقـد كانوا أقـرب الناس إلى المجتمع وألصقهم به، يألفهم الفقراء، ويثق بهم الأغنياء.

كان الوالـد رحمه الله أنموذجًا من هذه النماذج، فمنذ أن بدأ بالعطاء بعد أن جاوز سنه الثلاثين، وهو مصدر ثقة للتجار من أهل بلده ومعارفه وجيرانه، ولست أقصد بالتجار أصحاب الملايين، إذ كانت التجارة في ذلك الزمن قليلة لكنها مباركة، يؤدي أهلها الحقوق الشرعية ويزيدون عليها.

وبعيـدًا عن البـذل في المجالين العلمـي والدعوي والعطـاء الثري الذي كان فيهمـا، فإن من توفيق الله تعالى للوالـد رحمه الله أن ألقى في قلبه حب نفع النـاس، ومعايشـة واقع الأمة، والسعي إلى البـذل في كل مجال ينفع المسلمين جماعـات وآحـادًا، وهذا ما يعـرف اليوم بالعمل الخـيري أو التطوعي، الذي تُنْشَأ له المؤسسات، وتوقف لأجله الأوقاف، وتعقد للتدريب عليه الدورات.

لقـد ولد حب هـذا العمل مع الشيـخ الوالد رحمه الله، فـكان مؤسسة قبل وجود المؤسسات، وكان مع إخوانه العلماء رجال العمل التطوعي في زمانهم.

وهـذا القسم كله برهان على ذلك، وشاهـد عليه، ودليل ناطق بالعطاء في هذا المجال.

والوالـد رحمه الله وإن لم يؤسس مؤسسة أو ينظم عملاً، لكنه كان مؤسسة بواقعـه وعملـه وعطائـه وبذلـه، وإليك بعضـ الشواهـد قبـل أن نخوض في التفاصيل.

شارك رحمه الله كما علمنا مع شيخه عبدالعزيز الشثري وعدد من زملائه في الرحلة التوعوية للمناطق الشمالية في أوائل الثمانينيات الهجرية.

كانـت الرحلة مرتبـة رسميًا من قِبَـل الحكومة، وكان هدفهـا الرئيس التعليـم والدعـوة للنـاس في تلـك المناطق، لكنهـا كانت تحمل معهـا إعانات ومساعدات لأهل تلك المناطق الذين أصابهم القحط في تلك السنين.

وبعيدًا عن التعليم والدعوة، فقد كان لهذه الرحلة مساهمات تطوعية.. ولقد سجل الوالد يومياته في هذه الرحلة، وسأسوق مقتطفات منها ليتبين لك أن الشيخ أبو حبيب ورفقته كانوا يحملون هم الأمة ويحرصون على صلاحها وإصلاحها.

يقول رَحِمَهُ اللهُ واصفًا هذه الرحلة مبينًا عملهم فيها: «واستمرت هذه الرحلة ثلاثة أشهر ونصف، وكانت طريقتهم أنهم إذا وصلوا إلى بلدة عسكروا قُبالتها، ثم أرسلوا إلى أميرها، مثل ما بينا مع بلدة رماح، وسألوه عن حال البلد الدينية والدنيوية، وسألوه عن أهل الحسبة ونشاطهم، وعن القاضي، وعن أئمة المساجد، وعن محافظة أهل البلد على دينهم وإقامة الصلوات، وعمًّا يوجد في البلد من المنكرات، وكيفية إزالتها، فإن وجدوه مقصرًا نصحوه وأرشدوه، وهكذا يعملون مع القاضي، ورجال الحسبة، وأئمة المساجد، ويساعدونهم بالنصح وحل مشاكلهم، ويوزعون عليهم الكثير من النبذ والنسخ والنصائح المهمة، وكانوا قد أحضروا معهم كميات كبيرة من هذه الرسائل، وهي نصيحة عامة للشيخ محمد بن إبراهيم، وهي مفيدة، ونصيحة للشيخ عبدالعزيز الشثري، وفيها تحذير من الكثير من المنكرات الفاشية، ورسالة في حكم شرب الدخان للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ونصيحة في تحريم تبرج النساء، اسمها: «دعوة إلى الشرف»، و«ثلاثة الأصول وأدلتها».

ثم يتفرق الشيخ وتلاميذه على مساجد البلد، ويبتدئون بعد الصلوات بإلقاء موعظة يذكرونهم فيها بأهمية الدين ولزوم تعلم الضروريات منه التي لا يصلح الدين إلا بها، ولا ينتفع من جهلها، ووجوب السؤال عنها.

ثم يبدأ بتعليم الجماعة الحاضرين أولاً بقراءة الفاتحة، وبعض

سور القرآن، ثم يسألونهم عن أركان الإسلام وشروط الصلاة، والوضوء ويعلمونهم إياها».

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعض القرى: «وكان الشيخ وابن مقرن بالأمس قد تتبعوا بعض البوادي في سكاكا فوصلوا إلى رجل قد ابتنى في رأس جبل وجعل له بستانًا وأشجارًا وعنده سيارات، فحصلوا عنده الراديو في مجلسه وصفحات بها كتابة آيات ونصائح، ومنها صحيفة قدر متر طولاً وعرضًا، قد طبع فيها القرآن كله، وقد نصبها في أحد جدران مجلسه ونصحوه عن المنكر الذي هو عليه».

ويقول عن قرية أخرى: «وكانوا قد عزموا على الرحيل آخر النهار فأخبرهم مقيد الأحرف أن هناك بوادي كثيرة لم يصلوا إليهم بالتعليم؛ لأنهم في مواضع خفية، فبدأوا بتعليمهم قرب الظهر وبعده إلى العصر، وبعد العصر إلى الليل، وحصّلوا عند بعضهم ورقة ونذورًا قد كتبت فيها طلاسم وأدعية وحروف مقطعة وحروف حساب، زعموا أنها تقي من كل آفة إلا الموت، وكان صاحبها قد استجلبها من عمان، وزعم أن من احترامهم لها أنها لا تباع ولا تهدى، وعلى الرغم من أنه قد بذل له فيها ذهب فلم يقبل، فأخذها منه الأخوان ومزقوها، وأخبروا أن تعليقها من وسائل الشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه وقد تردد في إعطائها».

ويقول عن قرية ثالثة: «وبعد أن أصبحوا وطلعت الشمس دعاهم الأمير في الساعة الثانية للقهوة، وأخذوا في ذلك الوقت يتتبعون الدوائر كالمدارس والمالية والبريد، واتصلوا بالهيئة وتناصحوا معهم، ثم بالقاضي في محكمته ونصحوه في معاودة النظر في حال الأئمة الذين يخففون الصلاة والمأمومين الذين يسابقون الإمام».

هـذه بعض أعمالهم في هـذه الرحلة، مما يـدل على أنهـم محتسبون حريصون على الإصلاح.

وكان الوالـد عضـوًا فاعـلاً مـع الشيخ ابـن فريـان رحمهما الله في الجمعية الخيريـة لتحفيظ القـرآن، وفي مكتبة ابن تيمية التـي كان الإخوان يجتمعون فيها لتدارس أحوال المجتمع والتعاون فيما يصلح.

جـاء في موقع الجمعية الخيرية لتحفيظ القـرآن بالرياض تحت عنوان قصـة مـيـلاد الجمعيـة[1]: يقـول الشيخ عبـد الله بن جبريـن حفظه الله: قبل خمسـين عاماً ظهـرت قلاقل وفتن يتبع أولها آخرهـا، وكاد القرآن أن ينسى، وقـام الشيخ ابـن إبراهيم وابن بـاز رحمهما الله واجتمعا بالشيـخ الفريان وقرروا قرارًا كالجمان، وقالوا للفريان: ما تقول؟

قال: ما تقولون.

قالوا: كلفنـاك.

قال: أنا لها، وأسأل الله أن يعينني إلى يوم التنـاد.

فتولى ابن فريان رحمه الله رئاسة الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بأمر من الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله سنة ١٣٧٨هـ.

وكانـت الجمعية الخيرية حينذاك تدفع ثلثـي رواتب المدرسين، وتُرَغِّب أهـل الحـي في أن يدفعوا الثلث، فأذكـر أن الوالد رحمه الله كان يدفع هذا الثلث دون أن يطلب من الجيران مساهمة في ذلك.

---

(١) http://www.qk.org.sa/nawah.php?tid=14749

ولما أسس الشيخ ابن فريان رَحِمَهُ اللَّهُ مكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية عام ١٣٨٩هـ، وجعلها في المقر الرئيس السابق للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم [١]، كان ثلة من العلماء المهتمين بالعمل الخيري يجتمعون فيها كل أسبوع للتشاور فيما يهم المجتمع، فكنت آتي بالوالد لها بعد أن تعلمت قيادة السيارة في عام ١٣٩٥هـ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ من المؤسسين لدار العلم، وهي أشبه ما تكون بنادٍ ثقافي اجتماعي يجتمع فيه الشباب آنذاك ويقومون بأنشطة علمية وترفيهية، وهذا عمل تطوعي بالمفهوم المعاصر.

وبعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ قمت بتقليب ما احتفظ به من أوراقه، فوجدت فيها ما يدل على هذا الحس التطوعي، وإن كنت أعلم أن ما لم أجده أكثر، حيث يوجد في مكتبته وفي بطون كتبه الكثير من الوثائق، كما يوجد في مكتبة العم محمد أيضًا الكثير، ولعلها تجمع وتُوَثَّق فيما بعد.

ومما وجدته مسودة خطاب سطره في عام ١٣٨٠هـ حول حاجة الهجرة السفلى من بلدة الرين لمدرسة ابتدائية، ولا أعلم هل رفع الخطاب لوزارة المعارف التي كانت تتولى هذه الأمور، أو قام بتسليمه لأحد المسؤولين. ومما جاء في مسودته: «مما يجب النظر فيه أحوال الضعفاء الذين لا قلم لهم ولا لسان، وبسبب ذلك فاتهم أن يساهموا فيما حصل عليه من فوقهم ومن تحتهم، وإن من أعظم ما حرموه منفعة التعلم، وتلك - لعمر الله - غاية قصوى، فبعدها يسهل الصعب ويقرب البعيد.... ومن أولئك قوم مجاورون في بلد قديم شهير، وذلك البلد هو الرين بفتح المهملة وسكون المثناة آخر الحروف.... وقد طلب

---

(١) http://www.qk.org.sa/nawah.php?tid=14745

أهلها فتح مدرسة من الوزارة فصدر الأمر بذلك على يد القاضي في آخر عام ١٣٧٩هـ، ثم جددوا الطلب في هذا العام لضرورتهم فأجلت إجابتهم إلى شهر الميزانية، وها هو ذا، فلعل أن يلقوا مجيبًا وذلك غاية المنى».

وكتب خطابًا للشيخ حمد الجاسر في ١٣٨١/٧/١٠هـ يشكره على كتابته عن جبل قساس. وقد أرفق مقالة عن بلدة الرين برجاء نشرها.

وكان العلماء وطلاب العلم حينذاك يقومون بدور كاتب العدل، بكتابة الوصايا والمبايعات والأقارير ونحوها، ومما وجدته من ذلك وصية لحمد بن ناصر العريفي بالتصغير وهو من آل جيربن، وكانت في الأصل بخط الشيخ عبدالله السياري ونقلها الوالد من خطه وصادق عليها الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رحمه الله وذلك في ١٣٨٣/١/٢٦هـ.

ووثيقتيْ وقف كُتبتا في ١٣٨٧/٧/١٥هـ وصادق عليهما الشيخ حمود بن سبيل قاضي القويعية آنذاك.

وتوثيق إقرار في عام ١٣٩٠ هـ.

ومبايعة لمحمد بن عبدالله بن منصور في عام ١٣٩٧هـ.

ومبايعة بين محمد الزعاقي وعبدالعزيز الحميضي في عام ١٣٩٨هـ.

ومن المناصحات القديمة خطاب للشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ في عام ١٣٨٥ هـ حول الاهتمام بالمناهج في المدارس وبالأخص القرآن الكريم، ومما جاء فيها: «إن هذه العلوم المقررة على الطلاب المبتدئين غيرها أهم منها، ومن أعظم ذلك القرآن العظيم، ففيه كل العلوم، وقراءته فيها أجر وثواب، ولكن المدارس الآن عنه بمعزل، قد صرفوا هممهم إلى ما يضاده من تعلم كلام أعجمي، أو لعب يسمى رياضة، أو علوم شاغلة ولا حاجة إليها ماسة».

ووجدت مـن ضمن هذه الأوراق عددًا مـن التعاميم القديمة الصادرة مـن الملك فيصل والملك فهد رحمهما الله والملك عبدالله، حينما كان رئيسًا للحرس الوطني تحث على الصلاة، ومنع التدخين، ومنع التبرج وسائر المنكرات. وقد صور منها صورًا كثيرة، ولعله كان يرفقها مع خطاباته للمناصحات.

كما وجدت قوائم بأسماء الفقراء، منها قائمة قديمة حينما كنا في حي السبالـة، تشمل عددًا من الفقـراء من الجيران والأقـارب والمعارف، ووثيقة أخرى فيها توزيع مبلغ أربعة عشر ألف ريال على عدد من الفقراء.

والخلاصـة أن هـذا الحس كان يحيا في قلبه رحمه الله منـذ أن كان شابًّا، ومـازال يتنامى معه حتى أصبـح جزءًا من حياته وصفةً مـن صفاته، يسعده ويبهجـه أن يبـذل معروفًا أو يعـين محتاجًا، أو يدفع عن الأمـة منكرًا وبلاء، وتشكلـت بعد ذلـك هذه الأمور بعـد اشتهاره حتـى أصبحت عمـلاً مؤسسيًّا يمارسه من خلال مكتبه في الإفتاء ومن خلال مكتب البيت.

وسأحاول أن أجلي هذا المعلم من معالم حياته رحمه الله عن طريق خمسة محاور تكشف أهم جوانب عمل الشيخ الوالد رحمه الله في هذا المجال.

الباب المفتوح

مكث الشيخ الوالد رحمه الله أكثر من خمسين عامًا وهو مُوَقِفٌ وقتَه وجاهَه وجهده لخدمة المسلمين وطلاب العلم منهم بخاصة.

وقـد نَحَـتْ أعمالُه المنحى المنظـم في سنة ١٤٠٤هـ حـين كان يعمل في إدارة البحوث العلمية والإفتاء، فكان يقوم من خلال مكتبه هناك بالشفاعات والفتـاوى والسعي لعلاج المشكلات. وفي عـام ١٤١٧هـ خصص رحمه الله جزءًا من منزله وجعله مكتبًا يعمل فيه موظفون ومتعاونون لمتابعة أعماله.

ومنذ أن استقر الوالد رحمه الله في حي شبرا صار يجلس غالبًا بعد صلاة العصر لاستقبال الناس في بيته، وذلك في غرفة خارجية تسمى الملحق، وضع فيها كراسي لجلوس الزوار والمراجعين، وفيها هاتف يستقبل من خلاله فتاوى المستفتين، حيث نشر وأعلن رقمه للناس.

يستقبل في هذا المجلس من جاء للسلام أو لطلب علم أو فتوى أو شفاعة أو مساعدة، فتعدد دروس الشيخ الوالد رحمه الله وكثرة مشاغله، لم تنسه حوائج الفقراء والمساكين وإن صغرت.

كان يتردد على مكتب المنزل يوميًا ما يقرب من خمسين مراجعًا، ويزيدون في بعض الأوقات على خمسمائة بحسب المواسم.

وكان الزوار يستغربون صبره ولطفه، يقول أحد الإخوة: «وما زلت أذكر حينما فتح مكتبته لنا - أنا وبعض زملائي في المرحلة الثانوية - حين كلفنا أستاذ مقرر التفسير، الشيخ الدكتور يوسف عثمان جبريل رحمه الله ببحث رجال أسانيد بعض الأحاديث الواردة في تفسير سورة (ص).. وكان هذا الأستاذ المربي قد أرشدنا إلى الاستعانة حينها بمكتبة الشيخ عبد الله رحمه الله».

إذا دخلت مكتبه فقد لا تكاد تجد مكانًا للجلوس، بل أحيانًا يصعب نظرك فضلاً عن وصولك إليه من كثرة من عنده.

وهو رحمه الله منكب على طاولته، يكتب شفاعة، أو يجيب عن سؤال، أو يسجل موعدًا، وربما استند إلى الكرسي وأمسك بسماعة الهاتف يجيب عن سؤال أو يحل إشكالاً.

وفي هذا المحور سنتطرق للأعمال الكثيرة التي كان يؤديها في مكتبه في رئاسة الإفتاء أو في مكتب المنزل فقط. وسأسوق لك هنا الأعمال التي يؤديها ثم أفصل فيما يحتاج إلى تفصيل.

فمن المهمات التي كان يقوم بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال المكتب:

١- الدروس العلمية؛ حيث كان يلقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربعة عشر درسًا أسبوعيًّا.

٢- المحاضرا ت العامة والندوات، فلا يخلو أسبوع من محاضرة عامة.

٣- الجولات الأسبوعية من المحاضرات والدروس في خارج مدينة الرياض على مدار العام، وكذلك الدورات العلمية في أثناء الإجازة الصيفية في الكثير من مدن المملكة.

٤- الفتاوى الشفوية عبر الهاتف ومن زوار المكتب، حيث يجلس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوميًّا لاستقبال الناس من الزائرين والمستفتين وأصحاب الحاجات المتنوعة.

٥- الفتاوى التحريرية التي ترد للمكتب مباشرة أو عبر البريد والفاكس وموقع الإنترنت، فيجيب عنها الشيخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحريريًّا. وقد بلغت الفتاوى التحريرية أكثر من عشرين ألف فتوى.

٦- المؤلفات من الكتب والرسائل، حيث زادت الكتب والرسائل المطبوعة على مائة وخمسين عنوانًا.

٧- فحص الكتب والتقديم لها.

٨- السعي لإصلاح ذات البين.

٩- الشفاعات المختلفة لأصحاب الحاجات سواء كانت مكتوبة أم بالهاتف أم بالذهاب مع المشفوع له.

١٠- مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين و الأرامل والأيتام من خلال المساعدات والزكوات التي ترد للشيخ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنويًّا في شهر رمضان المبارك.

١١- الشفاعة ودعم المشاريع الخيرية ماديًّا ومعنويًّا.

١٢- الإسهام في بناء المساجد والأوقاف.



١٣- رعاية طلاب العلم.

١٤- الإشراف على موقع الإنترنت.

١٥- دعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية ونحوها والتعاون معها.

١٦- العناية بالأشرطة المسجلة للشيخ الوالد رحمه الله.

١٧- المناصحات العامة والخاصة وإنكار المنكرات.

١٨- الرقية للناس في الماء والزيت ونحوه مما يجلبه الناس للمكتب.

وعلى الرغم من كثرة هذه المهمات وصعوبتها إلا أن الشيخ الوالد كان يقوم بمعظمها بنفسه رحمه الله دون حاجة إلى مساعدة أحد. وقد كتب الله البركة في جهده ووقته.

ومن التيسير أن رزقه الله في أثناء عمله في إدارة الإفتاء ببعض الموظفين الحريصين، وكان على رأسهم الأستاذ عبدالله بن سعد الحوطي، ويعاونه بعض الموظفين والمتعاونين.

ولما افتتح مكتب البيت بترتيب من أبنائه وبعض طلابه ومنهم الدكتور محمد بن حمد المنيع، وبدعم من بعض أهل الخير ومنهم مؤسسة الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ومعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ والشيخ عبد الله بن عبد العزيز الراجحي، والشيخ عبدالرحمن بن علي الجريسي، بدأ مكتب البيت يقوم بترتيب هذه الجهود، ولعلي هنا أسلط الضوء على أهم هذه الأعمال.

الشفاعات

تعد الشفاعات من أبرز الأعمال التي اشتهر بها رحمه الله بل عرف بها، بل ربما أخذ عليه بعض الناس الإكثار منها والتساهل فيها.

ولكنه كان مقتنعًا بما يفعل رَحِمَهُ اللَّهُ، وكنت قَبْلُ أسمع كلام الناس، وأود أن يقلل منها أو يتأنى في بعضها، وحاولت لما توليت أعمال المكتب إقناعه بشيء من ذلك، فكان يقول: «نشفع لهم ويقضي الله ما يشاء، دعهم يردونها ولا يقبلونها»، وكأنه يشير إلى أنه كسب المعروف والأجر والدعاء والشكر، فكنت كعادتي بل واجبي ألا أردُّ له طلبًا ولا أعصي له أمرًا، وحاشاه أن يأمرني بمعصية.

وكان يتمثل كثيرًا بقول الحسن بن سهل:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

كان حب الشفاعة للناس متأصلاً في نفسه. يروي تلميذه الدكتور عبدالوهاب الطريري عن شفاعة الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لأحد الطلاب في معهد إمام الدعوة يقول: «كثر لغط المراقبين حول غياب بعض الطلبة حتى ذكروا طالبًا باسمه، فلما سمع الاسم انفصل عن عالمه، وأقبل عليهم يتحدث عن هذا الطالب، ويذكر أن له عذرًا في غيابه، وجعل يراجعهم في قبول معذرته، حتى إذا بلغت شفاعته محلها عاد إلى استغراقه مع كتابه».

كان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ذا باع طويل في الشفاعات والتزكيات، لكنه شغل عن الناس بمسؤولياته الكثيرة، فلما انتقل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لإدارة الإفتاء انجفل الناس إليه وانكبوا عليه، وصار يساعدهم ويشفع لهم. يقول مدير مكتبه في إدارة الإفتاء الأستاذ عبدالله بن سعد الحوطي: «ومن الصفات التي كان يتحلى بها فضيلته كثرة الإحسان إلى الناس، خاصّة الفقراء والمحتاجين، سعوديين وغير سعوديين، رحيم بهم، وكان يشفع لكثير من الناس لقضاء حوائجهم المختلفة، فمنهم من يشفع له لوفاء دينه، ومنهم من يشفع له في

سـداد إيجار مسكنه، ومنهم من يشفع له لمواصلـة دراسته الجامعية، ومنهم مـن يشفع له في وظيفة، وغيرها من الشفاعات الحسنة التي يرجو بها الشيخ التقرب عند الله سبحانه وتعالى».

يقـول تلميذه الدكتـور عبدالمحسن العسكر: «وقد كتـب بيده الآلاف من الشفاعـات للفقراء ولذوي الحاجـة، وقد أوتي سرعـة في الكتابة، ولشفاعاته قبـول عند الوجهاء علـى كثرتها وتتابعها لوثوقهم بتزكيتـه ولعلمهم بصدقه، ولا يتـبرم من السائلين ولو ملأوا مكتبه في الإفتاء قبل التقاعد، أو منزله. وقد قـال لي شيخنا العلامة عبد الرحمن البراك حفظه الله يوم وفاة الشيخ عبدالله ابن جبرين: هذا الرجل ثالث ثلاثة بذلوا أنفسهم للناس، ابن باز وابن عثيمين وهو، رحمة الله على الجميع. ولاحظ المتكلم بذلك، فإنه رأس في هذا الميدان».

ويقول الشيخ مسعود الغامدي[1]: «قد تشغله أرملة عندها فاتورة كهرباء لم تسددها فتقول أرسلني لأحد يسددها، وغيرها كثير.

يذكر الذين يعرفون سيرة الشيخ عن قرب أنه كثيرًا ما يكتب مع شخص في مثل هـذه الأمور الصغيرة، ويسعى معهم حتـى يتأكد أنها قضيت الحاجة لمريض يحتاج إلى علاج أو إيجار بيت».

ويقـول الدكتور سلمان العودة[2]: «يكتب لكل أحد حتى لبعض تلاميذه، يكتـب شفاعات وبخط يده، ولا أذكـر أنه جاءني منه شيء مطبوع إلا في آخر أيامـه، أما فيما سوى ذلك فهو يكتبـه بخط يده، حتى أصبحنا نعرف خطه، ويكتـب رحمه الله في القضايا الصغيرة وفي القضايـا الكبيرة، ويشفع للناس في

(١) قناة دليل.
(٢) قناة دليل.

الدماء وفي الوظائف، وصاحبته وشاركته في مثل الأمور، وإذا قُبلَتْ شفاعته سُرَّ، وكأنما أهديت له شيئًا، وإذا ردت شفاعته أيضًا لا يغضب ولا ينزعج».

ويقول الدكتور طارق الحواس[1]: «يلمس كل من يقابل الناس شفاعة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لجميع الناس، أنا ممن يستقبل طلبات الناس كغيري من الدعاة وأئمة الجوامع، فكثيرًا ما تأتينا الأوراق من جميع الجنسيات بلا فرق ما بين هندي وباكستاني وبنجلاديشي وأفريقي، تجد شفاعات الشيخ تكتب للجميع، وهذا يدل على أن هذا الرجل كان لعامة الناس وليس لخواصهم».

ودعني أروي لك طرفًا من قصص شفاعته، ثم أعطيك لمحة عن بدايات الشفاعات وتطورها.

فمن طرائف شفاعته ما ذكره الأستاذ محمَّد الزهراني أنه كان قبل سنوات عدة في زيارة لمحافظة القويعية رغبة في نقل زوجته، وذهب إلى إدارة التعليم في المحافظة، فوجد الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللهُ وسلَّم عليه، يقول: «وكان يجلس بعيدًا عنه شابٌّ ليس من أهل المنطقة، فقلت له: ماذا لديك؟ فذكر لي: أنه جاء لنقل زوجته وهو لا يعرف أحدًا من محافظة القويعية، ولكنه ذهب إلى مسجدٍ وصلَّى الظهر فيه، وبعد الصلاة قام رجل وألقى كلمة، ووجدت أن الموجودين كلهم آذان مصغية، وجلست أيضًا معهم لأستفيد منها، وبعد نهاية الكلمة أخذوا يسلِّمون على الشيخ، ثم انصرفوا وبقيت أنا والشيخ في المسجد، وأنا لا أعرف أنه الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللهُ، ودار حديثٌ لي معه عن موضوعي، فقال لي: معك سيارة؟ قلت: نعم؛ فذهب معي إلى إدارة التعليم، وحاول أن يشفع لي في نقل زوجتي إنْ كان هناك إمكانية لذلك، فاستغربت

---

(١) قناة اقرأ.

منــه وهو يسدي لي هذا المعروف وهو لا يعرفنــي، ولكن ذلك ليس غريبًا على عالم بمكانة الشيخ الجبرين رحمه الله».

ويقـول الأستاذ حسين فقيهي: «حضــرت مع أحد الإخوة من أهل عسير للشفاعــة في التنــازل عن أرض تبنى جامعًــا لأهل القرية، فبــادر بأخذ ورقة من مكتبه وكتــب شفاعته لشاب لا يعرفه ولم يسمع به، ولكنه التطبيق العملي للحديث النبوي: «اشفعوا تؤجروا».

وجــاء إليه أحــد أصهارنا فقــال إنه عندهــم سائق حمل سيــارة لأحد الوجهاء فحصل له حــادث وسجن السائق حتى يدفع قيمة السيارة، فعرضنا عليــه سبعمائة ألف فطلب مليونين وخمسمائــة ألف ريال، وهي لا تساوي هذا المبلــغ، فكتــب لهم الوالد رحمه الله شفاعــة للأمير سلمان وذهــب لتسليمها له، وفي الطريــق اتصلوا به وقالوا: إن الموضوع حُــلَّ وانتهى، يقول ابن العم أحمد بــن محمد وكان معــه، فرأيته أخذ قصاصــة ورق وأخذ يكتــب فيها، فلمحت منها غلاء الأسعار، وكتب أشياء لم أتمكن من قراءتها، فلما دخل على الأمير ناقشــه في بعض الأمور العامة، وكان الخطاب في يده فلمحه الأمير سلمان في يــده، فقــال الوالد رحمه الله: هذا انتهــى موضوعه، قال أعطني إيــاه، فلما قرأه وعرف موضوعه شرح له الوالد رحمه الله الموضوع، فقال الأمير: متى ما احتجت لشفاعتنا فأبشر.

تقــول الأخت هيا[1]: «أذكر أنني كنت أريد أن أساعد إحدى صديقاتي، حيــث تعاني بعضــ المشــاكل الأمنيــة، فأتيته مــرة في الصبــاح وكان يتنــاول إفطــاره، فاستعجــل وقام واتصل بأحد المسؤولين ليشفــع لها، ولكن لم يجده،

---

(١) من مذكراتها.

فقال: تعالي غداً الظهر، وكنت آتيه كل ظهر فيتصل مرارًا ولم يمل ولم يترك أمر تلك الأخت حتى بين له بعض إخوتي أن في الأمر حساسية».

وتقول أيضًا: «أذكر أن إحدى صديقاتي لم تُقْبَل في المدرسة؛ لأنها ليست سعودية، فلما أخبرته بأمرها كتب خطابًا وذهب به أبوها لرئيس تعليم البنات آنذاك فوافق على الخطاب فورًا».

وتقول: «حكى لي أخي عن شخص صلى معهم على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقال له: إن الشيخ قد خدمني خدمات جليلة وأنا لم أقابله قط، فقد أرسلت له خطابًا أطلب منه شفاعة لأعمل في جهة ما، فأرسل الشفاعة بعد فترة يسيرة، ثم ذهبت بها لمقر العمل فرأوا أنها لا تصلح؛ لأنه لم يصغها بالشكل المطلوب، يقول: فأرسلت للشيخ أطلب منه إعادة صياغتها فأعادها وذهبت بها لهم فقبلوها، وها أنذا في الوظيفة التي كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سببًا في حصولي عليها، مع أنه لا يعرف شكلي ولا حسبي ولا من أكون».

ويقول الشيخ عصام العويد[1]: «أذكر رجلاً أفريقيًّا من النيجر أو نيجيريا اشتكى عليه الحال، وإن كفيله دكتور في مستشفى كذا من أكبر مستشفيات المملكة وإنه يظلمه ولا يعطيه حقه، فقال الشيخ: أعطني رقمه، واتصل به وخوفه بالله.

يقول السائق: والله العظيم جاء لي برواتب ثلاثة أشهر وقال: ما لقيت إلا ابن جبرين تشكيني عنده».

---

(١) قناة اقرأ.

واتصلت والدة الشيخ عصام العويد على قناة اقرأ، فشكرت الوالد وأثنت عليه ودعت له، ثم قالت: «كان أحد أولادي في أزمة، ولما كلمت الشيخ طيَّب خاطري وقام هو بنفسه للإمارة رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه جنة النعيم، وكانت وقفته لها الأثر في أنفسنا كلنا فالحمد لله رب العالمين».

ويحكي الشيخ عصام العويد[1] أيضًا عن الأخ إبراهيم الشمري قال: «كنت في اضطهاد؛ لأني كنت على عقيدة مخالفة فيما مضى، وبعدما شرح الله صدري اضطهدتني قبيلتي وأهلي، وكانت زوجتي في مكان بعيد جدًّا، وكانت مُدرسة، وكان الطريق غير مُعَبَّد، وكانت زوجتي كلما مرت بهذا الطريق سقط الحمل فزادت ديوني وأصبحت في هموم لا يعلمها إلا الله ومشقة عجيبة، فأخذني أحد الإخوة إلى الشيخ وقد نال مني الجهد مبلغه، فبكيت عند الشيخ فقال الشيخ: ستُنقل زوجتك، وهو لا يعرفني ولا أعرفه وأول مرة أراه، وكتب خطابًا فنقلوها، فأنا أدعو له الليل والنهار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى».

وفي اتصال من الدكتور غازي الشمري بقناة حياتنا قال: «كنت في بريطانيا قبل خمسة أيام كان أحدهم يتكلم عن الشيخ ابن جبرين قبل أن يموت رَحِمَهُ اللَّهُ بأيام يقول: أنا أدرس الآن دكتوراه وهناك رجل له فضل عليَّ لا أنساه ما حييت.

قلت: من؟

قال: عبد الله بن جبرين».

وكان أحد الدعاة الباكستانيين كثيرا ما يشفع للإخوة الباكستانيين عند الوالد، لكنه في إحدى المرات جاء بطلب غريب فيه طلب الشفاعة لأحد الإخوة السعوديين لدى إحدى الداعيات الكويتيات لتقبل به زوجًا.

---

(١) قناة اقرأ.

ومن الشفاعات اللطيفة أن أخا سوريًّا يقال له صلاح المحمود من المهاجرين للمملكة، طلب من الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يكتب له للمرور؛ ليسمح له بتحميل الركاب في سيارته؛ لعدم قدرته على العمل الشاق، فكتب له رَحِمَهُ اللَّهُ فجاء ومعه ورقة من أحد الضباط فيها توجيه بعدم الاعتراض عليه تلبية لشفاعة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وشفع لعدد من طلابه ومعارفه من اليمن وغيره للحصول على الجنسية، ومن أبرزهم يحيى السالمي الذي قدم للملكة وهو غلام، وعاش في الرين وتربى هناك وتزوج وبقي مدة تزيد على أربعين سنة في القويعية والرين، فأذكر أن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ سعى معه كثيرًا لمنحه الجنسية السعودية، فكتب خطابات، وذهب بنفسه وقابل كثيرًا من الأمراء والمسؤولين لأجله.

وممن سعى معه لذلك عبدالله الصغير وتلميذه البار عبدالله بن علي ابن عامر والشيخ أحمد الحسامي وغيرهم كثير.

ورأيته كتب مرة خطابًا للأمير سلطان رَحِمَهُمَا اللَّهُ جميعًا شفاعة لمنح الجنسية لأولاد بعض طلابه الذين توفوا وهم:محمد أبكر من اليمن، ومحمد خير طالب من سوريا، ومحمد دوا من أثيوبيا، وموسى كمارا من غينيا.

وجاءه شخص يذكر أنه رقيق وقد ترك سيده وانتقل للملكة فأخبره بأن حكمه الشرعي أنه مازال رقيقًا حتى يفتدي نفسه، وأرشده لكيفية شراء نفسه لكثرة من يبحث عن عتق الرقاب.

وأذكر أن أحد الأكفاء كان جارًا لنا في السبالة وكان فقيرًا، فكان يعطيه من الصدقات ويشفع له كثيرًا بل يكتب له كل عام خطابًا فيه توصية عامة ليعرضها على أهل الخير، ومازالت حاله معه كذلك حتى توفي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن الأشخاص الذين ساقهم الله له شخص أفغاني يدعى زركل خواجة، كان إمامًا لمسجد في الكويت، وكان رجلاً عابدًا صالحًا، فدخل مع الناس لما دخلوا في حرب الخليج فدلوه على الوالد رحمه الله فآواه وشفع له حتى ضم إلى كفالته، ومازال تحت رعايته ينفق عليه ويعالجه، ودرس أبناؤه في المدارس، ولما توفي الوالد رحمه الله تأثر كثيرًا، وكان كلما ذكره بكى فواسيناه وقلنا له الوالد لم يمت نحن في مكانه، وكان له جراية شهرية من الوالد فأمضيناها له.

وكان أخي محمد يعمل في زامبيا مندوبًا لوزارة الشؤون الإسلامية فتعرف على شخص أثيوبي يقال له سفيان كان قد أصيب إصابة بالغة في رأسه، يذكر أنها بسبب سبع، والظاهر أنها طلق ناري، فذكر للوالد حالته وحاجته للعلاج فشفع له واستقدمه للعلاج وأسكنه في منزلنا مدة علاجه، نحو ستة أشهر حتى أتم علاجه وسافر.

وسمع الوالد رحمه الله بما أصاب الداعية الشيخ محمد مال الله رحمه الله من ابتلاء، وهو من مشايخ البحرين الذين يدافعون الرافضة، فاتصل به ونصره وشفع له لدى الكثير من الأثرياء لدعم مركز دعوي كان يقوم عليه الشيخ مال الله رحمه الله.

وبعد هذه القصص دعني أعطيك لمحة عن طريقته في الشفاعات وتطورها في حياته رحمه الله، فقد علمت أن الشفاعة للناس ومحبة الخير لهم حسٌّ فطري جبله الله عليه، ولا أذكر تحديدًا متى بدأ في ذلك، ولا ما هي الشفاعات التي كان يقوم بها قبل انتقاله للإفتاء، ولكني أعتقد أنه كان يقوم بشيء من ذلك على قدر جهده وطاقته.

وبعد انتقاله للإفتاء وانشغال شيخه ابن باز رحمهما الله تعالى ذكرت لك أن الناس انصرفوا إليه، وكان يكتب الكثير من الشفاعات في كل شأن ولكثير من

الناس، وكانت شفاعته بخط يده وعلى الورق الرسمي للإفتاء، فلم يكن له ورق شخصي حينذاك.

وكان الإخوة الموظفون عنده في الإفتاء قد قاموا في وقت متأخر بتصوير بعض الشفاعات فوجدنا منها أشياء عديدة متنوعة الموضوعات.

وقبل تأسيس مكتب البيت طبع له ورق شخصي يحمل اسمه ووظيفته بكونه عضو إفتاء بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد، وكان يكتب شفاعاته في المنزل على هذا الورق أحيانًا.

وبعد تأسيس مكتب البيت في عام ١٤١٧هـ بدأ المكتب في تنظيم الشفاعات، وذلك بطباعتها على ورق يحمل اسم الشيخ فقط بعد تقاعده، ثم ختمها ووضع أرقامًا للصادر عليها، ولكن الأمر لم ينتظم، حيث كان جهد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكبر من جهد المكتب، حيث يستقبل الناس ويكتب لهم الشفاعات في أي وقت.

ثم بدأ عمل المكتب ينتظم شيئًا فشيئًا حتى أصبحت معظم الشفاعات لا تصدر إلا من خلال المكتب، ونظم لذلك نماذج تُعَبَّأ من قبل صاحب العلاقة ثم تطبع لاحقًا.

وساعدت النمذجة على ضبط الأعمال ودقتها، وكان قد استفيد من النماذج التي أعدها مكتب الشيخ حينما كان في الإفتاء.

وبعد أن رأى الوالد التنظيم في المكتب قلل من كتابة الشفاعات بيده، وكان إذا أراد كتابة شيء عبأ النموذج بنفسه وسلمه للكاتب، وربما كتب الخطاب بيده وطلب من الكاتب طباعته وترتيبه.

ومع هذا فقد يلح عليه أحد حتى من سائر الناس فيكتب له شفاعة بيده ويسلمها له، بل مر عليَّ أن بعض الإخوة طبعوا خطابات على لسان الشيخ وعلى أوراق عادية وذيلوها باسمه رَحِمَهُ اللَّهُ فوقَّع عليها ولم يلمهم أو يعنفهم.

وشفاعات الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة أنواع:

أولها: التذييل على الخطابات، حيث يتقدم الشخص بخطاب موجه لأحد التجار أو إحدى الجهات ويطلب تصديق الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على الخطاب، فيقوم الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بكتابة تذييل يتضمن توثيق ما في الخطاب. وقد سعى مكتبه في الإفتاء تيسيرًا على الشيخ فصمم ختمًا يتضمن زبدة ما يقال وكان فيه:

صاحب.......................

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فالرجاء النظر في طلب المذكور بما ترون.... ثم يذكر السبب

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

ثم فراغ للتوقيع والتاريخ

الثاني: الشفاعات الخاصة على الورق الرسمي الموجهة لشخص محدد في موضوع محدد، وهذه قد يكتبها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بخط يده، وقل هذا بعد تنظيم المكتب فصارت تطبع كما ذكرنا وتحمل ختمًا ورقمًا.

الثالث: الشفاعات العامة أو التزكيات العامة، وهذه يكتبها الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لمن يثق به أو يكون له نوع تميز كالمشايخ وتلاميذه الخاصين وبعض معارفه وأقاربه.

والرابع: الإثباتات، وهذه شفاعة لكنها على شكل توثيق لدين أو نحوه، حيث يعتمد على شهادة شهود في إثبات ما يكتبه فيقول مثلاً: حضر لديَّ فلان وفلان فشهدا بأن فلانًا تحمل حمالة.... وأنه معسر وعاجز عن الوفاء.....إلخ.

وشفاعات الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ متنوعة الموضوعات، وقد اصطلحنا في المكتب على تقسيمها إلى أربعة أقسام:

الشفاعات المالية: وهذه لوفاء الديون ومساعدة المحتاجين.

الشفاعات العامة: وتشمل الشفاعة للعلاج والتوظيف والاستقدام ونحوها من الأمور العامة.

الشفاعات العلمية: وتكون للدراسة في الجامعات ونحوها.

الشفاعات للجمعيات والمؤسسات والأعمال الخيرية:

ولا نملك إحصاء دقيقًا لعدد الشفاعات التي صدرت منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكني أذكر أنا عملنا إحصاء للخطابات الصادرة من المكتب في عشرة أشهر من ١/١/١٤٢٨هـ حتى ١٨/١٠/١٤٢٨هـ فبلغت تسعمائة وثمانية وثلاثين خطابًا، منها سبعمائة وثلاثين شفاعة، فلا ريب أن عدد شفاعاته يصل إلى الآلاف في سنيه الأربعين التي مارس فيها الشفاعة للناس رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

وبسبب قبول شفاعاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الرغم من كثرتها وتقدير الناس لها، فقد قام عدد من الأشخاص بالتزوير عليه أكثر من مرة، فكتبت لنا المباحث الإدارية مرات عدة حول تزوير ختمه وأوراقه والكتابة باسمه، ولكن الله يكشف الكاذبين دائمًا، حتى إن من يكتب له الخطاب يستغرب الأسلوب فيكتب للوالد وقد يحيله للمباحث.

وممن كتب لنا صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبد الله حفظه الله، حيث تقدم له شخص بخطاب مزوَّر، وبعث به إلينا، فرددنا عليه بخطاب ذكرنا فيه أن الخطاب مزوَّر لعدد من الأسباب، أسوق بعضها كما وردت على لسان الوالد رحمه الله:

١- كونه في أوراق رسمية من أوراق هيئة كبار العلماء رغم أنني متقاعد منذ سنتين وليس عندي هذه الأوراق الرسمية، كما أنني لم أكن عضوًا في هيئة كبار العلماء قديمًا ولا حديثًا.

٢- الختم الذي في الخطاب مزور على ختم لنا قديم، وقد تغير الختم في الخط عن ختمنا المعروف، ولم يكن من عادتنا بعد التقاعد استعمال هذا الختم الذي يحمل اسم رئاسة الإفتاء.

٣- أسلوب الخطاب مغاير لخطاباتنا التي نبعثها وفيه بعض الأخطاء، كتقديم اسمي على اسم الأمير، وعدم ترقيم الخطاب برقم الصادر، وإهمال التوقيع على الخطاب، كما أن فيه مبالغة في التفصيل، وفيه أخطاء في الأدلة التي أوردها تخالف معلوماتنا.

٤- وأخيرًا: صاحب هذا الطالب لا معرفة لنا به، ولا أتذكر شخصه ولا أعرف أنه اتصل بي.

هذه لمحة عن الشفاعات في حياته رحمه الله، وسأختم بإيراد نماذج من شفاعاته رحمه الله تعالى:

النموذج الأول:

الأخت المكرمة الأستاذة/.... مديرة المدرسة ٢١٣ الابتدائية... وفقها الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

نشفع إليكم للطالبـة/ .... (سورية الجنسية)، التي نرغـب التكرم بالموافقة علـى قبولها في مدرستكم، حيـث تسكن بالقرب من مدرستكـم وتدرس بها بنت خالهـا .... في الصف الخامس الابتدائي، وعليـه فإننـا نأمل منكم التكرم بقبولها، وفقكم الله لـكل خير وأثابكم وسدد خطاكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أخوكم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

النموذج الثاني:

صاحب المعالي الأستاذ الدكتور/.... مدير جامعة الملك سعود... وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد....

فنشفع لدى معاليكم لكل من الإخوة/

١- حـارز بن خيرالدين جيفونـا، ٢- أزير بن سازمان دمير، ٣- مرالم بن رفعة بيسو، ٤- مريس بن عصمت بيسو. ٥- رسمير بن حسني حوشيتش.

حيـث قدمـوا مـن بلادهـم البوسنـة والهرسك يرجـون نـوال العلوم الشرعية والدنيوية، ويرغبون أن يشملهم القبول للدراسة في الجامعة، فنأمل من معاليكـم التوجيه بقبولهم عَلَّ الله أن ينفعهم وينفع بهم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

أخوكم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين



رعاية الفقراء

الحديث عـن الفقراء ورعايتهم في حياة الشيـخ الوالد حديث عن أحد الهموم التي كان يعيشها ويعانيها رحمه الله.

فلقد كانت للفقراء مساحة في قلبه منذ أن نشأ، وما زال هذا الهم يكبر معه كلما كبر ويزداد كلما اشتهر.

لقـد كان قلبه الرقيق ونيته الحسنة وبساطته وسماحته وراء تنامي هذا المعلم في حياته رحمه الله.

ولقد تحدثت قَبْلُ عن حاله مع الصدقات والزكوات، وكان حديثنا هناك عـن سماحة نفسه، وسخاوة يده، وحرصـه على البذل من ماله، والصدقة في سائر وجوه البر.

وتحدثت عن الشفاعة في المجـالات المالية لمساعدة الفقراء، وليس هذا ولا الـذي قبله مجال حديثنا هنا.. إن الحديث هنا عن رعاية الفقراء، وحمل همهم، والإنفاق عليهم كما هو حال المؤسسات والجمعيات الخيرية.

دعني أولاً أذكر لك نبذة تاريخية عن هذا المعلم، ثم أتحفك ببعض ما أذكـره أو قرأتـه عنه رحمه الله في هذا المجال، ثم أثلـث بمنهجه في هذا الباب، وأختم بمعالم عامة حول رعايته الفقراءَ والعناية بهم.

قد ذكرت أن هذا العمـل المؤسسي المبسط بدأ في الثمانينيات الهجرية، ومما أذكره ونحن في حي السبالة، وكنت إذ ذاك في المرحلة الابتدائية، أنه كان يرعـى عددًا من الأيتام والأرامل وكبار السن ونحوهم من الفقراء، سواء أكان ذلك في حَيِّنَا والأحياء المجاورة حوله أم في بلدة الرين وبعض قرى القويعية.

أذكر أن بعض التجار - خاصة من جيراننا وبعض معارفنا - كانوا يعطونه من زكاتهم، وكان يتعاهد الفقراء من هذه الزكاة سنويًّا، وكانت مبالغ يسيرة لكنها مباركة.

في إحدى السنوات أذكر أن أحد تجار أهل القويعية أعطاه خمسين ألفًا وفرح بها جدًّا؛ لأنها فرجت عن عدد من الفقراء الذين كان يرعاهم.

وكنت أنا وإخواني نلاحظ كثرة من يأتيه من الفقراء سواء من أهل الرياض وبعضهم من خارج الرياض، وربما استضافهم في منزلنا الصغير أيامًا، ولم نكن نعرف أنه يعطيهم شيئًا؛ لأننا صغار وكان لا يخبرنا بشيء.

وعندما كبرت وبدأت أعينه في بعض الأمور، اكتشفت أن هؤلاء المترددين بسبب ما كان يريشهم من الخير الذي يأتيه.

كانت الأمور بهذه الصورة اليسيرة يديرها وحده، ويرتبها، ويعد القوائم، ويوزع المبالغ، ولثقة الذين يعطونه به رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يأخذ إيصالاً ولا إقرارًا ممن يعطيهم، بل يتعاهدهم بسرية تامة وأمانة كاملة.

استمر على هذه الحالة حتى فتحت الدنيا على الناس في أواخر التسعينيات الهجرية، فكثر ما يأتيه من الأموال، وكثر من يأتيه من الفقراء، ولكنه لم يحتج لمن يعينه فقد كان يتدبر أمره بنفسه، فهو إذا ذاك شاب لم يجاوز الخمسين.

وبدأ التحول الكبير عندما انتقل إلى إدارة الإفتاء في عام ١٤٠٢هـ، فقد كان من خلال مكتبه في الإفتاء يقوم برعاية الفقراء والسعي لحوائجهم.

ولا ريب أن هذا التحول كان تدريجيًّا، لكنه كان يتنامى بسرعة، وبخاصة لما اشتهر بفتاواه التي أخذت تنشرها عدد من الصحف.

وكما أقبل عليه الناس لطلب العلم والفتاوى والشفاعات أقبل عليه الفقراء؛ لأنهم وجدوه فاتحا قلبه لهم.

كَثُرت المساعدات التي تأتيه سواء التي ترسل له ليوزعها بمعرفته، أو التي تأتي بسبب كتابته لشخص بعينه وفاء لدين أو دفعًا لمسغبة، وبدأ مكتبه في الإفتاء يرتب هذه الأمور، يستقبل الطلبات ويلخصها ويعرضها على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ليوجه فيها بما يراه، ويعد قوائم المساعدات ليراجعها ويعطي رأيه فيها، ثم تكتب الشيكات ويقوم بتوقيعها، وتصرف المبالغ القليلة نقدًا من خلال المكتب.

وكان مكتبه إذا دخل شعبان يمتلئ وتمتلئ الرحبات حوله والممرات من كثرة المراجعين وطالبي المساعدات.

استمر رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا حتى تقاعد في عام ١٤١٨هـ، ولما تقاعد انتقل العمل لمكتب البيت الذي كان قد أنشئ قبل تقاعده بعام؛ أي في عام ١٤١٧هـ.

وكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ هو الذي يتولى كل ما يتعلق بهذا الموضوع من استقبال الطلبات وتوزيع المبالغ وكتابة الشيكات وقبلها كتابة الخطابات للأثرياء من الأمراء والوجهاء.

وقد استمر الذين كانوا يعطونه حينما كان في الإفتاء في إرسال مبالغهم إليه بشيكات باسمه.

بدأ مكتب البيت في الترتيب شيئًا فشيئًا، وبدأت مع إخوتي وبعض تلاميذ الوالد رحمه الله وموظفي المكتب وبخاصة الأستاذ يوسف العيسى في مساعدة الوالد في هذه المهمة، وكان رحمه الله حريصًا على متابعة كل شيء بنفسه، ولكن مع كبر سنه وكثرة أشغاله بدأ يوكل لنا في المكتب مهمة الترتيب ويشرف علينا، وكانت المبالغ تدخل في حساب خصصه للصدقات، وتخرج بشيكات منه شخصيًّا.

وفي السنوات الثلاث الأخيرة أوكل لي كثيرًا من المهمات التي يقوم بها، وبدأت أتولى صرف المبالغ القليلة التي كانت تأخذ وقته في كتابة شيكاتها، وهكذا استمر الوضع حتى قبض رحمه الله.

وأما ما اطلعت عليه من قصصه في هذا المجال فسأسوق لك بعضا ذلك، إذ الحديث حول هذا يطول.

فمن أطرف ما ذكره الأخ عبدالله الحوطي أنه حضر أحد الأشخاص إلى مكتب الشيخ بالإفتاء وهو من الجالية الهندية، وذكر للشيخ أن كفيله ظلمه ولم يصرف له رواتب سنة كاملة، وأن أهله في أمس الحاجة إلى المال، وكان يبكي بألم وحرقة، وبعد سماع الشيخ مظلمته أمر بصرف مبلغ خمسة آلاف ريال مساعدة له، وعندما قاموا بتصوير إقامته تبين أنه غير مسلم، فأخبر الشيخ بذلك، فقال الشيخ: لا مانع، يعطى لتأليف قلبه للإسلام، فما كان من هذا الرجل المظلوم إلا أن طار من الفرح ولم يصدق ما قام به الشيخ وأخذ يقول: هذا كله لي، وكاد أن يغمى عليه، وأخذ في مدح الشيخ ويقول له: هذا أفضل واحد.

ويذكر الشيخ عصام العويد[1] أن سائلة جاءته في دار الإفتاء وقالت: أنا فقيرة.

قال: أتعرفين الخياطة؟

قالت: نعم.

قال: أولا تخيطين وتدعين عنك السؤال والتذلل للناس حتى يرفعك الله فاليد العليا خير من اليد السفلى؟

قال: لا بأس.

يقول كاتب الشيخ: فذهب الشيخ معي للسوق وقد قارب السبعين في ذلك الزمن، واشترى ماكينة الخياطة والأدوات.

وكانت زوجة أحد المشايخ من أعضاء الهيئة قد أصيبت بمرض عضال فتعب في علاجها وخسر الكثير حتى ركبه من الدين ما يقرب من ستمائة ألف، فجاء به بعض الإخوة للوالد رَحِمَهُ اللهُ فَرَقَّ لحاله وتأثر كثيرًا فكتب له كتابًا مؤثرًا للأمير عبدالعزيز بن فهد حَفِظَهُ اللهُ وبعد مدة وجيزة جاء الفرج بتسديد المبلغ كاملاً من صدقات الملك فهد رَحِمَهُ اللهُ.

وأذكر قبل الأربعمائة وعشرة أن أحد الشباب من أسرة مشهورة بالتجارة تعاطى التجارة وخسر كثيرًا، فجاء للوالد رَحِمَهُ اللهُ بعد أن تقطعت به السبل، فوقف معه الوالد وقفات كثيرة حتى سدد ما عليه من الديون، وكان يكتب له الشفاعات ويذهب بها أحيانًا ويتصل بغرمائه ليخففوا عنه.

---

(١) قناة اقرأ.

وتعرض أحد المشايخ من زملائه لغرامة بسبب ضمان لرجل أفلس فسجن في ذلك، فلما علم سعى مع بعض الإخوان حتى أطلق وسدد عنه بعد ذلك، وساهم الوالد رحمه الله بجزء من المبلغ.

وكان يأتيه المنقطعون أو المهددون بالسجن بسبب كفالة أو دين فيسرع للتفريج عنهم، إن كان يحتمل المبلغ وإلا كتب لهم لبعض أهل الخير لمساعدتهم.

وأما الذين أعرف أنه يرعاهم ويتعاهدهم إما شهريًّا أو سنويًّا فكثير من العوائل والأفراد، ولم أكتشف بعضهم إلا بعد وفاته رحمه الله على الرغم من اطلاعي على حالات كثير منهم، وسأفصِّل القول فيهم بعد قليل.

وقد اختط رحمه الله لنفسه في هذا الأمر خطة مبنية على أمور منها:

رحمة الخلق وحب التفريج عنهم والتوسعة عليهم، وهذا واضح من حاله رحمه الله، فهو رقيق القلب، جياش المشاعر، يتأثر سريعًا، فإذا جاءه المهموم المحزون واشتكى وبكى، تفاعل معه وشاركه همه وعاش حالته، مما يجعله يستجيب سريعًا ويبادر لفعل ما يستطيعه.

حسن الظن وحمل الناس على المحمل الحسن واحتمال المسيء منهم في سبيل الوصول للمستحق، فهو لا يعرف الشكوك ولا الظنون السيئة، ولا يضرب الاحتمالات المتوقعة للتحايل والكذب، وما ذاك إلا لصفاء نيته رحمه الله وطيب قلبه الذي لا يعرف خداعًا ولا غشًّا، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا، وهذا ليس كلامي فقط بل كلام كل من عرفه، حتى قال ابن عثيمين رحمه الله للشيخ الدكتور عبدالعزيز السدحان لما أخبره بالأنس في حلقات الشيخ فقال: يا عبد العزيز هذا من صدق نية الشيخ ابن جبرين[1].

---

(١) قصتي في طلب العلم.

بذل الوسع المستطاع دون كلل أو ملل؛ لأن الهدف الإحسان والأجر لا الإعذار أمام الناس والمجاملة لهم، فليس هدفه صرف من جاءه بكتابة شفاعة لشخص لا يدري أيعطي أم يمنع، بل الهدف نفع هذا المسكين بأي وسيلة يستطيعها، ولهذا يعطيه أحيانًا من ماله حتى لا يكاد يجد ما يعطيه رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذه الأمور الثلاثة هي أبرز ما اختطه لنفسه رَحِمَهُ اللَّهُ في نفع الناس ورعاية الفقراء، ولهذا بوركت جهوده وكثر نفعه واستفاد منه الكثير كما سنرى بعد قليل.

فإن رعايته الفقراءَ بدأت همًا ثم أصبحت من أهم ما يقوم به في خدمة المسلمين، ولعلي أتلمس أهم معالم هذا المجال.

كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يعطي من ماله.

وكان يعطي مما يأتيه من الصدقات والزكوات.

وكان يسعى لمن يحتاج شفاعته لدى أهل الجدة.

وأنا أعلم أن الأمر الأول لا يعنينا هنا؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن من أهل الثروة، بل كانت حاله منذ أن نشأ متوسطة، فلم يصل راتبه إلى خمسة عشر ألفًا إلا قبل تقاعده بثلاث سنين، واستمر في حدود الخمسة عشر ألفًا إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم يكن يتعاطى في شيء من التجارات أو الاستثمارات أو العقارات.

وأما الأمر الثاني فقد كان جل ما يصرفه على الفقراء من الصدقات والزكوات التي ترسل له من أهل الأموال، وكانت تصل في الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمره إلى عشرة ملايين ريال.

فمن الفقراء من يعطيه مرة واحدة، أو كلما زار أعطاه، وهذه غالبًا مبالغ قليلة يسميها رَحِمَهُ اللَّهُ علثة، والعلثة في كلام العامة، وتستخدم في القصيم كثيرًا الحجة، ولكنها عند العرب التعلق بشيء، وكأن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يريد هذا المعنى؛ أي إن المحتاج يتمتع بها حتى تنتهي، وهو غالبًا لا يعطي إلا من يعرفه أو يتحقق حاجته، وهذا الأمر مختص به لا يشاركه فيه أحد، ففي مكتبته درج خاص جعل فيه نقودًا يصرفها من البنك من جميع الفئات، فيعطي كلاًّ بحسب ما يقدره من حاجته، فيقوم بنفسه للمكتبة ويأخذ ما أراد ويعطيه الفقير، إلا في السنة الأخيرة أحسست أنه أراد إما أن أريحه أو أن يعلمني هذا الأمر، فكان يأمرني وآتي له بالمبلغ الذي يريد إعطاءه الفقير، وكان يتألم إذا جاءه الفقير وليس عنده شيء، فإذا ألح عليه بعضهم صارحه بقوله: ما يخلق المعدوم إلا الله، وكنا في نصف السنة الأول نعاني نقص الصدقات والزكوات، حيث يحرص على توزيعها بعدما تأتي في رمضان قبل نهاية العام، إلا في السنين الثلاث الأخيرة، فقد اقترحت أن نبقي مبلغًا لأصحاب الحاجات الطارئة، فقبل مشورتي كنا نبقي نحو ثلاثمائة ألف ريال لتوزيعها طول العام.

ومن اللطائف في هذا أنه إذا جاءه فقير وأراد مساعدته ولم يكن عنده في وقتها شيء كتب اسمه وهاتفه أو عنوانه وأرسل إليه إذا تيسر شيء، حتى إني وجدت في أوراقه بعد وفاته ظرفَ رسائل كتب عليه اسم أحد الفقراء ورقم هاتفه وحاجته باختصار.

ومن الفقراء - وهم قلة - مَنْ خَصَّصَ له مبلغًا شهريًا، وهذا أيضًا مختص به ولا يزيد المبلغ على ألف ريال شهريًا، وأكثرهم لا نعرفهم، وما عرفت بعضهم إلا بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ، فأجريت ما كان يجريه لهم أو بعضه بحسب الطاقة.



وأكثر الفقراء يعطيهم مبلغًا سنويًا، وكان كما ذكرت هو الذي يتولى بنفسه هذا الأمر سواء نقدًا أو بشيكات، فهو يعد قوائمهم بنفسه، ويشخص حالتهم بحسب ما يعرفه، ومن عباراته التي رأيته كتبها أمام أسماء بعض الفقراء:

.... بنت.......... أرملة فقيرة

أيتام............... أطفال وأرامل

.... بن......... مدين وذو عيلة وليس له دخل

أيتام................ بيتين وليس لهم من يعولهم (يوضع نصيب كل بيت على حدة.

.... بن...... مفلس من المال ومدين وذو عائلة وأقساط البنك.

وهكذا يصف حال كل شخص بحسب ما يعرفه، ويبلغ عدد هذه الأسر نحو ثلاثمائة، وكلهم يعرفهم ويعرف حالتهم، بعضهم من الرين والقويعية والجماعة، وبعضهم من معارفه وجيرانه قديمًا وحديثًا، وبعضهم من طلابه، وفيهم جميع الجنسيات سعوديون ويمانيون وأفارقة متعددو الجنسيات، ومن الشام والهند وباكستان وغيرهم.

كان معظمهم في المملكة، ولكنه مع هذا يهتم ببعض طلابه الذين سافروا لليمن، أو أولاد الذين توفوا.

وكان في كل عام قبل رمضان يجدد القوائم بحسب ما استجد عنده من معلومات، وربما كتب هذه المعلومات على رسالة وردته أو ظهر ورقة مستخدمة.

وفي السنين الأخيرة بدأنا في المكتب نطبع القوائم السابقة ونعرضها عليه للتعديل وتقدير المبالغ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قديمًا يصرف المبالغ نقدًا ثم بدأ يصرف المبلغ بشيكات من حسابه، واستمر على هذا قرابة خمس عشرة سنة، وفي السنين الثلاث الأخيرة ثقلت عليه، فكان يوكل إليَّ صرف المبالغ القليلة ويتولى هو كتابة الشيكات ذات المبالغ الكبيرة، ويكتب لي شيكًا بمجموع المبالغ التي سأصرفها.

وقمنا في المكتب أيضًا في السنين الأخيرة بتوثيق الاستلامات من تصوير الشيكات وأخذ التوقيع بتسلمها ونحو ذلك للاحتفاظ بها للحاجة.

وممن يعطيهم سنويًّا ما اصطلحنا على تسميتهم في المكتب بالوسطاء، وهم بعض الموثوق بهم من طلابه أو معارفه الذين يتولون شأن بعض الفقراء، فكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ منذ مدة يعطيهم مبالغ لتوزيعها، بعضها متوسط كعشرة آلاف، وبعضها يصل لمائة ألف بحسب عدد من يتولاهم هذا الوسيط.

وكان يهتم بالفقراء من رجال الهيئات، كما يهتم بالمساجين ويعطي أحد الأخوة مبلغًا سنويًّا لهم ولعوائلهم.

وكان بعض الوسطاء يعطي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ قوائم بالمستفيدين، مع أنه لا يطالبهم بذلك لثقته بهم ومعرفته لهم.

وربما قدموا قوائم وكتب عليها رَحِمَهُ اللَّهُ لبعض أهل الخير.

وممن يهتم بهم الغارمين الذين تحملوا ديونًا أو كفالات أو غرامات باهظة، ولا يستقبل من هؤلاء إلا من يعرفه ويتحقق من صدقه، وقد سعى مع شيخه ابن باز رَحِمَهُمَا اللَّهُ للوفاء عن كثيرين بملايين الريالات عن طريق الملك فهد رَحِمَهُ اللَّهُ بسعي ابنه المبارك عبدالعزيز، وعن طريق الأمير سلطان رَحِمَهُ اللَّهُ وعن طريق غيرهم.

فكان إذا وثق كتب للشيخ ابن باز رحمه الله بالموضوع وأرفق معه الإثباتات، ومن ثَمَّ يكتب ابن باز لمن يراه فيأتي الوفاء غالبًا، فيسدد لأصحاب الحق مباشرة، ويفيد الشيخ بذلك، ونحتفظ في المكتب بالكثير من المعاملات في هذا الشأن بعد تقاعد الوالد من الإفتاء والمحفوظ في مكتبه في الإفتاء أكثر.

وبعد وفاة ابن باز رحمه الله صار الوالد رحمه الله يكتب مباشرة لمن يظن أنه سيوفي الدين أو يساعد فيه، وليس بين يديَّ الآن إحصاء دقيق للمبالغ التي تسبب في وفائها، لكنها كثيرة جدًّا قد تزيد على مائة مليون ريال.

ويسعى رحمه الله للسداد عن عدد من السجناء الموقوفين في مبالغ مالية، وكتب مرة في ذلك للأمير سلطان رحمه الله فتبرع بخمسمائة ألف أخرج بسببها أكثر من ثلاثين شخصًا، بسعي من معالي الشيخ ناصر الشثري وابنه المبارك الدكتور محمد.

وإضافة إلى الشفاعة فقد كان يسدد أشياء من المبالغ التي تأتيه في رمضان، ولا يكون ذلك إلا عند الحاجة الماسة، كتشديد الدائن، وتهديد المدين بالسجن ونحوه.

وكان يهتم أيضًا بشراء بيوت لبعض الفقراء فيشفع لهم، أو يشتري لهم عن طريقه وهو لا يرى شراء البيوت من الزكاة، وإنما من الصدقات فقط، إلا إذا اشترى الفقير البيت دينًا فإنه يجيز الوفاء عنه من الزكاة.

ولست أذكر أيضًا عدد هؤلاء، لكنهم يقاربون العشرة أشخاص معظمهم أرامل أو أيتام.

وأما طريقته في جمع الأموال للصرف على الفقراء فقد ذكرت ثقة التجار به، وبخاصة بعد انتقاله للإفتاء، وأنهم يرسلون شيكات باسمه رَحِمَهُ اللَّهُ ويتولى الصرف منها، ولكن بعد حادثة أمريكا المعروفة بحادثة سبتمبر تغير بعض التجار بسبب التشديد على التبرعات، فحصل نقص في الصدقات، مما اضطره رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن يكتب لكثير من التجار لطلب إعانته على رعاية الفقراء وكانت خطاباته معبرة مؤثرة، وهنا سأورد أنموذجاً لترى ما كان يعانيه رَحِمَهُ اللَّهُ في رعاية الفقراء والسعي من أجلهم.

صاحب السعادة الشيخ/ .... حَفِظَهُ اللَّهُ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

فندعو الله تعالى أن يبلغنا وإياكم شهر الصيام والقيام؛ ولما وهبكم الله من فضله نحب أن نذكركم بكثرة الذين يتوافدون علينا في كل سنة في هذا الشهر الكريم، من الفقراء والمساكين والغارمين والمرضى والمعاقين وغيرهم ممن ضاقت بهم السبل، وأصبح بعضهم رهن السجن أو مهددًا به، وكلهم ممن نعرف حاجته للمساعدة مباشرة أو عن طريق من نثق به، إضافة لقيامنا على بعض المشاريع الخيرية.

ولا شك أن الصدقة في رمضان مما يرجى بها مضاعفة الأجر، فقد كان النبي ﷺ في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ فاحتسبوا الأجر وساهموا في مساعدة إخوانكم الذين ابتلاهم الله تعالى بالفقر والفاقة، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.

ولقد عودتمونا من عدة سنوات المساهمة معنا في هذا الباب، ولكننا نحب أن نذكر لكم هذا العام شدة الحاجة التي لحقت بالناس فلعل سعادتكم يزيد في هذه المساعدة لتشمل أكبر عدد من ذوي الحاجة والفاقة.

تقبل الله منكم وضاعف أجركم وأثابكم رضاه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أخوكم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

وبسبب سعيه رحمه الله بعد توفيق الله صار بعض الأمراء والتجار يخصصون له مبلغًا سنويًا يرسلونه بشيك قبل دخول رمضان.

رحم الله الشيخ الوالد فقد فقده الكثير من الفقراء والمحتاجين وبكوا عليه، ولعل الله أن يخلفه عليهم بخير، وقد حاولت أن أكمل شيئًا مما يقوم به في هذا المجال فرأيت صعوبة ما كان يعاني رحمه الله.

الإصلاح بين الناس

يجلس الوالد رحمه الله كما عرفنا يوميًا بعد صلاة العصر في منزله، وكان ممن يأتيه من يريدون شفاعته وسعيه لإصلاح بين متخاصمين، أو تأليف بين متهاجرين، أو مساهمة في حل مشكلة بين صديقين أو زوجين أو أخوين، وهو يكون غالبًا في الغرفة الخارجية فيذهب معهم إلى غرفة في داخل البيت ليكون الموضوع سريا.

وقد حضرت معه الكثير من مساعي الإصلاح بين الأزواج أو الإخوة أو التجار؛ ولكون التشخيص في هذه القضايا يسبب حرجًا لأهلها فإني لن أذكر هنا أمثلة؛ لأن هذه القضايا مما يطوى ولا يروى، لكنها معلم مهم من معالم خدمته للناس لكون الناس يثقون بدينه وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه، ولهذا ينتهي كثير من المشاكل - بحمد الله - بسبب سعيه وسداد رأيه، وكل ذلك بلطف وأدب وتواضع يضفي مهابة ووقارًا على المجلس، مما يجعل الخصوم يلينون، والفرقاء يأتلفون، فلله الحمد والمنة.

ومما كان يستعين به الإخوان فيه السعي لدى أولياء القتيل للعفو عن القصاص. وقد شهدت معه من ذلك مواقف، ولكن هذه المسألة عويصة ولم يمر عليَّ من عفا بسبب زيارته رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن لعل لها أثرًا في تليين القلوب للعفو فيما بعد، وهذا ما سمعته كثيرًا.

ومما يرويه الشيخ أحمد المهنا[1] قال: «طلب من الشيخ الحضور لأجل صلح عن قضية قصاص، فقلت للشيخ: هذا لا يناسب في هذا الوقت، لأننا مشغولون بدورة علمية، وكنت أحاول صرف الشيخ عن هذا؛ لأني سمعت أن الموضوع عسير.

فقال الشيخ: عندنا قبل الظهر ربع ساعة نذهب فيها.

فانطلقنا وكان الموقف فيه نوع من التخوف، حيث بلغنا أن ولي القتيل كان غاضبًا متشددًا لا يرضى بالوساطات.

فطرقنا الباب عليه من جهة ثم طرقنا من الجهة الأخرى، فخشيت أن الرجل يخرج بصفة فيها نوع من الغضب ويسيء إلى الشيخ.

---

(١) قناة المجد.

فقلت يا شيخ: أذكرك بحديث النبي ﷺ: «الاستئذان ثلاثاً» نحن استأذنا أكثر من مرة وعندنا لقاء بعد صلاة الظهر في مكتب الدعوة وتوعية الجاليات.

فكان الشيخ يقول لي: انتظر قليلاً انتظر قليلاً.

فكان من رحمة الله ﷻ أن أَذَّنَ الظهر ورجعنا».

والمواقف مثل هذا كثيرة، أسأل الله أن يجعلها في ميزانه حسناته.

الرقية الشرعية

دعني أقدم لك كلام الشيخ الوالد رحمه الله حول هذا الأمر أولاً، ثم أعقب بذكر ما أذكره أو اطلعت عليه حولها.

يقول رحمه الله تعالى[1]: «لم أكن ممن يتعاطى الرقية العامة من العين أو غيرها إلا إذا أصيب أحد من أهل بيتي ولم يكن بُدٌّ من رقيته.

وقد جربت الرقية لبعضهم فرأيت لها أثرًا بَيِّنًا وكذا أصيب بعضهم بالعين فشفي بإذن الله بالرقية والأدوية المباحة التي أرشدت إليها الأدلة المشهورة، وكذا رقيت بعض الأقارب والأحباب الذين حبسوا عن نسائهم بما ذكره ابن كثير من ورقات السدر وقراءة الآيات التي ذكرها فوقع الشفاء بإذن الله، وكذا كنت أقرأ في بعض الماء وأنفث فيه مع القراءة فيشربه المريض ويجد له أثراً بيناً والله أعلم».

ويقول أيضًا: «امتنعت أن أرقي المصابين، لكن في بعض الأحيان الأقارب الذين لا بد من رقيتهم نرقيهم رقية عادية، و نذكر أنا رقينا أحد المصابين

---

(١) الإجابة بخط الشيخ رحمه الله تعالى وأصلها عند أبي لوز.

بالجنـون ونحـوه، لكن يأتينا كثير يرغبون في أن نقرأ لهم في ماء أو في زيت أو في عسل ونتجاوب معهم ولو كان ذلك يأخذ علينا وقتًا».

فهو رَحِمَهُ اللَّهُ كما ذكر ممارسته للرقية على المريض مباشرة نادرة، ولا يفعلها إلا لقريب أو عزيز عليه من المشايخ والأصدقاء والجيران والتلاميذ ونحوهم.

وإذا قرأ على أحد فإن رقيته طويلة جدًّا فقد يستمر نصف ساعة أو أكثر، وهـو يقرب من المريض وينفـث على صدره نفثًا قويًّا، ويمسح بعد كل نفثة ويبدأ بآيات القرآن، وهي كثير، ثم يثني بأدعية ليست بالكثيرة، ويختم بالحوقلة.

وممـن أذكر أنه قـرأ عليهم الوالدة رَحِمَهَا اللَّهُ، فقـد كان يأتيها كل يوم في المستشفى ويرقيهـا ويدعو لها، وكذلك كان يقرأ على عمي إبراهيم في مرض موتـه كل يوم، وقرأ على بعض أخواته وبناته، وقرأ على بعض المشايخ كالشيخ ابـن عثيمـين والشيخ حمـود التويجري رَحِمَهُمَا اللَّهُ وغيرهمـا، وكان يذهب في كل أسبـوع غالبًـا لرقية أحـد الأمراء - شفـاه الله وعافـاه -؛ لأن بينهما صحبة ومودة قديمة، وكان إذا زار مريضًا وقرأ عليه ربما طلب منه بعض من بجواره أن يرقيهم فيستجيب لطلبهم؛ لأنه لا يرد أحدًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومـع هذا فقراءته على المريض مباشرة قليلة جدًا. وقد طلب منه بعض الكبراء ذلك فاعتذر، ولكنه كان يقرأ في الماء والزيت والأدهان التي يأتي بها أصحابها في بيته.

وهذا ثابت عن السلف كما ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية[1].

وقـد خصص وقتًـا بعد مجيئه مـن درس الفجـر للقراءة في هـذه الأشياء ومعظمها ماء زمزم. وقد عرف الناس عادته؛ لأنه كان منظمًا رَحِمَهُ اللَّهُ، فما كان في الجهة الجنوبية فهو لم ينته، وما كان في الشمالية فهو قد انتهى، وكان -أحيانًا- هو الذي ينقلها بين الجهتين ولو كانت كبيرة؛ لأن بعض الجوالين يسع عشرين لترًا.

---

(١) الآداب الشرعية ١/١٤٩.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يتشدد في تزكية الرقاة، وقد حصل على تزكيته عدد كثير منهم، واستفادوا منها، واستفاد الناس منهم، وبعد أن كثرت الملحوظات على عدد منهم صار يتحرز في إعطائهم التزكيات، ويقول: من كان نافعًا فسيأتيه الناس ولا حاجة للتزكية، ولا ريب أن تزكيته تفيد الراقي لدى الجهات الرسمية، وهو يعرف هذا، لكنه لم يعد يريد أن يزكي، فربما كان بعض الرقاة صالحًا مستقيمًا، ولكن انكباب الناس عليه قد يفتنه، فربما فتن بعضهم بالمال أو بالنساء والله هو الحافظ نسأله الحفظ والإعانة.

وهو لا يحبذ القراءة الجماعية، ويرى أنها غير مشروعة، وأن القراءة الفردية هي الأصل وهي الأنفع(١).

وهو لا يرى الاستعانة بالجن ولا تصديقهم(٢)؛ لأنهم يكذبون؛ ولأنهم لا يعينون إلا من خدمهم.

ولا يرى بأسًا بالأشرطة التي تحتوي على الرقية إذا كان ما فيها رقية شرعية صحيحة.

وهو في رقيته يحرص على قراءة الفاتحة، والمعوذتين، وسورة الإخلاص، وآخر سورة البقرة، وأول سورة آل عمران وآخرها، وآية الكرسي، وآخر سورة التوبة، وأول سورة يونس، وأول سورة النحل، وآخر سورة الإسراء، وأول سورة طه، وآخر سورة المؤمنون، وأول سورة الصافات، وأول سورة غافر، وآخر سورة الجاثية، وآخر سورة الحشر، ثم يدعو ببعض الأدعية المشهورة للرقية، مع النفث بعد كل قراءة وتكرار الآية ثلاثًا أو أكثر من ذلك.

---

(١) الفتوى رقم ٧٥٢١.

(٢) الفتوى رقم ٨١.

وذكر في علاج من أصيب بالعين أن يقرأ بعض الآيات على المعين، وينفث عليه بعد القراءة كالفاتحة والبقرة وسورة يس وسورة تبارك الذي بيده الملك، وسورتي الإخلاص والمعوذتين، فينفث بعد كل آية، والنفث هو النفخ مع قليل من الريق، وهكذا يقرأ الأدعية وينفث بعد كل جملة، كقول: «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»، وقول: «أعيذك بعزة الله وقدرته من شر ما تجد وتحاذر»، وقول: «اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»، وقول: «بسم الله الشافي، وبسم الله الكافي، وبسم الله المعافي، أنا راقٍ والله واقٍ».

ويحرص رحمه الله كثيرًا على الرقية بآيات التوحيد المعروفة بالتهليلات، ويذكر[1] أنه روي عن ابن عباس أنه قال: «إن في القرآن سبعة وثلاثين موضعًا فيها قول لا إله إلا الله، من كتبت له بالزعفران ثم غسلت بماء زمزم أو بماء المطر شفاه الله من الأمراض المستعصية كالعين والسحر والصرع».

عقود الأنكحة ومشكلات الطلاق

من الأعمال التطوعية التي يقوم بها رحمه الله عقد النكاح، وكان من أوائل الذين حصلوا على إذن بذلك احتسابًا، فقد منح له الإذن بعقود الأنكحة في تاريخ ٢٧/٤/١٣٩٦هـ من رئيس المحكمة الكبرى في الرياض، وكان رئيس المحكمة هو الذي يتولى ختم العقود التي يتولاها الوالد رحمه الله، وفي عام ١٤٢٨هـ صدر تنظيم لمأذوني الأنكحة فصدر له تصريح جديد من معالي وزير العدل بتاريخ ١٩/٣/١٤٢٨هـ.

---

(١) الفتوى رقم ٩٣.

فهـو قد تولى عقود الأنكحـة أكثر من أربعة وثلاثـين عامًا رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قمنـا بإحصائية لما تـولاه من العقود مـن تاريخ حصوله علـى التصريح إلى ٢١/٦/ ١٤٢٩هـ فبلغت ٣٦٣٢ عقـدًا، وتتفاوت السنوات في عدد العقود لكنه في عام ١٤١٣هـ قام بإجراء ١٤٠ عقدًا.

وهو كما ذكـرت يقوم بعقود الأنكحة محتسبًا، ولكـن الناس تعودوا من عاقـدي الأنكحة أن يأخـذوا مبالغ مقابل ذلك، فإذا عقـد لأناس لا يعرفونه فبعضهـم يمد له مبلغًا من المال، وبعضهم يستحي فيسأل من كان حاضرًا مع الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ مـن أولاد أو نحوهم، فإذا علموا أنه لا يأخذ شيئًا شكروا ودعوا وانصرفوا ممتنين.

ومـع أنه لا يعقد إلا لمن يعرفه فإنه إذا جاءه من يطلب العقد ولو لم يكن يعرفه يعقد له، وقد حاولت أنا وإخوتي وأعمامي أن نريحه من هذا الأمر بعد أن كثرت مشاغله، إلا أنه آثر أن يستمر رغبة في الأجر؛ ولأن بعض الناس من أقاربه ومحبيه وتلاميذه يحبون أن يتولى ذلك لهم.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ سمحًـا، يحرص علـى نفـع الناس، فقـد جاء يومًـا أحد الأشخاص مـن كبـار السن عند بيت الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: يا شيـخ هذا ولد ولـدي أن أريد تعقد له، وكان الوالد خارجًا لدرس بعيد في مسجد القاضي في حي التعاون، فنظر في الساعة وقال: عندنا درس بعيد ولا نتمكن أن نعقد لك لو جئت مبكرًا لعقدنا لك.

وكان معـه تلميذه الشيـخ أحمد المهنا، يقـول الشيخ أحمـد: فتأثر هذا الرجـل وبدا على وجهه الضيـق، فقلت للشيخ: عندي رأي، مـا رأيك تعقد له أنت وما يتعلق بالضبط والوثيقة أنا أكتبها، فالعقد لن يأخذ إلا وقتًا قليلاً.

فقال: رأي مبارك، وجلس الشيخ وعقد لهم.

وحدث مثل هذا معي مرات، حيث يكون مشغولاً أو على موعد فينيبني في العقد والكتابة، ثم هو يتولى التوثيق، وحينما كان رَحِمَهُ اللَّهُ في المستشفى، كان قد وعـد أحد الأعمام ليعقد لابنه فأمرني أن أذهـب للعقد لهم، فصليت الجمعة في جامعـه ثم ذهبت وعقدت لهم، وحينما رجعـت سألني: هل عقدت؟ فقلت: نعم، فدعا لي ولهم، وكان هذا اليوم في تاريخ ٢٦/٢/١٤٣٠هـ، وهو اليوم الذي أدخل العناية المركزة فيه مرة أخرى بعدما تجدد عليه المرض رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهـو في عقوده يحاول أن يربط الزوجين بالله ويحملهما المسؤولية، ففي الإيجـاب يأمر الولي أن يقول: زوجتـك وأنكحتك بنتي فلانة على ما تراضينا عليـه من الشـروط، وعلى الصداق المعلـوم، وعلى القيـام بالحقوق الزوجية والواجبـات الشرعيـة، والإمسـاك بالمعـروف أو التسريح بإحسـان، ثم يأمر الزوج بالقبول بنحو هذه العبارة وربما زاد وبذل الندى وكف الأذى.

ويكتب ذلك في عقد النكاح، ويزيد عليه المحافظة على الأخلاق الحسنة وعلى الصلاة وصحبة الأخيار ونحوها من التوجيهات المفيدة.

وهو يحـب أن يذكر الصداق الحقيقي، ويقول: إنـه حق للمرأة والمرجع عنـد النـزاع لما كتب؛ لأن بعض الناس قد يكتب الصـداق ريالاً أو نحوه فهو لا يحبذ مثل هذا إلا إذا وثق في العاقدين بأنهم من أهل الصفاء والوفاء، وذلك حسمًا لمادة النزاع ولحفظ حق المرأة.

وهو يعقـد غالبًا بعد صلاة العصر في المنـزل، ولا يحب الذهاب لبيوت أهل العقد إلا إذا كان لهم نوع تميز كقريب أو صديق أو نحوهما.

ولا أذكـر أنه عقد لأحد من الكبراء، فمعظم مـن يأتيه أقاربه ومعارفه وتلاميذه وعوام الناس.

وقـد عقد لنفسه على زوجتـه الثانية أم عبدالرحمن بعـد وفاة الوالدة رحمها الله، وكان التنظيـم الـذي يمنع ذلـك لم يصدر بعد، وعقـد نكاحي ونكاح إخوتي وأخواتي.

ومن المواقف اللطيفة التي تدل على أنه يراعي المصالح إذا وثق ما ذكره عبـدالله بن الشيخ سعيد بن زعير يقـول: «حينما خُطبت أختي «أم محمد»، وعرضنا الأمر على الوالد في إحدى زياراتنا له في السجن من العام ١٤٢٠هـ، فوافـق بـل قابل خاطبها في زيارة أخرى، وحين تم الاتفـاق على كل التفاصيل وتم تحديد موعد الزواج، وقعنا في مشكلة قبل الموعد بيومين، فالوالد لا يمكنه الخروج، ومُنعت عنه الزيارة!! كما منع عنه الاتصال، فكيف نبرم عقد النكاح ولا ولي! ولا وكالـة منه! عرضنـا الأمر على عدد من مأذوني الأنكحة فرفضوا مـع علمهم بالحـال، فعرضه عمي د.فهد على الشيـخ عبد الله - رحمه الله - وأكد لـه أن والدهـا موافق على الزواج من هذا الشاب، فطلـب مهلة ليتأمل الأمر، وحين مررت على الشيخ في منزله بحي السويدي، قلت له: يا شيخ، ليس لدينا حل ولا تواصل لنا مع الوالد، فوافق تغمده الله بواسع رحمته، وكان معي وقتها الشاب (علي الكلثم) فتم العقد ولله الحمد».

ومما يتعلق بهذا الموضوع موقفه من الطلاق وجهوده الكثيرة في دفعه أو رفعه، وهو يجمع في هذا الموضوع بين الاحتياط والتوثق.

فغالبًـا لا يفتـي أحد الزوجين دون أن يسمع من الآخـر، وكثيرًا ما يأتيه الأزواج يسألـون عن الطلاق فيفتيهـم شفويًا فـإذا أرادوا فتوى مكتوبة طلب الزوجة ووليها دفعًا للمشكلات.

وهـو يرى وقوع مـا يعرف بالطلاق البدعي كطـلاق الحائض والطلاق في طهر قد جومعت فيه الزوجة، ولكنه غالبًا لا يجيب المستفتي، بل يحيله إلى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أو الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ من باب التوسعة على الناس.

وكان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يحيل عليه تسجيل أقوال الزوجين حتى يفتي علـى ضوء ما وثقه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من أقوالهمـا، ولذا كان رَحِمَهُ اللَّهُ عندما ترفع لـه حالة من هذه الحالات يطلـب حضور الزوجين مـع ولي الزوجة، ويسجل أقوالهمـا في محضر يقوم برفعه لسماحة المفتي العام الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك للنظر فيه.

ومن نماذج ذلك هذه الواقعة:

الرقم: ٣٦٥/٤/ج. التاريخ: ١٤١٧/٣/٢٧هـ:

سماحـة شيخنـا ووالدنا المفتـي العـام عبدالعزيز بن عبـدالله بن باز حَفِظَهُ اللَّهُ تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: وصلني خطابكم رقـم (١/٤١٢/ف) في: ١٤١٧/٣/٢٦هـ، بشأن الأخ (.....)، وزوجتـه: (.....)، وقـد كتبنـا ما حصل بينهمـا بحضور أبيها وأخيهـا، وإليكـم الإثبات؛ مع أنه قد أخرج بالطلاق صـكًا شرعيًا في المرتين، والأمر ما ترون، وجزيتم خيرًا.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ابنكم: عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، عضو الإفتاء.

التوقيع والختم

*****

محضر استجواب الزوجين:

التاريخ: ١٤١٧/٣/٢٧هـ:

الحمد لله وحده، وبعد:

فقد حضر لـدي: (.....) بالحفيظة رقم (.....) في: ١٣٨٩/٣/٢٤هـ، سجـل نجران، وحضرت معه زوجته: (.....)، وقد عـرَّف بها أبوها: (.....) بالحفيظـة رقـم (.....) في: ١٣٨٤/٦/٢٦هـ، سجل حايل، وذكـر (.....) أنه طلق زوجته المذكورة باختياره في محكمة الضمان والأنكحة طلقة واحدة بالصك رقم(١٨٧) في: ١٤٠٨/١/٢٩هـ، ثم راجعها في العدة بشاهدي عدل، ثم طلقها بالثـلاث بلفظ واحد في محكمة الضمـان، وأخرج بذلك الصك رقم (٣٥) في: ١٤٠٨/٥/٢هـ، وهو بكامل قواه العقلية، ولا يذكر حالتها في زمن الطلقة الأولى، فأمـا الثانية فذكر أنه اعتزلها قبله بشهرين، ووقع الطلاق بعدها بعد أن تزوج بغيرها، ولا يعرف حالتها من طهر أو عدمه ولم يطلق غير ما ذكر في الصكوك.

أمـا الزوجة فذكرت بحضـرة أبيها وأخيها أن الطلقـة كانت إثر نقاش يسـير، وكانت عنـد أبيها فلما رجعـت أخبروها بأن ابن عمها قـد طلقها ولا تتذكـر حالتهـا وقت الطلاق من طهـر أو عدمه، ولا تتذكر متـى عهده بها في الوطء؛ إلا أنها تأكدت عدم الحمل.

أما الطلاق الثاني فبعد أن رجع متزوجًا حصل بينهما نقاش فقال: (ما أنـت على ذمتي)، ثم أخرج الصك، وذكـرت أنها نسيت حالتها من الطهر أو عدمـه، وأنـه لم يطأها منذ شهريـن، أي: قبل سفره، وذكـرت أنه لم يطلقها سوى ما ذكر في الصكين.

أمــا أبوهــا وأخوها فليس عندهما خبر من الطــلاق إلا بعد أن وقع على الوصف المحرر، ولا يذكران لذلك سببًا ظاهرًا، وذكرت أنه لا مانع من الرجوع إليه إذا أباح الشرع ذلك؛ هكذا حصل.

أثبت ذلك عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، عضو الإفتاء.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

التوقيع والختم

فتوى سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الرقم: ٤٣٨/١/ف ـ التاريخ: ١٤١٧/٣/٣٠هـ:

مــن عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة عضو الإفتاء الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، وفقه الله آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعده يا محب:

أعيــد لفضيلتكــم برفقــة كتابكــم رقــم (٣٦٥/٤/ج)، وتاريــخ: ١٤١٧/٣/٢٧هــ ومشفوعاتــه، وأفيدكــم بأنــه بناءً علــى ما أثبتــه فضيلتكم بالوثيقة المرفقة من صفة الطلاق الصادر من: (.....)، على زوجته: (.....)، أفتيتــه بأنه قــد وقع على زوجتــه (.....) المذكورة بالطــلاق الثاني الذي في: ١٤٠٨/٥/٨هـ، المدون في الصك المرفق صورته، الصادر من محكمة الضمان والأنكحــة بالرياض طلقة واحــدة في أصح قولي العلمــاء، تضاف إلى الطلقة السابقــة التــي بتاريــخ: ١٤٠٨/١/٢٥هـ، المدونــة في الصك المرفقــة صورته الصادر من محكمة الضمان والأنكحة بالرياض.

لأنــه قد ثبت عــن النبي ﷺ من حديث ابن عباسـ رضي الله عنهما ما يدل على أن التطليـق بالثـلاث إذا كان بكلمة واحــدة يعتبر طلقة واحدة، ولـه العود إليها بنكاح جديد بشروطه المعتبرة شرعًا.

فأرجو إشعـار الجميع بالفتوى المذكورة، وأمــر (.....) المذكور بالتوبة إلى الله سبحانه من تطليقه زوجته بالثلاث؛ لأن ذلك لا يجوز، كما لا يخفى.

شكر الله سعيكم، ووفق الجميع لما يرضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء

وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الختم

*****

وكان رحمه الله لا يفتــي في مسألة صدر فيها صك حتــى لو أخطأ القاضي في الحكـم اتباعًا للقاعدة المشهورة «حكـم الحاكم يرفع الخلاف»، ونادرًا ما يتصــل بالقاضي ويناقشه، ومما يذكره ابن العــم أحمد بن محمد أن الوالد رحمه الله كان في حفـر الباطن فجاءه أحد المواطنين من تبوك يبكي، يقول: إنني بحثت عنك في جدة والرياض والقصيم فلم أجدك، وكانت لديه مسألة طلاق، حيــث إن أحد قضــاة تبوك قضى بطلاق زوجته منــه وكان متأثرًا، فلما شرح السائـل قضيته طلب منــه الشيخ رقم القاضي فاتصل بـه وناقشه في الفتوى التــي صدرت منه، وقال: إنها خطــأ فتراجع القاضي وأعاد إلى الرجل زوجته فخرج متهللاً فرحًا مسرورًا.

كتابة الوصايا ونحوها

ومما يأنس الناس فيه إليه كتابة الوصايا والأوقاف والهبات ونحوها، وكذلك التصديق على المبايعات القديمة وتوثيق العقود وما أشبه ذلك، والسبب اطمئنانهم للشيخ وثقتهم بأنه سيجري الأمر على أفضل طريق.

وكان كثير من كبار السن يأتون إليه بالوصايا أو الأوقاف المعهودة ويعملون مثل ما هو مشهور بأن يكون في الوصية أو الوقف أضاح لهم ولمن يحبون، وما تبقى كان للأقربين، وكنت في أول أمري إذا حضرت أحب أن يعدل الوالد فيها لتكون في الأعمال الخيرية عامة، فكان لا يوافقني ويقول: «الأقارب أولى ثم أعمال البر»، وهذا منهج لم أدرك فائدته إلا لما عايشت الناس وحاجتهم.

ومن نماذج الوصايا التي كتبها رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد...

فهذا ما أوصى به................ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى أولاده وذريته من بعده أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، ويصلوا أقاربهم وذوي أرحامهم، ثم أوصى بأن تكون الفيلا المقامة على الأرض الواقعة في البديعة والمملوكة بالصك رقم........... في............ الصادر من كتابة العدل الأولى بالرياض سبالة له ولوالديه يخرج منها كل عام أضحية متوسطة والباقي بعد صيانتها

يصــرف في أعمال البر المتنوعــة التي تنفع الميت من الصدقــة وأمور الدعوة وغيرها، ويقــدم المحتاج من الأقارب، وإذا احتاجت والدتهم السكنى في أحد الأدوار فهي أحق به، وأوصى أن يكون الوكيل على الوصية ابنه................ ثـم الأصلـح من أبنائه، هكـذا أوصى وهــو بالأوصاف المعتـبرة شرعاً، أثبت الوصية عبدالله بــن عبدالرحمن الجبرين عضو الإفتاء المتقاعد، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

هذه أبرز الأمور التي كان رحمه الله يقوم بها في المنزل خاصة حينما يفتح البــاب بعد العصــر، ولا شك أن هنــاك أعمالاً أخرى، منهــا القيام على بناء بعضــ المساجــد والأوقاف، ومن أشهر المساجد التــي كان من المشرفين عليها جامع الصانع بالسويدي، وهو الآن من أكبر الجوامع في الحي وأشهرها، وكان الــذي سعى فيــه الشيخ بدر الفــلاج، وجعل لجنة فيها الوالــد رحمه الله والشيخ عمــر العيد والشيخ عبدالله الصالح وآخــرون، وكانت الشيكات لا تصـرف إلا بتوقيــع الوالد رحمه الله، وسعى لجمع الأموال من المتبرعين حتى تم هذا الجامع ومرفقاته العديدة، ومنها جامع عمر بن عبدالعزيز في حي حطين، تولى الوالد رحمه الله جمع الأموال له، وكان الذي يتابعه رجل صالح يقال له ابن حسين توفي رحمه الله، ومنهــا مسجــد بني في حي الدار البيضــاء في الرياض على نفقة رجل يقال له ابن عون.

وكان كثــير من الإخوة يجعله رأسًا في بعض المشروعات؛ لعلمهم بأن ذلك سيساعــد على إتمام المشروع، فقد جعلوه في وقــف مكتب الجاليات في الديرة، وفي بنــاء سكن لأحد الجوامــع في النماص، وهناك غيرها ممــا لا أذكره الآن، وكان يفرح بذلك ولا يمانع، فرحمه الله ورفع درجته في عليين.

ومما يقوم به توزيع الكتب على طلبة العلم، وكان يجمعها في ركن من أركان مكتبته حتى أنشأنا المكتب ففرغنا فيه غرفة كبيرة وجعلنا فيها أدراجا فامتلأت بالكتب، وكثيرًا ما يأتيه طلاب العلم وبخاصة من خارج المملكة فيزودهم بالكتب.

ومما قام على توزيعه كتاب الزركشي في عام ١٤١٢هـ و١٤١٣هـ، ولدينا قوائم كتبها للذين سيوزع عليهم وبيان تسلمهم وبعضها فيها تواقيع للمتسلمين.

كما وزع على طلابه بعض الكتب التي أهداها لهم الشيخ عبدالله الراجحي، وكذلك إذا شرع في شرح كتاب جديد يسجل الطلاب الذين يحتاجون إلى شرائه، ولديَّ قائمة بأسماء الطلاب الطالبين كتاب معارج القبول.

وإذا قرب موسم الحج جاءه بعض من يثقون به بمبالغ يرغبون إليه أن يبحث عمن يقوم بالحج نيابة عن والديهم أو بعض أقاربهم، فيقوم رَحِمَهُ اللَّهُ بنفسه بتوكيل الغير وتسليمهم المبالغ وتقييد من حج وعمن ستكون حجته، ولم نتول في المكتب هذه المهمة إلا في سنيه الأخيرة.

رحم الله الوالد فقد كان فعلاً مؤسسة متكاملة وبابًا مشرعًا لخدمة المسلمين.

العمل الخيري

أريد بالعمل الخيري ما كان يقوم به رَحِمَهُ اللَّهُ من جهود في دعم العمل الخيري خارج إطار المكتب، فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ يحمل هم الأمة ويحب لأمته ولسائر الناس الخير، ولهذا فهو لا يدخر وسعًا في إعانة من يحتاج منه إلى شيء من ذلك، وسنتحدث في هذا المحور عن جهوده لدعم وتبني العمل الخيري في داخل المملكة وخارجها من خلال النقاط الآتية.

١- زيارة الجمعيات الخيرية والمراكز الدعوية وتشجيعها

يـزور رَحِمَهُ اللَّهُ الجمعيات الخيرية ومراكز الدعـوة بدعوة من أصحابها، وهـو غالبًا يلبي الدعوة سـواء أكانت لحضور مناسبة أم حفل أم دعوة لزيارة خاصة به للاطلاع على المناشط والجهود التي تقوم بها الجمعية أو المركز.

وهو يزور هذه الجمعيات سواء أكانت في الرياض أم في خارج الرياض؛ لأنه إذا ذهب لمحاضرة أو دورة في مدينة من المدن يحرص أصحاب الجمعيات علـى زيارته لهم للاستفادة من هذه الزيارة في التوجيه والدعم المعنوي، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ يدرك هذا المعنى، ولهذا لا يرد هذه الدعوات بل يحرص عليها؛ لأن لها أثرًا ملموسًا في نفوس العاملين.

يقـول الشيخ الدكتور عبد الواحد بن حمد المـزروع[1]: «شرفت بزيارة شيخـي الكريم المفضال لمكتبنـا التعاوني للدعوة والإرشـاد وتوعية الجاليات بالدمام، وكانت له كلمات توجيهية وتشجيعية، وكلمة دوَّنها في سجل الزيارات أضعهـا وسامًـا لي ولزملائي في المكتب على صدورنـا من رجل في مثل مقامه رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ هـو المبـادر بالزيـارة، حرصًـا منه على تشجيـع أعمال الدعوة، ودعمها وزيارة العاملين فيها وشد أزرهم».

وزار مـرة الإفطـار الجماعـي في مكتـب الدعـوة وتوعيـة الجاليات في الصناعية القديمة، وأخذ يسلم على الجاليات فيعطي كل جالية تحية بلغتها؛ لأنـه يعرف كثيرًا من الكلمـات ببعض اللغات كما ذكرنا، يقـول الشيخ أحمد المهنا: فأنا انبهرت لمعرفتـه بهذه اللغات كالأوردو والمليلم وغيرهما، الحضور كان قرابـة ألفـين من الجاليـات، وجلـس الشيخ وأفطـر معهم بـكل تواضع وأريحية، ثم زار المكتب واطلع على مناشطه وكتب لهم تزكية طويلة.

---

(١) مقالة بعنوان «ابن جبرين ذلكم العلم» في جريدة اليوم بتاريخ ٢/٨/١٤٣٠هـ.
http://www.alyaum.com/oldsite/issue/article.php?IN=13188&I=692212&G=1

وزار جمعيــة اسمها بيت المؤمن الخيري لرعاية الأيتـام تابعة للمؤسسة الخيرية لرعايــة الأيتام، وتأسس بيت المؤمن الخيري لرعاية الأيتام في مدينة الرياض في مطلع عــام ١٤٢٤ هجرية كأول مشروع خيري يعنى برعاية الأيتام في مرحلة الطفولة المتأخرة (٩ سنوات)، حيث يقيم فيه ٢٧ طفلا ذكرا.

و زار جمعيــة مكافحة التدخين بطلب منهم، ولما طلبوا منه رَحِمَهُ اللَّهُ كلمة عــن الدخان ألقــى كلمة ضافية في قرابة ساعة كاملــة يتكلم بكل طلاقة كأنه يقرأ من كتاب.

وهو إذا زار الجمعيات أو مكاتب الدعوة يطلبون منه غالبًا كتابة كلمة لهم في سجــل الزيــارات تزكية لمناشطهم، ويذكر بعض الإخــوة الذين رافقهم لمدينة الخرمة أنه كتب في يوم واحد لثمان من الجمعيات والمكاتب، فقالوا للشيخ شجاع الشريف وهو عمدة للدعوة هناك: أتعبتم الشيخ فقال: متى نجد الشيخ عبدالله؟

ونقلنــا قبــل عن الدكتور خالد الخليــوي[1] أنه ما طلب منــه أن يسجل كلمــة في سجل الزيارات لبعض المؤسســات أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم والجمعيات الخيرية في مختلف أنحاء المملكة إلا وجد زيارة الشيخ ابن جبرين مدونة في سجل الزيارات قبل كثير من الدعاة.

ونقلنــا عن الدكتور عبدالوهاب الطريري[2] قوله: «فوجئت عندما زرت قريــة نائية في جنوب المملكة والمسافة بعيــدة، والطريق وعر، حتى ظننت أني أول مــن زارها، فلما قلّبت سجل الزيــارات في مركز الدعوة وجدته قد حضر في أول صفحة».

---

(١) ibn-jebreen.com/ommah/print.php?t=view&cid=480

(٢) مقالة بعنوان: «حياة من نور».

ولعلـك تظـن أن كتابـة الشيخ الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في سجل الزيـارات كتابة مجاملة في سطرين أو ثلاثة إنه رَحِمَهُ اللَّهُ يكاد يملأ الصفحة بثناء وذكر لفوائد هـذه الجمعية وأعمالهـا وحاجتها للوقوف معهـا، وُيرغّب التجـار في البذل، ويذكر نصوصًا في ذلك بكلام محرر محبر بليغ غاية في البلاغة.

وكنـا في آخر سنيه نقترح علـى الجمعيات أن نأخذ السجل معنا؛ ليكتب لهـم الوالد في وقت فراغه حتى لا يتعب، فنأخذه وإذا رجع للسكن كان أول ما يبدأ به الكتابة.

وهو يحضر مناشـط هذه الجمعيات والمكاتـب ويشجعها على أعمالها، ويتعمـد بعضـ المكاتـب أن يقصدوا الشيـخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في محاضـرة له أو درس ببعض مناشطهم؛ ليستفيـدوا من الحضور لتشجيع المستهدفين خاصة المسلمين الجدد.

ففي إحدى الدورات في يـوم الثلاثاء ١٢- ٢-١٤٢٦هـ أتى أحد الإخوان وهـو من جنسية تركيـة بشخصين من النصارى وطلـب من الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يلقنهما الشهادتين[١]، وكان الموقف لا يوصف من روعته وروحانيته، حيث تأثر الحاضرون وبكوا.

وقد سُجِّلَ هذا الموقف، ولطرافته أُورِدُهُ هنا كما هو:

تلقـين رجلين من الفلبين الشهادتين على يد سماحة الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ.

ابتـدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بكلمة جاء فيها: بسم الله الرحمـن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

---

(١) مقالة للشيخ خالد بن علي بن محمد الحيان، جريدة الجزيرة
http://www.al-jazirah.com/104890/fe7.htm

هــا هنا اثنان من العمالة من الجنسيــة الفلبينية، اللذان كانا على غير الإسلام، وقد دعاهم الدعاة المخلصون فهداهم الله لاعتناق الإسلام وجاءوا راغبين في أن يعتنقوا الإسلام وأن يشهدوا به.

ونحث جميع المسلمين على أن يعملوا هذه الدعوة، كل من عرفت من غير المسلمــين عليك أن تعرض عليه دين الإسلام، وهــم موجودون كثيرًا، يعملون في المحطات، ويعملون في المستشفيات، ويعملون في الشركات، ومع ذلك ليسوا على دين الإسلام، فإذا عرض عليهم رُجي أنهم يتقبلونه ويكون لك أجر (من دل على خير فله مثل أجر فاعله).

ثم بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ حواره معهما والمترجم يترجم فقال: نقول: هل أنت مقتنع اقتناعاً كاملاً بالإسلام؟

الإخوة الفلبينون: نعم.

سماحــة الشيــخ رَحِمَهُ اللَّهُ: مقتنع بالإسلام، تعرف أنــك لو كفرت ورجعت إلى دين غير الإسلام حل قتلك؟

الإخوة الفلبينين: نعم.

سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن(من بدل دينه فاقتلوه).

إذا رجعــت إلى بــلادك الفلبــين يلزمــك أن تظهر الديــن، وأن تتمسك بالديــن، ولو دعاك الناس الذين هناك ولو عــادوك تتمسك بالإسلام وتحمد الله على أنه هداك للدين، وأنك ظفرت به وأصبحت من أهل الإسلام.

الإخوة الفلبينين: نعم.

سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الآن نطلب من كل واحد منكم النطق بالشهادة.

تقول: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسولـه، وأشهد أن عيسى عبـد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وأشهدُ أن الجنــة حـق، وأن النـار حـق، وأن الساعة آتية لا ريب فيهـا، وأن الله يبعث من في القبور.

الإخـوة الفلبينون: أشهـدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمـدًا عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى عبـد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وأشهدُ أن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

سماحة الشيـخ رَحِمَهُ اللَّهُ: بقي عندنا تقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وآمنت بالقدر خيره وشره من الله.

الإخوة الفلبينـون: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وآمنت بالقدر خيره وشره من الله.

ثم خاطب رَحِمَهُ اللَّهُ الذي جاء بهم وتسبب في هدايتهم فقال له: أنت الذي دعوتهـم، جزاك الله خيرًا، لعلك تذهب معهـم إلى مكتب الدعوة في سلطانة شـارع السويدي يعطونهم وثائـق ويكتبون عليها ويرفعـون بأمرهم حتى يغير الجواز وتغير الإقامة وتغير الديانة إن شاء الله.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ يولي حلقات القرآن وحفاظ القرآن عناية خاصة، يستقبلهم في منزلـه، ويشجعهم، ويزور حلقاتهم، ويحضـر حفلاتهم، ويستمع لقراءات الطـلاب، ويلقي كلمـة يثني عليهم فيهـا، ويوجههم، ويشجعهـم، ويكتب لهم

التزكيات والتوصيات. ومن نصائحه لطلاب الحلقات قوله[1]:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فننصح أبناءنا بالمواظبة على هذه الحلقات، وعدم التخلف إلا لعذر لا يمكن تأخيره، وننصحهم ثانيًا أن يتعاهدوا ما حفظوا، ويكرروا قراءته وتذكره كل يوم أو كل يومين؛ حتى يرسخ في أذهانهم، وننصحهم ثالثًا بألا ينشغلوا عن مواصلة الحفظ ولو تقدمت أسنانهم، ولو كانوا في المرحلة الثانوية أو الجامعية، فإن القرآن أولى بالاهتمام، وننصحهم رابعًا بألا يغفلوا عن قراءة القرآن ولو بعد إتمامه حفظًا، بأن يجعل أحدهم له كل يوم حزبًا يقرأه كربع القرآن أو ثمنه أو نحو ذلك.... إلخ».

وبسبب هذا الحضور الفاعل في العمل الخيري، ومساندة الجمعيات والوقوف معها، والقبول الذي وضعه الله له لدى الخاصة والعامة، فإن عددًا من الجمعيات حرصت على انضمامه إليها، وفيما يلي إشارة لما أتذكره منها.

مؤسسة الحرمين الخيرية، حيث كان رئيسًا للمجلس الشرعي بها.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، كان رئيس الهيئة الشرعية بالندوة منذ عام ١٤٢١هـ حتى وفاته رحمه الله. وقد جاء في بيان الندوة حول وفاته أنه كان له دوره الكبير في دعم ومساندة العمل الخيري، عبر فتاواه الشرعية والتأصيلية، وكتابة التزكيات للمحسنين وأهل الخير لدعم الأعمال الدعوية والخيرية.

الجمعية الخيرية في القويعية وتولى رئاستها عددًا من السنوات.

جمعية التوعية والتأهيل الاجتماعي «واعي» عضوية فخرية.

---

(١) من نصيحة عامة لطلاب التحفيظ بتاريخ ١٤٢٢/٧/٧هـ.

٢- العمل الخيري في الخارج

كما يبذل رَحِمَهُ اللَّهُ جهوده في دعم العمل الخيري في داخل المملكة، فإنه لم ينس المسلمين في الخارج، وحتى لا يحدث تكرار فإننا سنركز على العمل الخيري بمفهومه المعاصر الذي هو دعم النشاطات الدعوية والتنموية والاجتماعية والإغاثية؛ لأنه سيأتي كلام مستقل عن اهتمامه بقضايا المسلمين فيما يتعلق بدعمه قضايا المسلمين السياسية ونصرتهم.

لقد كان لدعمه المعنوي لمؤسسة الحرمين الخيرية وللندوة العالمية للشباب الإسلامي أثر في أنشطتهما الخيرية في خارج المملكة، وهما من الجمعيات المهمة، حيث يعرف الخير الذي وصل للمسلمين عن طريق مؤسسة الحرمين الخيرية والذي ما زال يتواصل عن طريق الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ولم تكن هاتان الجمعيتان هما فقط اللتين استفادتا من الدعم المعنوي له رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن هيئة الإغاثة الإسلامية في فرع الشرقية خاصة، كانت أيضًا ممن استفاد من توصيات الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ودعمه المعنوي لمشروعاتها، فضلاً عن الكثير من الجمعيات الإسلامية في الهند والباكستان وإفريقيا وشرق آسيا التي تواصلت معه رَحِمَهُ اللَّهُ ولقيت منه تأييدًا أو شفاعة أو دعمًا ماديًّا، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرد أحدًا من هؤلاء، خاصة قبل أحداث سبتمبر التي حصل بعدها تشديد على دعم الجمعيات في خارج المملكة.

وبعيدًا عن الدعم المعنوي فإن له رَحِمَهُ اللَّهُ وقفات مع العاملين للإسلام في خارج المملكة.

الشيخ عبدالغفور المدني من أهل الحديث في باكستان، أنشأ جامعة في مدينته في جهلم من إقليم البنجاب في باكستان، زار الشيخ عبدالغفور

الوالد في الإفتاء فأنس كل منهما بالآخر رحمهما الله تعالى، وأصبحت زيارة الشيخ عبدالغفور زيارة سنوية يقصد فيها الوالد رحمه الله في الدرجة الأولى لما يجد منه من الدعم والإعانة.

كان يعطيه مما عنده، ويشفع له عند الأثرياء، ويقوم بنفسه بالذهاب معه للجوامع الكبيرة، وفي رمضان للمساجد كثيرة الجماعة فيجمع بالآلاف.

أشرت لهذا من قبل إشارة عارضة، لكني لم أفصل، ولم أقل إني دهشت لما صلينا في جامع الأمير محمد بن عبدالرحمن بقرب سوق عتيقة وكان خطيبه آنذاك الشيخ محمد الزنان رحمه الله، ولما انتهت الصلاة تقدم الوالد رحمه الله وتكلم وحث الناس على الصدقة، وكنت أنا وبعض الإخوة نقف على الأبواب، فأحصينا ما جمعناه في تلك الجمعة فزاد على سبعين ألف ريال، وأجزم أننا نجمع لهم في كل عام ما يقرب من ستمائة ألف ريال وهي ميزانيتهم السنوية.

ولما توفي الشيخ عبدالغفور تواصل أبناؤه محمد وعبدالحميد وأحمد، ثم ضعف نشاطهم بعد الأحداث التي أضرت بالعمل الإسلامي في كل مكان.

وجاءنا في المنزل الشيخ عبدالكريم ومعه ابنه نصر الدين، ويعرف بنصرو، والشيخ عبدالكريم من مشايخ الصوفية في بلده إثيوبيا في منطقة تبعد عن العاصمة نحو ستمائة كيلو، كان الذي جاء به إثيوبيًّا يعمل في الرياض من بلدهم، وعرضوا على الوالد أن يبني عندهم مدرسة وجامعًا، وذكروا حاجة بلدهم لذلك؛ لبعدها عن الحواضر والتعليم، شرح الله صدر الوالد لهم، فالتفت إليَّ وكان هذا في عام ١٤١٧هـ، وشاورني فقلت: إن رأيت أن أسأل من أعرف هناك فعلت، ثم سألت بعض الإخوة في وزارة الشؤون

الإسلامية وتواصلت مع المنتدى الإسلامي؛ لأن لهم مكتبًا هناك، فكلهم شجعوا على العمل في البلد لحاجته وتوقع الأثر الجيد للعمل، وكلفني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسفر فسافرت لإثيوبيا، وكانت قد خرجت لتوها من قبضة النظام الشيوعي في عهد منقستو، والأمن والتطور فيها في أدنى درجاته.

القصة طويلة، لكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبنى المشروع، وبنيت مدرسة وجامع، وأقيم مركز لتحفيظ القرآن، وأصبحت البلاد الصوفية يدرس أبناؤها كتب العقيدة الصافية، وما زال المركز موجودًا، وتوسع نشاطه جدًّا حتى نشر الخير والسنة في المناطق المحيطة به، فربطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالعمل هناك، ومازال يتبع مكتب الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من مائة داعية ومركزان لتحفيظ القرآن والعلوم الدينية.

ووقف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقفات أخرى مع مركز الشيخة بسمة في البحرين، وجمعية ندوة المجاهدين في كيرلا وغيرهما.

ومن المشاريع التي تبناها مكتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثيوبيا تنفيذ ذبح الأضاحي هناك، حيث يفتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجواز ذبح الأضاحي في خارج المملكة، ويرى إجزاءها وفضيلتها لحاجة المسلمين هناك لهذه اللحوم، وكنا ننفذ في السنين الأخيرة من حياته ما يزيد على ثلاثة آلاف أضحية.

٣- دعمه للمشاريع الخيرية والدعوية

أشرت من قبل إلى دعمه الجمعيات الخيرية ومراكز الدعوة، وفي هذه النقطة سأشير إلى دعمه ووقوفه مع المشاريع الخيرية والدعوية التي يتبناها بعض الدعاة ولعلي أبدأ بهذين المثالين ثم أعلق عليهما.

يقـول الشيخ محمـد العوضـي[1]: «كنا ذهبنـا أنا وصديقـي الأخ علي العجمـي مدير مشـروع ركاز لتعزيـز الأخلاق؛ من أجل عرض هذا المشروع الـذي يقوم في الأسواق، فكان الشيخ ابـن جبرين أحد الذين عززوا فينا هذا المشروع، ودعا إلى ضبطه وتقويته ودعمه ودراسته ومؤازرته».

ويقول الشيخ إبراهيم التركي: «كان سماحة الشيخ العلامة عبدالله بن جبريـن رحمه الله من الرجال الذين سخرهـم الله لفتح خزائن الخير، والأمثلة علـى ذلك كثيرة، ومنهـا ما كان من دوره الكبير في إنشـاء مشروع جوال نبي الرحمـة ﷺ، وذلك للدفاع عن نبينـا ﷺ ونشر سنته؛ كرد عملي على جريمة الصحف الدنمركية.

سماحـة الشيخ عبدالله بـن جبرين رحمه الله كان الرجل الـذي فتح هذه الخزانـة من الخير؛ لتثمـر حتى الآن ١٥ مليون رسالة من معين السنة النبوية لعشرات الآلاف من المسلمين.

فقـد كتب الشيخ رحمه الله يؤيد ويشيد بمشروع مؤسسة أصداء الدعوة في الدفاع عن نبي الرحمة ﷺ، مما أسهم في رعاية شركة الاتصالات السعودية للمشروع، وتنفيذ حملة إعلانية كبيرة عن جوال نبي الرحمة ﷺ في الصحف والقنوات.

فـكان من حقـه علينا أن يعرف النـاس أثره في هـذا المعين من الخير، والـدور الكبـير في الدفـاع عن نبينـا ونشر سنتـه، فيذكر ويشكـر ويدعى له بالرحمة وعلو المنزلة في الجنة ومرافقة نبينا ﷺ»[2].

---

(١) قناة حياتنا.

(٢) انظر صور كتابته رحمه الله: http://www.as4a.net/mktba/ibn_gbreen.jpg

هـذان المثالان أنموذج لعشـرات الأمثلة من المشاريع التي عرضت عليه رَحِمَهُ اللهُ فشجعهـا، وأيدهـا، وكتب معهـا كتابات خاصة وعامـة حتى نجحت، وأينعت، ومنها:

حملة القضاء على السحرة والمشعوذين في الحدود الشمالية للمملكة.

معرض البداية والنهاية.

المركز العلمي الأول بمدينة جدة.

مخيم ملتقى بوابة الحرمين بجدة.

المدارس الخيرية للجاليات البرماوية بمكة.

مشروع تعظيم البلد الحرام.

مشروع هدية الحاج والمعتمر.

لجنة الرعاية الأسرية في الدمام.

ومن أهـم المشاريع التي تبناها ورعاها حتى بـارك الله فيها وأصبحت أسوة وأنموذجًا يُحْتَذَى مغسلة الدريهمة لتغسيل الأموات، التي أسسها الشيخ عبدالرحمـن بـن عبدالله الغيـث رَحِمَهُ اللهُ، ووقف معه الوالـد رَحِمَهُ اللهُ في ذلك، وهـي من أولى مغاسل الأموات في المملكة، بل لعلها أول مشروع في هذا المجال وبعدها انتشرت المغاسل وكثرت.

وكان الشيـخ الغيـث رحمـه الله يؤسس المغاسـل ويعلـم الناس طريقة التغسيل والتكفين حتى أصبح مدرسة في هذا المجال.

ولا ريـب أن الوالـد رحمه الله وقف معه في بداياتـه وقفات مذكورة كان لهـا الأثر في نجاحه، بل إن الشيـخ الغيث يقول دائمًا وفاء منه لشيخه رحمهما الله: إن الوالـد هو المؤسس، ولاشك أن لتأهيل الشيخ الغيث في هذا المجال وقدرته على الابتكار أثراً كبيرًا في النجاح.

٤- فتاواه في العمل الخيري وجواز صرف الزكاة له

هـذه النقطة من أهم النقـاط التي استفاد منها العمـل الخيري، ولعل الجزء الثاني من العنوان هو الأهم لدى العاملين في المجالات الخيرية، إذ إنه بهـذا الرأي الـذي نصره ونشره وأشاعه في فتاوى عديـدة تتعلق بدعم العمل الخيري من الزكاة؛ لأنه يرى أنها تدخل في سبيل الله قد فتح أبوابًا من الدعم كان لها الأثر في نشر الخير ونجاح الدعوة.

ولـه رحمه الله فتاوى كثيرة في هذا البـاب، تشمل جمعيات تحفيظ القرآن، ومكاتب الدعوة، ونشر الكتـب، والتعليم، ووسائل الإعلام الإسلامية، وأوقاف العمل الخيري، وغيرها، ولعلي أورد جوابًا له حول الموضوع مشتملاً على معظم مجالات العمـل الخيري، يقول رحمه الله في فتوى له بتاريـخ ١٤٢٠/٨/٣٠ هـ[(١)]: «فحيث إن الزكاة شرعت لسد حاجة ذوي الحاجات من الفقراء والمستضعفين، وشرعـت أيضًـا لدعـم المجـالات الخيريـة كإعطـاء المكاتبـين والمجاهديـن والمنقطعين والمؤلفة قلوبهم، فإن ذلك دليل على أنها شرعت للمصالح الخيرية التي يُتَوَّصَلُ بها إلى نتائج طيبة، ويحصل من آثارها فوائد تعود على المسلمين بالخير والبركة. وقد أفتى مشايخنا بجواز صرفها في الدعوة إلى الله ووسائلها كالرسائـل والأشرطة وإعاشة الدعاة المتفرغين للدعوة، فإن من ذلك صرفها

(١) الفتوى رقم ١٤٣١.

في مدارس تحفيظ القرآن الخيرية؛ لما لها من الأثر المفيد والنتائج الطيبة، والتشجيع على حفظ القرآن والعمل به، فأرى جواز صرفها لهؤلاء إذا لم توجد جهات أخرى تقوم بها حتى لا تتعطل هذه الجهات الدينية.. والله أعلم».

وأما فتاواه المتعلقة بالعمل الخيري فهي كثيرة، ولم يتيسر جمعها كلها في كتاب واحد، ولعل ذلك يكون إن شاء الله، ولكن قام بعض الإخوة بجمع بعض الفتاوى وطبعها في كتيبين صغيرين هما:

الأول: الفتاوى الجبرينية في الأعمال الدعوية والإغاثية، قامت بجمعه وإعداده اللجنة الشرعية بالندوة العالمية للشباب الإسلامي في المنطقة الشرقية ١٤٢١هـ، وهو العدد الأول من سلسلة من إصدارات اللجنة الشرعية في هذا المجال، تضمن أربعًا وعشرين فتوى، أجاب عنها فضيلة الشيخ الوالد رحمه الله، وقد ألحقت في نهاية هذا الكتيب نسخة لكل فتوى، بخط يده رحمه الله.

والثاني: ١٠٠ سؤال وجواب في العمل الخيري من جمع وإعداد الشيخ أحمد بن حمد البوعلي مدير هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالأحساء.

ويحكي الشيخ أحمد قصة هذا الكتاب فيقول[1]: «لما كنت طالبًا في مرحلة الماجستير كنت أدرس في جامعة الملك سعود في قسم الثقافة الإسلامية، وبحكم اهتمامي بالأعمال الخيرية، كانت هناك مجموعة من الأسئلة تدور في ذهني وفي ذهني كثير من الإخوة والأخوات الذين يعملون في العمل الخيري، وكان هذا الجانب يؤرقنا كثيرًا في العمل الخيري، فجمعت هذه الأسئلة، وكانت قرابة مائة سؤال جمعتها في وريقات، وذهبت للشيخ، وطرحت عليه الفكرة أن يجيب عن هذه الأسئلة حتى توزع على المؤسسات الخيرية وعلى الجهات الخيرية، فوافق - بارك الله فيه - وبالفعل استرسل في الإجابة عنها، وأخذتها

(١) قناة حياتنا.

ووضعتهـا في كتيب صغير، ثم طبعها بعض أهـل الخير، وتم توزيعها على عدد كبـير من العاملين في العمل الخيري وفي المؤسسات الخيرية والجهات الخيرية سواءً في داخل المملكة وفي خارجها.

بعد ذلك جاءني عدد من المراسلات من أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك من الداخل يطالبون بالمزيد من هذه الأسئلة وطباعة عدد من هذه الكتيبات، فجمعت أيضًا مائة أو أكثر من مائة في المرة الثانية، وذهبت إلى الشيخ وثنيت ركبتي عنده، واستمعت إلى توجيهاته، وأجاب عنها - جزاها الله خير - لكنها لم تخرج حتى الآن، وستخرج بإذن الله ﷻ قريباً».

ولقد شملت الأسئلة محاور عدة، كل محور خاص بقضية خيرية.

هـذان الكتيبان جمعا بعض فتاواه رَحِمَهُ الله عن العمل الخيري، وعندنا له الكثير من الفتاوى لعلها أن تخرج قريبًا رَحِمَهُ الله وعفا عنه ونفع بعلمه.

الشيخ المحتسب

هـذا المحور من المحاور المهمة في حياته رَحِمَهُ الله، ولعلك تلحظ أني في كل محور أتحدث عنه أبين أهميته عند الوالد رَحِمَهُ الله، وأنه معلم من معالم حياته، ولا شـك أن من يحيا لأمته ويعيش واقعها يحس بحاجة الأمة لجهده في جميع المجـالات، ولهذا كان النبـي ﷺ إذا قرأت سيرته تحسـ أن حياته عبادة، ثم تحس أنها جهاد، ثم إنها رحمة بالخلق ثم إنها حسن خلق ثم دعوة وهكذا كل مجال تقلب فيها سيرته تظن أنه يعيش حياته لذلك المجال وحده، وهكذا كان أتباعـه من الصحابة والتابعين وسلفنـا الصالح وكل من اقتفى أثرهم وسلك سبيلهـم، ولهذا جعلت عنوان هذا القسم شيخ الأمة؛ لأنه في كل مجال تحتاج إليه الأمة يعطي ويبذل رَحِمَهُ الله.

ونحـن نريـد بالاحتساب هنا معناه العام، وليس المعنى العرفي المشهور الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كنت إن دققت النظر وراجعت المصلحات الشرعية في هذا ستجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متسع المساحة، يشمل كل ما تحتاج إليه الأمة مما يصلح حياتها، ولهذا يعرف الوالد رحمه الله المعروف والمنكر بقوله[1]: «المعروف: ما أمر الله تعالى به في كتابه، أو على لسان رسوله محمد ﷺ، والمنكر: ما نهى الله تعالى عنه وحرمه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

وسمي هذا معروفًا؛ لأن النفوس السليمة تعرفه، وتفضله، وتشهد بحسنه، وتقبله وتستحسن التعبد به.

وسمي هذا منكرًا؛ لأن النفوس والفطر السليمة تنكره، وتنفر منه وتستقبح فعله، ولا عبرة بمن تغيرت فطرته وانحرف عن مقتضى العقل، فاستحسن القبيح واستقبح الحسن، فأولئك هم عمي البصائر ممن فاتهم الخير والرشاد فانعكست أفهامهم».

ولقد قام رحمه الله بهذه المهمة وأبلى فيها البلاء الحسن، فقد كان يتمتع بجرأة في كلمة الحق، فلا يخشى في الله لومة لائم، وكان الكثير من الغيورين يبحثون عنه ويسألونه حينما تنزل نازلة، أو يحصل منكر، فيسارع رحمه الله بكل ما يستطيع من واجب الإنكار، سواء بمخاطبة المسؤولين، أو بإصدار الفتاوى التي تبين الموقف الشرعي من النازلة.

ودعني أبدأ معك في هذا المجال خطوة خطوة: ففي المجال الشخصي لممارسة الاحتساب كان رحمه الله لا يرى منكرًا واقعًا إلا أنكره، ولاخطأ إلا نبه

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=6&book=27&toc=&page=1114&subid

إليه، ولا مناسبة للتوجيه إلا استغلها، ولا شيئًا متوقعًا إلا حذر منه، ولا معروفًا متروكًا إلا أرشد إليه، ولا سنة مهملة إلا حرص على بعثها وإحيائها.

وتعال أعطيك أمثلة على ذلك:

يقول الدكتور سعد بن مطر العتيبي[1]: «أذكر أنه حضر مزاين الإبل لقبيلة قحطان، وألقى هناك كلمة توجيهية تحث على نبذ العصبية القبلية».

ولم أره مع طول صحبتي له رأى مدخنًا إلا نصحه، فأحيانًا يقف معه ويمسك يده، ويطلب منه أن يجعلها تحت قدميه، وإذا كان مستعجلاً خاطبه وقال له: بطال بطال، وبخاصة إذا لم يكن عربيًّا لصعوبة التفاهم معه، ولم يكن الناس في المجالس التي يغشاها يدخنون بحمد الله، إما لأنها مجالس خير أو احترامًا وتوقيرًا له ولمن حضر.

وحاله مع النساء المتبرجات أو اللاتي يكشفن وجوههن كحاله مع المدخنين، لا يرى امرأة كاشفة أو حاسرة إلا وَجَّهَهَا ونهاها، وعند خروجنا من الحرم يكثر المتسولون، وفيهن من النساء الكاشفات وجوههن فلم يكن يعطيهن، بل يشير لهن بوجوب ستر الوجه ويردد عبارة عامية: «تغطي جعلك الغطاط».

وحاله كذلك مع حالقي اللحى ومسبلي الثياب وبخاصة إذا كانوا من الأقربين، فإنه يشدد عليهم في ذلك، وذكرت قبل أنه كسر جهاز التلفزيون في غرفة أحد إخوتي.

وكان كثيرًا ما ينهى عن الإسراف خاصة في الماء، ويأمرنا بتخفيف صب الماء ويقول: «لاتسرف ولو كنت على نهر جارٍ».

---

(١) مقالة في موقع الألوكة http://www.alukah.net/articles/67/ 7065.aspx

ويذكر أحد الإخوة في موقع أهل الحديث أنه صحبه عشر دقائق من مقر سكنه في مكة إلى الحرم يقول: «كنت في بيت الله الحرام في رمضان ١٤٢٨ هـ، وفي يوم من تلكم الأيام الخيّرة، وقبيل أذان العشاء هيّأت نفسي للخروج إلى الصلاة، خرجت من الغرفة التي كنت أقطنها، ركبت المصعد، وإذ بشيخ جليل، نظرت إليه محدّقًا!

أحدّث نفسي: من هذا؟!

أظن أني أعرفه أو رأيته من قبل.

أليس هذا هو الشيخ ابن جبرين؟!

التفتُّ يمنة ويسرة فوجدت رجلاً بجانب الشيخ، فقلت له: أليس هذا هو الشيخ ابن جبرين؟

فقال: بلى.

فكدت أن أقع مغشيًّا عليَّ من شدَّة الفرح والسرور.

توقّف المصعد عند أحد الطوابق، فدخل ثلاث نساء، كانت إحداهنّ كاشفة الوجه، فبادرها الشيخ بالإنكار والنصح قائلاً: تستري ونهرها.

فكان هذا الدرس الأول: إنكار المنكر عند وقوعه ومشاهدته وعدم السكوت عنه والجرأة في الحق».

والنماذج من هذا كثيرة، وإنما أردت مجرد التمثيل بما عود عليه نفسه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكانت مجالسه ودروسه عامرة بالنصح والتوجيه والتنبيه على المخالفات، وبخاصة إذا رأى مخالفة أو حدثت حادثة في المجتمع.

ولقد اصطحبه الكثير من المحتسبين للأسواق، فكان يبادر للذهاب معهم للإنكار هناك، ويشجعهم ويشد من أزرهم، فزار معهم الأسواق في الرياض وفي مكة وغيرهما من المدن.

ومن جهوده في ذلك؛ الكتابة لولاة الأمر عن المخالفات والمنكرات المتفشية، ونصيحتهم بأهمية التمكين للخير وأهله، وهذه الخطابات قد تكون في موضوعات عامة، وقد تتعلق بموضوع خاص.

فمن الكتابات العامة أنه كتب خطابًا للملك حول ما أصاب الناس بسبب القحط، وبيان أن ذلك بسبب المخالفات الشرعية، وذكر نماذج لمخالفات العلمانيين والرافضة ودعاة تحرير المرأة والاختلاط وضعف أهل الحسبة والتضييق عليهم، ودعاه لاحتساب الأجر في القضاء على تلك المنكرات رجاء أن يرحم الله الأمة.

وكتب خطابًا للأمير سلطان رحمه الله عن بعض القضايا، ومنها: كثرة العاطلين، وانتشار الجريمة، وتعطيل الحدود الشرعية وبالذات حد السرقة، وعمل النساء فيما يمكن عمل الرجال فيه، وكثرة الدعاية للتبرج والاختلاط، وضعف جانب الدعوة والحسبة.

وكتب نصيحة للأمير محمد بن نايف في أول ولايته عن نصرة الدين وأهله ووجوب الحذر من كيد الكفار والمنافقين.

وكان يكتب كثيرًا للأمير سلمان في مثل هذه القضايا.

ويصدر الخطابات التي يكتبها لولاة الأمر ببيان منهجه مع الولاة كما سنذكره مفصلاً فيما بعد إن شاء الله، وأنه يدين بالسمع والطاعة والولاية،

كمـا يذكر سبب نصــر هذه الدولة والتمكـين لها، ويذكرهم بسـيرة المؤسس الملـك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ومـا كان عليه من تمكين للديـن وأهله وتضييق على الباطل وحزبه.

وهـو يلقـى رَحِمَهُ اللَّهُ من الولاة القبـول والترحيب والشكر علـى ما يقدمه لهم؛ لأنهم يعلمون سلامة نيته، وحرصه على مصالح العباد والبلاد.

وأمـا الكتابـات الخاصة فكثـيرة جـدًّا للمسؤولين ولغيرهـم، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يغشاه الإخوان ويطلبون منه التحرك لإنكار منكر أو دفع شر عن الأمة، فيستجيب بالكتابة فيرسل الخطاب أو يذهب به بنفسه.

كانت الموضوعات التي تؤرقه كثـيرة، والمنكرات التي تبلغه عديدة، وهو يكتب ولا يمل ولا ييأس، ويرى أن مهمته البلاغ والنصيحة.

فمـن الموضوعات التي تؤرقـه وتزعجه كثيرًا موضـوع الإعلام ووسائله الكثـيرة، سواء كانـت رسمية أم أهلية، فقد كان يبلغـه عن طريق الإخوان ما يحدث في وسائـل الإعلام، فطلابه وكثير من الشباب من غير طلابه يبلغونه بـكل شيء، ويُعْرَضُ عليه في دروسه ومحاضراته في الأسئلة كثيرٌ مما يحدث، فهو يعيش الواقع ويعرف ما فيه وإن كان لا يشاهد وسائل الإعلام ولا يطالعها ولا يسمعها، فهو مشغول بما هو أهم، وستأتيه أخبارها.

ولغيرته على الدين وحبـه المسلمين فإنه ينكر ما يبلغه بجميع الوسائل، وأراه يحتفظ في جيبـه ومكتبه ومكتبته بقصاصات من الجرائد فيها مقالات وكتابـات فيهـا مخالفات، ويكتـب في أعلى الجريـدة موضوعهـا ليتمكن من تمييزها حينما يحتاج إليها.

وكان يكتب لولاة الأمر والمسؤولين حول ما يبلغه من مخالفات، وعندي صور من بعض مكاتباته، منها خطاب للأمير نايف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشأن مخالفات كثيرة رفعت له عن وزارة الإعلام، فشكره الأمير ودعا له ووعده برفعها للملك.

وأرسل مرة للأمير سلمان حَفِظَهُ ٱللَّهُ بخطاب حول مخالفات الصحف وأرفق معه قصاصتين مما وصل إليه.

ورفع خطابًا للملك حول مخالفات صحيفة الوطن وشاركه في توقيع الخطاب الشيخ عبدالرحمن البراك حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

وموقفه من هذه الجريدة ومخالفتها معروف، فكان يحذر منها كثيرًا في لقاءاته مع المسؤولين وفي دروسه ومحاضراته، وأصدر فتوى في بيان مخالفاتها والتحذير منها[1].

وكان قد أصدر قبلها بعشر سنوات فتوى في التحذير من جريدة الشرق الأوسط التي كان لها في أثناء حرب الخليج مواقف كثيرة ضد طلاب العلم[2].

وهو في دروسه ومحاضراته كثير التنبيه على خطر كثير من وسائل الإعلام ووجوب البعد عن متابعة القنوات الهابطة والجرائد والمجلات الفاسدة.

وكما يهتم بالإعلام فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مهتمًّا بالتعليم، ولما بلغه ما يحدث من تغيير في المناهج الدينية، رفع خطابات عديدة لولاة الأمر وللمسؤولين عن هذه القضية، منها خطاب طويل للأمير نايف رَحِمَهُ ٱللَّهُ صدره بقوله: «فقد ساء أهل العلم والدين ما حصل هذا العام من تغيير في المناهج والمقررات الدراسية، حيث تسلطوا على علم العقيدة والتوحيد الذي استمر تعليمه أكثر

---

(١) فتوى رقم ١٠٩٠٨ بتاريخ ١٩/٣/١٤٢٤هـ.

(٢) فتوى بتاريخ في ٥ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ.

من نصف قرن...... إلخ». وكان الخطاب بتاريخ ٢٨ / ١٠/ ١٤٢٤هـ وأذكر أنه كتب للرئاسة العامة لتعليم البنات قبل دمجها مع وزارة التربية والتعليم حول طلب إضافة تعريف بالفرق الضالة في كتاب التوحيد، ورد الوكيل المساعد للتطوير التربوي الدكتور محمد الهزاني على خطابه وأرفق جدولاً يحتوي على أسماء الفرق المعرف بها في كتاب التوحيد.

ومن القضايا التي تشغله كثيرًا قضية المرأة وتفاعلاتها الكثيرة في مجتمعنا، فلقد عانى في سبيلها الكثير، ولقد كان يحذر من خطر تبرج النساء واختلاطهن بالرجال كثيرًا في محاضراته ودروسه وفتاواه ومجالسه، كما كان يكتب للمسؤولين حول هذه القضايا، ومن ذلك الكتابة للأمير نايف رَحِمَهُ اللهُ حول قضية المرأة وأخطاء وزارة العمل فيما يتعلق بعمل المرأة، وكان ذلك بتاريخ ١٤٢٧/٣/٢٤، وكتب مرات عدة للأمير سلمان حول دعاة تحرير المرأة والتحذير من كيدهم، منها خطابان بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٠هـ و١٤٢٠/١/٢٤هـ، وكان يضيق صدره كثيرًا بما يبلغه من مخالفات في هذا الجانب، سواء في اختلاط النساء بالرجال أو توليهن مناصب فيها توسع وقد تكون سببًا للفتنة بالنساء، ورأيت في مذكراته التي كان يسجل فيها المنكرات أسماء بعض النساء اللاتي في بعض المناصب ممن يريد التبليغ عنهن رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة.

وبالإضافة إلى جهوده في المسائل السابقة فإنه كثير المناصحة والإنكار في المخالفات العامة، سواء المنكرات التي تتفشى في المجتمع أم المصالح العامة التي يرى فيها تقصيراً أو تفريطًا. ومما أذكره في هذا المجال، أنه بلغه أن الخطوط السعودية عرضت فيلمًا في إحدى رحلاتها للباكستان فيه صور نساء شبه عاريات، فكتب للأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع والطيران حول ذلك ورد عليه الأمير - جزاه الله خيرا - يشكره ووعد بالتحقيق في الموضوع.

وكتب لوزير الإعلام حول اقتحام فتاة مكان الرجال في النادي الأدبي بجيزان، ورد الوزير إياد مدني بالاعتذار وعدم تكرار ذلك.

وكتب للمفتي العام حول تظليل السيارات وما فيه من المفاسد.

وكتب لرئيس بلدية منفوحة حول إلقاء النفايات في مقبرة منفوحة.

وكتب لمدير مستشفى السليمانية حول ظاهرة معاكسة النساء في المستشفى، وغيرها كثير من الخطابات التي يرفعها حول مثل هذه القضايا.

وله رَحِمَهُ اللَّهُ كتابات وتوجيهات للعامة حول المنكرات الظاهرة، مثل انتشار السحر والشعبذة، هكذا كان يسميها رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو تعبير علمي مشهور عن العلماء، وكذلك انتشار المنكرات في الأسواق والمتنزهات ونحوها، والاختلاط في المستشفيات والجامعات، وأنكر مرات ما يحدث في معارض الكتاب كل عام من مخالفات.

وله جهود في الحفاظ على المصالح العامة، ومنها أنه كتب ملحوظات على عمال الزكاة وما يقبلونه من الضيافات والهدايا، وما يأخذونه تأولاً على أنهم من العاملين عليها، مع أن ولي الأمر يصرف لهم رواتب ومكافآت.

ويكتب لولاة الأمر حول زيادة معدل الجريمة كالسرقة والسطو والخطف والاغتصاب.

وكتب حول تمكن الشيعة من المناصب والولايات في أرامكو وغيرها.

وكتب مرات حول الجدب والقحط وما سَبَّبه من كثرة الغارمين والفقراء والمساجين بسبب الديون وكثرة العاطلين عن العمل ونحو هذه الأمور.

وأما اهتمامه بالاحتساب في الأمور الدينية فإنه أيضًا يأخذ مساحة من جهده واهتمامه رحمه الله، ومن أهم القضايا التي كان يتابعها ويكتب فيها لولاة الأمر موضوع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يهتم بأمرين ويؤكدهما، الأول: حاجة الهيئات إلى الدعم المادي بالسيارات وأجهزة الاتصال ونحوها مما يعينها في مهمتها، والثاني: منحهم الصلاحيات التي تمكنهم من أداء عملهم، فكتب حول ذلك كثيرًا للأمير نايف رحمه الله والأمير سلمان والأمير أحمد والأمير محمد بن نايف حفظهم الله ووفقهم، وكان يبين أن كثيرًا مما يصيب البلاد من القحط والخوف بسبب انتشار المنكرات، وأن التمكين للهيئات سبب في القضاء عليها وفي رغد العيش والأمن في الأوطان»، ويستدل كثيرًا بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وكان رحمه الله يشجع أهل الحسبة من الرسميين والمتطوعين، وإذا اعتدي على أحد منهم أو أوقف بسبب خطأ زاره وثبته وشجعه، وكان يزور مراكز الهيئات، ويلقي عليهم الكلمات التي تشجعهم. وقد ذكر الشيخ مشيقح بن حمود المشيقح أثر زيارته لهم في أحد مراكز الهيئة في القصيم يقول: «كنت في يوم من الأيام رئيسًا لمركز في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحي الشقة شمال بريدة، وبالتحديد في يوم الخميس الموافق ٢٥-٨-١٤٢٦هـ، وقد كنت جالسًا في المكتب وإذا بالشيخ الجليل عبد الله بن جبرين رحمه الله يدخل علينا زائرًا في هذا المركز الصغير النائي عن البلد، ويرافقه فضيلة الشيخ سليمان الربعي مساعد رئيس محاكم القصيم وشخص ثالث من طلابه،

فقمت وأجلست الشيخ في مكاني بالمكتب، وحضر بعض زملائي الموجودين آنذاك بالمركز ما يقارب خمسة أشخاص.

ثم تكلم الشيخ بكلمات تسطر بماء الذهب يحث إخوانه العاملين على بذل الجهد والاجتهاد في القيام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر على أكمل وجه وعدم التكاسل أو التخاذل في ذلك. وقد أوصى الشيخ في كلمته بالتصدي لمحاربة السحر والسحرة ونحو ذلك ثم دعا للحاضرين. وقد طلبنا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تسجيل كلمته في سجل الزيارات، فقبل الشيخ وطلب من أحد مرافقيه تسجيل تلك الكلمات بإملاء الشيخ وتوقيعه، حيث قال: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد.. ففي صباح الخميس الخامس والعشرين من شهر شعبان من عام ١٤٢٦هـ، قمنا بزيارة لمركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي الشقة من مدينة بريدة، وقد سرنا ما رأيناه من الجهد المبذول من المشايخ المشرفين والعاملين في هذا المركز، نفع الله بجهودهم في متابعة المنكرات والشرور والقضاء عليها، فلهم بعد الله الفضل في كف الشرور وإبطال كيد السحرة والمشعوذين، ومحاربة المخدرات والفواحش والمنكرات، حتى تم -بحمد الله- تخفيف هذه الشرور في هذا الحي وما جاوره مما يتبع عمل الإخوة، ولا شك أنهم بحاجة إلى أن يقف معهم إخوتهم من حملة العلم والدعاة إلى الله، وأن ينصرهم الجميع كل بحسبه لما في عملهم من الخيرية والفضل والأهمية.

نسأل الله أن يبارك في جهودهم وأوقاتهم، وأن يحفظهم من كيد الكائدين، وأن ييسر لهم من يناصرهم وينافح عنهم، وأن يجعل ما يبذلونه في موازين حسناتهم».

وكان يهتم رَحِمَهُ اللَّهُ بالاحتساب في أمور الدعوة، ويتألم لمنع بعض طلاب العلم من الدروس والمحاضرات، حيث منع بعض الدعاة من ذلك بعد أحداث حرب الخليج وما صاحبها من فتن بسبب اجتهادات من بعضهم خشيت الدولة من عواقبها، فكتب كثيرًا للأمير نايف وسلمان ومحمد بن نايف وغيرهم، ومنها خطاب للأمير سلمان بعد وفاة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ للسماح للدعاة الممنوعين من الدعوة وذكر منهم: عبدالله بن فنتوخ وسعود الفنيسان وسعد بن حميد وعبدالوهاب الطريري وسلمان العودة وناصر العمر وسليمان العلوان وسفر الحوالي وعايض القرني.

وتألم كثيرًا لما منعت المخيمات الدعوية في بعض المناطق وتحدث مع أمرائها بهذا الشأن.

وكتب مرة لأمير تربة لما بلغه منع بعض الشباب من الوعظ في المساجد، فرد عليه أمير البلدة وبين أن لديهم تعليمات بضرورة الحصول على تصريح من الجهات المسؤولة.

وكما كان يحتسب للمشايخ وطلاب العلم فقد كان يحتسب عليهم، ويرسل لمن بلغه عنه ملحوظة أو يتصل به، ولن أُكْثِرَ من الأمثلة في هذا؛ لأن ذكر الأسماء يسبب حرجًا، لكني أكبر موقفًا للدكتور عايض القرني، فقد كتب له الوالد ينتقد كثرة صوره في إحدى المجلات، فرد عليه الدكتور بخطاب بليغ لطيف فيه سمت العلم وأدب طلابه.

وكان له في التعاون مع المشايخ للاحتساب وتنسيق أموره يد طولى رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه، ومن ذلك اللقاء الذي كان يعقده سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لبعض طلاب العلم للتدارس حول أحوال المجتمع وكيفية علاج مشكلاته، فقد

كان رَحِمَهُ اللهُ أحد أعمدته وركنًا من أركانه، وكذلك نظم الدكتور ناصر العمر منتدى شبه شهري لطلاب العلم في الرياض، ثم وسعه ليشمل طلاب العلم في المملكة كلها، فكان الوالد رَحِمَهُ اللهُ يحضره ويحضر له موضوعات ليناقشها مع المشايخ، وممن كان يتواصل مع الوالد رَحِمَهُ اللهُ حول المنكرات ومخاطرها الشيخ عبدالعزيز الشثري كاتب عدل حوطة بني تميم، وأذكر أنه كتب له خطابًا حول قيادة المرأة السيارةَ يطلب من الوالد رَحِمَهُ اللهُ مراجعة ولاة الأمر في ذلك وتحذيرهم منه.

ولعلي أختم الحديث عن هذا المحور بالكلام عن جهوده في نصرة المظلومين، سواء فيما يتعلق بالقضايا الشخصية أو بالقضايا العامة، فقد كانت عاطفته ورحمته بالناس تجعله يسارع لنصرتهم والوقوف معهم.

ومن القصص في ذلك أن فتاة باكستانية تزوجها سعودي ثم حصلت بينهما مشكلة وظلمها ظلمًا مشينًا، وأخذ حقوقها، وضيق عليها، وأخذ ولدها وحرمها منه، جاء أبوها للوالد - غفر الله له - وعرض عليه القصة فوقف معهم وقفة عجيبة، وكتب للأمير سلمان، وكتب للشرطة، وكتب كثيرًا وتابع الموضوع في نصرتهم حتى ردوا عليها ولدها وأعطيت كل حقوقها.

وحدث أن العم زبن كان يسكن في مجمع سكني فدهمت الشرطة المجمع وكان قد اشتبه بوجود بعض المطلوبين أمنيا فيه فيمًّا يظهر، وكانت المداهمة قرب الفجر، فارتاع الناس واقتادت الشرطةُ الرجالَ معها، فلما تبينت الأمور وإذا الأمر مجرد اشتباه، فاشتكى الناس لولاة الأمر ووقف معهم الوالد رَحِمَهُ اللهُ فاعتذر لهم ولاة الأمر وأرضوهم.

وقد أكثر رَحِمَهُ اللهُ من الكتابة والشفاعة لدى ولاة الأمر الملك ومن دونه حول وضع طلاب العلم وبعض الأقارب المسجونين في قضايا سياسية، وكنت

أشير عليه ألا يكتب؛ لأني أعرف أن ولاة الأمر لديهم وجهة نظر غير ما لديه رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه كان يكتب ويكتب ويذهب للأمير نايف والأمير سلمان والأمير محمد بن نايف، ويشفع في الإخوة المسجونين وبخاصة طلاب العلم والأقارب، فيعرف الأمراء قصده فيعذرونه ويعدونه ببحث الموضوع.

يقول الأخ عبدالله بن الدكتور سعيد بن زعير: «في الخامس من رمضان ١٤٢٨هـ، كنت في زيارة لأمير منطقة الرياض، الأمير سلمان بن عبدالعزيز، بهدف الحديث معه عن التريث في عدم إعادة الوالد للسجن، فقد أُطلق سراحه «مؤقتاً» بتوجيه ملكي كريم ليشهد الصلاة على جنازة شقيقي الليث رَحِمَهُ اللَّهُ، وكنت سأتحدث ومعي أخي د.مبارك مع الأمير ليشفع عند وزارة الداخلية في تمديد فترة خروجه، حتى تهدأ النفوس بعد الحزن بفقد الشقيق.

وريثما ننتظر الإذن بالدخول مع ثلة من المنتظرين كان منهم العلامة الفقيد عبدالله بن جبرين رحمة ربي عليه.. نهضت له مباشرة وعانقته وقبّلت رأسه بعد ممانعته المعروفة، وكان معه ابنه د. عبدالرحمن، فجلست بجانبه وكان أول ما سألني عن الوالد، وقدم لنا العزاء في وفاة الشقيق رَحِمَهُ اللَّهُ. فقلت له: يا شيخ، نحن أتينا لنتحدث مع الأمير في هذا الشأن لعلك تبذل وجاهتك للشفاعة.. فبادر بالموافقة.. فكان أن تحدث مع الأمير في ذلك حين سمح لنا بالدخول عليه.. وفي اليوم نفسه بعد صلاة العصر، كان آخر العهد لي بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث جاء لزيارة الوالد في بيته وتقديم العزاء في الليث وإبلاغه رسالة من أمير الرياض».

هذه بعض جهوده رَحِمَهُ اللَّهُ في مجال الاحتساب، وما هي إلا أسطر قليلة في سجل حياة عامر بالبذل في هذا المجال رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه وأخلفه على الأمة بخير.

في قلب الحدث

هـذا المحور سنتحـدث فيه عن معايشة سماحـة الوالد رحمه الله أحداثَ الأمـة الإسلامية وحملـه هَمَّ الإسلام وسعيه لنصـرة المسلمين في كل مكان، فقـد كانـت قضايا المسلمين تشغل تفكـيره كثيرًا، كان بحق يحمـل هَمَّ الأمة ويعيشـ معهـا في آلامهـا وجروحها ومصائبهـا، وأيضًا في آمالهـا وأفراحها وانتصاراتها.

إنـك تعلم أخـي القارئ أن هـذا العصر الذي نعيش فيـه قد غلبت فيه الآلامُ الآمـالَ والمصائـبُ الأفراحَ، ولهذا لا ريـب أنك سترى معظم ما في هذا المحور يتحدث عن وقفات للوالد رحمه الله فيها الدعوات لنصرة الأمة والانتصار لقضاياها وتضميد جروحها.

ولعـل السؤال الملح الـذي يحسن جوابه قبل الحديث عـن تفاصيل هذا المحـور هـو: ما السبـب الذي جعـل الشيخ يكون بهـذه الصفـة، ويسلك هذا السبيـل، أتـرك الجـواب لأحد محبـي الوالد رحمه الله وهـو الشيـخ صالح بن سليمان العامر[1] يقول حفظه الله: «من أبرز الميزات والخصائص التي اختص بهـا الشيخ قوله الحق الذي يعتقده ولـو خالفه الكثيرون، حتى لو كانوا طلابه والمحيطـين بـه؛ فهو عالم يملـك قوله، ولا يتأثـر بضغوط خـارج عقله وقلبه، يذكرنا بشيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم».

كان رحمه الله مـع إحساسـه بالألم وحملـه الهم يشخـص المرض ويصف العلاج مهتديًا في ذلك بالهدي النبوي والسنن الإلهية، تحدث رحمه الله عن سبب الواقع المر الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر فقال[2]: «تخلوا عن الإسلام

---

(١) htm.116208-http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-43

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206

الحقيقـي وتخلوا عن تطبيقه وعن العمل به فلأجل ذلك وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التخلف الحسي والتخلف المعنوي.

ثم إن الكفار عابوا المسلمين لهذا التخلف وقالوا: إنكم صرتم عالة على غيركـم، فالصناعات الحاليـة لا تعرفونها وتستوردونها مـن البلاد الأخرى فأنتم عالة على غيركم.

وكذلك أيضًا الآليات وما أشبهها لا تعرفونها ولا تدركون شيئًا منها فلا تعرفون شيئًا.

فاعتقد كثير من شباب المسلمين أن هذا التخلف كما يسمونه أنه بسبب انشغالهـم وانشغـال آبائهم بالعلـوم القديمة التـي هي علوم الأحـكام علوم المعاملات والمعاقدات وما أشبهها.

وقالوا: إنها سببت تأخر المسلمين وعدم معرفتهم بما تعلمه أهل هذا الزمان من الصناعات الجديدة والصناعات المبتكرة التي وصلوا بها إلى ما وصلوا.

هكذا نسمع هذه العبارات ويكررها بعض أولئك الذين هم من أتباع كل ناعق، ومن الذين يتمسكون بهذه الخرافات والشبهات وما أشبهها.

فنقول: إن سبب تخلف كثير من هؤلاء الدول هو بعدم تحكيمهم للقرآن وللسنـة وإعراضهم عن ذلك، حيث إنهم انشغلـوا بتحكيم القوانين الوضعية ورأوا أنها أحسن من الشرع الشريف.

انشغلـوا باللهو واللعب، انشغلوا بسماع الأغاني والإكباب عليها، انشغلوا بالملاهي التي قطعت أوقاتهم وقضوا فيها زمنًا طويلًا عن العلم الشرعي وعن الأعمال الصحيحة.

فكانت سببًا في تأخرهم وعدم معرفتهم بما عليه الشرع الشريف» أ.هـ.

سأتحدث عن فلسطين وأفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك والعراق ونحوها من مواطن الألم التي يعاني فيها المسلمون، وسأبين نماذج من اهتمامه رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه القضايا، وسأتحدث عن القضية التي حمل لواءها وصارت تعرف به ويعرف بها، وصارع فيها مع ثلة قليلة مباركة من أهل العلم والفضل، ووقف ضده الأعداء وربما بعض الأصدقاء، وهي قضية الرافضة وموقفه الشجاع منهم بحيث أصبح غصة في صدورهم وشجى في حلوقهم وقذى في أعينهم.

ولعلي أقدم الحديث عن مواقفه من القضايا الإسلامية ما عدا العراق ثم أثني بالحديث عن الرافضة؛ لأنه طويل الذيل، وسيكون الحديث عن العراق الأسير ضمن الحديث؛ لأنهم سبب بلائه.

وبالرغم من اهتمامه بالقضايا الكبرى التي هي محور اهتمامنا هنا، إلا أنه يتطلع لنشر الإسلام في كل مكان، وإذا علم بأن دعاة من السودان أو اليمن أو شرق آسيا أو المغرب أو أفريقيا أو غيرها جاءوا إلى الرياض يحرص على مقابلتهم وسؤالهم عن الدعوة في بلادهم والصعوبات التي تقابلهم والدعوات المناهضة للسنة عندهم[1].

قضية المسلمين الكبرى قضية فلسطين

إن قضية فلسطين كانت تحيا معه رَحِمَهُ اللَّهُ منذ أن كان شابًّا إلى آخر أيامه، وإذا علمت أنه قبل شهر من دخوله للمستشفى في مرضه الأخير

(١) المنهج الرصين في ترجمة ابن جبرين خطبة للشيخ عبد الله الفايز.

أصدر بيانين مهمين حول أحداث غزة أولهما بتاريخ ١٤٢٩/١٢/٣٠هـ بعنوان وجوب نصرة المسلمين في غزة[1] قال فيه: «قد اشتهر ما أصاب المسلمين في قطاع غزة من دولة فلسطين، في السنوات الماضية، وفي الأيام القريبة، من الحصار الاقتصادي الشديد، الذي قامت به الدولة الصهيونية الكافرة، ومن يساعدها من سائر دول الكفار، حتى تضرر المواطنون في قطاع غزة من هذا الحصار الذي أنهكهم وأضعفهم، فلما أيقن العدو بضعفهم وقلة حيلتهم وهوانهم حتى على أقرب الناس إليهم أحدق بهم هذه الأيام، ورماهم بالصواريخ والقاذفات، وأهلك الحرث والنسل.... وعلى هذا فالواجب على أولئك المسلمين المنكوبين أن يصبروا ويحتسبوا الأجر في هذه المصيبة.... ونوصيهم أيضًا بالقيام بقدر ما يستطيعون من المقاومة والمدافعة، ويعتمدون على ربهم ويطلبون منه النصر.... فعليهم أن يقوموا بما يلزمهم من حقوق ربهم، بفعل الأوامر وترك الزواجر، والالتزام بالشرع، وتحقيق الإيمان، وعدم الخوف إلا من الله.... ثم نذكر المسلمين في كل مكان بحقوق الأخوة الإسلامية العامة، فإن المسلمين إخوة في كل مكان، وأن أولئك المسلمين من أهل غزة من أحق من يحتاجون إلى نصر إخوانهم المسلمين بقدر الاستطاعة، حتى يرتفع عنهم ظلم الأعداء وجورهم، وهكذا مطالبة أولئك الأعداء في كل محفل برفع هذا الظلم الذي ليس له مبرر ولا سبب من الأسباب، وتخويف أولئك الأعداء من عواقب هذا الظلم والاعتداء.

كما نوصي المسلمين في كل مكان بالدعاء لإخوانهم المسلمين بالنصر والتمكين، ونرى جواز القنوت في الصلوات كلها، أو في صلاتي المغرب والصبح، دعاء للمستضعفين، ودعاء على المعتدين الظالمين، كما نتواصى

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=content&tid=93&cid=809

أيضًا بالمسارعة إلى مساعدتهم ماديًا ومعنويًا إذا تيسر ذلك، كالتبرع لهم بالمال، ليكون قوتًا يقتاتون به، حيث قد أهلك العدو الحرث والنسل، وكذلك أيضًا التبرع بالدم لحاجة مرضاهم، واستقبال أولئك المرضى والجرحى وعلاجهم بقدر الاستطاعة، رجاء أنهم يعيشون ويسعدون في الحياة مع أهليهم وأولادهم، وهكذا إرسال المعونات العينية، كالكسوة والأطعمة والأواني، وكل ما هم يحتاجون إليه.

ثم إننا نشكر من سارع لمعونة إخواننا المتضررين من أهل غزة باستقبال الجرحى في المستشفيات، مما يخفف الوطأة عليهم؛ وكذلك إرسال المعونات والمساعدات إليهم، كما فعل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وفقه الله وأثابه خيرًا، كما ندعو حكام المسلمين إلى المسارعة بعمل سياسي واقتصادي يوقف المعتدين ويظهر قوة المسلمين، نسأل الله أن يكشف عن إخواننا ما بهم من ضر، وأن يرفع عنهم البلاء ويرد عنهم كيد الكائدين وعدوان المعتدين ويعجل لهم بالنصر المبين».

وبعده بأسبوع أي في تاريخ ٧/١/١٤٣٠هـ وجه نصيحة عامة للرئيس المصري[1] لما منعت مصر دخول المساعدات وأغلقت معبر رفح ومما جاء فيها: «فإن من الواجب على حاكم مصر أن يساعدهم ولو بتقبل اللاجئين الذين يهربون من القتل والأذى، وتقبل الجرحى لعلاجهم، وما في الإمكان من مساعداتهم المالية، فقد تبرع خادم الحرمين الملك عبدالله آل سعود وولي عهده الأمير سلطان بن عبدالعزيز بمبلغ أربعين مليونًا لإغاثة هؤلاء المنكوبين، وجمع من المواطنين ما يزيد على تسعين مليون ريال سعودي.

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=content&tid=93&cid=896

وحيث إن المسلمين يجب عليهم أن يرحموا إخوانهم، وأن يمدوا لهم الصلة، ويساعدوهم، فإن على حاكم مصر مسؤولية كبيرة، حيث إنهم مجاورون له، وأنهم من العرب المسلمين، وأنهم لا يلجأون إلى مصر إلا هربًا من الأذى والقتل، فالمطلوب من حاكم مصر أن يتقبلهم وأن ينقذهم من هذا الهلاك وهذا الظلم الشديد بما يقوم في قلبه وقلوب من حوله من الرحمة، فإن الرحمة لا تنزع إلا من قلب شقي».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قد أصدر بيانًا في شهر محرم من عام ١٤٢٩هـ لما بدأت المشاكل في غزة ذكر فيه ما يعانونه من البلاء وحث المسلمين على نصرتهم والوقوف معهم والدعاء لهم[١].

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ دائم الذكر لهذه القضية والمتابعة لها ومعرفة أخبارها. وقد ذكرت من قبل أن أحد الإخوة في حائل سأله كيف هزم العرب في حرب ١٩٦٧م؟، فتكلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن تلك الحرب، وذكر أن جيش مصر في ذلك الوقت كان أقوى جيش ولكنهم دكوه بالطائرات، ثم ذكر جيش الأردن وسوريا، وكيف أنهم هزموا، وذكر الشيخ أن الملك فيصل في ذلك الوقت طلب جمع تبرعات خاصة للأردن التي تضررت كثيرًا.

وله رَحِمَهُ اللَّهُ فتاوى كثيرة عن فلسطين كان لبعضها صداه في العالم الإسلامي ومن أبرزها:

حكم دفع الزكاة والصدقات العامة للفلسطينيين.

حكم الجهاد في فلسطين.

جمع التبرعات لصالح شهداء الانتفاضة وإقامة مشروعات بها لصالحهم.

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=content&tid=93&cid=793

قضية فلسطين وحكم الإسلام في المسيرات والمظاهرات.

موقف المسلم تجاه ما يحصل لإخوانه المسلمين في فلسطين.

حكم العمليات الفدائية التي يقوم بها المجاهدون في فلسطين.

وسائل نصرة إخواننا في فلسطين وحكم المظاهرات.

يقول الدكتور محسن العواجي: «الشيخ رحمه الله بهدوئه المعروف وتواضعه المعروف يخفي وراء ذلك شجاعة منقطعة النظير، أشهد أني لم ألمسها إلا من القلة من القليل من علماء هذا العصر.

فقد انبرى الشيخ رحمه الله مع بعض المشايخ لتحريم الصلح مع العدو الصهيوني، وإصدار الفتاوى في ذلك، والمشاركة في بيانات عدة حول هذا الموضوع. منذ أن عرف الشيخ رحمه الله إلى أن توفاه الله وهو على هذه المواقف التي نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته بها في الآخرة مثل ما رفع درجاته في الدنيا والناس شهود الله في أرضه».

ولهذا لما توفي رحمه الله أصدرت أبرز الهيئات الفلسطينية بيانات في تعزية الأمة به، ومنها رابطة علماء فلسطين، وحركة حماس، وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وثمنوا جهوده في مواقفه مع المسلمين في فلسطين رحمه الله ورفعه في عليين.

القضية الأفغانية

مثلما كانت تعيش القضية الفلسطينية في حياة الوالد فإن القضية الأفغانية كانت أيضًا حاضرة، بل إنه رحمه الله كان متابعًا لأحداثها الكثيرة وتقلباتها المتعددة.

فـإن القضية الأفغانية كما هو معلوم مـرت بمراحل عديدة لكل مرحلة نفس خاص وتعامل خاص وموقف خاص.

فلقـد كان المسلمـون كلهـم وحتى العـالم الغربـي مع الأفغـان بالدعم والتأييد حينما بدأ الغزو الروسي في بدايات عام ١٤٠٠ هجرية، فوقف العالم الإسلامي شعوبًا ودولاً مع الأفغان، وكان الغرب راضيًا عن هذا الموقف مؤيدًا له، وكان الوالد رحمه الله يتابع القضية ويساندها.

ولـما اشتـدت المقاومـة الأفغانيـة ضـد الروس في عـام ١٤٠٥ هجرية وتحالفت الأحزاب الجهادية السبعة وبدأ الدعم العسكري والسياسي والمادي للجهاد هناك، كان الوالد رحمه الله من الذين لهم أثر في حث ولاة الأمر والتجار وعوام الناس على دعم الجهاد.

وعنـدي مسودة خطاب طويل موجه للأمير سلمان يشير فيه إلى أهمية دعـم الأفغان وحاجتهم الماسة لدعـم الدولة، وعندي أيضًـا صورة لنصيحة عامـة للمسلمين في وجـوب دعم الأفغـان والوقوف معهـم في محنتهم، وكان رحمه الله يحـث الناس علـى التبرع لهم، وتأتيه تبرعات كثـيرة فيقوم بإيداعها في البنـك لصالح الجهاد الأفغاني، وربما سلمها لمؤسسة الحرمين الخيرية أو لمن يثق به من الشباب لتسليمها للأفغان، وله عدد من الفتاوى في دفع الزكاة للجهاد الأفغاني.

وفي عـام ١٤١٠ هجرية وبعد انسحاب القوات السوفييتية وبدء الخلاف بين الأحزاب الأفغانية وتطور هذا الخلاف بعد سقوط الحكومة الشيوعية في أفغانستان عام ١٤١٢هجرية، كان أيضًا له رحمه الله جهود في الإصلاح بين قادة

الجهاد الأفغاني، وقد زاره برهان الدين رباني في منزله، وكانت له اتصالات بسياف وحكمتيار للم الشمل والقضاء على الخلاف، وأذكر في تلك الأيام أن الإمارة الإسلامية في كنر كان لها موقف من جميع قادة الأحزاب، وأن بعض الشباب الذين يؤيدونهم حاولوا كسب تأييد الوالد رحمه الله ليكتب معهم ضد الأحزاب الأخرى.

ولما ظهرت حركة طالبان في عام ١٤١٥هـ، وأظهرت نصر الإسلام والحرص على توحيد البلاد كان أيضًا داعمًا لهم مؤيدا حتى تغير منهجها وآوت بعض التكفيريين كما سنوضحه فيما بعد، وكان يناصرهم فيما أصابوا فيه، ولهذا لما قاموا في عام ١٤٢١هـ بتحطيم أصنام بوذا شجعهم على ذلك وأيدهم.

ولما وقعت أحداث سبتمبر استغل بعضهم فتوى صدرت للوالد قبل الحادثة بأشهر ليستدل على أنه يؤيد طالبان، وبيَّنَ الوالد رحمه الله خطأ هذا وقال: «قد صدرت مني فتوى في شهر صفر عام ١٤٢٢هـ بشأن حركة طالبان في أفغانستان، وأنهم أقرب إلى الصواب من أضدادهم أهل التحالف الشمالي، وأن التبرع لهم جائز؛ لأنهم يحكِّمون شرع الله فيما ظهر منهم، ولما نشرت تلك الفتوى استدل بها بعضهم على جواز الفَتك بكل الأعداء بكل الكفار، فصدرت منَّا نشرة في ١٧ من رجب العام الماضي، وتبرأنا فيها من الاشتراك في تلك الحوادث في دولة أمريكا، ونشرت تلك الفتوى مما يتبين بها كذب هذه الدعوى».

ومعلوم أن الحماسة للقضية الأفغانية رسميًا وشعبيًا قد خف بعد تمكن تنظيم القاعدة من طالبان، ولهذا لم تكن هناك جهود واضحة له رحمه الله بعد عام ١٤٢٢هـ في مجال القضية الأفغانية، نظرًا لحساسية الوضع وغموضه.

الشيشان

القضيــة الشيشانية من القضايا التــي نالت اهتمام الوالد رحمه الله، فهي قـد ظهرت على السطح بعد عـام ١٤١٥هـ، وإن كانـت بدايتها قديمة لكن لم يتفاعـل معهـا النـاس في السعودية إلا بعد دخول عدد مــن السعوديين والعرب في عمليـة الجهـاد ضد الروس هنـاك، ومن أشهرهم القائـد المشهور سامر السويلم المعروف بخطاب الذي استشهد عام ١٤٢٣هـ رحمه الله.

ومن جهود الوالد رحمه الله في ذلك أن الندوة العالمية للشباب الإسلامي كتبت إليه في عام ١٤١٥ هجرية تطلب منه مخاطبة الملك فهد لدعم اللاجئين الشيشان فكتب إليه، فأرسل الملك فهد رحمه الله شيكًا بمبلغ خمسة ملايين دولار باسم الوالد وطلـب منه التنسيق بين النـدوة العالمية ووزارة الشـؤون الإسلامية، فاجتمعوا في منزل الوالد ورتبوا لجنة لصرف المبلغ في الهدف المذكور.

وقد أصــدر الوالد رحمه الله بيانًا طويلاً في تاريـخ ١٦/٧/١٤٢٠هـ دعا فيه لنصــرة الشيشــان ضد العــدوان الروسي ومما قالــه رحمه الله: «لا يخفى ما وقع هذه الأيام القريبة على جمهوريتي الشيشان وداغستان من الاعتداء الشيوعي، ومــا حصل من آثــاره من قتل وتشريد وهــدم وأضرار فادحة؛ نتــج من آثارها مــوت وإتــلاف للممتلـكات بسبــب كونهم مسلمــين مؤمنين بالله تعــالى، وهذه الاعتــداءات تسوء كل مسلم ويحزن لها كل مؤمــن؛ وذلك مما يوجب على أهل الإســلام الاهتمام بأمر إخوانهم المسلمين والحرص على تخفيف آلامهم وجبر مصابهم» – ثم ساق أدلة كثيرة على وجوب نصرة المسلمين وقال بعدها –: ومن هذه الأدلة يجب على المسلمين:

أولًا: الدعـاء لإخوانهـم في تلك البلاد بالنصر والتمكـين والتأييد ورد كيد الكائدين.

ويجـب ثانيًـا: إمدادهم بالأسلحـة والقوة الحسية التـي يكافحون بها ويقاتلون من قاتلهم.

ويجب ثالثًا: تقويتهم بالأموال؛ فهم بأمس الحاجة إلى القوت والغذاء والكسـوة، وكل ما يتقوون بـه ويدفعون به آلام الجهـد والضرر ويعالجون من أصيب منهم بجراح أو آلام».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتابـع أخبارهـم، وربمـا جـاءه بعض التبرعـات فبعث بها إليهم عن طريق من يثق به.

القضايا الأخرى

لقد كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حاضرًا في جميع أحداث الأمة، وسقنا نماذج من القضايا الكبرى وهي قضايـا فلسطين والأفغان والشيشان، ولم تكن القضايا الأخـرى بأقـل أهمية في نظره وليس جهده فيها محـدودًا، وإنما تعلم أن مثل هـذه القضايا تتشابـه الجهود فيها مـن مثله رَحِمَهُ اللَّهُ وأبرزهـا توعية العامة، ولفـت نظـر الخاصة مـن الولاة والوجهـاء وأهل الجـدة لمثل هـذه القضايا، وإصـدار الفتاوى التي تعالـج ظروف القضية وتسهـم في الانتصار، ومحاولة الدعم المادي والمعنوي بقدر الجهد.

لم تكـن قضيـة البوسنـة والهرسـك وكوسوفـو والفلبـين وطاجكستان والصومـال وكشمـير وغيرها من المناطق الساخنة في العـالم الإسلامي بأقل في نظـره رَحِمَهُ اللَّهُ مـن فلسطين والأفغـان والشيشان، فهي حاضـرة في دروسه

ومحاضراته وخطبه وفتاويه ومجالسه، يحث على دعمهم والدعاء لهم وكفالة أيتامهم ونصرتهم بجميع الوسائل، حتى إنه أفتى بجواز تقديم الزكاة ولو لسنتين للمجاهدين في البوسنة والهرسك وغيرها.

وقد وقف أيضًا من الفتنة في الجزائر وقفات مشرقة مشرفة في لَمِّ الشمل وتوحيد الكلمة ودفع الفتنة، وله عدد من النصائح والمكاتبات مع الشباب الثائر هناك رجع بسببها بعد توفيق الله عدد كبير ممن كانوا يحملون السلاح.

وأما على مستوى القضايا الداخلية فإن له رحمه الله وقفاته المشهودة في نصرة الأمة، ومن أبرزها موقفه في حرب الخليج لما غزا صدام الكويت وهدد المملكة، فإنه وقف كإخوانه العلماء سندًا لولاة الأمر.

في وقتها تأثر كثير من الشباب وماجوا لما جاءت القوات الأجنبية التي تسمى قوات التحالف؛ لأن فيهم جنودًا كثيرًا من الكفار، واستشكلوا دخولهم للجزيرة العربية، وتوجسوا أن تكون مقدمة لاحتلال البلاد، كما جعل بعضهم هذا من موالاة الكفار والاستعانة بهم.

وتقاطر الشباب بعدما أثيرت هذه المسائل على العلماء بعضهم يسألهم وبعضهم يلومهم على التقصير في البيان، فكان الوالد رحمه الله ممن قام بجهد كبير لتهدئة الشباب في تلك الأحداث وبيان الأحكام الشرعية والمصالح المرعية في مثل هذه الأحوال.

كما قام رحمه الله بعدد من الجولات لتثبيت الجنود في الثغور، فقد سافر بالطائرة العسكرية بصحبة معالي الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون

الإسلاميــة إلى عدد من القواعد العسكرية وقاما بإلقاء مواعظ وكلمات على الجنود هناك.

موقف الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من الرافضة

هــذه النقطة هي حلبة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ التي صــال فيها وجال، حتى عرف بأنه فارس فرسانها وشجاع ميدانها.

ودعنــي أقدم لك نصًّا من نصوص بعض محبيــه وهو الشيخ خضر بن سند، وصف فيه حاله في هذا الميدان، وبالرغم من طوله إلا أني سأورده لما فيه من البيان والوفاء عن كثير من الكلام يقول حَفِظَهُ اللَّهُ وسدده: «لقد سطر على صفحــات المجد أروع القصص في الذب عن أعراضــ الأبرار الأتقياء، وجاءه مــن الأذى ما لو وزع على جموع كثيرة لأتعبهم، حرصه على العقيدة والتوحيد أكثر من حرصه على جمع حطام الدنيا والسعي خلف بهارجها ومناصبها، لم يحسن بعض الجهلة التعامل مع مواقفه هذه، وشنعوا عليه وعليها، ولكنه قال وكتب ما يكون شامة في جبين الأمة التي ضرب الذل والهوان على أكثرها.

ابــن جبريــن كان شوكة في حلــوق طوائف مــن أهل البــدع والخرافة، وخاصــة الرافضــة الذيــن يشتمــون الصحابة، ويكفــرون أمهــات المؤمنين، ويطعنــون في الرسالة الخالــدة وقرآنها وحملتها، ويتمسحــون بقبور الأولياء، ويدعون سادتهم عند الملمات، وينسون فاطر الأرض والسموات.

فتــاواه فيهم مصدرها الكتاب والسنــة، وهدفها حماية المجتمع المسلم من الاغترار بالشعارات البراقة ونسيان العقائد المنحرفة، كان موفقًا وحكيمًا وشجاعًــا في مواقفه، فكــم من رسالة جامعية لم تؤثر فيهــم، وكم من مؤتمر

عـام للتنديـد بجرائمهم لم يظهـر أثره عليهـم، وكم من خطبـة ومحاضرة تكلمت عنهم لم تجد طريقها للناس.

ولكـن قصاصة مـن كلام من ابن جبريـن أو خطبة منـه قلبت الدنيا ظهـرًا علـى عقب، وتلقفتهـا القنوات الإخباريـة مباشرة، وسعـت الصحافة لإبرازها والحديث عنها، فالمتحدث هو العالم الجليل وبطل الرياض العظيم.

كلامـه عنهم طار في الشرق والغـرب، وأصبح تاريخًا وحده، كما فعلت فيهـم يومًا من الأيـام خطبة إمام المسجد النبوي الشيـخ علي الحذيفي، لقد تعالـت صيحات الرافضة مطالبـة النصارى بمحاكمة ابـن جبرين!!، تعالت صيحاتهـم المشبوهـة مطالبـة بمحاسبته علنًا وهـو طريح الفراشـ يصارع المرضـ لا يـدري عـن نفسه، فهل رأيـت مريضًـا يهابه ملايـين الأصحاء في الأبـدان!!، فصحة العقل والديـن لا يعدلها صحة وقوة، ومرض العقل والدين لا يصلح معه شيء آخر.

ابن جبرين رغم فتاواه في الرافضة قد بين مرارًا للطلاب والناس مغزى الفتاوى، فبيان الحق لا يعني استحلال الدماء وخلخلة الأمن، ففرق بين البيان العلمي وحماية عقول الناشئة والعامة، وبين القتل والتدمير وإزهاق الأرواح.

هكـذا حـال العلماء الربانيين مـع أهل البدع، فهم يبينـون للناس دين الله، ويفضحـون المخططات ويجهـزون عليها، يقولون الحق بـدون مواربة أو ضبابيـة أو غموض وتلبيـس، فدين الله له رجال يحمونـه، وله رجال يذودون عن حياضه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

ما أروعه من نص فقد وصف الحقيقة وصفًا ليس فوقه وصف، وإن كان هذا قليلًا من كثير مما يمكن أن يقال في حق الوالد رحمه الله.

إن موقف الوالد رحمه الله من الرافضة ليس موقفًا شخصيًا ولا انتقاميًا، بل هو موقف يمليه عليه الدين وتفرضه عليه العقيدة، موقف سلف الأمة وعلماء الشريعة، لكن الأحداث أبرزت الوالد رحمه الله؛ لأنه آثر أن ينطق في موقف فَضَّلَ بعض الناس فيه السكوت، وراعى مصالح يرى غيره أن مراعاة غيرها أرجح، ولكل مجتهد نصيب.

لقد واجه رحمه الله في بعض مواقفه الساسة وطلاب العلم ورجال الفكر وقادة الصحوة والعامة، وكان شجاعًا جريئًا صريحًا منضبطًا مؤدبًا عاقلاً في تلك المواجهات.

ولقد تكلمت في أثناء الكلام عن شجاعته رحمه الله ضد الرافضة، ورفضه نصائح الناصحين لتهدئة الوضع معهم، وكان منهم مسؤولون وطلاب علم وأقارب وتلاميذ ومحبون، ويقينه بأنه على الحق، وأنه لن يغلب باطل حقًا، ولهذا لن أتعرض لما ذكرته هناك، ويمكن للقارئ مراجعته في موضعه من هذه الترجمة، لكني سأركز الحديث هنا عن الجهد الذي بذله في مواجهة الرافضة على الصعيد السياسي والاجتماعي والعلمي، باذلاً وسعه في نصر السنة وأهلها والذب عنها والدفاع عنهم.

دعني أحدثك عن البداية ثم آخذك في محطات عدة تنقلت به فيها رحمه الله السنون إلى أحداث بعضها لا يصبر عليه إلا عظماء الرجال.

كان رحمه الله طالبًا صغيرًا في الرين، ثم انتقل للرياض طالبًا فمدرسًا في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة في الفترة الصباحية، ويدرس في المساجد في غيرها من الأوقات، ولم يكن مشهورًا ولا مقصودًا من طلاب العلم الذين كانوا آنذاك قلة قليلة، ولا من شباب الصحوة التي كانت في بدايتها، ولم

يظهر رَحِمَهُ اللهُ ويشتهر إلا بعد انتقاله للإفتاء وشيوع فتاواه وانتشارها وذلك بعد عام ١٤٠٢هـ، ولهذا لم تظهر مواجهته مع الرافضة إلا بعد هذا العام.

وكان الاتصال مع العالم محدودًا لعدم وجود وسائل التواصل التي جدت فيما بعد، ولم يكن للرافضة وجود عالمي ولا محلي، فإن شاه إيران لم يسقط حكمه إلا في عام ١٣٩٩هـ، وظهرت بعده الثورة الإيرانية لكنها لم تظهر للعالم إلا بعد استقرار الأمور في إيران وذلك بعد سنة تقريبًا، وبعد نجاح الثورة الإيرانية في إيران نظر الشيعة في كثير من دول العالم إليها على أنها أملهم المنتظر، وقامت هي كذلك بتهييج الشيعة الذين في دول أهل السنة على الثورة والمطالبة بالحقوق، فقامت مظاهرات في المنطقة الشرقية من المملكة تطالب بالحريات ونحوها من مطالب الرافضة المعروفة، إلا أن الدولة وقفت منها موقفًا حازمًا جعلهم يتوقفون عن المظاهرات، لكنهم لم يتوقفوا عن المطالبات، كما بدأت إيران باستغلال موسم الحج لإثارة القلاقل.

بدأ الوالد رَحِمَهُ اللهُ حينئذ في التحذير من مذهب الرافضة في فتاواه ومحاضراته ودروسه، ولكن الشرارة التي أشهرت الوالد رَحِمَهُ اللهُ في هذا الميدان كما ذكرت من قبل هي فتواه المشهورة بتحريم الأكل مما يذبحونه في عام ١٤١٢هـ.

هاج الرافضة وماجوا، ولم يكن الإنترنت حينذاك منتشرًا، وحتى القنوات الفضائية ليست بهذه الصورة من الانتشار، ولهذا لم تبلغنا كل ردود أفعالهم، لكنهم أرسلوا للوالد رَحِمَهُ اللهُ رسائل عدة، أكثرها شتائم لا أذكر منها رسالة من عالم أو عاقل، ولم يجروء أحد منهم على طلب حوار أو مناظرة أو محاكمة؛ لأنهم لم يبلغوا ما بلغوه اليوم من الصلف والفجاجة.

أرسلت إيران كما ذكرت من قبل استنكارًا للدولة، فأرسل الديوان الملكي أحد المشايخ للوالد ليناقشه في فتواه ويطلب منه الرجوع أو التوضيح، فأراه الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فتاوى للمشايخ قبله، ومنها فتوى للجنة الدائمة برئاسة سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

اشتهر بعدها عندهم ابن جبرين وأصبح مصدر قلق بفتاواه الصريحة التي لا مواربة فيها ولامجاملة.

كان منهجه رَحِمَهُ اللَّهُ قبل هذه الحادثة هو منهجه بعدها، لكن كما يقال أصبح تحت المجهر، ومع هذا لم يؤثر ذلك في موقفه ولم يثنه رَحِمَهُ اللَّهُ، وواجه المواقف بشجاعة ويقين وصبر وعقل ونظرة شرعية متوازنة، ولهذا لم يلق من الدولة في السعودية تضييقًا ولا تحجيرًا، وكان أكثر ما يوجه له مشورة ونصيحة، فكان يقابل ذلك بالشكر والحجة والبراهين المادية لما يقول.

فلم يكن رَحِمَهُ اللَّهُ يلقي كلامًا على عواهنه، بل كان يملك التأصيل الشرعي المدعم بالأدلة والنصوص من الكتاب والسنة والآثار وأقوال أهل العلم، كما يملك الاطلاع المستوعب على كتب الرافضة ومعرفة ما فيها، وأظن هذه المعلومات التراكمية عن مقولات الرافضة قديمًا وحديثًا مما ينفرد به من بين أقرانه رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا يتقن هذا إلا بعض طلاب العلم المتخصصين في دراسة الرافضة كالدكتور ناصر القفاري والشيخ عبدالرحمن دمشقية ونحوهما، ويقاربهم تلميذ الشيخ الذي يمده بالجديد من كتاباتهم وكتبهم الأخ علي العماري.

كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ إذا ذهب لأحد المسؤولين أو العلماء لمناقشة موضوع الرافضة أخذ معه أوراقًا مصورة من كتبهم وزودهم بها، وقد رأيت هذا

الأمر عنده رحمه الله في كثير من القضايا، فلديه مجموعة كبيرة من المستندات حول كثير من القضايا.

وحينما تعرض العراق لهذه الفتنة الطويلة، وكان النصارى من الأمريكان هــم الذين يديرون البلد مدة طويلة، فقد وقف الوالد مع العراقيين السنة ضد الغزاة بالدعاء والحث على الدعاء والنصرة ومكاتبة ولاة الأمر في ذلك.

وبعد تمكن الرافضة في العراق وتضييقهم بل حربهم لأهل السنة حمل الراية رحمه الله فكانــت القضية تشغلــه كثيرًا، كتب فيها لــولاة الأمر، وأصــدر فيها فتاوى عديــدة أثارت الرافضة في كل مكان، ومن كلماته الجامعة في ذلك بيان أصدره في تاريخ ١٤٢٨/١/٢هـ، وقد سبقته فتاوى وبيانات أخرى، ومما جاء فيه: «فقد انتشر وتحقق ما تعمله الروافض بأهل السنة في العراق، حيث يداهمونهم على حين غفلة، ويقتلونهــم قتــلاً ذريعًــا، ولا يرقبون إلاً ولا ذمــة، ولا يراعون طفــلاً ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، فيطلقون عليهم النار لإبادتهم، وقد يحرقونهم داخل المنازل والدور، وقــد يعذبون الفرد قبل الموت، فيخرقون رأســه بالحافر الكهربائي، أو يكثرون من الطعنــات في جسده حتى يموت، أو يقطِّعون لحمه وأعضاءه إربًا إربًا، وقد يضعون الإنسان بين قوالب الثلج حتى يتجمد ويموت، وقد تتبعوا كل من كان اسمه «عُمر»؛ لعداوتهم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقتلوا طفلة عمرها خمس سنين؛ لأن اسمهــا «عائشــة»، وتسلطــوا علــى المساجد التــي لأهل السنــة، فهدموها على المصلــين، ويهدمون المساكــن أو يحرقونها على أهلها، ويتعاونون مع النصارى على أهل السنة أولاً، بدخول المنازل وأخذ ما عندهم من أسباب المقاومة، حتى سكاكين الخضرة ونحوها، ثم يهجمــون عليهم بعد قليل، فيقتلونهم قتلاً ذريعًا، وقصدهم أن يبيــدوا جميع أهل السنة من دولة العــراق، حتى لا يبقى من أهل السنة عندهم

بشر، ولو كانوا مسلمين، ومن أهل الوطن، وآباؤهم وأجدادهم وقبائلهم في العراق من عهد عمر بن الخطاب ومن بعده، وفي العهد العباسي.

ولا تخفى عداوتهم من عهد تمكنهم قديمًا، فهم ورثة ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي ومن معهم، حيث زينوا للتتار قتل الخليفة العباسي، ثم دخول بغداد وقتل أهلها، حتى قتلوا نحوًا من مليون نسمة، حتى انقلب النهر دمًا أحمر، وأحرقوا المصاحف والكتب، وقذفوها في الأنهار، وذلك دليل على حقدهم وضغائنهم وحنقهم على المسلمين الذين يشهدون الشهادتين، ويصلون ويزكون، ويصومون ويحجون ويجاهدون، وليس لهم ذنب إلا أنهم يترضون عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان، ومعاوية بن أبي سفيان، وجابر وأنس وابن عمر، وأبي سعيد، وبقية الصحابة ﷺ».

ثم تحدث رحمه الله عن رأيه في الرافضة والأدلة على ما عندهم من المخالفات الكفرية مما سنشير إليه في آخر هذه النقطة.

ولقد كتب رحمه الله لما اشتد أذى الرافضة لأهل السنة في العراق للأمير سلمان حفظه الله لما كان أميرًا للرياض يقترح عليه أن يوجه أئمة المساجد للقنوت على الرافضة في الصلوات المعتادة.

ومما آثارهم وكنت قد ذكرته من قبل بالتفصيل ما يتعلق بفتواه رحمه الله حول ما يسمى حزب الله اللبناني الرافضي في قضية حربه المزعومة مع اليهود، ولن أعيد شيئًا مما قلته هناك سوى أن هذه الفتوى قد أوصلت الحنق الرافضي عليه رحمه الله مداه، ولكنه لم يرد عليهم ببنت شفة؛ لأن معظم ما قالوا سباب يترفع العاقل عنه ويصون وقته عن إضاعته فيه.

وهــذه الفتوى التي أثارت العــالم الإسلامي ضد الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وشارك في نقــده بعض مــن يحملون الفكر الإسلامــي، مالبث الناس أن وعــوا ما فيها من الحــق بعد أن دخل حزب الله إلى بيروت وفعل فيهــا بأهل السنة الأفاعيل حتى قــال الدكتور محسن العواجي، وهو من أبــرز الذين انتقدوا رأي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إننــا الآن في موقــف نذكــر الشيــخ ونذكر مواقفــه، ولربما كان موقــف الشيخ في كثــير من القضايا أقــرب إلى الصواب بعد أن كشــر أولئك القوم عن بعض الأنياب التي رأيناها في مقبرة البقيع على سبيل المثال، فالحق أحق أن يتبع».

ولما حدث ما حدث من الرافضة في نجران من اعتداء على هيبة الدولة ومكتــب أمير المنطقة، كتب رَحِمَهُ اللَّهُ للمسؤولين حــول هذه القضية ونبههم إلى خطر التساهل معهم.

وكان كثــيرًا ما يسأل عن حال الرافضــة في المنطقة الشرقية، من شدة اهتمامــه ومتابعته لمستجداتهم والردود عليهم وعلــى شبههم، لتبصير الأمة في عقيدتها.

ولــه في الجانب الشخصي رَحِمَهُ اللَّهُ مواقف معهــم في مكة والمدينة، حيث يراهــم هناك، ففي مكة كان ينكر عليهــم إذا سمعهم يدعون غير الله، وربما أخــذ ما معهم من كتب الأدعيــة والأوراد التي تشتمل علــى مخالفات شرعية دون خــوف أو وجل، ويفعل في المدينة مثــل ذلك، يقول الشيخ محمد السمان: «أذكــر أنني كنت في زيارة لجبل أحد، وهنــاك وعند مقبرة شهداء أحد قابلت عضــو الهيئة التي بجوار مقبرة شهداء أحــد الأخ سلامة الحربي وسألته عن العلمــاء الذين يحضــرون للمقبرة، فذكر لي عددًا مــن العلماء ومنهم الشيخ ابــن جبرين، وقال إن زيــارات الشيخ ابن جبرين لمقبرة شهــداء أحد كثيرة،

وفي كل زيارة يزور فيها المقبرة يصعد جبل أحد ويذهب ينكر على الرافضة، وأحيانًا يمزق كتبهم إذا علم أن فيها سبًا للصحابة»[1].

ولما تعرض الشيخ يوسف القرضاوي لهجمات الرافضة شارك في نصرته وتأييده.

ولعلك تتساءل عن سبب هذه المواقف الصلبة من الوالد رحمه الله تجاه هذه الطائفة فدونك الجواب من كلامه رحمه الله.

في إحدى نصائحه رحمه الله أخذ يعدد مخالفات الرافضة فكان مما قاله:

«أولاً: تكفيرهم لصحابة النبي ﷺ، فعندهم أن جميع الصحابة قد كفروا وارتدوا بعد موت النبي ﷺ، حيث لم يبايعوا عليًا بالخلافة، وكتموا الوصية كما يزعمون، ولا يستثنون إلا عددًا قليلاً أقل من العشرة، وعلى قولهم لا تقبل الأحكام والعبادات التي نقلها أولئك الصحابة ﷺ، حيث إن حملتها كفار قد ارتدوا وكفروا، مع أن الصحابة ﷺ هم الذين قاتلوا أهل الردة.

وثانيًا: طعنهم في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وبالأخص عائشة وحفصة، ورميهم عائشة بالفاحشة وقد أنزل الله براءتها في القرآن الكريم.

وثالثًا: تكفيرهم لأهل السنة في كل زمان ومكان، كما تدل على ذلك مؤلفاتهم وأشرطتهم، ويحكمون عليهم أنهم في النار مخلدون فيها، وهذه عقيدة راسخة فيهم، وأدل دليل فعلهم الآن بأهل السنة في دولة العراق، وانضمامهم إلى النصارى في قتال وإبادة أهل السنة.

---

(١) عبر وعظات، الشريدة.

رابعًا: طعنهم في القرآن الكريم، لما لم يجدوا فيه ما يؤيد مذهبهم في الغلو في عليّ وابنيه وزوجته، اتهموا الصحابة أنهم أخفوه وحذفوا منه ما يتعلق بفضائل عليّ وذريته، وقد ألف شيخهم النوري الطبرسي كتابًا أسماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، حشد فيه من النقول المكذوبة ما أمكنه، وهو مقدس على زعمهم، ومؤلفه من أكابرهم.

وخامسًا: ردهم للسنة النبوية الصحيحة، فلا يعتبرون بكتب أهل السنة، كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، التي تلقتها الأمة بالقبول، ولو كانت بأصح الأسانيد، حيث إن فيها فضائل الصحابة، وإن رجال الأسانيد من أهل السنة، مع أن العلماء رحمهم الله قد نقحوا تلك الأسانيد، وتكلموا على الرجال من يقبل ومن لا يقبل.

وسادسًا: غلوهم في عليّ والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم، فهم يصفونهم بصفات الغلو والإطراء، حتى عبدوهم مع الله، وصرفوا لهم خالص حق الله، ودعوهم في الملمات والمضائق، ورووا في حقهم وفضائلهم أكاذيب هم في غنى عنها، مما لا يصدق بها من له أدنى مسكة من عقل، وذلك دليل على ضعف عقولهم وتمسكهم بالأكاذيب التي تلقوها عن علماء الضلال.

سابعًا: بدعهم الكثيرة التي تدل على ضعف العقول، ومن أشهرها ما يقيمونه من المآتم والحزن سنويًّا في يوم عاشوراء، حيث يضربون صدورهم وخدودهم، ويطعنون أنفسهم بالأسلحة، حتى يسيلوا الدماء، وينوحون ويصيحون، مما يدل على سخافة وخفة العقول، وكذا ما ابتدعوه من عيد يسمونه «عيد الغدير»، مما لا أصل له عن الأئمة الاثني عشر ولا عن غيرهم، إلى غير ذلك من بدعهم وأكاذيبهم».

وبعد هذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى ما ذكرنا من أفعالهم، فإننا نبرأ إلى الله من أعمالهم الشنيعة، وننكر ونشجب ما يصدر منهم من إيقاعهم بالمسلمين في العراق وغيره، ونعرف بذلك عداوة الرافضة في كل بلد وكل زمان لأهل السنة والجماعة، ونحذر المسلمين جميعًا من الانخداع بدعاياتهم ودعاويهم».

ومما ينكره عليهم كل عام وينبه عليه في خطبة الجمعة في أول جمعة من محرم بدعة عاشوراء، حيث قالوا: إن الحسين قتل فيه، وقتل الحسين مصيبة، فلا بد أن نجعل اليوم الذي قتل فيه يوم حزن، فصاروا كلما جاء يوم عاشوراء جعلوه يوم حزن.

فكان يرى عدم جواز تمكينهم من إظهار هذه البدعة، ولا من إظهار هذا المنكر؛ سيما إذا اشتملت بدعتهم على سب بعض الصحابة، أو سب المسلمين من أهل السنة.

ويقول: «الواجب علينا إذا رأينا إعلاناتهم هذه وأعمالهم أن ننكر عليهم، وأن نسعى إلى ولاة الأمور ونأمرهم بأن يأخذوا على أيديهم، فلا تظهر دعايتهم في بلاد الإسلام.

ومن أراد منهم أن يُظهر بدعته فليذهب إلى البلاد التي يحكمها الرافضة؛ كبلاد إيران أو العراق، وهنالك يفعلون ما يريدون».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا ما يقارن بين حال الرافضة في بلاد السنة وحال أهل السنة في إيران ويقول: «هناك في بلاد إيران مجموعة كبيرة من أهل السنة يُقدّرون بنحو اثني عشر مليونًا، ولكنهم مضطهدون في غاية من الذل وفي غاية من الإهانة».

ولأجل هذه المواقف فقد وقف منه الرافضة في العالم موقفًا مناوئًا، وشغبوا عليه كثيرًا، ومن أبرز ما صدر عنهم في ذلك ما يلي:

حملاتهم الكثيرة عبر المواقع الإلكترونية على الوالد رحمه الله ووصفه بالأوصاف الشنيعة التي تنبو منها الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وبإجراء بحث في أحد مواقع البحث المشهورة عن كلمة ابن جبرين والرافضة أو الشيعة ستجد ملايين النتائج فيها مما ذكرته لك العجب العجاب، ولو دخلت على بعض مواقعهم المشهورة كشبكة أنصار الحسين وشبكة راصد الإخبارية ووكالة أنباء براثا لوجدت مثل ذلك، ولا أذكر أنه فكر أو فكرنا أن نرد على شيء من كلامهم؛ لأن ذلك اشتغال بما لا طائل وراءه[١].

تنظيم المظاهرات في العالم ضد فتاواه وفتاوى المشايخ أمثاله أمام السفارات السعودية في الخارج وأمام مقرات المنظمات الدولية، وتسليم عرائض الاحتجاج حول ذلك، وقد نظموا مظاهرات في هولندا والدانمارك وبريطانيا وأمريكا وأستراليا وألمانيا وغيرها[٢].

رفع دعاوى لمحاكمته أمام المحاكم والمنظمات الدولية، فقد رفعت منظمة حقوقية شيعية تسمى «منظمة الدفاع عن الحضارات والحقوق المدنية»، يشرف عليها لاجئون عراقيون ومقرها في الولايات المتحدة دعوى قضائية لدى محكمة العدل الدولية في لاهاي ضده رحمه الله بدعوى التحريض على إبادة الجنس البشري في فتاواه، وذكرت في مذكرتها: إن الدعوى تدخل ضمن تصنيف «جرائم الحرب والتحريض على إبادة الجنس البشري».

---

(١) أنموذج من كتاباتهم في مواقعهم
http://www.imshiaa.com/vb/archive/index.php/t-67218.html

(٢) أنموذج من مظاهراتهم http://www.nadyelfikr.com/showthread.php?tid=10206

وذلـك استنادًا إلى عدد من فتاواه رَحِمَهُ اللَّهُ التـي أفتى فيها بجواز قتال الشيعة وهدم مزاراتهم الشركية[1].

كما قـام أعضاء منظمة (السلام العالمـي) ويمثلها مصطفى الصافي والحاج عقيـل أبو دايم الكعبي والأستاذ حسين الربيعـي برفع دعوى قضائية مماثلة بسبب فتواه التي زعموا أنها تحرض على القتل العمد وتفجير وتدمير المعالم المقدسة والحضارية عند المسلمين وباقي الديانات[2].

وقـد نقـل موقع مفكـرة الإسلام في يـوم السبت ٩ من محـرم ١٤٢٨هـ تفصيـلاً عن هذه الدعـوى جاء فيـه: «أن أكثر من ٤٣ مـن المحامين الشيعة رفعـوا دعوى قضائية ضد الشيخ «ابن جبريـن»؛ بزعم «الإرهاب»، والتشجيع على قتل من أسموهم «شيعة أهل البيت»، ومساندة «الإرهابيين».

وزعمـوا في دعواهم أن الشيخ «صاحب مدرسة القتل الأولى في العالم ضد الشيعـة والقوات الأمريكية»، وقـال مراسلنا: إن الدعوى القضائية تلك رُفعت من نقابة المحامين إلى كل من مجلس القضاء الأعلى ومحكمة العدل الدولية، وتتضمن الدعـوى المرقمة ١٣٢م٤ عدة اتهامات، منها: «الضلوع في قتل عشرات الآلاف من الشيعـة، وتشجيـع قتل جنود التحالـف في العراق، والمساهمـة في إحراق الثروات النفطية العراقية عن طريق إفتائه بضربها وتخريبها»، على حد ادعائهم.» أ.هـ.

اطلعت في عدد من مواقع الإنترنت على أن جلال الصغير إمام مسجد براثا، وهو فارسي الأصل، أفتى بتكفير الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، ودعا إلى ضرورة قتل الشيخ، واصفًا إياه بـ «يزيد السعودية»[3].

---

(١) http://www.iraqcenter.net/vb/31383.html
http://www.burathanews.com/news_article_23417.html

(٢) http://www.burathanews.com/news_article_25298.html

(٣) http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=111520



كتبوا كثيرًا من المقالات والكتب في الرد على الوالد رحمه الله رأيت بعضها في الإنترنت منها: الرد على فتوى ابن جبرين لعبدالله الأحسائي[1]، وذكرت أن العوامي من قبل قد كتب للوالد بحثا حول رأيه في تكفير الرافضة ورد الوالد رحمه الله ردًا علميًا مؤدبًا.

تزعم عراقي مهاجر في ألمانيا اسمه علي السراي تأسيس لجنة سماها «لجنة انتفاضة المهجر»، وكان من أهم ما اهتمت به متابعة فتاوى الوالد رحمه الله والتشغيب عليه وعلى مشايخ السنة الذين يفتون بشيء ضد الرافضة وجرائمهم في العراق أو في غيره، وسأورد أنموذجًا لأحد مقالاته وليعذرني القراء، فإني إكرامًا لهم عن أن يقرؤوا ما لا يناسب الأذواق السليمة سأحذف العبارات النابية والأساليب الجافية، يقول مخاطبًا هؤلاء العلماء بعد أن ساق فتوى وقع عليها عدد من المشايخ: «............... كبيركم....... هذه الأمة ابن جبرين.........

أين العالم من هذه الفتاوى التي يُصدرها علماء......... التي تتبنى قتل النفس الإنسانية المحترمة

بل أين المعنيون بالأمن والسلام العالميين؟

أين مسؤولو منظمات حقوق الإنسان والدفاع عنه؟

وأين قادة الجبهات العالمية التي تحارب الإرهاب والإرهابيين والأفكار الإجرامية المنحرفة، وكل عقلاء العالم ومفكريه ومثقفي الشعوب المتحضرة، والمصلحين من علماء ورجال الدين ورهبان وقديسين...

---

(١) http://www.ansaaar.com/vb/showthread.php?t=5334

لمـاذا يغض العالم الطرف عن إعلانـات حرب الإبادة هذه التي تُطلقها مرجعيات القتل في........ آل سعود؟؟؟

إن هـذه الفتاوى الأخيرة بحـق أتباع المذهب الشيعي مـا هي إلا إعلان الحـرب عليهم وتصريـح بالقتل لا غبار عليـه لكل إرهابييهـم القتلة، وضوء أخضـر قد أعطي لهـم، وهذه المـرة كسابقاتها مـن فتاوى الذبـح التي..... بها....... آل سعود...........

وعلى رأسهم هؤلاء................... كل من

١........./ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين........

٢........./ عبد الرحمن بن ناصر البراك..........

٣......./ عبد الله بن حمود التويجري........

٤......./ عبد الله بن حمد الجلالي............

٥......./ عبد الله بن ناصر السليمان.......

٦......./ ناصر بن سليمان العمر.......

٧......./ عبد الله بن عمر الدميجي.......

٨......./ سليمان بن عبد الله السيف.......

٩......./ عبدالعزيز بن عبد الله المبدل.......

١٠......./ محمد بن عبد العزيز اللاحم.......

١١......./ إبراهيم بن محمد عباس.......

١٢.......عبد الله بن إبراهيم الريس.......

١٣......./ محمد بن عبدالله الهبدان.......

١٤......./ عبد العزيز بن محمد الراشد.......





١٥ ..../ فهد بن سليمان القاضي.......

١٦ ..../ عبد العزيز بن ناصر الجليل.......

١٧ ..../ عبد الله بن عبد الرحمن الوطبان.......

١٨ ..../ سعد بن ناصر الغنام.......

١٩ ..../ أحمد بن حسن بن محمد آل بن عبد الله.......

٢٠ ..../ العباس بن أحمد عبد الفتاح الحازمي.......

٢١ ..../ عيسى بن درزي المبلع.......

٢٢ ..../ عبد العزيز بن سالم العمر........» أ.هـ.

وكان هـؤلاء المشايخ قد أصـدروا بيانًا بعنوان «اعرفوهـم واحذروهم» قالـوا فيه: «فهـذا بيان بحقيقة الشيعة [الرافضة] فإنهـا الطائفة التي نبتت في جسـم الأمـة الإسلامية منذ عهـود متطاولة بفعل بعض اليهـود، وقد قام مذهبهم أولاً على أصلين:

١) الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته من فاطمة رضي الله عنها.

٢) بغض جميع الصحابة إلا قليلاً منهم.

وهم في هذا الغلو وفي هذا البغض متفاوتون، فمنهم من يؤلّه عليًا رضي الله عنه، وسلف هؤلاء السبئية الذين حرّقهم علي رضي الله عنه بالنار، ومنهم القائلون بعصمة علي رضي الله عنه، والأئمة من بعده.......... إلخ».

وكان السراي كثير التطاول على حكامنا في المملكة وحكام الخليج وعلى علمـاء السنـة وشبابهم المتمسك بالسنـة، وسيأتي كلام طويـل عنه؛ لأنه هو الذي رفع الدعوى لمقاضاة الوالد رحمه الله لما كان مريضًا في ألمانيا.

موقـع شبكـة أنباء براثـا الإلكـتروني عقد استفتـاء في موقعـه بتاريخ ٢٠٠٧/٠٨/٣١م بعنـوان: «مـن يتحمل مسؤولية ما جـرى في كربلاء؟»، وكان من ضمن خيـارات الاستفتاء: منفذو فتوى ابن جبريـن من منافقي الشيعة، فعجبت كيف بلغ أثر الوالد فيهم رَحِمَهُ اللهُ هذا المبلغ[1].

ولست هنا بصدد الرد والمناقشة؛ لأن المقام مقام سرد سيرة، ولعل الله أن ييسـر دراسة مستقلة تعنى بموقف الوالد رَحِمَهُ اللهُ من الرافضة وما يتعلق به من مسائل.

ولكـن اليقـين أن موقفه رَحِمَهُ اللهُ الشجاع الثابت مـن الرافضة حتى توفي جعلهم يحتفون بموته؛ لما وقفه أمامهم من موقف ظاهر بَيِّن، بل إنهم اعتبروا يوم وفاته يوم عيد وهذه شهادة له رَحِمَهُ اللهُ[2].

وقبـل أن أختم هذه النقطة لابد أن أشير إلى أنه رَحِمَهُ اللهُ مع هذه الغلظة التـي يعامل بها الرافضة التي كان يقتدي فيها بالنبي ﷺ، بل ينفذ فيها أمرًا إلهيًا؛ لأن الله قال في موضعين من كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣ والتحريم: ٩]، فقد كان يعدهم كفارًا أو منافقين؛ لما يرى عليهم من مخالفات، ولكنه مع ذلك كان يحب الخير لهم، ويحرص على هدايتهم، ويفرح بمن اهتدى، ويرفق بمن ترجى هدايته، وكان لا يرى حرجًا في محاورتهم ومناقشتهم إذا رأى نفعًا في ذلك، وقبل وفاته بمدة وجيزة كان الدكتور عبدالرحمن المحرج له جهود في محاورتهم وتأليف علمائهـم ومناقشتهم بالحسنى، فطلب من الوالد رَحِمَهُ اللهُ أن يعقد لقاء مع بعضهم للحوار والنقاش وربما المناظرة الهادئة، فتمنع الوالد

---

(١) http://www.iraqcenter.net/vb/36059.html

(٢) من كلام الدكتور ناصر العمر في قناة المجد.



رَحِمَهُ اللَّهُ وقـال: إنه لن يفيد معهم، ومازال به الدكتـور حتى أقنعه بالتجربة في لقـاء واحـد، فإن رأى فائـدة وإلا اعتذر فوافق رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكـن الأجل لم يمهله رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه وجعله جارًا للمصطفى ﷺ.

مع المجتمع

هذا المحور من المحاور التي يحسن أن يكتبها الكاتب على سجيته، فإنها تتعلق بالحياة الاجتماعيـة التي مبناها على البساطة وعدم التكلف. ولقد مَرَّ بنـا في موضوعات سابقة بعض القضايا الاجتماعية وبخاصة في أثناء الكلام عن العمل الخيري، وفي أثناء الكلام عن حياته في منزله الذي عنونا له ببيت العطـاء، لكن هذا المحور يركز على قضايـا مختلفة، وهو تعامل الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مـع المحيطين بـه خارج إطـار المنزل، ويشمـل ذلك علاقاتـه بأقاربه وجيرانه وزملائه وطلابه ومحبيه ومعارفه ونحوهم.

يعـرف عـن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لَـيِّن الجانب لطيـف المعشر، ولهـذا ألفه النـاس وألفهم، وأحبـوه وأحبهم، وسأقسم الحديث هنـا بحسب نوع العلاقة مبتدئًا بالأقارب والجيران، مقتصرًا على أهم ما يكشف هذا الجانب ويجليه؛ لأن الشواهد فيه والأمثلة والقصص كثيرة.

الأقارب

لقـد كان للأقارب عنده رَحِمَهُ اللَّهُ قدر وقيمة، تجعله يحرص عليهم ويتعب لأجلهم.

ومن الأمور التي أذكرها في هذا المجال حرصه على الاجتماعات العائلية التي تقوي العلاقات وتجدد المحبة.

لدينا في أسرة آل جبرين عدة اجتماعات، بعضها على مستوى الأسرة كلها وبعضها على مستوى العوائل.

أذكر وأنا صغير أن آل جبرين يجتمعون في منطقة في القويعية تسمى الخنقة في أيام عيد الفطر، وكان يحرص على حضور هذا الاجتماع، ويحضرني أنا وأخي الأكبر محمد معه؛ لأني أخي سليمان لم يولد إذ ذاك، وكان الطريق للقويعية بريًا لم يعبد، وفيه رمال وصعوبات، ومع هذا يتحمل هذه المشاق في سبيل حضور هذا الاجتماع الذي يستمر ثلاثة أيام.

ولولا أني جعلت للكلام عن العيد نقطة مستقلة لحدثتك عن الكثير مما يفعله في العيد لصلة الأقارب وزيارتهم، ولكن سأرجئ الحديث لموضعه إن شاء الله.

وعندنا على مستوى أسرة آل فهد اجتماع كل ثلاثة أشهر، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو عمدته، يجدوله في مواعيده، ويسجله في مذكرته، وإذا حضر أحيا الاجتماع بالفوائد والقصص اللطيفة، واحتفى بالحضور كبارًا وصغارًا، وكان يلوم من يتخلف أو لا يحرص على الحضور.

وهناك اجتماعات في مستويات أقل لآل عبدالله كان أيضًا يحرص على حضورها وتفعيلها.

ويضاف إلى هذا حرصه على الحضور في مناسبات الأقارب كمناسبات الزواج والضيافات الأخرى، وكنا نرتب في رمضان كما ذكرت إفطارًا شبه يومي يدور على الأسرة ويحرص على عدم التخلف عنه.

تقول الأخت هيا حفظها الله: «أذكر أنني دعوته لزواج أخ لزوجي واتصلت به قبل الموعد بثلاثة أشهر تقريبًا؛ لأن الأولوية عنده لمن دعاه أولاً



فوعد خيرًا، لكن لما اقترب الموعد قال لي بلطف: إنه سيذهب لزواج أحد الأقارب من أخواله، ولأن العريس يتيم فسيفرح بمجيء الشيخ لزواجه ويحس بأنه أب آخر. فسكتُّ».

ومن الأمور فيما يتعلق بالأقارب حرصه على زيارة كبار السن ومنهم الخال إبراهيم بن محمد، والعم عبدالله بن عبدالرحمن بن مناح، وهما من الذين توفي رحمه الله وهم أحياء، وإلا فقد كان يزور كثيرًا من الذين توفوا قبله رحمه الله من كبار السن، وقد فرغ وقتًا في الأسبوع لهذه الزيارات.

ويزور أخواله آل مسهر زيارات شهرية منتظمة لما يراه لهم عليه من حق الرحم والقرابة.

ومن ذلك اهتمامه بالشفاعة للأقارب، وحماسته لذلك، وقد شفع للكثير منهم للعلاج في خارج المملكة عند خادم الحرمين الشريفين وعند الأمير سلطان رحمه الله والأمير عبدالعزيز بن فهد ووزارة الصحة وغيرهم، وكذا شفع للكثير منهم للتوظيف، وكان أحيانا يتابع الموضوع بالاتصال والتوصية، يذكر بعض الإخوة الذين كانوا معه في جدة في إحدى السنوات أنه كان في أحد الدروس فجاءه أحدهم بالهاتف، وإذا اتصال من أحد الأمراء أظنه الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز فحدثه عن شفاعته لأحد أبناء أخيه؛ لأنه لم يقبل في الكلية، وشفع لكثير منهم في سداد ديونهم والوفاء عنهم.

وكان يحض شبابهم على طلب العلم وعلى إكمال الدراسة وعلى الاهتمام بأنفسهم وعدم البطالة، كان أحد أقاربنا شابًا لم يواصل الدراسة مع أنه كان ذكيًا، فكان الوالد رحمه الله يسعى له في وظيفة، ومكث زمنًا لم يتيسر له ذلك فكان يقول له لو واصلت دراستك لأنهيت الجامعة وتوظفت بدل هذا الانتظار.

وأذكر مرة أن أحد الأقارب من كبار السن كان قد كفل ابنًا له في مبلغ فأوقف في السجن بسبب هذه الكفالة، فذهب رَحِمَهُ اللَّهُ لما علم عنه وأخرجه بكفالته، وسعى حتى سدد المبلغ.

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا تعرض أحد الأقارب لظلم أو حاجة لم يقر له قرار حتى يفرج عنه.

ولهذا كان شديد الاهتمام ببعض الشباب من الأقارب الذين سجنوا بسبب الأحداث التي مرت بها البلاد، فكان إذا زار أحد الأمراء المسؤولين الذين لهم علاقة بالقضية كالأمير نايف رَحِمَهُ اللَّهُ أو الأمير محمد بن نايف يأتي معه بقصاصة ورق قد كتب فيها مجموعة من الأسماء من الأقارب ويحدثه عنه ثم يسلم له الورقة، وكنت أقول في كل مرة إن الأمر صعب ولن يستجاب لمثل هذا الطلب، لكنه في كل مرة: يقدم تلك الأسماء يزيد فيها أو ينقص بحسب ما يراه.

وكان يهتم كذلك بزيارة مريضهم، وحضور جنائزهم، وربما جلس معهم في أيام العزاء كلها.

ومن مظاهر اهتمامه بالأقارب احتفاؤه بهم وفرحه بزيارتهم له. تقول أختي هيا: «قالت لي إحدى حفيداته إن جدي الشيخ يبالغ في حب زوجي ويقدره تقديرًا كبيرًا مع أنه ليس بطالب علم، فتذكرت كم كان يقدر زوجي، وكم كان يهب للسلام عليه إن زاره، وكذا كل أنسابه وأهله يقدرهم ويحبهم ولا يتكبر عليهم».

ولثقة أقاربنا به ولكونه يعد من أبرزهم علمًا وعقلًا، فإنهم يهرعون إليه في كتابة وصاياهم ومبايعاتهم واتفاقاتهم وفي حل مشاكلهم، بل إن غير

الأقارب ربما رفعوا الشكوى ضد بعض الأقارب للوالد رحمه الله طمعًا في تأثيره على أقاربه وسعيه لحل المشاكل وديًّا.

وقد بذل جهودًا مرهقة في تقسيم بعض التركات القديمة المليئة بالمناسخات، مثل تركة العُرَيْفَات لما بيع ملك لهم في القويعية. وقد جاوز الورثة مائة نفس، حتى إن نصيب بعضهم لم يجاوز ثلاثمائة ريال، وكذلك تركة جبرين بن سليمان بن عبدالله، وهان عليه ذلك؛ لأن فيه مصلحة لأقاربه وخدمة لهم.

وأخيرًا فقد كان أقاربه إذا سافروا لبعض بلاد المسلمين حكوا له وشكوا ما يلاقونه من أحوال المسلمين؛ لأنهم يعرفون أنه يحب ذلك ويهتم به، فهذا ابن أخته إبراهيم بن عبدالله الجبرين لما سافر لليونان للعمل في سفارة المملكة هناك بعث له صفحتين بخط دقيق فيها أخبار المسلمين وما يحتاجونه إليه من إخوانهم.

اهتمامه ببلده

كان لبلده الأصلي القويعية والرين وما جاورهما من المدن وأهل تلك البلاد في قلبه مثل ما لأقاربه من الحب والوفاء والحرص على مصلحتها ونفع أهلها، وهذا ليس بغريب على مثله، وقد مر بنا في العمل الخيري أنه كان من أعضاء الجمعية الخيرية في القويعية، وصار رئيسًا لها مدة طويلة حتى توفي رحمه الله، وكان من المؤسسين والراعين لها، وسعى لدى الأمير طلال بن عبدالعزيز حفظه الله لدعمها، وحضر معه حفل افتتاح المقر الجديد.

كما مر بنا أنه كان يتولى رعاية كثير من الفقراء، ويجمع لهم من الصدقات والزكوات، ويعطيهم مباشرة أو بواسطة بعض الثقات من المشايخ والأعيان.

ويفـزع إليــه كثير من أهل تلـك البلاد للسعي في المصالــح العامة أو في الأمور الشخصية مثلما ذكرت عن حاله مع أقاربه، ويحضر المناسبات العامة هناك ويشارك في المناشط التي تعقد والحفلات التي تقام.

ومــن الموضوعــات التي سعــى فيها في السنــة الأخـيرة الكتابة لمحافظ القويعيــة لاستحداث مقبرة أخرى في القويعية؛ لما رأى كثرة الدفن في المقبرة القديمة وخشي من امتلائها.

وكتــب مرات لوزارة المواصــلات بشأن تعبيد بعض الطــرق البرية التي يرى أهميتها في قرى القويعية.

الجيران

للجـيــران عنــده رَحِمَهُ اللهُ مقــام رفيع وقدر عظيــم، ومع قيامــه بالحقوق المعروفــة للجيران حتى لا نكرر ما قلناه في حق الأقارب فثمت بعض القصص واللفتات التي يحسن الإشارة إليها.

للجـيـران اجتماع شهري كانوا يحرصــون على وجود الوالد رَحِمَهُ اللهُ فيه، ويرتبونه بحسب ظروف دروسه ووجوده، وكان هو أيضًا يحرص على الحضور ويجدوله عنده لمدة عام حتى لا يفوت عليه شيء من الاجتماعات.

وإذا حضــر أحيا المجلس بالذكر والفوائد، واستمع أيضًا لبعض الأخبار والقصصــ التي يوردها بعض الجـيـران، وكان يستلطـف أحاديث جارنا أبي حســن محمد بن سرحان؛ لمــا فيها من الطرافة وحســن السبك، ويطلب منه الحديث وسرد بعض الحكايات التي يحفظها ويرويها بأسلوبه الممتع.

وكان ينهاهـم عن التكلف والإسـراف، ويأمرهم بالاقتصاد فيما يوضع من ضيافات؛ لأن الهدف الاجتماع لا الطعام.

يقول أحد جيراننا وهو الأستاذ راشد الخضير عن لقاء جيران الحي[1]: «العجيـب أن الشيخ لا يحـاول الاستئثار بالحديث، بل يدع المجلس على سجيته في تبادل الأحاديث دون أي رسمية أو انضباط يتنافى مع طبيعة هذه اللقاءات الودية الاجتماعية، رغم ما عرف عن الشيخ من جدية في طلب العلم، وصبر يقل نظيره، ودأب لا يطيقه إلا من وفقه الله! فقط يجيب عن الأسئلة والاستفتاءات التي قد يوجهها أحد الجيران بين الفينة والأخرى، وهذا من فقهه رحمه الله».

ومما يحسن ذكره أنه يهتم بدعـوة الجيران إذا جاء عندنا مناسبة في المنزل، وكثيرًا ما يلومني إذا نسيت دعوتهم أو دعوة بعضهم.

وحكى لي أحد الجيران أنه وضع على بيته لوحة ليبيعه، فخرج مع الوالد رحمه الله مـن المسجد فسأله لم تنتقل، هل تحتـاج إلى قرض أو مساعدة؟، نحن فرحنا بك لما نزلت عندنا، وأمره ألا يبيع وأن يزيل اللوحة وقال له: إذا احتجت شيئًا فأخبرني.

وكان جـار لنا مبتلـى بالديون فسدد عنه مرارًا، ثـم اشترى له بيتًا عن طريق أهل الخير وأسكنه فيه ليرتاح من الأجرة.

وجـاء أحد جيراننا رحمه الله ليطلب قرضًـا فأعطاه، وبعد مدة وجيزة رد القرضـ وكان في حدود ألفي ريال، وبعد مدة جـاء وطلب عشرة آلاف، فقلت للوالـد لعله لا يردها، وكنت أقول في نفسي: يمكـن أنه رد الأول لنثق ونعطيه،

---

(١) منصور البراك: مواقف وعبر من حياة ابن جبرين رحمه الله
http://www.al-jazirah.com/104890/fe5.htm

فأعطاه الوالد رَحِمَهُ اللهُ وقال هذا جارنا وأعرفه، فما لبث أن جاء بها مرة أخرى فعرفت خطأ ظني.

وكان أحـد جيراننا يكثر من الطلب من الوالـد لعوائل يعرفهم، والوالد يعطيـه في كل مـرة، فسألـت الوالد فبين لي أنـه يعرف صدقـه وأمانته، وأنه يتعاهد بعض الجيران.

ويحكـي أحد جيراننا وهو عمرو الضبعـان يقول[1]: «كان جدي رَحِمَهُ اللهُ من المحافظين جدًا على الصلاة، لم تفته تكبيرة الإحرام في صلاة الفجر مع الجماعة أكثر من خمسين عامًا، اشتد عليه المرض في آخر حياته، وكان عندنا في الرياض وغاب بسبب المرض عن تأدية الصلاة في المسجد.

بعد مغـرب أحد الأيام طرق باب منزلنا طارق، فتحت الباب..فإذا أنا بالشيخ عبدالله، سلمت عليه ورحبت به بادرني على الفور: أين جدك؟، لم أره اليوم في صلاة الفجر.

كان جـدي في غرفته في الـدور العلوي، وكنا نطلب مـن زواره الصعود إليه، فحالته لا تسمح له بالنزول.

أخبرنـا جدي بـأن الشيخ أتى لزيارته وطلبنا منـه إما أن نسمح للشيخ بالصعود له أو نعتذر للشيخ ونخبره أنه متعب.

ولكـن جدي رَحِمَهُ اللهُ غضـب وقال: بل أنا من سأنـزل للشيخ، نزل جدي وكان أكـبر من الشيـخ عمرًا فعانقه الشيخ، وأراد أن يسلم على رأس جدي ثم أبدى اهتمامًا واضحًا بمرض جدي، وبدأ يسأله باهتمام ويستمع له بإصغاء.

(١) الإمام ابن جبرين .. أسرار .. مواقف .. حكايات تنشر لأول مرة..!! عمرو بن أحمد الضبعان http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229

بعدها قلنا للشيخ: كلفت نفسك بالزيارة، فتضايق وقال: قارئ القرآن والمحافظ على صلاته - يقصد جدي - له علينا حق الزيارة والسؤال..

رحمكما الله يا جدي.. ويا سماحة الإمام.. وجمعكما في مستقر رحمته».

ولم تنته القصة هنا، يكمل الأخ عمرو فيقول: «توفي جدي بعد زيارة الشيخ له بعدة أشهر، وكان العزاء في أبها، والشيخ ابن جبرين مرتبط بدروس في الرياض، فاتصل على الوالد وعزاه، ثم طلب أن يكلم أعمامي فردًا فردًا، فكلمهم واحدًا تلو الآخر، وقدم لكل واحد عبارات التعزية والمواساة المصحوبة بالنصيحة والموعظة، ثم طلب أن يكلمني أنا وإخوتي، فكان يكلمنا كما يكلم الأب ابنه، يعزينا ويذكرنا بفضل الصبر، ويثني على جدي، ويرفع من معنوياتنا، وكان لمكالماته الأثر الأكبر في تخفيف المصاب على الأسرة بكاملها».

وله في الحي الذي نسكنه جهود ومشاركات علمية واجتماعية، فعنده كما سبق أن ذكرت كلمة بعد صلاة العصر في مسجد الفنتوخ الذي بجوار البيت ما عدا يوم الخميس، حيث يلقي كلمة في مسجد الخرجي الذي يقع عن بيت الوالد جنوبًا، ويصلي فجر الأحد، حيث لا دروس عنده في المسجد الذي يصلي فيه الشيخ خالد السرا للسلام على الجيران هناك، وكانوا يترقبون صلاته معهم وإذا غاب فقدوه.

وطلب منه الجيران مرات عدة التوقيع على مطالبات تتعلق بالحي لدى المرور والبلدية، فكان أول الموقعين.

ونظم المركز الاجتماعي في حي شبرا حفلاً تعريفيًّا فكان الوالد رحمه الله حريصًا على دعمهم بالحضور معهم.

وبجوارنا الأخ حامد الحيان مصاب بجلطة - شفاه الله - وكان يعمل مع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في الإفتاء، فكان الوالد يحرص على زيارته بين الفينة والأخرى.

وحينما توفي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حدثني كثير من الجيران أنهم استوحشوا لفقده، فقد كان نورَ الحي وحياته رَحِمَهُ اللَّهُ.

حضور المناسبات والقيام بالزيارات

أقصد هنا بحضور المناسبات مشاركته رَحِمَهُ اللَّهُ المجتمع في أفراحهم وأتراحهم، ولقد مرت إشارة لموضوع الأتراح في حديثنا عن عبادة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وحاله مع الجنائز، ولهذا لن أعيد ما ذكر هناك لكن سأنتقي ما يفيد المقام هنا من غير تكرار.

أما بالنسبة لمناسبات الأفراح، وهي مناسبات الزواج ونحوها من المناسبات السعيدة، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يدعى لذلك من سائر طبقات المجتمع من الأمراء والكبراء وعامة الناس غنيهم وفقيرهم، وكان لا يفرق بين هذه الدعوات، بل يستجيب غالبًا للجميع، فيحضر ويبارك ويتحدث إن طلب منه الحديث كموعظة أو نصيحة، ويجلس إلى أن يتناول العشاء ثم يمشي، ومع أنه قد يدعى في الليلة الواحدة لأكثر من مناسبة، إلا أنه كان يذهب لمن دعاه أولاً، إلا إذا كان الداعي الأخير له خصوصية من قرابة قريبة أو زمالة خاصة فإنه يقدمه، ولم يكن يذهب في الليلة لأكثر من مناسبة كما يفعله بعض الناس؛ لأن ذلك يشق عليه، ولأنه إذا حضر رعى الحفل وكان ضيفهم المقدم، فلذا لا ينصرف حتى يفرغوا.

كان الأمير سلمان حَفِظَهُ اللَّهُ يدعوه دائمًا لحضور حفلات زواج أفراد الأسرة الحاكمة في قصر الثقافة، وذهب هناك مرارًا، كما حضر حفلات

زواج أبنـــاء كثير من الكبراء، وممن أذكره الآن زواج أحد أبناء الشيخ محمد الراجحي شفاه الله وعافاه.

أما سائر الناس فَحَدِّثْ ولا حرج سواء الأقارب أو تلاميذه أو جيرانه أو معارفه ومحبوه وهم كثير.

وإذا كانت مناسبة الزواج عندنا فإنه يدعو كل من يلقاه، إضافة إلى قيامنا أنا وإخوتي بدعوة الناس، وربما اجتمع العدد الكثير حتى يضيق بهم المكان.

وكانــت الأخــت هيا هي آخر من تــزوج من أخواتــي فوضعناه في المنزل لأنــه مختصر، فلم نشعر بعد صلاة العشــاء إلا والناس تتوافد علينا زرافات ووحدانا، الأقارب والمعارف والطــلاب والزملاء والجيران، حتى ضاق المكان فاستجلبنــا فرشًا زائدة، وأحرجنا تلك الليلة أيمــا إحراج لكثرة الناس، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهوِّن الأمر علينا، ويقول: طعام الواحد يكفي الاثنين.

وفي زواج ابنــي عبدالله جعلناه في صالة أفــراح تحسبًا للمدعوين؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلــب مني أن أدعو كل من له بنا صلة لقرابة أو صداقة أو نحوها، فلم أر ولم يــر من حضــر زحامًا أكثر مــن تلك الليلة، وهــو رَحِمَهُ ٱللَّهُ واقف يستقبل ويتهلل فرحًا كلما رأى شخصًا من محبيه.

واضطررنا تلــك الليلة لاستعــارة صالة العشاء الخاصــة بالنساء حتى ينتهي الرجال، وأجَّلنا عشاء النساء لوقت متأخر.

وقــد ذكرت أنه في مناسباتنــا في المنزل يحب ذلك ويلومنــا إذا لم ندعُ فلانًا أو فلانًا ممن يحب حضورهم وما أكثرهم.

وكان يحضـر حفلات النجاح والتخـرج ونحوها إذا دعي إليها، وكذلك سائـر المناسبـات كالعقائـق وضيافات العائديـن من الأسفـار والناجين من الأخطار ونحوها.

وأذكر أن كثيرًا من عامة طلابه ومحبيه يدعونه لهذه المناسبات فيحضر ولا يتردد، فلم أرَ أسهل ولا أسمح منه في ذلك رحمه الله.

يقـول الشيـخ محمـد المنجـد حفظه الله[1]: «مـا ندعـوه إلى مناسبة إلا ويجيب، قد بارك الله في وقته».

أما الزيارات فله فيها رحمه الله الشأن الأعلى والقدح المعلى، يخص فيها أهل العلم والفضل والقدر والصحبة القديمة، وكنت أظن أنها تأتي عرضًا كلما تذكر حتـى رأيـت في دفاتر مواعيده تسجيـلًا لبعضها في أوقات محـددة، وبعض هذه الزيارات قديم لـه تاريخ، وممن كان يزورهم رحمه الله بانتظام من الأمراء الأمير سلمـان، والأمير عبدالرحمن بن عبدالله، وفي السنوات الأخيرة كان يزور الأمير مشعـل، والأمير متعب، والأمير محمد بن عبدالله بن جلوي. وأما المشايخ فكثير، ومنهم سماحة العلامة عبـدالله بن عقيل رحمه الله، والعلامة قرينه وخليله الشيخ فهـد بن حمين رحمه الله، ومعالي الشيخ ناصـر الشثري، وكان يزور مشايخ اللجنة في الإفتـاء منـذ أن تقاعد، يزورهـم في مكاتبهم، وإذا كانـت اللجنة في اجتماع اقتحـم عليهـم وسلم وجلس بجوار الرئيس حينمـا كان ابن باز رحمه الله، ولما توفي صـار يجلس بجـوار الشيخ عبدالعزيـز آل الشيخ، وكانوا يفرحـون به ويحتفون، وربما ناقشهم في بعض المسائل العلمية أو سألوه عن بعض فتاويه.

---

(١) قناة الرحمة.

ويزور عددًا من الوجهاء في الرياض وفي غيره، فله زيارت منتظمة لأسرة آل الجميح منذ مدة طويلة، ومازال يتعاهدهم بالزيارة حتى توفي رحمه الله لما بينهم من القرابة والصحبة القديمة، ويزور الشيخ عبدالله الراجحي بعدما سكن حي شبرا وبنى جامعه المبارك فيها ونقل إليه الوالد دروسه.

وكان إذا زار بلدًا حرص على زيارة أميرها وقاضيها، ومن فيها من طلاب العلم البارزين، وممن أذكر زيارته لهم معظم أمراء المناطق كأمير الشرقية والغربية والجنوبية وتبوك والقصيم وغيرها، فكان في كل مرة يصل فيها إلى منطقة يحرص على زيارة أميرها، ويحدثه عن بعض ما يرى فيه مصلحة البلد الدينية والدنيوية، ومن المشايخ الذين زارهم في المناطق سماحة الشيخ شيخ عنيزة وإمام الأمة محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الخريصي قاضي بريدة، والشيخ العلامة صالح البليهي، والشيخ عبدالله الجلالي، وقاضي المنطقة الجنوبية الشيخ إبراهيم الحديثي، والشيخ المعمر رشيد القيسي قاضي مدينة حقل الذي جاوز عمره مائة وثمانية وعشرين عامًا رحمه الله تعالى، وقد زار كثيرًا من علماء الأحساء، مثل الشيخ عبد العزيز بن يحيى اليحيى، شيخ الحنابلة في الأحساء، ومجالس علماء الحنفية وهم أسرة الملا، والمالكية وهم أسرة آل مبارك، والشافعية ومنهم أسرة آل عرفج، كما يزور كما ذكرنا أئمة الحرم إذا جاء لمكة في رمضان، وزار مكتبة إمام الدعوة التي يشرف عليها الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس كما زار منزله، ورئيس محاكم تبوك سابقًا الشيخ عبد العزيز الحميد، ورئيس محاكم الباحة سابقًا الشيخ عبدالله بن عبيد، والشيخ القاضي ناصر المدرع في الدمام، والشيخ أحمد الحواشي في خميس مشيط، والشيخ أحمد النجمي في جيزان، والشيخ محمد شامي قاضي بيش وغيرهم كثير.

وللعيد طعم آخر

اعتدنـا منـذ مدة طويلـة أن نقضي أيـام العيد بصحبـة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في بلدنـا القويعيـة، لم يكن لنا ملك هناك، وإنمـا نستقر عند الخال عبدالله ابـن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ وزوجته عمتي منيرة شقيقة الوالـد، حيث كان لهم بستان في بلـدة القويع بقرب القويعيـة، وكان يجاورهم ملك لعـم الوالد عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أنشئ فيه منزل بعد وفاته بمدة طويلة ليكون مستقرًا لمن جاء من أعمامي وأولادهم.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يصلي العيد في مكة إذا كان شهر رمضان ناقصًا، وإن كان تامًّـا صلى في بلدة محيرقـة، وهي البلدة التي ولد فيهـا، حيث يجتمع هناك الكثـير من آل جبرين، وكان الذي يصلي بهم ممن أدركتهم العم عبدالله بن سعد، ثم الخال سعد بن دهران، ثم توالى بعد ذلك بعض الشباب.

وبعد صلاة العيد ننتقل إلى ظل لقصر قديم يسمى قصر الشيخ من آل منقاش، فتفرش السفر، وتوضع الصحون والبوادي[1]، ويبدأ الجميع في الأكل والتنقل بين الصحون، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يتنقل بل يجلس على ما يختاره أو يُخْتَار له، وبعد أن يأكل يقوم لغسل يديه.

بعدهـا غالبًـا يمر على منـزل أو اثنـين لتناول القهـوة إكرامًـا لهم، ثم ينطلـق للقويعيـة فيسلم على بعض كبـار السن من الأقـارب وغيرهم، ومنهم العم عبدالعزيز بن محمد، والعم محمد بن عبدالرحمن العمدة، والعم محمد ابـن عبدالله، والعـم حمد بن جبرين، والشيخ سعد بـن شقيران، وآل عصفور وغيرهم، رحم الله من توفي منهم، وأمد في عمر الحي وأحسن ختامه.

---

(١) لفظة عامية وهي إناء يؤكل فيه له، قاع، وعادة أهل نجد أن تأتي كل عائلة بطعامها -الذي يسمى عيدًا - في صباح العيد.

وغالبًا ما يتغدى في يوم العيد في مزرعة الأمير حمد بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث يحضر كثير من الأقارب والمعارف، وما زالت هذه العادة الحسنة بعد وفاة الأمير حمد يقوم بها إخوانه وأبناؤه.

وقبل نحو عشرين سنة في حدود عام ١٤١٤هـ اتفق آل حمد، وهم فخذ من آل جبرين، على جعل اجتماع في مخيم بقرب بلدة القويع لمدة أربعة أيام، يحضر فيه صغارهم وكبارهم من الذكور، وكان الوالد يحرص عليه جدًّا ويحيي أيامه، فيحضر للإفطار صباحًا، ثم يقوم بجولات سلام لاجتماعات العيد لأسر أهل القويعية كعوائل آل جبرين الأخرى والعرافا وآل مسهر وآل منقاش وآل هويمل وآل سعدان والجبارا وغيرهم، وذلك إلى حدود الظهر، ثم يرجع للمخيم ويجلس فيه إلى بعد العشاء، وربما ذهب ليرتاح قليلاً في البيت بعد الغداء.

وفي كل عيد لا يغفل زيارة الرين حيث يوجد الكثير من أصدقائه في أيام شبابه، فيذهب غالبًا بعد الإفطار من اليوم الثالث للعيد، ويسلم على عدد من كبار السن هناك، كالشيخ محمد بن سعود الصبيحي، وأبي عوف عبدالرحمن بن إبراهيم العريفي، وهما من طلاب العلم والعباد، وكبار آل سفران أمراء الهجرة السفلى بالرين التي عاش فيها الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ والشيخ هميجان القحطاني، وهو من الإخوان الذين حضروا وقعة السبلة، ومن المحافظين على السنة، وهو يكره المدنية وآلاتها حتى الراديو والكرة، ويقول إنها من ألاعيب الشيطان، وهو حي حتى الآن، وقد جاوز المائة وست سنين، وضعف في السنة الأخيرة سنة ١٤٣٢هـ، ويزور عبدالهادي ابن حشيشة، وهو من شيوخ الرين ومن العباد، ومبارك ابن هملان وأخاه وازع وأبا إبراهيم البصري وخريزان بن لزيمة وغيرهم، ويصلي الظهر في جامع الرين، وقد توفي بعض هؤلاء، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وفي طريق عودته يمر بكبار آل هويمل، وربما مر بمخيمات لهم ولغيرهم بعد وجود اجتماعات العيد العائلية، ويصل إلى مخيمنا غالبًا في الساعة الثانية ظهرًا، وكنت غالبًا أرافقه في هذه الجولة أنا وبعض إخوتي وأعمامي وأبنائهم.

وفي المخيم يحضر ويشارك في فعالياته ببساطة وعفوية، فربما وعظ، وربما وجه، وربما أفتى، وربما قص القصص الطريفة القديمة والمعاصرة، وربما استمع وتفاعل مع ما يلقى من مشاركات ومسابقات، كل ذلك بسمته وصمته وأدبه المعروف رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويقصد مخيمنا كثير من الزوار للسلام عليه وعلى جماعتنا، فيبش لهم ويهش، ومنهم غالبًا محافظ القويعية، والقضاة، وبعض طلاب العلم، ووجهاء القبائل، وكثير من الشباب، وغيرهم.

ولم يكن رَحِمَهُ اللَّهُ ينتقد شيئًا من الأمور التي يقوم بها المنظمون، بل ربما أيدهم في اجتهادهم إذا خولفوا في شيء، لكنه يثرب ويلوم من يتأخر عن الحضور للمخيم ولا يشارك في نشاطاته.

وفي آخر المخيم، وهو اليوم الرابع للعيد، يقام كالعادة مزاد على ما بقي من الأغراض، فكان يستظرف ذلك ويحضره، وربما اشترى أو أشار لي أو لأحد من إخوتي بالشراء لشيء من الأغراض التي يستلطفها.

وأذكر في أحد الأعوام أنه جاءتنا ريح قوية في آخر يوم لنا، فعمد إلى أحد الأعمدة ليمسكه وأثر في ساقه لما حركته الريح بقوة وأسقطته.

متفرقات

القضايا التي سأذكرها هنا لها نوع تعلق بهذا المحور، ولكن ليس بينها رابط يجمعها، فجعلتها بهذا العنوان، لكن لها دلالاتها على وزن الشيخ الوالد رحمه الله في المجتمع، وأنه شيخ أمة حقًّا.

المراسلات التي تأتي الوالد رحمه الله كثيرة عن طريق عدد من الوسائط كالبريد العادي، والبريد الإلكتروني، والفاكس، والتسليم المباشر له أو لنا في المكتب، والتسليم في الدروس والمحاضرات مع الأسئلة، وغير ذلك.

ويرد غالبًا على هذه المراسلات إذا كانت تحتاج إلى رد، كالفتاوى، والطلبات، ورسائل التهنئة. وقد يستعرضها أو نعرضها عليه لمجرد الاطلاع، مثل طلبات الدعاء، ورسائل المشاعر التي يبدي فيها أصحابها حبهم له وتقديرهم.

ودعني أستعرض معك بعض الرسائل اللطيفة التي عثرت عليها بين أوراقه رحمه الله.

أولها رسالة من تلميذه ماجد الجوير، ذكر فيها أن سماحة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله طلب من ماجد إعطاء رقمه للوالد رحمه الله ليتصل به ضرورة، وذلك لما كان في المستشفى التخصصي بالرياض في أواخر شعبان عام ١٤٢١هـ، ولا أدري ماذا كان الموضوع، ولعله أراد أن يوصيه بشيء فيما يتعلق بطلاب العلم.

وثانيها رسالة من الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله يثني على كتاب الوالد رحمه الله تحقيق شرح الزركشي، خاصة فيما يتعلق بتخريج الأحاديث، ويقترح إفرادها في كتاب مستقل.

ورسالة من الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط حينما كان بدمشق، يشكر الوالد رحمه الله على إهدائه تحقيق شرح الزركشي، ويثني على جهده.

ومن الأوراق اللطيفة دعوة لحضور مناسبة زواج كتبها الشيخ عبدالله الجارالله رحمه الله بخط يده في ورقة دفتر عادية، يدعو الوالد فيها للحضور بتاريخ ١٤٠٨/٣/٢١هـ، وقد قطع الوالد أعلاها وكتب في أسفلها بعض المنكرات التي يريد التنبيه عليها.

ومن المذكرات أن حسين شنشول وموسى شبلي، وهما كهلان من سوريا يزورانه كل عام، ويتعاهدهما بالإحسان، وإذا جاءا أحضرا معهما بعض الهدايا كالحلويات السورية ونحوها، فحالت ظروفهما دون المجيء لمدة طويلة، فبعثا رسائل عدة كان من ألطفها رسالة من موسى شبلي عبارة عن شريطي تسجيل، سجل فيهما صوته ومشاعره ومشاعر أهل بيته نحو الوالد رحمه الله، وهذه كما تعلم لا تفعل إلا إذا ارتفعت الكلفة، وخالطت المحبة بشاشة القلب.

وأرسل له أحد الشباب من إحدى دول شرق آسيا - أظنه من ماليزيا - رسالة، وأرفق معها كراسة فيها خطوط ورسوم جميلة للفظ الجلالة وبعض الأذكار، جعلها عنوان محبة وتقدير.

ووجدت رسالة من أحد الإخوة من جدة يلح على الوالد رحمه الله للانتقال إلى جدة والسكن فيها، ويرغبه في ذلك، وأنه سيجد قبولاً وإقبالاً من طلاب العلم، ويرجوه إن لم يستطع أن يطلب من الشيخ ابن باز بعث أحد العلماء.

ورأيت ورقة سؤال في الدورة العلمية في الشرقية كتب فيها مرسلها: الشيخ يذكرنا بالصحابة والتابعين.

ومن الرسائل رسالة سُلِّمَتْ في أحد الدروس، فيها اعتذار لطيف وأسف بالغ لشاب ذكر أنه تابعهم بسيارته؛ ليعرف سكنهم حينما كانوا في دورة في خارج الرياض، فيبدي أسفه ويعترف بخطئه ويطلب العفو والصفح.

وتشبهها رسالة من أحد الشباب يعتذر للوالد أنه من قبل كان لايحبه ويغتابه وينتقد منهجه، وأنه عرف الحق، واكتشف أنه على خطأ، فيطلب العفو والمسامحة.

ومن أغرب الرسائل شاب من المنطقة الجنوبية، أراه قد لعب الشيطان بعقله، فصور له أنه المهدي المنتظر، أرسل رسالة للوالد رحمه الله يقول فيها: نفيد فضيلتكم بأننا المهدي المنتظر، شاء الله أن يبتلينا بالسحر.....حاولنا إثبات أننا المهدي المنتظر، وجدنا من يتربص بنا ومحاولة عرقلة جميع محاولاتنا....

فضيلة الشيخ، نحمد الله على ما ابتلانا به، ونسأله التخفيف، وحل عقد السحر عنا، ولكن طمع الناس بما لدينا، ويعلم فضيلتكم عن أخبار المهدي وعن توزيع المال، وتناسى الناس أن المهدي المنتظر رجل دين في المقام الأول.

وكلنا أمل أن نثبت صدقنا بناء على ما أخبر به الرسول ﷺ من أخباره المنقولة عن المهدي المنتظر، علما بأن الدجال يراودنا منذ الصغر، ورؤية قيام الساعة بجميع صورها».

ثم كتب رقم الهوية والجوال وجزيرة فرسان.

ويشبه آخر أرسل للوالد يقول: «هذا واعلم أن المهدي موجود، والله يشهد أنه كاتب هذه السطور في العقيدة الحقة والله على ما أقول وكيل.

اللهم هل بلغت اللهم اشهد.

أنا المهدي حقًا ولنا نسب مع الحكام والله يشهد».

ولقد جاءنا شخص في الرياض ثم قابل الوالد في حجته الأخيرة في مكة، ولعله صاحب الرسالة الأولى، فكلمني يريد جلسة خاصة مع الوالد ليبلغه بأمور مهمة، فلما حدثت الوالد رحمه الله أخبرني بأنه يزعم أنه المهدي، وأنه أحاله للمفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ.

وأرسل أحد الأشخاص رسالة طريفة جاء فيها: «عندي مما وهب الله سبحانه ما لا يحصى من الاختراعات المسبوقة والحالية إسهامات من الاكتشافات العلمية، مثل الاتصالات بجميع فروعها السلكية واللاسلكية، الطاقات الطبيعية، الصناعية، المواصلات، الموصلات البصرية، الاكتشافات الطبية، الروح أدواتية، الجنيوم، الأحاسيس العشرة لجميع الأمراض العضوية، الروحانية. أكثرها قد أعمل، وصارت من نبتها الحضارة التكنولوجية والإنسانية ممكنة بالأخلاق العلمية والأدبية. حقيقة، إسهاماتي بمعية علماء أفذاذ، الشكر لله أولاً وآخرًا باسمنا كلنا لما سبق علمه وأعماله، من ثم لما نحن عليه حاليًا من مخلصين، اكتشافات جديدة لطالما صيرت لخدمة الله ثم مخلوقاته.

وصلت للبيت الأبيض الإثنين ١٦/فبراير/٢٠٠٤.

بعد التي من قبل وصلت بتاريخ ٥/فبراير/٢٠٠٤.

وصل لليونسيف بتعديل.

رابطة العالم الإسلامي وصلت.

وصلت لأوروبا بتعديل قد جاءت الإجابة أما أخرى هذه إرسالية.



جامعة الدول العربية وصلت.

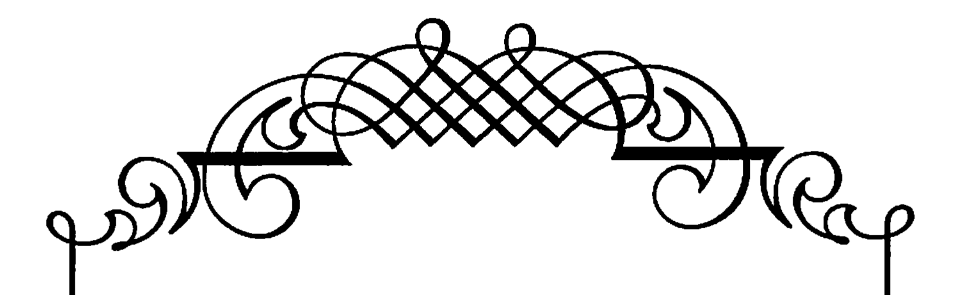
منظمة العالم الإسلامي وصلت».

وأرسل له شخص من خارج المملكة رسالة بذيئة حول منع علماء السعودية من ختان النساء، وشن فيها هجومًا على السعوديين وبناتهم.

وأمثال هذه الرسائل كثير، وإنما أردت التمثيل لترى اختلاف مدارك الناس.

وأما رسائل الدعاء له وطلب الدعاء منه وبيان المحبة له فلا تحصى كثرة، وغالبًا تصدر الأسئلة في الدروس والمحاضرات بهذا، فرحم الله شيخ الأمة وعفا عنه، وجعل ما قدمه لأمته ذخرًا له يوم القيامة.





القِسْمُ السَّابِعُ

مناهج متقنة

- طلب العلم
- السياسة والحكم
- الخلاف والاختلاف
- الدعوة والتربية
- منهجه في النظرة للجماعات الإسلامية

مناهج متقنة

هــذا القســم قسم تعليلــي تحليلي، قــد يثقل علــى القــارئ لكونه ليس كالأقســام السابقــة، التــي كانت سرديــة توثيقية لحال الشيــخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وأعمالــه، ومن نظر لطبيعته رَحِمَهُ اللَّهُ وسجيته ظن أنه لبساطته وتواضعه يعمل ويتصــرف بعفوية وعاطفة، وأنــا لا أنكر أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يتأثــر ويستجيب للأفعال ويتعامل معها، ولكنه يحكم تلك العاطفة بمنهج ثابت مبني على ثوابت شرعية ومقتضيات عقلية، ولست في هذا مدعيا ولا مبالغا لأنه والدي رَحِمَهُ اللَّهُ، فدعني لأزيــل عنك هــذا الوهم أورد لــك نصين لشيخــين مشهورين بالعلــم والعقل والنصيحة والعدل، وهما الدكتور سعد البريك والدكتور عبدالعزيز الفوزان، وكلاهما ممن تتلمذ على الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وعرفه عن قرب، ولو أردت غير هذين النصين لوجدت الكثير، وهذا القسم برمته شاهد على ما ذكرته.

يقول الدكتور سعد البريك حَفِظَهُ اللَّهُ[1]: «للشيخ منهج يجب أن يستخلص مــن سيرته، ويجب أن يدرس، يجب أن يقرأ، ويجب أن يعرف كمنهج، وليست مجــرد مواقــف في حياتــه، للشيخ منهج مــع الحكام في النصيحــة والصدق والزيــارة، للشيــخ منهج مــع العلماء في البيــان والتعامل مــع المخالف، للشيخ منهج مع العامة في الدنو منهم وقضاء حوائجهم، للشيخ منهج مع الجماعات الإسلاميــة في نبــذ التعصب والنصيحــة للجميع، للشيخ منهــج مع المخالفين في العقائــد مخالفة واضحة، فلا يقف في منطقــة رمادية أبدًا، وقوله مشهود ومعلوم فيمن سب الصحابة وقذف أم المؤمنين عائشة بالفاحشة، للشيخ منهج في الدعــوة قائم علــى التعليم، الشيخ مما علمته منــه أن خطاب المحاضرات الجماهيريــة العامة وإن كانت مفيدة إلا أن أثرها لا يدوم طويلًا، ولذلك تجد

(١) قناة «دليل».



منهج الشيخ قائمًا على العناية بالتعليم والتدريس والعناية بالطلبة الناشئين، وأيضًا عالمية الشيخ في الدعوة في بث دروسه في القنوات الفضائية وحرصه على ذلك».

ويقول الدكتور عبدالعزيز الفوزان[1] حفظه الله: «سماحة الشيخ العلامة عبدالله بن جبرين رحمة الله عليه هو واحد من الرواد الكبار لإحياء منهج السلف في العقيدة وفي العبادة وفي المعاملة وفي النصح لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

هذا الرجل المبارك أحيا الله عز وجل به الأمة في جوانب كثيرة، وهو يسير على نفس المنهاج الذي سار عليه نبينا ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان..... برز في زماننا من هؤلاء الأعلام الكبار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسماحة الشيخ محمد بن عثيمين، هؤلاء الرجال جددوا المنهج السلفي الصحيح، ليس فقط في العقيدة وهي الأهم لا شك، ولكن أيضًا في العبادة وفي المعاملة وفي السلوك وفي حسن الخلق والإحسان إلى الناس واحتساب الأجر عند الله عز وجل، في إحسان الظن بالناس، في محبة الخير لهم والتفاني لخدمتهم ببذل أوقاتهم وجهودهم وأموالهم وشفاعتهم وجاههم.

و مما يذكر لهذا العالم الجليل وأمثاله من هذه الكوكبة التي أشرت إليها أنهم جددوا المنهج السلفي في الفقه العملي لم يجروا على ما ظلت عليه الأمة قرونًا في التعصب المذهبي، أحيوا في الناس المنهج العلمي الصحيح المقارن، بحيث تدرس المسائل الشرعية دراسة مقارنة بذكر جميع الأقوال بجميع المذاهب، ثم بذكر أدلتها ومناقشتها حتى نصل إلى الراجح بدليله بغض النظر عمن قاله».

---

(١) قناة «دليل».

من هذين النصين تعلم أنه رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب منهج بنى عليه حياته رَحِمَهُ اللَّهُ في جميع المجالات منذ أن نشأ إلى أن توفي، ولا ريب أن المنهجية تترقى كلما ترقى الإنسان في درجات العلم، وخاض في بحور المعرفة، وخالط الناس، وتقلبت به الأحوال.

وهنا في هذا القسم سنحاول استكشاف منهجه رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال أقواله وأعماله وكلام تلاميذه ومحبيه ومشاعرهم.

في هذا القسم سنتعرض لمنهجه في العلم والتعلم والتعليم، وهو ميدانه رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان له في حياته النصيب الأوفى والقدر الأعلى.

وسنتعرض أيضًا لمنهجه في التعامل مع الولاة، وهو من الميادين المهمة في هذا العصر، الذي كثرت فيه الفتن والمحن، وأصاب الوالد منها بعض سهامها.

ولكونه ممن عرف بالفتيا واشتهر بها، فكنت قد أشرت في الكلام عن الفتوى إلى بعض معالمها عنده رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكننا هنا سنعرض لمنهجه في الخلاف والاختلاف والتعامل مع المخالف، ومنهجه في الفتوى في القضايا المعاصرة، وما يتعلق بهذه المسألة.

وسنتكلم عن منهجه في الدعوة والتربية ونظرته للجماعات الدعوية المختلفة.

وسأكون في كلامي مهتما بالكليات، معطيا الصورة الحقيقية لمنهج الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعيدًا عن التدخل في تشخيص هذه الصورة تاركا للقارئ التأمل والاستفادة وإبداء الرأي.

وكذلك لست بصدد بيان رأيي في صواب المناهج الأخرى والتوجهات الأخرى التي يؤيدها الوالد أو يخالفها.

ولتعلم أخي القارئ أن من كمالات الرجال وعلامات توفيقهم أن يكتب لهم القبول من الجميع، وأن تجمع الآراء على تقديرهم واحترامهم حتى ممن يخالفهم، وأحسب أن الوالد كشيخه ابن باز وشيخهما محمد بن إبراهيم وقرينهما الشيخ محمد بن عثيمين ومحدث العصر الشيخ ناصر الدين الألباني ونحوهم من أعلام هذا العصر، قد أجمعت الأمة على قبولهم وتقديرهم، ولا يعكر ذلك وجود بعض الأفراد الذين قد يخرجون عن هذا الإطار العام لتعليل أو تأويل، أسأل الله أن يرحمهم وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

وأخيرا سأخبرك أخي القارئ أنك ستجد في هذه المباحث على كونها مباحث علمية تحليلية فوائد ولطائف من سيرته رحمه الله، لأنها هي الدليل المادي على ما نحن بصدده.

طلب العلم

العلم هو المحطة الأهم في حياة الوالد رحمه الله، وقد آثرت أن أعنون لهذا الموضوع بطلب العلم، ليشمل أمورا عديدة، منها رأيه في المنهج الأكمل لطلب العلم، ومنهجه هو رحمه الله في طلبه للعلم، ومنهجه في التعليم، والمنهج السديد في التعامل مع العلماء وطلاب العلم.

سنتطرق هنا لهذه الأمور وربما مر عرضا الإشارة لغيرها مما هو متعلق بهذا الموضوع، وسأختم بملح من ذكريات قصها الوالد رحمه الله عن أيام الطلب.

أما مايتعلق بمنهجية طلب العلم التي يرى الوالد رحمه الله أنها الأكمل، فقد جمعت من كلامه رحمه الله عددا من النقاط، التي يمكن تصنيفها على أنه رأيه في ذلك، وهي:

١- يـرى رحمه أهميـة التفرغ لطلب العلـم، وأن يجعله الإنسان مـن أهم المهمات، ويفـرغ له نفسه أو وقتا كافيا من وقته، يقـول رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «نتفرغ ونفرغ أوقاتنا لحمل هذا العلم، لنكون من أهله، ولنكون من حملته، ولنكون من ورثة الأنبياء»، ويقول[٢]: «إدامة الملازمة للدروس اليومية أو الأسبوعية التي تقام في المساجد ونحوها، مفيدة ونافعة، ولها تأثير كبير في تحمل العلم، وتجديد المعلومات».

٢- يوصـي رَحِمَهُ اللَّهُ الطلاب دائما بالاهتمـام بالعلم الصحيح الذي هو ميراث الأنبيـاء، ويرى أن هذا العلـم هو الذي ينبغي أن يبذل في تحصيله طالب العلم وقته وجهده[٣].

٣- يرى رَحِمَهُ اللَّهُ أن الدراسة الأكاديمية مهمة، ويقول[٤]: «الدراسات المنهجية أصبحت من الضروريات، بحيث لا يخل بها إلا القليل، بل يلتزم الأكثرون بهـا، رجـالًا ونسـاء، انتظامًـا وانتسابًا، والغالـب أن القصـد منهم هو الحصول على المؤهل الذي يمنح له بعد الانتهاء من كل مرحلة، ولاشك أن الالتزام بذلك مـع المواصلة إلى نهاية المرحلة الجامعية مما يفيد كثيرًا، حيـث إن الطفل يبدأ من مبادئ العلوم، ثـم يترقى إلى ما بعد ذلك سنة بعـد سنة، ومرحلة بعـد مرحلة، فمتى كان قصـده الاستفادة، وتحصيل المعلومـات النافعة، فإنه ولابـد سيحصل من ذلك على قسط كبير، يبقى معه أثره طوال حياته».

٤- ويـرى أن الدراسـة الأكاديمية وحدهـا لا تكفي، فلابد معهـا وبعدها من مواصلة التعلم، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «لابد مع ذلك وبعده من مواصلة التعلم،

---

(١) قصتي في طلب العلم.
(٢) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.
(٣) قصتي في طلب العلم.
(٤) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.
(٥) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

وبذل الجهد في التحصيل، فإن العلم كثير، وطالب العلم لا يكتفي بما حصل عليه، كما في الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»[1] وكان العلماء يوصون تلاميذهم بالاستمرار في الطلب، ويقول أحدهم: طلب العلم من المهد إلى اللحد. ويقولون: من المحبرة إلى المقبرة».

٥- من أهم الأمور التي نبه عليها رَحِمَهُ اللهُ القراءة على الشيوخ وملازمتهم، لأنها تعصم بإذن الله من الخطأ، يقول رَحِمَهُ اللهُ[2]: «قد عُلِمَ بأن المشايخ لابد لهم من اختيار، ولابد لهم من نظر في كلام هذا وفي الجمع بينهما، مما لا يدركه الطالب بنفسه». ويقول[3]: «لا يقطع مجالسة العلماء؛ فإن ذلك مما يستفيد منه فوائد كثيرة، تحثه على أن يقرأ مثلما قرؤوا؛ وذلك لأن كبار العلماء درسوا الدروس الشرعية قديما، وتمرسوا فيها ومارسوها ممارسة قوية، ووقعت الوقائع معهم فكانوا على جانب كبير من المعرفة بالمسائل التي وقعت في زمانهم، وقاسوا عليها الوقائع الجديدة».

٦- ينصح الوالد رَحِمَهُ اللهُ طالب العلم المبتدئ أن يبدأ بمبادئ العلوم ومقدماتها، ومنها: معرفة موضوعاتها ومصطلحاتها والعلاقة والفروق بينها، يقول رَحِمَهُ اللهُ[4] حول هذه النقطة: «لكن لابد قبل طلب العلم من معرفة المقدمات، والأساليب والاصطلاحات للمؤلفين، ولابد من معرفة اللغة الفصحى، وما يتصل بها من النحو والصرف والبيان، حتى تتم الاستفادة منها، حيث إن الكثير من الطلاب يصدهم عن القراءة في الكتب جهلهم بالمصطلحات، وقصورهم في المعلومات اللغوية، حتى فضل

(١) رواه الدارمي في باب في فضل العلم والعالم عن ابن عباس برقم ٣٣٤ وابن مسعود برقم ٣٣٢ والحسن البصري برقم٣٣١.

(٢) برنامج ابن جبرين....عالم أمة الشيخ محمد صالح المنجد

(٣) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206

(٤) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

الكثير ما كتبه المتأخرون، وأكبوا على القراءة للمعاصرين»، ويقول[1]: «نوصيه بأن يُقوم لسانه، وذلك بأن يقرأ على بعض المشايخ قراءة مطالعة؛ أي سردا في المطولات ونحوها، ويأمره بأن يلقنه الأخطاء النحوية حتى يقيم لسانه، وحتى يعرف كيف ينطق ويطبق القواعد النحوية، ثم بعد ذلك أو مع ذلك يقرأ في مبادئ العلوم».

٧- يرى رحمه الله أهمية الحفظ لطالب العلم وخاصة القرآن الكريم، وكذلك حفظ المتون والمختصرات في النحو والفرائض، والأحاديث في الأحكام، والتوحيد، والعقائد والفقه، والتفسير والقواعد والشروط والأركان والواجبات والنصوص والأدلة، لأن له الأثر الكبير في بقاء المعلومات. يقول رحمه الله[2]: «كان مشايخنا الأكابر يذكرون عن نشاطهم وتسابقهم إلى الحفظ، ويحثون تلامذتهم على ذلك، حتى رأينا منهم العجب في استحضار النصوص والأدلة عند الحاجة إليها، وكانوا يلزمون من أراد الالتحاق بالتعلم أولا بحفظ القرآن الكريم».

٨- يوصي الطالب أن يهتم من العلوم بما تميل له نفسه، ويرى أنه يحسنه أكثر من غيره، ويقول عن هذا[3]: «لا شك في اختلاف الرغبات، والتباين الكبير في طرق التحصيل عند طلاب العلم، والذي أراه أن لكل طالب التمشي على ما يميل إليه ويتأثر به، ويرى فيه الفائدة وإدراك المعلومات».

٩- يؤكد دائما رحمه الله على طلابه وغيرهم بأن تكون هممهم عالية، بحيث لايجد الملل لنفوسهم طريقا، ويحدثهم كثيرا عن أحوال السلف وعلماء صدر هذه الأمة، وما بذلوه من الجهد، والتعب والنصب في طلب العلم

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206

(٢) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٣) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

يقـول[1]: «ذكر ابن أبي حاتم عن أبيــه رحمه الله، قال: أول سنة خرجت في طلب الحديـث أقمت سبع سنين، وأحصيت مـا مشيت على قدمي زيادة علـى ألف فرسخ، ولما زاد على ألف فرسخ تركت الحساب، وذكر أنه سار ماشيًـا من الكوفة إلى بغداد ما لا يحصى، ومـن مكة إلى المدينة مرارًا، من البحر من قرب مدينة سلا إلى مصر ماشيًا، ومن مصر إلى الرملة، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبريـة، ومن طبرية إلى دمشـق، ومن دمشق إلى حمصـ، ومن حمص إلى أنطاكيـة، ومن أنطاكية إلى طرسوس، ثم من طرسوس إلى حمص، ومـن حمص إلى بيسان، ومـن بيسان إلى الرقة، وقبـل ذلك من واسط إلى النيـل، ومن النيل إلى الكوفـة، كل ذلك ماشيًا في سفره الأول، وسنه عشرون عامًا، وقد نقل عن غيره أكثر من ذلك».

١٠- وينبه رحمه الله طالب العلم أن يجالس طلاب العلم المبتدئين، الذين يحثونه على أن يبحث في المسألة إذا سألوه عن مسألة لايعرفها[2].

١١- ومن أهم وصاياه التي أخذها عن مشايخه الوصية بالتطبيق، لأن الإنسان إذا علـم ولكن أهمـل ولم يطبق ولم يعمل كان علمه حجـة عليه، يقول رحمه الله[3]: «فلابـد للعالم أن يكون قدوة، قدوة خير ولا يكون قدوة سوء، بل يحرص على أن يعمـل بـكل ما بلغه حتى في الأمور العادية، وإن لم تكن من العبادات، فإذا وردت في الشـرع يحرص عليها مثـل: أذكار النوم وكيفية النوم و أذكار الأكل ودعائه قبله وبعده والأكل بثلاثة أصابع، والأكل أول النهار سبع تمرات، ونحو ذلك».

---

(١) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=213&toc=8381&page=7310&subid=33206

(٣) قصتي في طلب العلم.

١٢- يوصـي رحمه الله كثيرا الطـلاب بمطالعة الكتب العلميـة، لأن إدامة قراءة الكتـب العلمية مفيدة جدًا، كما يوصـي بالتدرج في ذلك[1]، وقد عدد في مرات عديدة الكتب التي يوصي بها في فتاويه ودروسه ومحاضراته.

١٣- ويرى رحمه الله أن منافسة الأقران والمسابقة معهم وأيضا النقاش معهم من أهم الأسباب التي تساعد الطالب على طلب العلم والجد فيه، يقول رحمه الله[2]: «هذه الدروس جربنا أنها تخضع للمنافسـة، فنحن لما كنا في الرين قبل أن نأتي إلى هنا[3] نجد فتورا، وذلك لعـدم المنافس ولعدم المتسابقين، فأحدنا إنما يحفظ لرغبة، وليس هناك مسابقة ولا منافسة».

كانـت الوصايا السابقة هـي الأمور المنهجية المتعلقـة بطلب العلم التي استقرت في ذهن الوالد رحمه الله بعد مدة طويلة خاضها في طلب العلم، ثم مدة أخرى في بذل العلم وتعليمه.

ودعني الآن أتأمل معك بعض الوقفات المهمة من حياته رحمه الله تؤكد لك تطبيق هذا المنهج.

إن أول وصيـة ذكرها من وصايـاه لطلاب العلم التفرغ للعلم، ولقد كان هـذا الأمر بارزا في حياتـه رحمه الله، منذ أن كان شابـا إلى أن توفي رحمه الله، لم يشتغـل بالدنيـا وحطامها، لقد تعلق قلبـه بالعلم، يقـول رحمه الله إن بدايته في الصغـر بكتب الحديث كمـا تقدم أورثته شوقـا إلى كتابة الحديث، فحرص علـى اقتناء الكتب القديمة، التي يهتـم مؤلفوها بالأحاديث النبوية ويوردونها بأسانيدهـا المتصلة، كما أحب كل ما يتعلق بالحديث من كتب المصطلح وعلل

---

(١) حوار في مجلة البيان مجلة البيان العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٢) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٣) يريد الرياض لأنه لما جاء للرياض كانت المنافسة بين الطلاب شديدة وبخاصة مع زميله وصفيه الشيخ محمد بن قاسم رحمهما الله.

الحديث وكتب الجرح والتعديل ونحوها[1]، وحينما جاء إلى الرياض مع شيخه أبو حبيب وأسكنه مع بعض رفقائهم في بيت استأجروه لهم عرفنا أنه رأى هو وزميل معه أن يستقلا في منزل صغير لكثرة من يغشى الشيخ من الزوار الذين لا يتمكن معهم من المذاكرة، وعرفنا أيضًا أن أحزن ما أحزنه حينما سقط بيته بسبب المطر على دفاتره، التي قيد فيها علومه وفوائده، التي أخذها من مشايخه لم يفكر في المتاع ولا في غيره.

وكان شغفه بالعلم فوق كل شيء، ولهذا لم يكترث بكبر سنه حينما بدأ الدراسة النظامية وعمره خمسة وعشرون عاما، ولا حينما أخذ الماجستير وعمره قريب من الأربعين، ولا حينما أخذ الدكتوراه وقد قارب الستين[2].

وذكرت أختي هيا[3] أنه لما تزوج بعد وفاة أمي رحمها الله أن زوجته كانت تشعر بالفراغ في بداية زواجها منه، فلم يحدث لها ما يحصل للعرسان من تفرغ الزوج لعروسه، وسفره بها واستجمامهما معًا، لكن أحد أخوتي كلمها في الأمر، وقال: لقد كان هكذا مشغولًا في كتبه ودروسه حتى مع والدتنا رحمها الله، فلا تظني أنه زاهد بك، بل هذه طبيعة فيه.

وقالت أيضا: «دخل مرة علينا وقد فتحنا في المسجل شريطًا لأحد العلماء يشرح فيه أحاديث نبوية، فوقف وأنصت بكل جوارحه، وكأنه لم يسمع شرحًا لهذا الحديث من قبل».

فهو متعلق رحمه الله بالعلم بكليته، قد وهب نفسه لله ووقفها للعلم والتعليم.

---

(١) سيرته من موقعه الإلكتروني.
(٢) راجع ما كتبه الشيخ خضر بن سند.
(٣) مذكرات الأخت هيا.

ومـن المعالم والوقفـات المهمة التي طبق فيها رَحِمَهُ اللَّهُ مـا كان يوصي به الطـلاب الجد والاجتهاد في طلب العلم، وقد ذكرت ذلك في أثناء حديثنا عن حياة الطلب، ودونك شهادة الشيخ العلامة الدكتور عبدالله الركبان، وهو قد أشـرف عليه في رسالته للدكتوراه يقـول حَفِظَهُ اللَّهُ[1]: «عرفته قبل أربعين عامًا حينمـا تزاملنـا في معهد إمـام الدعـوة، وكان مثالًا للجـد والنشاط والصبر والمثابـرة»، ويقول: «شرفت بمزاملته حينما قدم لرسالة الدكتوراه، وعهد إليَّ بالإشراف على رسالته، وكان مثالًا لطالب العلم الجاد، الذي لا يكل ولا يمل».

وعرفنـا أن دروسه في وقت الطلب سواء حينمـا كان في الرين أو بعد وفوده للرياض، كانت تملأ يومه بعد الفجر وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء ،ولهذا كثرت دروسه لما بدأ التعليم، لأنه تعود على الدروس الكثيرة في شبابه[2].

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتحمل المشاق في سبيل العلم، وقد مر بنا الكثير من ذلك، فقد كان يذهب في الصباح مبكرا مشيًا على الأقدام للقراءة على شيخه صالح بـن مطلـق رحِمَهُ الله تعالى، الـذي يبعد مكانه حوالي سبعـة كيلومترات، ثمَّ يرجع في المساء ماشيًا، وقد تتعذَّرُ عليه العودة فيبيت عند شيخه أحيانا. وحجَّ مع شيخه ابن مطلق عام ١٣٦٩ هـ ولم يمنعه السفر ومشقَّته وتعبه من القراءة على شيخـه، يقول عن نفسه رحِمَهُ الله تعـالى: «وكان الطريق صحراويًا، ولا نستطيـع أن نسري في الليـل، ونتوقف في وسط النهار أيضًـا في القيلولة، وفي هـذه المدة نقـرأ عليه في وقت القيلولة، وكذلك في وقـت الصباح قبل الركوب وبالأخص في مناسك الحج»[3].

(١) قناة «دليل».

(٢) انظر رحيل العلماء خطبة جمعة للشيخ محمد المنجد موقع إمام المسجد.
http://www.alimam.ws/ref/1822

(٣) خطبة جمعة للشيخ سعد بن عبدالله الجبرين بعنوان الرزية والغمة في فقد عالم الأمة ٢٤ – ٧ – ٢٤٣٠ هـ.

وهو يرى أن الجد في طلب العلم وتحمل المشاق من أهم ما يبني الطالب، ويتأسف على كثير من الطلاب الذين لا مشقة عليهم ولا يطلبون العلم، ويذكر حالته قديما للطلاب لتشجيعهم يقول الشيخ محمد بن علي البيشي[1]: «لا زلتُ محتفظًا بكلمته الشجية الصادقة التي داعبت مسمعي، وشحذت همتي للعلم ونيل شهادة الدراسات العليا، إذ قال: (كنتُ ممن درس وكتب وذاكر ونسخ الكتب الكبيرة على ضوء الشمع، واليوم - ومع وجود الكهرباء - إلا أن الطلاب يتضجرون..)».

ولهذا تنوعت مشاربه وتعدد شيوخه، كما ذكرنا ذلك في الكلام عن شيوخه، فهم في مختلف الفنون كالحديث والتفسير والعقيدة والفقه واللغة والأدب وغيرها، ومن عدد من الأوطان غير المملكة: كمصر وسوريا واليمن والجزائر وموريتانيا ومالي وغيرها.

ومما يمكن أن يكون وقفة مهمة حرصه على مسابقة زملائه ومنافستهم مما أورثه جدًّا واجتهادا، وبخاصة المنافسة مع الشيخ محمد بن قاسم لتقاربهما في الذكاء والجد، وكذلك حرصه على المذاكرة والمناقشة لزملائه، يقول عنه الشيخ عبدالله الركبان[2]: «وكان شديد الحرص على محاورة زملائه وإخوانه في المسائل التي تجد».

وقد حصد بحمد الله ثمار جهده بعد تسديد الله وتوفيقه، مما لايخفى على القارئ، حتى قال الدكتور عبدالله الركبان وهو مشرف رسالته في الدكتوراه[3]: «أحسب أن الكثيرين ممن عنوا بالتحقيق، وخاصةً بالنسبة لتخريج الأحاديث كانوا عالة عليه، لأنه بذل في تخريجها من مختلف أمهات

---

(١) مقالة بعنوان وفي البقية خير موقع لجينيات
http://lojainiat.com/index.cfm?do=cms.conPrint&contentid=7823

(٢) قناة «دليل».

(٣) قناة «دليل».

الكتب، سواء كان ذلك من الصحاح أو من السنن أو من المسانيد أو من غيرها، بـذل جهدًا لا أظن أن أحدًا سبقه إلى مثل ذلك، وهذا الكتاب من أكبر الأدلة على ما كان يتصف به رَحِمَهُ اللَّهُ من تميز علمي».

ومـع هذا كان مثالا للطالـب الجاد المتعاون مع مشرفـه، كما يقول عنه مشرفـه[1]: «كان جزاه الله خيرًا من أكثر الطـلاب الذين شرفت بالإشراف عليهـم: انضباطًـا ومتابعـةً ومناقشة فيمـا يطرح، وكنت أتفـق معه في بعض الأمـور، وأختلف معـه في أمور أخرى، ومـا كان ذلك ليغير مـن مواقفه، كان جـزاه الله خيرًا كثيرًا ما يقدر وجهة النظر التـي أطرحها، لكن لا يعني ذلك أنـه يسلم بهـا، أختلف معـه وأحتفظ برأيـي ويحتفظ برأيه، لكـن كان مثالًا لطالب العلم المؤدب على الرغم من علو مكانته وطول باعه في مسائل العلم».

أمـا فيما يتعلـق بمنهجه في التعليـم فقد عمل الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليم سنـين عديدة يمكن أن تصل منـذ أن تفرغ للتعليم بعد انتهى من الطلب قريبا من خمسين عاما، ولا ريب أن هذه السنين الطويلة سيكسب الإنسان منها دربة، ويكـون خلالها منهجـا عمليا مع مـا يكتسبه من معلومـات نظرية عن طريقة التعليـم ومنهجـه، وحيث سبـق أن تكلمنـا بالتفصيل عن قيـام الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بالتعليـم تحت عنـوان المدرس المتفنن، وذكرنا هناك بعضـ القضايا المنهجية عنده رَحِمَهُ اللَّهُ في مجال التعليم، فإننا سنشير هنا لبعض ما لم يذكر هناك.

فكثيرًا ما يستشهد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في شروحه ببعض الفوائد والأشعار النادرة، التـي حفظها من بطون الكتب والتي ربما احتـاج الباحث وطالب العلم للبحث عنها وقتًا طويلًا، وذلك ليضفي على الدرس حلاوة وطلاوة، ومن ذلك قوله:

(١) قناة «دليل».

والحركـة التي يُجتذب بها بشمـه بأنفه، ثم بدفعه بنفسه، هذه لا يمكن كتابتهـا، لذلك قالـوا: إنها من الحركات التي تنقـل بالسماع، وفي ذلك يقول بعضهم:

مــررت ببقـال يـدق قَرَنـفـلاً ومسكًا وكافورًا فقلت له: (...)[1]

فقال لي البقـال: رد قرنفلي ومسكي وكافوري فقلت له: (...)[2]

ومـن ذلك قوله: إن كسـب الأموال وجمعها ليس بطريقـة الذكاء ولا العقل ولا الاحتيال، ولكن بالأسباب مع التوفيق؛ ولذلك يقول الشاعر[3]:

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بتخوم أقطـار السمـاء تعلقي

لكن من رُزق الحجا حُرم الغنا ضـدان مـفـترقـان أي تـفـرق

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[4]

ومن ذلك قوله: إن الفقراء وعوام الناس يحترمون أصحاب الأموال ويجلّونهم ويرون لهم قدرهم، وهذه طبيعة في المخلوقات والناس عامة يميلون إلى ذلك، قال بعضهم[5]:

رأيـت الـنـاس قـد مـالـوا إلى مـن عـنـده مـالُ

رأيـت الـنـاس قـد ذهـبـوا إلى مـن عـنـده ذهـب

رأيـت الـنـاس منفضـة إلى مـن عـنـده فـضّـة

(١) هنا استنشق الرائحة، أي: اجتذب رائحة القرنفل والمسك والكافور، وحركة الاستنشاق هذه لا يمكن كتابتها، وإنما هي تنقل سماعًا؛ كما ذكر الشيخ رحمه الله.

(٢) كتاب إبهاج المؤمنين بشرح منهج السالكين، لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله: (٨١/١).

(٣) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=51&page=2467

(٤) نسبها في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/ ٥٣ للشافعي المكتبة الشاملة.

(٥) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=51&page=2467

ويقول آخر[1]:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى ... وكل غني في العيون جليل

إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبت ... إليه ومال الناس حيث تميل

وليس الغنى إلا غنًى زيَّن الفتى ... عشية يَقْري أو غداةُ ينيل

ومن ذلك قوله[2]: «ولكن ننصحك يا أخي أن تقلع عن هذا الدخان؛ فإنه مرض وضرر؛ ضرر متحكم، وضرر شديد، فَتَّاكٌ بأهله، يُحْدِثُ أمراضا خطيرة؛ حتى قيل:

سرطانُ سُلٌّ والسعال وسكتةٌ ... وسُكَّرُ أسقام تنشأ عن التتن

وقال آخر:

تَبًّا لشاربه كيف المقام على ... ما ريحه يشبه السرجين من عطن؟!

السرجين: هو زبل البهائم بل أشد! فتب إلى الله، وتركه يسير، ولكنه يحتاج إلى قوة، ويحتاج إلى عزيمة؛ فإذا أردت التوبة عنه فاتركه مرة واحدة، ولا تقل: أتركه بالتدريج، فإن ذلك لا يفيد».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحرص على كتب معينة، ويحب شرحها دائمًا لأهميتها ونفعها، ففي العقيدة كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان يقول عنه رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «فإنه لم ينسج على منواله، ونحب من كل طالب علم أن يحفظه ويحفظ أبوابه، وكذلك يطالع شروحه التي قد كثرت وتنوعت»، وقد شرحه الشيخ عدة مرات، ثم تم طبع إحدى الشروح بعنوان «السبك الفريد شرح كتاب التوحيد»، وقد راجعه رَحِمَهُ اللَّهُ وزاد عليه كثيرًا.

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=51&page=2467

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=7&book=226&page=7778.

(٣) انظر لهذا وما بعده مما يتعلق بالكتب قصتي في طلب العلم محاضرة جامع الصانع.

وفي الحديث كتاب مختصر صحيح مسلم للمنذري، فكان رحمه الله يوليه اهتماما، ويعلل بأنه كتاب مختصر، وأنه سلم من التكرار، وكذلك كتاب جامع الأصول؛ لأنه جمع الصحيحين والسنن الثلاث والموطأ.

وفي الفقه كتاب منار السبيل، فكان رحمه الله يرى أن على طالب العلم الاعتناء به، فهو من المختصرات ومؤيد بالدليل، فيستفيد منه المتعلم كثيرًا، وكان ينصح بمطالعة تخريج أحاديثه إرواء الغليل للعلامة الألباني رحمه الله، وقد شرحه الوالد رحمه الله أكثر من مرة.

وأما الكتب التي يرى أنها مفيدة لطالب العلم، فيقول[1]: «أفضل الكتب على الإطلاق القرآن الكريم، ثم ما خدم به القرآن، وهي كتب التفسير، مثل تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، وابن كثير، والشوكاني، وابن سعدي، ونحوها من تفاسير أهل السنة، وسلف الأمة، ثم كتب الحديث كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، وكذا كتب علوم الحديث المختصرة والمبسوطة، كالنخبة، والبيقونية، ومقدمة ابن الصلاح، والتقريب، والتدريب، ثم علوم التوحيد، كالسنة للإمام أحمد، ولابنه عبد الله، والتوحيد لابن خزيمة، وابن منده، ونحوها، ثم كتب الفقه وما يتصل بها.

وقد بدأت بقراءة آداب المشي إلى الصلاة، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبعده كتاب زاد المستقنع، وشرحه الروض المربع، وبلوغ المرام، وشرحه سبل السلام، والآداب الشرعية، وشرح ابن رجب للأربعين ونحوها».

وكان رحمه الله يحفز الطلاب ويشجعهم عبر عدد من الأساليب التي تشعر الطالب بانسجامه مع العلم وقدرته على الترقي في سلمه.

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=25&page=1095

نقلنا عن الشيخ رضا أبو الفتوح من مصر أن الوالد رحمه الله سأل الطلاب في الدرس سؤالا ففتح الله عليه وأجاب، فقال له الوالد رحمه الله: أحسنت بارك الله فيك أنت مصري طبعًا؟، فقال: نعم، فقال له رحمه الله: هكذا المصريون.

أثرت هذه العبارة فيه جدًّا، ولهذا قال في مداخلة له مع قناة الناس[1]: «الشيخ كان يحب مصر جدًّا جدًا جدًا، أهل مصر المفروض يعرفون الشيخ ويقرءون عن الشيخ، لأن الشيخ رحمه الله كان يكن في صدره لأهل مصر حبًّا وشغفًا، وكان يحترم الطلاب المصريين».

ويقول الشيخ محمد حسان الداعية المصري المعروف، وقد درس عليه مدة طويلة [2]: «جلست بين يدي الشيخ في بيت الله الحرام قبل وفاته رحمه الله بأشهر قليلة، وقلت: يا شيخنا انصحني؟ ابذل لي النصيحة؟.

فقال لي كلامًا عجيبًا، قال لي: أحمد الله الذي نفع بك، وأسأل الله أن يديم النفع بك، ووصيتي لك: ألا تكف عن البلاغ بالحكمة والرحمة والموعظة الحسنة، وقد رأينا ثمرة هذا المنهج بفضل الله، ويبلغني كثير من الطلاب والدعاة الخير الكثير».

ويقول الشيخ عبدالوهاب الطريري أحد تلاميذه القدماء[3]: «الشيخ مرب، لا أذكر في المجالس التي جلستها معه متعلمًا إلى آخر لحظة من حياته أني وصلتني رسالة سلبية، وإنما الرسائل التي يوصلها إليك دائمًا رسائل إيجابية محفزة.

---

(١) قناة «الناس» برنامج التبيان.
(٢) قناة «الرحمة».
(٣) قناة «المجد».

يشعر الطالب بأهميته، يشعره بقدرته على التحصيل، يشعره بأنه قطع مسافة وعليه أن يواصل، لا يمكن أن تصل منه رسالة سلبية تشعرك بأنك غير لائق.

لا أزال أذكره رحمه الله عندما انفض مجلس الدرس أول ما بدأت أقرأ عليه، أمرني أن أنتظر، فتفرق الطلبة، فلما جلست أخرج أوراقا، وقال: أنت يا عبدالوهاب قراءتك جيدة، أود أن نقابل أنا وأنت هذه الأوراق.

وبدأ يمدح قراءتي، طبعًا أنا عرفت فيما بعد أن قراءتي أضعف من قراءة غيري، لكن كانت هذه رسالة إيجابية، أنعشتني ودفعتني في مسار التحصيل».

فالتشجيع والتدريب منهج مفيد لطلاب العلم، وبخاصة إذا أحس الشيخ من طلابه نجابة ونبوغا.

ومما تميز به وعرف رحمه الله توطئه كنفه لطلابه واحترامهم وتقديرهم ومشاركتهم في لقاءات بعيدة عن الجو العلمي.

يقول الشيخ إسلام دعدوشة من مصر، وهو ممن درس عليه رحمه الله[1]: «كان أمثولة رحمه الله تعالى وأعجوبة، كان طلاب العلم حوله يعزمونه في نزهات وفي بيوتهم، فلا يستنكف أبدًا ويذهب ويلقى الإخوة ويداعبهم».

ويقول الشيخ عصام العويد[2]: «ومن تلك المجالس أننا زرنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، فوالله ما رضي شيخنا ابن جبرين أن يدخل حتى أتيت، قال: انتظروا عصام مع أني لست من الطلاب الكبار، لكنه يتعبد لله بتحبيب العلم لقلوبنا، وكل مجلس نأتي فيه يبدأ يعرف بنا واحدا تلو الآخر».

---

(١) قناة «الناس» برنامج التبيان.

(٢) قناة «اقرأ».

ويقـول الشيـخ حمـاد الحمـاد[1]: «قد رأيتـه رَحِمَهُ اللَّهُ يترفق بمـن يقرأ عليـه في درسه فقد يخطئ، فـكان لا يبادره بالتصحيح، فكان يعطيه الفرصة ليصحـح لنفسـه، أو يصحح له بقيـة الطلبة، كل هذا رفقًا بمـن يتلقى العلم عليـه، وقـد كان أحدهم يقرأ عليـه في درس الفجر يومـي الخميس والجمعة في التفسـير، فـكان لا يحسـن قراءة الآيـات، ومع هـذا كان الشيخ يصبر ولا يستعجل في تقويمه، رغبة في تأليف قلبه، وتثبيته على الاستقامة».

ويقـول الشيـخ فهاد القحطـاني: «أحيانا يشـكل عليَّ مسألـة عقدية أو فقهيـة، فـلا يجيبني بل يهدي إليَّ كتابا، و يقول لي: اقرأ هذا، و سيجيب على سؤالك، و هذا ديدنه مع طلابه».

ومن معالم منهجه الذي يطبقه على طلابه ويوصيهم به التدرج في العلم والمنهجيـة في الطلب والبداءة بصغـار العلم قبل كبـاره، ومباديه قبل خوض غمـاره، وقد ذكرت هذا في منهجه في طلـب العلم، ومن المواقف له رَحِمَهُ اللَّهُ في هـذا يقول الشيخ إسلام دعدوشة[2]: «في بدايـة طلبنا للعلم عند الشيخ بدأت بكتـاب شـرح العقيدة الطحاوية، فمـا فهمت شيئا، فظننـت أن العلم صعب، فبعد الدرس قلت للشيخ: ظللت تتكلم عن كذا وكذا وأنا ما فهمت، فلعلي أترك العلم، لأني لا أستطيع فهمه.

فقال: يا بني هل درست كتاب التوحيد؟، هل درست الأصول الثلاثة؟.

قلت: لا.

قال: العلم رتب وسلالم، لابد من منهجية، اذهب فادرس أولًا ذلك، ثم تأتي بعد ذلك.

---

(١) .http://www.alriyadh.com/2009 /07 /24/article447102.print

(٢) قناة «الناس» برنامج التبيان.

ثم عهد إليَّ بأحد الطلاب درست معه هذه الأشياء، وفعلًا انتفعت جدًا بمسألة المنهجية، فكان يحض الطلاب ويشجعهم، ويوطئ لهم كنفه، مما غمر الطلاب جميعًا بهذا الفضل».

وكان أحيانا يسأل الطلاب ليجدد الحياة في الدرس، وإن لم يكن ذلك كثيرا وغالبا يكون في الدروس قليلة العدد، وقد ذكرت من قبل ما ذكره الشيخ رضا أبو الفتوح، وذكرت به قريبا من سؤال عن آية في القرآن: حرمت الخمر في حالة دون حالة، وفي آية حرمت الخمر في وقت دون وقت، وفي آية حرمت الخمر تحريمًا نهائيًا، وفي آية أحلت الخمر.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ يدرب الطلاب دائما على التعليم والدعوة وغيرها، وقد ذكرنا غير مرة أنه يأمر غيره بإلقاء كلمة أو موعظة بحضوره، وأنه يكلف من معه أن يخطب كل منهم في مسجد في يوم الجمعة، ومما يرويه الشيخ عصام العويد حَفِظَهُ اللَّهُ قال[1]: «جلست معه في مجلس، وكان المجلس ممتلئًا جدًا، فقلت للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: أحسن الله إليكم يا شيخ عبدالله الإخوة متشوقون لموعظة منك.

فقال: يا إخوان معنا واعظ اسمه عصام، ثم طلب مني الكلام».

ومن منهجه في التعليم التطبيق العملي أمام الطلاب في الأشياء التي تحتاج إلى تطبيق، فكان يمثل بيديه أو يطبق، أو يأمر أحد الطلبة بذلك كبعض أحكام الصلاة وغيرها.

وهو قد ذكر عن شيخه أبو حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يمتحنهم، فمثلًا بعد خمسة أيام يسألهم: ماذا قلنا في الموضوع الفلاني؟.

---

(١) قناة «اقرأ».

ويقول للطالب: قم واضرب لي مثل التورك في الصلاة كيف يكون؟.

و ما هي مواضع رفع اليدين في الصلاة؟[1].

وبالجملة فقد كان رحمه الله حريصا على إيصال المعلومة للطالب بجميع الوسائل، وإن كان يغلب على دروسه الشرح النظري المسترسل المفصل.

والنقطة الثالثة التي وعدت بالحديث حولها هي منهجه في التعامل مع المشايخ وطلاب العلم، ولا شك أنه رحمه الله تعلم من مشايخه العلم والأدب، فجاء تعامله مع هذه الفئة ترجمة للتربية التي تلقاها من أولئك المشايخ الأفذاذ.

فلو تأملت تعامله مع شيوخه من حيث تقديره واحترامه لهم، ومن حيث الوفاء لهم لرأيت عجبا، يذكر الشيخ عمر العيد في مداخلة له مع قناة دليل أن الوالد استضاف في بيته سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحم الله الجميع، وأنا أذكر هذا اللقاء، يقول الدكتور عمر: «والله رأيته كالطفل الصغير بين يدي ابن باز، ما أن يناديه إلا ويأتي مهرولا، لا أقول يمشي، بل مهرولًا، يصغي إلى الشيخ ماذا يريد؟».

وينقل الشيخ أحمد المهنا[2] عنه أنه قال عن ابن باز رحمهما الله: «لو أكتب جميع ما أعرفه عنه بخلاف الآراء، يعني آراء الشيخ، يعني عن حياته، لبلغت ثلاثة مجلدات».

وقد كتب بحثا عن الشيخ شارك به في المؤتمر الذي عقد في جامعة الملك خالد عن جهود الشيخ ابن باز في الدعوة إلى الله.

(١) مداخلة للشيخ المنجد في قناة الرحمة.

(٢) لقاء مع الشيخ أحمد المهنا بعنوان: الإمام الراحل.

ولما توفى الشيخ ابن باز صدم الوالد كثيرا، فالشيخ ابن باز يجل الوالد والوالد يجله ويعده أبًا ولا يرد له طلبًا، وفي اليوم الذي مات فيه الشيخ ابن باز توفيت عمتي أخت الوالد، ومع ذلك آثر أن يذهب ويصلي على جنازة الشيخ ابن باز وحين عاد صلى على أخته في قبرها[1].

ويذكر الشيخ خضر بن سند أنه كان يراقب دفن جنازة الشيخ ابن باز يقول[2]: «كنت أشاهد المنظر من خارج المقبرة على أطم صغير جلست على حافته مثل المئات غيري.

خرج الناس وبقي شيخ نحيل الجسم، مصقول الوجه ذو لحية بيضاء نقية، أمام الألوف المؤلفة بقي هذا الشيخ وحده وها هو يقف على القبر، رافعًا يديه ودموعه تسيل على خديه، وهو يدعو لصاحب القبر، وذهب الناس وذهبت المواكب الرسمية، وفتحت المقبرة، وبقي هو قائمًا يدعو لحبيبه دون أن يتحرك أو يتأفف من حر الشمس، لم يكن الشخص غريبًا على الناس فهو ابن جبرين، كان المنظر مؤثرًا مثل تأثير الجنازة نفسها، إنه صادق في حبه، وصادق في وفائه، وصادق في تعامله».

وبعد وفاة الإمام عبدالعزيز بن باز ألقى محاضرة عن سماحته، وبكى ذلك المساء، وأبكى كل من في المسجد[3].

لقد كان وفيا مع جميع مشايخه ولكن لأن الشيخ ابن باز مات متأخرا جعلتنا نطلع على هذه المواقف، وإلا فإنه كثيرا ما يذكر شيخه أبو حبيب عبدالعزيز

---

(١) http://www.alyaum.com/issue/article.php?IN=13181&I=690852&G=2.

(٢) مقالته التي كتبها قبل وفاة الوالد رحمه الله بشهر http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=175729.

(٣) الإمام ابن جبرين أسرار و مواقف و حكايات تنشر لأول مرة..!! عمرو بن أحمد الضبمان http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.



الشثري رَحِمَهُ اللَّهُ، ويعدد مناقبه، ويروي أخباره، وقد قدم لترجمته التي أخرجها حفيده الدكتور محمد بن ناصر الشثري، كما أنه يزور أبناءه في كل شهر.

كما يذكر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويكثر من الثناء عليه والدعاء له، وقد ألقى عن سيرته محاضرة ذكر فيها أخباره وآثاره المباركة على العلم وأهله في المملكة، وحرص على حضور مناقشة لرسالة علمية بعنوان: «اختيارات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في العبادات والمعاملات عدا الطهارة»، لأنها تتحدث عن شيخه، وكانت قبل مرضه الأخير بشهر[1].

وأما غير شيوخه من زملائه وأقرانه من علماء العصر وطلاب العلم، فكان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا يقدرهم ويحبهم ويحب لهم الخير، ولم يعرف أنه حسد أحدا على منصب أو مرتبة نالها وإن كان هو أحق بها منه.

ولا أريد أن أفصل في هذه النقطة فهي واضحة، والتفصيل فيها قد يجرح أحدا، وهذا ليس من مقاصد هذه السيرة.

ويشهد له الناس بحبه للبعد عن العيب والتجريح لطلاب العلم، يقول الدكتور محمد العريفي[2]: «لا أذكر يومًا أنه ذكر أحدا من العلماء بالثلب أو بالسب أو تنقصه، قرأنا مرةً كتابًا وجاء فيه بعض النصوص، تتكلم عن أحد العلماء السابقين، وفيه ذم لعقيدته، فسكت الشيخ قليلًا رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء شرحه للطلاب، ثم قال: لا أظن أن هذه النصوص تثبت عن هذا العالم، وبدأ يذكر فضائله، حتى لا يقع في قلوب الطلاب شيء نحو هذا العالم».

(١) مقالة للدكتور سعد بن مطر العتيبي في موقع الألوكة .aspx.7065/http://www.alukah.net/articles/67

(٢) قناة «بداية».



ويقــول الدكتور سلمــان العودة[1]: «من سمات الشيـخ وأصوله ومنهجه التربوي الذي يربي عليه الآخرين، أنك لا تجد في كل ما كتب الشيخ إلا الثناء علـى الأئمـة والإشادة بهم ومحبتهـم والنقل عنهم، هذا جانـب معروف عن الشيخ رحمه الله».

وكان مع ذلك محبًا لأقرانه وزملائه، يقول الدكتور عمر العيد[2]: «كنت ألتقي معه كثيرًا، فإذا رأى القرين أسرع يقبل رأسه، وكنت أعجب من العلماء، كل يسارع لتقبيل رأس أخيه محبةً ومودةً وفرحًا وأنسًا وتقديرًا للعلم الذي حمله كل منهم، مع وجود المخالفة ربما في بعض الفتاوى، وربما في بعض المسائل».

ويقول الشيخ عصام العويـد[3]: «زرنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعـالى، فلما فتح الشيخ ابن عثيمـين الباب جاءه الشيخ عبد الله ووقف على رؤوس أصابعــه، وقَبلَ رأس الشيخ ابن عثيمين، ولما جلسنا ما رأيته وضع ظهره في المسندة تأدبًا مع الشيخ محمد».

وهــو يثني على قرينه حتى لو كان مخالفا لــه في بعض المسائل، فمعلوم أن بـين الشيــخ الألباني وبين الوالـد في طائفة من مسائل الفقــه خلافًا، ومع هذا لما سئل عنه قــال فيه[4]: «الشيخ الألباني رحمه الله قد خدم السنة، واعتنى بالأحاديث، وبين الصحيح منها والضعيف، وفي ذلك تسهيل على القراء، حتى يميزوا تلك الأحاديث».

---

(١) قناة «دليل».
(٢) قناة «دليل».
(٣) قناة «اقرأ».
(٤) الفتوى رقم ١٤٤١١.

ويقـول الشيخ عبدالله بن محمد الحربـي[1]: «بعثت منذ ثلاث سنوات إلى سماحة الشيـخ رحمه الله رسالة صغيرة الحجم كبيرة المحتوى، تتحدث عن سيرة شيخنـا سماحة الشيخ العلامة الوالد عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله ورعـاه وألبسه ثوب الصحة والعافية، فقـرأ الرسالة وأعجب بها، وكتب بخط يده، يثني على الشيخ الثناء العاطر والكلام النوراني، الذي لا يمكن أن يقوله إلا عـالم منصـف، وقـال في نهاية تقديمه الـذي كتبه لسـيرة علامة الكويت قال: (وكـم كنت أتمنى أن ألتقي بهذا الشيخ الجليل..) يقصد شيخنا الوالد عبدالرحمن عبدالخالق».

ومع أن الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي كان من المعارضين بشدة لفتواه في حـزب الله، ولكنه مع ذلك فقد وقع الوالد رحمه الله مع تسعة وعشرين عالما، من السعودية والدول العربية والإسلامية، بيانًا نصر فيه القرضاوي[2].

وأذكـر لـما كنا بمكة قبل مرضـه بشهر في مؤتمر الفتـوى، وكان حضره كثير من علماء العالم الإسلامي، وكثير منهم له مخالفات مشهورة، ومع هذا كان يتلطف معهم ويبتسم لهم.

وهو يفعل هذا المسلك مع طلابه ومن في طبقتهم، فقد كتب تهنئة لمعالي الشيـخ صالـح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيـم آل الشيخ لما تولى وزارة الشـؤون الإسلامية والأوقاف والدعـوة والإرشاد، وقد كان من طلابه: «نسأل الله أن يكتـب لمعاليكم التوفيـق والسداد في مهام عملكـم الجديد، وأن يكون عونًـا لكم في قيـادة هذه الوزارة لما فيه مصلحة هـذا البلد المبارك ومصلحة أبنائه، ولخدمة الإسلام والمسلمين».

(١) http://lojainiat.com/index.cfm?do=cms.author&authorID=1444.

(٢) http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=315966.



ويقـول الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس[1]: «كنت أتجاذب أطراف الحديـث معه في مسائل علمية، وقضايـا واقعية، أذكر منها على سبيل المثال: موقفـه المؤيد والداعـم لدعاء ختم القرآن، خلافًا لما يـراه بعض طلبة العلم، فـكان رحمه الله يشجع ويشد من الأزر، وكنت أقول له: بعض طلاب العلم له رأي في المسألـة، فكان يقول: دعـك منهم، وسر على ما سار عليـه جمهور السلف والخلـف، ومـا سار عليه علماؤنـا رحمهم الله كسماحة الشيخ محمد بـن إبراهيم، وسماحـة الشيخ عبدالعزيز بن باز، فهـم أعلم بالدليل وأشد تمسكًا بالسنة، ويقول: إني لأعجب ممن يحرم نفسه دعوة المسلمين واجتماعهم، ويصر على مخالفتـه، حتى إنـه كان يحرص علـى الاطمئنان كل عام علـى دعاء الختم، ويقول: لا نريد إلا الشيخ عبدالرحمن، فرحمه الله».

وأهـداه الشيخ أحمد بـن عبدالعزيز الحمدان كتابا له فكتب له قائلا: «فلقد وردنـا خطابكم المؤرخ في ١٤١٩/٥/٣هـ والمشفـوع به الجزء الرابع من كتـاب دليل مكتبة المـرأة المسلمة، وقـد أعجبنا ماحواه مـن التعريف بالكتب التـي تهم المرأة المسلمـة، وماختمتموه به من مسرد للبحـوث المنشورة بمجلة البحوث».

وقـد ترجـم رحمه الله لعدد مـن المشايخ في دروسـه، فكان إذا تـوفي أحد أو جـرى ذكـره ولو كان حيا أو ميتـا، ذكر ما يعرفه عنـه، وأثنى عليه، وممن ذكرهم في دروسه[2]:

١- ناصر الدين الألباني.

٢- محمد بن إبراهيم.

٣- عبدالعزيز الشثري.

---

(١) من مقالة للدكتور عبدالرحمن السديس بعنوان وانفرط العقد الثمين .http://www.al-jazirah.com/147571/fe1.htm

(٢) رتب هذه القائمة الشيخ علي أبو لوز.

٤- عبدالرحمن السعدي.

٥- محمد الشنقيطي.

٦- عبدالرحمن بن قاسم.

٧- محمد بن عباد.

٨- إبراهيم بن حركان.

٩- عبدالعزيز ابن باز.

١٠- محمد ابن عثيمين.

١١- عبدالرزاق عفيفي.

١٢- عبدالرحمن الدوسري.

١٣- عبدالله بن قعود.

١٤- بكر أبو زيد.

١٥- محمد بن قاسم.

١٦- عبدالله الجار الله.

١٧- عبدالله الخليفي.

١٨- صالح بن غصون.

١٩- صالح الأطرم.

٢٠- عبدالعزيز السلمان.

٢١- عبدالرحمن عبدالخالق.

٢٢- عمر بن سبيل.

٢٣- سفر الحوالي.

٢٤- سلمان العودة.

٢٥- ناصر العمر.

٢٦- عايض القرني.

ومـن نماذج حديثـه عن المشايخ أنه طلب منه بعض الإخوة في مجلس في حائـل أن يتحدث عن شيخه ابن باز يقول من سأله[1]: «انطلق في الحديث وبدأ يذكـر بعض المواقف مع الشيـخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وكيـف كان منهجه في الدعوة، وكيـف أنه يجمع الدعاة شهريًـا، ويعرضون عليه المستجـدات، وقد اقترح ندوة شهريـة في الجامـع الكبير للدعاة، ويعلق الشيخ بعد كل نـدوة، وكان غالبًا يؤكد كلام المشايـخ، وذكـر الشيخ أنه ذات مرة قال في إحدى الندوات أن صوت المرأة عـورة، ثم بعـد الندوة علق الشيخ ابن باز، وذكر أن صوت المرأة ليس بعورة، لأن النهـي عن الخضـوع بالقول، يقول الشيـخ ابن جبرين ثم ذكرت لـه رأيي وأني أرى أنـه عورة، لأن المرأة نهيت عن الأذان، وإذا حزبها شئ في الصلاة تصفق، والرجال يسبحون، كل هذا وغيره دلالة على نهي المرأة أن تسمع صوتها للرجال..

وذكـر بعض الطرائف عن الشيخ ابن بـاز، وأنه ذات مرة تناقشوا حول الدجـاج المستورد، ثـم عندما دخلوا للغداء عند الشيـخ وضع دجاج، وقال: لا تخافوا هذا دجاج وطني مذبوح على الطريقة الإسلامية».

وتحدث عـن ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فقال[2]: «الشيخ ابن بـاز قدوتنا، كلكم أو أكثركـم يعرفـون أعماله ومواظبته علـى الأعمال ومواظبته علـى السنة، من ذلـك أنـه إذا قدم من سفـر يبدأ بالمسجـد فيصلي ركعتـين ولا يخل بذلك، والمسجـد الـذي كان يؤمه كان قديمًا، المسجد الجامـع الكبير، ولما هدم صار يصلـي في الجامع الذي قـرب منزله، أو المسجد الذي قـرب منزله، ولا يخل بهـذه العادة، ولا يضيع عليه مجلس، إلا أن يستغلـه بالعلم أو بالقراءة، وهذه مـن أكبر الفوائد وأكبر الأعمال، كذلك أيضًا من عمله بالسنة أنه كلما توضأ يصلي ركعتين سنة الوضوء».

---

(١) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3

(٢) قصتي في طلب العلم.



وتحـدث عن الشيخ عبد الرحمن السعدي فقال[1]: «لا أعرف أنني قرأت عليـه ولا رأيته، وذلك لأنه في القصيم ومات بعدمـا جئت إلى الرياض بثلاث سنـين، أي مـات في سنة ٧٦، ولم يـأت الرياض وأنا فيـه، إلا أن ولده عبد الله كان في الرياض، وكان ذا تجارة، وكان يطبع كتب أبيه ويوزعها بكميات، فكنا نستفيد من كتبه: كتابه المشهور أولاً: «تيسير اللطيف المنان في اختصار تفسير القـرآن» والثاني: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» وكذلك أيضًا كتب طبعت قديما واستفدنا منها كثيرًا، وأعجب ما أعجبت به كتابه الذي سماه الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون الفاخرة. فإنه كتـاب نفيس، وكذلك أيضًا كتابه الذي سماه إرشـاد أولي البصائر والألباب لنيـل الفقه بأهون الطرق وأيسـر الأسباب. مرتب على السؤال والجواب، وقد استفدنا من هذه الكتب، بعضها قبل أن آتي الرياض، واستفدنا منه في الرين وفي القويعيـة، وبعضهـا أخذناه بعـد أن جئنـا إلى الرياض مـن توزيع ولده، وأصبنا بموته قبل أن نراه».

وتحدث عن شيخه أبو حبيـب، فقال[2]: «في حدود سنة ١٣٦٥هـ أصيب بـألم في بصره، وفقد إحدى عينيه، ولما فقدهـا خاف أن يفقد البصر، فأكب علـى القراءة، قراءة الكتـب بنفسه، لأن التلاميذ عنده قليـل يقرؤون في أول النهار وفي آخره ولكن طوال الوقت هو يقرأ.

كذلـك أيضًا قراءته للقرآن، أدركته أحيانًا يختم القرآن كل يوم أو على الأكثر كل ثلاثة أيام».

---

(١) قصتي في طلب العلم.
(٢) قصتي في طلب العلم.



وتحدث عن قرينه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فقال[1]: «كان أبرز طلاب الحلقة الذين قرأنا معهم على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، فكان هو الذي يقرأ على الشيخ المتن والشرح، حيث كان يهتم بحفظ المتون مع أن في زملائه من هو أكبر منه سنًا، وأقدم منه تعلمًا، ولكن رزقه الله صدق الرغبة، ومحبة العلم، وحسن المُعتقد، والتربية الصالحة على يدي والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك رزقه الله قوة الذاكرة وسرعة الحفظ والانتباه للأخطاء والمخالفات».

وتحدث عن الشيخ حمود التويجري فقال[2]: «كان شيخنا الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الربانيين، طلب منه أن يجلس للطلاب فاعتذر وفضل الكتابة والتأليف، ورأى أنها هي التي تبقى، وهي التي ينتفع بها».

وقال عن الشيخ عبدالرحمن الدوسري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [3]: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ موفقًا في خطبه».

والنقول في هذا لو أردنا الاستطراد كثيرة، ولكن المقصود التمثيل، ولعلي أختم الحديث عن منهج الوالد في طلب العلم ببعض ما وجدته له رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكريات في أيام طلبه للعلم، وهي وإن كانت ليست من صميم المنهج، إلا أنها تعد إطارا لهذا المنهج الذي أنتج فحول العلماء.

يحكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معاناة طلاب العلم في ذلك الزمان، فيقول[4]: «لقد كان طالب العلم في أول القرن الماضي يغيب عن أهله سنة أو عدة أشهر، لا يأتيه

---

(١) الفتوى رقم ٧٦٢.

(٢) تجربتي في طلب العلم.

(٣) تجربتي في طلب العلم.

(٤) قصتي في طلب العلم.

خـبر منهم ولا يأتيهـم خبره إلا بعد أشهر، بواسطـة وريقات يكتبها يخبرهم بحالتـه، ويكتبون له أيضًا يخبرونـه، وهو في هذه المدة عاكف على طلب العلم وعلى الحفظ وعلى أخذ العلم من المشايخ، يسهرون الليل على الحفظ مع قلة ذات اليد ومع الحاجة الشديدة، حتى ذكر أن أحدهم يبيت طوال الليل ينسخ الكتـب، وليس هناك مطابـع ولا آلات تصوير، وإنما ينسـخ بقلم من القصب والحبر يصلحه ويطبخه بنفسه، ويضعه في شبه علب، ثم يغمس القلم ويكتب كلمتـين أو ثلاث كلمات، ثم يغمسه ثانيا ويكتب، وهكذا طوال ليله، ولا يملون، وذلك لأن لهم هممًا عالية ولهم رغبة أكيدة».

ويقـول عن الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ وتعليمه لهم[1]: «أحيانـا لا يتيسر لنا السراج الذي نقرأ عليه، لأنه يوقد بوقود القاز المعروف، وقد لا يتيسر، فأحيانا نظهر عند الباب في ضوء القمر، ونجلس في أرض ترابية لينة، ثم إنه يختبرنا ويخبرنا ببعض المسائل ويعلمنا، يجلس معنا نساء مـن الأقارب، فإذا سمعن ضُرب زيد، ضَرب زيد عمرا، ونحو ذلك استنكرنه، ولكنه يكرر ذلك لأجل الإفهام».

ويذكر حال طلاب العلـم أول مقدمه للرياض، وما يجدونه من المشقة، يقـول رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «أتذكر عندما جئنا إلى الرياض سنـة أربع وسبعين أنه كان هناك رباط مبني في دخنة، قد بنته الحكومة، وجُعِلَ سكنا للمتغربين من طلبة العلـم، بعضهم أدركنـاه يقول: إن له عشرين عامًا في هـذا الرباط، وأغلبهم في ذلـك الوقـت أكفـاء لا يبصرون، وذلك قبـل وجود العلاجـات التي تعالج مـن الرمد، وأيضـا يصابون بمرض الجـدري الذي كان متفشيـا، وكثيرا ما يذهب معه البصر، فـكان أولئك المكفوفون يسكنون الأربعة والثلاثة في غرفة

(١) صفحات من حياتي الحلقة الثانية.

(٢) قصتي في طلب العلم في جامع السدحان وفي جامع الصانع.

مساحتهـا لا تزيد على مترين في مترين، يسكنون فيها طوال وقتهم، يتصدق عليهـم أهل الخير بالقوت الغذائي الضروري، إذا جاءهم مثلا ببقايا الطعام يتسابـق كل منهـم يريـد أن يأخذ منه نصيبًـا، يأكلونه وإذا بقـي شيء وبات عندهـم قبل وجـود ثلاجات أو نحوها أكلوه في الصبـاح، وفرحوا بذلك حيث يجدون ما يأكلون، وثيابهم قد يبقى الثوب على أحدهم ثلاثة أشهر، لم يتفرغ لغسلـه أو لتبديله، وتتمزق الثياب من كـثرة استعمالها، كل ذلك للصبر على طلب العلم والتزود منه».

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عـن مسجد الشيخ محمد بـن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كانوا يدرسـون فيه، وكان جامعة عامرة في ذلك الوقت، فقال [1]: «المسجد المذكور يقـع في دُخنـة وسط مدينة الرياض، كان إمامـه في أول القرن الماضي الشيخ عبـدالله بن عبداللطيف، وفيه كان يُقيـم الدروس، ويبدو أن أباه عبداللطيف وجـده عبدالرحمن بن حسن كانا يُدرسان فيـه أيضًا وغيرهم من العلماء في ذلـك الزمـان كالشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيـخ محمد بن عبداللطيف والشيـخ حمد بن فارس، وقد ذكر لنا والدنا رَحِمَهُ اللَّهُ أنـه حضر دروس الشيخ محمـد بـن عبداللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيـق وغيرهما، وذكر أنها تبـدأ من صلاة الصبـح نحو ساعتين، ثم يكون هنـاك فاصل يستريحون فيه بشـرب القهوة وتناول تمرات كفـداء، ثم يرجع أحدهـم إلى زاويته ويراجعه الطُّـلاب، وقد يستمر الدرس للضحى لمدة ساعتين أو ثـلاث ساعات، يعقبه استراحـة وقـت القيلولـة، ففي شـدة الحـر يُؤخرون صـلاة الظهـر، عملًا بأحاديـث الأمر بالإبراد، وبعد صلاة الظهر يستأنفون الدروس ولمدة ساعتين أو قريبًـا منها، ثم يستريحون، وبعـد صلاة العصر يعودون للدروس إلى قبيل

(١) انظر الفتوى رقم ١٨٢٧ورقم ٢٨٠٢.



الغـروب، حيث يذهبـون لتجديد الوضوء والاستعداد لصـلاة المغرب، وهكذا بين العشاءين يقـرؤون إلى صلاة العشاء، فقراءتهم في وسط النهار تكون في الشروح والكتب المطولة، ويعتنـون بما يتعلق بالعقيدة والتوحيد، ورسائل أئمة الدعوة، وكذلك بالتفسير وبالأخص تفسير ابن كثير والبغوي والطبري؛ حيث طُبـع قديمًا، ويقرؤون أيضًـا في كتب الفقه، وغالبًا تكـون مخطوطة كالشرح الكبـير والإنصـاف والمبدع، وهكذا كُتـب السيرة والتاريـخ كالبداية والنهاية وزاد المعـاد، وهكذا كتب الرُدود لابن تيمية كالمنهـاج ونقض التأسيس والعقل والنقـل، ولابـن القيـم كالصواعق واجتمـاع الجيوش الإسلاميـة والنونية، وهكذا كتـب المواعظ كالزواجـر للهيتمي والكبائـر للذهبي، ويقـرؤون أيضًا في كتـب الأسانيد كالصحيحـين والسُّنن والمسانيد، وحيث إنهـا كُتبٌ واضحة المعاني فإنهم يقصـدون من قراءتها الاستفادة لهم وللقارئ وللمستمع، ويقل تعليقهـم عليهـا، وينبهـون على ما فيها مـن الأخطاء والمخالفـات، والطلاب بدورهـم يُعلقون تلـك التنبيهات علـى النسخ، ويرجعون إليهـا عند الحاجة، ويخصصون الدروس بعد المغرب وبعد الفجر للمتون، التي يحفظها الطلاب: كمتن كتـاب التوحيد والعقيدة الواسطية والرحبيـة في الفرائض والآجرومية في النحـو والنُّخبـة في المصطلح وما يُشبهها، وذلـك لفقد الإضاءة قبل وجود الكهربـاء، فهم يقرؤون على سـراج صغير، ضوؤه ضعيـف، فلا يتمكنون من القراءة والمقابلة في الكتب الطويلة، ولذلك كان الطُّلاب يهتمون بحفظ المتون، كمـا أنهم في الدروس النهارية يحفظون أيضًـا مُتونًا أخرى: كمتن زاد المعاد، وعمدة الأحـكام، والأربعين النووية، وعُمدة الفقـه، وقد يحفظون أطول منها بحسـب قـوة الذاكرة وسرعة الحفظ، وقد برز من بـين هؤلاء الطلاب عُلماء أجـلاء تخرجوا من ذلك المسجد ونفـع الله بهم، ومن أبرزهم سماحة الشيخ



محمـد ابن إبراهيـم بن عبد اللطيـف رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك أنه لما تُـوفي عمه الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ توقف عن الصلاة بذلك المسجد كإمام، فسُئل: لماذا توقفت؟ فقـال: إن الذي وكلني هو عمي لـمـا كان إمامًا للمسجد، فبعد موته انتهى دوره في هـذا المسجد، وأصبح الحق لولاة الأمور، فلا أقوم بالإمامة فيه إلا بتكليف منهـم وتعيين مـن قِبل الوالي، كما حصل لهم تعيـين عمي عبد الله من قبلي، وكان ذلـك في عام تسع وثلاثين وثلاثمائـة وألف، فبعد توقفه صدر الأمر من الملـك عبد العزيـز رَحِمَهُ اللَّهُ بتعيينه إمامًا في ذلك المسجـد وخطيبًا في المسجد الجامـع الكبـير، وقد بقي في هذه الإمامة خمسـين سنة حيث توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في سنــة تسـع وثمانين وثلاثمائة وألــف، وقد استمر طوال هـذه السنين في إلقاء الدروس في ذلك المسجد، وتوافـد إليه الطُّلاب من كل حـدب وصوب، وكان هنــاك رباط يقـع جنوب المسجد فيه غُـرف مُعدة لسكن الطُّـلاب المُغتربين، وتضـم تلك الغُرف أكثر من مائة وخمسين طالبًا، حيث يكون في الغرفة ثلاثة أو أربعة على الرغم من صغرها، وقد تسبب رَحِمَهُ اللَّهُ في إعاشة لأولئك الطُّلاب، تُخفف عنهم مئونة العُزبة والغُربة ولو كانت قليلة.

ومـن أشهر المواقـف التي حدثت في ذلـك المسجد ما فيـه من تدريس للقرآن وللدروس العلمية، ففيه طُلاب يُعلمون القرآن، وفيه مُدرسون للأطفال في زاويته الشرقية الشمالية، حيث إن هنـاك غرفة فوق المدخل لتعليم الأطفال القـراءة والكتابة، واشتهر بالتدريس فيها شيخ يُقال له ناصر بن مُفَيْرِج وأبوه مـن قبلـه؛ فقد أدركنا كثيرًا مـن المشايخ تعلموا القرآن في تلـك الزاوية، كما اشتهـر هذا المسجـد بأنه لا يخلو من الطـلاب والقُرَّاء والمُصلـين والمُعتكفين والذاكريـن الله والداعـين لـه في ليل أو نهـار، واستمر كذلـك إلى أن فُتحت المدارس والمعاهد العلمية والكليات، حيث ضمـت أولئك الطُّلاب، ولقد دخل

بعض طلبة العلم في ذلك المسجد في وضح النهار، وذلك في عام ست وسبعين فوجد المسجد خاليًا فأحزنه ذلك، وتذكر ما كان لهذا المسجد من الآثار، وما كان فيه من الإقبال على قراءة القُرآن وحفظ العلم والاهتمام بالدروس وما أشبهها، فدمعت عيناه، وكاد أن يرفع صوته بقوله: «أين أنت يا شيخ عبدالله بن عبداللطيف وأين زمانك».

ثم كان من المشايخ الذين أدركناهم يُدَرِّسون في هذا المسجد الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم فله زاوية من المسجد، وفي الشتاء تكون في البدروم الذي يُعرف بالخلوة، يجلس للطلاب بعد الفجر وبعد المغرب في أكثر الأيام، ويحضره طلاب كثيرون يتعلمون في النحو والفرائض، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ متضلعًا في علم الفرائض والإعراب في النحو، ومن طريقته سُؤال كل طالب عن اسمه قبل مناقشته، ومتى تلكأ الطالب فتح عليه وعلمه ما يخفى عليه».

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن علاقة الطلاب بسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، فقال [1]: «الطلاب يقيمون غالبًا في ذلك الرباط، ومنهم آخرون يقيمون في غرف في داخل المسجد، أو في المساجد الأخرى التي حوله، ولكنهم دائمًا يحضرون الدروس في ذلك المسجد فمنهم من يقرأ في بعض المتون أو الشروح حفظًا أو قراءة، ومنهم من يحضر للاستماع والاستفادة، ويكتب ما تجدد من المسائل، ويستفيدون كثيرًا من السماع والمناقشة، حيث إن من طريقته وطريقة كثير من المشايخ طلب حفظ المتون: إما من أشخاص معينين وإما من غيرهم، وهكذا أيضًا يُلقون عليهم بعض الأسئلة مع طلب الإجابة وتصحيح ما فيها من الخطأ، كما أنهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ لا يتبرمون من كثرة المسائل واستشكال بعض الطلاب فيما يخفى عليهم».

(١) الفتوى رقم ٢٨٠٠.

وقـال في ذكريات له عن مسجد الشيخ ابـن إبراهيم[1]: «أدركت ذلك المسجد مبنيًّا من الخشب والجريد فوق السقف وأعمدته بالحجارة والجص، وحيطانـه بالطـين، وفيـه سـتـة صفوف مـن الأعمـدة يتسع ما بـين الصفين لصفـين من المصلين، فيكـون مجموعهم اثني عشر صفًـا في صلاة الجُمعة، وله رحبة واسعة تتسع لعشرة صفوف في صلاة الجمعة، وتحتها الخلوة وتتسع لستـة صفـوف، حيث إن بها ثلاثـة صفوف من الأعمـدة، ويمتلئ وقت صلاة الجمعـة، وقد يحتاجون إلى الصلاة في سطح المسجد، وكانت أرضه مفروشة بالبطحاء، وفـوق البطحاء فُرشٌ من الأعواد، التي كانـت تُنسج في الأحساء، وتسمـى الواحدة مـدَّة، ولما أُخرجـت الكهربـاء واحتيج إلى إضـاءة المسجد منـع الشيـخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جعل الأنـوار في قبلة المُصلـين، وأمر أن تُجعل فـوق رؤوسهـم في كل صف من الأعمدة عـدد من السُّـرج الكهربائية، وجعل واحـدة على خشبة في وسط الرحبـة، حيث كان يُصلي هُنـاك صلاة العشاء والفجـر والمغـرب، وكان يأمر بإطفائهـا إذا أقيمت الصـلاة حتى لا تكون في قبلة المُصلين لما ذكر الفقهاء أنه لا يجوز استقبال نارٍ ولو سراجًا في الصلاة، ولمـا ظهر المُكَبر للصوت امتنع الشيخ أول الأمر من تركيبه في المسجد لكراهة بعض المُصلـين لذلك، ثـم إنه أقنعهـم بعد ذلك شيئًـا فشيئًا حتـى سمحوا بتركيبه، وتأخر أيضًـا تركيب المراوح السقفية فيه، وذلك لندرتها حتى سُمح بهـا وتيسرت، فَرُكِّبَ فيه أولًا عشر مـراوح في الصفين المتوسطين، ثم عُممت في بقيـة الصفـوف، وكان مُلحقًا به في الجانب الجنوبـي ثلاث غرف لطُلاب العلـم، يجعلون بهـا كتبهم، ويجتمعون للمُذاكرة فيهـا، وكان الذي يملك تلك الكُتب زميلنا الشيـخ عبدالرحمن بن محمد بن مقرن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكرم مثواه وكان مُتواضعًا متحببًا إلى زُملائه، وكان يمدهم بما يحتاجون إليه إلى

(١) الفتوى رقم ٨٩٩.

أن انتهينـا بصحبته من الدراسة النظامية، ثم بعد ذلك وفي حدود سنة تسع وثمانـين تولى الإمامة فيه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، حيث عُيِّن إمامًـا وخطيبًـا بعد موت الشيخ محمـد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعـد مُدة تبرع بعض المُحسنين بعمارته العمارة الحالية».

وقال عن خطبة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يتقيَّـد بخطبة أئمـة الدعوة، وبالأخص خطب الشيـخ محمد بن عبدالوهاب التـي طُبعت مـرارًا، وأضيفت إلى مجموع رسائلـه، فكان يحفظ تلك الخطب ويقتصـر على إلقائها، ولكنه بأسلوب قـوي وكلمات رفيعة يقف عند الفقرات وعند نهايات الجمل، وقد يتطرق أحيانًا للتنبيه على بعض المسائل الواقعية».

السياسة والحكم

هـذا الموطن من مواطن الصراع مع النفس، الـذي لا يحكمه إلا التقيد بالشـرع والتـزام منهج سلف الأمـة، وأحسب الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ ممن سلك هذا النهـج، الذي لا إفـراط فيه ولا تفريـط، فالبيعة للحاكم والتـزام طاعة ولاة الأمـور، لاتعني كمـا يظن البعض مداهنتهـم والركون للدنيـا، ولعلنا في هذا الموضـوع إن شـاء الله نجلـي نظـرة الوالد حول هـذه الأمـور، ليستفيد منها المسلمون عامة.

لقـد كان للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مكانته في البلاد منـذ مدة طويلة، وأذكر حينما توفيت الوالدة رَحِمَهَا اللَّهُ في عام ١٤١٤هـ أنه زارنا في منزلنا للتعزية فيها عدد من الأمراء، منهم الأمير سلطان رَحِمَهُ اللَّهُ والأمير سلمان وغيرهما، ولعلها انتشرت

---

(١) الفتوى رقم ٢٩٨٢.



في الإنترنت صور الوالد لما صلى على الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز رحمهما الله في عام ١٤٢٨هـ وكانت أيضًا منقولة في التلفزيون، حيث صلى عليه الملك وإخوانه وعدد كبير من المسؤولين، وكان الوالد رحمه الله في البداية بجوار الأمير نايف رحمه الله، ثم نقل وصار بجوار الملك حفظه الله.

فهم يعرفونه ويعرفهم، و يحملون له الحب و يبادلهم إياه، ولم يكن عنيفًا في تعامله أو قاسيًا في خطابه، بل كان عالمًا ربانيًا يلتزم المنهج الشرعي في معاملتهم ونصيحتهم[1].

كان رحمه الله يتخولهم بالزيارة مسلمًا وشفيعًا وناصحًا، فزار مرارا خادم الحرمين الشريفين وكثيرا من الأمراء مثل:سلطان رحمه الله ومشعل وطلال ومتعب ونايف رحمه الله وسلمان وعبد الرحمن وأحمد وغيرهم كثير.

وكان إذا زارهم يفرحون به ويقدرونه، وأذكر أنه زار الأمير مشعل فكان يقول له: ياشيخ نحن نحبك، ونعرف صدقك، ونفرح بزيارتك، وحدثني ابن العم أحمد بن محمد أنه قال للأمير مرة: أنتم ولاة أمرنا. فرد عليه: وأنتم علماؤنا، وعليكم نصحنا وتوجيهنا.

وتجد شفاعاته لدى كثير من الأمراء والمسؤولين القبول، وقد ذكرنا هذا حينما تحدثنا عن شفاعته رحمه الله.

ومن أكثر الذين تربطهم به صلة وتواصل سمو الأمير سلمان، فبينهما صلات امتدت حوالي خمسين عاما، وكانت تقوى على مر الزمان، كان الأمير يقدره ويكرمه إذا جاء، ويودعه عند خروجه إلى الباب، ويقبل شفاعاته للناس، ولهذا كانت معظم كتاباته وخطاباته يوجهها للأمير، سواء الشفاعات أو المناصحات،

(١) مقالة الشيخ سند بن خضر.

ويقول له الأمير كثيرا حينما يقدم عليه بعض المناصحات التي يخالف رأي الأمير فيها رأي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: ياشيخ عبدالله نحن نعرف طيب نيتك وصفاء قلبك.

ويثق العديد من الأمراء بعلمه ودينه، ولذلك يستفتونه في أمورهم الخاصة، وممن يتصل به ويسأله كثيرا الأمير طلال والأمير سلمان.

وعندما بدأه المرض الأخير اتصلنا بالأمير سلمان، فقال: انظروا أين تريدون علاجه، ونحن نتكفل بذلك في داخل المملكة أو في خارجها، ولما اخترنا المستشفى التخصصي وجه بدخوله فيه مباشرة، وكان يتصل بنا للاطمئنان كل ثلاثة أيام أو أربعة.

وكان الذين يتصلون بنا ويزوروننا في المستشفى كثيرًا، ففي يوم العملية وقبل خروجه اتصل الأمير ممدوح، وسأل: ما الذي أصاب الشيخ؟! وكان قد علم لتوه، ولما أخبرناه سأل عن نجاح العملية، وكم بقي على خروجه، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله إني أحبه، والله إني أحبه. إذا خرج فأخبروني.

وكان الأمير خالد بن طلال يتردد على المستشفى كثيرا بسبب وجود ابنه الوليد في العناية، شفاه الله وأقر به عين والديه، وبمجرد ما علم بوجود الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ جاء معنا، وكان يساعد في تسهيل كثير من الأمور، ويتحدث مع الأطباء ويناقشهم، وسلمنا غرفة مخصصة لجلوسه لنستقبل فيها الزوار، وتسبب في مجئ عدد من الأطباء لمعاينة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من أمريكا وغيرها، وعقد لقاءً تشاوريًا عبر الأقمار الصناعية للمناقشة بين الأطباء المعنيين بحالة الشيخ مع أطباء من مستشفى مايو كلينيك في روتشيستر، مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من جهوده التي سأذكرها في أثناء الحديث عن مرض الوالد ووفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبعد إفاقة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بعد العملية وتحسن صحته زاره الملك عبدالله حَفِظَهُ اللَّهُ، ولما تجدد عليه المرض ورغبنا في علاجه في ألمانيا استعد الأمير عبدالعزيز بن فهد جزاه الله خيرا بتحمل نفقات العلاج، ثم صدر توجيه من خادم الحرمين بعلاجه على نفقة الدولة.

وهناك آثار الرافضة القضية المشهورة التي سيأتي الحديث عنها مفصلا، فكان لولي العهد الأمير نايف رَحِمَهُ اللَّهُ وقفة مشرفة في الدفاع عنه وحمايته.

وبعد عودته من ألمانيا كان من أبرز الزيارات التي تأثر بها الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ زيارة الأمير عبدالعزيز بن فهد، وكان قد زارنا من قبل، ولم يتمكن من رؤيته لحرج حالته.

ولما توفي رَحِمَهُ اللَّهُ كان أول من عزانا فيه الأمير سلمان حفظه الله، وكان في أمريكا بصحبة الأمير سلطان رَحِمَهُ اللَّهُ، ووجه خادم الحرمين بإصدار بيان لإعلان وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ، وصلي عليه في الجامع الكبير في الرياض، ودفن في مقبرة العود، وهذه كلها من علامات اهتمام ولاة الأمر به رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد عزانا في وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ خادم الحرمين والأمير سلطان رَحِمَهُ اللَّهُ والأمير نايف رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرهم، ممن لا أحصي من الأمراء والوزراء والمسؤولين، وقابلنا بعد ذلك خادم الحرمين في الطائف وقدم لنا تعازيه.

كان ما مضى مقدمة تبين لك: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ مقبول عند المسؤولين، مقدر من قبلهم بالرغم مما عرفناه عنه من قيامه بواجب النصيحة والمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لأنه كان يفعل ذلك على هدي النبوة

وبالضوابط الشرعية التي تضبط التعامل مع الحكام، فقد أحسنوا به الظن وعرفوا قدره ومكانته.

تعال بعد هذه نتأمل هذا النهج الذي سار عليه في حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال بعض كلامه ومواقفه.

يرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن واجب المسلم تجاه الحكام محبتهم إذا أقاموا الحقوق، ونصيحتهم إذا اعتراهم شيء من الخلل أو شيء من النقص، ما داموا يقبلون النصيحة ويفرحون بها، ويشجعون من يأتيهم ناصحا، وجمع الكلمة عليهم، وإظهار الاعتذار مما يصدر منهم من اجتهادات، قد يكون فيها شيء من الخطأ الظاهر، وحث الشعب والرعية على السمع والطاعة، والحرص على محبتهم وموالاتهم، والسمع والطاعة لهم في المعروف، وإن ضربوا الظهر وأخذوا المال، ومحبة الخير لهم والدعاء بالصلاح والاستقامة، وإظهار محاسنهم، وتخويفهم من عذاب الله، وأمرهم بتقريب الأخيار وأهل العلم والفضل والصلاح والنصح لله ولأئمة المسلمين، وأمرهم بإبعاد الأشرار والمنافقين والمبتدعة والفسقة، الذين يلبسون لباس الخير وقلوبهم قلوب الذئاب[1].

ويرى أن النصيحة تحصل بالاتصال بمن صدر منهم الخطأ، وبالخطابات الخاصة السرية، وما أشبه ذلك ويقول: إن من أتته نصيحة وتحقق الصواب مع الناصح فعليه أن يقبل منه ويتأثر، ويغير ما وقع فيه من خطأ، أو على الأقل يبدي عذره، ويبين وجهة نظره، فالنصيحة حقيقة هي الاتصال المباشر الخاص، وذكر الانتقاد على ذلك الشخص، ثم ينظر كيفية الجواب، وقد قال بعض السلف: المسلم يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح[2].

(١) انظر الفتوى رقم ٨٩٢٤ و
http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1302&page=1227&subid

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1299&page=1226&subid=18243



ويقـول رَحِمَهُ اللَّهُ [1]: «إن الـولاة لا ينكر عليهم كل أحـد؛ حيث إن في ذلك مـا يشعر بنقصهم عن مستوى العامـة، ولأن الأفراد قد يتخيلون ما لا يصلح إنكاره، وقد لا يشعرون بالأهداف والمصالح المقصودة.

لذلك على الأفراد مراجعة العلماء وإبداء الملاحظات لديهم، وإقناعهم، ثم العلماء يقومون بوظيفة البيان والنصح لولاة الأمور، ويكون ذلك على وجه النصيحة والمحبة دون إظهار لِمَعَايب، أو تتبع لعثرات».

ويحـذر رَحِمَهُ اللَّهُ من الكلام في الـولاة وتنقصهم والخـروج عليهم، ومن كلامـه في ذلـك [2]: «علينا أن نسمـع للحكام ونطيع، ما دامـوا يحكمون فينا شـرع الله تعـالى، ولا يجـوز أن نسب أحدهـم، ولا أن نتتبع عوراتهـم، ولا أن نطعن في ولايتهم، مما يؤدي إلى إثارة الأحقاد، ومما يسبب الفوضى، ويوغر عليهـم الصدور، وهذا يسبب الفرقة بين المؤمنين؛ بل نحرص على جمع كلمة الإسـلام والمسلمين علـى الأئمة، الذين يقومـون بأمـر الله سبحانه وتعالى، ولذلـك أمـر النبي ﷺ بطاعتهم، وقال: «ما لم تروا كفـرا بواحا عندكم فيه من الله برهان» [3].

ولا شـك أن الأئمـة الأولين من أعلام الإسـلام حذروا من الخروج على الأئمـة والحكام، وذكـروا ما في الخروج من الفتن، وحـدث في صدر الإسلام مـن القتل والحبس وتفريق الكلمة بسبـب أولئك الذين خلعوا الطاعة وفارقوا الجماعة».

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1295&page=1222&subid=24660

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=1&book=27&toc=1293&page=1223&subid

(٣) رواه البخاري في باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها» من كتاب الفتن برقم ٦٦٤٧ ومسلم باب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِى غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِى الْمَعْصِيَةِ من كتاب الإمارة برقم ٤٨٧٧.



ويحث دائما على الدعاء للولاة، ويقول[1]: «الدعاء لولي الأمر وإمام المسلمين من أفضل القربات والسنن، وهو دأب العلماء المصلحين، جاء عن بعض السلف أنه قال: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها للإمام؛ وذلك لأن صلاح الراعي فيه صلاح الرعية، واستقامة أمورهم، وتعدل أحوالهم، وفي قربه من الله قرب لهم».

ويرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدم الخروج على الولاة ولو رأى الناس كفرا بواحا إذا لم يكن لديهم القدرة على التغيير، ويستشهد بما حصل في حماة في سوريا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نتذكر قبل عشرين سنة أو نحوها قصة الذين خرجوا على رئيس الشام سوريا، ولجأوا إلى بلدة اسمها حماة، كانت عاقبتهم أنهم قتلوا إلا من قل، ذلك لأنهم رأوا كفرًا بواحًا في أولئك الزعماء، وقالوا: لا صبر لنا، كان الأولى لهم أن يسمعوا ويطيعوا ويصبروا، إلى أن يجعل الله لهم فرجا، ولكن هكذا رأوا أنه لا صبر لهم أن يكونوا خاضعين لمن هو مظهر للكفر إظهارًا، يعني: كفرًا بواحًا.

ولكن حصل ما حصل، وهكذا يقع كثير من بعض الأفراد أو الجماعات، الذين يظنون أنهم إذا خرجوا سينتصرون وسيكون لهم قوة، ولكن يحصل بذلك مفسدة كبيرة تكون ضررًا على المسلمين وقمعًا للمسلمين المتمسكين، الأولى أنهم يسمعون ويطيعون ويخضعون إلى أن يجعل الله لهم فرجا».

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسير على هذا المنهج، الذي يفتي به الناس ويوجه به الشباب، وكثيرا ما يأتيه الشباب وهو يتقطعون حسرة وغيظا مما يرونه من مخالفات ومنكرات، فيذكرهم بالهدي النبوي، وسير العلماء مع حكامهم قديما وحديثا، فرحمه الله وعفا عنه وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=5&book=27&toc=1301&page=1228&subid





الخلاف والاختلاف

الخلاف والاختلاف مصطلحان يستخدمان كثيرا في كتب أهل العلم، والعلماء غالبا لا يفرقون بينهما، لكن اصطلح بعضهم على أن الخلاف هو ما كان بغير دليل، ولا مسوغ له شرعا، وإنما دافعه الهوى والتعصب، وأن الاختلاف ما استند إلى دليل شرعي من اجتهاد مجتهد معتبر.

ولعلنا أن نسير على هذا المصطلح، لأن الخلاف بين العلماء منه ما هو سائغ مقبول يعذر فيه صاحبه، ومنه ما هو غير سائغ، وللعلماء موقف تجاه كل واحد من هذين النوعين يختلف عن الآخر.

وسنبدأ بمنهج الوالد رحمه الله في قضايا الاختلاف من حيث الجملة، ثم نختم برأيه حول ما يكون من خلاف مع أهل البدع والأهواء.

فمن أول معالم منهجه رحمه الله في هذا الباب توجيه طلاب العلم المبتدئين إلى ضرورة التوقف في المسائل الاجتهادية، وعدم الخوض فيها بغير علم، وردها إلى العلماء، ويرى رحمه الله أن هذا من أدواء العصر وأمراضه، يقول رحمه الله[1]: «لا يجوز التسرع بالفتوى، سيما في المسائل التي تحتاج إلى بحث واستدلال، والتي لم يرد فيها نص صريح ودليل صحيح، والتي يقع فيها خلاف بين المذاهب، فإن التسرع في الفتوى في هذه المسائل خطره كبير، وقد قال النبي ﷺ: «من أفتى بغير ثبت، فإنما إثمه على من أفتاه»[2] يعني إذا تسرع وأفتى وليس هو من أهل العلم وعمل المستفتي بفتواه الخاطئة، فإن المفتي يتحمل الإثم. وقد ورد وعيد شديد في النهي، حتى جاء الحديث بلفظ: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار»[3]...

(١) الفتوى رقم ٢٩٩٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة برقم / ٨٢٤٩.

(٣) أخرجه الدارمي في باب الفتيا وما فيه من الشدة من مقدمة سننه برقم /١٥٧.

فعلى طالب العلم أن يتورع عن الفتيا بغير علم، أما إذا عرف الحكم وجزم به اعتمادًا على الدليل أو على قول مشاهير العلماء أو وجده منصوصًا في مؤلفات العلماء الموثوقين، فإن له أن يقول به، ويعزوه إلى مرجعه، ليسلم من العهدة».

ومما يتعلق بهذا أنه يرى أن الدعوات لتجديد الفكر الإسلامي أو تجديد الفقه الإسلامي دعوات ليست في مسارها الصحيح، لأن الذين يطلقونها إما ليسوا من المتخصصين في علوم الشريعة، أو من الذين لم يتضلعوا في هذه العلوم، يقول رحمه الله: «تعاليم الإسلام باقية ومستمرة منذ العهد النبوي وحتى هذا العهد، لذلك لا يقال: إن في الإسلام شيئًا يحتاج إلى تجديد، فالعلماء بينوا تعاليم الإسلام ووضحوها، والمستجدات يوجد من يلحقها بالمسائل القديمة، التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ».

ويقول[1]: «لا يجوز الإصغاء إلى تلك الأصوات، ولا يجوز تغيير الأحكام الفقهية؛ فشرع الله تعالى ودينه صالح لكل زمان ومكان، وليس هناك ما يقتضي التجديد في أصول الأدلة وقواعدها، وما تجدد من الأمور، فإنه يعطى حكمه ويوجد ما يدل عليه.... فالأحكام التي يظن هؤلاء الجهلة أنها بحاجة إلى التجديد، وأن قواعد الشرع لم تذكرها، وأنها حادثة في هذا العصر فقط، هذا جهل كبير بأصول الشرع فمن تأمل نصوص العلماء وقرأ في كتبهم وجدها وافية بجميع ما يتصور وقوعه حتى حوادث السيارات والاصطدام ونحو ذلك، فعلى المسلم أن لا يعترض على الشرع الشريف، وأن يعتقد كمال الدين كما أخبر الله أنه قد أكمله بقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. الآية».

وهو رحمه الله يحرص في منهجه في المسائل الخلافية على السنة وإحيائها، دون أن يقيده انتصار لمذهب أو لشيخ.

---

(١) الفتوى رقم ٢٣٤.

كما كان رَحِمَهُ اللَّهُ حريصا على قول كلمة الحق في فتاواه، ولو سببت له أذى أوحرجا، ومنها رأيهُ الواضح في «حزب الله»؛ إضافةً إلى فتاواه في الرَّوافض[1]، وغيرها من المسائل التي ذكرناها في حديثنا عن قيامه بمهمة الإفتاء بعنوان المفتي القدير.

وهو يجمع بين الاحتياط وبين التيسير جمعا لطيفا، يحفظ هيبة الشريعة، ويراعي حال المستفتي والواقعة.

وكان حريصا رَحِمَهُ اللَّهُ على الائتلاف وجمع كلمة العلماء، ويحزنه اختلافهم كثيرا، يقول الشيخ عبدالرحمن السديس: «وكان من آخر لقاءاتي به في رمضان العام المنصرم، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يسألني عن المسعى: لعل الخلاف فيه قد انتهى، فقلت له: أبشرك أن الأمر استقر على دعمه وتشجيعه والعمل فيه من قبل ولي الأمر حَفِظَهُ اللَّهُ، وكثير من أهل العلم. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ مدافعًا: هذا هو الحق، ولكن لا يزال بعض طلاب العلم على رأيهم».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا ينشغل بما يقول فيه المخالفون، إلا إذا كان ما يقال كلاما علميا، يظهر من قائله قصد الحق[2].

فهو لا ينتصر لنفسه ولا يدافع عنها، لكنه يدافع عن غيره من طلاب العلم إذا رأى ضيما أو ظلما.

---

(١) انظر مقالة ابن جبرين والديار التي خلت للشيخ أحمد بن عبدالمحسن العسّاف http://www.lojainiat.com/index.php?a...wMaqal&id=8945.

(٢) مقالة "ما مت يا مفخرة أهل السنة" لمحمد بن حسين حداد الجزائري.
http://alukah.net/articles/1/7147.aspx

يقول الشيخ عصام العويد[1]: «أذكر بعض من عاداه، وبعض من ناقشه، وبعض مـن أذاه في مجلسه رَحِمَهُ اللَّهُ، فإذا قيل له شـيء قال: الحمد لله، النبي صبر، فنحن نصبر ونحتسب، ويذهب وكأنه لا شيء صار».

ويقـول الشيـخ صالح بـن عبدالعزيـز التويجـري[2]: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ عالمًا عظيمًـا يقـدّر لأهل العلـم قدرهم، فلا يسخـط لاختلاف العلمـاء، ولا يفسّر هـذا الاختلاف بأنه اختلاف تضادّ، ولا يوافـق على تصنيف الناس من خلال اجتهاداتهـم، ولا يقلّـل من قـدر عالم بسبـب اختلاف فقهي، فلـم يُعرف عن الشيـخ كـثرة ردوده على مخالفيـه، مع أن بعض هؤلاء الذيـن يختلف معهم في عمر أولاده وصغار طلابه، ومع ذلك لم يكن أبدًا يحقّر من شأنهم بسبب العمر أو المكانة العلمية أو الشهادة الأكاديمية، التي كان يحملها رَحِمَهُ اللَّهُ، بل كان يقدّر اختلافهـم، ويحفـظ لهم مكانتهـم، وتعظم شخصيته رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًـا أنه يعطي للعامة مكانتهم، فلا يُبخس أحدًا مكانه بحضرته رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه فسيح جناته».

هذا المنهج وهذا التعامل وهـذه النفس الطيبة والنية الخالصة نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا أورثته حب الجميع وعفو الجميع.

ولهذا لما توفي رَحِمَهُ اللَّهُ أطبق العقلاء من الطوائف حتى المخالفين له على الإجمـاع على جلالتـه رَحِمَهُ اللَّهُ، وأن فقده خسارة للأمة، ففـي اتصال مع قناة اقـرأ من الدكتور عبدالله فدعق، وهو ممن يختلف مع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض مسائل التوسل والتصوف، يقول حَفِظَهُ اللَّهُ: «نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم الشيـخ عبدالله بن جبرين، ففقد العلماء من أمثاله يعد كما في النص النبوي

---

(١) قناة «اقرأ».

(٢) http://majles.alukah.net/showthread.php?t=37498.

ثلمــة في الإســلام، ونحن بفقدنا للشيــخ فقدنا رمزا كبيرا مــن رموز الدين، ورمــزًا كبيرًا من رموز التربية، والجموع التــي شهدت كما رأيتها في الإنترنت تعــبر عن مدى إحسان الرجل رحمة الله عليه لهــم جميعًا، وهذا بلا شك ولا ريب أنه سيكون تقدمة له عند الله سبحانه وتعالى.

قد أختلف مع الشيخ عبدالله بن جبرين في آراء كثيرة، لكن لابد أن يعلم الجميــع أن العلم رحم بين أهلــه، فإن اختلفنا فلابد أن يقــدر بعضنا بعضا، ويحــترم بعضنا بعضا، وعلم الرجل يسبقه في الفضل، وأنا متأثر كتأثر جميع طلبة العلم.

أتكلــم معكم وأنا في الطائرة متوجــه في رحلة خارجية، ولكن ما أحببت أن أفوت هذه الفرصة أن أعزي نفسي وأعزي طلبة العلم بوفاة الشيخ عبدالله أخلفه علينا جميعًا بخير».

فهو رحمه الله ناصح لجميع الأمة لا يعرف التحزب، وإن حاول بعض النـاس استمالتــه لفريق ما، أو رماه بعض الناس بالتحزب لفرقة ما، لكن من خالطه وتتبع أقواله وأفعاله يرى أنه ناصح للجميع محب للخير لهم.

وهــو رحمه الله مع أصالته عصري الفكر منفتــح العقل على الجديد يستفيد مــن تقنيــات العصر فيما يخدم أمته، ولهذا سبق كثيرا مــن المشايخ في تأسيس موقعــه الإلكتروني، وأودع فيه كثيرا من فتاواه ودروســه ومحاضراته، وكان من أوائــل العلمــاء الكبار الذيــن شاركوا لما ظهــرت القنوات الإسلاميــة، لكنه كان مجانبا للقنوات التي عليها ملحوظات من النواحي الشرعية، يقول الدكتور راشد الزهــراني[1]: «لقــد أتيح لي في الخمس سنوات الأخــيرة أن أتعرف على الشيخ

(١) http://majles.alukah.net/showthread.php?t=37498.

عن قـرب، وخاصة حينما تأسسـت قناة المجد العلمية، فقـد كان من أوائل من استشرته في القناة، فأيّدها ونصرها، ووقف معها جزاه الله عني خير الجزاء».

ويقـول الشيخ محمد المقرن[1]: «كان له حضور إعلامي عجيب وهو في هذا العمر، ومع ذلك لا يمنع قناة أن يسجل معها، فمنذ أن بدأ برنامج الجواب الـكافي في قنـاة المجد من ست سنوات كان الشيـخ رَحِمَهُ اللَّهُ أبرز ضيوفنا، كان يحضر معنا في الجواب الكافي وفي غيره من البرامج».

وهـو رَحِمَهُ اللَّهُ له نظـرة فيما يتعلـق بالانتخابات والبرلمانـات تختلف عن النظـرة السائدة لدى كثير من طـلاب العلم، تحرى فيها مصلحة الأمة ودفع المفسدة يقول عن ذلك[2]: «هذا مما يختلف باختلاف الأشخاص، والأماكن، والأوضـاع، فمتى رأى الدعـاة هذا المسلك مفيدًا فعلوه؛ حيث إن الداعية متى غَشِـيَ الجماهـير، واعترفـوا بمكانته وفضلـه، وارتفع منصبـه، واشتهر بين العامـة بعلمه ورتبتـه، كان ذلك أدعى لقبول قوله، والتأثـر بنصحه.... فأما مـن كان ضعيـف المعلومات، أو قليـل المعرفة، أو معه شيء مـن الانحراف، أو عنده ميل إلى بعض البدع والمحدثات، أو كان مُزجى البضاعة في العلم، فأرى عدم دخوله تلك المجالس، لـعدم تمكنه من قول الحق والصدع به، وخوفًا من إقراره المنكرات، أو دعوته إلى شيء من البدع والشركيات».

ويتميز رَحِمَهُ اللَّهُ في معاملة السائلين بمنهج عملي يجمع بين الخلق الحسن وتحري الصواب، فقد علمنا أنه لايضجر من كثرة الأسئلة، بل إنه لا يرضى أن نقطـع أسئلة الناس، ويراعي رَحِمَهُ اللَّهُ خصوصيات الناس، ويحرص على حفظ أسرارهم، ويحتـاط للحفاظ على حقوقهم، يذكر الأستاذ أحمد حسين كاتب الفتـاوى عند الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه جاءه سائل في مسألة طـلاق، فأرجأ السائل

---

(١) قناة المجد برنامج مرآة الحدث.

(٢) مجلة البيان، العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

حتى يفرغ عدد من المستفتين من المجلس، واصطحبه إلى المجلس الخاص، حفاظا على سرية المسألة، ثم بدأ السائل بعرض السؤال، لكن الشيخ رفض إعطاء أي حكم في المسألة دون الاستماع إلى زوجته، وعندما سأله عنها أجاب السائل: بأنها في السيارة خارج المكتب، ولما أراد السائل أن يخرج، ليحضرها إلى المجلس بادر الشيخ بالخروج معه إلى السيارة حيث المرأة، وسألها الشيخ عن أقوالها واستوضح منها بنفسه.

كان هذا دأب الشيخ الوالد رحمه الله في مثل هذه المسائل، يستمع إلى طرفي القضية، ويتحرى الوصول للحق والاحتياط للناس والنصح لهم والرفق بهم، يقول الشيخ عصام العويد[1]: «أتيت له مرة برافضي قد تسنن، و أتيت له مرة أخرى برجل يقول: إنه متزوج باثنتين من الجن، وجلس معهما جلسات خاصة، فكان يتبسط معهما ويثبتهما، وإن كان في عقيدتهما شيء باطل ناقشهما، وقال لمن يقول إنه تزوج من الجن: لا يغرك الجني، ولا يكذب عليك، اتق الله وراقبه عز وجل».

أما في مسائل الخلاف، وهي التي أعني بها كما ذكرت من قبل، التي يغلب أن الدافع لها الهوى أو التعصب، وتكون غالبا عند أهل البدع والأهواء.

فأشد هذه البدع الرافضة وقد مضى الحديث عنهم، ولكني هنا سأتحدث عن موقفه من الخلاف معهم، وما ينبني عليه من معاملتهم.

سئل رحمه الله عن تكفير عوامهم والزواج منهم،فقال[2]: «إنهم قد يكونون معذورين قبل ثمانين سنة، أما الآن فلا عذر لهم، فقد انتشرت السنة والردود عليهم، فهم مقلدون مع معرفتهم بالسنة، ولا يجوز النكاح منهم، لأنهم لا يقرون أصلًا نكاح نسائهم من السنة.

---

(١) قناة «اقرأ».

(٢) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

وذكر أن أحد أئمتهم له فتوى مسجلة عنده أنه سُئل أيهما يزوج، السني المتعبد أم الشيعي الفاسق؟ فقال إمامهم: العابد من السنة في النار ولو تعبد ما تعبد، فلن تنفعهم عبادتهم، أما العاصي الشيعي فهو في الجنة لا يعذب، لأنه على طريقتنا».

ومن منهجه في التعامل معهم التحذير من مخالطتهم وإظهار المخالفة لهم، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «علينا أن نأخذ حذرنا منهم، وأن نحذر من مخالطتهم، ومن القرب منهم، حتى لا تنتشر بدعتهم كما انتشرت - للأسف - في كثير من البلاد الإسلامية بسبب مخالطتهم لأولئك الرافضة، فينشرون بدعتهم بسرعة بين أولئك العامة الذين ينخدعون بتسويل أولئك الرافضة ومواعيدهم، وما يبذلونه من المال الكثير لنشر بدعتهم».

وهو يقدر وجودهم في المملكة وكونهم من المواطنين، ويرى إعطاءهم حقوقهم والعدل معهم، لكنه يضيق بما يسمعه عن السنة في إيران، وما يلاقونه من تضييق، فيرى أنه لو عوملوا بمثل ذلك لربما كان مفيدا في نصرة أهل السنة في إيرا ن، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «قد ابتلينا في هذه المملكة بهؤلاء الرافضة، وادعوا أن لهم حقا كغيرهم من المواطنين، والحكومة لا تقدر على طردهم وحرمانهم لكونهم من المواطنين؛ فلأجل ذلك تمكنوا.

دخلوا في المدارس وفي الجامعات ونحوها، ثم أنهوا دراساتهم وحملوا مؤهلات وطالبوا الدولة أن تساويهم بغيرهم في الوظائف؛ فتولوا وظائف كثيرة في وظائف حكومية في تدريس وفي طب وفي خدمة وفي علاج، وما أشبه ذلك، وصعب التمييز بينهم وبين غيرهم، لا شك أن هذا من المصيبة؛

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=27&toc=1249&page=1183&subid=32456.

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=9&book=170&toc=7932&page=6944&subid=2443.

حيث إنهم تمكنوا هذا التمكن، والحكومة لا تقدر على حرمانهم، والواجب إبعادهم عن هذه الأعمال، كما فعلت إيران بأهل السنة، فإن إيران ذكروا أن فيها نحو اثني عشر مليونا من أهل السنة، ومع ذلك فإنهم يهينونهم، ولا يولونهم الأعمال لا وظائف ولا إمامة ولا خطابة، وحتى التجارة وصيد الأسماك يمنعونهم من ذلك، فلا يتولون إلا ولايات ضعيفة بأن يكون أحدهم مستخدما، ويستعملونهم في الأعمال الرديئة الدنيئة، وذلك لحقدهم على السنة وعلى أهل السنة».

وقال عن معاملة أهل البدع[1]: «إذا التقينا بمثل هؤلاء وجب أن نظهر لهم البغضاء والحقد، ولو كانوا بجوارنا أو معنا في عمل، ونمقتهم على ديانتهم، ونسفه أحلامهم وأخلاقهم، ونرد عليهم ردا غليظا، ونظهر الحق أمامهم، ونبين أخطاءهم، ونطلب منهم أن يبينوا أخطاءنا فنجيب عنها.

وهكذا بقية المبتدعة إذا ابتلينا بهم، فإنه يجب أن نحذرهم، ونحذر من الافتتان بهم، حتى يظهر المسلمون سالمين في عقيدتهم، وفي أعمالهم».

وأما فيما يتعلق بمناظرة المبتدعة، فيرى أن لها ضوابط ينبغي أن تضبط بها، حتى لا تكون سببا في التأثر بهذه البدع، يقول رحمه الله[2]: «كان كثير من السلف ينهون عن مناظرة المبتدعة، ويأمرون بهجر مجالسهم والتحذير من سماع كلامهم، مخافة أن تقع شبهة من شبهاتهم في القلب، فيصعب التخلص منها، ومع ذلك فقد يجب رد شبهاتهم وتفنيد أباطيلهم، وذلك يتوقف على معرفة الحق والقول الصحيح بأدلته، وعلى معرفة ضعف تلك الشبه التي يتشبثون بها، وعلى معرفة قواعد الشريعة وأسسها، وعلى معرفة

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=5&book=27&toc=1249&page=1183&subid=32456

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=5&book=27&toc=1249&page=1183&subid=32456

تهافت أدلة المبتدعة، ثم ذلك يكون عند الضرورة إلى مجادلتهم، والخوف من تمكن شبههم واشتهارهم عند العامة، كما ناظرهم الأئمة وعلماء الأمة: كأحمد في مسألة خلق القرآن، وابن تيمية في مسائل الصفات الفعلية، وشد الرحال لزيارة القبور ونحو ذلك».

ومما يتصل بالمنهج هنا رأيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هجر المبتدعة والعصاة، فقد قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] أن الأمر وسط بين طرفين، فإن الهجر يجوز للمصلحة؛ وذلك أن العاصي والمبتدع إما أن يكون معاندًا مصرًّا على الذنب والبدعة، لا يتأثر بالوعظ، ولا يقبل النصح، بل يرى صحة ما هو عليه، ويعتقد خطأ من نصحه عن ذنبه، سواء كان الذنب مكفرًا أو مفسقًا، فمثل هذا يرى هجره والابتعاد عن مجالسته وموالاته؛ لعموم الأدلة في تحريم موالاة الكفار، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]. الآية، والمودة هي المحبة والإكرام...... أما إن كان العاصي أو المبتدع متأولًا ويعتقد أنه على صواب، فإن الواجب دعوته، وبيان الحق له، وتأليف قلبه وتقريبه، وكثرة نصحه، وتخويفه وتحذيره، من غير مبادرة إلى الهجر، الذي يكون مُنفّرًا له عن الخير، ومبعدًا له عن مجالس الذكر والعلم..... وقد يجوز الهجر للعاصي إذا عُلم أن الهجر يؤثر فيه، ويسبب إقلاعه عن المعاصي.... فإن كان الهجر لا يزيده إلا تماديًا في السوء، وعملًا للمعاصي، فالمصلحة تقتضي تقريبه، فذلك أخف للشر، وأقل للعصيان.

ويرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: أنه لا يجوز في بلاد الإسلام إقرار معابد الشرك الظاهرة، وكذا البدع والمحدثات المخالفة للشرع، ويرى أن الواجب إزالة ذلك، سواء من الهيئة أو من ولاة الأمور، حتى لا يبقى الشرك في بلاد الإسلام.

---

(١) مجلة البيان، العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٢) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=3&book=27&toc=1292&page=1220&subid=20200.

هـذه أهم معـالم منهجه رحمه الله فيما يتعلق بالخـلاف والاختلاف، وهو كما رأيت منهج تأصيلي منطلق من النهج النبوي والهدي السلفي.

الدعوة والتربية

الدعوة إلى الله كما علمنا لها حظها الوافر من حياته رحمه الله، وحيث قد مضـى الحديث عن جهده رحمه الله حينما عقدنا موضوعا بعنوان داعية لا يكل، فإننـا هنا سنلخص فقط معالم منهجه في الدعـوة والتربية، ولن نتطرق هنا إلى موقفه من الجماعات الدعوية، لأن هذا له بحث خاص في هذا القسم.

وفيمـا يتعلق بمنهجه في هـذه النقطة، فإنه يرى رحمه الله أن الدعوة يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والرحمة والرفق.

نقلنا قبل عن الشيخ محمد حسان أنه قال له[1]: «وصيتي لك أن لا تكف عن البـلاغ بالحكمة والرحمة والموعظة الحسنة، وقـد رأينا ثمرة هذا المنهج بفضل الله».

ويوصـي الدعـاة دائما بالموازنة بـين الأعمال الدعويـة وظروف الحياة ويقـول[2]: «لا يجـوز للإنسـان أن يتقبل مـن الواجبات والأعمـال ما هو فوق طاقتـه، بحيـث يشغلـه عن الحقـوق المتحتمـة عليـه لله أو لعبـاده، وقد قال النبـي ﷺ لعبـد الله بن عمرو بـن العاص: (فـإن لجسدك عليـك حقًا، وإن لعينـك عليـك حقًـا، وإن لزوجـك عليك حقـًا، وإن لـزَوْرك عليـك حقًا)[3]، والحق الذي لزوجه، هو الأنس والمجالسـة الكافية، والعشـرة الطيبـة، وقضـاء

(١) قناة الرحمة.

(٢) مجلة البيان، العدد ١٣٢ شعبان ١٤١٩هـ.

(٣) أخرجه قريبا منه ابن خزيمة في صحيحه في باب: ذكر العلة التي لها زجر النبي ﷺ عن صوم الدهر من كتاب الصيام برقم /٢١٥٢.

الوطــر، والمبيت المعتاد، ولا شك أن ذلـك لا يستغرق جميع وقته، ففي إمكانه أن يقوم بواجبه الوظيفي، ومنه الدعوة إلى الله تعالى، وزيارة الإخوان، وأداء الواجبـات الدينيـة، ومنه الإتيان بمـا يقدر عليه في نهـاره أو ليله من فروض الكفايـة، سيما إذا رأى غيره لم يقم بهـا، وأصبحت متعينة في حقه، ولو كانت تحتـاج إلى سفـر بعيد أو قريب، كالمحاضـرات، والنـدوات، والنصائح، وتغيير المنكرات، والأمر بالمعروف، وإبداء الآراء والاقتراحات عند من يقبلها؛ وذلك لمـا فيها مـن المصالح العامـة للمسلمين، وما فيهـا من نصـرة الدين، وقمع العصاة والمنافقين، ومع ذلك كله فلا يهمل أهله وذريته، فقد ورد في الحديث: **«كفـى بالمـرء إثمًا أن يضيع من يقوت»**[1] وفي لفـظ: **«أن يحبس عمن يمون قوته»**[2]، وعليه أن يقنع أهله وزوجاته بما يحصل لهم من نفقة، أو إقامة، إذا تحتم عليه السفر أو الانشغال.

ويحـب رحمه الله دائما أن يبعث في قلوب الناس الأمل في وعد الله بنصرة هـذه الأمة وبالتمكين لها، لأن الناس مصابـون بحالة من القنوط وبحالة من اليأس لهذا الواقع الذي تعيشه الأمة.

وينصح أئمـة المساجد أن يتعاهدوا النـاس بالموعظة من كتب الحديث والمواعظ والآداب كرياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، وكتـاب اللؤلؤ والمرجان فيمـا اتفق عليه الشيخان، و كتاب روضة العقلاء لابن حبان، والآداب الشرعية لابن مفلـح، وعدة الصابرين، والجواب الكافي لابن القيم، وتنبيه الغافلين لابن النحَّاس، وما أشبهها[3].

(١) هكذا ذكره صاحب المغني ٧١٧/٢ من الشاملة وذكره محققو المغني ٣٢٠/٤ من تحقيق التركي في إحدى النسخ، وأثبتوا "من يقوت" الثابتة عند أبي داود بإسناد حسن في باب صلة الرحم من كتاب الزكاة برقم /١٦٩٢.

(٢) هو في مسلم بلفظ "كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته" في باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم من كتاب الزكاة برقم /٢٣٥٩.

(٣) الفتوى رقم ٧٧٠.

وهـو رحمه الله يعتني بالشبـاب، ويحب القـرب منهم، وتلمس همومهم، وإفادتهم وتوجيهم، ويقدمهم على العامة، لاعتقاده أنهم أكثر انتفاعا، ولهذا يـزور كثيرا حلقـات القـرآن، واجتماعات الشبـاب التي تعقـد في الاستراحات ونحوهـا، ويزورهـم إذا كانـوا في مكة في رحـلات المراكز الصيفيـة والمكتبات الخيرية، يقول الدكتور أحمد البناني[1]: «عندما كنت مشرفا على مجموعة من الشباب في القنفذة، ووجهنا دعوة إلى الشيخ، فأتى إلينا رغم مشاغله وارتباطاته العمليـة، فـكان حريصا على القرب من الشباب، يعلمهـم بخلقه وتواضعه أكثر من ثقافته وعلمه، وكان تأثير التطبيق العملي واضحا على الشباب».

وحتـى رسائلهم يرد عليها ويتعاهدهم بالنصح فيها، بعث له الأخ سالم ابن محمد كريم العميري من مصر يطلب نصيحته، فرد عليه رحمه الله بقوله: «سعدنـا بمـا قرأنا من حسن العبـارة وطيب التوجه، نسـأل الله لكم التوفيق والهدايـة، ونوصيكم بمواصلة طلب العلم والحرص على ذلك ومتابعة المشايخ وقراءة أمهات الكتـب، والاستماع إلى إذاعات القرآن الكريم التي تبث أخبار العالم الإسلامي والعلوم النافعة والفتاوى الموثوقة، ففي ذلك كفاية لكل مسلم يبحـث عن الخير، وفقكـم الله لكل خير، وزادكم حرصًـا، ودلكم على طريق الخير والصواب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم».

وكمـا يهتـم رحمه الله بالشبـاب، فهو يهتم بالنسـاء، ويـرى أن لهن حقا، ولهن أثرا في المجتمع، ويجيـب دعواتهن في مدارس تحفيظ القرآن والمدارس والجامعـات، فيلتقـي بهن عبر الشبكة التلفزيونية، أو عـبر الشبكة الهاتفية، ويفرغ لهن وقتا كافيا، ليأخذن نصيبهن من العلم والتوجيه.

تقول الأستاذة حواء بنت جابو عن زيارته لإحدى مدارس تحفيظ القرآن للبنات في جدة[2]: «وافق الشيخ ابن جبرين رحمه الله مع ارتباطه الشديد ليلقي

---

(١) http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20090716/Con20090716291925.htm

(٢) htm.116235-http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-45

على أكثر مــن خمسمائة امرأة محاضرة قيمة، تفيض نصحًا ولطفًا وتوجيهًا للمــرأة، لقد كانت فريــدة.. لأن الداعيــة التي كانت تلقــي دروسها المنتظمة في القاعــة نفسهــا كانت قــد ألبســت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عبــاءة التحــزب، ورمته لدى خواصــ تلميذاتها بألوان التهم، ولكن الجميــع استمع إلى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بإنصات عجيب.

قبــل انتهاء المحاضــرة جُمعت الأسئلــة من الحاضــرات، وكانت كثيرة جدًّا، لم يتسنّ فرزهــا جميعًا، واستمر في الإجابة عن الاستفسارات والأسئلة قرابة الساعة، سوى المحاضرة التــي استغرقت نحو الساعة والنصف، توقف من يقرأ الأسئلة طالبًا من الشيخ أن يغادروا ليلحقوا بموعدهم، فقال الشيخ: لا بأس هؤلاء نساء وحقهم علينا كبير، وواصل، والنساء يبعثن بأسئلتهن التي حُجــز بعضها رأفة بالشيخ، فعلت مكانته في نفوس الحاضرات في نفس المكان الذي أسيء إليه فيه».

وقــد نقلت لكــم فيما مضى عن تلميذته سمــيرة جاسين، وهي سودانية تحمل الجنسية السويدية، تركت الرفاهية في الغرب وجاءت مهاجرة للمملكة فرارا بدينها، تقول عن نفسها: «اسمي سميرة، وقد هاجرت من الغرب الذي تربيــت فيــه حفاظًا على دينــي، وبالأخص حجابي، هذه البــلاد التي اخترت الهجرة إليها حبًّا في علمائها الربانيين ودعاتها الصادقين وتطبيقها للشريعة الإسلامية والخصوصية التي تحظى بها المرأة السعودية.

الموقــف الذي لا أنساه لسماحته بالنسبة لي، هو أنه عندما علم بقصتي لم يتصل فقط، بــل جاء رَحِمَهُ اللهُ لتطييب خاطري، وإشعاري بأني وسط أهلي، وأن لا أتــردد في أن أطلب مــا أحتاجه، إشعاري بالأمــان والاستقرار، فوقوفه هذا الموقف العظيم وإحسانه إليّ بهذه الزيارة مسح من نفسي كل ما عانيته،

فلـه مني كل إجلال وإكبار، وأشهد له بهذا الموقف أمام رب العباد، بأن ثبتني على ديني رَحِمَهُ اللهُ».

وهـو كما يحرص على تشجيع طلابـه وطلاب العلم عامة، يشجع أيضًا الدعـاة والوعاظ، يذكر الشيـخ سليمان الجبيلان حَفِظَهُ اللهُ، وهو ممن نفع الله بـه في توجيه الشبـاب، وكان سببا في هداية الكثـير[1]: «حصل لي مع الشيخ عبدالله بن جبرين رَحِمَهُ اللهُ موقف كان في بداية طريق الدعوة، وهو من أسباب تشجيعي واستمراري في طريق الدعوة.

في عـام ألـف وأربعمائة وعشـرة هجرية كنت في موسـم الحج فدعيت لزيـارة مخيـم، وقال الإخوة: إنه ملـيء بالناس، ونريـد أن تأتي معك ببعض لاعبـي الكرة، وكان معنا اثنان من لاعبي الكرة المشاهير، يعدان من مشاهير الكـرة العربيـة، قد هداهـم الله لطريق الخـير، فذهبنا للمخيـم، وفوجئت بالشيـخ عبـدالله ابن جبرين جالسا علـى الكرسي أمام النـاس، فما رضيت أدخـل، وعتبـت على صاحب المخيـم، كيف يدعوني والشيـخ عندهم، فألحوا بالدخـول، فدخلت وجلست في الصفوف كمستمع للشيخ، فألزموني أن أتكلم، فأبيت أن أتكلم في حضرة الشيخ العلامة ابن جبرين، ففوجئت بالشيخ نفسه يقـول: يا بني تكلم، يا بني لا تنهى عن نفسـك الخير، فاستحييت منه، وقلت لـه: أنـت والد وكلامك أمـر، فتكلمت الحقيقـة قليلًا ثم تكلـم الإخوة الذين معي، فعندما فرغنا قلنا: يا شيخ عبدالله لعلك إن أخطأنا في شيء تصححه، فاغرورقت عيناه بالدمع، وقال: الحمد لله الذي أحياني حتى رأيت من أولادنا وشبابنا من يتحدث في الدعوة ويتكلم في طريق المصطفى ﷺ، عندما كنا من قبل نجد من شبابنا في التسعينيات الهجرية المصادمات، ونجد الأذية، فالآن

(١) قناة «حياتنا».

لا تسعني الفرحة حين يتكلم أمامي فلان وفلان وفلان، فكان هذا من أقوى حوافزي في استمراري على طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى».

منهجه في النظرة للجماعات الإسلامية

هذا الموضوع له ارتباط بالدعوة، ولكني آثرت أن يكون الحديث عنه مستقلا، لأنه طويل الذيل، كثير التشعب، وسأبدأ بعرض منهج الوالد رحمه الله في هذا الموضوع من حيث الجملة، ثم أتكلم عن موقفه من جماعة التبليغ والإخوان المسلمين والتكفيريين، مبينا منهجه في التعامل مع الصراعات بين الجماعات الإسلامية.

وهذا الموضوع شديد الحساسية سياسيا ودعويا، أسأل الله أن يعينني فيه على تجلية الصورة الواقعية لمنهج الوالد رحمه الله، ولهذا سأعرضه معتمدا على الأسلوب التوثيقي والوصفي بحسب ما يقتضيه المقام.

إن الوالد رحمه الله ذو منهج تكاملي ونظرة كلية محيطة، فهو ينظر للجماعات الإسلامية نظرة متوازنة، يغلب فيها حسن الظن بأن هذه الجماعات مبناها على الاجتهاد وإرادة الخير وحب العمل للإسلام، وأنها يكمل بعضها بعضا، ويعين بعضها بعضا، وينصح بعضها لبعض.

يقول رحمه الله[(1)]: «إذا فضلت طائفة من أهل العلم الدخول في الوظائف والولايات والانتخابات لأجل تخفيف الشرور فلهم ذلك.

وإذا رأى آخرون الاشتغال بالدعوة والتنقل في القرى والمدن، فإن ذلك نفعه كبير.

---

(1) من مقابلة للوالد رحمه الله مع الدكتور عادل باناعمة نشرت في مجلة الجسور ١/٥/١٤٢٤هـ
http://banaemah.com/media1.asp?id=20&flag=1

وإذا رأى آخـرون الجلوس في الحلقات وتعليـم المبتدئين العقيدة وأوائل الفقه، واقتصروا على ذلك فلهم اجتهادهم، وهم على خير.

وإذا رأى آخـرون الاشتغـال بالكتب ونشرها في صفـوف المسلمين ورأوا إذاعـة العلـوم والفوائـد عـبر الإذاعـات المسموعـة والمرئية أو عـبر الشبكة العنكبوتيـة وكانوا مـن أهل العلم وسلامة العقيدة فلهـم ذلك، وعلى الجميع الحرص على الائتـلاف وعدم تضليل الآخرين من المسلمـين، الذين اختاروا جهة يرون أن العمل فيها جدير بالعناية».

هذه النظرة هي التي ميزت الوالد رحمه الله، يقول الشيخ محمد العوضي[1]: «كان الشيـخ رحمه الله حريصًـا على لم الشمـل وحصر الخـلاف، وكان دائمًا في كتاباتـه لا يحبذ التعصب للمسميات، يرى أن الحق يتفق عليه الجميع، كان يؤلم الشيخ هذا التشرذم الذي يحدث بين أهل الخير وأهل الحق وأهل الدعوة، وكان قلبـه على الأمة، لأن عقله كبير وقلبه كبير وهمومه كبيرة، فعاش من أجل الأمة، وعاش لها، وعاش لدعوته رحمة الله عليه».

فهـو رحمه الله مـع الجميـع، ولكنه لا ينتمـي لأحد، بـل ولا يؤيـد الانتماء والتحـزب، ومن أعجب ما قرأته في أخبار وفاته رحمه الله أن وكالة رويتر حينما بثـت النبأ جاء في خبرها[2]: «يقـول دبلوماسيون غربيون: إن خبراء مكافحة الإرهاب في الولايـات المتحدة والاتحاد الأوروبي لم يتمكنوا أبدا من إثبات أي صلة لابن جبرين بأي جماعة متطرفة».

وأنـا أعجـب كيف يعرف الغرب عنـا أكثر مما نعرفه عـن أنفسنا، لأن بعض المنتسبين للعلـم والدعوة يصنفـون الوالد رحمه الله تصنيفـات ليس لها نصيب من الصحة.

---

(١) قناة «حياتنا».

(٢) http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE56C0N120090713.

وهـو رحمه الله يوافـق كل جماعة فيما عندها من الحـق، وينصحهم فيما عليهم من ملحوظات، ولا شـك أن بعض الجماعات كالتكفيريين والجهاديين والسروريين والإخوان المسلمون والتبليغيين وربما غيرهم يستفيدون من بعض فتاوى الوالد و كلماته، التي يلقيها، ويكون فيها ثناء على ما عندهم من الحق، للقـول: أن الشيخ رحمه الله يؤيد مسلكهم، بل ربمـا فسر بعضهم الشيء بغير ما يريده به رحمه الله، وربما استغل ذلك غيرهم، وأسقط على الوالد رحمه الله وصفا بأنه من هذه الجماعة أو تلك، بحسب رأيه في قضية واحدة، يرى أنها صواب.

وربمـا سعـى بعضهم لاستصـدار فتـوى أو مقالة لتأييـد قضية معينة، وحـاول بعضهـم التأثير علـى الوالد لتبنـي منهج من المناهـج، ولكنه رحمه الله لـه منهجـه الواضح المبني على الشـرع والعقل والعـدل والموزانة بين المصالح والمفاسد.

جـاء في خطبة جمعة بعد وفاة الوالد رحمه الله للشيخ نور الدين درواش[1]: «الحزبيـون والحركيـون والإخوانيـون وأذنابهـم في المملكـة وفي الجزيرة وفي غيرهما اتخذوا من بعض فتاوى الشيخ رحمه الله التي كان يبنيها على إحسان الظن ببعضـ المخالفين سلاحًا يضربون به أهـل السنة، لعدم المعرفة التامة بواقعهم وبانحرافهم وبأخطائهم، فالحزبيون يتخذون من ذلك سلاحًا يضربون به أهل السنـة ودعوتهم، ويروجـون به باطلهم، فلا يرون من علم الشيخ إلا الثناء على سيـد قطب، والثناء على حسن البنا، والثنـاء على إمام الخوارج وزعيم تنظيم القاعـدة، هذا الذي يفرحهم، وهذا الـذي يعجبهم من الشيخ عليه رحمة الله، ونحـن مع أننا نـرى أن تلك من أخطاء الشيخ، نسـأل الله ﷻ أن يتجاوز عنه، وأن يغفرها له، وأن يقلبها حسنات له، عليه رحمة الله، إلا أننا لا نوافقه عليها، ولكننا نرى أنها مغمورة في بحار حسناته عليه رحمة الله».

(١) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=180496.

وقـد أثبـت هذا النصـ بالرغم مما فيه مـن جرح لمشاعـري ومشاعر المحبـين للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، لأبين للجميـع بأني محايد في هذه السيرة، ولأثبت بأن العقلاء من جميع الطوائف والجماعات يقدرون له قدره رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويقـول الشيخ عبدالرحيـم التميمي[1]: «تميز الشيخ منـذ بزوغ شمس الصحـوة في بدايـة التسعينيـات بدعـم مسيرة الدعـاة الشبـاب وتشجيعها ومباركتها، والوقوف بجانبها في كل ملمّة ومحنة، وفشل كافة خصوم الدعاة، على كافة توجهاتهم، من انتزاع أي كلمة يدين فيها طلابه وأحبابه من المشايخ والدعاة، وهذا لا يعني بالضرورة أن الشيخ عبدالله كان موافقًا لكل اجتهادات وتصرفـات تلاميذه، ولكنـه بالتأكيد كان يعلم أهـداف ومقاصد خصومهم، وفي هـذا درس بليغ لئلا يُستغل طالب العلم من قبل خصوم الدعوة في ضرب الدعوة بسبب خلاف في الاجتهاد».

ويقـول الشيـخ خضر بن سند: «لا يرضى بأن تـؤذى حمامة، فكيف بأن يـؤذى مسلـم، وأعظـم من ذلك في نظـره أن يكـون الذي لحقـه الأذى عالمًا مخلصًـا، أو شابًا أوذي من أجل دينه وعقيدتـه، فيراه الناس جميعًا يحرص أن يكـون أول الزوار لـه، والمناصرين له، لا يبالي بـكلام الناقمين، ولا يلتفت لغضب الغاضبين ممن جرفتهم الأهواء، أو خشوا أن يؤثر ذلك على مكانتهم الدنيوية أو مناصبهم الرسمية».

وأذكر أن أحد مقدمي البرامج التلفزيونية أراد من الوالد حوارا بعد أحد حوادث التفجير فوافق رَحِمَهُ اللَّهُ، فاتفقت معه رَحِمَهُ اللَّهُ على بعض النقاط المقترحة للحوار، لأن اللقاء حساس، فلما أرسلنا النقاط لمقدم البرنامج اعتذر.

---

(١) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=181345.

وحدثني الدكتور أحمد العنقري أن الوالد رحمه الله حضر عند سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، لتوزيع ندوات الجامع الكبير كالمعتاد في كل عام، فطلب أحد الحضور الحديث عن جماعة الإخوان المسلمين والتحذير منها، فوجم الجميع، فعلق الوالد تعليقا صريحا بعدم مناسبة ذلك درءا للخلافات.

فهذه نظرة عامة عن منهجه رحمه الله في النظر للجماعات الإسلامية، والموقف منها من حيث الجملة.

وأما موقفه من الجماعات الإسلامية من حيث التشخيص فمشهور معروف، ولعلي أشير هنا إشارات خفيفة لبعض ذلك، ومن أراد الزيادة فإن موقعه رحمه الله فيه كفاية لمن أراد مزيدا.

لقد عرف الوالد رحمه الله الجماعات الإسلامية قديما، وخالط كبارهم وكان بعضهم من تلاميذه، عرف الجماعات قبل وفاته رحمه الله بأكثر من أربعين سنة، قبل هذه الصراعات والمشاحنات التي حدثت، وهو رحمه الله لم ينتم لجماعة أو ينتظم في تنظيم، وإنما لأنه قد فتح قلبه لأفراد الأمة فإن أتباع هذه الجماعات كان لهم نصيب من وقته وقلبه.

فالزعم بأنه لا يعرفهم ولا يعرف مناهجهم غير سديد ومجانب لواقع حاله رحمه الله.

عاصر رحمه الله الفتن القديمة التي مرت الجماعات كفتنة جهيمان في الحرم المكي، وما سبقها من عمل دؤوب لهم، وكان ممن تصدى لهم وناصحهم وحذر من منهج جهيمان، حينما كتب رسائله التي تحتوى على نقد للحكومة وللعلماء في ذلك الحين، ولازالت في عيني صورته، ونحن في بيت

السبالـة، وهو جالس في ظل جدًار مكتبته في سطح منزلنا الطيني، ومعه قلم يعلق على تلك الرسائل، ويرد على أخطائها ويدحض شبهاتها.

فإذا وعيت ذلك فدعني الآن أنقلك إلى موقفه من الجماعات المشهورة في المملكـة، التـي عاصرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وستعلم أن مواقفه هـذه ليست مبنية على عاطفة ودون علم بالواقع، بل مبنية على العلم والعدل.

موقفه من جماعة التبليغ

عـرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جماعـة التبليغ قديما، وقـرأ عنهم الكثـير، وهو يحتفظ بملـف كبير فيه أوراق متعددة عن هـذه الجماعة، أراه يرجع إليه ويصور منه بعضـ الأوراق، ليـزود بها من يجري معهـم الحوار حولهـا، إذ كان عدد من الإخوان يناقشونه في رأيه فيهم، ويوردون شبها كثيرة حول هذه الجماعة.

سأورد أولا رأيه الواضح في هذه الجماعة، ثم أسرد لك بعض الأحداث.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتوى له بتاريخ ١٤٢٠/٢/٥ هـ: «اعلم أن جماعة التبليغ نشأت في الهنـد، وكان فيهم هناك جهل بالسنة، وغلو في الأموات، وشيء من التوسـل بالقبـور ونحو ذلك من البـدع، ولكن قصدهم دعـوة أهل الإعراض عن الدين، ممن تركوا الصـلاة واتبعوا الشهوات، وقد اقتدى بهم في طريقة الدعوة بعضـ طلبة العلم من أهل البلاد الأخـرى كالسعودية والكويت وقطر ونحوهـا، فإن كانـوا من أهل العلـم والتوحيد والبعد عن البـدع والشركيات، جـاز الخروج معهم، حيث قـد هدى الله بواسطتهم خلقًـا كثيرًا من الضلال الذيـن كانوا قد انهمكـوا في الحرام من الزنا والخمـر والدخان وحلق اللحى وتـرك الصلاة والإعراض عـن الدين، فبمجرد صحبة هـؤلاء الدعاة أقلعوا عـن المعاصي، وأقبلـوا على الطاعات، وتعلموا الكثير مـن واجبات الدين، ثم

إن طريقتهم ترغيب العامة في صحبتهم والخروج معهم إلى القرى والبوادي والمدن، وزيارة الأفراد والوجهاء وحثهم على الخير والعمل الصالح، ولم يكن من طريقتهم الإنكار على العاصي مباشرة مخافة التنفير، وإنما يخرجون به حتى يشاهد اجتهادهم في الذكر والعلم والتهجد والسنن والبعد عن المحرمات، ويسمع التحذير من المعاصي والمخالفات فيراجع نفسه ويقلع عن المعاصي، ولو لم يسمع إنكارهم عليه مباشرة، فمتى كانوا من أهل العقيدة السليمة، وسلموا من دعاء الأموات والتمسح بالقبور، وتحري الصلاة عند الأضرحة، ومن المسكرات والمخدرات واشتغلوا بالقرآن والحديث والمواعظ والنصائح، وقاموا بالنوافل من الرواتب والأوراد والتهجد، فلا يعابون بشيء ولا مانع من صحبتهم للاستفادة».

هذا موقفه من هذه الجماعة ورأيه فيها، يضع الضوابط ويفرق بين الموجودين في الخليج ممن نشأ على عقيدة سليمة وبين غيرهم ممن نشأ على الشركيات والبدع، ولهذا يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:[1] «لا يجوز الإنكار على أهل التبليغ الذين يعتقدون عقيدة السنة في الأسماء والصفات والقضاء والقدر والوعد والوعيد».

وكان يذكر عن شيخيه محمد بن إبراهيم وعبدالعزيز بن باز[2] تأييد من هو على عقيدة صحيحة من هذه الجماعة، ويحتفظ كما ذكرت بفتاوى حول ذلك.

وكان يزور رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرا من المناطق ويوجد فيها بعض أفراد هذه الجماعة، فيسألونه في المحاضرات عنهم فيثني عليهم، وقد حدثني ابن العم

(١) مقابلة للوالد مع الدكتور عادل باناعمة نشرت في مجلة الجسور ١/٥/١٤٢٤هـ
.http://banaemah.com/media1.asp?id=20&flag=1

(٢) انظر فتاوى للشيخين ابن باز وابن عثيمين في
.http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=158143



أحمد بن محمد أنه كان معه في وادي العجمان، وكان منظمو المحاضرة ممن لا يؤيدون الجماعة، فسأل أحد جماعة التبليغ سؤالا شفويا، فلم يرد عليه الوالد مراعاة لحال من في المجلس، فانبرى مقدم المحاضرة يثلب فيهم، فهاهنا تكلم الوالد بعد الصلاة وبدأ يثني عليهم.

وكان إذا سأله أحد عن صحبتهم سأله بحماسة: هل رأيتهم يدعون الأموات، هل رأيتهم يشربون الخمر؟.. ونحوها من الأسئلة.

ولعل السبب في هذا الموقف منه رَحِمَهُ اللهُ أنه رأى أثرهم في كثير من العصاة، كتب أحد الإخوة من حائل(١): «حدثنا الشيخ ببعض القصص منها: أنه كان في إحدى قرى الجنوب مجموعة من تجار المخدرات، الذين لا يعرفون الصلاة طرفة عين، فأتاهم مجموعة من جماعة التبليغ، ونقلوهم من الضلال للهدى، وأصبح تجار المخدرات من أكثر الناس عبادة وتقوى وصلاحا.. حتى تعجب الناس من هذه النقلة، وأصبح هؤلاء مع التبليغ يقول فأتاهم آخر ممن يحذر من هذه الجماعة، وأخبرهم أنهم لو كانوا على المخدرات لكان أهون من كونهم مع التبيلغ، وأن الله لن يقبل أعمالهم، فترك هؤلاء العبادة وتركوا الصلاة ورجعوا للمخدرات».

وقد قابلنا في أثناء سفرنا بصحبته عددا كبيرا ممن تابوا على يد هذه الجماعة، وكانوا يقصون عليه قصصهم قبل الهداية، وما كانوا عليه من الفسوق والعصيان.

زرنا أحدهم في تثليت ودخلنا بيته ورحب بنا، وكان يضع يده على مسند، فسأله الوالد رَحِمَهُ اللهُ: أين كنتم تخفون المخدرات؟ فقال: في هذه المسندة التي تحت يدي، والحمد لله على الهداية.

---

(١) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.

ومـن الأسباب في هـذا الموقف معرفته لبعض كبارهـم: كالشيخ يوسف الملاحي، وكذلك تدريسه لبعضهم في المعهد والكلية والمساجد، ولم يجد منهم شيئا ينكره عليهم في العقيدة والعبادة والعمل.

موقفه من جماعة الإخوان المسلمين

موقف الوالد رحمه الله من جماعة الإخوان المسلمين يسير في المنهج نفسه، الذي سار عليه مع جماعة التبليغ، فهو يثني عليهم فيما عندهم من الصواب، وينصـح لهم فيما عندهـم من أخطاء، يقـول رحمه الله:[1] «الإخـوان المسلمون نحسـن الظن بهم، ونعتقد أنهم قصدوا الحق ونصروا الدين، ونعذرهم فيما يكـون بينهـم من مبتدعة في العقيـدة أو في الأعمال أو في المـزارات على وجه المسامحة، رجاء تأثيرهم في أهلها.... إذا كانت أعمالهم لا تصل إلى الكفر».

وهذا الرأي منه رحمه الله قديم، ولا شك أن جماعة الإخوان من الجماعات الكبـيرة المنتشرة في العالم الإسلامي، وأن لهـا الأثر الفاعل في إحياء الحس الإسلامـي في كثير من الدول، ولكـن الجماعة ينتسب لها كثير من الناس من مختلـف الفرق والطوائف، التـي عندها بدع وشركيات، وهـذا ما جعل بعض طلاب العلم ينتقدونها.

ورأي الوالـد رحمه الله لا يخالـف رأيهم من حيث الموقف مـن هذه الشركيات أو البدع، لكنه رحمه الله يفرق بين أفرادها بحسب معتقداتهم ويذكر الحسنات والأخطاء.

ولهـذا فإنـه إذا سئل عن هـذه الجماعة من حيث الجملـة أو عن بعض أفرادهـا بـين الأمرين، فقـد سئل مثلا عـن بعض رموز الجماعـة، فقال[2]:

(١) مقابلة للوالد مع الدكتور عادل باناعمة نشرت في مجلة الجسور ١/٥/١٤٢٤هـ http://banaemah.com/media1.asp?id=20&flag=1.

(٢) الفتوى رقم ١٢٢٦٤.

«هـؤلاء العلماء لهـم فضلهم وعلمهـم، ولهم شهرة ومكانـة في النفوس، ومع ذلـك لهم زلات وهفوات واختيـارات مخالفة للشرع، فيؤخذ ما هو صواب من أقوالهم وفتاواهم، وتترك تلك الهفوات والزلات، فإن كل جواد له كبوة».

ولمـا سأله فهـد السنيدي عن النقل مـن كتب سيد قطـب دون إشارة مخافة الإشـكالات التـي أثيرت حولـه، قال[1]: «انقل عـن هذا الكاتب ولا تـتردد، دون أن تنسب إليه إذا كان في النسبة إليه ضرر، لأنك تعلم أن ابن أبي العز الحنفي لما شرح الطحاوية نقل عن ابن تيمية ولم ينسب إليه، لما كان من ضرر وعدم قبول لاسمه في ذلك الوقت، لا عليك، الحق هو الذي يبقى يا فهد، وسترى ما أقول لك في القريب».

ولاشـك أن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يعي الفرق بين من ينتسب لهذه الجماعة وبين من ينسب إليها أو يصنف على أنه منها.

وقد حدث كما ذكرت صراع عنيف في أثناء حرب الخليج وما بعدها بين طوائـف من التيار السلفي والتيار الإخواني، سواء أكانوا من المنتسبين أم من المصنفـين، لأن في الساحة كثيرًا من الأفـراد المستقلين عن الجماعات، ممن أخذ شيئا مما عند هذه الجماعات من الحق، وترك ماعندها من الخطأ، ولا شـك أن لهؤلاء الأفـراد أيضًا اجتهادات خاطئة، سـواء في القضايا الشرعية أو الواقعيـة مـن سياسيـة واجتماعية، وقد يكون الخلاف مـن باب التنوع لا التضـاد، لكن يضيق بعض المختلفين بالرأي الآخر، أو يرى ولي الأمر من باب السياسة الشرعية أن هذا الرأي لا يناسب نشره في الناس، وتأخذ الداعية أو طالـب العلم الحماسة في حقبة نشوة أو غفلة أو تشويش من العامة والغوغاء، فيخالف رأي ولي الأمر، ولهذا حدث ما شهدته الساحة الدعوية من مناقشات أو مناوشات أو إشكالات بين الدعاة وبين بعضهم وبين الحكام.

---

(١) مجلة صفاء الإسلام http://www.safa-alislam.net/7/faqeed2.htm.

ولم يكن الوالد رحمه الله بعيدا عن هذه الصراعات، بل كانت تؤلمه وتقض مضجعه، وكان يتعامل معها بحكمة وعدل وعقل، كما ذكرنا من قبل.

كان يناصح الدعاة الذين يظهر منهم بعض التجاوزات والاجتهادات غير الصائبة، وينصر أيضًا من يحس أنه ظلم بقول أو فعل، كان رحمه الله ينصرهم بقوله وفعله، ومع أنه أصابته بعض السهام، إلا أنه لم ينتصر لنفسه أو يدافع عنها، فكان محبو الوالد رحمه الله يدافعون ويدفعون عنه.

يقول الدكتور حبيب بن معلا المطيري تعليقا على صنيع أحد المواقع الإلكترونية، التي تسير في هذا الاتجاه في يوم وفاة الوالد رحمه الله[1]: «مضت الآن قرابة الإحدى والعشرين ساعة على وفاة الشيخ رحمه الله.. ولم أر في المنتدى موضوعًا واحدًا أو خبرًا مقتضبًا عن وفاة الشيخ رحمه الله.. ومضى يوم كامل على وفاة الشيخ تواجد خلاله عدد ضخم من الأعضاء في المنتدى من دون أن نرى منهم ولو موضوعًا واحدًا تكتفي به الإدارة وتقفله.

أرحيل سماحة الوالد الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله بعد خمسين عامًا قضاها في العلم وفي الدعوة لايعني شيئًا لهؤلاء؟».

ويقول الشيخ نور الدين درواش[2]: «غلاة التجريح أخذوا بعض كلامه واستغلوه لإسقاط الشيخ ودحره، والتحذير منه وتسفيهه وتبديعه، بل قال قائلهم: إنه ليس بعالم ولا هو بسلفي».

ويقول الشيخ إبراهيم محمد السماعيل[3]: «وبرغم كل خصاله الحميدة وبذله لخدمة هذا الدين وصلاحه وتقواه وزهده، وقبل ذلك علمه،

---

(١) http://www.benaa.com/Read.asp?PID=1441506&cnt=0&Sec=0.

(٢) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=180496.

(٣) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=179870.

وعملــه انبرت له فئــة.......... أخذت علــى نفسها السعي لثلــم هذا الجبل، فاتهمــوه في عقيدته وفي علمه وفي منهجه، ولاكته الألسن، وأسيء معه الأدب، فمــا زاده ذلك إلا عزا ورفعة وسمــوا، مضى في طريقة مجاهدا بعلمه، غاضًا بصره وعقله عن سفاهاتهم، داعيًا لهم بالهداية، مفوضًا أمره إلى لله».

وأرسل إليه سائل سؤالا، قال فيه[1]: «وصلتني أخبار قالوا فيها: إنك من رؤوســ القطبية فهل هذا صحيــح؟ فأرجو منك يا شيخ أن تطمئنني بجوابك، فقــد كثر الكلام اليوم علــى العلماء والتجريح فيهم، فأصبح كل من هب ودب يتكلــم في أعراض العلماء والطعن فيهــم، وذكر بعض العلماء كالشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

فأجابــه رحمه الله بجواب طويل قال فيه: وصلنا خطابك وسَرَّنَا ما فيه من التوجــه، وما تقوم به من النصيحة، ومقاومة المبتدعة، فتمسك بالسنة، وسر علــى نهج السلــف..... ولا شك أن الذين يقدحون في علمــاء الدين، ويتتبعون الهفــوات، فيجعلون من الحبة قبة، أنهم بعيدون من الصواب، فلا يغتر بهم، فالواجب أن يسمع من العلماء، وإذا رئي منهم شيء من الخطأ فإنهم يعذرون، لأنهــم مجتهــدون، والمجتهد له أجــر على اجتهاده، ولحــوم العلماء مسمومة، والطعن فيهم طعن في العلم الذي هو ميراث الأنبياء».

وإذا سألــت: لمَ توجهــت السهــام للوالــد رحمه الله دون غــيره؟! فإن ذلك بسبــب كونه دافع عمــن نالتهم سهام التجريــح، وكان رحمه الله صريحا في هذا المقــام، لا يوري ولا يــوارب، بل كان شديــد العبارة قاسيــا في بعض الأحيان، ولعلي أضرب مثلا ببعض عباراته رحمه الله.

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=fatwa&view=vmasal&subid=4356.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الواجب عليهم إذا رأوا خطأ في أحد كتب المشايخ المشهورين، أو في شريط من أشرطتهم، أن يُراجعوا ذلك الشيخ، ويتثبتوا من هذا الخطأ، فإن كان خطأ صحيحًا أقنعوا ذلك العالم بما رأوه، فهو سوف يتراجع عن خطئه، أما إن كان ليس عليه خطأ، فإنه سوف يُبين لهم الصواب والقول الصحيح، ويوضح لهم سوء فهمهم، والظاهر أن هؤلاء ليس قصدهم النصيحة ولا التحذير من الأخطاء، وإنما قصدهم التعصب لبعض مشايخهم، الذين اشتهروا بالميل إليهم، والذين بينهم وبين هؤلاء المشايخ منافسة حصل من آثارها مقاطعة وبغضاء وأحقاد وعداوات، بحيث صاروا يُخطئون كل من خالفهم في منهجهم، ويرمونه بأنه قطبي كما يقولون أو إخواني أو سروري..... عليكم بالمبتدعة الذين يدعون إلى البدع: كعبادة الأموات وعمارة المشاهد التي هي كالأصنام، وإحياء الموالد المبتدعة، وكذلك المبتدعة في العقيدة كالروافض الذين انتشر شرهم وتمكنوا في كثير من البلاد، وكذلك المعتزلة والمتصوفة والأشاعرة والإباحية والعلمانية والحداثية والبعثية والإباضية ونحوهم، من الذين تُحقق كفرهم أو ابتداعهم وعُرف كثرة خطرهم وشرهم على الإسلام والمسلمين فهم أولى بأن توجه إليهم الردود ويُحذر المسلمون من شرهم».

وهذا الكلام هو كلام علمائنا وقد وجدت لمعالي الشيخ صالح بن فوزان حَفِظَهُ اللَّهُ كلامًا قريبا من كلام الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول معاليه[2]: «اتركوا الكلام في الناس، فلان حزبي... فلان كذا... ابذلوا النصيحة وادعوا الناس إلى اجتماع الكلمة، وإلى تلقي العلم عن أهله، وإلى الدراسة الصحيحة، إما دراسة دينية وهذه أحسن، أو دراسة دنيوية تنفع نفسك وتنفع مجتمعك، أما

(١) الفتوى رقم ٨٠٤.

(٢) http://www.albaidha.net/vb/showthread.php?t=5741.

الاشتغال بالقيل والقال، فلان مخطىء، وفلان مصيب، وفلان كذا... هذا هو الذي ينشر الشر، ويفرق الكلمة، ويسبب الفتنة... إذا رأيتَ على أحدٍ خطأً.. تناصحه بينك وبينه، ولا تجلس في مجلس تقول فلان فعل كذا وفلان فعل كذا... تناصحه فيما بينك وبينه.. هذه النصحية، أما كلامك في المجلس عن فلان، فهذه ليست نصيحة هذه فضيحة.. هذه غيبة.. هذه شر...».

وكما يعلم القارئ فإنه لم يسلم أحد من الكلام حتى الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالوا عنه إنه من مرجئة الفقهاء، ويكثرون من الكلام فيه والحديث عن أخطائه. وقد سئل الوالد عنه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ فقال كما سبق نقله[1]: «نعتقد أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حملة العلم، ومن أهل الحديث، ومن علماء الأمة الذين لهم مكانة كبيرة بين العلماء. فقد خدم العلم وخدم الحديث، وجهر بالحق، وألف المؤلفات النافعة، ولكنه تساهل في بعض المسائل.... وهذا من الأخطاء التي له فيها عذر، ولكن يُتَجَنَّبُ خطؤه، ولا يلحق بمرجئة الفقهاء، الذين يقولون: إن الأعمال ليست من الإيمان، والذين يغلبون جانب الرجاء ويبيحون المعاصي، فهو بريء منهم».

وقد رد على الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير منهم، ولكنه لم يلتفت لهذه الردود، ولم يشغل نفسه بها.

موقفه من الجهاديين والتكفيريين

لقد جمعت موقف الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هاتين الطائفتين، مع أنه يفرق بينهما؛ لأن كثيرًا من الناس لا يميز الفرق، إذ قد غلبت على ساحات الجهاد في كثير من مناطقه الأفكار التكفيرية، ولست بصدد الحديث عن كيف تم

(١) الفتوى رقم ١١٩٦٨.

ذلك وإن كان ذلك مهمًّا؛ لأننا نتحدث عن سيرة الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحديث عن هذه المسألة يخرجنا عن موضوعنا.

إن الجهاديين هم فئام من الشباب الذين يملأ حب الإسلام قلوبهم، وقد سيطر عليهم هَمٌّ نصرة المسلمين في المناطق الساخنة من العالم الإسلامي، كفلسطين، وأفغانستان، والعراق، وكشمير، والشيشان، وغيرها من المناطق التي استولى عليها الكفار ونحوهم وعرضوا أهلها للفتن، ولا شك في صدق هذه الطائفة وإخلاصها وإن كان عندها تشدد فيما يتعلق بالنظرة إلى حكام المسلمين وعلمائهم وشعوبهم، لكن هذه النظرة لا تصل للتكفير ولا حتى التفسيق، وإنما هي دائرة في محيط الاتهام بالركون إلى الدنيا، والخلود للراحة، والتعلق بالشهوات. وقد كان الجهاديون يملأون ساحات الجهاد في أفغانستان في أول أمرها، إذ قد أحيت الظروف في تلك الأيام شعيرة الجهاد في نفوس الكثير من الشباب، فانطلقوا إلى هناك زرافات ووحدانا، بدعم وتشجيع من المؤسسات الرسمية والشعبية، وتولدت عندهم هذه النظرة بسبب ما يعيشونه من أجواء حماسية، وإحساس بقيامهم بواجب شريف قصر فيه الكثير من الحكومات والشعوب، وبعد تمكن أفكار التكفير، واختلاف وضع الجهاد في أفغانستان من حرب للكفار إلى حروب أهلية وصراعات محلية، انتقل كثير من الجهاديين للشيشان وداغستان ونحوهما من مناطق الصراع مع الكفار، لكن كانت تلك المناطق بعيدة عن الأضواء، فخف تواصلهم مع البلاد الإسلامية بعد أن سيطر الفكر التكفيري على كثير من الساحات.

أما التكفيريون فمعروفون اليوم في كل مكان، يفتي فيهم العلماء، ويتكلم عنهم الحكام والساسة، وتعرض عنهم وسائل الإعلام، وتعقد المؤتمرات العلمية لمناقشة أفكارهم والرد عليهم والتحذير منهم.

فبين الجهاديين والتكفيريين شأو بعيد وفرق شاسع، لكن اختلاط الأوراق، ووجود النظرة المتشددة لدى الجهاديين في نقد غيرهم ولومهم على القعود، جعل كثيرًا من الناس لا يفرق بينهما، فلا يعرف الفرق سوى المتخصصين من طلاب العلم، والمفكرين والساسة ورجال الاستخبارات.

وفي هذا الموضوع سأتحدث عن موقف الوالد رحمه الله من الجهاد ومن التكفير، وسيتبين كيف يفرق رحمه الله بينهما، فهو مع الجهاد والمجاهدين بقلبه وعلمه ودعمه، بشروط الجهاد المعروفة، وضوابطه الشرعية، وآدابه، وأخلاقه، وهو ضد التكفير، والتفجير، والإفساد، والعدوان.

ولتفريق الوالد رحمه الله وغموض هذا الفرق عند كثير من الناس، اشتبه عليهم موقفه، ولم يدركوا حقيقة أمره، فناقشه من ناقشه، وانتقده من انتقده، واجتذبه من اجتذبه، بل حتى إن أفراد تنظيم القاعدة هم فيه من المختلفين، فبعضهم يجعله نصيرًا ظهيرًا، وبعضهم يجعله مداهنًا قاعدًا كما سترى في هذا المبحث.

ولعلي هنا أبدأ بنظرة الوالد رحمه الله للجهاد والمجاهدين؛ لأنها أخف على النفس وأقرب للقلب، ثم أثني بموقفه من التكفيريين خاصة تنظيم القاعدة، إذ هو أهم الجماعات التكفيرية التي تناولها الوالد رحمه الله ودار بينه وبينها سجالات، فالجماعات التكفيرية الأخرى كالتكفير والهجرة، والجهاد، وغيرهما لم يحصل معها حوار، سوى نصائح أرسلها بواسطة بعض طلاب العلم الجزائريين إلى أفراد من الجماعة المسلحة في الجزائر سأشير إليها إن شاء الله باختصار.

ودعني قبل هذا آتي لك بجواب للوالد رحمه الله لما سئل عن الإرهاب، يعطيك تصورًا عن نظرته العامة لمصطلح الإرهاب الذي كثر استخدامه في هذا العصر،

واستغلـه الأعداء لرمي المتدينين من حيث الجملـة به، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ [1]: قال الله تعـالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠]. فالإرهاب هو تخويف الأعداء من الكفار، وجمـع العدة حتى يخافوا من قوة المسلمـين، والرهبة عبادة لله تعالى، وصف الله تعـالى بها بعض عباده في قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء: ٩٠]. وأمر بها في قولـه: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقـرة: ٤٠].، فالإرهابيون هم الذين يرهبـون الكفـار من اليهود والنصـارى بالكثرة والعدة والعتـاد، ثم إن بعض الدول في أمريكا وفي تونس نقلوا هذا الاسم إلى كل من يخافون أن يثور عليهم أو يكفرهم أو يعلن فضائحهـم، فصاروا يسمون الصالحين والمصلحين بهذا الاسـم، ويعتقدون في كل من يحافظ على حدود الله، ويواظب على الصلوات، ويعفـي لحيتـه، ويرفع لباسـه إلى نصف السـاق، ويمتنع من سمـاع الأغاني والملاهـي، ويفتي بتحـريم السفور والتـبرج والاختلاط بين الرجـال والنساء ويحرم ذلك، فهذه السمات جعلوها صفة لمن يسمونه إرهابيًا؛ لأنهم يحذرون أنه يكفر رؤساء الـدول التي تبيح هذه الأعمال وهذه المخالفات، فيخشون أنه يثـير أفراد الرعية، ويحرضهم على الخـروج عن الطاعة وتكفير الأئمة وولاة الأمور، واستباحة قتالهم، هكذا.

ونـرى أن هذا ليس بصحيـح، فليس كل متمسـك بالشريعة ومتنزه عن المحرمـات يُعَـدُّ مكفرًا للدولة ومبيحًـا لقتالها، بل الأصل أنـه يعمل بواجبات الإسـلام ومستحباته، ويترك المحرمـات والمكروهات عبادة لله تعالى، وخوفًا مـن عذابه، فلا يجوز إلصاق الظن والتهمة بمثـل عباد الله الصالحين، فإن الظن أكذب الحديث، ولكن مع ذلك ينصح من يخاف منهم التشبب والتسرع بالتكفير أو التفسيق».

---

(١) الفتوى رقم ١٢٤٣٧.

فهـو إذن رَحِمَهُ اللَّهُ يرى وجوب ضبـط المصطلحات وتفسيرهـا بالتفسير الشرعي؛ لتستقيم أمور الناس، ولا يُرْمَى أحد بغير ما فيه.

وبمثـل هـذه النظـرة ينظـر رَحِمَهُ اللَّهُ للجهـاد والمجاهديـن فيقـول عـن الجماعـات الجهاديـة في العـراق[1]: «الجماعات من أهل السنـة التي تقاوم القـوات المحتلـة لهـا أن تعمـل ما تقـدر عليه مـن رد عدوان أهـل الاحتلال، وبالأخـص إذا كانت هـذه الجماعات على عقيدة أهـل السنة والجماعة، ولو كانـوا ينتمون إلى الإخـوان المسلمين، ويطيعون رئيسهـم، ولم يكونوا من أهل التكفير للمسلمين، وتمسكوا بالمنهج السلفي، وكانوا على صلة بالعلماء، وكانوا أو بعضهـم من طلبـة العلم الذين درسـوا على مشايخ معتـبر بهم، ولا عبرة بمـن أساء الظن بهذه الجماعات، وهاجـم المجاهدين الذين يصدون عدوان المعتدين واحتلال الصليبيين لبـلاد المسلمين، فلا يجوز مهاجمتهم باللسان، ولا اعتبـار أنهـم يكفّرون المسلمين، ومـا صدر من بعض العلمـاء الذين أفتوا بعـدم مشروعية الجهـاد في العراق إنمـا شرطوا إذن الإمـام وإذن الوالدين والتحقـق من أنهم يجاهـدون الكفار، فمتى حصلت هـذه الشروط فلا يجوز الاعتراضـ على المجاهدين من أهل العراق الذين يصدون اعتداء من اعتدى عليهـم عملًا بقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ١٩٤]، فإذا علم أن هنـاك في العراق أو في الأفغان أو الشيشان أو كشمـير أو غيرها طائفـة يجاهدون الكفار ويصـدون عدوانهم، فلا يجوز الاعتراضـ عليهم، ولا اتهامهم بأنهـم جهلة أو متحمسون حماسًا غير جائز، أو أنهـم تكفيريون؛ لأنهم إنما يقاتلـون الكفار عملًا بقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة: ١٢٣]. والله أعلم».

---

(١) الفتوى رقم ١٢٤٨٨.

فهو رَحِمَهُ اللَّهُ يرى وجوب الجهاد بشروطه وضوابطه في المناطق التي هاجم فيها الكفار المسلمين، ومن الضوابط والأحكام التي يشير إليها دائمًا في فتاواه ومحاضراته: أن الجهاد فرض عين على أهل البلاد فرض كفاية على من سواهم، وأنه إذا كان فرض كفاية اشترط فيه الاستئذان من ولي الأمر ورضا الوالدين، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ذكر العلماء أن الجهاد فرض كفاية، وأنه يكون فرض عين إذا حضر الصف، أو استنفره الإمام، أو دهم العدو البلاد التي هو فيها، ولا يلزم الجهاد إلا مع القوة والقدرة، ولا بد في فرض الكفاية من إذن الوالدين لقول النبي ﷺ: **«رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين»**[2]، ولا بد أيضًا من إذن الإمام الذي هو والي المسلمين، فهو أعلم بمصلحة البلاد وما يناسبها، ولا شك أن ما حل ببلاد المسلمين إنما هو عقوبة وتسليط من الله تعالى بسبب الذنوب، ومتى عاد المسلمون إلى ربهم وأخلصوا له العبادة فإنه ينصرهم ويرد كيد عدوهم».

وهو يشدد رَحِمَهُ اللَّهُ في اشتراط رضا الوالدين. وقد ألح عليه أحد الشباب في سؤاله حول هذا الموضوع فقال في سؤاله[3]: «أنا شاب تعلق قلبي بالجهاد في سبيل الله وحب الشهادة، وأريد أن أذهب للجهاد في العراق، ولكن أمي رافضة ذهابي، مع أني بينت لها فضل الجهاد وحال الأمة، وما زالت رافضة، ولكن يا شيخ أمي لا تريد ذهابي للجهاد خوفًا عليَّ من الموت، وليس عندها غيرة على هذا الدين، فما رأي فضيلتكم، هل أذهب من دون إذنها، مع علمي التام أني إذا ذهبت واستشهدت بإذن الله سوف تسامحني؟

---

(١) الفتوى رقم ١١٥٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي في باب من الفضل في رضا الوالدين من كتاب البر والصلة برقم / ١٨٩٩.

(٣) الفتوى رقم ١٥٣٦٩.

فأجابه رَحِمَهُ اللهُ بقوله: يجب عليك طاعة الوالدين، فقد قال النبي ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين»، واستأذن رجل في الجهاد فقال له النبي ﷺ: «أحيٌّ والداك؟» قال: نعم، فقال: «ففيهما فجاهد»[1]، وقال لآخر: «هل لك من أم؟»، قال: نعم، قال: «فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها»[2]، والجهاد في العراق قد منعته الدولة، فلا يجوز إلا بإذن من الدولة، فأحسن عملك، وجاهد نفسك، ولك أجر على نيتك».

وسأله سائل عن حكم الجهاد في العراق[3]: «هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟».

فأجابه رَحِمَهُ اللهُ: حيث إن الجهاد لصد الأعداء وردهم إذا طمعوا في البلاد الإسلامية من الواجبات، فإنه يكون فرض عين على أهل العراق الذين دهمهم العدو، وفرض كفاية على غيرهم إذا لم يكن بينهم وبين ذلك العدو ميثاق، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وسأله سائل عن حكم الجهاد في فلسطين فأجابه رَحِمَهُ اللهُ بقوله[4]: «حيث إن اليهود قد دهموا بلاد فلسطين، فإنه يتعين قتالهم على القادرين في تلك الدولة إذا كان فيه نكاية بالعدو، وهكذا بلاد العراق والأفغان والشيشان وكشمير، وغيرها مما يحاول العدو الفتك به واستغلال بلادهم، فيجب عليهم قتال أولئك المعتدين، ولا يجب على غيرهم من الدول الأخرى إلا إذا تيسر ذلك دون مفسدة».

(١) أخرجه البخاري في باب الجهاد بإذن الوالدين من كتب الجهاد والسير برقم / ٣٠٠٤.
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى في باب الرخصة في التخلف لمن له والدة من كتاب الجهاد برقم / ٤٣١٢.
(٣) الفتوى رقم ١٢٧٩٨.
(٤) الفتوى رقم ١٢٩٤٨.

فهو مع الجهاد والمجاهدين بالدعاء والتسديد والدعم إذا تيسر، لكنه يضبط ذلك كله بضوابط شرعية ومصلحية، وإذا رأى من ينتقد المجاهدين أو يخذل عنهم، فإنه يدافع عنهم وينصح المتحدث. فقد حضر مرة خطبة في أحد جوامع الرياض مس فيها الخطيب المجاهدين في العراق ولمزهم بالجهل ونحوه، فكتب له الوالد رحمه الله خطاب مناصحة وزوده ببعض فتاويه حول الموضوع.

وإذا استشهد أحد الشباب الذين ذهبوا للجهاد، وعرض عليه أحد الذهاب لمواساة أهله، فإنه يذهب إليهم ويعزيهم ويثبتهم ويبشرهم.

ولما رأى ما يصيب الشباب الذين يذهبون للعراق من البلاء والفتنة، وما حصل بسبب ذلك من أذى لأنفسهم وأهليهم أصبح يحذر من السفر للعراق. وقد نشرت معه مقابلة في صحيفة عكاظ قال فيها[1]: «لا شك أن سفر الشباب إلى العراق يشكل خطرًا على أنفسهم وعلى الإسلام والمسلمين والعرب بأكملهم، وأن خروجهم للعراق فيه مذلة لهم، وضرر على الإسلام والمسلمين وعلى بلدهم أيضًا، ونحن ننصح الشباب بألا يخرجوا إلا بإذن من الدولة؛ لأنه من واجب المسلم ألا يغزو إلا بإذن من الإمام أيًّا كان ذلك الغزو».

فهذا منهجه رحمه الله فيما يتعلق بالجهاد وشباب الجهاد الذين لم تؤثر عليهم شبهات الجماعات التكفيرية.

أما منهجه مع الفريق الآخر وهم الشباب الذين تأثروا أو تبنوا الفكر التكفيري فهو رحمه الله يرى أن الدولة السعودية دولة شرعية، وأن من كفرها أو خرج عليها فهو من الخوارج البغاة الذين يجب قتالهم حتى يفيئوا إلى أمر الله.

---

(١) العدد: ١٩٣٦، الخميس ١٣/٠٩/١٤٢٧هـ.

وهذا مشهور عنه رَحِمَهُ اللَّهُ في فتاويه ومحاضراته ودروسه ولقاءاته، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في إحدى الفتاوى[1]: «نحمد الله ونشكره على أن جعل الدولة في هذه المملكة تطبق شرع الله، وتنصب القضاة الشرعيين، وتعين الأئمة والخطباء، وترسل الدعاة إلى الله، وتقيم الحدود، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونحو ذلك مما تميزت به هذه الدولة عن غيرها، ولم تتعاون مع الكفار في الحرب على العراق وأفغانستان، ولم تتدخل في ذلك، لاعتقادها أن أهل العراق قد غيروا وبدلوا، فسلط الله عليهم هذا العدو، وأما أفغانستان فقد كفّروا هذه الدولة الإسلامية، أو كفرها بعضهم، لما استقدمت القوات الأمريكية لصد العدوان من حاكم العراق عليها وعلى ما جاورها، ومع ذلك فإنها ما تعاونت مع الكفار بأسلحة ولا رجال، وأما سجن أولئك الدعاة، فقد ظهر لها عذر في ذلك، بأن هؤلاء قد عملوا مع من حصل منهم الإفساد في البلاد، وعمل التفجيرات وما أشبه ذلك، أو تكلموا في ذلك بغير إذن، مع أن العلماء قد ذكروا أن الجهاد لا يجوز إلا بإذن الإمام، فإن نظرهم أتم من نظر الأفراد».

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ في فتوى أخرى[2]: «نحن لا نكفّر مثل هؤلاء ولو كانوا من الخوارج، فقد ثبت أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتل الخوارج وسئل: هل هم كفار؟ فقال: «من الكفر فروا»، قيل: هل هم منافقون؟ قال: «المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا وهؤلاء يذكرون الله كثيرًا»، فقيل: فما نقول فيهم؟ قال: «هم إخواننا بالأمس بغوا علينا»، أي إن مثل هؤلاء الخارجين يطلق عليهم اسم البغاة. وقد ذكر العلماء ما يقال فيهم وما يعاملون به في باب قتال أهل البغي في الكتب الفقهية، ولا شك أن هؤلاء البغاة لهم شبهة، حيث يطالبون بإخراج المشركين

---

(١) الفتوى رقم ١٥٣٧٣.

(٢) الفتوى رقم ١٣٥٧٠.

وبترك موالاة أمريكا، ولكنهم لم يتفطنوا للحكمة في بقائهم، ولم يعرفوا ما في ذلك من المصلحة، وما ذكر عن ابن عبدالوهاب وابن تيمية إنما هو في محبة المشركين ونصرهم على المسلمين، كما وقع في الحروب مع التتار الذين قتلوا المسلمين في خراسان وفي العراق والشام، حتى أذلهم الله ونصر الله دينه، وهكذا ما حصل في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لما تسلط عليه الأعداء، وكذلك على ولاة الأمر في هذه المملكة، فإن أولئك بغاة متسلطون، فلذلك نهى عن القتال معهم وبكل حال فإن هؤلاء الذين يطالبون بإخراج الأمريكان من جزيرة العرب لهم شبهة، وقد خفي عليهم أن الأمر بالإخراج عدم تمكينهم من التملك، وأما بقاؤهم كعمال أو لمصلحة فلا يعمه هذا الأمر بالإخراج».

وهذان النصان من فتاويه في آخر حياته، فالأولى في عام ١٤٢٧هـ، والأخرى في عام ١٤٢٦هـ، وهي واضحة المعنى، ويمكن من خلالهما تحديد معالم منهجه وموقفه من هذه الفتنة.

والمشكلة أن ليس كل أحد يستطيع أو يقبل أن يفهم هذه النظرة المتوازنة العامة، وبخاصة إذا أشير لبعض معالمها في ثنايا الكلام، ولهذا التبس على بعض الناس فهم موقف الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من تنظيم القاعدة أو من أسامة بن لادن، ولهذا ترى في الإنترنت بعض الإخوة يشيعون أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يثني على ابن لادن اعتمادًا على مقطع صوتي قديم. وقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا المقطع فقال [1]: «لعل هذا الصوت كان قديمًا، أي قبل عشرين عامًا أو نحو ذلك، فإن هذا الرجل بذل جهدًا كبيرًا في الجهاد ضد الشيوعيين الذين حاولوا الاستيلاء على بلاد المسلمين في الأفغان، كما بذل ذلك الشيخ عبدالله عزام وغيره، ثم إنه في الأخير صدر منه كلام يعيب فيه الدولة الإسلامية في

(١) الفتوى رقم ١٣١٧٤.



المملكة، فلأجل ذلك أنكر عليه كلامه الشيخ ابن باز رحمه الله، كما أنكر على سعد الفقيه ومحمد المسعري تكفيرهم للمسلمين».

وقال عنه في فتوى أخرى[1]: نحن ليست لنا معرفة ظاهرة أو خفية بمنهجه إلا ما ذكر من تشدده بالتكفير، وهذا مما لا يوافق عليه، وهو منهج البغاة الذين قاتلهم علي رضي الله عنه».

وقد سئل عن بعض أفراد هذه الفرقة كعبد العزيز المقرن وأتباعه فقال[2]: «عمله يعتبر خطأ وضلالاً، وهو وأتباعه خارجون عن طاعة ولاة الأمور، قد خلعوا بيعة إمام المسلمين، ومن خلع الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتة جاهلية، والواجب عليهم الاستسلام لأمر الله ولأمر ولاة الأمور، و هناك الكثير من العلماء خطؤوهم وضللوهم وأخرجوهم من جماعة المسلمين».

وبسبب خفاء هذه النظرة المتوازنة على كثير من الناس، تجد أن أفراد تنظيم القاعدة يختلفون فيه رحمه الله، فبعضهم يجعله من علماء السلطان المداهنين؛ لأنه يبيح قتل المجاهدين، وبعضهم يقول إنه ليس من علماء السلطان؛ لأنه يؤيد الجهاد والمجاهدين، ولا أريد أن أنقل نصوصهم لما فيها من العبارات النابية التي لا تناسب في مثل هذا الكتاب، لكنها كثيرة مشهورة في مواقع الإنترنت.

ومع هذا فهو رحمه الله رفيق بهم، يحاول بهذه النظرة أن يصل لإقناعهم، وكان يقول لمن نتركهم، وبخاصة إذا رأى جفاء طلبة العلم معهم وغلظتهم عليهم، وكنا نرتب لبعض من يريد الاستفسار منهم لقاءات مع الوالد رحمه الله ليزيل

---

(١) الفتوى رقم ١٢٠٩٤.

(٢) الفتوى رقم ١٢٤٣٦.



الشبهـات التـي عندهم، ويخرجون له مـا في قلوبهم، ومن فتـاواه عنهم قوله[1]: «هؤلاء الذين فكروا هذه الأفكار عندهم علوم عامة، أخذوها من بعض الآيات والأحاديـث وكلام بعض العلماء على بعض الآيات التي فيها النهي عن التولي والمـوالاة، وفاتهم النظر في المصلحة، وطبقوا المـوالاة على المعاهدة والأمان، وظنـوا أنهـم إذا قتلوا كافـرًا فلا إثم عليهـم، وقد قال النبـي ﷺ: «لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»، أي لا يحل قتل المعاهد ما دام باقيًا على عهده، وننصح شباب المسلمين بأن يرجعوا إلى علمائهم، وأن يسمعوا ويطيعوا لـولاة أمرهـم، ويبتعدوا عن هذه الخلافات وهذه المعاصـي التي تسبب الفتن والأذى للمسلمين الآمنين.

ولكـن نظـرًا لاختلاف المدارك والأهـواء، فإن بعضهم قـد أساء للوالد رحمه الله، وادعـى أنه يفتيهم في بعض أفعالهم التي قاموا بها سواء على مستوى الأفـراد كبعض الذين ذهبوا للجهـاد في العراق أو في غيره، وزعموا أن الوالد رحمه الله هو الذي أفتاهم، أو على مستوى تنظيم القاعدة.

ومما أذكره من ذلك أن سمو الأمير ممدوح بن عبدالعزيز حفظه الله أرسل خطابًا للوالد رحمه الله يسأله عن شخص ممن ذهب للعراق وقال: إن الشيخ ابن جبرين هو الذي أفتانا بالذهاب للعراق، وقد رد عليه الوالد بإنكار ذلك.

وبثـت قناة الجزيرة بعد أحداث سبتمـبر شريطًا لشخص يقال له أحمد الغامـدي قال فيه: إنهـم استعانوا بفتاوى للمشايخ وذكـر منهم الوالد رحمه الله، فلمـا سئل رحمه الله عـن ذلك قال[2]: «لا نعرف هذا الرجـل المسمى بالغامدي، ولا أتذكـر أني قابلتـه، وما ذكر من أن هذه الحوادث صدرت بفتوى عن بعض

(١) الفتوى رقم ١٣٥٦٧.
(٢) الفتوى رقم ٥١٧٣.

المشايخ وذكر اسمي من بينهم لا صحة لذلك، إذا كان يريد الحوادث التي في ١١ سبتمبر في دولة أمريكا، وأما عمليات الاستشهاد في فلسطين فقد صدر مني فتوى بإباحتها، وذلك لأن الفلسطينيين يلاقون من العذاب الشديد ما يتمنون معه الموت لشدة الألم والعذاب، فيريدون أن يتخلصوا من عذابهم، ومع ذلك ينكلون بهم ويوقعون فيهم موتًا وجراحًا وأضرارًا توهن من قوتهم وتحد من تسلطهم. وقد أباح ذلك العمل منهم كثير من المشايخ داخل المملكة وخارجها، ومنع ذلك بعض العلماء، ولكل منهم اجتهاد، وبكل حال فإني لم أفت بتلك الحوادث، وقد صدرت مني فتوى في شهر صفر عام ١٤٢٢هـ بشأن حركة طالبان في أفغانستان، وأنهم أقرب إلى الصواب من أضدادهم أهل التحالف الشمالي، وأن التبرع لهم جائز؛ لأنهم يحكمون شرع الله فيما ظهر منهم، ولما نشرت تلك الفتوى استدل بها بعضهم على جواز الفتك بكل الأعداء بكل الكفار، فصدرت منا نشرة في ١٧ من رجب العام الماضي وتبرأنا فيها من الاشتراك في تلك الحوادث في دولة أمريكا، ونشرت تلك الفتوى مما يتبين بها كذب هذه الدعوى التي أذيعت أخيرًا بصوت المدعو أحمد الغامدي».

ومن أشهر ما لبسوه على الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتوى طالبان المشهورة، ولعلي أفصل الحديث عنها كما سبق أن وعدت بذلك.

فقد جاء أحد الشباب يكنى أبا عثمان، ولم أعرف اسمه، وهو من هذه الفئة - هداهم الله - بسؤال قال فيه: «لا يخفى عليكم ما يعانيه إخواننا في أفغانستان من محاصرة أعداء الله لهم، وضنك العيش، وقلة الناصر والمعين، وتكالب أعداء الإسلام من أنحاء العالم على هذه الدولة (دولة الطالبان الأفغانية)، ومع هذا كله لا تزال تحاول الصمود لإقامة شرع الله في أرض الله، وهم في أمس الحاجة إلى نصرتهم والوقوف معهم في محنتهم. فما

حكم نصرة هذه الحركة بالمال والنفس والدعاء؟ وما توجيهكم لطلاب العلم وأصحاب الأيادي البيضاء وجزاكم الله خيرًا؟».

وقد طلب منا الحصول على فتوى رسمية من الوالد رَحِمَهُ الله فاعتذرنا بعد مشاورة الوالد لحساسية الموضوع في ذلك الوقت، ثم صلى مع الوالد صلاة الفجر وألح عليه في طلبها، وأخبرني الوالد رَحِمَهُ الله أنه قال له: إنها لتاجر معين يريد التبرع وشرط وجود فتوى من الشيخ، وأنها لن تعلن وألح كثيرًا، فكتبها الوالد رَحِمَهُ الله وسلمها له، فلما ذهب بها إلى التاجر توجس منها وطلب منه مراجعتنا واتصل بي لآخذ الفتوى منه.

وعلمنا بَعْدُ أنه ذهب لأفغانستان وانقطع التواصل معه.

وبعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م فوجئنا بالفتوى تخرج وبتاريخ جديد، فعجبنا من فعلهم - هداهم الله - من إخلاف الوعد وتزوير التاريخ.

وقد سببت هذه الفتوى حرجًا للدولة وللوالد رَحِمَهُ الله، فطلب منه أن يبين رأيه في الموضوع وفي الفتوى، فصدر عنه بيان مشهور نشر في الصحف وفي الإنترنت ووزع في مكتبه رَحِمَهُ الله.

وقد ساء هذا البيان هذه الفئة وبعض المتعاطفين معها وقالوا فيه وفي الوالد رَحِمَهُ الله وفي الدولة وبخاصة الأمير سلمان وفيَّ أنا كلامًا كثيرًا.

ولأن الموضوع مهم، وتوضيح الحقيقة فيه يجلي الأمر، فإني سأبسط الحديث فيه لتتبين الحقيقة، وليُعْلَمَ الأمر على ما هو عليه.

الوالد رَحِمَهُ الله يدين بالطاعة لولاة أمر هذه البلاد، ولا أعرف عنه أنه خالفهم في شيء أو عاندهم فيه، بل كان يبدي وجهة نظره التي يقدرونها، ولكنهم قد لا يأخذون بها، فهو كسائر كبار علماء بلادنا مع دولتهم محبة وتأييدًا.

بعد نشر فتوى طالبان التـي حذف تاريخها، وصور للناس أنها جديدة، وأنهـا تأييد لمـن فعل هذا الفعل في أمريكا، وكان المتهمـون أفرادًا من تنظيم القاعدة التي تؤويهم طالبان في أفغانستان وتتبناهم، سبب ذلك حرجًا للوالد مع ولاة الأمر، ولولاة الأمر أمام الرأي العالمي.

طلـب الأمير سلمـان من الوالد التوضيـح والبيان لهـذا الأمر، فأصدر رحمه الله بيانـًا وضح فيه الأمر، وأصله موجـود عندنا بخطه رحمه الله، ولكننا كنا قـد بدأنا في المكتـب في إصدار الفتاوى مطبوعـة، وليست بخط الوالد رحمه الله وعلى ورق رسمي للمكتب، وسأورده هنا بطوله ليراه القارئ.

بسم الله الرحمن الرحيم

توضيح بشأن الأحداث الأخيرة في أمريكا

الحمـد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد وآله وصحبه وبعد...

فقـد نُشـرَتْ قبل أيام عـبر الإنترنت فتوى لنا كانت قـد صدرت منا في شهـر صفر من عام ١٤٢٢هـ، وقد حذف منها التاريخ ولم نـأذن في نشرها، وبعد الأحداث الأخيرة لم يصدر منا شيء، ونقول بهذه المناسبة:

إن الله تعـالى حرم أنواع الظلم والعدوان والبغي بغير حق، وأمر بالعدل والإحسـان، كما قال تعـالى في القرآن الكـريم: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال في حق كفار مكة: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ [المائدة: ٢]، وأمـر بالعـدل معهـم في قولـه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ

ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[المائدة: ٨]، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا» رواه مسلم.

ثم إن ما حدث قبل أسابيع في دولة أمريكا من اختطاف الطائرات وهدم العمارات على من فيها من أنفس بريئة وأموال محترمة مما ننكره ونبرأ منه، وقد أنكره أكثر البشر مع اختفاء القائمين به وأسبابه ومبرراته؛ لأنه يعد إجرامًا وخيانة ممقوتة في الشرائع كلها، وإذا كان الفاعل من الوافدين، فهو نقض للعهد الذي أمر الله تعالى بالوفاء به في قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[الإسراء: ٣٤]؛ لأنهم يدخلون كمعاهدين ومستأمنين، وقد قال النبي ﷺ: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة» رواه البخاري، وهذا الفعل خيانة وغدر يحرمه الإسلام، وفي الحديث: «يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان» متفق عليه.

ولا شك أن هذا الحادث قد حصلت من آثاره أضرار كثيرة للمسلمين، فهم مهددون بالقتل والتشريد بتهمة اشتراكهم في الجريمة، وربما كان سببًا لتعطيل الدعوة إلى الله وتشويه صورة الإسلام في كثير من البلاد.

ولنعلم أن هذه الأحداث من الفتن التي أخبر النبي ﷺ بأنها تكون في آخر الزمان، فعلى المسلمين أفرادًا ودولًا التوبة النصوح وتحكيم شرع الله فإنه سبب للعزة والتمكين، ثم يجب أن يكون خوفنا من الله وحده، فإن من خاف الله خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٧٥]، وعلينا أن نثق بوعد الله ونطلب النصر منه، ونعتمد على نصره وتأييده، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]، وعلى شباب الإسلام أن تكون تصرفاتهم مبنية على مراعاة المصالح والمفاسد التي قررها الشرع، ويصدروا في ذلك عن رأي علمائهم حتى لا يلحقوا الضرر بالمسلمين، كما أن على المسلمين التوحد والاجتماع على كلمة الحق المبين على الكتاب والسنة، ونبذ الاختلافات التي تكون سببًا في الفرقة، كما عليهم ألا ينسوا ما يعانيه إخوانهم المسلمون في فلسطين وغيرها وحاجتهم إلى الدعاء والعون، وأن يغيثوا إخوانهم اللاجئين الأفغان الذين فارقوا أوطانهم ووقفوا عند الحدود ومنعتهم الدول التي حولهم من النفوذ وبقوا في الصحاري والمخيمات الضيقة يلاقون الجوع والجهد والبرد ويهددهم الموت والمرض، فمن يتصور ما يلاقونه بكى - لاشك - رحمة بهم، وقد قال النبي ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن»**، وقال: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**. فقد مثل المصطفى ﷺ الأمة الإسلامية بالجسد الواحد، بحيث إن كل مؤمن يتألم لألم المسلمين ويهمه ما نزل بهم، ويسعى حثيثًا في تخفيف ما حل بهم.

وبكل حال فإننا نبرأ إلى الله تعالى أن نقر العدوان والظلم على الآمنين، وننكر هذه الجرائم والمظالم، وندعو كل البشر إلى احترام نوع الإنسان، وعدم القتل إلا بالحق الذي وضحه شرعنا الشريف. والله أعلم وصلى الله على محمد.

قاله وأملاه

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

١٤٢٢/٧/١٧هـ

ولا أذيع سرًّا إذا قلت إني عرضت هذا البيان على الأمير سلمان قبل نشره، ورأى إضافة بعض العبارات وحذف بعضها، وعرضت رأيه على الوالد فأضافها بيده، والأصول المخطوطة عندي محفوظة؛ لأني كنت أخشى من مثل ما حصل مما سأذكره بعد قليل.

وبعد صدور التوضيح كثر القيل والقال في الإنترنت خاصة، وقالوا كلامًا كثيرًا، خلاصته أن البيان من صنعي، وأن الوالد رحمه الله أصبح ألعوبة في يدي، وأعددت في وقتها ردًّا كنت أريد أن أنشره، ولكني تركته؛ لأن الحديث ليست له ثمرة.

وكان من أراد الاستيضاح من المحبين وأهل العدل جاء إلى الوالد أو إليَّ واطلع على الموضوع وعرف ملابساته.

ولكن بعض الإخوة - هداهم الله - أَسَفُّوا وكذبوا وكان بإمكانهم استجلاء الأمر عن قرب، وبإمكانك الاطلاع على الروابط التالية[1] لترى بعض مقالاتهم، عفا الله عني وعنهم.

وممن رد ردًّا صريحًا باسمه الشيخ عبدالعزيز بن صالح الجربوع عفا الله عنه وقد سمى رده الطويل «الإيضاح المبين في بيان حقيقة توضيح ابن جبرين» بتاريخ ٢٤/٧/١٤٢٢هـ[2] وقال فيه كلامًا كثيرًا زبدته أن البيان مني لا من الوالد رحمه الله.

وجاء أحدهم - هداه الله - إلى جامع الراجحي الذي فيه دروس الوالد رحمه الله، وكان عند الوالد درس بعد المغرب وبعد العشاء، فتكلم بعد صلاة

---

(١) http://www.alsaha.com/users/74425226/entries/60818
http://www.alsaha.com/users/395311274/entries/62022
http://www.alsaha.com/users/395311274/entries/60442

(٢) http://www.alsaha.com/sahat/4/topics/62126



العشاء كلمة طويلة عن الموضوع وعرض بالوالد فيها، وعلمت عنه فصارت لي معه قصة ليس هذا موضع بسطها، ولعلي إن كتب الله في الأجل فسحة أن أكتب عن مثل هذه القضايا، لكن المقصود أن هذا الشاب لم يقدر الشيخ الوالد رحمه الله، حيث تكلم فيه وانتقده أمامه وأمام المصلين، وكعادة الوالد رحمه الله لم يرد على ما قاله، بل بدأ في درسه تاركًا الخوض في هذه القضايا.

ومن القصص هنا أن شابين جاءا من الغد بعد صلاة الظهر، وكان الوالد رحمه الله في المجلس الداخلي مع الدكتور إبراهيم الدويش يقرأ عليه في أحد الكتب، فلما طرقا الباب فتحت لهما، فقالا نريد الشيخ، فقلت هو مشغول، فرأيت في عينهيما شكًّا في كلامي واستياء، فتوقعت أنه لأجل هذه القضية، فأدخلتهما على الوالد، فقالا له: هل أنت تعلم عما عمله عبدالرحمن مع فلان، فقال: نعم أعلم، وأنا مقر له على ذلك، فانصرفا، بغير الوجه الذي أقبلا به، حيث سري عنهما، وعرفت أنهما من مريدي الحق والعدل والتبين، ولا أدري من هما حتى اليوم وفقهما الله وسددهما.

وله رحمه الله فتاوى عديدة تؤيد ما جاء في التوضيح منها قوله[1]: «من دخل بلادًا بأمان وعهد، فإن عليه الوفاء بالعهد، ولا يجوز له القتال ولا الإفساد فيها بالتفجيرات ونحوها؛ لأن الله تعالى أمر بالوفاء بالعهد بقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل: ٩١]، وقوله: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾[التوبة: ٤]. ولا تجوز الخيانة لأنها خلاف ما أمر به المسلم، أما إذا دخل محاربًا، فإن له أن يقتل ويقاتل، إذا كانت البلاد بلاد حرب، وليس لهم عهد ولا ذمة ولا أمان، وكانوا يحاربون المسلمين، فللمسلمين أن يحاربوهم

(١) الفتوى رقم ١٤٦١٥.

لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[البقرة: ١٩٠]».

ولما بدأ نشاط التكفيريين في المملكة، وقاموا بالتفجيرات، وصرحوا بتكفير الدولة والعلماء والشرط ونحوهم، كان للوالد رَحِمَهُ اللهُ رأيه الواضح أيضًا في هذه الأعمال، ومن أشهر ما كتبه نصيحة لشباب الإسلام حول التفجيرات الأخيرة في الرياض[1] بتاريخ ١٣/٣/١٤٢٤هـ جاء فيها: «ما حصل في هذه الليالي القريبة من تلك التفجيرات، التي مات على إثرها خلق كثير، وجرح آخرون، لا شك أن هذا من أفظع الجرائم، وقد وقع من تلك التفجيرات وفيات وجراحات للآمنين، ولبعض المسلمين الساكنين في تلك البنايات، وذلك بلا شك من الغدر ومن إيذاء المستأمنين وإلحاق الضرر بهم، فالذين حصل منهم هذا التفجير يعتبرون مجرمين، واعتقادهم أن هذا جهاد، وأن هؤلاء الساكنين في هذه الأماكن من الكفار ومن الذين تحل دماؤهم بكفرهم، نقول إن هذا من الخطأ، فإنه لا يجوز قتالهم ولا قتلهم إلا بعد إخبارهم بذلك، ونبذ عهدهم إليهم...إلخ».

وفي فتوى له رَحِمَهُ اللهُ حول استهداف رجال الأمن في المملكة لأنهم من أنصار الدولة[2] قال: «رجال الأمن وموظفو الدولة العسكريون ونحوهم يعتبرون كخدام للدولة وللبلاد جميعها، وحراسًا لأهل البلاد ومن أقام فيها، وهم من المسلمين المؤمنين القائمين بأمر الله، الذين يخدمون ولاة الأمر، ويحرسونهم ويحرسون البلاد الإسلامية وما بين ظهرانيها، فدماؤهم محرمة كتحريم دماء بقية المسلمين، ولو كانوا قد تميزوا باللباس العسكري،

(١) الفتوى رقم ١٠٨٨٠.
(٢) الفتوى رقم ١٣٥٦٥.



أو بالعمل الخاص الذي يقومون به حراسة ومحافظة، وطاعة لولاة الأمر الذين وظفوهم لحراسة البلاد وأهلها».

وقد طلب منه مناصحة من يوجد في السجون منهم، فأنس به بعضهم، ودار بينه وبينهم حوارات مفيدة، وأعطاهم نصائح قيمة.

ولعلي أختم الحديث هنا بقضية خاصة ربما يود القارئ لو كشفت خباياها ليتبين له كثير مما يقال هنا وهناك، وهذه القضية هي العلاقة التي تربط الوالد رحمه الله بالشيخ عيسى العوشن رحمه الله.

ولعلي أبدأ بالقصة من أولها، فعيسى العوشن من أسرة هي أحد فروع قبيلة الدعوم من بني خالد من سكان القويعية، وتربط الأسرة بنا علاقات مصاهرة قديمة، منها أن عم الوالد عبدالعزيز قد تزوج منهم قبل أكثر من خمسين سنة.

عرفت عيسى عندما درسته في كلية الشريعة ١٤١٧هـ وكان شابًا نشيطًا ذكيًا من أبرز الطلاب الذين درستهم.

اتصل بي عيسى مرة وذكر لي أنه يريدني في موضوع، فواعدته في منزلي، فحدثني أنه يريد أن يخطب أختي الصغرى.

كان مثله ممن لا يرغب عنه، فوعدته بالحديث مع الوالد رحمه الله، فحدثت الوالد فلم يَرَ مانعًا من ذلك، وتم زواجه منها.

كنت بحكم انشغالي لا أراه إلا قليلًا، إلا أني أعرف نشاطه في تعريف الناس بقضايا المجاهدين وبخاصة في الشيشان وداغستان وقد استصدر من الوالد عددًا من الفتاوى لنصرة قضايا المسلمين، كفتوى عن المجاهدين في

الشيشان، وفتـوى في المقاطعة للمنتجات الأمريكية، وأذكر أن فتوى الشيشان كان فيها خطأ في آية بعد الطباعة فعدلها بقلمه بخطه الجميل.

تخـرج في كليـة الشريعـة في الرياضـ عـام ١٤٢٠هـ، ثم تعـين ملازمًا قضائيًا لمدة سنتين.

وحـاول الذهاب لأفغانستان وجلس مـدة على الحدود الإيرانية، ثم بعد سقـوط طالبـان رجـع للسعودية عن طريـق سوريا، فقبضت عليـه السلطات السوريـة وسجنتـه. وقد بذل الوالد جهوده لفكاكـه، وسافرت مع أخيه محمد بـإذن مـن الأمير سلمـان لمحاولـة إخراجه ففشلنـا، وبعد تسعـة أشهر سلم للسلطـات السعودية وسجن في سجن الحاير أقـل من شهر، حيث بذل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ جهودًا كبيرة حتى أخرج.

عين قاضيًا في الحقـو في منطقة جيزان فلم يستمر، وانخرط في العمل مع خلايا القاعدة في المملكة، ومن أبرز من تأثر به يوسف العييري، ولهذا فهو يذكره كثيرًا ويثني عليه.

وفي شهر جمادى الثانية من عام ١٤٢٤هـ طلبته الجهات الأمنية وكانت تترصـد لـه في منزله، فانتبـه لذلك وهرب منهـم، وبقي هاربًـا حتى قتل في الخامسـ من شهر جمـادى الثانية من عام خمسة وعشريـن وأربعمائة وألف للهجرة في مداهمة لأحد المنازل في حي الملك فهد بمدينة الرياض.

وقد رزق بابن اسمه سعد وبه يكنى، وببنتين هما البتول والشيماء.

ومـن المواقف التي أثـرت في الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وآلمته مدة طويلة فاقت الستة أشهـر أننـا كنا في مكة لأداء الحـج من عام ١٤٢٤هـ، فلحقـت أختي بزوجها

المختفـي، واختفت معه بأولادها الثلاثة، ولقـد أعيانا الوصول إليها لنخبرها عما أصــاب والدها من الهم والغم، وحسبك أن تقرأ هذه الرسالة التي بعثت بهــا لعيسى في بريد إلكتروني كنــت أراسله عليه، وهو مختفٍ كما سأذكر بعد قليل وقد جاء في الرسالة:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

أبا سعد وأم سعد وسعد والوردتان

لقــد اكتـوى القلب للفـراق، وليسـ شوقًـا إلى التـلاق، وإن كان مرادًا ومحبوبًـا، ولكن لانقطاع الخبر وعمايـة الأثر نسأل فلا نجاب، ونتحسس فلا نرى علامة ولا دلالة.

القصد هو الطمأنينة فقط على الصحة.

أب مهمـوم سـل حالـه الهم، وأرقـه الغم، فلـو رأيتـه لأنكرت صورته، وعجبت من هيئته.

نسألـه هل أنـت مريض أو متعب فيكـون الجواب بالنفـي، ولكن حالته كافية الدلالة على شدة المعاناة وألم المصيبة، ولكن لاحول ولاقوة إلا بالله.

أخـوات باكيات متباكيات يصـدرن ويوردن بالتشاكـي والأنين والتأسي والحنـين، إذا اجتمعـن ذكرهـن اجتماعهـن الأخـت الغائبـة، وإذا افترقن ذكرتهن الوحدة بعد الأخت وانفرادها والرقة لحالها والخوف على مآلها.

أمــا أنا فمرتبـك الحال، مضطـرب الأحـوال، مسؤولـو الدولة يظنون أني عضـو في المجموعـة قد أخفيت أحوالكم، وتسـترت على مصيركم، وأنتم تتهموني بأني ضدكم وعين عليكم.

والله يتولى السرائر وهو وحده يعلم ما في الضمائر.

أما أنا فقد حدثت أبا سعد عن عقيدتي ومنهجي.

أعتقد أن الله ورسوله أحب إليَّ مما سواهما من النفس والمال والأهل والدنيا بأسرها.

وأسعى للمصلحة الشرعية التي أهمها الحفاظ على الأمة ودينها وأمنها

١٩/٢/١٤٢٥هـ.

ولكننا لم يأتنا رد أو خبر حتى قتل رحمه الله وعادت الأخت بعد قتله بعشرة أيام في ١٤/ ٦ /١٤٢٥هـ.

وقد حدثته مرارًا عن خطورة الأفكار التكفيرية، وآخرها بعد أن خرج من سجن الحاير، جاءني في منزلي وجلست معه جلسة طويلة أردتها جلسة مصارحة فسألته: إن كان عندك شبهة من شبه التكفير فدعنا نتناقش، فقال لي إنه ليس عنده إلا حب الجهاد والمجاهدين والرغبة في الشهادة في سبيل الله.

هذا ما علق بالذاكرة حول هذه القضية، وأسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ويهدي ضالهم ويجمع كلمتهم على الحق.

وأما ما وعدت به من الحديث عن التواصل مع الشباب الثائر في الجزائر، فقد كان أحد الإخوة الجزائريين، يراسل الوالد رحمه الله ويطلب منه توجيه نصائح للشباب الجزائريين الذين يحاربون الدولة، فكان منها نصائح عامة موجهة للجميع ونصائح لأشخاص بأعيانهم من قادة القتال هناك، وهي رسائل لا تخرج في مضمونها عما ذكرناه قبل مما هو موجه لأفراد تنظيم القاعدة.





القسم الثامن

الرحيل

- مرض طويل وصبر جميل
- المرض الأخير
- ومات الشيخ



الرحيل

هذا القسم آخر أقسام ترجمة الوالد رحمه الله، وهو أشقها على النفس وأقساها على القلب، فهو الحديث عن وداع الحبيب الذي طالما ملأ العين وسر النفس وأبهجها، فكما ذكرت من قبل أنه صار بيني وبينه رحمه الله في الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمره ألفة وتقارب وتجانس، فلم يكن مجرد الأب الحنون والمربي الأريب، بل كنت أحس بالمتعة والراحة والأنس بالسفر معه أو الجلوس عنده، إضافة إلى الاستفادة من علمه وأدبه، فقد كان رحمه الله مدرسة علمية فريدة وبيت خبرة عملية فذة، وكان رحمه الله قد أنس بي جدًّا ففتح لي قلبه ومكنني من كثير من أموره الخاصة وكان يوحي إلي كثيرًا بأسراره ويختصني بالدقيق من أخباره، ولهذا كان فقده رحمه الله علي عسيرًا جدًّا، لكن من عرف ربه وآمن بالقضاء لا يقول ولو عظمت المصيبة إلا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وهي الكلمة التي طالما سمعتها منه عندما يفقد عزيزا أو تبلغه مصيبة عامة أو خاصة، وكان يرددها كثيرًا في مجالس العزاء ويستشهد بما علقه البخاري في باب الصبر عند الصدمة الأولى من كتاب الجنائز عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال نعم العدلان ونعم العلاوة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧].

يقول الوالد رحمه الله[1]: «كانوا قديمًا إذا كان البعير قويًّا شديد التحمل حملوا على جانبيه حملين كبيرين ووضعوا على سنامه بين العدلين حملًا ثالثًا يسمونه العلاوة، فالعدلان: مغفرة ورحمة، والعلاوة: هم مهتدون».

---

(١) http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=7&book=77&toc=4823&page=4336&subid.



في هـذا القسم سأتحدث عن بعض ما أصابه رَحِمَهُ اللهُ من أمراض قديمة وصـبره عليها مـع معاناته منهـا، ثم سأتحدث عـن مرضه الأخـير وتسلسل أحـداث المرض والأمور التي خفيـت على بعض الناس مـن ملابسات مرضه رَحِمَهُ اللهُ، ثـم أتحدث عن يوم وفاتـه بالتفصيل ثم عمّا بعـد الوفاة من أحداث تتعلـق به رَحِمَهُ اللهُ كالعزاء ونحـوه وأسأل الله أن يعينني علـى هذا القسم فإني أكتب هذه الحروف وعيناي مغرورقتان بالدموع.

مرض طويل وصبر جميل

لقـد عانى رَحِمَهُ اللهُ عـددًا من الأمراضـ منذ صغره، وسأبـدأ في ذكرها بالترتيـب ولكني سأؤخر الحديث عن مرض الـدرن الذي يتوقع أنه كان سببًا في وفاته رَحِمَهُ اللهُ.

كان رَحِمَهُ اللهُ لا يشكو مما يصيبه أبدًا وكانت الأمراض تنهشه من الداخل ولم يكـن يشكـو لأحد ولا يطلب علاجًـا، بل إنه إذا طلب منـه أن يعالج لشيء ظاهر كجرح أو نحوه يتمنع كثيرًا.

وأصبحنا نعرف هذا منه ولهذا إذا لاحظنا شيئًا دعونا الطبيب أو ذهبنا بـه للمستشفى مباشـرة دون أن نعرض عليه الأمر؛ لعلمنا برأيه ولأنه لا يمانع إذا لم نستشره، وكأنه في هذا لتوكله لا يطلب ولكنه لا يمتنع مما فيه مصلحة وهـو لم يطلبـه، وهو هكذا في كل أموره الدنيوية كمـا سبق أن أشرت، حتى في الأشياء اليسيرة، كطلب ماء أو قلم أو نحوهما لا يطلب من أحد شيئًا ولو كان من أقرب الناس له، ولمعرفتنا لعادته أصبحنا نتقن التعامل معه رَحِمَهُ اللهُ.

وهذا الأمر يعرفه منه أيضًا تلاميذه والقريبون منه، يقول الشيخ أحمد المهنا وكان جزاه الله خيرًا ممن يحرص على متابعة فحوصات الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ويذهب معه للمستشفيات[1]: «مرةً من المرات ذهبنا إلى المستشفى لإجراء فحوصات ووجدنا فيه ثقبًا في الطبلة وكنا نحاول أن نحدد وقتًا لإجراء العملية، فقال الشيخ: اجعلوها في وقت آخر» وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ وهي لم تجرَ له.

ويقول الشيخ سعد البريك[2]: «الشيخ كان يعاني من المرض قبل دخوله المستشفى وكان يتكتم على الألم والسقم؛ حتى لا يشغله ذلك عن طلابه ودروسه وجهده وجهاده».

ويقول الشيخ سامي الفدامة[3]: «الشيخ فيه ميزة أنه لا يشتكي من الألم الذي يجده».

وذكرت من قبل أن من أقدم الأمراض التي أصيب بها مرض يسمى اللسنة كانت بسبب حسد أو عين عام ١٣٦٢هـ وبقي أثرها معه أكثر من عشر سنين يصعب عليه مواصلة الكلام والنطق وسرد القرآن وما أشبهه إلى أن زالت بالتدريج.

كما أصيب رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٣٦٧هـ بقرحة في ساقه اليمنى، وكان يصلي بالناس التراويح ويضع تحت رجله لبنة من الطين؛ حتى لا يشتد ألم الساق عليه، وبقيت تعوقه طويلًا في القيام والحركة.

وأصيب عام ١٣٨٠هـ بمرض الدرن، وهو المرض الذي سأؤخر الحديث عنه؛ لارتباطه بوفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) لقاء بعنوان الإمام الراحل.

(٢) قناة «دليل».

(٣) http://www.r-msk.com/vb/showthread.php?t=4647&page=3.



وقد اكتشفنا قـدرًا إصابته بأمراض العصر وهي الضغط والسكر، وإلا فلـم يشكُ لنا ولا لأحد من عرض أو مرض وبعـد اكتشافهما رتبنا له مواعيد في المستشفـى العسكـري مـع الدكتـور سعيـد الأحمـري وفي مستشفى الملك عبدالعزيـز مع طبيب السكر المشهور الدكتور خالد الربيعان، فكانا يهتمان به كثيرًا جزاهما الله خيرًا.

ويحصل له بعض العوارض الصحية كعادة الناس لكن نظرته لها تختلف عن كثير من الناس، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن أحد هذه العوارض[1]: «من الابتلاء أنه حصـل عليَّ في أواخر شهر شعبـان منة من الله وهي ارتفاع في نسبة الحرارة كان علـى آثارها أن ذهبت إلى المستشفى، مستشفى الملك خالد رَحِمَهُ اللَّهُ ولقيت عنايـة من القائمين في هذا المستشفى، كان من آثارها أنهم قاموا بالكشوفات التـي تلزم وطلعت النتائج والحمد لله صحيحـة وسليمة ولكن هنـاك من أذاع في الإذاعات المرئية والمسموعة أنني أدخلت المستشفى إنما ذلك لأجل تحاليل ولأجل كشوفات وطلعت والحمد لله سليمًا».

وأمـا إصابتـه رَحِمَهُ اللَّهُ بالدرن فقـد كانت كما ذكرت عـام ١٣٨٠هـ يقول رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «لمـا كان في سنـة ثمانين أصبت بألم داخلي نتـج منه مرض يسمى التـدرن، ونصحني الأطباء بـأن أعالج، واستمر العلاج معـي إلى حدود سنة إحـدى وتسعـين وأنا أعالج من ذلـك المرض، ونصحوني بـأني لا أشرب هذه القهوة وما أشبهها».

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يتذكـر اسـم الطبيب وهو باكستـاني ويتعجب من قصة له معـه، فإنه أمره أن يأخـذ في الصباح بيضة غير مطبوخـة ويخلطها في كأس

(١) برنامج «أسرة واحدة» في قناة «المجد».

(٢) «صفحات من حياتي» الحلقة الثالثة .

حليب يخبرني الوالد رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: كُلْ بيد، يقول: فلم أفهم ماذا يريد، فقال: بيد دقاق، يقول: فلم أفهم أيضًا؛ لأن اختلاطنا بالأعاجم قليل، فلم أعرف ماذا يريد، يقول: فقلد صوت الدجاجة وأشار بيده لشكل البيضة ففهمت.

وكان يذكر أنه يأكل عددًا كبيرًا من الحبوب يصل يوميًا إلى عشرين حبة واستمر عليها نحو عشر سنوات حتى شفي منه.

ولكن هذا المرض أثر على صحته رَحِمَهُ اللهُ فإحدى الرئتين تعطل نصفها عن العمل، فكنا إذا فحصناه في آخر عمره يستغرب الأطباء فنخبرهم بالسبب.

وصار معه بعد هذه الأدوية ضيق في المريء استمر معه حتى توفي رَحِمَهُ اللهُ، فكان لا يستطيع البلع، فإذا أكل لقمتين توقف وانتظر قليلًا حتى يتمكن من البلع، وربما دفعها بماء أو لبن، وكانت هذه مشكلة تؤرقه كثيرًا؛ حيث كان رَحِمَهُ اللهُ عندما يزور القرى والهجر والمحافظات لإلقاء الدروس والمحاضرات، ويصر أهل المنطقة على إكرام الشيخ، فيذبحون له الذبائح، وهو رَحِمَهُ اللهُ لا يستطيع أكل الأرز واللحم، ولكنه يستحي منهم فيأكل، حتى إن من يلاحظه وهو يأكل يلاحظ خروج الدمع من عينيه من شدة المعاناة، وبعد الأكل يعاني آلامًا شديدة، فربما اضطر إلى القيام من نومه أو التوقف إذا كان في السيارة؛ ليخرج الطعام الذي أكله من شدة ما يعانيه من ألم، وقد يخرج أحيانًا مع الاستفراغ شيئًا من الدم، وهو مع ذلك صابر لا يشتكي، ولا يقول لأصحاب الدعوة: أنا عندي مشكلة في المريء ولا أستطيع الأكل، ولا يشترط طعامًا خاصًا ولكن يطيب خواطرهم ويأكل معهم.

وجاء طبيب جراح سوداني متميز زائرًا للمستشفى المركزي في الرياض، فسألت عن مشكلة الوالد فقالوا لي: سهلة جدًا، فشاورته رَحِمَهُ اللهُ فكأنه استثقل الأمر وقال: نصبر إن شاء الله.

وفي عام ١٤١٥هـ دخل المستشفى لإجراء عملية فتق في أسفل البطن كان معه من مدة وهو صابر عليه، فعلم الدكتور إبراهيم المفلح بموضوع المريء فعرض على الوالد أن يوسع له المريء بالمنظار وسهل له الأمر فوافق فأجريت له العملية وتحسنت بعدها حالته وزاد وزنه عشرين كيلوًا تقريبًا، إذ كان من قبل لا يصل للمعدة إلا خمس المعدل الطبيعي للأكل، وبعد العملية أصبح يأكل أكلًا معتادًا، ثم أعادوها له مرتين؛ لأنه يعود ليضيق مرة أخرى بأمر الله.

ولعل من آثار هذا المرض، أعني التدرن أنه كان يغمى عليه رحمه الله في بعض الأحيان وقد كثرت هذه الإغماءات في السنتين الأخيرتين.

وأول ما أذكره منها أنه كان يخطب قبل عشرين سنة من وفاته رحمه الله نائبًا عن إمام في مسجد في العريجا، وبعد انتهاء الخطبة الأولى وكأنه قد اختصرها جلس وأشر لي، فأتيته فقال لي: أكمل وبقي جالسًا خلفي وأنا أخطب الخطبة الثانية، وجاء له بعض الحضور بماء فشرب منه قليلًا، ولما انتهيت من الخطبة نزل وصلى بالناس، وخرجنا من المسجد فدخلنا بيت بعض جيران المسجد فسألوه فقال: أحسست بشيء من الإرهاق، وبعد ركوبنا للسيارة قال لي: إن المنبر حار وأحسست بحرارة في جوفي فلم أستطع إكمال الخطبة.

ثم فقدت هذا الأمر سنوات وقبل أربع سنوات من وفاته رحمه الله مررنا ونحن في طريقنا إلى مكة المكرمة ببلدة قبل الطائف كانوا قد نسقوا معه ليخطب الجمعة، وفي أول الخطبة الثانية بدأ صوته يتناقص ثم سقط ففزع الجماعة وأنا معهم إلى المنبر فكنت أول من وصله وإذا هو جالس فنظر لي وقال: أنا بخير، فأمسكنا به ونزلنا به وجلس في الصف الأول وقمت بإكمال الخطبة، ولما فرغنا من الصلاة خرج معنا وكأنه لم يصب بشيء فلم يجزع وإنما كان يسهل الأمر علينا ويهونه.

ثم حدث ذلك معه في خطبة في مسجده الذي يصلي به في الرياض حيث سقط أيضًا ففزعنا ولما وصلت أمرني بإكمال الخطبة ثم صلى بالناس، وكان يقول لي: إنه قبل الإغماء شعر بحرارة في جوفه لا تحتمل، مع أني قد حرصت على أن يركب في المنبر مكيف خاص؛ لأني أعرف أنه يحب البرودة، وفي هذه المرة ألححت عليه بالذهاب للمستشفى ففحصوه في الطوارئ في مستشفى الملك خالد الجامعي بعناية الدكتور زهير العسيري جزاه الله خيرًا، إذ كان هو مدير الطوارئ هناك وكانت النتائج سليمة، فحولونا على المستشفى من الغد وجئنا فقاموا بأشعات وفحوصات واختبارات للجهد والتنفس فلم يجدوا سببًا بينًا لهذه الإغماءات.

وفي السنة الأخيرة كان في زيارة المدينة المنورة وبعد يوم حافل بالنشاط كان عند أحد المشايخ بعد العصر، فأغمي عليه قليلًا ثم أفاق فذهبوا به للمستشفى ومكث فيه أربعة أيام وكان معه أخي سليمان وعمي ناصر وبعض الأقارب والطلاب، ولما بلغني الخبر سافرت إليه مع زوجته؛ للاطمئنان ومتابعة الأمر، فوجدناهم قد اهتموا به جدًّا؛ لحبهم للشيخ رحمه الله وكان أمير المدينة سمو الأمير عبدالعزيز بن ماجد حفظه الله مهتمًّا بموضوعه أيضًا.

وفي الحجة الأخيرة قبل وفاته بنصف سنة كما ذكرت من قبل ذهب معنا لرمي الجمار في اليوم الحادي عشر بعد صلاة الظهر، ووقفنا السيارة على بعد كيلو متر تقريبًا فمشى على قدميه، وبعد أن مشى نصف المسافة أحس بتعب شديد وظهر لنفسه صوت واضح وكان ذلك بجوار مركز للشرطة فأعطوه ماء وبعض الفواكه وعرضوا عليه أن يوصلوه بالدراجة النارية لكنه أبى، واستراح قليلًا ثم واصل المسير رحمه الله.

فكانت هذه علامات على شيء، ولكن الأطباء لم يكتشفوا ذلك بالرغم من حرصنا على الفحوصات في عدد من المستشفيات فقد فحصوه في المستشفى العسكري ومستشفى الملك خالد ومستشفى الملك عبدالعزيز ومستشفى الحبيب ومستشفى الملك فهد في المدينة وغيرها، ولكن لا يغني حذر من قدر.

وفي السنة الأخيرة كأنه أحس بدنو أجله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول عبدالرحمن ابن العم ناصر: «لفت نظري آخر حياة الشيخ أنه يحس أنه في آخر حياته، أذكر في رمضان عام تسعة وعشرين كان عنده محاضرة في الشفا بعد التراويح وإذا بالحضور قليل جدًّا، فلما ركبنا السيارة قلت للشيخ: يا شيخ، في رمضان القادم سنلغي هذا المسجد من الجدول، فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رمضان القادم لا أظن أني معكم، ففوجئت وقلت: يا شيخ، تفاءل، خير إن شاء الله، فقال: بعض الناس يحس بقرب أجله، قلت: يا شيخ، الواحد يحس بقرب أجله؟، فقال: إني أحس بقرب أجلي.

وفي الأسبوع الأخير قبل دخوله المستشفى حدث لي معه موقفان: الأول، كنا قد وصلنا للبيت من إحدى الزيارات، فجلست معه في السيارة أفصل له في بعض المسائل الخاصة التي يكلفني بها ورأيي في ترتيبها ففهمت منه أنه يقول: قد فوضتك ولن أطيل معكم، فاستغربت جوابه ولكني لم أعلق.

الثاني، كان الجوال الذي معي باسمه رحمه الله وكان قد انتشر رقمه وكان يجيب السائلين من خلاله أحيانًا وكان يراني أعتذر من الفتاوى وفي الأسبوع الأخير لما اعتذرت نهاني وقال: أفتِ فيك بركة، فقلت أمازحه: تجيزني في الفتوى؟ فقال: قد أجزتك.

ويذكـر عبدالرحمن ابن العم ناصرأنه كان ذاهبًـا معه لدرس المغرب، فلمـا ركـب في السيارة لاحـظ أن نفسه مرتفع وكان يمشـي بصعوبة حتى إنه يسحب رجليه ولا يستطيع رفعهما فقلت: يا شيخ، ضعف نشاطك أرى قدميك لا تكاد ترفعها، فقال: هذا آخر العمر، الإنسان تبدأ تخور قواه.

ويقـول عبدالرحمـن ابن العم ناصـر: «لما توفي الشيـخ أحمد بن قاسم وكان يتابـع أخبـاره فأخبرته في الدرس لكي ينبه الطـلاب فقلت: يا شيخ ابن قاسـم تـوفي، فالتفت وقال: توفي؟، قلت: نعم، غفـر الله له، قال: توفي، قلت: نعم، قال: ما بقي من طلاب ابن إبراهيم إلا أنا، ذهبوا ما بقي إلا أنا».

وكان يـردد هـذه العبارة كثـيرًا إذا عدد زملاءه عنـد الشيخ محمد بن إبراهيم فيقول: توفوا جميعًا لم يبقَ إلا أنا.

المرض الأخير

في هذا العنوان أفضل أن أبدأ بالتسلسل الزمني، تاركًا الأحداث تترجم عن نفسها، وتاركًا التعليق عليها للقارئ؛ لأن بعض الموضوعات لها حساسيات وإشكالات نفسية ورسمية، وقد تعلمت من الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ اللطف والرفق والعفو والصفح.

لا شك أن معاناتنا مدة تزيد على خمسة أشهر كانت شديدة، وأن أقارب المريض لهـم نظراتهم المبنية على الأمـل المتفائلة بالشفـاء المليئة بالأماني، وهـذه النظرات تختلف عن نظرات الأطبـاء الذين ينظرون بعين العلم المادي المبنـي على مسوغات تعلموا مـن خلال عملهم أنها تـؤدي إلى نتائج متوقعة، بـل قد تكون عندهم مقطوعًا بهـا، كنا نتضايق جدًّا إذا جاءنا بعض الأطباء،

وقـال: «قد وصلنا مرحلة اللاعودة» كمـا يعبرون، بل إن نظرات البعيدين من غـير الأطباء ربما لا تكون في تفاؤلها كنظرة القريبين وإن كانت ليست قاسية أو قانطـة كنظرة بعض الأطباء، ولقد كنـت أكبر بعض الأطباء الذين يملؤون قلوبنـا بالأمل ويعلقوننـا بالله، وإن كان يتوقع غير ذلـك، وسيرد إن شاء الله ذكرهم في أثناء الحديث، فإن مراعاة أنفس المرضى وذويهم أمر مهم يفتقده بعضـ الأطبـاء، وذلك لا يعني تجاهـل الحقيقة أو حتـى إخفاؤها، بل هو فن التعامل، والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة بطريقة ذكية.

اليوم الأول

في صبـاح يوم الأربعاء التاسع مـن شهر صفر من عام ١٤٣٠هـ اتصلت بـي عمتي هيلة زوجة الوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ، كان صوتها مرتبكًا، فقالت: تعالَ؛ الوالد متعب قليلًا، كنت في المكتب في المنزل المجاور للوالد فتركت ما بيدي وتوجهت مسرعًـا لبيتـه رَحِمَهُ اللَّهُ، لمـا دخلـت الصالة وإذا هـو على الكرسـي في الجهة المقابلـة ولنَفَسه حشرجة بينة، قبلت رأسه وقلـت: نريد الذهاب للمستشفى، وأخـذت بيده؛ ليمشي معي فقـام وخطا خطوات فلم يستطـع المشي ثم جلس علـى الكرسي المجاور، اتصلت بأخي سليمـان وكان مدرسًا في مدرسة بقرب البيت وجاء على عجل فهادينا الوالد بيننا حتى وصلنا السيارة وما زال نَفَسُه على ما ذكرته من الشهيق والحشرجة الظاهرة.

سرنا بالسيارة واتصلت بالأخ صالح البشري في المستشفى المركزي وهو مـن محبي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ليرتب الوضع قبل وصولنا، ثم اتصلت بأخي محمد؛ ليوافينا في المستشفى.

فور وصولنا للمستشفى وجدنا عددًا من الأطباء والإداريين في انتظارنا على الباب فحملوه على السرير المتحرك حتى وضعوه في سرير الطوارئ، وبعد الكشف المبدئي حقنوه بإبرة مسيلة للدم، وأعطوه بعض المنشطات فهدأ وبدأ يتحدث بصورة طبيعية.

كنت بجواره فقال لي: أنا بخير نرجع للمنزل، فقلت: الأمر ليس بيدنا، بيد الله ثم بيد الأطباء فسكت رَحِمَهُ اللهُ.

صعدوا به للعناية المركزة في مبنى الباطنية؛ لإكمال الفحوصات ولم ينتهوا إلا مع أذان الظهر، فلما انتهى الأذان همّ بالنزول ليصلي، فلما رآه الطبيب أشار إليه وقال له: لا تنزل، فقال: أصلي وأعود، قال: لا، وضعك لا يسمح بالحركة، فقال: أنا طيب معافى، قال له الطبيب: أنت تفتي بوجوب العمل برأي الطبيب المسلم وأنا آمرك بهذا، فقال رَحِمَهُ اللهُ: نسمع ونطيع، فجاؤوا له بعلبة التيمم فتيمم وكان السرير لغير القبلة فوجهناه للقبلة، ثم صلى.

بعد الصلاة قال لنا الأطباء: هنا أشعة لا توجد عندنا وذكروا بعض المستشفيات التي توجد بها فاخترنا مستشفى الملك خالد الجامعي.

نقلوه بالإسعاف ولما وصلنا مستشفى الملك خالد كنا قد اتصلنا بأعمامي فوافونا هناك.

كان الفحص المطلوب هو فحص الشرايين بمادة ملونة تظهر ما فيها من مشكلات، وكان يلزم من هذا الفحص تخدير يسير، أدخلوه للفحص وخرج لغرفة النقاهة وجاءت النتيجة مزعجة لنا جدًا.

لقد اكتشفوا أن سبعة شرايين فيها انسداد، اثنان منها بنسبة تسعين في المئة وأربعة بين الثمانين والسبعين، وأما السابع فمغلق تمامًا، لكن من نعمة الله أن هذا الشريان يرفده شريان آخر فلم يؤدِّ إلى جلطة، وهذه حالة نادرة تكون واحدًا في كل مليون إنسان كما قال لنا الطبيب.

قال الطبيب بعد الفحص: لا بد من عملية عاجلة وإلا فهو معرض لجلطة في أي وقت وهذا التعب والإغماءات بسبب الانسداد، كنت أنا وإخوتي وأعمامي في المستشفى، وقد نقلوه بعد الفحص للعناية المركزة وجلسنا نتشاور ماذا نعمل.

استشرنا عددًا من الأطباء وكان خيار السفر للخارج غير وارد؛ لأن العملية كما يقول الطبيب لا بد أن تكون في أقرب وقت فكان أمامنا ثلاثة خيارات: مركز الأمير سلطان للقلب في مستشفى القوات المسلحة المعروف بالمستشفى العسكري ومستشفى الملك فهد بالحرس الوطني ومستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض؛ لأن هذه أشهر المستشفيات في عمليات القلب المفتوح.

وبعد الاستشارة والاستخارة استقر الرأي على مستشفى الملك فيصل التخصصي وبخاصة لوجود الدكتور زهير الهليس وهو من أشهر جراحي القلب على مستوى العالم.

اتصلت بالأمير سلمان وكان في أمريكا مع الأمير سلطان رحمه الله وأخبرته الخبر فتأثر وقال: انظروا ماذا تحتاجون وأخبروني، فقلت له: كأن الرأي استقر على المستشفى التخصصي، ونريد الدكتور زهير الهليس، فقال: أبشر، من حسن الحظ أن الدكتور الهليس كان موجودًا ذلك اليوم، فتلقى الخبر ورحب بالشيخ، وفعلًا توجهنا للمستشفى التخصصي بسيارة الإسعاف، واستقبلونا على الباب ونقلونا مباشرة لغرفة خاصة.

في المستشفى التخصصي

أدخلوا الوالد رحمه الله مباشرة ورتبوا موضوع ملفه بسرعة وكان يحمل الرقم ٦٣٥٩١٦ ثم جاءنا عدد من الأطباء والفنيين وقرؤوا التقارير ومنهم طبيب سوداني كان في غاية الاهتمام بالوالد واللطف والأدب، قلت له وأنا جادّ: هل يمكنني التبرع بقلبي للوالد؟، فاستغرب وقال: أول مرة يحصل لي هذا السؤال، لكن الأمر لا يحتاج إلى هذا.

جاء الدكتور زهير الهليس وسلم على الوالد وكان قد تأمل الفحوصات وقرأ التقارير، وقال: اليوم الأربعاء وستكون العملية يوم السبت إن شاء الله، ثم شرح له بالتفصيل ماذا سيعمل والوالد رحمه الله يستمع إليه بإنصات، وكنت أود أنه أعطاه الأمر مجملًا حتى لا يتأثر، لكن لعله رأى من حق الوالد عليه أن يوضح له كل شيء، فأراه مخطط الشرايين المنسدة، وقال سنعمل توصيلات لأربعة منها ورسم له طريقة ذلك ثم ودعه وانصرف، ولم أرَ على الوالد علامات الجزع ولا الخوف ولله الحمد.

لم نعلن الخبر ولهذا لم يأتِنا يوم الأربعاء زوار إلا بعض الأقارب والطلاب، ولكن الخبر بدأ ينتشر فكثرت الاتصالات علي وعلى إخوتي وأعمامي فاضطررنا إلى أن ننشر في موقع الوالد رحمه الله خبرًا عن الموضوع.

ومن هنا بدأت فكرة نشر بيانات عن أخباره رحمه الله مدة مرضه، وقد نال هذا المسلك إعجاب الكثيرين وهو ما جعل الأستاذ لطفي عبد اللطيف يكتب مقالًا في جريدة المدينة عن هذه البيانات [1] قال فيه: «كان ذلك الأمر جديدًا من نوعه على كبار العلماء والفقهاء، من ناحية الاهتمام بالإعلام، وموافاة

(١) http://ibn-jebreen.com/ommah/index.php?t=content&tid=83&cid=465.

وسائل الإعـلام ببيانات متتالية عند الحاجة، ولكنـه كان من الأهمية بمكان لمكانـة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكـثرة طلابه والجمـوع الكثيرة التي تريـد الاطمئنان عليـه، وقطع الطريق أمام التكهنات والأقاويل التي تتداول في المجالس أو عبر مواقع الإنترنت، وتقديم المعلومة الصحيحة عن حالة الشيخ».

وقـد جاء في هـذا البيان الذي نشـر في يوم الخميس العاشر من شهر صفر:

«بيان من مكتب الشيخ عبدالله الجبرين،

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه وبعد...

فإننا نطمئنكم على صحة الشيخ، حيث إنه بخير ولله الحمد المنة، وذلك بعدمـا أحس بضيق في التنفس وتم نقله إلى المستشفـى أمس، وقد أجريت له الفحوصـات اللازمـة، وتم إعطاؤه الـدواء اللازم، وتم منـع الزيارة لراحته، ونسألكم الدعـاء له ولجميع مرضى المسلمين بالصحـة والعافية. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكتب الشيخ عبدالله الجبرين»

وقـد جلسنا في المستشفى يومي الخميس والجمعـة وانهال علينا الناس فيها من كل الطبقات والفئات مع أننا حددنا الزيارة في وقت العصر والمغرب، ولم نشأ أن نشدد على الناس؛ لعلمنا بحبهم للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان كل من أتاه وسأله عن العملية هونها عليه وقال: إن شاء الله يومين ونرجـع لكم، وقد استغربـت من الوالد هذا الأمر مع أنه يعلم صعوبة العملية،

وقـد قال له الطبيب: إنها يمكن تستغرق سبع ساعـات، لكن لعله كان لا يريد إزعاج الناس، حتى إن بعضهم شكوا أننا لم نخبره بالحقيقة، ومع أني لم أرتح لهذا إلا أني دائمًا أتهم رأيي أمام رأيه رَحِمَهُ اللهُ.

وبعـد ذهاب الزوار يوم الجمعة نحـو الساعة الحادية عشرة ليلًا بقيت معـه أنـا وجاء الممرضـون ومنعوه مـن الطعام وجعلـوا فيه أنابيـب المغذيات والأدويـة، وقـد لاحظت أن نومه تلـك الليلة كان متقطعًا، وقـام في آخر الليل يريـد الوضوء، فسقط على الأرض علـى غير عادة ثم توضأ وصلى ما كتب له حتى أذن الفجر.

يوم العملية

وافـاني إخوتي وبعض أعمامي بعد صلاة الصبـح وفي الساعة السابعة والنصـف من صباح يـوم السبت الثاني عشر من شهر صفـر، أخذوه لغرفة العمليـات، كنـا نسير معه ونحدثه حتـى وصل لباب غرفـة العمليات فودعناه ورجعنـا لغرفتـه، وأدخلوه للعملية في حـدود الساعة الثامنـة والنصف، وكنا نـتردد لسؤالهـم كل نصف ساعة تقريبًا، واستمر حتـى الساعة الثانية ظهرًا حيث أخرجوه لغرفة العناية.

اتجهنا لغرفته ووجدناهم قد سبقونا به، وكان عنده عدد من الأشخاص أطباء وممرضون وعليه كثير من الأجهزة والأدوية كما هو المعتاد في مثل هذه العمليات، فانتظرناهم حتى فرغوا منه ثم دخلنا وألقينا عليه نظرة ولم نطق الجلوس؛ لأننا لا نرى شيئًا من كثرة الأجهزة والأنابيب.

ومعروف أن المستشفى التخصصي كغيره من المستشفيات فيه عدد من الشيعة في بعض الخدمات، حيث يكثرون في العناية التنفسية وفي التغذية والمختبرات وهذه الأقسام من أخطر الأقسام وجميع أقسام المستشفى لا تستغني عنها وكنا نحاذر منهم أن يقربوا الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وفعلًا وجدنا في العناية المركزة ثلاثة منهم يعملون في العناية التنفسية، فقمنا ببعض الترتيبات الاحترازية؛ لكي لا يباشر العمل مع الوالد أحد منهم، وكان عندنا ثلاث فئات: الأطباء وليس فيهم أحد من الرافضة، والتمريض حرصنا أن يكون الطاقم عربيًّا سنيًّا، وفنيو الجهاز التنفسي وفيهم رافضة كما ذكرت، فاخترنا ألّا يتولى أجهزته إلا غربي حيث لا يوجد عرب ولا سعوديون إلا هؤلاء الرافضة، وقد تعاونت إدارة المستشفى والأطباء المشرفون ومسؤولو العناية القلبية تعاونًا تامًّا.

كان يوم العملية من أشد الأيام على نفوسنا، وكانت أيدينا على قلوبنا نترقب خروجه، وقد سألنا الطبيب بعد الخروج، فطمأننا على نجاح العملية، ولكن بعد خروجه بساعتين لاحظ الممرضون وجود نزيف من أحد الأنابيب، فاستدعوا الدكتور زهيرًا، فلما عاينه أدخلوه للعمليات مرة أخرى ومكث نحو الساعة، وقد قال لي أحد الممرضين هداه الله كلمة آلمتني، وهي: «إن النزيف إذا حدث فإن المريض لا يسلم غالبًا من المضاعفات»، لكني لم أهتم بكلامه ولم أنقله لأحد؛ لأن هذا الكلام لا يقال لذوي المريض.

كان وجودنا بكثرة في العناية مزعجًا للمرضى ولطاقم التمريض فاتفقنا أن يبقى اثنان ويذهب الباقون للاستراحة.

وفي يوم العملية كان عندي اختبار لطلاب الجامعة، فلم أستطع الذهاب وكلفت زميلي الدكتور أحمد السراح بمتابعة الأمر، وقد قدر المشايخ في الكلية حالي.

هــذا اليوم منعنا الزيارة مطلقًا، وقد أكثر الناس علينا السؤال عنه من الأمــراء والكــبراء والأقارب والطــلاب والمحبين ومن أبرزهــم الأمير سلمان الــذي اتصل من أمريــكا مرات عدة، وجاء عدد كبير مــن الزوار فشكرناهم واعتذرنــا منهم، ثم رتــب لنــا المستشفى في المساء بسعــي من الأمير خالد بن طلال جزاه الله خيرًا مكانًا لاستقبال الناس والاعتذار منهم عن الزيارة.

كنا نترقب إفاقته من البنج في هذا اليوم، ولكنه لم يفق إلا في صباح الأحد.

في العناية المركزة لمرضى القلب

مكــث رَحِمَهُ اللهُ في العناية المركزة لمرضى القلب نحو عشرة أيام وكان هذا خطــأ الأطبــاء ولنا من ذلــك نصيب، لكن ذلك مــن زيادة الاهتمــام به، وإلا فالعنايات المركزة دائمًا من أكثر الأماكن التي تنتقل فيها العدوى بين المرضى.

أفــاق من المخدر صبــاح الأحد في الساعــة السابعة والنصــف تقريبًا، وكانت إفاقته تدريجية، حيث بدأ يتكلم مع الأطباء والممرضين من بعد الظهر ويستجيب لطلباتهم، وسمح له الطبيب بتناول السوائل.

كنــا نصدر في الأيام الأولى في كل يوم بيانًا ينشر في موقع الوالد رَحِمَهُ اللهُ فذكرنــا في البيــان رقــم (٥) أنهم أزالــوا عنه جميع الأجهــزة المساعدة يوم الإثنــين ١٤/٢/١٤٣٠هـ، وبدأ الشيخ بتناول الطعــام وترك السرير والجلوس علــى الكرســي والمشي تدريجًا، حيــث مشى خطوات عــدة ولكننا كنا نلاحظ المشقة عليه في أثناء المشي.

تفضــل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود حَفِظَهُ اللهُ بزيــارة الشيــخ الوالد رَحِمَهُ اللهُ يــوم الثلاثــاء ١٥/٢/١٤٣٠هـ الساعة

الرابعـة والنصف عصـرًا، وأنا أعرف عادة الوالـد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاهتمام بولاة الأمر، لكني لم أرَ هذا الذي كنت أعرفه، فلعله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يشكو ولم يخبرنا.

كنـا سمحنا بزيارات محدودة للأقـارب القريبين من الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طلابـه ونحوهم، ولم أكن ألحظ أنه يتبسط في تلـك الزيارة بل كأنه يتضايق منها ويحـب الخلوة، حتى إني أعرف أنه يحب طلابـه ويأنس ببعضهم فقلت لـه: لو دعوت الشيخ محمد بن ناصر التركي ليؤنسك ويجلس معك، فقال: لا، يسلم ويمشي، فبعدها كنا لا نحرص على جلوس الناس عنده.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأكل ولكنه يقلـل من الأكل؛ لأن الذهاب للحمام يشق عليه، مع أن الحمام في الغرفة.

في العناية المتوسطة لمرضى القلب

في يـوم الثلاثـاء ٢٢/٢/١٤٣٠هـ أخرجوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العنايـة المركزة لمرضـى القلب إلى العنايـة المتوسطة، وكانت الخطة أن يجلسـ فيها إلى يوم السبت ثم يخرج للجناح ثم إلى المنزل، وكان في يوم الثلاثاء والأربعاء ومعظم يـوم الخميس طبيعيًـا، إلا أن المرض قد أثر على مزاجـه ووجهه وقد واصلنا منـع الزيارة العامة عنـه؛ حرصًا على صحته، على أن يتـم فتح باب الزيارة بعد نقله إلى غرفته في المستشفى، ويوم الخميس بدأت قراءات جهاز التنفس تتغير ما اضطر المرض إلى زيادة الأكسجين.

كنـت أخطب الجمعة عنه منذ أن دخل المستشفـى، وفي ذلك اليوم كان بعضـ الأقارب قد رتبوا معه موعدًا لعقد النكاح، فكلفني بالذهاب للعقد لهم نيابة عنه، ولما رجعت سألني، وقد بدا عليه التعب: عقدت لهم؟ فقلت: نعم.

حاولنا بعد ظهر الجمعة تدريبه على المشي كالمعتاد فلما مشى نصف المسافة خارت قواه وطلب الجلوس فأجلسناه على كرسي ثم نقلناه للسرير.

بدأ التعب يزداد شيئًا فشيئًا حتى إنه بعد المغرب زاره الأمير متعب وكان بينهما محبة، ولما جلس عشر دقائق رأيت في وجه الوالد رحمه الله أنه يريد الراحة فتجرأت على الأمير، واستأذنت منه؛ ليرتاح الوالد.

ونحو الساعة الثانية عشرة من ليلة السبت ١٤٣٠/٢/٢٦ ظهر عليه التأثر جدًا فاستدعي الطبيب المناوب وأمر بنقله للعناية المركزة فورًا.

العودة للعناية المركزة لمرضى القلب بعد الالتهاب

كانت تلك الليلة مزعجة لنا جدًا، حيث لا نعلم سببًا لهذا الالتهاب، فقد كانت صحته مستقرة وفجأة تغير الحال إلى التهاب رئوي حاد، نستبعد أن يكون الأمر متعمدًا كما أشاعه بعض الناس بأن الرافضة ربما فعلوا ذلك، ومع وجودهم في العناية ولكننا قد اتخذنا إجراءات وقائية شديدة بالتنسيق مع إدارة المستشفى، ولا أظنهم يجرؤون على مثل هذا؛ لأنهم يعلمون عواقبه الوخيمة، إضافة إلى أننا معه لا نفارقه ليلاً ولا نهارًا فقد رتبنا ورديات شارك فيها الأقارب القريبون فقط ولم نفتح المجال حتى للأقارب البعيدين فحصرناها في أبناء الشيخ وأحفاده وإخوته وأبنائهم فقط وممن شارك في هذه المناوبات أنا وإخوتي محمد وسليمان وأبنائي عبدالله ومحمد وأعمامي محمد وسعد وسعود وناصر وزبن وصقر وأبناء الأعمام والعمات ومنهم فهد وأحمد وعمر وعبدالرحمن وسليمان أبناء عمي محمد وعبدالرحمن وعبدالله ابنا العم ناصر وعبدالرحمن وعبدالله وخالد وطارق أبناء العم زبن ومن أبناء أخواتي إبراهيم بن محمد وأحمد الهدلق وعبدالله وأنس وعبدالرحمن

أبناء حمد بـن حمادة ومن أبناء عماتي عبدالعزيز وإبراهيم السعدان وحمد الهدلق، وربما نسيت غيرهم الآن؛ لطول العهد.

كنا نرتب واحدًا أمام الغرفة دائمًا وواحدًا في غرفة الاستقبال؛ للترحيب بالناس حيث تفتح من العصر إلى الساعة العاشرة ليلاً ويأتي المحبون للسؤال عن الوالد، فنستقبلهم هناك.

كنت أنا وأخي سليمان معه في الفترة الصباحية من الساعة الثامنة وقد لا نخرج إلا في العاشرة ليلًا وقد كفانا أخي محمد فترة الليل جزاه الله خيرًا.

وكان بقية الشباب موزعين عن طريق جدول يرتب أسبوعيًّا؛ ليعرف كل منهم وقته، وكانوا يتنافسون على الجلوس مدة أطول جزى الله الجميع خيرًا.

كان الاحتمـال الأقوى للالتهاب أنه عدوى مـن العناية المركزة، وقد ذكر لي بعض الأطبـاء أن البكتريـا التي معه اسمهـا سدمونس، وتوقـع البعض أن يكون بسبب رائحة طيب، وقد اكتشفت في الأدراج كيسًا صغيرًا فيه حلتيت جاء بـه بعض الأقارب لمنع التهـاب الجروح بعد العملية، وكانـت رائحته قوية جدًّا، فأخرجتـه من الغرفة بعد صلاة الجمعة بعد أن ظهر التعب على الوالد رحمه الله؛ خشية أن يزيد من الالتهاب.

في الصباح علم الجميع من الإخوة والأعمام وإدارة المستشفى والأطباء وكان وضعـه حرجًا، لكنه كان على الأكسجـين الطبيعي، وبعد الظهر من يوم السبت ١٤٣٠/٢/٢٦هـ اضطر الأطباء إلى إدخال أنبوب التنفس في جوفه عن طريق الفم وأعطوه منومًا خفيفًا؛ لئلا يتأذى.

دعاني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد صلاة الظهر وقال لي وهو لا يكاد يظهر صوته: «بيت السبالة[1] قد نويته وقفًا، أعيدوا بناءه واجعلوا غلته في أعمال البر، والقروض التي على الناس لا تشددوا فيها فإن معظمها صدقات» وكان هذا آخر حديث دار بيننا حتى توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد زاره بعض أخواتي قبل الظهر وكان يغفو في أثناء وقوفهم بجانبه من شدة التعب وإذا كلموه فتح عينيه بصعوبة ورد عليهن، فكانت يده ممدودة فقالت إحداهن: لماذا يدك هكذا؟ هل تؤلمك؟ فقال: أستطيع أن أقول بها هكذا هكذا.. أنا بخير، وحركها قليلًا للأعلى وللأسفل[2].

و انتشر في مواقع الإنترنت والمنتديات ورسائل الجوال أخبار عن تدهور صحة الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وأنه أدخل العناية المركزة، فكثر السؤال علينا والاتصال وكنا لا نخرج كل الأخبار؛ أملًا في الله ورغبة في عدم إزعاج الناس لكننا في بياناتنا في الموقع لا نجاوز الحقيقة.

كانت إدارة المستشفى توليه رَحِمَهُ اللَّهُ حرصًا واهتمامًا بإشراف مباشر من معالي الدكتور قاسم القصبي المشرف العام التنفيذي لمستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، وكانوا يتحملون منا كثرة الطلبات التي نرى أنها مهمة، ومع بقائه تحت إشراف الدكتور زهير الهليس جراح القلب، والدكتور إلياس أسعد المشرف على عناية جراحة القلب، فقد انضم إليهما بعد حدوث التهاب الرئة الدكتور محمد خالد والدكتور عبدالله الضلعان استشاريا الأمراض الصدرية وغيرهما كما سيأتي.

---

(١) هو البيت الطيني الذي كان يسكنه قديمًا.

(٢) مذكرات الأخت هيا.

وبعد أربعة أيام تقريبًا حدث معه مضاعفات أخرى، فركبوا له جهاز تنفس مخيفًا جدًّا يسمع صوته من بعيد وقالوا: إنه يعطى للحالات الطارئة وسمعت أنه يدفع للرئة ثلاث مئة مرة في الدقيقة، وقد أخافنا هذا الجهاز كثيرًا وكنا في وضع لا نحسد عليه وأصبت بإحباط شديد أنا وإخوتي ومنعنا الزيارة مطلقًا حتى للأعمام والأخوات؛ حتى لا يروا حالته فيصدموا وكنت أتناوب عليه أنا وإخوتي فقط وتكتمنا على الموضوع جدًّا.

حتى إنه زارنا في ذلك اليوم الأمير عبدالعزيز بن فهد فاستقبلته في المجلس واعتذرت منه بأن وضع الوالد لا يسمح بالزيارة، وكنت مهمومًا جدًّا ومنهكًا فلم أستطع الحديث معه كما ينبغي ولعله هو ومن معه لاحظوا هذا ولكنه قال لي كلمة مازالت حلاوتها في قلبي ولن أنساها له حفظه الله قال: أنا بعد وفاة الملك فهد أعتبر الشيخ أبي، وأنا جاهز لما تطلبونه فمالي تحت تصرفكم، لا تتصور أخي القارئ وربما الأمير لا يتصور كيف فعلت هذه الكلمات القليلة المتواضعة فعلها في نفسي، عدلت من جلستي وكنت مرتميًا على الكرسي من التعب والإجهاد ونظرت له وشكرته، وبعثت هذه الكلمات في نفسي أملًا بعد الأمل في الله، وقلت فيما بعد أبياتًا مهزوزة في ذكر هذه القصة وشكر الأمير والثناء عليه سأنشرها إن شاء الله مع القصائد في ملحقات الترجمة.

وبعد أسبوع تقريبًا اضطروا إلى عمل فتحة في الحلق لجهاز التنفس؛ لأن حلقه تأذى من أنبوب التنفس، وكان هذا التغير في حالته رحمه الله سببًا في تحرك عدد من المحبين، منهم الأمير خالد بن طلال حيث رتب عن طريق المستشفى عقد لقاء تشاوري عبر الأقمار الصناعية مع أطباء من مستشفى مايو كلينيك في روتشيستر، مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وتمت استشارة عدد من الأطباء المشهورين على مستوى المملكة، مثل الدكتور محمد الفقيه جراح القلب المشهور، والدكتور محمد الزيتوني رئيس قسم الأمراض الصدرية بالمستشفى الذي انضم للفريق المعالج بعد ذلك.

كما تم إعداد تقرير طبي عن حالة الشيخ؛ لبعثه إلى أشهر المراكز الطبية في العالم بالتنسيق مع الدكتور هشام محمد ناظرة مدير عام الشؤون الصحية بمنطقة الرياض الذي أبدى اهتمامًا كبيرًا بالموضوع، واجتمع يوم الإثنين ١٤٣٠/٣/٥هـ مع إدارة المستشفى التخصصي والأطباء المعالجين، لمناقشة الحالة.

وقد أرسل التقرير لعدد من المراكز الطبية في أمريكا وأوروبا، وتم تلقي إجابة من ألمانيا بأن الحالة عادية والعلاج الموجود في المستشفى كافٍ لها، ولكنها تحتاج إلى وقت لكي يتم الشفاء منها.

واستقدمت إدارة المستشفى التخصصي طبيبين من مركز جونس هوبكنس الطبي في الولايات المتحدة الأمريكية وهو من المراكز المشهورة عالميًا والطبيبان هما: Royg .br ower بروفسور في كلية الطب في جامعة جونس هوبكنس والمدير الطبي لوحدة العناية المركزة، والاستشاري Daniel .p. judge المدير الطبي لمركز الأمراض الطبية الوراثية، قسم القلب في جامعة جونس هوبكنس.

كما كلف صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز الدكتور بدر الربيعة باستقدام طبيبين من فرنسا، فقدم كل من البروفسور Daniel dusser بروفسور أمراض الرئة من جامعة باريس ديسكارتس،

مستشفى كوجن والبروفسور jean chastre بروفسور في العناية المركزة بجامعة بيري وماريا كوري، مستشفى بيتي سالبتريري، باريس.

وقام الأطباء كل وفد على حدة بالجلوس مع الفريق الطبي المعالج، واستمعا إلى شرح كامل عن تطور حالة الشيخ، ثم اطلعا على الملف الطبي والأشعة والتحاليل المخبرية التي عملت خلال المدة الماضية، ثم قاما بفحصه وكتبا تقريرًا عن رأيهما في الحالة خلاصته «أنهم يثمنون الجهود المبذولة من المستشفى ويقرونهم على الخطة العلاجية التي يقومون بها»، وقد اقترحوا تعديلًا في بعض الأدوية، ومما أوصوا به أن يعطى رَحِمَهُ اللَّهُ جرعتين كبيرتين من الكورتوزن، فلما اعترضنا لأن هذا الدواء سمعته سيئة قال لنا الطبيب: ما قلتموه صحيح لكنه شر لا بد منه، ويبقى هو الدواء السحري الذي يلجأ له الطبيب عندما تعجز الأدوية الأخرى.

وجلسنا مع الأطباء وأخبرونا أن تشخيص حالة الشيخ غير واضح حتى الآن؛ لأن التحاليل المخبرية سليمة وذكر الأطباء الفرنسيون أن أحد الأدوية هو الذي يمكن أن يكون تسبب فيما يمر به الشيخ من ضيق في التنفس، وقد طلبوا إيقافه واستبداله بدواء آخر ليس له مضاعفات، وتوقعوا أن تتحسن حالة الشيخ خلال الأيام القادمة.

وقد فوجئ الطبيب محمد خالد لما سمع عن اسم الدواء وقال: أنا طلبت إيقافه واستغرب أنه لم يوقف، وهذه من الأخطاء الطبية التي آلمتنا.

كان هذا الدواء قد صرفه طبيب مختص في كهرباء القلب؛ لأن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حصل معه اضطراب في كهرباء القلب، وبحثنا عن أفضل الأطباء في المستشفى فصادف أنه في إجازه فأرسل القسم طبيبًا مختصًا في ذلك وصرف

هـذا الـدواء وقد لاحظـت شخصيًّا أن حالـة الوالد ساءت بعد هـذا الدواء، وحدثت الطبيب نفسه هداه الله عن ذلك ولكنه لم يعر كلامي اهتمامًا، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وأشـار علينـا بعض الإخوة بتكثيـف القراءة على الشيـخ، فبدأنا بذلك مـن تاريـخ ١٤/٣/١٤٣٠هـ تقريبًا وقرأ عليه عدد مـن القراء المشهورون من تلاميذه وغيرهم، إضافة إلى بعض كبار العلماء كالشيخ عبدالرحمن البراك والشيخ عبدالعزيز الراجحي وغيرهما.

وكنت ألاحظ تأثره من القراءة حتى إن عينيه تدمعان أحيانًا، وبخاصة لمـا أخبرته عن الشيـخ عبدالرحمن البراك؛ لأنه لم يكن منومًا تمامًا، بل كان يعطى مهدئات.

وقـد رفعوا عنه الجهاز الذي ذكرته سابقًا بعـد استقرار حالته، لكنهم أبقوه على جهاز التنفس المعتاد عن طريق فتحة الحلق التي غيروا أنابيبها في ٢٨/٣/١٤٣٠هـ.

وكان مـن الأمـور التـي أزعجتنـا ونحن في غنى عـن الإزعـاج أن قناة المجـد الفضائية بثت عـن طريق شريط الرسائل رسالة مـن أحد الأشخاص كان فيهـا خبر عن وفاة الوالد رحمه الله، وقد فجع كثير من الناس وتوالت علينا الاتصـالات مـا اضطرنا إلى إصـدار بيان يوم ٥/٤/١٤٣٠هـ لتوضيح الأمر ولـوم القنـاة، لكن الشيـخ فهد بن عبدالرحمـن الشميمـري مؤسس ورئيس مجلـس إدارة شبكة المجـد الفضائية آنذاك أراح قلوبنـا، فقد اتصلنا به عن طريـق الشيخ راشد بن عثمان الزهـراني فساءه الموضوع ووجه بإيقاف جميع الأشرطـة في قنوات المجد مؤقتًا وإعـادة النظر في الآلية التي يتم بها التحكم في هذه الأشرطة.

كانت حالة الوالد رحمه الله في النصف الأخير من شهر ربيع الأول وأول شهر ربيع الثاني مستقرة، فهو على جهاز التنفس ويعطى مهدئات يدرك ما حوله لكنه لا يستجيب، وكنت ألاحظ عندما أقرأ عليه آيات التهليل وكان يرقي بها أنه يتأثر ويظهر ذلك على وجهه ويديه.

النقل للعناية المركزة لمرضى الباطنة

أشار علينا بعض الأطباء بنقله من العناية القلبية إلى العناية العامة بسبب أن عملية القلب ناجحة والعناية الأخيرة هي المتخصصة في علاج مثل حالة الشيخ وقد تم النقل فعلًا يوم الخميس ١٤٣٠/٤/٦هـ.

ولقد كان يلقى اهتمامًا وعناية من الفريق الطبي المشرف على علاجه في العناية القلبية المركزة وعلى رأسهم الدكتور زهير الهليس والدكتور مصلح العنزي والدكتور إلياس سعد وزملاؤهم، وبذل طاقم التمريض عناية فائقة فقد وفقنا بعدد من الشباب العرب من فلسطين والأردن ولبنان أذكر منهم الآن: محمد بحيص وأيمن وعمر وعامر وإبراهيم ورامي وعثمان ومحمد الصوفي وغيرهم ممن أنسيتهم، وكان مشرف العناية التنفسية يسمى سامًا من إحدى الدول الغربية وكان في غاية التعاون معنا وتفهم وضع الوالد فلم يوكل أجهزة التنفس إلا لمن نرضاه، وفي الحقيقة كان كل من هناك من أطباء وفنيين وإداريين في غاية التفاني لخدمة الوالد رحمه الله، بل حتى الشباب الشيعة كانوا يقدرون حساسية الوضع معهم؛ لذا لم نلحظ عليهم أي تضايق أو شعور بالتمييز.

لما انتقل الوالد رحمه الله للعناية المركزة العامة تغير الأطباء المشرفون والممرضون، وكنا في البداية لم نعرف نظامهم، ثم علمنا أن العناية يشرف

عليهـا الأطبـاء بالتناوب وعددهـم نحو العشـرة، ستأتي أسمـاء بعضهم في أثناء الحديث.

كان أولًا في غرفـة قريبـة من الباب مزعجة بكـثرة المارة فطلبنا غرفة بعيـدة فوفروها لنـا جزاهم الله خيرًا، وكانت معظـم طلباتنا تتم عن طريق ترتيب التشريفات ومديرها الأستاذ عبدالرحمن الشريم جزاه الله خيرًا ومن أبرز من كان يذلل صعوباتنا الأخ خالد الشلهوب وفقه الله وجزاه خيرًا.

مكث رَحِمَهُ اللهُ نحو عشرين يومًا وهو تحت ملاحظة الأطباء وعاينه معظم أطبـاء العنايـة ومنهم الدكتور محمـد حجازي وسليمـان الحصيني وأشرف الطريفـي ووفيق محمـود وحسين العوضي ومازن خـيرالله وكان يشرف عليه فيمـا يتعلق بالرئـة الدكتورمحمد الزيتوني وفيما يتعلـق بالقلب الدكتور وليد حسن وفيما يتعلق بالكبد الدكتور محمد الفدا وهم من أكبر أطباء المستشفى وأشهرهم، وكان يعاينه أحيانًا غيرهم في بعض القضايا الأخرى.

كانت حالتـه مستقرة، وإن كان تعرض بسبب وجـوده في العناية لبعض الالتهابات التي لا يخلو منها مريض العناية المركزة، فالكليتان والكبد تؤديان وظائفهما بشكل جيد والمشكلة الرئيسة في الرئتين والقلب.

أمـا الرئـة وهي العضـو المهـم في حالة الوالـد فقد مـرت بحالات من التحسن وحالات من التأثر ووضعها غير مستقر.

وأمـا القلب فهناك ضعف في عضلة القلـب، لكنه لا يشكل خطرًا، وكان يأخذ علاجًا لتقوية العضلة وعلاجات للضغط جعلا حالته مستقرة.



ولكـن بعد هذه المدة الطويلة كثر علينا اللوم مـن الأقارب والمحبين من طلاب العلم وغيرهم، وكانوا يسألوننا، لِمَ لا يسافر للخارج؟، ويضربون أمثلة بمـن سافر وشفي، فتشاورت أنا وإخوتي وأعمامـي ورأينا أن نبذل الأسباب، وبخاصـة بعد طول المدة، حيث مكث في المستشفـى أكثر من سبعين يومًا، ولم يتوصل المستشفى لتشخيص دقيق للمرض، فرأينا خوض التجربة؛ لعلنا نوفق لعلاج، وبخاصة بعد سماعنا لعدد من التجارب الناجحة في الخارج.

وقـد سألنا كثيرًا عددًا مـن الأشخاص ممن جرب ووجدنـا آراء عدّة، وكانت الخيارات كثيرة ما بين أمريكا وألمانيا وفرنسا.

كان الأمـير عبدالعزيـز بن فهـد حفظه الله مهتمًّا بموضوعـه وكان يتابع الوضع عن طريق الأمير عبدالعزيز بن سعود بن محمد وهو من محبي الوالد وبـين الوالد وأبيه صحبة طويلة وبين جدي وجده صحبة كذلك فإن أباه وجده من المعروفين بالصلاح والتقوى.

بلغت الأمير عبدالعزيز بن سعود، فاستبشر وأثنى على الفكرة ووعد بتبليغ الأمير عبدالعزيز بن فهد، وفعلًا اتصل بي في اليوم نفسه الدكتور بدر الربيعة وبحث معـه الموضوع والخيـارات فرجحنا فرنسا، واتصل بـي الأستاذ محمد الأوسيمر وطلب الجوازات؛ لاستخراج التأشيرات من القنصلية الفرنسية.

لم يكـن لدى الوالد رحمه الله جواز ولا حتى بطاقـة مدنية؛ لأنه كان معفى مـن الصور، وكان يكتفي برقم السجل المدني المـدون في التابعية التي لم يكن فيها صورة، اتصلت بالدكتور عبدالرحمن الهدلق، وكنت تعرفت عليه في آخر لقاء للوالد رحمه الله مع الأمير محمد بن نايف، فأخبرته الخبر، فأرسلوا مندوبًا أخذ الأوراق وجاء بالبطاقة والجواز.

اخترنا ستة للذهاب أنا وأخواي محمد وسليمان وأعمامي سعد وسعود وابن عمي فهد بن محمد، وسلمنا الجوازات لمكتب الأمير لتجهيز التأشيرات فيما لو تقرر السفر.

اقترح الدكتور بدر الربيعة الالتقاء بالأطباء؛ للتشاور في السفر فعقد في يوم الإثنين ٢٤/٤/١٤٣٠هـ اجتماع في مكتب الأستاذ/ عبدالرحمن بن إبراهيم الشريم مدير التشريفات بالمستشفى ضم الأطباء المشرفين على علاج الشيخ وبحضور الدكتور/ بدر، وحضرت معهم أنا وأخي سليمان.

تحدث الدكتور بدر الربيعة ونقل تحيات سمو الأمير/ عبدالعزيز بن فهد للجميع وشكره للأطباء المعالجين على الجهود المبذولة، واستعداد سموه لبذل أي إمكانات لعلاج الشيخ في الداخل أو الخارج، وبعد استماعه لتقييم الأطباء لحالته الراهنة سأل عما يمكن عمله حاليًا للشيخ لاستعادة العافية له، وطرح عليهم موضوع السفر به إلى خارج المملكة وهل تتحمل حالته ذلك وهل يمكن أن يقدم له شيء في الخارج؟

وبينت في الاجتماع أن الأطباء بذلوا ما في وسعهم خلال خمسة وسبعين يومًا مكثها الوالد في المستشفى، ولكننا لاحظنا أن تقدم الحالة يسير ببطء وقلت لهم: هناك آراء سواء من داخل العائلة أو من بعض زملاء الشيخ من المشايخ أو تلاميذه أو محبيه يقترحون علاجه في الخارج وآمل أن يدرس الأطباء هذا الأمر إذا كان نقله لا يؤثر عليه.

وتحدث الأطباء بأنهم لا يعلمون أي شيء يمكن أن يقدم للشيخ، ولو علموا لسارعوا لذلك، ولكنهم لم ينفوا وجود شيء؛ لأن هذه أمور غيبية.



أما النقل خارج المملكة فقد اتفق كلامهم في الجملة على أن حالة الشيخ تسمح به حاليًا وأن الخطورة في ذلك محدودة بإذن الله.

كان معنا تقرير طبي بتاريخ ٢٠/٤/١٤٣٠هـ، فطلبت تقريرًا أحدث، فأعطوني تقريرًا بتاريخ ٢٤/٤/١٤٣٠هـ وأرسلتهما للدكتور الربيعة، وحيث إن التأشيرات الأوروبية جاهزة بحثت مع الدكتور الربيعة موضوع السفر بعد أن قرر الأطباء إمكانية سفره، وكنا بين خيارين: فرنسي في المستشفى العسكري في باريس وألماني في المستشفى الجامعي في برلين، وبعد تداول الرأي ترجحت برلين؛ لتميز المستشفى وكانت الترتيبات مستمرة ليكون السفر في مطلع الأسبوع القادم.

علم الأمير خالد بن طلال، فاستأذنني في الاتصال بالملك وإخباره ورأى أن كون الوالد يذهب باسم الملك أفضل وأولى مع تقديره لجهود الأمير عبدالعزيز بن فهد وشكره لمبادرته، فقلت له: الأمير قد رتب ونحن نفضل الذهاب عن طريقه، وكنت أعلم أن الترتيب عن طريق الأمير سيكون أسهل لنا وأريح وأبعد عن الرسميات، لكن الأمير خالد لم يأخذ برأيي فاتصل بالملك وبلغه برغبتنا في السفر فوجه الملك بعلاج الوالد في المستشفى الجامعي في برلين على نفقة الدولة ومعه مرافق واحد، كما هو المعتاد في مثل هذه الحالة، لكنه وجه بصرف مليون ريال لتغطية نفقات الرحلة، وقد بلغنا الأمير عبدالعزيز بن فهد بما تم، فبارك توجيه الملك وأبدى استعداده لأي شيء، وأرسل جزاه الله خيرًا مائة ألف دولار مساهمة في نفقات الرحلة.

اتصل بي معالي الدكتور فهد العبدالجبار وكان في حينها مستشارًا للملك والمشرف العام على العيادات الملكية ورئيس مجلس إدارة مستشفى

الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث وبلغني بالتوجيه الكريم فشكرته ودعوت للملك، ثم اتصل بي معالي نائب رئيس الديوان الملكي الأستاذ خالد ابن عبدالرحمن العيسى وطلب مني رقم حساب الوالد رحمه الله لتحويل المبلغ فأعطيته إياه.

وقمت بعد تأكد السفر بكتابة ورقة بخط عريض لإخبار الوالد وكتبت فيها: «الملك أمر بعلاجك في ألمانيا ونحن نرتب للسفر أسأل الله أن يجعله سببًا مباركًا»، ثم عرضتها له ونظر فيها لكنه رحمه الله كان لا يستطيع الرد.

اتصلت بالملحق الصحي السعودي حيث هو المسؤول عن ترتيب أمورنا في برلين وكان حينها امرأة تسمى عفاف الشمري، فأخبرتني أن الأمر جاءها وأنها تجري ترتيباتها ثم ربطتني بطبيب عربي اسمه نزار معروف فاتصلت به وأخبرني أنهم جاهزون لاستقباله.

بعد أن رتبوا مع الإخلاء الطبي حدد موعد السفر في يوم الأحد ١٤٣٠/٥/١هـ فاستعنا بالله وجهزنا أنفسنا لهذا الموعد.

في ألمانيا

تحركنا من مستشفى الملك فيصل التخصصي نحو الساعة العاشرة، فقد باشر الأطباء والمرضون تجهيز الوالد رحمه الله للسفر، ورأوا أن يعطوه منومًا حتى لا يتعبه السفر، وركبت معه في سيارة الإسعاف ولحقنا الإخوة والأعمام بسيارات خاصة، وقد عانينا في الوصول لمطار الإخلاء على الرغم من كونه قريبًا من المستشفى بسبب الزحام وعدم احترام الناس لسيارة الإسعاف، وكون مطار الإخلاء في مكان بعيد في داخل قاعدة الرياض الجوية.



وصلنــا هنـاك، ووجدنا عددًا كبيرًا من المودعــين معظمهم من الأقارب والمقربين للوالــد رحمه الله كبعض تلاميذه ومحبيه وكان من المقرر أن يذهب في الطائــرة أربعة من المرافقــين فقط فسافر محمد أخــي وفهد بن العم محمد بالطيران المدني وبقيت أنا وأخي سليمان وعمي سعد وسعود.

أنزلــوا الوالــد من سيــارة الإسعاف وعــبر ممر كهربائــي يوصل بباب الطائــرة حملــوه فيهــا، وكان الموقف مؤثــرًا فالحزن بادٍ على وجــوه كثير من الحاضريــن، بــل إن كثيرًا منهــم ذرف الدموع عند وداع الحبيــب، وقد مكنا الجميــع مــن السلام عليه قبــل أن يصعد به للطائرة، ثــم صعدنا وودعناهم والقلوب تتقطع.

ومن الوفــاء أن نذكر الأستاذ عبدالرحمن الشريم مدير التشريفات في مستشفــى الملك فيصل التخصصي ومواقفــه الكثيرة في خدمة الوالد رحمه الله وقد رافقنا لمطار الإخلاء وودع الوالد في الطائرة جزاه الله خيرًا.

طائرة الإخلاء الطبي تتسع لاثني عشر راكبًا وكنا أربعة ومندوبو الإخلاء الطبي ثلاثة وخمسة من الفريق الطبي طبيبان وممرضان واختصاصي التنفس.

أقلعــت الطائرة نحو الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وكانت الرحلة مريحة ولم يحــدث فيها ما ينغصها، حيث كان الوالــد هادئًا، والطيار ماهرًا متعاونًا لطيفًا.

وصلــت طائرة الإخــلاء الطبي لمطــار برلين الدولي في الساعــة الخامسة عصــرًا بتوقيــت برلين حيــث مكثنا في الجــو نحو سبــع ساعات، وكانــت سيارة الإسعاف تنتظرنا ومعها ثلاثة من موظفي الملحقية الصحية السعودية في ألمانيا.

ومــن خلال ملاحظتي لطريقــة فريق الإسعاف في ألمانيــا في كيفية حمل المريض وإنزاله من الطائــرة والتعامل مع ذوي المريض وشكل سيارة الإسعاف واحــترام النـاس في الشارع لسيارة الإسعاف رأيت بونًا شاسعًا بيننا وبينهم مع الأسف على الرغم من أننا لا تنقصنا الإمكانات لكن ينقصنا الوعي والمسؤولية.

أخذ مندوب الجــوازات جوازاتنا، وذهب بها لمبنــى المطار ليضع عليها ختم الدخول وعاد بها سريعًا.

ركبــت مع الوالــد رَحِمَهُ اللَّهُ في سيارة الإسعاف وتولى أخــي سليمان والعم سعد وسعود إيصال أغراضنا للسكن، وكانت الملحقية قد حجزت لنا في فندق اسمه ريجنت على حسابنا.

كنت أتوقع أننا سنجد السفير في استقبالنا أو أحدًا من مسؤولي السفارة أو القنصلية أو الملحق الصحي ولكن لم يوجد منهم أحد.

وصلنا إلى مستشفى اسمه فيفانتس، وأدخلوا الوالد مباشرة غرفة العناية وركبوا فيه الأجهزة بعد فصل الأجهزة المؤقتة التي عليه في أثناء السفر.

عقــد مباشرة اجتماع لدراسة الحالة بــين الفريق الطبي المرافق للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ والبرفســور الألماني الذي سيكــون مشرفًا على حالته مع فريقه الطبي وحضر اللقــاء الملحق الصحي للمملكة العربية السعوديــة في أوروبا الدكتورة عفــاف الشمري، وكنــت حاضرًا هذا اللقاء، وبعد تسلــم الحالة اتفق على أن يبقــى تحــت الملاحظة ويعقد اجتمــاع غدًا (الإثنين) بعد الظهــر؛ للتشاور مع عدد من الأطباء.

كان الأمير سلمان حفظه الله يتابع تحركاتنا خطوة خطوة جزاه الله خيرًا، حيث يتصل بي من أمريكا؛ ليسألني عن أخبار الوالد رحمه الله، وكان لمتابعته الأثر الكبير في تسهيل كثير من الأمور.

وقد انهالت علينا الاتصالات الهاتفية بعد وصولنا لبرلين من عدد من الأمراء والمسؤولين والوجهاء والأقارب وتلاميذ الشيخ ومحبيه.

كان لنا نحن مرافقي الشيخ رحمه الله عدد من الترتيبات في برلين لتنظيم وضعنا وضبطه.

كان الإخوة في الملحقية ومن أبرزهم الأخ ياسر الربدي وعبدالله اليامي قد بذلوا جهودهم في ترتيب وضعنا، فحجزوا لنا في فندق ريجنت واستأجروا سيارة مع السائق وكان سائقها الأستاذ نعيم من الشام رجلًا عاقلًا وذا معرفة بالبلاد وأهلها.

قررنا تغيير السكن؛ لكونه غاليًا فسكنا في شقق آرتوس واستأجرنا سيارة أخرى نقودها نحن لكي نوفر في المصروفات؛ لأن البلاد غالية ونحن ستة ولا ندري ما يستقبلنا من أحداث من حيث المدة وغيرها.

كما وزعنا العمل على الوفد، فكان العم سعد وابن العم فهد مسؤولين عن السكن وترتيب الأمور المعيشية ونحو ذلك، وتولى الأخ محمد الحسابات، وأسند لي التنسيق مع المستشفى والسفارة والملحقية ونحوها، وكان العم سعود والأخ سليمان مسؤولين عن العلاقات والاتصالات، وجعلنا الأخ سليمان أيضًا هو المتحدث الرسمي باسم الوفد فيما يتعلق بحالة الوالد رحمه الله ونشر ما يتعلق بصحته ووضعه.

كما وزعنا بيننا الدوام في المستشفى لمرافقة الوالد رحمه الله فكانت الفترة الصباحية لي أنا وسليمان والفترة المسائية للعم سعود والأخ محمد وفترة الليل للعم سعد وابن العم فهد.

واتفقنا على البدلاء الذين سيأتون للمرافقة ليبدؤوا في تجهيز تأشيراتهم وتنسيق إجازاتهم وكان منهم الأعمام ناصر وزبن وصقر وابنا العم محمد عمر وعبدالرحمن ومحمد بن العم إبراهيم وابن العمة هيا عبدالعزيز السعدان.

ووضعنا آلية لاستقبال الضيوف الزائرين من الأقارب ونحوهم حيث التزمنا بتوفير الاستقبال في المطار وتقديم تسهيلات في الحجز والتأشيرة.

وقررنا أن نتفق على صيغة معينة في كل أسبوع يبلغ بها الناس عن صحة الوالد رحمه الله حتى لا تتضارب المعلومات بحسب اختلاف التعبير أو التفسير.

وحددنا هاتفًا رسميًا، واشترى لنا الأخ ياسر سبع بطاقات جوال خصصنا واحدة منها لتكون الهاتف الرسمي والبقية شخصية.

واتفقنا على عدم السماح بالزيارة في المستشفى مطلقًا؛ حتى لا يزعجنا الإخوة في برلين من المقيمين والزائرين.

وأشار علي الدكتور نزار معروف بأن أفتح حسابًا بنكيًا لتسهيل عملية المصروفات حيث يتم كل شيء بالبطاقة ولا أحتاج إلى حمل نقود فقمت بفتح حساب في دوتشيه بنك وهو أشهر بنوك ألمانيا.

بدأ كل في مهمته وبدأت مهمتي من صباح الإثنين ٢/٥/١٤٣٠هـ حيث توجهت للسفارة للسلام على السفير وإبلاغه بما تم وزيارة الملحقية الصحية والسؤال عن بعض الأمور.

كانـت السفارة قريبة من السكن، لكنـي لا أعرف المكان فأخذت سيارة أجرة ونزلت عند السفارة وهي تقع في Kurfurstendamm 63, 10707 Berlin.

دخلـت السفـارة وصعدت إلى الطابـق الذي يوجد فيـه السفير، طلبت الدخـول فاعتـذروا بأنه لا بد من موعـد سابق، أعطيتهـم بطاقتي وعرفتهم بنفسـي ومهمتي، ولكن ذلـك لم يجدِ، قلت للسكرتير: أنـا مشغول مع الوالد، وأريـد السفـير في أمر مهم فـإن كان لا يريـد مقابلتي الآن فـإني لا أستطيع الرجوع، ولكن السفير تفهم الوضع فأذن لي بالدخول.

جلسـت معـه وأعطيتـه أخبـاري ولكني فوجئت بـأن السفـير لا يعرف المستشفى الذي نحن فيه، وكأنه ليس بمستشفى مشهور عند السفارة، وحدثته عـن وضع الوالد، وبصفته طبيبًا فقد سألني عن أشياء دقيقة فأخبرته عنها، ثم ودعته ووعدني بالزيارة في المستشفى.

قابلت الأخ مفلح القحطاني وهو موظف في السفارة مسؤول عن الأوامر الطبيـة الخاصـة التي يتبرع بها بعضـ الأمراء على نفقتهـم كالأمير سلطان رحمه الله والأمـير عبدالعزيـز بن فهد، وفوجئـت أيضًا بـأن الأخ مفلح لا يعرف هـذا المستشفى، قلت له: إنه المستشفى الجامعي في برلين، قال: لا، المستشفى الجامعي هو الشاريتيه وهو أحد المستشفيات الجامعية الكبرى في أوروبا.

لقد فزعت من الخبر، فنحن قد ذهبنا لغير وجهتنا، واكتشفت من خلال حديثي مع السفير ومع الأخ مفلح ومع غيرهما، أن بين الملحقية وبين المستشفى الجامعـي مشكلة بسبب الخلاف علـى مبالغ مالية لم تدفـع للمستشفى؛ لأن الملحـق الصحي وهو الدكتـورة عفاف الشمري قد عينـت حديثًا مسؤولة عن أوروبا، وقد جاءت بشخصية صارمة؛ لأنها سمعت عن وجود أخطاء وتجاوزات

فيمـا يتعلق بالأوامر الطبية التي تأتي عـن طريق الدولة، فكانت تريد القضاء علـى هذه التجـاوزات، وقد قابلـت في السفارة ذلك اليـوم، وفي أماكن أخرى بعضـ المرضى الذين تأثروا من صرامتها، حيث ألغت سريان أوامر كثيرة، مع أن بعضـ المرضـى في حاجة ماسة إلى العلاج، وهذه أمـور إدارية تختلف فيها اجتهادات الناس، لكننا كنا أحد الضحايا لهذه القضية.

فنحـن قبل مجيئنا إنمـا اخترنـا المستشفى الجامعي لشهرتـه العالمية وشهرة أطبائه وكون التجارب الناجحة التي سمعنا بها معظمها منه.

ومـع أن المستشفـى الـذي ذهبنا لـه مستشفى كبير ولـه تسعة فروع في برلـين سعتهـا نحو خمسة آلاف سرير وفيه أكثر مـن ألف وخمس مئة طبيب، لكننا لاحظنا أن المستشفى للتأهيل والعناية الخاصة، فالفرع الذي نحن فيه، فيه رفاهية وبرستيج يخدم كبار الشخصيات فيما يتعلق بالأمراض اليسيرة، إضافة إلى قيـام الفروع الأخرى بعلاج الناس من جميع الأمراض لكنه يبقى مستشفى عامًّا ليس فيه تميز طبي، ولعل وجود الدكتور نزار معروف ونشاطه الدعائي للمستشفى هو الذي كون الشهرة التي بدأت تظهر حيث بنى علاقات مع بعض القطاعات الطبية في المملكة والخليج.

زرت في السفارة الملحـق العسكري للسلام، وكذلك الملحق الصحي ولم أجده ووجدت بعض الموظفين وتباحثت معهم في بعض أمور الوفد واحتياجاتهم ولقيـت كل تعـاون من الشباب هنـاك، ولكني كتمت حتى عـن رفقتي موضوع المستشفى حتى أتبين الأمر أكثر؛ لأني أخشى أن أتحدث الآن ويتسبب ذلك في إشـكالات رسمية نحن في غنى عنها، إضافة إلى ما وجدناه من اهتمام بحالة الوالد في مستشفى فيفانتس.

عقد بعد ظهر الإثنين ٢/٥/١٤٣٠هـ اجتماع لدراسة حالة الوالد رحمه الله بعد أن أمضى في المستشفى يومًا كاملًا وتمت له الفحوصات المبدئية وقد حضر الاجتماع البروفسور الألماني المشرف على حالته مع فريقه الطبي وحضر الطبيب المرافق لنا من المستشفى التخصصي الدكتور/ محمد غياث جميل استشاري العناية المركزة والرئة وأمراض النوم، وحضر الملحق الصحي السعودي الدكتورة/ عفاف الشمري، وحضر مرافقو الشيخ الأربعة؛ لأن أخي محمدًا وابن العم فهد لم يصلا بعد.

وقد تبين من خلال الاجتماع أن الحالة مستقرة، ولكن الالتهاب الرئوي الحاد الذي تعرض له الوالد رحمه الله مازال يحتاج إلى عناية ومتابعة، وذكر البروفسور بيرنز أن الخطة العلاجية ستركز على معالجة الالتهاب والحرص على العلاج الطبيعي للعضلات، لحاجتها إلى التمرين بعد المدة التي قضاها الوالد على السرير، وقد بين أن العلاج قد يستغرق شهرين.

وكان الطاقم الطبي للوالد في ألمانيا مكونًا من البرفسور ستيفن بيرينز والطبيبة جلين ليمكيه وهي طبيبة عناية والدكتور جوزيف ساخو، وهو متخصص في الباطنة.

وهناك طاقم تمريض متميز، حيث تعاونوا معنا في توفير أفضل من عندهم، وقد حرصنا على ثباتهم مع الوالد رحمه الله.

كان الدكتور «نزار معروف» مع الفريق الطبي، وكان هو الذي ننسق معه فيما نحتاج إليه، فيبادر جزاه الله خيرًا لتحقيقه.

أمن لنا المستشفى فريق ترجمة كان من أكثرهم ملازمة لنا إياد معروف، وكان منهم إبراهيم وسمير وبشرى.

قـرر البرفسور بيرنـز أن يجتمع معنا أسبوعيًا مـع فريقه الطبي ليبلغنا بما عملوه ويشرحوا لنا حالة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ فشكرناه على هذا الإجراء الذي لم نجـده في المستشفى التخصصي في الرياض، حيث كنا هناك نلاحق الأطباء ونستغل الزيارة الصباحية لنسأل عن الوضع، فيجيبوننا على عجل لانشغالهم بزيارة المرضى الآخرين.

وصـل الأخ محمـد وفهد ابن العـم محمد يوم الثلاثـاء ومضى الأسبوع الأول ونحـن على ترتيبنا الذي وضعناه في السكن والمستشفى وبدأ الأطباء في ترتيب العلاج للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويـوم الخميـس ١٤٣٠/٥/٥هـ عقـد الاجتماع الأول مـع الفريق الطبي برئاسـة البرفسـور بيرينز، وقـد عرضوا علينـا وصفًا لوضـع الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مستعينـين برسـوم بيانية تبـين التحاليل والفحوصـات للكبد والـدم والرئة والكلـى والتهابات الجسـم ونحوها، وقد طمأنونا بـأن الوضع تحت السيطرة وأنهم متفائلون جدًا بنجاح خطتهم التي ستستمر ثمانية أسابيع.

في الأسبـوع اللاحـق زارنـا في المستشفى معـالي السفـير السعودي في برلـين الدكتـور أسامة بن عبدالمجيـد شبكشي وقد بحث مـع الأطباء الحالة الصحيـة للوالـد رَحِمَهُ اللَّهُ وبصفتـه استشاريًـا في أمراض الباطنـة كان بحثه معهم متخصصًا مركزًا على جوانب مهمة في الحالة الصحية شملت المشكلة الرئيسـة ووظائـف الأعضـاء الأخرى، وقد طمأننـا بأن حالتـه مطمئنة وأنه يحتاج إلى وقت للعلاج لكي يتم شفاؤه إن شاء الله، وأبدى استعداده لبذل أي جهد يساعد على علاج الشيخ وراحتنا، فشكرناه وودعناه.

وقـد لاحظنا في هذا الأسبـوع بداية تحسن في قـراءات الأجهزة وفيما نـراه من وضع الوالد، حتى في وعيه واستجابته مما أفرحنا وسرنا، حتى إننا

لاحظنـا حبه أن نقرأ عنده القرآن ونرقيه، وإحساسه إذا لمسنا مواضع معينة مـن جسده، وتحريكه بعض الأطراف عند الطلب منه، وأخبرناه أنه في ألمانيا وأنه في تحسن ورأينا علامة الرضا على وجهه، وجاء أحد المرافقين مرة وكان يلبس قبعة فنظر له نظرة انتقاد وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يحب لبس القبعة وينهى دائمًا عـن لبسها فتواصينا ألا نحضر عنده إلا بالثياب، ولا تسأل عن مدى سعادتنا لما رأينا هذا التقدم في حالته، حتى أثر ذلك على حالتنا النفسية وراحتنا.

ومـع شعورنا بأنـه تحسن لكنـه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن يئن أو يتـأوه وهذا مما عجب منه الأطبـاء والمرضون حتى قالت إحدى المرضـات: كنت أسمع أنه عـالم ديـن كبير، وبعد تعاملي معه أحسست أنـه محبوب من الله، فهو يصبر ويتحمل، لم يمر علي قط حالة مثله.

وعقـد كالمعتـاد في صبـاح الخميـس ١٢/٥/١٤٣٠هـ الاجتمـاع الثاني بـين الوفد والفريق الطبي وقد بشرونا بتحسـن حالة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال عدد من المؤشـرات منها تحسن ثاني أكسيد الكربون وارتفاع إنزيمات الكبد وأخبرونـا بـأن الأجهزة كلهـا تعمل بصورة جيـدة، وأنهم اكتشفـوا التهابين حادين وقد رتبوا لها مضادات مناسبة.

وبينـوا أنه حدث معـه نزيف يسير في الأمعاء بسبـب المنظار، وهو ليس بمستغرب، ولاحظوا وجود بعض التقرحات بسبب طول مدة البقاء في السرير، وذكروا أنه يجري علاجها.

كان هـذا الاجتمـاع مؤكدًا لمـا لا حظناه من تحسـن حالة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ومفرحًـا لنـا كما ذكرت بـأن السفر كان لـه نتيجة، لكن طبعًـا لم يتح للوالد الوعـي الكامل بسبب المهدئات؛ لأنـه على جهاز التنفس وإن كانوا بدؤوا أيضًا

يجربون إقفال فتحة التنفس وتجربة الوضع بالتنفس عن طريق الكمامة، لكن البداية كانت غير مشجعة.

وفي هذا الأسبوع، يوم الأربعاء ١١/٥/١٤٣٠هـ ظهر البيان الأول للرافضي علي السراي الذي ادعى أنه قدم قضية للقضاء الألماني ضد الوالد، وسأتحدث عن هذا الموضوع في آخر الكلام عن ألمانيا، وإن كانت حدثت أحداث تتعلق بها في الأسبوعين القادمين، لكني أفضل أن يكون الحديث عنها بصورة منفردة، محافظة على الوحدة الموضوعية، وليحيط القارئ بالقضية من جميع جوانبها.

في الأسبوع الثالث لم تتقدم حالة الوالد رحمه الله بل حصل معه بعض المضاعفات ما اضطرهم إلى تغيير أنابيب جهاز التنفس وطلبوا من خارج المستشفى طبيبًا مشهورًا في هذا المجال، وهو مسلم من أصل هندي، وكان اجتماعنا مع الفريق الطبي يوم الأربعاء ١٨/٥/١٤٣٠هـ، وأخبرونا أن هذه المضاعفات لأن البكتيريا دائمًا تقاوم الأدوية وتغير من شكلها، وأنهم غيروا الأدوية تبعًا لذلك لما ظهرت نتائج زراعة التحاليل، وبينا لهم أننا لاحظنا ارتفاع الضغط والنبضات وطلبنا ثبات الممرضين لأننا لاحظنا تغييرًا فيهم، طلبنا وجود المترجم دائمًا؛ لأن الحاجة له ماسة حتى في الليل لأن الألمان لا يتحدثون الإنجليزية.

وكنت بعد ظهور قضية الرافضي علي السراي صليت في السفارة يوم الجمعة ١٣/٥/١٤٣٠هـ وأخبرت السفير بالقضية وأعطيته صورة بيان السراي وطلبت توفير الحماية الشخصية والقانونية للوالد رحمه الله، فكلفوا إحدى الشركات الأمنية فوفرت حارسين فطلبنا بالتنسيق مع المستشفى تكثيف الحراسة أكثر؛ تحسبًا لأي طارئ.

وكان المستشفى قد وضع إجراءات احترازية قبل حدوث قضية السراي، وهذه الإجـراءات يعملها دائمًا مع كبار الشخصيـات، فهم قد أدخلوه رحمه الله باسـم محمـد محمد ولا يظهـر اسمه الحقيقـي في بيانـات المستشفى ولا في أوراقـه، كما صرفوا لنا بطاقات دخـول للمستشفى وهناك حراسة المستشفى المعتادة وأبواب الدخول المشفرة.

مـر هـذا الأسبوع والأسبوع الذي بعده ووضـع الوالد رحمه الله لم يتغير بل حـدث معه أزمات عدة خلال هذه المـدة وكان يتجاوزها بعد مشقة وحدث في ليلـة من الليالي أزمة حـادة وكان العم سعد حاضرًا لهـا، كانت أزمة مفجعة وتوقع أن تكون النهاية ولكن الأجل لم يحضر بعد.

وكان الاجتمـاع مع الفريق الطبـي في نهاية هذا الأسبوع قصيرًا وعاديًا ليس فيه جديد.

وعقد اجتماع بحضور معالي السفير لبحث رجوع الوالد رحمه الله للسعودية بعد تطور قضية السراي، وسأتحدث عنه لاحقًا.

وكان آخر اجتماع طبي قبل رجوع الوالد رحمه الله للرياض في ٣/٦/١٤٣٠هـ وكنـا في معمعـة موضوع الرجوع بعد قضية السـراي، وقد اعترف لنا الأطباء أنـه بعد تحسـن حالة الوالد رحمه الله في الأسبوعين الأولين إلا أن ذلك توقف في الأسبوعـين الأخيرين بسبب زيـادة الالتهابات وتنوعها، وبينـوا لنا أن وضعه حساس وأنهم يبذلون جهـودًا في السيطرة على الحالة وأن خطتهم المحافظة على وظائف الأعضاء والابتعاد عـن مسببات المضاعفات كانخفاض الضغط والجلطـات ونزيف المعـدة وإنزال السوائـل المتجمعة في الجسـم التي تسبب انخفاض الضغط، وذكـروا أن إخراج السوائل عملية دقيقـة لئلا يتسبب في

نقص الأملاح والتسرع في ذلك يؤثر على الكلى والكبد والأعصاب ولهذا يعطى في الليل جرعات متوازنة.

وحددوا الهدف من العلاج بأن يخرج من هذه الأزمة، ولكنه سيبقى محتاجًا جهاز الأكسجين المتنقل مع تنفسه الطبيعي.

كان هذا الاجتماع وما ورد فيه من معلومات محبطًا لنا مع ما نعيشه من صراع مع السفارة لتجاوز قضية السراي التي نظرت لها السفارة نظرة أكبر مما تستحقه، ولكن إيماننا بالله يهون علينا كل مصيبة.

وكنت بعد مضي الأسبوعين الأولين بل وقبلهما أخطط لموضوع الانتقال من المستشفى، وبخاصة بعدما أحسست بأن حالته لم تعد تتحسن، وكنت أتصل على بعض من أعرفه من الإخوة في ألمانيا وأستشيرهم، وكانت الخيارات المفضلة هي مستشفى الشاريتيه الذي هو المستشفى الجامعي، ومستشفى هنوفر الجامعي، وكنت أجهز للانتقال ولو تحملنا نحن تكاليف العلاج عند رفض الملحق الصحي، ولكن تسارع الأحداث حال دون ذلك حينما بلغنا بطلب الملك حفظه الله أن نعود للمملكة، فلم يكن لنا بد من طاعة أمره، فهو ولي أمرنا ولو كان ذلك مخالفًا لما نرغبه، وهذا ما سأفصله في النقطة الآتية إن شاء الله.

تفاصيل القضية التي ادعاها الرافضي على السراي

كنا نصم آذاننا عن الهراء وتطاول السفهاء في الكلام، فقد كان سماحة الوالد رحمه الله - وقد سرنا على منهجه - لا يلتفت إلى جلبة الدهماء ولا إلى تشويش الغوغاء.

وكانـت للوالد رحمه الله مواقـف جرئية صريحة يعرفه بهـا إخوته العلماء ويعذرونـه ولـو خالفوه فيها لوجهة نظـر أو لتقدير ظـرف، ويقبلها ولاة الأمر الذين عرفوا منـه صدق النية وصفاء السريرة ومحض النصيحة، ويكبرها طـلاب العلم الذيـن عرفوا عنه الزهـد والعفة وبذل النفس في خدمة العلم وأهله وبذل الجاه والجهد في خدمة المحتاجين.

ولقد أثارت عودته من ألمانيا لغطًا لاكته الألسنة بحق وباطل، وكنت أتمنى أن يكـون تناول هـذه القضية من قبل الجهـات الرسمية؛ لأن الأمـر يعنيها أولًا وبخاصـة سفـارة المملكة العربيـة السعودية في برلين التـي أطلعناها على الأمر منذ بدايته وسلمناها كثيرًا من الوثائق والحقائق التي تدحض المزاعم التي بثها السراي في بياناته الصوتية والمكتوبة في الإنترنت أو في قناة الفيحاء الشيعية.

كنـا نأمل مـن معالي سفير خـادم الحرمـين الشريفـين أن يقول كلمة الفصـل، ويبين الحقائـق ويجلو الغموض وطلبت منه مـرات عن طريق بعض موظفـي السفارة ذلك؛ لأن الوصول إليـه حفظه الله عسير، ولكنه لم يفعل حتى الآن ولعل ذلك مراعاة لظروف لا نعلمها.

وليعـذرني معالي السفير أن أكشف هنا عـن الحقائق والخفايا التي لم تكشـف في هـذه القضية ولو كانت مـرة مزعجة لبعض النـاس، وبخاصة أنه كـثر علينا لوم المحبين وطلب مستبيني الحق الذين أزعجهم السراي ببياناته المتلاحقـة متهمًـا شيخهم بالجبن والخـور حينما رجعنا به مـن ألمانيا، وهم يعرفـون عنـه رحمه الله الشجاعة والبسالـة بل إن السراي اتهـم دولتنا الحبيبة وعلـى رأسها خادم الحرمـين الشريفين بأنها دولة الإرهـاب وأنها لم تصمد أمام المواجهة.

وسأناقش هذه القضية بكل هدوء وأدب دون أن أعير أي اهتمام للألقاب أو الألفاظ التي تلفظ بها السراي ومجموعته - هداهم الله - ويمكن مراجعة الرابط الآتي[١] لمعرفة مستوى الألفاظ التي عبر بها السراي وهي أنموذج لمستوى التعبير لدى القوم.

وسيكون عرضي لهذه القضية مكونًا من مقدمة أعرف فيها بمقدم الدعوى ومجموعته ثم أعرض لبعض التهم التي زعم أنها تدين الشيخ وأبين تلبيسه فيها بالكذب والتزوير ثم أتحدث عما سطره عن سبب رجوع الشيخ من ألمانيا، وأبين خلفيات هذا الرجوع وتفاعلاته.

تعريف بمقدم الدعوى

مقدم الدعوى يدعى علي السراي، من مواليد ١٩٧٢م، كان من ضمن من سجنهم الرئيس العراقي صدام حسين عام ١٩٩٢م بعد ثورة قام بها الرافضة في العراق، وبعد خروجه من سجن الرضوانية غادر العراق[٢] واستقر بوصفه لاجئًا في ألمانيا، وقد بدأ في نشاطه الموجه ضد المملكة العربية السعودية منذ أواسط عام ٢٠٠٧م بدعم من المجلس الأعلى الإسلامي في العراق بزعامة الحكيم، وهذا المجلس مرتبط بالمخابرات الإيرانية منذ تأسيسه عام ١٩٨٢م[٣] [٤]، ولا يخفي السراي هذا الانتماء فهو يدبج هذه الرسالة العاطفية مبينًا مرجعيته الحقيقية يقول فيها: « بيعة كانت ومازالت وستستمر بإذن

(١) http://www.tahayati.com/Opinions/10.htm

(٢) http://www.samawh.com/articles.php?article_id=346

(٣) /http://iraqibeacon.wordpress.com
http://www.yabdoo.com/board/showthread.php?t=52865

(٤) انظر أنموذج من دفاعه عنهم في هذا الرابط
http://www.samawh.com/articles.php?article_id=309



الله نجددها لك ولحفيدك قائدنا وحادي ركبنا وربان سفينتنا الإمام المفدى سماحة آية الله العظمى السيد (علي الحسيني السيستاني) حفظه الله ورعاه ليبقى لنا خيمة أبوية يستفيء كل أبناء هذا الشعب تحت ظلالها المباركة...»[١].

وهو لا يخفي ولاءه لإيران حينما اعترض على المتظاهرين ضد زيارة نجاد لألمانيا[٢] مع أنه نظم مظاهرته التي يفخر بها في كل محفل حينما زار خادم الحرمين ألمانيا[٣].

بعد تكون لجنة اعتصام سامراء ثم لجنة انتفاضة المهجر كان السراي أحد أعضائها[٤] بسبب حصوله على دعم سخي من عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى الإسلامي في العراق، ثم أصبح يسمي نفسه مسؤول انتفاضة المهجر في ألمانيا[٥] وأحيانًا في أوروبا، وهذه الانتفاضة تكونت بعد التفجير الثاني لمنارتي المرقدين في مدينة سامراء بتاريخ ١٣/ ٦ / ٢٠٠٧ م[٦] وكان هدفها المعلن: «بلورة وتفعيل فكرتها في المهجر ضد فتاوى التكفير والإجرام التي تطلق في السعودية من قبل مشايخ الوهابية لتهيئة رأي عالمي للضغط على الحكومة السعودية لتقف موقفًا واضحًا من فتاوى التكفير والتحريض والإرهاب التي تنتشر في كثير من المساجد والندوات والملتقيات والجامعات في السعودية»[٧]، وقد كان لسان هذه الحركة قناة الفيحاء الشيعية التي

---

(١) http://imarahrebuilding.jeeran.com/Alsaray10.htm.

(٢) http://imarahrebuilding.jeeran.com/Alsaray12.htm.

(٣) http://www.youtube.com/watch?v=i6Z6fkoXtM0.

(٤) http://www.samawh.com/articles.php?article_id=217.

(٥) http://www.samawh.com/articles.php?article_id=335.
http://iraqshabab.net/index.php?option=com_content&task=view&id=2245.

(٦) http://www.nasiriyeh.net/Maqalat-Jan-08/Qasimalkufi-15jan08.htm.

(٧) http://www.iq-ch.com/home/news_view_107.html.

يملكها محمد الطائي وهي التي أسهمت منذ انطلاقها في نشر الفتنة الطائفية والتحريض عليها، فكانت وكرًا للحشد الطائفي والكراهية لكل ما هو عروبي، ومحمد الطائي يلقب بـ «معذب الأسرى العراقيين في إيران»، وهو شخص يعرفه الأسرى العراقيون العائدون من إيران بأنه كان ضمن عناصر المجلس الأعلى المكلفين بتعذيب الأسرى العراقيين في إيران وكان يعمل ضمن صفوف ميليشيات «بدر»[1]. وهذه اللجنة منذ مدة طويلة تستهدف علماء المملكة وخاصة المعروفين بموقفهم الواضح من الشيعة[2]، وتحاول اللجنة أن تتكلم باسم شعب العراق، بل أحيانًا باسم العالم مع أنها شيعية المذهب طائفية المنشأ والولادة، ولكن تفعل ذلك لاسترضاء العالم واجتذاب القلوب، ومن الأدلة على تشيعها وغلوها أن موقع انتفاضة المهجر حينما كان تحت الإنشاء وضع فيه نشيد شركي يقول: إن آل البيت هم الملاذ الوحيد من العذاب الأليم[3].

وهذه اللجنة تصر على استهداف المملكة العربية السعودية لأسباب عدّة ظاهرها أن السعودية تقف ضد مصالح العراق، وحقيقتها أن السعودية تقف ضد المد الشيعي في المنطقة، وهذا ما لا يريدونه[4]، وقد أنشأت اللجنة موقعًا إلكترونيًّا باسم صوت السلام، وقد وجدت هذا الإعلان فيه أنقله للقراء لعلهم يجدون فيه تلخيصًا لكل ما يمكن أن يقال: «السلام على المؤمنين بالله وبالرسول وأهل بيته والإسلام الأصيل، موقع صوت السلام هو موقع

---

(١) http://alrased.net/show_topic.php?topic_type=7&topic_id=1239.

(٢) http://www.nasiriyeh.net/Maqalat-Jan-08/Qasimalkufi-15jan08.htm.

(٣) http://www.alforat.net/Intfadheh.htm.

وهذا رابطه المباشر

http://www.youtube.com/watch?v=vRp4DLvojTk&eurl=http%3A%2F%2Fwww%2E alforat%2Enet%2FIntfadheh%2Ehtm&feature=player_embedded.

(٤) http://www.yazahra.org/1/Almaqalat/Al-yasiri/entefadat%20almahjar.htm.

انتفاضة المهجر ضد التكفير والإرهاب الوهابي، فمن لديه الإمكانية من الإخوة والأخوات أن يتطوع للعمل في الموقع فلا يبخل علينا والعمل هو بسيط جدًّا مجرد محرر ينقل الأخبار ويضعها بالموقع ونشر البيانات وجزاتكم على الله، علمًا أن الموقع تم نذره للإمام المهدي عليه السلام فلا يملكه أحد سوى مشرفين وخدم من الإخوة والأخوات وفقهم الله جميعًا... والموقع غير خاضع لمرجعية دون أخرى فهو لجميع الشيعة وباقي المسلمين محبي السلام ونشر مبادئه الصحيحة بعيدًا عن التطرف والتكفير الوهابي». ا.هـ. بحروفه(١).

ولم أجد في الصفحة الرئيسة لموقع اللجنة أي تعريف يكشف عن هويتها(٢) وكل ما ذكرته هنا هو من مقالات بعض أعضائها.

ولا شك أن السراي ليس تلك الشخصية المشهورة ولا المحبوبة من قبل الجالية العراقية حتى الشيعة منهم في برلين، لهذا أبدى في أحد مقالاته امتعاضه من عدم رضا الجالية العراقية عنه وإقصائه عن حضور المؤتمر الخاص بالجالية في برلين(٣)، والسراي يستهدف الحكومة السعودية ويدعو دائمًا لتنظيم المظاهرات أمام سفاراتها ومقراتها، بل حتى مدارس الأطفال في ألمانيا وبعض دول أوروبا(٤)، ومع حرصه على تنظيم هذه المظاهرات إلا

---

(١) http://www.alawale.net/vb/showthread.php?t=21445.

(٢) http://www.baghdadtimes.net/Arabic/ourwriter.php?com=writers_show&id=42&page=14.

(٣) http://www.samawh.com/articles.php?article_id=384.

(٤) نماذج لدعواته للتظاهر أمام المقرات السعودية http://imarahrebuilding.jeeran.com/alsaray6.htm.

http://www.samawh.com/articles.php?article_id=169.

http://www.samawh.com/articles.php?article_id=157.

http://www.al-kawther.net/Arabic/news-files/2007/011/0005.htm.

أنهــا تكون قليلة العدد يزج فيها بالنســاء والأطفال[1] واسمع شكوى الأطفال في هــذا التسجيل مــن التعب واعـتراف المتظاهـرين بقلة الحضــور وتقاعس العراقيــين عنــه[2]، وهو أحيانًا يهاجم بعض دول الخليــج باتهاماته كقطر[3] والإمارات العربية المتحدة [4].

ويطلــق على الســراي في بعض المواقــع السنية المتهمــة برصد تحركات الشيعــة: منــدوب ميلشيا فرق المــوت الشيعية في المهجــر[5]، ولا يخفى نشاط هذه الفرق الدموي ضد السنة في العراق وغيره حيث كونتها ميليشيات جيش المهدي التابعة للقوات الصدرية، ثم بعد تولي باقر صولاغ حقيبة الداخلية في فــترة رئاسة إبراهيم الجعفري لمجلس الوزراء قام بزج عناصر المليشيات من جيش المهــدي وقوات بدر إلى كافة تشكيلات الداخليــة وأجهزتها، فأصبحت تفتك بالمسلمين السنة لمجرد الهوية[6].

الاتهامات التي زعمها السراي ودندن حولها

الظاهــر لي من خلال تتبع السراي منــذ أن أعلن عن وجود قضية ضد الوالد رحمه الله وزعم أنه عثر على أدلة عدّة تدينه وأن هناك فريقًا من المحامين والمترجمين يعكفون على ترجمة كلام الشيخ....إلخ ما قال، إن هذا كله يهدف منه السراي إلى أمور أهمها.

---

(١) http://www.youtube.com/watch?v=UJ0lfkFAFPo.
http://www.youtube.com/watch?v=VwgR3RUhytl&feature=related.
http://www.youtube.com/watch?v=UJ0lfkFAFPo&feature=related.

(٢) http://www.youtube.com/watch?v=LpKBncU6V_Q.

(٣) انظر هجومه البذيء على دولة قطر وقناة الجزيرة http://imarahrebuilding.jeeran.com/alisarai1.htm.

(٤) http://www.samawh.com/articles.php?article_id=309.

(٥) http://frqan.com/shows.php?showid=249.

(٦) http://www.alrashead.net/index.php?prevn&id=2098&typen=3.

تحريك قضية إعلامية ضد المملكة.

البروز الشخصي.

الكسب المادي.

ولقد قمت باستعراض ما كتبه من اتهامات للوالد رحمه الله وتبين لي أن القضية مجرد تهويل إعلامي يراد به التشويش على وجود الوالد رحمه الله في ألمانيا ومن أبرز ما ذكره من تهم فيما يزعم:

زعمه أن الوالد رحمه الله يبيح فيها قتل الشيعة، وقد اعتمد على فتوى للوالد رحمه الله برقم ١١٠٩٢ عن حكم ذبائح الرافضي ومعاملته، قال فيها رحمه الله: لا يحل ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته، فإن الرافضة غالبًا مشركون حيث يدعون علي بن أبي طالب دائمًا في الشدة والرخاء حتى في عرفات والطواف والسعي، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مرارًا وهذا شرك أكبر وردّة عن الإسلام يستحقون القتل عليها.

والسراي لعدم فقهه أو لسوء طويته لم يفرق بين الحكم باستحقاق القتل والدعوة إلى القتل، وكتب الفقه مليئة بأحكام المرتد في جميع المذاهب ولا شك أن من صدر منه ما ذكره الوالد رحمه الله مرتد خارج عن الدين.

ومن التهم التي زعمها تسجيل صوتي، قال: إن الشيخ يدعو فيه لقتل الشيعة والتنكيل بهم[١] ومن يسمع هذا التسجيل بإنصاف يرى أن الشيخ الوالد رحمه الله محق؛ لأنه يدعو إلى قتل قتلة أهل السنة في العراق.

---

(١) http://www.4shared.com/file/104148224/fa66bf3f/__________.html.

ومـن تهمه أنه ساق فتوى للوالـد رحمه الله فيها الأمر بهدم المراقد المقدسة للمسلمـين وغـير المسلمين [1]، وهـي الفتوى رقم ٤٩٤٠ التـي قال فيها رحمه الله: «جاء الإسلام بتحريم البنـاء على القبور، وتحريم تجصيصها، والأمر بهدم البنـاء عليها؛ لقول النبي ﷺ: «لا تدع صـورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويتـه» [2] والنهـي عن البنـاء على القبور يقتضـي تحريمها، وذلك لأنه ذريعـة إلى عبادة الأموات، كما هو الواقـع في كثير من البلاد الإسلامية التي وقـع فيهـا الغلـو في أصحاب القبـور بسبب رفع تلـك القبور، والبنـاء عليها، وتجصيصـص تلـك المباني وتلوينها، وكـثرة الكتابة عليهـا، وزخرفتها، فيعتقد الجاهـل أن أولئك الأمـوات لهم خصوصيات، ولهم فضـل وشرف، ما يحمل الجهال على الطواف بتلك القبور، والتمسح بتلك الأبنية، واعتقاد أن أصحاب هذه الأضرحة من الأولياء، والشهداء الذين لهم جاه عند الله، والذين ينفعون من تعلق بهم، ويشفعون لمن دعاهم، ويجيبونه، ويعطونه سؤله، وذلك بلا شك شـرك في العبادة، وتعظيم لهؤلاء الأمـوات، فالواجب هدم تلك الأبنية، حيث يقر أهلها بأن البناء محرم».

ومن دعاواه تسجيل صوتي منتشر للوالد رحمه الله زعم أن الوالد يثني فيه علـى زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن[3] وقد جاء بنص مبتور من كلام الشيخ الوالد رحمه الله وآخره ينقض دعواه التي استدل بالنص عليها.

وإليك النص كاملًا« السؤال يقول: كثر كلام الشباب في أسامة بن لادن فنريد منكم توضيحًا ما الموقف من أسامة بن لادن؟

---

(١) http://i42.tinypic.com/o0w8k7.jpg.

(٢) أخرجه مسلم في باب الأمر بتسوية القبر من كتاب الجنائز برقم ٢٢٨٧ و٢٢٨٨.

(٣) http://www.4shared.com/file/104159003/d06cd2a5/____________.html.

الجـواب: أسامة كان من أفراد هذه البلاد، فردًا من الأفراد، من أولاد محمد بن لادن، وكانوا أهل ثروة وأهل مال وأهل مقاولات، ثم إنه عزم على أن يغـزو للجهاد، فتوجه إلى الأفغان، قبل عشرين سنة أو أكثر، وحصل له فوائد هناك وشجعه الذين يعرفونه، يعرفون جهاده وجهوده، ومدحه الخاص والعام، ولم ينتقـدوا عليه شيئًا في القتال الأول، ثم لما حصلت وقعة فتنة الخليج، التي في سنـة ١١ وحصل أن دولتنا ودولة الكويـت استقدموا الأمريكان، أنكر ذلك عليهـم وكأنه تجرأ على أن هذا كُفر وأنكم قد كفرتم بذلك ونحو ذلك، فأُنكر عليـه هذا التكفير الذي هو تكفير الدولة ومن حولها، هذا هو الذي أنكر عليه وهـو مجتهد نحـن لا نكفر مسلمًا لا نكفره ولكن نقـول: أخطأ في هذا التكفير وأن الذيـن آووه ونصـروه يعتبرون مثله في أنهم يكفـرون المسلمين هذا القول الصواب فيه».

وأورد أيضًـا كلام أحـد المشاركـين في هجمات ١١ سبتمـبر وهو أحمد الغامـدي الـذي قال: إنهم اعتمدوا على فتاوى لمشايـخ ذكر منهم الوالد وقد بين الوالد رحمه الله في الفتوى رقم ١٣٠٩٢ أنه لا صحة لما قاله الغامدي.

وأورد قصة مكذوبة[1] عن احتفال عقد في إمارة منطقة الرياض بحضور الأمـير سلمان وعـدد من المشايخ منهـم المفتي العام والشيـخ صالح الفوزان والوالـد رحمه الله والدكتور ناصر العمر، وقد بحثـت عن مصدر لهذا الخبر فلم أجده إلا في مواقع الرافضة، وقد سألت الشيخ ناصر العمر، فكذبه.

والخلاصة أن دعاواه كلها واهية ليس لها نصيب من الصحة، وبخاصة أن الوالـد رحمه الله له كثـير من الفتاوى تحـذر من الإرهـاب وتحرمه وتجرمه

(١) http://i40.tinypic.com/2hgtrtl.jpg .

ومنها الفتاوى من رقم ١٣٥٦٤ حتى رقم ١٣٥٧٠ والفتوى رقم ١٣٠٨٢ والفتوى رقم ١٢١٥٥ والفتوى رقم ١٤٦١٥ وغيرها.

سبب رجوع الوالد رحمه الله من ألمانيا، وخلفيات هذا الرجوع وتفاعلاته.

الـذي أشاعه السراي أن سبب رجوع الوالد رحمه الله من ألمانيا هو الهرب مـن مواجهتـه في القضية التي رفعها ضده، وعد هـذا انتصارًا ووعد بمتابعة القضية التي لم نَرَ لها بعد رجوع الوالد رحمه الله أثرًا، بل ولا حتى قبل رجوعه.

وفي الحقيقة لقد كان لرجوع الوالد خلفيات أحب أن يطلع القارئ عليها لأنها جزء من سيرة الوالد وتاريخه الذي ينبغي أن يكتب للأجيال.

ذكرت أن السراي أعلن دعواه في ١١/٥/١٤٣٠هـ الموافق ٦/٥/٢٠٠٩م وأني بلغت السفير بعد صلاة الجمعة من يوم ١٣/٥ وأعطيته صورة من بيان السـراي الأول، وطلبت منـه حماية الوالد شخصيًـا وقانونيًا، فرتب الحماية الشخصية عن طريق إحدى الشركات الأمنية.

وقـد استمر السـراي في مهاتراته الإعلامية، فأصـدر بيانًا آخر بتاريخ ٩ مايـو ٢٠٠٩ عتـب فيه على من يلومه علـى تقديم الدعوى، ثـم أصدر بيانًا ثالثًـا بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠٠٩ دعا فيه أهل السنة من أصحاب المذاهب المختلفة للتضامن معه، وخرج في قناة الفيحاء الشيعية مرتين مرددًا هذه الدعاوى.

اتصلت بالأمير سلمان واستشرته فطمأنني بأن لا خوف علينا وأن هؤلاء لا يستطيعون عمل شيء، وطلبت من معالي الشيخ ناصر الشثري المستشار في الديوان الملكي أن يسعى في إصدار جواز دبلوماسي من باب الاحتياط، فسعى في ذلك وأرسل الجواز عن طريق السفارة.

وزارنا السفير يوم الأربعاء ١٨/٥/١٤٣٠هـ وجلس معنا واقترح علينا أن نرجع بالشيخ من باب المحافظة عليه، فسألناه هل هذا الاقتراح منك؟ فقال: نعم، فاقترحنا أن يسأل الأطباء عن رأيهم في رجوع الشيخ حاليًا، واجتمعنا بالأطباء يوم الخميس وعرض عليهم الموضوع وسألهم عن إمكانية رجوع الشيخ للسعودية فرأوا أنه ليس من المصلحة رجوعه للسعودية حاليًا، ثم سألهم عن إمكانية الذهاب معه للرياض؟ فذكروا صعوبة ذلك؛ لوجود التزامات ومرضى غيره.

بعد هذا جلس السفير معنا وأخبرنا أنه استشار محامي السفارة وأشار بسرعة رجوع الشيخ للسعودية قبل أن يقرر القضاء الألماني منعه من السفر، وقد طلبنا منه أن نقابل المحامي، فوعد بترتيب لقاء قريب معه.

ويوم السبت ٢١/٥/١٤٣٠هـ عقد اجتماع في السفارة السعودية بحضور المحامي وقد تكلم المحامي عن القضية وأنه سمعها من الإعلام ولم يتبين بعد شيء رسمي؛ لأن القضاء الألماني يعتمد السرية.

وقد شرحنا له ظروف الشيخ الصحية وكونه مكث مدة في المملكة ولم يتحسن وأنه قد ظهرت بوادر التحسن عليه هنا وبينا له أن المجازفة بسفره قد تضر بحياته والدعوى قضية ظنية لم تتحقق بعد وأن اعتماد هؤلاء على كلمات مزورة مبتورة أو قديمة تتحدث عن فترة سابقة، وبعدما شرحنا للمحامي قَدَّرَ الموضوع ووافق على أن بقاءه أولى من رجوعه.

واجتمع معنا السفير آخر الأسبوع لإقناعنا بالسفر وأنه الخيار الأفضل بسبب تعذر نقل التأشيرة للجواز الدبلوماسي لاعتذار الخارجية، ولأن البوليس الجنائي لم يستطع عمل شيء ووزير الداخلية صرح بأنه لا يستطيع عمل شيء وأنه بالتواصل مع المستشفى اتضح أن الوضع الصحي لم يتغير وأن الرئة

فيهـا تليف وانتفـاخ في الحويصلات الهوائية وخمـول في العضلات التنفسية ويوجد جرثومتان لم تستطع المضادات القضاء عليهما وقد قرر المستشفى أنه لا يستطيـع عمل شيء جديـد وأن الأفضل أن يسافـر لمصلحته، وقال لنا: إن الملك أمر بنقل الشيخ للرياض عن طريق مكالمة وزير الخارجية له، واتصل به وزير الصحة لتأمين النقل للرياض وتأمين سرير له.

كنـا قد سئمنا من كثرة إلحاح السفير علينـا بالرجوع، وتيقنا بأن هذه رغبتـه خوفًا من أمر محتمل بل ضعيـف الاحتمال فقلنا له: على فرض صحة القضية أيهما أهم الحرية أو الصحة والعافية؟، فقال: الصحة أهم، قلنا له: إذن مـا لم يأتِنا أمر صريح بالرجوع من الملك الذي أرسلنا فلن نرجع، ونحن نقـدر حرص المسؤولـين وعلى رأسهم خادم الحرمـين الشريفين على سلامة الشيخ، ولكن نظرا لوضع الشيخ الصحي فلا نجرؤ على اتخاذ قرار الرجوع؛ لمـا فيه مـن مخاطرة بحياته، ولكننا لـن نعارض قرار الرجـوع إذا صدر من الجهات العليا من باب السمع والطاعة، ونأمل ممن يتخذ مثل هذا القرار أن يضـع في حسابـه جميع ما يترتب على ذلك من آثـار تتعلق بالخطر على حياة الشيخ، وبينا له أننا نجزم بأن القضية مجرد فقاعات إعلامية ليس لها وجود قانـوني، بدليل أن السفـارة ومرافقي الشيخ لم يصلهم أي شيء من الحكومة الألمانية حول الموضوع، وقلنا له: إن التراخي أمام هذه الدعاوى الكيدية يجعل أهلها يتجرؤون على بلادنا حماها الله وقادتها وعلمائها.

وقـد لاحظنا تغيرًا في موقف المستشفى، فبعد أن كانوا قالوا للسفير: إن سفـره ليس من مصلحته صـاروا يقولون لنا: إن الحالـة حرجة والمضاعفات محتملـة ويجـب استمرار العلاج ولكـن يمكن إكماله في الرياضـ ولو تم نقله فسيرافقـه فريق طبـي هو طبيبتـه المشرفة ونـزار معروف وممرضـ، ولعل

السفير أثر عليهم وبخاصة أن المستشفى في طور بناء علاقات ومصالح مع بعض القطاعات الصحية في السعودية.

ولكن زاد من طمأنينتنا الخبر[1] الذي نشر عن لقاء سمو الأمير نايف رحمه الله مع وزير الداخلية الألماني يوم الأربعاء ٢/٦/١٤٣٠هـ وبين الأمير نايف أنه حصل على ضمانات من الألمان بألا يمس الشيخ عبدالله بن جبرين الداعية السعودي المعروف، بأي أذى خلال زيارته العلاجية الحالية لألمانيا التي يرقد في أحد مستشفياتها لتلقي العلاج.

لكن السفير هداه الله لم يقتنع بكلامنا ولا بكلام الأطباء ولا بكلام المحامي وظل يبعث البرقية تلو البرقية حول وضع الوالد وأن القضية خطيرة ويخشى من تفاعلاتها، وقد بلغني بذلك بعض الإخوة من الديوان الملكي ومن السفارة السعودية في برلين، وذكروا أنه بعث ثلاث برقيات في زمن متقارب، كلها تحمل هذا المعنى، وذلك بهدف استصدار أمر من الملك لرجوعنا، وقد استطاع ذلك حيث اتصل بي معالي الأستاذ خالد العيسى نائب رئيس الديوان الملكي صباح يوم ٥/٦/١٤٣٠هـ ويلغني برغبة الملك في عودة الوالد للمملكة حفاظًا على سلامته وذلك بعد اطلاعه على بعض التقارير المرفوعة له حفظه الله عن الوضع الصحي والأمني للوالد شفاه الله، وأن الطائرة ستكون عندنا في الساعة الخامسة عصرًا، فقلت لمعاليه: إذا كان الأمر من الملك فعلينا السمع والطاعة والأمر لله من قبل ومن بعد، واتصلت بالأمير سلمان لعله يقنع الملك بوجهة نظرنا فوعدني خيرًا، ثم اتصل بي لاحقًا، وقال لي: من الأفضل أن ترجعوا، ففهمت مقصوده وسلمنا أمرنا لله.

---

(١) الخميس ٠٣ جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ ٢٨ مايو ٢٠٠٩ العدد ١١١٣٩.

ومـن عجائـب الأقـدار أن زوجتي كانـت ستأتيني في ألمانيـا، وكانت في المطـار والمفترض أن الطائرة قد أقلعـت، فاتصلت بي بعد اتصـال الأستاذ خالد العيسى وقالت: إنها لم تتمكن من السفر هذا اليوم وستأتي غدًا، وذلك لأن تأشيرتها تبدأ من غد، فقلت: الحمد لله، لا تأتي إلينا سنأتيكم نحن هذا اليوم.

وزعنا الأعمال بيننا لكي ننجزها قبل مجيء الطائرة وكانت كثيرة جدًّا، ولكـن الله أعاننا عليهـا، فلم تغب الشمس إلا ونحن جاهزون للسفر، وجاءت الطائـرة متأخـرة قليلًا، فجهزوا الوالـد رحمه الله وحملوه في سيـارة الإسعاف وتوجهنا للمطار.

كان الجو باردًا وقد وجدنا مندوبين من السفارة أمامنا، ولم يكن السفير معهم، فدخلنا المطار ولما وصلنا للطائرة بدؤوا بإركاب الوالد رحمه الله ولما انتهى سألناهـم عن جوازه الدبلوماسـي؟ قالوا: في السفارة قلنا: لن نطير من دونه، فابتعـد أحدهم واتصل بالسفير فيما يظهـر، ثم جاء وأعطانا الجواز فعجبت من جرأته على الكذب ومن تعنت السفير في عدم إعطائنا جواز الوالد رحمه الله.

ركبنـا طائـرة الإخلاء الطبـي، ففاجأنـا الطيار بطلب غريـب وهو أن ينـزل منا ثلاثة؛ لأن الطائـرة لا تتحمل، قلت له: لقد جئنـا بالطائرة نفسها وبالعـدد نفسه؛ لأن العم سعود رجع قبلنا بثلاثة أيام وليس معنا إلا ثلاثة من المستشفـى، فحاولت معه فرفض وأصر على نـزول ثلاثة منا، فاتصلت بسمو الأمـير سلمـان وكان في المغرب وكنـت إذا طلبته في أي ساعـة يرد علي جزاه الله خـيرًا، فلما شرحت له الأمر طلب مني الانتظار قليلًا، ثم اتصل بي ثانية وطلـب الحديث مع قائد الطائـرة فأعطيته الهاتف فتحـدث معه، فاستجاب

وتحــرك، ولم أدرِ مــاذا دار بينهما ولم أسأل، فلما كلمنــي سموه بعد رجوعنا قــال لي: أتــدري ماذا قلت له؟ قلــت: لا.. قال قلت له: الجماعــة لا ينزل أحد منهم، وإذا ترى ضرورة نزول أحد فلينزل أحد ممن معك، فشكرته على هذا الاهتمــام، ولا ريب أنه قد اتصل وسأل عــن الطائرة وعرف أن قائد الطائرة أخطأ في اجتهاده ولهذا شدد عليه في الطلب.

أقلعت الطائرة ونحن قد عجبنا من تصرفات السفير هداه الله وإصراره علــى مغادرتنا البلاد، لكننا نوقن بأن خــيرة الله لنا خير مما نحب ولهذا لم تضق صدورنا بشيء قدره الله علينا.

وقبــل أن أنتقل للحديث عن وصولنا للرياض دعنــي أذكر لك الأسباب التي جعلتنا نجزم بأن القضية مجرد تهويل إعلامي لا أكثر.

علي السراي شيعي عراقي وكل من نشر عن القضية هو من الرافضة.

فالذي أثــار القضية في البرلمان الألماني، وهو أوميد نوريبور (نائب من حــزب الخضــر) رافضي أصله من إيران وأصل اسمــه أحمد نوري بور وتأمل الأسئلــة والتعليقــات التي طرحها على بيتر التمايــر سكرتير الدولة البرلماني المفوض عند وزير الداخلية الألماني الاتحادي[1]:

١- كيــف يسمــح بالإقامــة لواعــظ الكراهيــة الوهابــي ع.إ.ج في ألمانيــا مــع تصريحاته الدينية المحرضة على الفتنة.

٢- نشهد في أثناء إقامة الفعاليات الكبرى كبطولة كأس العالم أو كأس أوروبا لكــرة القدم أنــه في الحالات العاجلــة لا توجد هناك مشكلــة أمام عدم إعطــاء فيزة الشنكن (لأسباب أمنية) وإن الحكومة الألمانية أمام خلفية

(١) http://www.gilgamish.org/viewarticle.php?id=19190&pg=articles&art=mp.

معرفتها بحقيقة كون السيد ابن جبرين مستعدًا لتبرير أعمال أسامة بن لادن لم تفكر (أي الحكومة الألمانية) بأن تستخدم هذا الحق في شأنه، فمنذ إقرار قانون الهجرة الألماني ونحن نعلم أن أقل تصريحات أو خطب متطرفة لناشط في أحد مساجد برلين كرويتسبيرغ يمكن أن تؤدي به إلى الطرد الفوري.

٣- لقد فهمتكم هكذا. عندما يلقي شخص ما خطبًا متطرفة في باكستان فإن بإمكانه القدوم إلى ألمانيا بهدوء، طالما أنه لا يلقي مثل هذه الخطب طيلة الوقت الذي يكون فيه موجودًا هنا ولا توجد إذًا مشكلة بشأن معاملته كضيف في الدولة أليس كذلك؟

٤- هل جرى ضمنيًّا بحث موضوع أتباع هذا الرجل (أي ابن جبرين) في ألمانيا بكونهم تحت المراقبة القوية من قبل حماية الدستور (المخابرات الألمانية)، وذلك في أثناء المحادثات مع الجانب السعودية.

فهذا أنموذج لأحد الذين كانوا يحركون القضية.

نشرت عن القضية بعض الصحف والمجلات الغربية ومنها مجلة الدير شبيغل الألمانية[1] والذي كان وراء المقال كاتب اسمه ياسين مشربش وهو ألماني من أصل عربي ويحمل حقدًا على السعودية يظهر من بعض مقالاته[2] ويكفي قراءتك لعنوان مقاله لتعرف من هو فإنه قد عنون بـ: (حماية الشرطة الألمانية للخطيب السعودي الحاقد) ومما جاء في مقاله: «إن الشيخ عبدالله ابن جبرين يتمتع بسمعة واسعة في المملكة العربية السعودية ولا يمكن لأحد الوصول إلى تلك المكانة غيره، وله هيبة وصيت، حيث كان أجداده من

---

(١) http://www.spiegel.de/politik/deutschland/0,1518,628408,00.html.

(٢) انظر مثلاً: http://www.dw-world.de/popups/popup_lupe/0,,15291488_ind_3,00.html.



الحاشية المقربة للملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية، ويعد من أفقه العلماء السعوديين على الإطلاق، وإن سلطته عظيمة الشأن وله أتبـاع كثيرون، حيث يعد الفقيـه الوجيه ابن جبرين شخصًا غير مرغوب فيه بـين أوساط المثقفين وأصحاب الكفـاءات المختلفة، وهذا نابع من الموقع الذي يشغله ابن جبرين، حيث يُعـد الخصم العنيد للشيعة، رغم أن المملكة تحتوي نسبة لا بأس بها من أتباع مذهب أهل البيت والذين يقدر عددهم بنحو عشرة بالمئة من عدد سكان المملكة.

إن كره ابن جبرين للأقليات المذهبية للمسلمين يصل إلى درجة إصدار الفتاوى بقتلهم».

ونشـر في النيويورك تايمز[1] مقال بقلم: سعـاد مكنت صدرته بقولها: «رجل دين سعودي بارز كان قد أشاد بأسامة بن لادن ودعا في خطبه ومواعظه الدينيـة إلى العنـف ضد الشيعـة والمسيحيين واليهود، جاء خلسـة الى ألمانيا لتلقـي العلاج الطبي» ويكفيك هـذا للدلالة على توجه صاحب المقالة أو غفلته باعتماده على معلومات غيره دون تمحيص.

ونحـن نجزم بأن القضية القصـد منها التهويل وهي جعجعة بلا طحن كعـادة السراي في مظاهراته ومطالباته، فقد ذكروا أنهم تقدموا قبل عامين من وفاة الوالد بقضية لمحكمة العدل الدولية ولم نرَ شيئًا على الواقع وها نحن نقـترب من نهاية السنـة الثالثة بعد هذه القضية التي شغبـوا بها على الوالد رحمه الله ووعـدوا بالمواصلة فيهـا وأنها ستشمل أربعين مـن علماء المملكة ولكن

---

(١) http://www.nytimes.com/2009 /06 /18/world/europe/18germany.html?scp=1&sq=Saudi%20Cleric%20With%20Militant%20Views%20Paid%20Medical%20Visit%20to%20Germany%20&st=cse.

ذلـك ذهب أدراج الرياح، لكن سفيرنا هداه الله لم يأخذ برأينا فنحن نعرف القوم وأساليبهم الوصولية.

وإني لأشكـر الله ثـم أشكر كثـيرًا من الإخوة في السفـارة السعودية في برلين وملحقياتها الذي تعاطفوا معنا وكانوا يرون خطأ اجتهاد السفير وعدم شجاعته في مواجهة الحدث، وعدم تقديره لمكانة الشيخ وشيبته ومرضه.

ومع هذا كله فنحن كما قلت: نعتقد أن ما حدث هو اختيار الله ومشيئته في أن يعـود الوالـد رَحِمَهُ اللهُ ليودعه أهله ومحبوه قبل أن يـودع هذه الدنيا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومـن الغريـب أن الملحق الصحـي الدكتورة عفاف الشمـري غابت عن هـذه القضية، فلا أدري هل لانشغالهـا وسفرها أو خوفًا من الحرج معنا ومع السفارة، وفعلها إن كان مقصودًا تصرف حكيم يحمد لها، فمثل هذه المواقف المحرجة السلامة منها مطلب للعاقل.

العودة للمستشفى التخصصي في الرياض

بعـد أمـر الملك بالرجوع لم يكـن لنا بد من ذلك، ومن بـاب العدل لقد كان تعامـل المستشفى والملحقيـة الصحية وكل موظفي السفـارة جيدًا وحتى السفير لم يقصر معنا بشيء، لكنه ضايقنا بإصراره على رجوعنا والعمل من تحـت الكواليس لأجل ذلـك، وإذا كان اطلع على ما يوجب ذلك فنحن نعذره، ولكن كنا نريد أن نطلع على ما اطلع عليه لأن الأمر يعنينا، ونحن نحب بلادنا ولا نرضـى لها بالحرج، وسنقـدر الأمر قدره، لكن بعضـ السياسيين وبعض المسؤولين يظن أن كتم الأمور حتى على من يعنيهم الأمر أفضل وهذا اجتهاد



خاطئ يسبب عنتًا للناس ويجعلهم يحملون في نفوسهم على صاحب هذا التصرف، ولهذا فكل الوفد بل كل من كشفنا له الأمر من الأقارب والأصدقاء أخذ في نفسه على السفير هداه الله.

لقد رافقنا عند رجوعنا الطبيبة المشرفة والدكتور نزار معروف والمرضة إدث وكانوا معنا في المطار واستغربوا من تصرف السفارة فيما يتعلق بالجواز الدبلوماسي، ولما أقلعت الطائرة استقر كل منا في مكانه، وكان الطيار الذي جاء بنا إلى برلين لطيفًا جدًّا يأتينا ويحدثنا وندخل معه في المقصورة ويواسينا هو ومساعده، أما الطيار الذي رجع بنا - مع أننا كنا في حاجة إلى مواساة أكثر ولكن الموقف الذي حصل أثر عليه - فكان تعامله معنا عامًّا.

وصلت الطائرة لمطار الرياض في صباح السبت قرابة الساعة السابعة وكنا بلغنا بعض الأقارب والأحباب فوجدنا عددًا منهم في انتظارنا في المطار ولما وقفت الطائرة أنزلوا الوالد رحمه الله ووضعوه في سيارة الإسعاف وأردت أن أركب معه فاعتذروا بضيق المكان فبرمت من تصرفهم ولم أرد الإصرار فنحن لسنا في وضع يسمح لنا بالجدال، وكان الشيخ يوسف العطير وفقه الله حاضرًا وهو من تلاميذ الوالد وأخصائه فأخذ بيدي وأركبني في سيارة الإسعاف وقال: أنت أولى من يركب، فلم أنسَ هذه الوقفة منه جزاه الله خيرًا.

وصلنا المستشفى وتم استلام الحالة وقد جلسنا مع الأستاذ عبدالرحمن الشريم مدير التشريفات وفقه الله وطلبنا منه بعض الأمور.

طلبنا منه أن يتولى حالة الوالد رحمه الله ثلاثة من الأطباء، لاحظنا في أثناء وجودنا في المستشفى قبل السفر لألمانيا أنهم أفضل من غيرهم من حيث الاهتمام ومراعاة المشاعر مع خبراتهم الطبية، وهم الدكتور وفيق محمود

والدكتور حسين العوضي وهما من دول الخليج والدكتور مازن خير الله وطلبنا ممرضين معينين من الشباب الذين كانوا تعاملوا معنا قبل السفر وطلبنا كذلك عدم تغيير العلاج الألماني والتنسيق مع ألمانيا في كل ما يتعلق بالعلاج، وكنا في ألمانيا رأينا أن المعالج الطبيعي للوالد واسمه توماس متميز في طريقته فطلبنا استقدامه ليتولى العناية بالوالد، كما طلبنا بطاقات دخول للأبواب المشفرة وللمواقف.

وقد رحب الأستاذ عبدالرحمن بطلباتنا وسعى في تنفيذها قدر جهده جزاه الله خيرًا.

ومر الأسبوع الأول ونحن في دهشة الوصول بين ترتيب الأمور والأطباء في إجراءات الفحص وتقويم الحالة وقد طلبنا منهم اجتماعًا أسبوعيًا يضم الأطباء المعنيين بحالة الوالد على غرار ما وجدناه في ألمانيا فرتب الأستاذ عبدالرحمن الشريم يوم الأحد ١٤/٦/١٤٣٠هـ اجتماعًا ضم الأطباء المشرفين على علاج الشيخ برئاسة الدكتور/ وفيق محمود استشاري العناية المركزة، وقد حضر اللقاء كل من:

الدكتور لطفي الكربي استشاري أمراض وزراعة الكلى.

الدكتور مازن خير الله استشاري العناية المركزة.

الدكتور فهد السحيباني استشاري أمراض الجهاز الهضمي.

الدكتور نبيل أبو شالة استشاري العناية المركزة.

الدكتور فهد الربيعة استشاري الأمراض المعدية.

وحضرت الاجتماع معهم أنا وإخوتي وبعض أعمامي.

وقد رأى الأطباء الاستمرار على المضادات حتى تكمل مدتها وهي أسبوعان على الأقل، ولكون بعض المضادات قوية أثرت على عمل الكلى، فقام الإطباء بإيقاف المضادات الحيوية التي يتوقع أنها أثرت على الكلى كما قاموا بترتيب غسيل كلوي مؤقت لإخراج السوائل من الجسم بصورة سريعة وطمأنونا بأن هذا الإجراء مؤقت بإذن الله وأن ضعف وظائف الكلى يحدث كثيرًا بسبب بعض الأدوية ثم تعود بإذن الله بعد مدة لعملها الطبيعي.

كان هذا الاجتماع مريحًا لنا ولو على الأقل من الناحية النفسية، وإلا فنحن نلاحظ أن صحة الوالد تتدنى ببدء الاضطراب في بعض أجهزة الجسم.

ومر أسبوعان، ونحن نعاني هذه التقلبات في صحة الوالد وكثفنا عليه الرقية وقراءة القرآن عنده؛ لأننا أحسسنا أنه يرتاح لذلك ويتأثر حتى إن أحد الإخوة جزاه الله خيرًا قرأ القرآن كاملًا عنده في يوم واحد بصوت خاشع مؤثر.

وكانت أخواتي وبناتنا أنا وإخوتي وأخواتي وأعمامي يتناوبن للقراءة عليه مرتين يوميًا، إضافة إلى بعض المشايخ والقراء المعروفين.

ومما أزعجنا في هذا الأسبوع أننا سمعنا شائعة أن أحد أطباء العناية وضع عند الوالد إشارة النو كود no code وتعني حجب جهود الإنعاش القلبي الرئوي للمريض.

وكان الذي بلغنا الأمير خالد بن طلال، وبادرنا بالاتصال بالدكتور المغني وهو طبيب مشهور متميز، فأنكر ذلك، وبين أنه لا علاقة له بحالة

الوالد أصلاً، وأكدنا على الطبيب المشرف على العناية على الانتباه لهذا الأمر وأننـا نريد بذل جميع الجهـود الممكنة، فوعدونا بذلك ولقد وفوا بهذا الوعد، وبَلغـتُ تضايقنا مما سمعنـا للدكتور قاسم القصبـي، فتقصى عن الموضوع وتبـين أن المسألـة مجرد حديث عارض بـين بعض الأطباء، علـم عنه الأمير خالد ولكن لم يتخذ إجراء مكتوب، ووعدنا بعدم حصول شيء من ذلك.

وفي هذا الأسبوع الثالث من عودتنا سمحنا بالزيارة بصفة خاصة فزاره المفتـي العام سماحة الشيخ عبدالعزيز ولم أكـن حاضرًا حينها لأني لم أعلم بها من قبل، وزاره بعض المشايخ وبعض تلاميذه الخاصين وبعض الأقارب.

وزاره صاحـب السمـو الملكي الأمـير عبدالعزيز بن فهد بـن عبدالعزيز وكانـت زيـارة سموه مفرحة للوالد رحمه الله، فقد كنـت حاضرًا وقتها، فقلت له: هـذا الأمـير عبدالعزيز بـن فهد جاء للسـلام عليك، فرفع جسمـه بقوة يريد الجلوس ولكنه لم يستطع ثـم أدام النظر للأمير ودمعت عيناه، وقد لاحظ من كان في معية الأمير وهم مدير المستشفى ومدير التشريفات تفاعل الوالد رحمه الله وفرحه بهذه الزيارة واستغربوا ذلك لأنهم كانوا يتصورون أنه لا يحس بشيء.

وكان الأطباء وقفوا عنه المضادات الحيوية مدة عشرة أيام بعد اضطراب بعض أجهزة الجسم، ثم أعادوها بعد ظهور علامات تدل على نشاط الالتهابات، واستمر الغسيل الكلوي بمعدل أربعة أيام في الأسبوع، وخصص المستشفى مدربًا للعلاج الطبيعي مرتين يوميًا نظرًا لتأخر المدرب الألماني توماس.

وعقـد اجتماع يوم الإثنين الموافق ٢٩ /٦/ ١٤٣٠هـ للفريق الطبي الذي يشـرف على علاج الوالـد رحمه الله برئاسة الدكتور/ وفيق محمـود استشاري العناية المركزة، وقد حضر اللقاء:

الدكتور لطفي الكربي استشاري أمراض وزراعة الكلى.

الدكتور فهد السحيباني استشاري أمراض الجهاز الهضمي.

الدكتور صلاح الباز استشاري طب المخ والأعصاب.

الدكتور محمد الزيتوني استشاري الأمراض الصدرية.

وحضرت معهم أنا وأخي سليمان.

وبين الأطباء أن وضع الوالد حرج جدًّا وقرروا إعادة العزل ومنع الزيارة بعد تجدد بعض الالتهابات وزيادتها.

ومضى بعد ذلك عشرون يومًا ونحن لم نلحظ تقدمًا، بل كانت الحالة تزداد سوءًا حيث أداء الكلى ضعف جدًّا وأصبح الغسيل لا يجدي أحيانًا واضطربت وظائف الكبد وزادت مشكلة الرئة وكانت مؤشرات الأجهزة التي تدل على الأكسجين والضغط ونبضات القلب في اضطراب دائم فأعيننا شاخصة إليها ولكننا لم نفقد الأمل فقلوبنا معلقة بالله.

وطلبنا من المستشفى تقريرًا لاستشارة بعض المستشفيات، فأعطونا تقريرًا عن الحالة إلى تاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ.

مرت هذه العشرون يومًا أو قريبًا منها ونحن في هذه الحالة من الضغط النفسي والاضطراب ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي ليلة الاثنين ٢٠/٧/١٤٣٠هـ كان ابني محمد عند الوالد، فمر بأزمة حادة نحو الساعة الثانية ليلاً، فاتصل بي ابني وأخبرني فاتصلت بإخوتي وتوجهنا للمستشفى وكنا توقعنا أنها النهاية ولما وصلنا إليه وإذا بالأمر قد استقر نوعًا ما، لكنه مازال متعبًا وحالته حرجة فبقينا عنده؛ لأن الأمر كان مقلقًا جدًّا، واتصلنا في الضحى بأعمامي وأخواتي ليأتوا فجاء الجميع وكل

مــن دخــل عليه رَحِمَهُ اللَّهُ رأى مــا يعانيه وكانــت سكرات المــوت ولكننا لم نقطع الرجاء بالله، وذهبت لصلاة الظهر في المسجد وكان الأمل يملأ قلبي مع أني أحس بأن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في ساعاته الأخيرة ولا أدري بِمَ أفسر هذه المشاعر؟

وفي الساعة الثانية ظهرًا أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ روحه لباريها، وسأفصل الحديث عن ذلك في النقطة اللاحقة إن شاء الله.

لكــن قبل أن أترك هذه النقطة دعنــي أذكر لك جانبًا آخر من المشاعر التــي كانت تعيشهــا أخواتي، بنات الشيخ وزوجتــه رَحِمَهُ اللَّهُ، فإننا نحن الرجال كنــا في الواجهــة مع الأطباء والمسؤولين وقد ذكرت كثــيرًا ما عانيناه ومر بنا، فجميــل أن يعيش القارئ الكــريم مشاعر العائلة التي تحمل قلوبًا أرق ومحبة وتعلقًا بالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ.

كتبــت أختي هيــا حفظها الله بعضًا من هذه المشاعــر أسوقها كما هي؛ لأنها تعبر أصدق تعبير عما كنّ يعشنه من هم وألم.

تقــول في مذكراتهــا: «مــن الغد جاءنا خــبر تعبه الشديــد ووضع جهاز التنفــس، عندهــا كان ينهانا إخوتي عن زيارته خوفًا عليــه وكانوا يقولون: إن أردتنّ مصلحته فلا تأتين. وعلمنا أنه تعب قليلًا، لكثرة الزوار: فأرسلت لأخي عبدالرحمن رسالة بالجوال أعاتبه وأقول: تمنعنا وتفتح المجال لغيرنا، ها قد تعب الوالد من كثرة الناس.

فأرسل لي أبياتًا يقول فيها:

لاتكثري هــذا العتاب ... كفى ففي قلبي الجواب

أنا لــم أزل أحــنو لــه ... لا أدعــي كل الصــواب

وساقت الأبيات، وسأوردها مع القصائد في الملحقات إن شاء الله.

ثم قالت: بعد أسبوعين من العملية اضطروا لوضع جهاز تنفس صناعي عليه فكان عبارة عن أنابيب كبيرة تدخل في فمه حتى تصل قرب الرئة وكانت مؤذيـة متعبـة وكان يشـير عليها وكأنه يقـول: أخرجوها مـن حلقي، حيث لا يستطيع معها قيامًا ولا حركة وكأنه يقول: لا أحتاج إليها، أنا بخير.

جاءته بعد ذلك أيـام تعب خلالها كثيرًا وكانوا ينزعون الأنابيب بشدة ولا يئن ولا يتألم وإن غرزوا في يديه مئات الإبر، فاستنكر المرضون شدة صبره وتجلده، فقال أحدهم: «إن كنت أريد الإسلام، فسأسلم لأجل هذا الشيخ، إنه مختلف عن المرضـى الذين يتألمون ويئنون وينظرون لنـا نظرة استرحام، أما هذا المريض فلا يهتم بنا ولا يستعطفنا وكأنه متعلق بمن هو أقوى منا، ولم أكن أعلم أنه شخصية إسلامية كبيرة حتى زاره الملك، فهو ليس له حراس ولا خدم إلا أبناؤه ومحبوه الذين يعملون بلا مقابل ويستمرون عنده ليل نهار».

طال المكث في المستشفى وتغلغلت الأسقام في جسده الطاهر، ولما تأزمت حالته منعنا إخوتي من زيارته مدة شهرين؛ أملًا في تحسنه ولما استمر المرض سمحـوا لنا بزيارته وأذكر أني لما رأيته بعد تدهور حالته فجعت وبكيت يومين كاملـين فلم أتوقـع أن حالته بهذا السـوء، فرأسه مرفوع وعينـاه شاخصتان للسقـف ولحيته مضفرة ومربوطة ولما كلمـه أخي وقال: هؤلاء بناتك، أغمض عينيـه موافقًا، ثم لما كلمته ودعوت له ذرفـت عيناه، فمسحهما أخي بمنديل، وخرجـت مسرعة من الغرفة وأنـا لا أكاد أرى طريقي، وجعلت أبكي بعد هذه الزيارة يومين أو ثلاثة ولم أعد أرغب في زيارته.

ثـم بعدها بيومين سافـروا به نحو أوروبا مدة خمسـة وثلاثين يومًا، ثم رجع كما ذهب.

وفتــح لنا باب الزيارة له فصرنــا نأتي لنرقيه ونتأمل حالته المؤلمة، وإذا اجتمعنا بإخوتي، طمأنونـا وقالوا: هو في تحسن ولكن بسيط وحالته مستقرة وليســت خطرة فنسعد بكلامهم، وإذا رأيناه رأينا حالًا لا يسر.. جسد ما بقي فيــه عضو إلا ويشتكي من بلية، جلد به رضوض وكدمات وما بقي فيه شبر إلا به أثر أنبوب أو إبرة وقد فتحوا في جسده فتحات عدة واحدة في حلقه؛ لوضع أنبــوب التنفس، والأخــرى في رقبته لوضــع قسطرة غسيل الكلــى والثالثة في بطنه لإدخــال الغذاء والرابعة في أسفل بطنه لوضع قسطرة الإخراج وغيرها وكل هذه الفتحــات تلتهب ثم يضطرون لإغلاقها وفتح واحدة أخرى وكم كان يعاني من ذلك ويتجرع الألم، أسأل الله له أن يجد أجره مضاعفًا ويجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وكنــا في السابق نزور والدنا في بيته كل يــوم أربعاء، وأما بعد تعبه حين نجــيء بيته نرى آثاره فيه فنحــزن لفقد نور البيت وأذكــر أنني دخلت البيت فوجدته خاويًا على عروشه، فكتبت:

قد كان يوم الأربعاء محببًا	نغــدو إلى بيت الحــبيب فنفرحُ
فإذا وقفنا عند باب مشرع	نجد الجموع تزاحموا لا يبرحوا

وساقت أبياتًا سأذكرها أيضًا مع القصائد في الملحقات إن شاء الله.

ثم قالت: أذكر أننا مرة كنا في زيارة له وصادفنا أحد الأطباء المتابعين لحالتــه في غيبة من إخوتي الذكور، فسألناه كيف وضع الشيخ الآن؟ فقال: أنا مأخــوذة علي عهود من أبنــاء الشيخ ألا أعطي أحدًا معلومــات عما به، فقلنا لــه: ولكن من حقنا أن نعرف فنحــن بناته كما هم أبناؤه، فقال لنا: إن وضعه الإدراكي متحسن هذين اليومين ولكن عنده مشكلات التهابات الفتحات التي

تدخل بها الأنابيب، وكذا فإنه يعاني صفرة؛ لمشكلة في كبده لكنها ليست شديدة، ونحن مستمرون في غسيل الكلى، ولعلكن لاحظتن كيف خف التورم، وأما التليف الذي بالرئة فقد وضعنا له جهاز التنفس حلًا.

ولما قال هذه الكلمة كادت إحدانا يغمى عليها، فقالت بعد أن ذهب الطبيب: التليف هو تلف الرئة وهو مرض مميت، فقلنا: اسكتي حتى نخرج من هنا ونبحث عن معنى التليف.

فخرجنا ولما وصلت لبيتي بحثت طويلًا في الانترنت حتى وجدت اختلافًا في هذا المصطلح والذي خرجت به هو أن الرئة تتلف فعلًا ولكن ليس معنى هذا أن الشخص يموت بل ممكن أن يعيش على التنفس الصناعي طول وقته.

وكلمت أختي التي تعبت وأخبرتها لكن قلبها لم يرتح للأمر وأحست أن إخوتي يخادعوننا.

كنا نحن البنات والحفيدات نتناوب عنده للرقية وكنا نرى منه عجبًا فمع أنه مريض ولا يتحرك به شيء ووعيه ضعيف ولكنه يتأثر بالقرآن ويتغير عند قراءة بعض الآيات وأحيانًا نخطئ في آية فكان يتألم لذلك الخطأ فإذا رأيناه يتحرك نظرنا للمصحف فنكتشف فعلًا أننا أخطأنا فقد حفظ الله له قلبه ووعيه والقرآن الذي حواه فؤاده حتى في أيامه الأخيرة، وكنا نرى عليه أمرًا عجبًا في أثناء القراءة.

فمع أنه شبه فاقد للوعي ولكنه يأنس بكتاب الله ويبدو عليه التأثر الشديد عند بعض الآيات، ويتأثر بآيات الرحمة والعذاب والصبر والصلاة والآيات التي ذكر بها المسجد الحرام وكأنه يشتاق إليه، وآيات كتم العلم وكأنه يلوم نفسه، وآيات الجهاد والشهادة في سبيل الله، وقد يردد بشفتيه مع القارئة ما تقرؤه.

كنت إذا جئت للقراءة عليه والسلام أعرفه بنفسي وأقول: إني سأقرأ عليك البقرة، وأبدأ في القراءة والحمد لله الذي وفقنا لهذا الفعل فقد استفدنا منه في تدبر بعض الآيات التي لم نكن نتدبرها ولم نلاحظ ما بها من عبر إلا بعد رؤيتنا شدة تأثره رحمه الله بها، هذه الفائدة أتت وهو طريح الفراش لا يحرك غير عينيه ولا ينطق.

كنا أحيانًا نرى التألم في وجهه، فقد كان يحاول أن يسعل لكن حلقه مسدود بأنوب التنفس وكم كان يتفطر قلبي لتألمه.

توالت المصائب والبلايا عليه حتى تعطلت الكلى وامتلأ جسمه بالسوائل وانتفخ كثيرًا ثم تعبت المعدة ولم تعد تعمل وجاءه خير كثير من ربه جعله الله رفعة في درجاته.

كان إخوتي وأبناؤهم وأبناء أعمامي يتناوبون عنده فلا يتركونه ليلًا ولا نهارًا وكان لهم مكان يستقبلون فيه الزوار ومن يريد رؤية الشيخ، حيث إن الزيارة ممنوعة، فيطمئنونهم عليه ويضيفونهم».

انتهى كلام الأخت هيا وفقها الله ولعلك لاحظت أخي ما كنّ يقمن به من جهد في تسلية الوالد رحمه الله بالقرآن الكريم.

وقبل أن أترك الحديث عن المستشفى أحب أن أقول كلمة حق: إننا لقينا من الإدارة برئاسة الدكتور قاسم القصبي ومن الأطباء ومعاونيهم من الممرضين والفنيين أفضل أنواع التعاون والتعامل، ولا يعني هذا عدم وجود النقص الذي نتبرم منه أحيانًا، لكن النقص واختلاف وجهات النظر طبيعة بشرية ولا تعني إنكار الجهود المبذولة بلا حدود.

مديـر التشريفات الأستـاذ عبدالرحمن الشـريم والأخ خالد الشلهوب وفي مكتـب المدير جارنا الأستـاذ سعد الحسن والمدير المنـاوب ياسر العنزي وفيصل العساف وغيرهم من الإخوة، لا أنسى تذليلهم كثيرًا من الأمور التي تتعسر أحيانًا.

ولا أنســى تفاعـل النـاس معنا ووقوفهم في كل وقـت، ومما أثر في نفسي شـاب لا أعرفه جاءني وقال: أنا اسمي سامي ومستعد أن أتبرع للشيخ إن كان يحتاج إلى كلية فشكرته وأكبرته وكان هذا الكلام قد قالته لي الأخت سميرة السودانية التي ذكرتها من قبل.

فجزى الله الجميع خيرًا وغفر للوالد ورحمه وأسكنه فسيح جنانه.

ومات الشيخ

لقـد ذكـرت قبل قليـل أن وفاة الوالـد رحمه الله كانت في الساعـة الثانية مـن ظهـر الإثنين ٢٠ مـن شهر رجـب ١٤٣٠هـ الموافـق بالتاريـخ الإفرنجي ١٣ /٧/٢٠٠٩م، ولقـد كان يـوم الوفـاة ويـوم الصـلاة ومـا بعدهمـا مليئًا بالأحـداث ولهذا سأقسم الحديث هنا إلى ثلاثة أقسام بحسب ما ذكرته من تنـوع الأحداث، وليعذرني القـارئ هنا إن لم يكن سبك الـكلام كما يجب أن يكون؛ لأني كنت أكتب عن موضوع مرض الوالد رحمه الله ودموعي تتحدر أحيانًا علـى وجنتي، وأما هذا الموضوع فإني أجهشـت بالبكاء مرارًا وأنا أعد فقراته للصياغة، ولا ألام على ذلك فإن حرقة فراق الوالد لم تفارق صدري مع مرور مـا يقرب من ثلاث سنوات، ولعل الإخوة الذيـن تجمعني بهم مجالس يجري فيهـا الحديث عنه رحمه الله يلحظون هذا، وليس بكثير في حقه رحمه الله، ولا أقول إلا: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

كانت أسباب الوفاة كما ذكرت في شهادة الوفاة التي أصدرها المستشفى هي:

١- توقف القلب.

٢- تسمم عام.

٣- متلازمة نقص التنفس.

٤- فشل الكبد الحاد.

٥- فشل الكلية الحاد.

وقد أصدرنا بعد وفاته رحمه الله بيانًا مقتضبًا ذكرنا فيه أن الوالد رحمه الله توفي ولم نفصل في ذلك؛ لأن الوضع كان لا يحتمل التفصيل وقد جاء في البيان:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. انتقل إلى رحمة الله تعالى شيخنا وإمامنا ووالدنا الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الإثنين ١٤٣٠/٧/٢٠هـ وسيصلى عليه ظهر غد الثلاثاء ١٤٣٠/٧/٢١هـ في جامع الإمام تركي بن عبدالله (الجامع الكبير) بالرياض.

نسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عن المسلمين خير الجزاء وأن يجعله مع السفرة الكرام البررة في الفردوس الأعلى من الجنة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

مكتب الشيخ عبدالله الجبرين

الإثنين ١٤٣٠/٧/٢٠هـ

ودعني كما وعدتك أنتقل بك للتقسيم الذي ذكرته.

يوم الوفاة

هـذا اليوم مـن أصعب الأيام علـى النفس ولكن ثبتنـا الله فيه وألهمنا الصبر والتحمل، ونشكر الله ونحمده على هذه النعمة.

كنـت ذكرت لك أن الوالد رحمه الله أصابته أزمـة قلبية حادة في ليلة الإثنين وأن ابنـي محمـدًا كان عنده فأخبرني فتوجهت مسرعًا أنـا وإخوتي ولكن وجدنا الأزمـة قـد خفت ووضعه مستقر مع وجود اضطراب في قـراءات الأجهزة، وهذا الاضطـراب جعلنـا ندعـو أخواتـي وأعمامي وعماتـي للحضور ليكونـوا قريبين منـه، فنحن لا نعلـم الغيب ولكن الأزمة التي حدثت والتقلبـات الكثيرة في أرقام الشاشات جعلتنا نخاف ونتوقع أن يكون هذا هو اليوم الأخير له في الدنيا رحمه الله.

لم يذكـر لنا المرضـى شيئًا ولا حتى الأطباء وخبرتنـا في حالات الوفاة قليلة، ولكني توقعت أنه في النزع من البارحة فلذلك دعوت الجميع.

كل من جاءنا جاء فزعًا فنطمئنه وإذا دخل على الوالد ورآه يتنفس ارتاح، وكان رحمه الله فيمـا يظهر قد دخل في غيبوبة منـذ البارحة؛ لأنه لم يعد يستجيب ولا يتحرك منه سوى صدره الذي يهبط ويصعد بمساعدة جهاز التنفس.

أرسلنـا النساء للاستراحة وبقي الرجال بعضهم أمام الغرفة وبعضهم في الممـرات وكل منهـم قـد وضع رأسه بـين يديه وأطرق حزنـًا لا يدري ماذا سيحـدث في السـاعـات اللاحقـة؛ لأن المفاجـآت في مثـل هـذه الحالة تجعل الإنسان لا يدري ماذا يفعل.

بعـد الظهـر لاحظنـا تحسنًا قليـلاً في الأجهـزة وفي السـاعـة الواحدة والنصـف عادت مرة أخـرى للاضطراب بصـورة سريعة، ولهـذا أخذ العم ناصر يقرأ عنده سورة ياسين، ولعله رأى أنه في النزع الأخير.

كان المرض والطبيب مضطربين يدخلان ويخرجان وينظران للأجهزة التي بدأت أرقامها في التناقص وبخاصة مؤشر ضغط الدم الذي كان يراوح بين العشرين والأربعين وكانت الأجهزة تطلق علامات الخطر بين فترة وأخرى.

وفي الساعة الثانية تناقص الضغط وصاحت الأجهزة، فسارع الممرض ودعا الطبيب فتجمهروا حوله وأحضروا معهم جهاز الصدمة الكهربائية المخصص للإنعاش القلبي، وكنت في داخل الغرفة أنا وإخوتي وبعض الأعمام نقرأ عليه وندعو له فطلبوا منا الخروج ليبدؤوا في الإنعاش، فأشرت عليهم بالتوقف وأننا لا نرغب في الإنعاش ليقيننا بأنه قد أسلم روحه لربه، وكان قد ذكر لنا بعض الثقات أن الإنعاش في مثل حالته تعذيب للميت فقد يعود القلب للعمل قليلاً ثم يتوقف أخرى، وقد قرأت للجنة الدائمة فتوى برقم ٨٩٢٦ وللوالد رحمه الله فتوى برقم ١٤٩٩٣ في جواز نزع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغيًا إذا تحقق موته، ثم إن جهاز الصعق هذا مزعج للمريض ولهذا أشرت لهم بعدم رغبتنا فيه، فانصرفوا؛ لاقتناعنا بأن الأمر لا يعدو أن يكون محاولات ليس لها ثمرة.

تركنا الممرض عنده وهو يرقبنا من خارج الغرفة ومنا من جلس بقرب السرير ومنا من وضع يده عليه وأطرق يدعو له ويسترجع، ثم بلغ النبأ أخواتي وعماتي وزوجة الوالد ومن معهن من بناتنا فجئن مسرعات وجلات، فلما دخلن حاولنا أن نتجلد ونخفف عنهن المصاب لكنهن أقبلن يلثمنه ويحوقلن ويسترجعن ويبكين من وقع المصيبة، وإن القلب ليحزن والعين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

تقـول الأخت هيا في مذكراتها: «ذهبـت لغرفة والدي وفي الطريق إليها وجدت جمعًا غفيرًا من الرجـال الأقارب والأباعد وطلاب الشيخ وأحبابه قد هدهم الأسى وجلسوا على قارعة الطريق يبكون ويعزي بعضهم بعضًا عندها أحسسـت بأن أبي ليس لي وحدي فالكل به مصاب، وحاول بعض أبنائنا ثنيي عن الدخول لغرفة فقيدنا، فقلت: لا تحاول، أتمنعوننا منه حيًّا وميتًا؟ فدخلت عليـه.. ورأيته وقد خمـدت الأجهزة وأطفـأت أنوارها التي كثـيرًا ما أقلقتنا وسحبـت منـه الأنابيب وبقـي صامدًا كما عهدتـه وكأنه قد ارتـاح من دنيانا وهمومهـا، فأهويت عليه أريد تقبيله فنهاني أخـي.. فقلت: ممَّ الخوف الآن؟ كنتـم تقولون: نخاف عليه من العدوى.. والآن مضى إلى ربه.. أرجوك دعني؛ فهـي قبلة الفراق.. فخنقته العبرة وتركني.. فقبلـت يده قبلة طويلة على يده وكانت باردة منتفخة من التورم.. وتمنيت لو أضم جسده كله بين يدي..

ذهبنـا إلى بيت والدنـا نجرجر أحزاننا.. وتلتهب قلوبنـا كمدًا وهمًّا.. ففي أي مصيبة نحن اليوم؟ ومكثنا فيه نتجرع الغصص وقد أتى من أخواتنا من تصبرنا».

وبعـد أن أحسسنـا أن الجميـع هـدأ واستوعـب النبأ ورضـي بالقضاء وودع حبيبـه وشفـى غليله اقترحنا أن ينصرف النسـاء ويتولى الرجال إنهاء إجراءاته مع المستشفى.

دخـل الممرضـ ومعه مـن يعينه وقـد جـاؤوا بالأكياس التـي يلف فيها الموتـى عادة لإيداعهم في الثلاجة ثم بدؤوا في عملهم ونحن نرقب هذا الطود الشامـخ وقـد ودع الدنيا التي لم تدخل قلبه وزلـف إلى الآخرة التي كان يعمل لها، نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا.

انتشر الخبر بسرعة عجيبة في المملكة وخارجها وبدأت الاتصالات فهذا مستفسر وآخر يعزي وثالث يواسي ورابع يدعو ويخفف من المصاب، بل وصل كثير من الإخوة للمستشفى بصورة سريعة.

اتفقت مع إخوتي وأعمامي على أن نصلي عليه ظهر الثلاثاء في الجامع الكبير، واتصل من المغرب الأمير سلمان معزيًا وهو أول من عزانا في وفاة الوالد رحمه الله من الأمراء حيث اتصل في الساعة الأولى بعد قبض روح الوالد رحمه الله، فعرضت عليه أن يصلى على الوالد في الجامع الكبير وأن يدفن في مقبرة العود فوافق، وقال: سأبلغ الإمارة والشرطة ليستعدوا، والصلاة عليه في الجامع الكبير في الرياض ودفنه في مقبرة العود هو وفاء من الأمير حفظه الله إذ لا يتاح ذلك لكل أحد.

وقد قال لي كلمة كانت لي نعم العزاء، وهي من الوفاء الذي لا يستغرب من مثله لقد قال لي حينما عزاني بعد وفاة الوالد مباشرة: «يا عبد الرحمن وإن كان الوالد قد مات فأنت في مكانه عندنا» لقد دمعت عيناي وقتها وعلى الرغم من مصيبتي في الوالد فقد كانت هذه عندي من أفضل ما عزيت به؛ لأني لا أريد أن تنقطع شفاعات الوالد ووجاهاته للمحتاجين ولعل الله أن يعينني للسير على نهجه وإن كان قد أتعب من جاء بعده.

كان وجهه حينما توفي رحمه الله مشرقًا على الرغم من تعرضه لأسقام وبلاء مبين، حتى إن جسمه لا يخلو موضع منه من أثر لوخزة أو شرطة.

ولما انتهوا منه حملوه على السرير المتحرك وسرنا وراءه ونحن مازلنا في دهشة الحدث وقد وجدنا الممر في خارج العناية قد امتلأ بالشباب من تلاميذه ومحبيه وكل منهم قد بدا عليه الحزن والتأثر، فكل من مررنا عليه مشى خلفنا حتى وصلنا إلى باب ثلاجة الموتى.

فلما أدخلونا وضعوه في الغرفة الداخلية وطلبوني لتسجيل الأوراق المعتادة في مثل هذه الحالة، فلما انتهينا قبلنا جبينه وانصرفنا للمنزل.

وكنا قد اتفقنا أن يكون العزاء في بيت الوالد رحمه الله فتوجهنا إليه ووجدنا الناس قد سبقونا هناك، وقد جهز بعض أبنائنا البيت لاستقبال المعزين.

كنا وصلنا للمنزل بعد العصر، وبدأ الناس في التوافد لكنهم كثروا بعد صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء، ولعل الحديث عن العزاء وفعالياته يأتي لاحقًا إن شاء الله تعالى.

وقد أصدر الديوان هذا اليوم بيانًا أعلن فيه عن وفاة الوالد رحمه الله نشرته وكالة الأنباء السعودية وأذيع في نشرات الأخبار والصحف وهذا نصه:

بيان من الديوان الملكي

انتقل إلى رحمة الله تعالى هذا اليوم الإثنين ٢٠ / ٧ / ١٤٣٠هـ فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين إثر مرض عاني منه، وسيصلى عليه - إن شاء الله - بعد صلاة ظهر يوم غد الثلاثاء ١٤٣٠/٧/٢١هـ بجامع الإمام تركي بن عبدالله في مدينة الرياض.

تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته وأسكنه فسيح جنته.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

يوم الصلاة

هذا اليوم هو يوم وداع الوالد رحمه الله وهو مليء بالأحداث المتسارعة التي يعجز الإنسان عن متابعتها، ولهذا سأذكر ما شهدته منها، وسأنقل عن بعض من كتب أو تكلم عنها من المشايخ وغيرهم.

فقد بكرنا في نحو الساعة السابعة للمستشفى التخصصي وكنا تواعدنا أنا وإخوتي وأعمامي وبعض الأقارب والمحبين على ذلك، وبعد استلام جثمانه وجعله في سيارة الإسعاف توجهنا لمغسلة الدريهمية في شبرا.

كان الشيخ سعد الحميدي وهو المسؤول عن المغسلة بعد وفاة الشيخ عبدالرحمن الغيث رحمه الله، قد اتصل بي منذ أن سمع خبر وفاة الوالد، وسألني أين سنغسله؟ فقلت: عندكم في الدريهمية، فقال: الحمد لله وقد اخترناها لأنها قريبة من البيت ومن بيوت كثير من الأقارب ومحبي الشيخ، وكذلك لأن الوالد رحمه الله كان له جهد في تأسيسها ودعمها.

ولما وصلنا المغسلة كانت الساعة قريبًا من السابعة والنصف، فوضعوه على سرير التغسيل وتركوه لتلين أعضاؤه بعد الثلاجة، ثم شرعنا نغسله رحمه الله حتى انتهينا منه، وكان قد تجمع في المغسلة خلق كثير ينتظرون فراغنا ويطمعون في السلام عليه، فأذنا للناس بعد أن لففناه بالأكفان وتركنا وجهه ورأسه مكشوفين، فدخل الناس عليه بعد أن وقفوا في صف طويل، بدأنا بالأعمام والأخوال وكبار الجماعة ومن حضر من المشايخ، ثم أذنا لسائر الناس.

وممن أثر فيَّ مجيئه الشيخ صالح آل طالب إمام وخطيب المسجد الحرام وهو من تلاميذ الوالد ومحبيه فإنه حينما سمع بنبأ وفاة الوالد رحمه الله جاء إلى الرياض وجاءنا في المغسلة وسلم عليه وقبّله وعيناه مغرورقتان بالدموع ووقف عند رأسه طويلًا حتى أشرت له؛ لكثرة من ينتظر من الإخوة[1].

ولما انتهى الرجال أذنا للنساء حيث حضر عدد منهن كأخواتي وعماتي وبناتهن وبناتي وبنات إخوتي وأعمامي ونحوهن من محارمه رحمه الله.

(١) موقع البرزة http://www.albarzh.com/vb/showthread.php?t=8932.

ولما انتهى الناس غطينا رأسه وطلب منا بعض الإخوان الصلاة عليه في المغسلة؛ لارتباطهم بجنائز أخرى فأذنا لهم، وكانوا قد اعتذروا من الجنائز قبل الظهر، وفرغوا المغسلة للوالد رحمه الله.

صعدنا سيارة الجنائز به بعد أن صلى عليه الإخوة وسارت السيارة في اتجاه جامع الأمير تركي بن عبدالله، وسار الناس خلفها.

ولما وصلنا وجدنا الأمن المسؤول عن التنظيم هناك ينتظرنا فأدخلوا سيارة الإسعاف من جهة القبلة وكان الناس قد بدؤوا في التوافد لكن الشرط يصرفونهم من الجهات الأخرى، فوقفنا مقابل باب الجنائز وأدخلنا الوالد هناك، وكانت جنازة أخرى لامرأة من آل الشيخ أنسيت اسمها الآن رحمها الله قد سبقتنا، فسلمنا على من كان معها، وجلسنا ننتظر، ثم اقترح علينا بعض الإخوة أن ندخل للمسجد؛ لئلا يشتد الزحام ولا نجد مكانًا؛ لأن الجامع بدأ يمتلئ فدخلنا وكان المسجد من الداخل قد امتلأ تقريبًا وقد حجز الشرطة مكانًا في الصف الأول لذوي الهيئات، فصففنا هناك.

رأيت عددًا من المشايخ أنسيت كثيرًا منهم الآن وأذكر منهم الشيخ عبدالله بن عقيل رحمه الله والشيخ ناصر الشثري، فحدثت ابن عقيل أننا نرغب أن يصلي على الوالد رحمه الله لأن المفتي العام غير موجود وكنا توقعنا مجيئه من الطائف ولكن لعله شغل بشيء، وكان النائب عنه ابنه الشيخ عبدالله، فبعثت له من يستأذنه فاعتذر بأن مع الوالد جنازة لإحدى قريباته ويرغب أن يصلي هو، فعذرناه.

وأذن المؤذن لصلاة الظهر ولم يلبث أن أقام لكثرة الزحام وكان في الصف الأول عدد من الأمراء والمشايخ والمسؤولين منهم الأمير سطام والأمير

سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز والأمير خالد بن طلال والأمير سعود بن سلمان بن محمد وغيرهم كثير ولم يسمح وضعي النفسي بالسلام على أحد.

وممن قرأت فيما بعد أنه حضر الصلاة معالي الشيخ عبدالله المطلق وفضيلة رئيس محاكم الرياض ورئيس ديوان المظالم ورئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشيخ سلمان العودة[1].

بعد الصلاة تقدم الإمام للصلاة على الجنازتين وتزاحم الناس وحاولت أن أكون خلف الإمام فلم أجد مكاناً إلا بعد تعب وبمساعدة بعض الإخوة ولكثرة تزاحم الناس فقد تأخر الإمام في التكبير مدة رجاء انتظام الصفوف وهدوء الناس لكن الوقت طال فكبر وكبر الناس ولكن ظهر صوت البكاء والنشيج على فقدان الوالد رحمه الله وبخاصة بعد التكبيرة الثالثة حينما بدأ الناس بالدعاء له، مع أن الإمام هداه الله لم يطل فيها.

ولما سلم تسابق الناس لحمل جنازة الوالد رحمه الله وحصلت فوضى شديدة أدت إلى تأخر خروجها من المسجد قرابة عشرين دقيقة ولم نصل للسيارة إلا بعد جهد جهيد ثم لم ندخلها السيارة إلا بكلفة وتزاحم الناس في السيارة حتى لم نتمكن من إغلاق الباب وتطوع بعض الإخوة لنصيحتهم فنزل كثير منهم وبقي بعضهم ولكن الذين تعلقوا في جوانب السيارة أو ركبوا فوقها كثير، رأيت ذلك فيما بعد في الصور التي صورها بعض الإخوة بجوالاتهم.

كان عدد المصلين كثيرًا، فقد ازدحمت شوارع الرياض المؤدية إلى جامع الإمام تركي بن عبدالله وأغلقت كثير من المنافذ؛ بسبب كثافة المصلين، وهو ما دفع كثيرين للسير على الأقدام للوصول إلى المسجد، وقد تم فرش الساحة

---

(١) من مقال لعمرو بن أحمد الضبعان http://www.sami9.net/vb/showthread.php?t=96229.

الشرقية للمسجد ليصلي الناس فيها، فامتلأ الجامع وساحاته الخارجية قبل صلاة الظهر بأكثر من ساعة، وامتدت الصفوف إلى المواقف والأسواق والمباني المجاورة كمبنى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقدر بعضهم الحضور بمئة ألف مصلٍّ[1] بل بالغ بعضهم، فقال: مليون شخص[2]، ولكني لا أظن هذه الأرقام صحيحة إذ المتوقع أنهم بين العشرين والثلاثين ألفًا؛ لأن المسجد يتسع لسبعة عشر ألف مصلٍّ وقد غص بالناس وصلى الناس في خارجه كما ذكرت.

وكان حضور النساء كثيرًا لافتًا للنظر، وكذلك حضور المسلمين من الجنسيات الأخرى لكن كانت النسبة الكبرى في الحضور للسعوديين وبخاصة الشباب[3].

ولم يكن الحضور من الرياض فقط بل توافد الناس من جميع مناطق المملكة، بل من الدول المجاورة [4]وبخاصة دول الخليج، وهناك من جاء من مصر وغيرها[5].

كانت الصلاة في وقت الظهيرة وفي منتصف الصيف تقريبًا في وقت شدة الحر في مدينة الرياض ولم يمنع ذلك الناس من الحرص على حضورها.

وقد تابعها الآلاف بل الملايين عبر الفضائيات في العالم، وصلي عليه

---

(١) جريدة المدينة http://www.al-madina.com/node/159874.

(٢) قناة «اقرأ».

(٣) من مقالة عمرو بن أحمد الضبعان http://www.sami9.net/vb/showthread.php?p=932570.

(٤) خطبة للشيخ سعد بن عبدالله الجبرين في ٢٤ – ٧ – ١٤٣٠ هـ.

(٥) خطبة بعنوان وفاة الشيخ ابن جبرين وقبض العلم للشيخ أيمن سامي.

صلاة الغائب في عدد من البلدان.

وقبل أن أنتقل لحالتنا في المقبرة ومشاهد دفنه رَحِمَهُ اللهُ سأسوق لك بعض النصوص التي سطرها بعض الإخوة عن مشاهداتهم في أثناء الصلاة عليه رَحِمَهُ اللهُ.

تقول الأخت هيا: «ذهبنا للصلاة عليه مبكرًا.. حتى لا يواجهنا الزحام.. وانتظرنا حتى صلوا عليه، ولقد رأى الجميع الجنازة وكم صلى عليها من ألف.. ورأينا الجنازة الأخرى وهي لامرأة صالحة اعتزلت الناس وعكفت على العبادة منذ عشرين سنة وكان عمرها مئة وسنتين، فجازاها الله بهؤلاء الأمم الذين أدوا عليها الصلاة تبعًا لا قصدًا مع الشيخ رَحِمَهُمَا اللهُ.

ازدحم الناس كثيرًا على الجنازة كلٌّ يريد تقبيلها وكلٌّ يريد حملها حتى ابتعد عنها إخوتي وأعمامي وكادت تذهب نفوسهم.. إن نسيت مشهدًا فلن أنسى مشاهد الجموع التي تزاحمت، فيهم الأعمى والأعرج، وفيهم الملتحي والحليق، وفيهم الشيخ والشاب، وقد صورت الكاميرات صورة لشاب اضطر في الزحام إلى الركوب فوق سيارة ورفع عكازيه معه. جلسنا نحن النساء في المصلى حتى انتهوا من الدفن واجتمع النساء حولنا يعزيننا وبعضهن يبكي، فيهيجننا نسأل الله الثبات والهداية».

ويقول الأخ عمر الضبعان[1]: «ركبت سيارتي للعودة إلى العمل في الساعة الثانية عشرة والنصف ولم أستطع الخروج من المواقف بسبب الزحام إلا في الساعة الواحدة والنصف، وقد خرج كثير من المسجد، وهو يبكي بحرقة وحاول بعض الإخوة وعظ هؤلاء وطلبوا منهم الصبر والثبات».

---

(١) http://www.sami9.net/vb/showthread.php?p=932570.

ويقـول الدكتور سعد بن مطر العتيبـي[1]: «تنوع الحضور ما بين عرب وعجـم وكبـار وصغار ونسـاء وأطفال ولأول مـرة أرى كثرة النسـاء في شهود الجنائز، و هذه من الأمور العجيبة والغريبة في شأن هذا العالم الجليل.

وحدثنـي أحد كبـار السن أنه لم يَرَ جنـازة في الجامع الكبير بحجم ما وقع في جنازة الشيخ ابن جبرين رحمه الله».

وقد كتب الدكتور سعد بن مطر مقالاً فصل فيه وقائع الصلاة؛ ولما فيه من الشمول والفائدة سأورده هنا بنصه في الجملة يقول حفظه الله[2] «اتجهت الضحى العـالي يوم الثلاثـاء، في الساعة الحادية عشرة والربـع تقريبًا إلى جامع الإمام تركـي (الجامع الكبـير بمدينة الرياض) واتصلت في الطريـق على أحد حمائم ذلـك الجامـع؛ لأحدد طريقة وصـولي للجامع، فأخبرني أنـه موجود في المسجد منـذ الساعة العاشرة والنصـف.. وأنه وجد صعوبة في وجود موقف لسيارته؛ أي بالقرب من المسجد الطيني الذي كان الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله يلقي فيه أوائـل دروسه، وهي مسافة تقارب خمس مئة متر عن المسجد تقريبًا من النـاحية الجنوبية الشرقية للجامع الكبير (جامع الإمام تركي) بوسط مدينة الرياض.

سـرت مـع جموع المشاة مـرورًا بمحطـة الإطفاء، متجهـين شمالاً إلى الجامـع، مرورًا بموقـع المنزل الذي كان يسكن فيه الشيـخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله قبل انتقاله إلى حي البديعة.

سرت بجانـب الطريق علـى ذات الرصيف الغربـي، والناس تسير فيه كالسيـل الجارف في جميع الطريـق: وسطه وجانبيه، ولفـت انتباهي: خروج

---

(١) قناة «دليل».

(٢) الألوكة http://www.alukah.net/articles/67 /7065.aspx.

أصحـاب المحـالّ التجارية علـى جانبي الطريـق أمام متاجرهـم! يشاهدون الجموع بدهشة، وتلحظ تهامس الأعاجم والغرباء منهم بالسؤال: ما الحدث؟! فترى الحيرة أحيانًا، وتسمع الجواب أحيانًا أخرى، يتكرر ذلك أمام ناظريك وأنت تسير نحو الجامع بتكرر السائلين والمجيبين.

وسـرت حتى انحنـى الطريق، فتبـيّن الجامع للناظر مـن بين المباني، وكانـت المفاجأة أن جميـع الأبواب الجانبية الجنوبيـة للجامع مغلقة، ما عدا الباب الأخير الذي يُدخَـل منه على الساحة المكشوفة في المسجد، وإذا النّاس يتدافعـون فيه دخولًا، في مشهـد ذكرني اندفاع النـاس إلى الحرم المكي بعد الأذان مـن باب الفتـح أو باب الملك عبدالعزيـز رحمه الله! ومن شهد ما شهدت يعلم أني لم أبالغ كما قد يظن بعض من لم يَرَ المشهد!

ورأيـت بعض الناس يخرجون مـن ذات الباب الكبير، ومن بينهم شيخ كبير يتكئ على عصاه، ويردد: يقولون ما فيه محل إلا في الشمس!

ومـن عادتي في الزحـام، أني لا أستمع إلى النـاس، حتى أرى.. وما إن تخللنا من الباب حتى رأينا جميع المواقع التي لها نصيب من الظل قد امتلأت! وبقيت السـاحـة المكشوفة محل تردد من بعض الواقفين؛ لشدة الشمس وطول الوقـت المتبقي! وهنـا جاء فرج عاجل، بتقدم بعضـ الصفوف التي تلي صف الحرس الرسمي داخـل المسجد، نتيجـة تضييق الحرس لدائـرة الحراسة، كما هـو معتاد في مثل هذه الأحوال.. فدخلنا في الجزء المسقوف من الجامع، وانتظرنا الصلاة.

وقـد ضجر أحد المصلين أمامي، فرجـع إلى الصف الذي أنا فيه، وهو يـردد: النـاس يحملـون أحذيتهم في المسجـد!! وكأنه لم يتحمـل حمل الناس

لأحذيتهم، قلت له: يا عم! الأمر كما ترى، هذا الزحام والناس تريد أن تدرك المقبرة أيضًا.. فسكن وبدأ يتلو من سورة الكهف في انتظار الصلاة حتى ختمها! فخلته قد وهم في ظل الزحام أنَّ اليوم يوم جمعة! ونسي أن اليوم يوم الثلاثاء!!

وقد اتصل علي بعض الإخوة وأنا في المسجد، يسألون عن إمكانية الصلاة داخل المسجد، وكان منهم أخي يعقوب وبصحبته أخي أحمد، حيث كانا قد أوقفا سيارتهما بقرب المكان الذي أوقفت فيه سيارتي؛ لبعده عن مجامع الزحام المشهورة.. فأخبرته أن جوف الجامع قد امتلأ! وقد أعلمني فيما بعد أنه صلى مع الجموع الكبيرة التي بلغت في صفوفها تحت الشمس الحارقة قريبًا من أسواق الثميري جهة الشرق!

صلينا الظهر، وأمّنا في الصلاة نائبُ سماحة المفتي في إمامة الجامع الكبير، زميلُنا الشيخ الصالح – نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا – الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز آل الشيخ؛ إذ لم يتمكن سماحة المفتي العام من القدوم لمدينة الرياض مع محاولته لذلك؛ لالتزامه بعدد من المواعيد الرسمية السابقة في مدينة الطائف، فصلى عليه صلاة الغائب بمسجد الإفتاء هناك.

ثم أعلن شخص لم يتبيّن لي من هو: أننا سنصلي على جنازة العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين، وخنقته العبرة، وتحشرجت الكلمات في مخارجها، وأكمل – بصعوبة – ذِكْرَ اسم جنازة أخرى لم أتبينها.. وتأخرت الصلاة بضع دقائق، وعلَت أصوات بعض المنظمين في الجامع، ولم أشاهدهم، لكني عرفت صوت أخينا إبراهيم بن عبيد، وهو من المشرفين على الجامع، حيث كان يوجه بعض الناس بالابتعاد عن الإمام؛ ليتمكّن من الصلاة.. وبدأ بعض

الناس يجهش بالبكاء، بل قد انفجر بعضهم باكيًا، وتكاثرت الأصوات مرتفعة بالبـكاء، وذلك من حين كبر الإمام لصلاة الجنــازة، وكان بجانبي رجل من العسكـر، ذو رتبـة عالية، فكانــت حركة اضطراب جسده وهــو يحبس البكاء تشغلنــي عــن بعض الدعاء، وكان ينحنــي من شدّة ما يجــد! وقد ظهر صوت الإمــام بالدعاء قريبًا مما لو كان يجهر بالقراءة، وربما كان السبب في ذلك: كثرة الأصوات الباكية حوله.

سلّـم الإمام، وبـدأ الناس في الخروج مــن المسجد، وانتظــرت اندفاع الناس، ورأيت عددًا من الأحبة والمشايخ فعزيتهم، وكان منهم الشيخ عبدالله المطلـق حفظه الله، وقد رأيته متأثــرًا تأثرًا لا يستطيع إخفاءه.. ومنهم من خارج الرياض حبيبنا الشيخ سعد الغنام حفظه الله! وقد أخبرني أنه جاء مع جمع من الإخوة من الخرج؛ ليشهدوا الجنازة.

ومــا إن خرجت مــن المسجد حتى رأيــت بعض أحبتنا مــن أهل مدينة جُــدّة! فسألتــه بعــد أن تبادلنــا التعــازي: منــذ متــى وأنتــم في الرياض ولم تخبرونــا؟ فأجاب: أتينا البارحة في وقت متأخــر، حيث لم نتمكن من المجيء جــوًّا، وخشينا فوات الجنــازة، فأتينا بالسيارات، مع جمــع من الدعاة وطلبة العلــم، وذكر لي بعضهم من أعيان مدينة جدة! فحمدت الله عز وجل أن يسر لهم الوصــول، والمشاركــة في الصلاة على عــالم لم يَرُدّ لأهل جُــدّة طلبًا كما يعبر أحدهــم، لا طلب محاضرة، ولا دورة علميــة، ولا دعوة إلى عضوية في مجلس إدارة مكتب دعوي، ولا غيره!

قلــت: هذا ديدن الشيخ رحمه الله! فهو لا يرد طلبًا يمكنه تحقيقه، لا لأهل جــدة ولا لغيرهم! من شــرق المملكة إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها، وما بــين ذلك! فأيّ همة تلك الهمّة! وأي توفيق ذلك التوفيق! وما أراه إلا عونًا من

الله للشيخ، فلعل الله علم منه صدق النية ويسّر له العمل.. وإذا أراد الله بعبد خيرًا هيأ له من أسباب الخير ما يعجز عنه غيره.

ومما لفت انتباهي: كثرة الأخوات اللاتي قدمن للصلاة على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ! وعلمت من أخي يعقوب أن صفوف الناس كانت أكثر مما رأيت وأنا أنصرف.. وهنا تذكرت أختًا اتصلت عليّ ليلة الثلاثاء، تسأل: هل يجوز أن أصلي على الشيخ صلاة الغائب! لأنني خارج الرياض؟!!» أ.هـ.

ونشر أحد الإخوة في صحيفة «الاقتصادية» عن شيخ جاوز التسعين قوله[1]: «ما إن علمت بنبأ وفاة الشيخ إلا وطلبت من أبنائي أن نحضر الصلاة على الشيخ، مع ما أنا فيه من مرض وإعاقة، حيث حاولوا إقناعي بعدم الذهاب لظروفي الصحية، ولكنني شددت على حضوري؛ لمحبتي للشيخ الجليل، حيث رافقتني شريكة حياتي للصلاة عليه، وأسأل الله أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته».

سارت سيارة الإسعاف بنا بين حشود الناس حيث مشى الكثيرون على أقدامهم إلى المقبرة وكانت المسافة تزيد على ستة كيلوات، وكما ذكرت تعلق عدد من الإخوة بسيارة الإسعاف ولم يستطع السائق منعهم؛ لأن الأمر فوق الطاقة وأظنهم يصلون للعشرين.

نقل الشيخ محمد المنجد في خطبة الجمعة التي خصصها للحديث عن الوالد رَحِمَهُ اللهُ عن أحد المعلقين على الأخبار في الشبكة قوله[2]: «أنا لست بمتدين، ولكن مشيت في جنازة هذا الإنسان سبعة كيلوات؛ لأن محبة الشيخ في القلب كانت أكبر من شمس الظهيرة، فنسخت هذه هذه، وتحمَّل الناس

---

(١) http://www.aleqt.com/2009 /07 /15/article_252363.html.

(٢) موقع إمام المسجد http://www.alimam.ws/ref/1822.

الحرِّ واللأواء والشدة في المشي إلى المقبرة التي ازدحمت وفي الناس من أهل البلد، ومن المقيمين، ومن دول الخليج، ومن العرب، ومن الأعاجم».

دخلنا المقبرة ونحن لا نرى طريقنا، فقد سبقنا الناس ولعل بعضهم لم يدرك الصلاة في المسجد فجاء للمقبرة.

حاولنا إنزال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ من السيارة فلم نستطع؛ لتدافع الناس وكثرتهم وبعد لأي استطعنا إخراجه وتوجهنا به للقبر ونحن في مثل الموج حتى خشينا سقوطه مرات عدة وكان بعض الإخوة قد جهزوا القبر الذي يحمل رقم ٦٨ عرضًا و٢٥ طولًا ليكون قبرًا للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وبعد وصولنا للقبر وضعت الجنازة أمامه وامتلأ القبر بعدد من الإخوة فتطوع أحد الإخوة وأمر الجميع بالخروج فنزل في القبر العم ناصر وأخي محمد وابن العم سعد بن عبدالله.

وتم إنزال الوالد في قبره ثم رفع بشته أمام الحاضرين، فعم الصمت أرجاء المقبرة وكانت الأصوات تتعالى من قبل[1]، ثم خرج سعد بعد مدة ونزلت مكانه ثم خرج الأخ محمد ونزل الأخ سليمان وتم الدفن كالمعتاد، ثم تجمع إخوتي وأعمامي وبعض الأقارب لاستقبال تعازي الناس وكانت الجموع كثيرة فقد بقينا إلى قرب العصر والناس لم تنقص فشعرنا بالتعب وانصرفنا للمنزل بعد أن وقفنا عند قبره رَحِمَهُ اللَّهُ ودعونا له.

وممن جاء للتعزية في المقبرة الشيخ عبدالله بانعمه وهو شفاه الله مشلول لا يتحرك منه إلا لسانه، فجئت له وقبلته ودعوت له وقد رأيت تأثره البالغ لفقد الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وتأثرت أنا برؤيته وكان محبوبًا عند الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

---

(١) من مقالة للدكتور راشد بن عثمان الزهراني
.http://rashed.ws/Index.aspx?function=Item&id=802&lang=AR

(٢) .http://e.holol.net/vb/showthread.php?t=8519

وقد ذكر الدكتور عبدالله بن هضبان الحارثي[1] أن الناس استمروا يصلون على قبره حتى أذان المغرب.

أيام العزاء

جئنا إلى المنزل، فوجدناه غاصًّا بالناس الذين جاؤوا للتعزية، وكان هناك ثلاث دوريات من الشرطة لتنظيم السير في الشارع، وقد رتب الإخوة المكان كما ذكرت، فكان جلوسنا في المجلس وفتحنا غرفة الطعام المجاورة وجهزت للجلوس أيضًا، كما فرشت الساحة الأمامية من المنزل وجهزت بكراسٍ للجلوس، حضر إخوتي وأعمامي وكبار الجماعة وأصهار الوالد رَحِمَهُ اللهُ أزواج بناته، وكثير من أبناء الأسرة لأنهم يعدّون الوالد أبًا لهم وقد كان كذلك.

وتقاطر الناس من كل مكان من المملكة ومن خارجها ومن كل الفئات من الأمراء والمشايخ والوجهاء والعامة، وكنا لا نكاد نجلس من كثرة المعزين.

وبعث أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني اثنين من وزارة الأوقاف للمشاركة في الصلاة والتعزية وهما الدكتور/ثقيل بن ساير الشمري والشيخ/علي بن راشد المهندي، ثم أرسل كما سيأتي وفدًا برئاسة نجله جاسم لنقل تعازيه.

وجاءنا الأمير خالد بن طلال مرتين جزاه الله خيرًا، وهذا من وفائه فقد كان معنا في المستشفى في جميع ما نحتاج إليه، كما جاءنا سماحة المفتي والشيخ عبدالله بن عقيل رَحِمَهُ اللهُ وغيرهم كثير.

وكنا قد نشرنا في الصحف خبر الوالد وحددنا مكان العزاء والهواتف والفاكسات المخصصة لذلك تسهيلًا على الناس، فكانت الهواتف المعلنة وهواتفنا الخاصة لا تسكت، وقد أعطيت هاتفي أحد أبنائي وتفرغت

(١) قناة «اقرأ».

لاستقبال تعازي الناس، وكان الابن يأتيني بالهاتف كلما اتصل أحد ممن يعرف مكانتهم وهم كثير من الأمراء والمشايخ والوزراء والوجهاء من داخل المملكة ومن خارجها، إذ كنا في الصيف ومعظم الناس في خارج المملكة، ولا أحصي الذين اتصلوا ولست في مجال تعدادهم هنا، فجزاهم الله خيرًا، فقد كانت مشاعر الناس في هذه الأيام هي خير عزاء لنا فلم نكن الوحيدين الذين فجعنا به رحمه الله بل فجع به المسلمون في أقطار الأرض كلها.

بدأت كثير من القنوات الفضائية وبخاصة الإسلامية منذ الساعة الأولى من وفاته تبث برامج عنه رحمه الله وعن سيرته ونقلت وقائع الصلاة عليه وتشييعه، وحتى القنوات الأخرى نشرت خبر وفاته؛ لأن الديوان الملكي أصدر بيانًا أعلن فيه وفاته رحمه الله كما ذكرت.

وقد اجتهد الإخوة في مكتب الوالد رحمه الله فجندوا أنفسهم لمهمات تتعلق بالحدث، فقاموا بتوثيق وأرشفة المعلومات التي نشرت عنه في الأيام اللاحقة لوفاته من الصحف والمجلات والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت، كما أنشؤوا صفحة باسم مشاعر أمة للتواصل مع الناس وحملوا فيها المواد النصية والصوتية والمرئية من مقالات ولقاءات ومراثٍ ونحوها، كما حصروا الخطب التي خصصها الخطباء للحديث عنه في الجمعة اللاحقة لوفاته رحمه الله حيث تحدث كثير من الخطباء في المملكة وفي العالم الإسلامي عن مآثره وفقد المسلمين له وما ثلم به الإسلام بسبب موته، وحصروا البرقيات التي وردت للتعزية فيه، ولكنهم لم يستطيعوا تسجيل الاتصالات ولا المعزين الذين حضروا؛ لصعوبة ذلك.

وقد قمنا بعد انتهاء العزاء بنشر صفحتين في بعض الصحف لشكر المعزين خصصنا واحدة لمن هم في داخل المملكة والثانية لمن هم في خارجها من دول الخليج والدول العربية.

وأصدرنا بيانًا مفصلًا عن ذلك؛ لأن ما نشر في الجريدة كان مختصرًا وأحب أن أورد البيان هنا بنصه؛ لما فيه من تفاصيل مفيدة:

العزاء للأمة في فقيد الأمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد..

فقد تلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاة سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله وأسكنه فسيح جناته في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الإثنين الموافق ١٤٣٠/٧/٢٠ هـ - ٢٠٠٩/٧/١٣م، وذلك بعد أن عانى مع المرض مدة خمسة أشهر واثني عشر يومًا، فلقد كانت مكانة الشيخ في داخل المملكة وخارجها سببًا في الحزن العام الذي أطبق أصقاع الأرض، وحيث تابع المحبون الأخبار العامة التي نشرت في وسائل الإعلام، حيث أصدر الديوان الملكي بيانًا نعى فيه سماحة الشيخ رحمه الله، كما تناولت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في داخل المملكة وخارجها الحدث باهتمام بالغ، ولهذا فإننا سنقتصر في هذا البيان على الأخبار الخاصة التي حدثت في أيام العزاء في منزل سماحة الشيخ رحمه الله تعالى.

فقد تلقى أبناء الشيخ وإخوته وأقاربه اتصالًا من خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، دعا فيه للفقيد بالرحمة والرضوان وبين أن فقده مصيبة على المسلمين عامة وليس على أسرته فحسب.

كما اتصل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام للتعزية في فقيد الأمة ومواساة أسرته وأقاربه وأشار حفظه الله إلى مكانة الشيخ في قلبه

وقلوب المسلمين في أقطار الأرض، ودعا للفقيد رحمه الله بأن يرفع الله درجته في عليين ويسكنه فسيح جناته.

وتلقت أسرة الشيخ برقية عزاء ومواساة من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الذي دعا للفقيد بالرحمة وأن يجبر الله مصاب أسرته، ويلهم الجميع في فقده الصبر ويجزل لهم الأجر.

وأسرة آل جبرين تشكر لخادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني مبادرتهم التي تعبر عن منهج هذه الدولة وقادتها حفظهم الله في مواساة شعبهم وتقديرهم لأهل العلم وطلابه.

هذا، وقد كان أول المعزين في الشيخ رحمه الله صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض الذي اتصل بعد وفاة الشيخ مباشرة، وكان حفظه الله متابعًا لحالة الشيخ في أثناء مرضه، بالرغم من انشغاله مع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وقد دعا للشيخ رحمه الله بالمغفرة والرحمة، وبين أن العلاقة والتقدير لسماحة الشيخ لن تنتهي بموته، بل ستبقى بإذن الله مع أسرته من بعده، وقد كان لكلماته أعظم الأثر في تطييب نفوس أبناء الشيخ وإخوته، فجزاه الله خيرًا وبارك في جهوده.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة الرياض في مقدمة المصلين على فضيلة الشيخ رحمه الله في جامع الإمام تركي بن عبدالله بالرياض الذي غص بالمصلين حيث امتلأت رحبات المسجد والشوارع المحيطة به.

وقـد وصل للرياض وفد مـن دولة قطر برئاسة الشيـخ جاسم بن حمد آل ثـاني نقل تعازي سمو أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وكان من ضمن الوفد سعـادة وزير الأوقاف الشيخ أحمد بن عبدالله المري والشيخ فيصل بن جاسم آل ثاني، وقد عبر الوفد عن الحزن العام لهذه المصيبة التي ألمت بالعالم الإسلامي ودعوا للفقيد بالرحمة والغفران

وبعـث سمو أمير الكويت ببرقيـة تعزية إلى خـادم الحرمين الشريفين أعـرب فيها عـن خالص تعازيه وصـادق مواساته بوفاة المغفـور له بإذن الله تعـالى فضيلة العلامـة الشيخ عبدالله بـن عبدالرحمن بن جبريـن، مشيدًا بمناقب الفقيد وأعمالـه الجليلة في مجال الدعوة والإفتاء والتعليم والتأليف؛ خدمـة للإسلام والمسلمين، سائلًا سموه المولى تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته وأن يلهم الجميع جميل الصبر وحسن العزاء.

وبعث سمو ولي العهد الشيـخ نواف الأحمد وسمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد ببرقيتي تعزية مماثلتين.

وبعـد الصلاة على الشيخ شيعه المصلـون إلى مقبرة العود، حيث ووري جثمانه رَحِمَهُ اللهُ، وشارك في الدفن الآلاف جزاهم الله خيرًا.

وقـد توافد المعزون على منزله رَحِمَهُ اللهُ بعـد الدفن ولمدة ثلاثة أيام حيث ضاقـت بهم جنبات البيت وساحته، ونحن نشكـر كل من واسانا بالتعزية من داخـل المملكـة أو خارجها حضوريًا أو هـاتفيًا أو كتابيًـا أو برقيًا، ولن نستطيع إحصـاء وذكـر كل المعزين، حيث كان منهم الأمـراء والمشايخ والوزراء وكبار المسؤولين وتلاميـذ الشيخ ومعارفه وجموع غفيرة من المواطنين والمقيمين من جميع الجنسيات، وكان منهم كثير من جميع بلدان العالم.

ومـن أبرز من شارك في التعزية من أصحاب السمو الأمراء أبناء الملك عبدالعزيز كل من:

صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن عبدالعزيز.

صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز رئيس هيئة البيعة.

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع والطيران.

صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس مكتب اليونسكو.

صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز وزير الشؤون البلدية والقروية.

صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبدالعزيز.

صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز نائب وزير الداخلية.

كمـا شـارك كثير من أحفاد الملـك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وأسـرة آل سعود وبعضـ الأمراء والوزراء والمسؤولين والمحبين مـن دول الخليج العربي والدول العربية والإسلامية والمؤسسات والهيئات الإسلامية في المملكة والعالم ببيانات نعت فيها الشيخ، ودعت له بالمغفرة والرحمة.

ونبشر جميع محبي الشيخ بأن مكتب الشيخ ماضٍ بإذن الله في استكمال المسـيرة التي بدأها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لنشـر تراثه ورعاية جهوده، وسيصدر بيان مفصل عن هذا الموضوع قريبًا إن شاء الله.

وأسرة آل جبرين تتقدم بجزيل الشكر والامتنان لجميع من قام بواجب العزاء في وفاة فقيدها سواءً حضوريًّا أو عبر الهاتف أو برقيًّا أو عبر الفاكس أو عبر الموقع سائلين المولى عَزَّ وَجَلَّ ألّا يريهم مكروهًا، ونسأله سبحانه أن يتغمد الشيـخ بواسع مغفرتـه ورحمته، وأن يرزقه الفردوسـ الأعلى من الجنة، وأن

يدخلـه مدخـلًا كريمًـا، وأن يجعل درجتـه في عليين مع النبيـين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأحد ٢٦/٧/١٤٣٠هـ

ولقـد كان حضور النساء كثيرًا أيضًا، فقد خصصنا البيت الذي بجوار بيـت الوالـد وهو المكتب لعـزاء النساء وسأنقـل لك ما ذكرتـه أختي هيا عن العـزاء حيث عايشت الأحداث هناك تقـول: «ذهبنا للبيت بعد انتهاء الزحام وإذا بدوريـات المـرور عند الباب استعـدادًا لما سيأتي من زحـام، ومنذ ذلك اليـوم حتى أربعـة أيام بعده ونحن نستقبل المعزين، مـن التاسعة صباحًا حتى الحاديـة عشرة ليـلًا، فهناك الباكيـة والصابرة والعليلة التـي لم تقدر على مجيئنا إلا بعد خمسة أيام من المصاب الذي دهاها.

وكثيرًا ما تدخل امرأة تسلم علينا وهي تقول: والله لا أعرف منكن أحدًا لكنه حب الشيخ الفقيد رحمه الله.

أتانـا القاصي والـداني، أتانا من ظننا ألا نلتقي بـه أبد الدهر، جيران لنـا انتقلوا عنا أو انتقلنا عنهم منذ سنين، أصهار سابقون، أصدقاء مدارس، زمـلاء قدماء.. وأتانـا الفقراء يشكـون ضعفهم، والأمراء يبكـون فقيدهم، والأقرباء ينعون حبيبهم.

أتانـا مـن انتزعت قلوبنا لمـا رأيناه حزنًـا.. تلك المـرأة الإفريقية التي كانت تتردد على والدي حتى يسدد ديونها، ثم كفلها، ثم أتى بأختها لتحج ثم تعمل هنا، ثـم تزوجت وأنجبت.. دخلت علينا ثم لم تقوَ رجلاها على حملها، فجلست في مكانها تنتحب حينًا وتتأمل وجوهنا الحزينة.

جاءنا كثير يقولون: مرضنا وأخذنا إبرًا مسكنة مهدئة ولم نذق الطعام.

أمـا نحن فقـد أنزل الله علينا سكينة وعزاء، فلـم تأخذ إحدانا علاجًا سوى المسكنات المعتادة، ولم ننح ولم نأتِ بما يسخط ربنا والحمد لله.

مـن المواقـف التـي لا أنساها زيـارة أسرة الشيـخ الفقيـد عبدالعزيز الوهيبي الذي توفي مع زوجته وبعض بناته في حادث أليم بطريق الدمام، فقد رأيـت أمه المكلومـة، وقلت: هذه تصبر ونحن لا نصـبر؟ سنكون مثلها وخيرًا منها، بل سنرضى ونسلم.. ونفرح بما قسم الله.

وقـد زارتنا نساء مقعدات وبعضهن كفيفة البصر، وأخرى صماء بكماء وثالثة تمشي بعكاز ولم تمنعهن هذه الإعاقات من المجيء.

وأتتنا إحدى القريبات وكانت مريضة بداء قديم فيها، وقد تأثر دماغها بمرضهـا ونطقهـا إلا أن في دينها صلابـة، كانت تبكي بـكاء الثكلى، فسالت دموعنا رأفة بها وعجبًا من حبها لأهل الخير مع ما بها من بلاء».

وبعد انتهاء العزاء طلبنا الديوان الملكي؛ للسلام على الملك وتقبل تعازيه فذهبنـا له أنـا وإخوتي وأعمامي وكان في الطائف وقابلنـا في جلسة استقبال المشايخ وعزانا في الوالد رحمه الله.

ثم قابلنـا الأمير نايف رحمه الله بعد أسبوع في مكتبه في مدينة جدة وقلت لـه لما جلسـت بجواره: صاحب السمـو، لقد جئنا نعزيكـم ونتقبل تعازيكم في أخيكم الفقيد سماحة الوالد الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.

فرد بهدوئه المعروف: فعلاً نحن نعزى فيه؛ فهو فقيد الأمة والوطن وقد قدم رحمه الله لدينه ووطنه والمسلمين الكثير مما سيرى جزاءه عند ربه إن شاء الله.

ولما أردت أن أشكر سموه على مواقفه المجيدة مع الوالد رحمه الله وقلت له: إن وقفاتكم الكثيرة المجيدة مع والدنا في حياته وفي مرضه وبعد وفاته لن ننساها وسنظل نذكرها فنشكرها.

فرد سموه بتواضع جم وقال: هذا واجبي كمسلم وواجبي كمسؤول وولي أمر وواجبي كمحب للشيخ رحمه الله لما له من حق على الأمة الإسلامية كلها.

قدمت له خطاب شكر من أسرة آل جبرين وخطاب طلب الإذن بإنشاء مؤسسة باسم الوالد رحمه الله لنشر علمه ورعاية جهوده، فقرأ الخطابين بعناية وكتب عليهما، وصدر ترخيص لمؤسسة تحمل اسم الوالد بتوجيه منه جزاه الله خيرًا.

وسافرت في ذي القعدة لسمو الأمير سلطان رحمه الله في المغرب، فاستقبلني في قصره وعزاني في الوالد وتبرع لمؤسسة الوالد بعشرة ملايين ريال جزاه الله خيرًا، وغفر له.

وبعد رجوع الأمير سلمان للرياض استقبلنا أنا وإخوتي وأعمامي في ٢٩ ربيع الأول ١٤٣١هـ في مكتبه بقصر الحكم، وسمعنا منه من الثناء على الوالد والدعاء له ما طيب نفوسنا.

وممن أثرت تعزيته في نفسي سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد، فقد قال لي: نحن يا عبدالرحمن، نعزى في الشيخ رحمه الله فهو فقيد الأمة.

ومن أبرز ما لفت نظر من جاء للتعزية أن أحد المكاتب العقارية الكبرى بجوارنا وهو مكتب الحوتان أغلق للحداد لمدة ثلاثة أيام ووضع لافتات كبيرة على واجهات المحل؛ للتعزية، وأنا أذكر هذا لترى حال العامة مع الوالد رحمه الله، وإن كنت لا أرى شرعيته.

وقـد قـال الشيخ محمد المقرن حينمـا افتتح أول حلقة بعـد وفاة الوالد رَحِمَهُ اللهُ من برنامجه الشهير الجواب الكافي: «لا يمكن أن نبدأ حلقة من حلقات برنامـج الجواب الكافي دون أن نعرج بتقديم العـزاء باسمي ونيابة عن جميع إخـواني وزملائي في أسرة الجواب الكافي لأبناء وإخوان الفقيد الشيخ الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين الذي توفي يوم الإثنين الماضي.

كان الشيـخ عبـدالله بن عبدالرحمـن بن جبرين رَحِمَهُ اللهُ أبـرز ضيوف الجـواب الكافي، وقد شارك معنا منذ انطلاقـة البرنامج عام ألف وأربعمائة وأربـع وعشريـن (١٤٢٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ تعـالى، وكان ملبيًّا لكل دعـوة يقدمها له البرنامـج بالحضور على الرغم من مشاغله وكبر سنه، فرحمه الله وغفر له، والعزاء لكل مسلم على وجه الأرض».

وحاولت بعض القنوات إشراكنا في بعض البرامج، فلم نتمكن لانشغالنا بالعزاء.

وذكـر الشيخ عصام العويـد في لقاء مع قناة «اقرأ» أن كثيرًا من الإخوة منذ أن مات وهم يتصدقون عنه ويدعون له من غير أولاده وأهله.

وقـد ذكرت أن مواقع الإنترنـت حفلت بالثناء عليـه وخصصت المواقع المشهورة كموقع أهل الحديث وموقع الألوكة وموقع صيد الفوائد وغيرها كثير ملفًا خاصًا لما كتب عنه رَحِمَهُ اللهُ، وإن كثيرًا من المواقع التي تخالف منهج الشيخ تأدبـت مع الحدث وأثنت على الشيخ الوالـد رَحِمَهُ اللهُ، وإن كان أحدها لم ينشر حتى خبر وفاته رَحِمَهُ اللهُ.

وطـار الرافضـة بالخـبر وشرقوا بـه وغربـوا، وجعلوا ذلـك اليوم يوم فـرح، ومما أنطقهـم الله به الدعاء للوالد رَحِمَهُ اللهُ بما يحبـه ويحبه كل مسلم



فقد انتشر بينهم الدعاء له بأن يحشره الله مع أبي بكر وعمر[1]، وإن فرح الرافضة بموته من دلالات الخير له إن شاء الله تعالى.

ونظرًا لحضور الوالد رحمه الله في كثير من قضايا المسلمين فإن كثيرًا من الجمعيات والجماعات والحركات الإسلامية أصدرت بيانات بعد وفاته رحمه الله تذكر فيها مآثره وتعبر عن حزنها بفقده وممن اطلعت على بيانه:

- جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت[2].
- الحركة السلفية في الكويت[3].
- الجالية البرماوية في المملكة [4].
- حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
- حركة المقاومة الإسلامية «حماس».
- رابطة علماء فلسطين.
- جمعية دار الكتاب والسنة - فلسطين.
- رابطة طلبة العلوم الشرعية في العراق.
- مركز أنصار السنة في السودان[5].

*****

(١) مداخلة للدكتور سعد بن مطر العتيبي في قناة «دليل».

(٢) http://www.alwatan.com.kw/Default.as...icle_id=522625.

(٣) http://www.alwatan.com.kw/Default.as...icle_id=522829.

(٤) http://www.burma-ksa.com/news.php?action=show&id=134.

(٥) http://www.ansar-alsunna.net/modules...rticle&sid=225.





مبشرات

ونحن نتحدث عن وفاته رحمه الله أذكر هنا بعض ما بلغني من الرؤى التي رئيت فيه رحمه الله فإن الرؤيا الصالحة من المبشرات.

فمن ذلك أن أحد طلاب العلم رآه وهو في طريقه إلى الدفن، وإذا به يكشف وجهه رحمه الله ويعظ الناس ويعلمهم أمور دينهم قبل أن يدفن وهذه بشرى خير إن شاء الله[1].

وقال الدكتور عبدالواحد المزروع وكان أبوه من محبي الوالد[2]: «قبل وفاته بما يقارب الشهر رأى أخي الأكبر والدي في المنام مستبشرًا يقول: سيأتينا عبدالله يكررها، فما مضى الشهر إلا ونسمع بوفاة شيخنا الشيخ عبدالله رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته».

وذكر الشيخ عصام العويد أن امرأة بحثت عن أبناء الشيخ لتبشرهم برؤيا رأتها قبل دفن الشيخ تقول: رأيت النبي ﷺ يقول: أين ابن جبرين، تمت البيعة.. تمت البيعة.

وذكر أيضًا على قناة «الدانة» أن رجلًا من القصيم رأى قبل وفاة الشيخ؛ بأيام أن القمر سقط على الأرض، وهذه الرؤيا يفسرها أهل التأويل بموت العلماء.

وعلى قناة «الرحمة» في برنامج عن الوالد رحمه الله اتصل رجل يقسم بالله العظيم إنه رأى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله يقول له: إن منزلة ابن جبرين فوقي في الجنة.

ويقول أحد الإخوة: لقد رأيته قبل موته بأكثر من شهرين في المنام بأنه قد مات، فسمعت من يقول: إنه لم يمت.

(١) قناة «الناس» برنامج «التبيان».

(٢) http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?page=3&t=179870.



الختام

وبعـد، فتلك كانت سـيرة راشدة لإمام مـن أفذاذ هذا القـرن وأعيان أعلامه جلوتهـا لك، ورسمتها كما عاشهـا صاحبها رَحِمَهُ اللَّهُ وسطرت حروفها دون تزويـق ولا مبالغة، وعرضت لك الأحدث ووافيتك على ما قلت بالشواهد من كلام صاحب السيرة ومن أقوال الأثبات ولا أجدني أقول إلا ما قال الأول:

والمسك ما قد شف عن نفسه   لا ما غـدا يمدحـه بائعه

ولا أجـد أفضل ولا أكمل من دعوات صادقات نهديها له رَحِمَهُ اللَّهُ وهي من أقـل ما يجـب في حقه من البر فأقـول: اللهم إن عبدك عبـدالله ابن جبرين في ذمتـك وحبـل جـوارك، وأنت أهل الوفـاء والحمد فاغفر لـه وارحمه إنك أنـت الغفور الرحيم، اللهم إنه خرج من الدنيا، وفارق محبوبه وأحباءه فيها، يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمدا عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إنه نزل بك وأنت خير المنزلين، وأصبح فقيرا إلى رحمتك، وأنت غني عن عذابه، اللهـم ضاعف له الحسنـات وكفّر عنه السيئات، وآتـه برحمتك رضاك، وقه فتنـة القبر وعذابه، وافسح له في قبره ونور لـه فيه، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه إلى جنتك واكفه كل هول دون الجنة، اللهم اخلفه في عقبه في الغابرين، وارفعه في عليين، وعد عليه بفضل رحمتك يا أرحم الراحمين[1].



(١) مقدمة الختام سطرها يراع الدكتور الأديب البليغ عبد المحسن العسكر، وأما الدعاء فهو في الأذكار للنووي ١/١٥٨. وهو مما اختاره الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعضه مخترع، كما نبه إليه محقق الأذكار، ولهذا تصرفت فيه بإشارة من الدكتور عبدالمحسن حفظه الله.